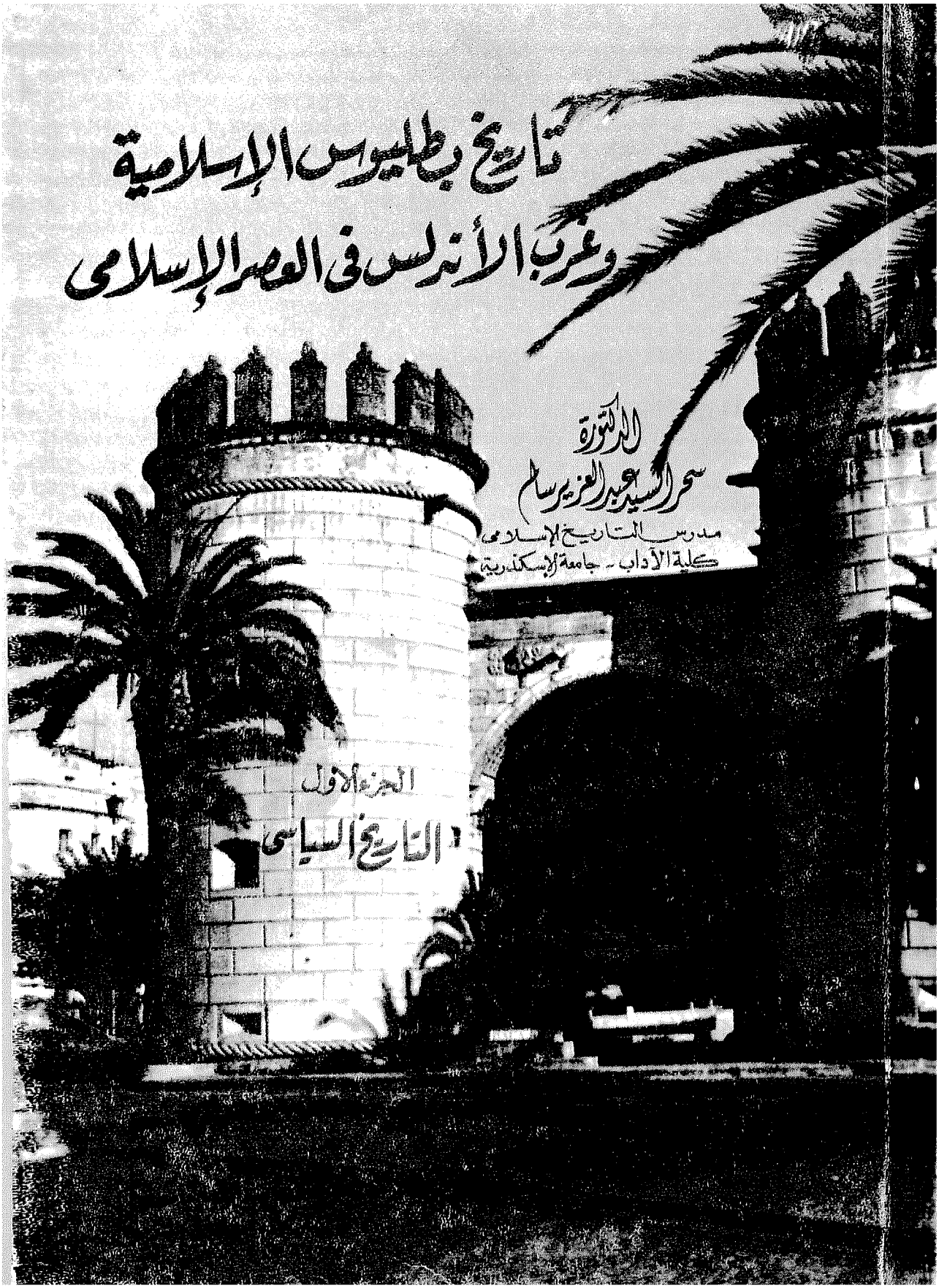
Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تاريخ بطليوس الإسلامية وغرب الأندلس في العصر الإسلامي

الدكتورة
سحر السيد عبد العزيز سالم
مدرس التاريخ الإسلامي
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية



الجزء الأول

التاريخ السياسي

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تاريخ بطليوس الإسلامية وغرب الأندلس في العصر الإسلامي

كتب عربى
(شـــراء)
BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الاسكندرية

رقم التسجيل ٦٢٦٥ ٦٢

الدكتورة
سحر السيد عبد العزيز سالم
مدرس التاريخ الإسلامي
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

الجزء الأول

التاريخ السياسي

مؤسسة شباب الجامعة
٤٠ ش الدكتور مصطفى مشرفة
ت ٤٨٣٩٤٧٢ - اسكندرية

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إهـــداء

الى والدى : ابـــى وامـــى

الى ابى ، اســـتاذى ومعلمـــى الأول :

الأستاذ الدكتور السيد عبد العزيز سالم

الى اول من علمنى رسم الحروف وهجائها

الى الشمعة التى تضىء دوما وتحترق فى سبيل اسعاد الآخرين،

الى رمـز التضحيـة ، الى احـن الآبـاء واعـز الأحبـاء ،

الـى من اتمنـى ان اكـون قطرة مـن بحـر علمـه الغزير ،

اليك يا ابى ، اعدك بأن اسير على خطاك ، واسأل الله سبحانه

وتعالى ان يمنحنى القدرة على ان اكون جديرة بحمل اسمك .

الى امى الحبيبـة

الى من علمتنى بمضاء عزيمتها وقوة شخصيتها معنى الصمود

فى الحياة ، والثبات على المبـدأ .

الى من علمتنى بحكمتها ورجاحة عقلها ، البحث عن الحقيقة،

الى من علمتنى بحنانها وحبها ، العطاء والبذل

الى من علمتنى بعلمها ضرورة ان اقـدم ما تعلمتـه للآخرين .

سحر السيد عبد العزيز سالم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تقـــديـــم

للاستاذ الدكتور محمود على مكى

أستاذ الأدب الأندلسى ورئيس قسم اللغة الاسبانية

بجامعة القاهرة وعضو مجمع اللغة العربية

- ١ -

على الرغم من التقدم الكبير الذى أحرزته الدراسات الأندلسية خلال السنوات الماضية فى العالم العربى فانه قد بقيت هناك مساحات واسعة من تاريخ هذا القطر العزيز على العـرب والمسلمين لاتـزال مجهولة او شبه مجهولة . فالتقدم الذى اشرنا اليه انما كان معظمـه فى نشر كثير من النصوص التى كانت مخطوطة ، وتم تحقيقها بشكل أقرب الى الوفاء بمتطلبات المنهج العلمى السليم ، على ان استغلال هذه النصوص والانتفاع منها فى انجاز دراسات علمية تلقى الضـوء على تاريخ الأندلس هو الذى لم يتحقق بعد على النحو المرجو ، وان كان تحقيـق تلك النصوص ونشرهـا خطـوة لابد منهـا لكى تقـوم الدراسات بعد ذلك على اسس متينة صالحة .

والحقيقة أن المستشرقين الأوربيين هم الذين سبقونا الى العناية بتاريخ الحضارة الأندلسية سواء بالبدء فى تحقيق ما استرعى نظرهم من امهات النصوص او بالشروع فى القيام بدراسات علمية منهجية . ولابد فى هذا المقام ان نشيد بفضل العالم الهولندى الكبير راينهارت دوزى (١٨٢٠ - ١٨٨٣) رائد الدراسات الأندلسية ، فهو الذى قام بأول محاولة لكتابة «تاريخ المسلمـين فى اسبانيا» فـأخرج فى هذا التاريخ كتابه الكبير فى أربعة أجزاء (ليدن ١٨٤٩ - ١٨٦١) ، وهو الذى أعاد طبعه ليفى بروفنسال بعد تهذيبه وتنقيحه (ليدن ١٩٣٢) ، وكان دوزى قد رأى أنه لاسبيل لكتابة مثل هذا التاريخ العلمى الا بعد تحقيق اهم النصوص المتعلقة بتاريخ الأندلس ، ولم يكن قد نشر من

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تلك النصوص فى هذا الوقت المبكر الا اقل القليل . فاضطلع بنشر الجزأين الأولين من «البيان المغرب» لابن عذارى المراكشى (ليدن ١٨٤٨ - ١٨٥١) والمعجب فى تلخيص أخبار المغرب (ليدن ١٨٤٧) والقسم الأول من نفح الطيب للمقرى بمعاونة عدد من تلاميذه وزملائه (ليدن ١٨٥٥ - ١٨٦١) . واما تاريخه لمسلمى اسبانيا فقد تناول به القرون الأربعة الأولى من تاريخ الاندلس اى حتى دخول المرابطين فى أواخر القرن الخامس الهجرى .

ومنذ ذلك التاريخ يبدأ الاهتمام بنشر ذخائر التراث الأندلسى وتتكاثر الدراسات الجزئية حول فترات من التاريخ الأندلسى . وينهض ليفى بروفنسال (١٨٩٤ - ١٩٥٦) خليفة دوزى بكتابة هذا التاريخ من جديد ، ولكنه لايبدأ من حيث انتهى سلفه العالم الهولندى الكبير، بل يرى أن ما نشر من نصوص جديدة شارك هو نفسه فى تحقيق الكثير منها يستلزم كتابة ذلك التاريخ منذ الفتح الاسلامى للأندلس، وهكذا يخرج مابين سنتى ١٩٥٠ و ١٩٥٥ كتابه الكبير «تاريخ اسبانيا الاسلامية» فى ثلاثة مجلدات : الأولان منها فى التاريخ السياسى للأندلس حتى سقوط الخلافة فى أوائل القرن الخامس الهجرى ، والثالث حول النظم والحضارة.والذى يقارن بين ماكتبه ليفى بروفنسال وما كتبه دوزى من قبل يلاحظ ان القرن الذى انقضى بين تاريخى التاليفين لم يضع عبثا ، بل هو يشهد بالتقدم الهائل الذى أدركته الكتابة التاريخية لهذا القطر سواء من ناحية الدقة المنهجية أو الغنى بالمعلومات الجديدة التى لم تتوفر لدوزى . ومع ذلك فان ليفى بروفنسال لم يجرؤ على اقتحام ميدان الكتابة فى تاريخ ملوك الطوائف الذى يمتد على طول القرن الخامس منذ سقوط الخلافة المروانية حتى دخول المرابطين ، وهى الحقبة التى عالجها دوزى فى القسم الأخير من كتابه . وظل المشتغلون بالأندلسيات ينتظرون من ليفى بروفنسال أن يواصل التاريخ لهذه الفترة لاسيما بعد أن خدمها هو نفسه بنشره

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مقـــــــدمة

أولا ـ موضوع الرسـالة :

لم تكن مدينة بطليوس فى فترات طويلة من تاريخها الاسلامى مجرد مدينة تخضع للحكومة المركزية ، وانما ظهرت كامارة مستقلة على أيام الامير محمد بن عبد الرحمن الاوســـط فى سنة ٢٦١هـ (٨٧٤م) حتى استنزلها الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله فى سنة ٣١٨هـ (٩٣٠م) ، ثم كمملكة لها حدودها مع الممالك المسيحية وجاراتها الاسلامية فى عصر الطوائف فى الفـــترة من ســـنة ٤٠٣هـ (١٠١٢م) وحتى ســـنة ٤٨٨هـ (١٠٩٥م) عندما اجتاحتها قوات المرابطين ، ثم عادت للظهـــور مرة اخرى امارة صغيرة لأشهر معدودة قرب نهـاية عصر دولة المرابطين فى الاندلس . ولقد لعبت بطليوس فى كلتى حالتيها ، كمدينة ثم كقـاعدة لامارة مستقلة أو حاضرة لمملكة ، دورا هاما وخطيرا فى التاريخ السياسى للاندلس منذ نشأتها حتى سقوطها فى أيدى الليونيين فى سنة ٦٢٧هـ ، اذ كانت بحكم موقعها الاستراتيجى الهام على نشز من الارض شديد الحصانة يطل على نهر واديانه من الجنوب ، ويشرف من الشمال على بسيط من الارض يمتد امتدادا كبيرا الى أعماق الغرب ، ثغرا جوفيا للاندلس يصاقب بلاد جليقية ، ثم مملكة البرتغال (فيما بعد) التى أخذت فى التوســع فى غرب الاندلس منذ منتصف القرن السادس للهجـرة ، وربما كان هذا الموقع الهام سببا فى أن تصبح مقرا لحكومات مستقلة مثل دولة بنى مروان ابن الجليقى فى عهـــد الدولـة الاموية ومملكة بنى الافطس فى عصر الطوائف ، وامارة ابن الحجام قرب نهاية عهد النفوذ المرابطى على الاندلس .

ومما لا شك فيه أن امتداد التاريخ الاســلامى لبطليوس عبر هذه الحقبـــة الطـــويلة (٢٦١ ـ ٦٢٧هـ) (٨٧٤ ـ ١٢٣٠م) أى خلال ما يقرب من ثلاثة قرون وثلثى القرن مع التغير المستمر لأحوالها السياسية ، وتتابع الوقائع التى مرت عليها ، بالاضافة الى قلة ما استطعنا أن نحصله

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من مادة علمية فى المصادر العربية ، كل ذلك كان يشكل صعوبة فى كتابة التاريخ السياسى والحضارى لبطليوس ٠

وقد تطلب الامر مرونة فى معالجة الموضوع ، على نحو يمكننى من أن أركز فى دراستى على تاريخ مدينة بطليوس كمركز عمـــرانى فى كل مراحل تاريخها الاسلامى ، وحتى فى الفترات التى كانت تنفصل فيها عن الحكم المركزى لتصبح امارة مستقلة أو دويلة تتمتع بكل خصائص الدولة٠ وعلى الرغم من الدور الهام الذى لعبته بطليوس فى تاريخ الاندلس فانهـا لم تلق الاهتمام الذى تستحقه من مؤرخى الاندلس وجغرافييهم ، فكانت أقل مدن الاندلس حظا فيما سجله هؤلاء المؤرخون من أخبـــار ووقائع أو ما أورده الجغرافيون من نصـــوص جغرافيـــة عن خططها وسماتها الجغرافية ، وربما كان مرجع ذلك أنها لم تلتزم بالطاعة للحكومة المركزية الا لفترات قصيرة أو لأنها كانت ثغرا يتعرض فى معظم الاحيان للحروب والمعـــارك ، وهدفا عسكريا للجـــلالقة أو البرتغاليين أو القشتاليين أو الليونيينالذين وضعوا نصب أعينهم ، اســـترداد الاندلس من منـــاطق الغرب ، لاسيما بعد أن نشأت مملكة البرتغال وتوسعت على حســـاب أراضيه ، ولعل ذلك كان يحمل العدد الاعظم من ســكانها على النزوح عنها فى الفترات التى تتعرض خلالها للغزو الخارجى،وهذا يفسر الى حد كبير أن كثيرا ممن نبغ من أهلها فى فترات الازدهار ارتحلوا عنها ، الى شرق الاندلس أو وســـطها كالطبيب البطليوسى يحيى بن اســـحاق البطليوسى الذى استقر فى قرطبة فى عصر الخلافة الاموية،أو العالم الاديب ابن السيد البطليوسى الذى نزل ببلنسية ، واستقر بها خلال الفترة المتبقية من عمره ، ومع ذلك فقد كانت منزلا للمجاهدين المثاغرين ممن يلتمسون الجهـــاد ، ومن الاسماء البـــارزة لهؤلاء ابن الابار الذى أقام فترة فى هذا الثغر ٠

والحق لقد عانيت كثيرا فى تحصيل المادة العلمية لهذه الدراسة،وهى مادة متناثرة هنا وهناك فى بطون المصادر العربية التاريخية أو الجغرافية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أو الادبية ، ومقارنتها بالنصوص الواردة فى المدونات المسيحية والمراجع الاسبانية المتخصصة لأتوصل الى الحقيقة التاريخية المجردة . والاخبار الواردة فى المصادر العربية عن هذه المدينة ، على اختلاف تخصصاتها ، شحيحة ، كما سبق أن ذكرت اذا ما قورنت بمـــا يتعلق بمدن الاندلس الأخرى . والباحث فى تاريخ الاندلس العام يمكنه أن يلاحظ ذلك بوضوح من خلال ما أوردته كتب التراجم والمصادر التاريخية والجغرافية وحتى الادبيـــة .

ومع ذلك فالتاريخ السياسى لبطليوس كان عامرا بالحوادث المثيرة والوقائع المتتابعة ، سواء من الجانب الاسلامى أو المسيحى ، فقد كانت حركة الاسترداد قد بلغت ذروتها فى عصر دويلات الطوائف عندما تمزقت وحدة الاندلس فى أعقاب الفتنة ، وما ترتب عليها من سـقوط الخـلافة المروانية ، ولكن بطليوس صمدت أمام هذه العواصف العاتية التى هبت عليها من الممالك المسيحية فى الشمال الغربى ، وقاومت ببسالة لا نظـير لها حركة الاسترداد التى تزعمها ملوك قشتالة وليون فى الشـمال الذين تلقبوا بالاباطرة ، ومنهم من تلقب بذى الملتين ، تمهيدا لما كان يستهدفه من القضاء على الاسلام فى الاندلس ، وملوك البرتغال منذ الفونسو انريكى فى الشمال الغربى والغرب ، ولم تستسلم رغم اقتطـــاع البرتغـــاليين والليونيين لكثير من مدنها الا فى سنة ٦٢٧هـ (١٢٣٠م) عنـدما فقـدت حصونها الامامية التى كانت تشكل خط دفاعها الرئيسى ، وفقدت فى غمرة الاضطراب الذى اكتنف الاندلس الرئيس والزعيم الذى يجمـع الصفوف ويلم الشعث ، وعندئذ فقط استسلمت لمصيرها المحتوم .

هذا التاريخ الطويل الذى سجل أمجادا تزهو بها مدينة بطليوس فى فترات معينة كما سجل نكسات تعرضت لها ، لم يكتب كاملا وعلى نحو منهجى ، وكل ما صدر عن تاريخها الاسلامى العام لا يعدو مجملا لتاريخ بطليوس الاسلامى ، لا يعتد به ، أصدره فى طليعة هذا القـرن مؤرخ بطليوسى يدعى مارتينث اى مارتينث تغلب عليه سـمات التعصب

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الدينى الاعمى ، فقد أمتلأت صفحات هذا البحث بالاخطاء الفاحشة ، كما أن كل فصوله لا تخلو من تحامل عنيف ضد المسلمين وتمجيد للثوار المولدين ، ومبالغات ممقوتة تنفى منه الصفة العلمية .

ومع ذلك فقد اهتم أحد المحدثين من أهل بطليوس بتدوين أخبار هذه المدينة فى أعز فترات ازدهارها وهى فترة الطوائف ، وأعنى به الاستاذ مانويل تورون البران الذى صنف كتابا عن أرض بنى الافطس ، ولكن هذا البحث مع أهميته يقتصر على عصر الطوائف ، كما أن مؤلفه لجهله باللغة العربية شأن زميله مارتينث اعتمد على بعض الترجمات الاسبانية المشوهة .

كان ذلك أيضا مبررا كافيا لأن اختار التاريخ السياسى لبطليوس فى العصر الاسلامى موضوعا لدراستى ، وعلى الرغم من أن موضوع الرسالة يرتكز أساسا على مدينة بطليوس فاننى اضطررت اضطرارا الى أن أخوض فى تاريخ بطليوس كامارة مستقلة أو كمملكة لارتباط القاعدة الادارية بطليوس بالنواحى التى تتبعها ، وواضح أن دراسة التاريخ السياسى لمدينة ما لا يقتصر على نطاقها العمرانى الذى يسبغ عليها صفة المدينة ، وانما يتجاوز هذا النطاق ليشمل الاقليم الذى ينتسب الى هذه القاعدة الادارية ، اذ أن الوقائع السياسية تفيض عادة عن هذا النطاق وتتجاوزه الى كل الاقليم ، ويجرى عليه ما يجرى على المركز .

ومن الجدير بالذكر أن الكتابة فى التاريخ المحلى تشغل اليوم اهتماما بالغا من الباحثين ، وقد عرف التاريخ الاسلامى هذا الاتجاه منذ القرن الثالث الهجرى فظهرت تواليف هامة خصصت لهذا النوع من الكتابة التاريخية مثل تاريخ دمشق لابن عساكر ، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادى ، وتاريخ واسط لابن نهشل ، وتاريخ حلب لابن العديم ، وتاريخ فاس للجزنائى . وتاريخ غرناطة لابن الخطيب ... الخ . واستمر هذا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الاتجاه قائما عند مؤرخى العرب المحدثين . وعلى هذا النحو صدرت بحوث عن تاريخ دمياط والاسكندرية ، وقوص ، وطرابلس ، واهدن ، وصيدا ، ودمشق ، وواسط ، وبغداد ، وقرطبة ، والمرية ، وبلنسية ، ومجريط ... الخ .

ومن الغريب حقا أن يهتم الباحثون الاسبان بهذا النوع من التاريخ فيصنفون فيه المصنفات العديدة ، فكتبوا فى تاريخ مالقة ومرسية ووادى الحجارة وقرمونة وغرناطة وجيان ... الخ .

هذا وقد قسمت بحثى الى ثلاثة أبواب رئيسية يتضمن كل من البابين الاول والثانى فصلين فى حين يقتصر الباب الثالث على فصل واحد ، وقد مهدت لهذه الابواب الثلاثة بدراسة تمهيدية ، وفيما يلى عرض موجز لأهم فصول البحث .

الدراسة التمهيدية :

وتنقسم الى نقطتين رئيسيتين ، الاولى عالجنا فيها الحقائق التاريخية عن الموقع القديم لبطليوس وأوليته ، وقمنا بدراسة نشأة بطليوس وتمصيرها على يد عبد الرحمن بن مروان الجليقى ، وتوصلنا الى أن بطليوس مدينة موغلة فى القدم ، يرجع تاريخها الى عصور قديمة للغاية استنادا الى النصوص التاريخية والى الاكتشافات الاثرية .

كما بحثنا فى أصل اسم بطليوس والمصدر الذى اقتبس منه الاسم العربى لهذه المدينة والآراء المختلفة التى دارت حول أصول الاسم .

أما النقطة الثانية فقد استعرضنا فيها المسرح الجغرافى لأهم الحوادث التاريخية التى تعرضت لها بطليوس فى العصر الاسلامى ، فاشرنا الى سطح الاقليم ووديانه وأنهاره وسهوله ، هذا بالاضافة الى الطرق الرومانية القديمة التى كانت تخترقه ، كما استعرضنا حصون اقليم بطليوس ومدنه الواقعة على نهر وادى آنة والمتوزعة فى مختلف

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أنحاء الاقليم بالاضافة الى الحصون الموزعة بين وادى تاجه ووادى يانه مع اهتمامنا البالغ بذكر أسمائها الواردة فى المصادر العربية ، وما يقابلها فى الوقت الحاضر .

أما **الباب الأول** وعنوانه«بطليوس فى ظل بنى مروان الجليقى»فيشتمل على فصلين ، أفردنا الفصل الاول لدراسة بطليوس فى عهد مؤسسها عبد الرحمن بن مروان الجليقى ، فتحدثنا عن بداية ظهور عبد الرحمن بن مروان الجليقى وعن أسرته التى ينتمى اليها ، ثم انتقلنا الى الحديث عن المراحل الاربعة المختلفة لثورته فى عهد كل من الامير محمد بن عبد الرحمن الاوسط والامير عبد الله ، وجهوده فى تمصير مدينة بطليوس التى اتخذها مقرا له فى عهد الاميرين المذكورين مع عرض لأهم منشآته فى المدينة ، وقد توصلنا الى أن قصبة بطليوس المنسوبة الى الموحدين كانت من بنائه .

وخصصنا الفصل الثانى لدراسة مدينة بطليوس فى عهد خلفاء عبد الرحمن بن مروان الجليقى فتناولنا بالدراسة حوادث السنوات الاربع الاخيرة من عهد عبد الرحمن الجليقى مع الاهتمام بعلاقاته الودية مع جيرانه من الثوار المولدين والعرب والبربر ومناهضته للحكومة المركزية فى قرطبة . ثم تحدثنا عن بطليوس فى عهد حفيده عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن مروان الجليقى ، فتناولنا بالدراسة الاوضاع السياسية فى بطليوس فى مرحلة الانتقال ، من رئاسة عبد الرحمن الجليقى الى حفيده عبد الله ، ثم تعرضنا لموقف بطليوس من حركة الداعى أحمد بن معاوية بن محمد بن هشام المعروف بابن القط القرشى الذى يرتفع نسبه الى عبد الرحمن الداخل ، وبينا اعتماد ابن القط على بربر سكان منطقة الجوف بما فى ذلك بطليوس وأحوازها ، وكيف انتهت حركة ابن القط بفشل ذريع ، فقد أوقع به الفونسو السادس هزيمة شنعاء على ضفاف وادى دويرة أباد فيها الأشتوريون قوات ابن القط ، وفيها لقى مصرعه ، وانتقلنا بعد ذلك الى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الحديث عن حوادث بطليوس فى ظل السنوات الاولى من عهد عبد الرحمن الناصر فأشرنا الى اعتداء قوات أردون الثانى ملك اشتورياش وليون على يابرة فى سنة ٣٠١هـ (٩١٣م) وانهزام المسلمين بداخلها وما جرى بعد ذلك من مذابح رهيبة فى صفوف المسلمين . وأوضحنا رد فعل عبد الله الجليقى صاحب بطليوس أمام هذه الفجيعة واهتمامه بتحصين مدينة بطليوس وسور قصبتها ، ودوره فى اعادة تعمير يابرة بمن عاد اليها من أهلها ، كما أشرنا أيضا الى علاقة عبد الله بن محمد الجليقى مع جيرانه من المولدين فى غرب الاندلس ، وانتقلنا بعد ذلك الى عرض شامل للاخطار التى أحاطت ببطليوس منذ سنة ٣٠٣هـ (٩١٥م) حتى مصرع عبد الله الجليقى سنة ٣١١هـ (٩٢٣م) وأبرزها الحملة التى قادها أردون الثانى على ماردة وبلاد الغرب ، وناقشنا الآراء المختلفة حول تاريخ هذه الحملة وأثبتنا أنها قامت سنة ٣٠٣هـ (٩١٥م) . كما ذكرنا انتصاره على المسلمين فى مكناسة الاصنام وقلعة الحنش وقيامه بهدم الحصن .

وانتقلنا الى الحديث عن مصرع عبد الله بن محمد الجليقى فى سنة ٣١١هـ (٩٢٣م) على يد جماعة من أتباعه ، وبينا أن مصرعه كان خاتمة مرحلة خطيرة فى تاريخ غرب الاندلس ، امتدت فيها حركة الاسترداد La Reconquista ، ثم تحدثنا عن ولاية ابنه عبد الرحمن بن عبد الله الذى خلفه على امارة بطليوس واستمر يقوم بأمرها حتى استرجع عبد الرحمن الناصر مدينة بطليوس فى سنة ٣١٨هـ (٩٣٠م) ، وتعرضنا بالتفصيل لذكر الحملة الخلافية على بطليوس وكيف انتهت بالسيطرة عليها واسقاط حكم دولة بنى مروان الجليقى ، واختتمنا هذا الفصل بالحديث عن بطليوس فى ظل الخلافة وذكر أهم عمالها وكيف أصبحت فى عهد الحكم المستنصر ثغرا للمسلمين فى الجوف ومنطلقا للجهاد الى مملكة ليون ونبرة .

أما **الباب الثانى** وعنوانه « مملكة بطليوس فى عصر دويلات

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الطوائف » فينقسم بدوره الى فصلين آخرين ، وقد خصصنا الفصل الاول من هذا الباب للحديث عن بطليوس فى عصر المنصور بن الافطس ، مؤسس الاسرة الافطسية وولده المظفر ، وبدأنا دراستنا لهذا الموضوع بعرض لأهمية بطليوس كقاعدة لغرب الاندلس فى عصر دويلات الطوائف ، وكيف استقل بها بادىء الامر سابور العامرى فى بداية الفتنة وقد بينا أنه ليس فارسيا كما يزعم المستشرقون ، وانما كان فتى من فتيان الحكم المستنصر ، ظهر فى أيام المنصور بن أبى عامر ثم انتزى ببطليوس والثغر الجوفى .

كذلك أوضحنا بداية ظهور بنى الافطس الذين استقلوا ببطليوس فى عصر الطوائف وأولهم أبو محمد عبد الله بن مسلمة الذى استوزره سابور واعتمد عليه فى تصريف شئون الدولة ، وكيف انتزع عبد الله بن مسلمة حكم بطليوس من ولدى سابور بعد وفاته ، كما تحدثنا عن أصل بنى مسلمة ورجحنا أنهم من بربر مكناسة البلديين الذين استقروا بغرب الاندلس منذ سنين طويلة . وجرنا الحديث عن أصلهم الى دراسة منازل البربر فى غرب الاندلس ، وتوزيع قبائلهم استنادا الى طبوغرافية غرب الاندلس ، والمدن التى تحمل أسماء محرفة من أسماء القبائل البربرية ، ثم اهتممنا بدراسة عهد المنصور ، فاستعرضنا بداية الصراع ، بين المنصور بن الافطس ، وبين أبى القاسم محمد بن عباد ، وأسباب الخلاف القائم بينهما ونتائجه ، ثم انتقلنا الى الحديث عن الاوضاع السياسية فى الغرب فى عهد المنصور ابن الافطس وعلاقته بالامارات البربرية المستقلة فى نواحى دولته ، ودخلت فى فلك مملكة اشبيلية مثل امارة البكريين فى ولبة وشلطيش ، وامارة بنى اليحصبى فى لبلة ، وامارة بنى خزرون فى أركش ، وبنى نوح فى مورور ، وامارة بنى طيفور فى ميرتلة ، ثم تحدثنا عن بطليوس فى عهد المظفر محمد بن المنصور ، فذكرنا حروبه مع المعتضد ابن عباد ، واستمرار العلاقات العدائية بين اشبيلية وبطليوس حتى تم الصلح بينهما فى سنة ٤٤٣هـ (١٠٥١م) . ثم تحدثنا أيضا عن حروبه مع المأمون بن ذى النون ، وكيف انتهت بهزيمة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المظفر بن الافطس فى معـــركة يابرة ، كمـــا تحدثنـا عن توقف هذه المصـادمات بين طليطلة وبطليوس بسبب حمـلات فردناند الاول ملك قشـــتالة على أراضى كل من مملكتى بنى الافطس وبنى ذى النـــون بطليطلة ٠

وتحدثنا بالتفصيـــل عن طبيعة الغزو القشتالى الليونى لاراضى مملكة بطليوس ودور جماعات المستعربين فى تسهيل مهمة القشتاليين ، وكيف انتهت هذه الغزوة بسقوط عدد من مدن مملكة بطليوس أهمهـا لميق ، وبازو وقلمرية الى أن عقدت الهدنة بين مملكة ليون وبين مملكة بنى الافطس ٠

وانهينـا هذا الفصل بدراســة عن المظفـر بين ملوك الطوائف ، فتحدثنا عن شخصيته وأثر مواهبه الادبية والسياسية والفكرية فى رسـم سياسته الخارجية ، وقارنا بين المعتضد بالله العبادى من جهة والمأمون بالله بن ذى النون من جهة أخرى ٠

وخصصنا الفصل الثانى من الباب الثانى لدراسة تاريخ بطليـوس فى عصر المتوكل على الله بن الافطس ، فبدأنا الحديث بعـــرض لأهم أحداث بطليوس فى مرحلة الانتقال من المظفر الى المتوكل ٠

وناقشنا مختلف الآراء فى تاريخ وفاة المظفر بن الافطس ورجحنا وفاته سنة ٤٦٠هـ (١٠٦٧م) ٠ وتوصلنا أيضا الى القول بأن المظفـر كان قد اعتزل الحياة السياسية بعـــد سقوط قلمـــرية فى سنة ٤٥٦هـ (١٠٦٣م) تاركا الحكم لولديه يحيى وعمر المتوكل،فلما توفى اشتد النزاع بين الاخوين ، وثار عمر على أخيه يحيى ، وضرب عمـلات باسمه ، فلما توفى يحيى فى سنة ٤٦١هـ (١٠٦٨م) انفرد عمر المتوكل ببطليوس ، وتحدثنا أيضا عن أثر الصراع بين الاخوين على الاحوال الاقتصـــادية والسياسية لمملكة بطليوس اقتصاديا وسياسيا وتجرؤ ملك ليـون عـلى مهاجمة هذه المملكة ، ثم تحدثنا عن المرحلة الاولى من عصر المتوكل ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفيهـا دعا أهل طليطلة المتـوكل بن الافطس الى رئاستهم ، فاستجاب لمطلبهم ، وأقام يدبر أمرها عشرة شهور ثم تركها الى بطليوس عنـدما أقبلت جيوش الفونسو السادس تعضد القـادر بالله بن ذى النون ، ثم فصلنا الحديث عن الاسباب التى حملت أهل طليطلة على الاسـتعانة بالمتوكل بن الافطس فى حكم بلدهم ، ثم انتقلنا الى المرحلة الثانية من حكم المتوكل وتبدأ باستيلاء ألفونسو السادس على طليطلة فى سنة ٤٧٨هـ (١٠٨٥م) ، والنتـائج الخطـيرة التى ترتبت على ذلك من قيـام ابن الافطس بحملته الاعلامية لجمع شمل ملوك الطوائف أمام تهديدات الفونسو السادس ، ثم تحدثنـا عن أطماع الفونسو السـادس فى مملكة بطليـوس منذ أن اسـتولى على قورية الى أن اغتصب مملكة طليطلة بأكملها ، وتطلعه الى السيطرة على مملكة بطليوس بعد ذلك .

ثم دافعنا عن المتوكل بن الافطس وأبرزنا دوره البطولى بالنسبة للموقف المخزى لغيره من ملوك الطوائف ، وتوصلنا الى أن المتوكل هو أول من فكر فى الاتصال بيوسف بن تاشفين أمير المرابطين ، وطلب منه التدخل عسكريا فى الاندلس ، وجرنا الحديث عن هذا التدخل المرابطى الى دراسة موقعة الزلاقة وعن ساحة المعركة والآراء المختلفة حول تحديد الموضع الذى دارت فيه ، وأثبتنا أن الموقعة دارت فى فحص الزلاقة على مسافة تبعد نحو ٧ أو ٨ ك٠م من بطليوس ، وعن استراتيجية المسلمين فى المعـركة التى ضمنت لهـم النصر ، وعن دور ابن الافطس فى هـذا الانتصار . واضطررنا فى حديثنا عن تفاصيل المعركة الى التحدث عن ارتباط ذلك بطبوغرافية الموقع ، كما تحدثنا عن تفسير اسم الزلاقة ، وتوضيح الاسماء الاسبانية التى أطلقت عليه والعلاقة بين الزلاقة وحصن الزجالة ، القريب من أرض المعركة .

واختتمنا الفصل الثانى بذكر النهـاية الحزينـة لبنى الافطس أصحاب بطليوس ، والاسباب التى حملت يوسف بن تاشفين على الغدر

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بهم ، وقد دافعنا كثيرا عن المتوكل ابن الافطس بالذات وأثبتنا أنه كان أكثر ملوك الطوائف اخلاصـــا لقضية الاســـلام فى الاندلس ، وأنه قتل غدرا ٠

أما **الباب الثالث** وعنوانه بطليوس منـــذ دخولهـا فى فلك دولة المرابطين سنة ٤٨٧هـ (١٠٩٤م) حتى ســقوطها فى أيدى الليونيين فى سنة ٦٢٧هـ (١٢٣٠م) فيشتمل على فصل واحد أفردته لدراسة تاريخ المدينة والامارة ، فى عصر المرابطين والموحدين ٠

وبدأنا الحديث بالبحث عن أحداث بطليـوس على أيام عـــلى بن يوسف،فأشرنا الى نشاط عسكر المرابطين فى الغربفىعهدهواسترجاع المرابطين لشنترين وبرتقال ويابرة والاشبونة وشنترة وقورية ٠

ثم انتقلنا الى الحديث عن نشـــاط تاشـــفين بن على بن يوسف الحربى فى أحواز بطليوس والغرب ، وأهم حملاته التى وجههـــا الى بلاد الغرب ، ردا على غارات الليونيين ، وانتصـــاره من جديد على جيوش القشتاليين فى نفس موقع الزلاقة ٠ وخرجنا من هذه الدراســـة بأن بطليوس كانت قاعدة عسكرية للمرابطين فى الغرب ، ثم انتقلنا الى الحديث عن الثورة فى غرب الاندلس ، وانهيار سلطان المرابطين ، فبينا أسباب الثورة ضد المرابطين ، والمحرك الاول لها فى غرب الاندلس وهو أبو القاسم أحمد بن قسى ، ووضع بطليوس ازاء هذه الحركة الثورية ، وخضوعها لابن الصميل حينا ولابن الحجام حينا آخر ، الى أن بذلت الطاعة لجيوش الموحدين ، واعتمـدنا فى تاريخ هذه المرحلة الســـابقة لدخول الموحدين بطليوس على شواهد أثرية تحمل أسماء أفراد استشهدوا على أيدى المرابطين عند خروجهم من بطليوس ، وتحدثنا أيضـــا عن بطليوس فى عهـــد عبد المؤمن بن على وابنه يوسف ، وأوضحنا كيف نشطت حركة الاسترداد البرتغالى فى الغرب بفضـــل طموح أول ملوك البرتغال ألفونسو انريكث ، الذى استعان بالصليبيين المارين على سواحل بلاده فى طريقهم الى الاراضى المقدسة فى السيطرة على أشبونة ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كما تحدثنا عن الصراع بين البرتغاليين والليونيين حول بطليوس نفسها ، وكيف استولى عليها البرتغاليون واستردها فرناندو الثـــانى الببوج ملك ليون الملقب بالسليطين وسلمها الى حلفائه الموحدين .

كذلك تحدثنا عن جهود أبى يعقوب يوسف الموحدى فى تحـــرير أحواز بطليوس وتطهيرها من الاحتلال البرتغالى ، ثم عن اســـتيلاء البرتغاليين على باجة ونتائجه بالنسبة للغرب الاندلسى ، وأهمها عودة البرتغاليين الى العيث فى بلاد الغـرب ، الامر الذى أدى الى تصـدى يوسف بن عبد المؤمن لهم فى شنترين حيث لقى مصرعه .

كذلك تحدثنا عن بطليوس فى عهد يعقوب المنصـــور ، فتتبعنا تحركات مملكتى ليون والبرتغال فى الغرب التى أدت الى سقوط شلب فى أيدى البرتغاليين ، ودور الصليبيين فى اسقاطها ، ورد الفعل الموحدى فى موقعة الارك ، وآثار انتصـــار الموحدين فى هذه الموقعة وأهمهـــا استردادهم لقصر أبى دانس وشلب ومتابعتهم الجهاد فى بلاد الجوف ، ثم تحدثنا عن بطليوس فى عهد خلفاء المنصـــور ، وبينـا ضعف دولة الموحدين فى عهد كل من محمد الناصر ويوسف المستنصر ، وكيف عجل الانهيار السياسى الذى أصاب دولة الموحدين فى المغرب والاندلس عقب هزيمة العقاب سنة ٦٠٩هـ (١٢١٢م) ، وحالة التفكك والانقســام بين أفراد أسرة عبد المؤمن ، فى التعجيل بنهايتها المحتـومة ، وأشرنا الى نتائج هذا الضعف وأثره فى زيادة نشاط حركة الاســـترداد المسيحى فى الغرب ، الامر الذى أدى الى سقوط قصر أبى دانس نهائيـــا فى أيدى البرتغاليين بفضل المعونة الصليبية التى قدمها أسـطول صليبى كان فى طريقه الى بيت المقدس سنة ٦١٤هـ (١٢١٧م) .

واختتمت هذا الفصل بذكر حملات الفونسو التاسع ملك ليـون التى استولى بها على قنطرة السيف وقاصرش ومارده وحصن الحنش حيث هزم ابن هود ، الى أن سـقطت بطليـــوس فى أيدى الليونيين سنة ٦٢٧هـ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(١٢٣٠م) وما تبع ذلك من سيطرة البرتغاليين على حصونها الغربية وهى البش وجلمانية وشيربة،والعوامل التى عجلت بسقوطها ، واختتمنا رسالتنا بخاتمة تضمنت أهم النتائج التى توصلنا اليها فى الرسالة .

كما ذيلناها بأربعة ملاحق : أولها دراسة تفصيلية عن الممالك المسيحية فى أسبانيا التى كانت لها صلة بوقائع بطليوس ، والثانى رسالة من المتوكل بن‌الافطس الى يوسف بن تاشفين ، والثالث رسالة من المتوكل بن الافطس الى ألفونسوالسادس ، والرابع ثبت بأسماء الاعلام الجغرافية الواردة فى الرسالة وما يقابلها فى اللغة الاسبانية .

ولا يسعنى فى ختام هذه المقدمة الا أن أوجه عظيم شكرى وامتنانى وتقديرى لأستاذى الجليل الدكتور السيد عبد العزيز سالم ، لما أولانى اياه من رعاية ، وما أحاطنى به من اهتمام وعناية ، وما وجهه الى من نصائح غالية كانت الضوء الساطع الذى أنار لى الطريق ومهد لى طريق البحث ، وكان محفوفا بالمشاكل ، وذلل لى الصعوبات،وترك‌لى مكتبته العامرة أستعير منها ما اشاء ، ولم يضن على بتوجيه او نصح فى أى ساعة من ساعات النهار أو الليل ، أطال الله بقاه وأنفع به العلم والباحثين .

كذلك أوجه الشكر العميق الى أستاذى الدكتور أحمد الطوخى الذى قبل الاشراف على رسالتى وأحاطنى بالرعاية والتوجيه العلمى السليم ، وتجشم الكثير من المتاعب فى الاطلاع على فصول الرسالة وتقويمها بثاقب رأيه ، ولم يبخل على بملاحظاته القيمة وتوجيهاته السديدة جزاه الله عنى خير الجزاء .

ولا يفوتنى أن أشكر من الاعماق أستاذى الجليل الاستاذ الدكتور جوزيف نسيم يوسف الذى تعهدنى خلال سنى حياتى الجامعية بالرعاية ، وشملنى بجميل فضله وعلمه وأمدنى بطاقة فكرية عظيمة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بتشجيعه المتواصل وعطائه العلمى الفياض ، وعلمنى المنهج العـــلمى السليم ، أطال الله فى عمره وأنفع تلاميذه بعلمه الغزير ٠

كما لا يفوتنى أن أوجه عظيم شكرى وامتنانى الى أستاذى العالم الكبير الاستاذ الدكتور محمود على مكى الذى تتلمذت عليه من كتاباته العديدة وتحقيقاته القيمة ، ودراساته الرائدة ، فى التاريخ والحضـارة الاندلسية التى أثرت المكتبة الاندلسية ، والذى تفضل مشـكورا بقبـول الاشتراك فى لجنة المناقشة ٠

كما أوجه شـكرى للاسـتاذ يوسـف شـكرى الذى علمنى الرسـم المعمارى وقدم لى العون فى رسم بعض الخرائط التوضيحية والمخططات الهندسية والدراسات التفصيلية لبعض العناصر المعمارية ، والى الدكتور محمد عبد العزيز محمود الذى أبى الا أن يسجل بقلمه أســماء المدن والمواضع على الخرائط والرسوم وأن يزين بهذا الخط الجميل عنوان الرســالة ، والى زملائى بالقسم الذين لم ينقطعــوا قط عن الوقوف الى جانبى ومساندتى ٠

والله ولى التوفيـق

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثانيا ـ دراسة نقدية لأهم المصادر والمراجع :

١ ـ ابن القوطية القرطبى (ت ٣٦٧هـ/٩٧٧م) كتاب تاريخ افتتاح الاندلس :

هو أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن ابراهيم بن عيسى بن مزاحم ويعرف بابن القوطية ، والمقصود بالقوطية سارة حفيدة غيطشة Witiza ملك اسبانيا القوطى ، وهو بذلك يكون مولدا من طبقة المولدين ، فقد تزوج عيسى بن مزاحم مولى هشام بن عبد الملك من سارة ، وتم ذلك عندما ارتحلت سارة القوطية الى دمشق لتطالب بميراث والدها ، فالتقى بها ابن مزاحم وتزوجها ، وعادت سارة الى الاندلس وهى زوجة لعيسى بن مزاحم ، ومن سلالتها ولد أبو بكر محمد(١) .

ويعد انتماء ابن القوطية الى طبقة المولدين عاملا هاما فى غلبة عصبيته المولدة ، وتتمثل فى اهتمامه الكبير بتتبع ثورات المولدين على الحكم الاموى ، ولا يعنى هذا أن ابن القوطية قد هاجم فى كتاباته الاسلام ، فابن القوطية كان مسلما شديد التعصب لاسلامه ، وقد أقبل على دراسة الفقه واللغة ، ولكن سخطه على العرب كطبقة حاكمة كان عميقا فى نفسه رغم اسلامه العميق(٢) .

وقد أفدنا من نزعة ابن القوطية نحو أصله الاسبانى ، فقد رجعنا اليه فى كثير من المواضع خاصة تلك التى يتحدث فيها عن ثورات المولدين ضد حكم الامارة العربى ، وقد أشار على وجه الخصوص الى ثورة

---

(١) أحمد مختار العبادى ، فى تاريخ المغرب والاندلس ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٢ ، ص ٥٢٤ .

(٢) ابن الفرضى ، تاريخ علماء الاندلس ، رقم ١٣١٦ ، مختار العبادى ، فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٥٢٤ ، جونثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٢٠٢ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ابن مروان الجليقى ، الذى لقبه « بريس المولدين فى الغرب »(٣) . كما ذكر جملة أخبار عن أصحابه وفى مقدمتهم سعدون السرنباقى .

كذلك أفاض فى الحديث عن ثورة ابن حفصون(٤) . ولعل اهتمامه بتتبع أخبار ثورات المولدين على السلطة المركزية فى قرطبة هى التى دفعت مؤرخا كبيرا مثل الدكتور أحمد مختار العبادى الى اعتبار كتاباته بداية ظهور القومية فى الاندلس ، وقد عبو الدكتور العبادى عن ذلك بقوله « فنزعة القوطية فى هذا الكتاب ، نلاحظ فيها تعصبا ضد الجنس العربى وضد السيادة العربية ، ولذلك يمكن ان نعتبرها النواة الاولى لحركة الشعوبية فى اسبانيا ، وان كانت هذه الحركة لم تظهر بوضوح الا فى عصر ملوك الطوائف ، فى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) »(٥) ... ومع ذلك فان اخباره عن حركاه هؤلاء المولدين تخلو من التحيز لهم ، وتتجرد من التحامل الذى يسميه الدكتور العبادى بالتعصب ، وكل ما فى الامر انه كان يتقصى أخبارهم شأنه فى ذلك شأن ابن حيان عندما يتحدث عنهم ، فتبريره لقيام ثورة الجليقى بأن الوزير هاشم بن عبد العزيز اهانه وارد كذلك فى المقتبس لابن حيان ، بل اننا نرى على الضد مما نسبوه اليه من تعصب ، بأن اهتمام ابن القوطية باخبار المولدين زودنا بكثير من الحقائق التاريخية الهامة التى انفرد بها ابن القوطية دون غيره من مؤرخى الاندلس كحديثه مثلا عن خبر هروب عمر بن حفصون الى تاهرت ، وانفراده أيضا بالحديث عن ثورة قعنب(٦) .

---

(٣) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الاندلس ، مدريد ، سنة ١٨٦٨ ، ص ٨٩ .
(٤) المصدر السابق ، ص ٩١ .
(٥) أحمد مختار العبادى ، فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٥٢٤ .
(٦) هو ثائر مولد ، اشاع الفتنة بين العرب والموالى والبربر فى نواحى مورور ثم فر الى ماردة حيث انضم الى محمود بن عبد الجبار وأخته جميلة ، وكان الحكم الربضى قد مات ، وتولى بعده عبد الرحمن الاوسط.وتعرف سائر المصادر العربية قعنب =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويتناول كتـاب « تاريخ افتتـاح الاندلس » لابن القوطية تاريخ الاندلس منذ أن افتتحهـا المسلمون حتى وفاة الامير الاموى عبـد الله بن محمد عام ٣٠٠هـ (٩١٢م) ٠ وقد جمع أحد تلاميذ ابن القوطية هذا الكتاب ، وأخرجه الى الوجود عقب وفاته بمدة ، بدليل أننا اذا قرأنا هذا المصدر الهام نجد أن الرواية لا ترد فى الكتاب على لسان ابن القوطية بل على لسان أحد سامعيه ، مما يدل على أن ابن القوطية لم يكن هو الذى كتب هذا الكتاب ، وانما كتبه أحد تلاميذه(٧) ٠

وقد أشار ابن القوطية الى الطريقة التى تم بها أسر الوزير هاشم بن عبد العزيز(٨) حين واجه عبـد الرحمن بن مروان الجليقى ، ومن خلال اشارته الموجزة لهذا الموضوع ، نستنتج أن هاشم بن عبد العـزيز قاتل الجليقى فهزم ثم أسر ، وهذا الرأى هو الذى قد رجحناه ، وهو فى ذات الوقت يتفق ورأى كل من ابن عذارى(٩) وابن الخطيب(١٠) ، ويتفق مع المنطق كما سوف نوضح فى الفصل الخاص بذلك ٠

هذا وقد تناول ابن القوطيـة أحداث ثورة ابن الجليقى فى عام ٢٧٢هـ (٨٨٥م) على نحو من الدقة والاتزان بحيث أفدنا منهـا الى حد كبير فى التوصل الى الحقيقة التاريخية ، لاسيما وأن أحداث هذه المرحلة متشابكة الى حد أن مؤرخا عظيما كابن خلدون اختلطت عليـه

هذا باسم سليمان بن مرتين ، ولكن ابن القوطية ، ذكر لقبـه قعنب لاهتمامه الخاص بدراسة ثورات المولدين فى عهد الامارة (انظر ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٦٧) ٠
وقد فصل ابن القوطية فى أمر هؤلاء الثوار المولدين ، واهتم بذكر تفاصيل أحداث ثورتهم ٠

(٧) أحمد مختار العبادى ، فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٥٢٥ ، جونثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٢٠٣ ٠
(٨) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٨٩ ٠
(٩) ابن عذارى ، البيان ، جـ ٢ ، ص ١٠٣ ٠
(١٠) ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص ٢١ ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بعض الامور بشأنها ، ولكننا تمكننا بفضل الرجوع الى ابن القوطيـــة من التوصل الى الحقيقة(١١) ٠

وفى ختام حديثنا عن ابن القوطية تجدر بنا الاشارة الى أن كتابه « تاريخ افتتاح الاندلس » يكمل النقص الذى يتسم به كتاب « الاخبـار المجموعة »(١٢) وقد قام بنشر الكتاب العالم الاسبانى باســكوال دى جاينجوس P. Gayangos ، وقام بترجمته الى الاسبانية المستشرق الاسبانى خوليان ريبيرا J. Ribera فى مدريد عام ١٩٢٦(١٣) ٠

٢ ـ ابن بسام الشنترينى « الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة » :

هو أبو الحسـن على بن بسـام الشنترينى ، وينسب الى شنترين Santarem ، وهى مدينة من أهم مدن البرتغال فى الوقت الحاضر ، وكانت فيمـــا مضى من كبريات مدن الغـرب أو الثغـــر الجـــوفى من بلاد الاندلس(١٤) ٠

وينتمى ابن بسام الى أسرة عريقة عاشت فى شـنترين ، وفى هذه البلدة نشأ وعاش صباه ، ثم رحل الى أشبونة عام ٤٧٧هـ (١٠٨٤م) حيث أقام فترة من الوقت ، ثم اجتذبته قرطبة فرحل اليهـــا فى عام ٤٩٤هـ (١١٠٠م) هاجـرا بلده التى نهبها النصـارى ، وتوفى فى عام ٥٤٢هـ (١١٤٧م)(١٥) ٠

ومن المرجح أن يكون ابن بسام قد ألف موسوعته الادبية التاريخية « الذخـيرة فى محاســن أهل الجـــزيرة » فى اشبيلية فى عام ٥٠٢هـ (١١٠٩م) ٠

---

(١١) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٩٠ ٠
(١٢) جونثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٢٠٢ ٠
(١٣) أحمد مختار العبادى ، فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص٥٢٥٠
(١٤) المرجع السابق ، ص ٥٣٧ ٠
(١٥) جونثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٢٨٨ ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكتـــاب الذخيرة يتضمن تراث القرن الخامس الهجـرى بأسره (الحادى عشر الميلادى) ، وهى فترة من أكثر فترات التاريخ الاندلسى ازدهارا فى العلم ، وتألقا فى الادب والفن ، وتجمع هذه الفترة تاريخيا بين عصر الدولة العامرية وما أعقبه من قيام الفتنة ، وبين عصر دويلات الطوائف حتى ما يقرب من ختامه .

وقد اعتمد ابن بسام الشنترينى فيما كتبه على المؤرخ القـرطبى ابن حيان فى كتابه المتين لأن ابن بسام كان أديبا أكثر منه مؤرخا ، ولما كان كتاب المتين من الكتب الادبية فقد كان بالنسبة لابن بسام أهم مصادره فى الذخيرة ، وقد أشار ابن بسام الى رجوعه الى ابن حيان فى بداية القسم الاول من المجلد الثانى من الذخيرة ، وأورد بعض فصول من كلام ابن حيان فى مواضع مختلفة من كتاب المتين(١٦) .

وينقسم كتاب الذخيرة الى أربعة أقسام طبقا للاقاليم الجغرافيـة الاندلسية ، خصص كل قسم منها للبحث فى تاريخ الاقليم وفى ذكر ملوكه وشعرائه وأمرائه :

فالقسم الاول أفرده لأهل قرطبة وما يجاورها وما يصاقبها من بلاد موسطة الأندلس(١٧) . أما القسم الثانى فيتنـاول أهل منطقة غرب الاندلس واشبيلية ، والقســـم الثالث يتعلق بأهل الجـــانب الشرقى وبلنسية(١٨) . وأما القسم الرابع فقد أفرده للحديث عن الغرباء الذين وفدوا الى الاندلس من الادباء شعراء وكتابا على السواء (١٩) وكذلك للحديث عن أدباء المشرق .

ومن الجدير بالملاحظة أن ابن بسام لم يترجم لشخصياته وفقـــا

---

(١٦) ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الاول ، المجلد الثانى ، ص٥٧٣ - ٦١٤ .

(١٧) جونثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٢٨٩ ، أحمـــد مختار العبادى ، فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٥٣٧ .

(١٨) أحمد مختار العبادى ، فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٥٣٨ .

(١٩) جونثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٢٩٠ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لترتيب السنين الا فى الجزء الخاص ببطليوس وما يجاورها من بلاد الغرب ، أما فى باقى الذخيرة فقد ترجم لأعلامه وفقا لمكانتهم وحسبما تراءى له ، وكان يبدأ عادة بترجمة الشخصية فى نثر مسجوع ، ثم يحدد مؤلفاته ويمتدح صاحب الترجمة ويقرظ موهبته الادبية ، ويختتم الترجمة ببعض مقتطفات من شعر أو نثر المترجم له .

وقد استهدف ابن بسام من تاليف الذخيرة ، ابراز أشهر أدباء أهل الاندلس وعلمائهم ، اذ أنه رأى الناس فى ذلك الزمان لا يعطونهم حقهم من التبجيل والاحترام(٢٠) .

وقد أفادنا « الذخيرة » فىمعرفة أصل بنى الافطس وأولويتهم وادعائهم الانتساب الى تجيب العربية ، وسلط ضوءا ساطعا على مكانة المظفر أبى بكر محمد بن عبد الله بن مسلمة فى الادب ، فكتابه المظفرى كان أحد أشهر كتب زمانه(٢١) . كما يصور براعة المتوكل بن الافطس فى مجال الشعر ، ويأتى بنماذج عديدة من نثره وشعره . وفيما بين السطور التى تشيد بمكانة المتوكل الادبية ، يسجل جملة من الاحداث التاريخية التى أفادتنا فى تتبع الاحوال السياسية لدولة بنى الافطس أصحاب بطليوس ، فقد نقل على سبيل المثال من ابن حيان فى معرض وصفه لشعر المتوكل عمر بن الافطس تفاصيل الصراع الذى دار بينه وبين أخيه يحيى المنصور فى أعقاب وفاة والدهما المظفر ، كما وضح لنا الدور الذى لعبه ألفونسو السادس فى الضغط على يحيى المنصور بن الافطس ليدفع اليه الجزية . ومما لا شك فيه أن هذه الاخبار التى أوردها ابن بسام عن بنى الافطس قد أزالت الى حد كبير الغموض الذى كان يكتنف تلك الفترة من تاريخ المملكة الافطسية(٢٢) .

---

(٢٠) جونثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٢٩٠ .
(٢١) ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الثانى ، المجلد الثانى ، ص٦٤٠.
(٢٢) ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الثانى المجلد الثانى ، ص ٦٤٩ - ٦٥٠ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبالاضافة الى ما سبق ذكره يورد تراجم لأهم وزراء مملكة بنى الافطس ، كانوا فى ذات الوقت من أعظم أدباء عصر الطوائف مما يؤكد السمة الغالبة على الرجال الذين كانوا وراء أحداث هذه المملكة البطليوسية ، فهم وزراء كتاب لم يغفلوا الجانب الادبى ، وانما وضعوه نصب أعينهم ، واشتغلوا به بنفس اشتغالهم بتأمين الجانب الدفاعى لدولتهم ، ومن بين هؤلاء الوزراء الادباء الوزير الكاتب أبو عبد الله محمد بن أيمن(٢٣) الذى ينسب اليه ابن بسام الرسائل التى وجهها المتوكل بن الافطس الى يوسف بن تاشفين ، والوزير الكاتب الشاعر أبو محمد عبد المجيد بن عبدون اليابرى(٢٤) والوزير الكاتب أبو بكر عبد العزيز بن سعيد البطليوسى ، (أحد ثلاثة بنى القبطرنة)(٢٥) والوزير الكاتب ابن قزمان ... الخ(٢٦) .

ومن الجدير بالملاحظة أن ابن بسام أورد نص رسالة المتوكل عمر ابن الافطس التى كتبها ابن أيمن الى يوسف بن تاشفين حين استنجد به طالبا من أمير المرابطين أن يبادر بالتحرك لانقاذ الاسلام فى الاندلس من الخطر الاسبانى المسيحى الذى يمثله الفونسو السادس(٢٧) .

وقد أورد صاحب كتاب الحلل الموشية(٢٨) نفس النص ، وان كان ابن بسام قد انفرد بذكر حقيقة هامة استندنا عليها فى اثبات رأينا أن المتوكل بن الافطس لم يكن بالخائن الذى تقاعس عن خدمة الاسلام أو حمايته ، ذلك أن هذه الرسالة لم تكن الرسالة الاولى التى وجهها المتوكل الى الامير المرابطى ، وانما كان ترتيبها الثانية أو الثالثة(٢٩) .

---

(٢٣) المصدر السابق ، ص ٦٥٢ .
(٢٤) نفسه ، ص ٦٦٨ - ٧١٩ .
(٢٥) المصدر نفسه ، ص ٧٥٣ - ٧٧٤ .
(٢٦) المصدر نفسه ، ص ٧٥٣ - ٧٧٤ .
(٢٧) ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الثانى ، المجلد الثانى ، ص ٦٥٣
(٢٨) الحلل الموشية ، ص ٣٥ .
(٢٩) ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الثانى ، المجلد الثانى ، ص ٦٥٣.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وعرفنـا من الذخيرة كذلك خبرا هاما عن الصراع الذى دار بين الوزيرين أبى المطـرف بن الدباغ وأبى عبـد الله بن أيمن ، وانتهى بارتحال الدباغ عن بطليوس(٣٠) ، كما أورد ابن بسام بعض المراسلات التى تبودلت بين المتوكل ابن الافطس والمعتمد بن عباد ، وكلها تشـير الى أن روح الاحترام والتقدير كانت تسود بينهما رغم العداء الذى كان يسود بين أبويهما ، وقد أكد الامير عبد الله الزيرى فى مذكراته أن نوعا من التحالف كان يربط بين هذين الاميرين ، مما يثبت ما ذكره ابن بسام عن روح المودة التى ربطت بينهما(٣١) . ومن بين هذه المراسـلات رسالة يصور فيها المتوكل للمعتمد ما تعرض له من هجوم خيالة العـدو على بلاده البطليوسية واكتساحهم لها(٣٢) .

وكان ابن بسـام قد ذكر بعض الحـروب التى خاضها المظفـر ابن الافطس مع ابن عباد ، فى معرض ترجمته لابن عباد ، موضحا أن السبب فى خلافهما انما يرجع الى ابن يحيى صاحب لبلة(٣٣) .

ومما سبق عرضه يتبين أن كتاب الذخيرة من المصادر الهامة الرئيسية التى اعتمدنا عليها فى تاريخنا لأحداث بطليـوس فى عصر الطوائف ، وهو فى الحق ذخيرة حيـة زاخرة بالمادة العلميـة ، ثرية بالاخبـار التاريخية والادبية ، ومعظمها ورد مشوها أو مبتـورا فى المصـادر المتأخرة . واذا كان ابن بسام قد اعتمد فى معظمها على مصنفات ابن حيان فان كل الروايات والنصوص التى نقلهـا عن هذه المصنفات قد أتاحت لنا ولكثير من الباحثين الاطلاع على محتوى المصنفات الضـائعة لابن حيان ، والتى لم تصل الينا(٣٤) .

---

(٣٠) المصدر السابق ، ص ٦٥٣ .
(٣١) ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الثانى ، المجلد الثانى ص ٦٦٤ ٦٦٨ .
(٣٢) المصدر السابق ، ص ٦٦٧ .
(٣٣) ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الثانى ، المجلد الاول ، ص ٣٣ .
(٣٤) عبـد الله جمال الدين ، أبو مروان بن حيـان أمير مؤرخى الاندلس ، منزلته وكتبه ومنهجه التاريخى ، ومصادره ، مجلة أوراق ، العدد الثانى ، مدريد ١٩٧٩ ، ص ٢٢ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٣ ـ مذكرات الامير عبد الله الزيرى الصنهاجى ملك غرناطة المعـــروفة بالتبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بنى زيرى فى غرناطة :

وهو الامير عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبوس بن ماكسن بن زيرى، ثالثملوك غرناطة فى عصر الطوائف وآخرهم ، ويرتفع نسبه الى زيرى بن مناد الصنهاجى(٣٥) ، وكان الحاجب المظفر عبد الملك بن المنصور محمد بن أبى عامر قد دعاولده زاوىبنزيرىالمعروفبدهائهومكره(٣٦) ، وسائر أولاده فنزلوا قرطبة ، واستقبلهم عبد الملك أروع استقبال ووصلهم بصلات سنية ، ولكنهم استصغروا ما وصلهم على كثرته ، وابتـــذلوا الخلع التى خلعها عليهم وعبروا عن ضيقهم بالمقام فى الاندلس والتمسوا التسريح جهلا وأنفة(٣٧) . وقد نجح بنو زيرى فى اقامة ملك لهـم فى غرناطة ، واشتهر منهم حبوس بن ماكسن ، وباديس بن حبوس ، وقد استطاع بنو زيرى أن يكونوا ملكا لهم فى المغربين الادنى والاوسط بعد أن أسند اليهم الفاطميون ولاية المغرب نيـــابة عنهم بعد انتقـــالهم الى مصر(٣٨) .

وهكذا كان عبـد الله بن بلقين ينتسب الى صنهاجة التى ينتسب اليها المرابطون الى حد أنه قيل أن والدة الامير عبـد الله قالت له حين دخلالمرابطونغرناطة « انزل وسلم على عمك يوسف بن تاشـفين » . ويعزو الدكتـور أحمد مختـــار العبادى السبب الذى جعـل المرابطين يبقون عليه بعد استيلائهم على غرناطة الى هذه القرابة(٣٩) .

ولد الامير عبـــد الله فى عام ٤٤٧هـ(١٠٥٦م) ، واعتلى عرش

---

(٣٥) انظر مقدمة ليفى بروفنسال ، فى تحقيقه للتبيان ، ص ٧ .
(٣٦) مذكرات الامير عبد الله الزيرى ، ص ١٧ .
(٣٧) ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الرابع ، المجلد الاول ، ص ٨١ .
(٣٨) السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ص ٦٤١ ـ ٦٥١ .
(٣٩) أحمد مختار العبادى ، فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٥٣٦ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

غرناطة فى عام ٤٦٩هـ (١٠٧٧م) عقب وفاة جده باديس بن حبوس ، وفى نفس الوقت استقل أخوه تميم بمالقة .

ومذكرات الامير عبد الله تشتمل على أخبار تاريخية لها قيمتها ، فبفضلها استطعنا أن نتعرف على العديد من الاحداث المعاصرة للمؤلف ، ومرت بهـا دويلات الطوائف فى أيامهـا الاخيرة ، وكان هو نفسه أحد الاطراف المشتركة فيها ، بل أن هذه المذكرات أوردت تفاصيل دقيقـة لأحداث تلك الفترة بكثير من الامانة والصدق مما أتاح لنـا الفرصـة لتصحيح بعض الاخبار التى وصلت الينا فى المصادر الاخرى .

ومن الجدير بالذكر أن الامير الزيرى كتب هذه المذكرات أثنـاء منفـاه فى اغمات ، واغمات فى ذلك الوقت كانت مركزا حضاريا وعلميـا كبيرا بالمقارنة بمراكش المرابطية التى كانت بمثابة قاعدة عسكرية(٤٠). وقد أشار صاحب الحلل الموشية الى هذه المذكرات فذكر أن الامير عبد الله الزيرى قام بكتـابة مصنف عن أسرته ودولته فى غرناطة(٤١) ، كذلك أشار ابن الخطيب فى أعمال الاعلام الى كتابه هذا الذى دونه بأغمات ، ويعبر العنوان الذى وضعه الملك الزيرى لمذكراته عن الغـرض الذى من أجله كتبهـا وهو سردتاريخ دولته وظروف عزله ، وقد قام بنشر هذه المذكرات المستشرق الفـرنسى الاسـتاذ ليفى بروفنسال مرتين ، المرة الاولى فى مجلة الاندلس Al-Andalus فى عامى ١٩٣٥ - ١٩٣٦ ، وفى المرة الثانية فى كتاب مستقل تحت عنوان « مذكرات الامير عبد الله آخر ملوك بنى زيرى بغرناطة ٤٦٩ - ٤٨٣هـ المسماة بكتاب التبيان » ونشرها بالقاهرة فى عام ١٩٥٥م .

وقد اتسمت هذه المذكرات بالصـدق والامانة ، وزادت قيمتهـا

---

(٤٠) المرجع السابق ، ص ٥٣٦ .
(٤١) الحلل الموشية ، ص ٧١ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التاريخية باعتبارها معاصرة لأحداث عصر الطوائف فى الفترة التى تسبق دخول المرابطين الاندلس ٠

ويعد الامير عبد الله الزيرى المؤرخ الوحيد الذى انفرد بالاشارة الى ابن الاحسن ، ذلك الشيخ والفقيه السلجماسى الذى كان رسولا من قبل المرابطين الى المعتمد بن عباد قبيل سيطرة المرابطين على الاندلس(٤٢) ٠

ومن الغريب أن يلعب ابن الاحسن دورا هاما فى الايام الاخيرة لمملكة بنى الافطس فى بطليوس ٠

وقد أفدنا للغاية مما ذكره الامير عبد الله عن ابن الاحسن الذى كان بمثابة عامل مرابطى يشارك المتوكل عمر بن الافطس فى حكم مملكة بنى الافطس ، كما أن ما ذكره الامير الزيرى عن المنصور بن عمر بن الافطس ، وعن نصائحه العديدة لوالده فيما يتعلق بعلاقته بابن الاحسن قد ساعدنا على رسم صورة واضحة المعالم لكل من الرجلين ، ابن الاحسن والمنصور ، من جهة ، وعلى وضع تفسيرات لبعض سلوكيات المتوكل بن الافطس فى أواخر عهده خاصة فيما يتعلق بتحالفه مع ألفونسو السادس من جهة أخرى(٤٣) ٠

ومن الملاحظ أن الامير الزيرى التزم جانب الصدق والصراحة مع الدقة والعمق فى تحليله للاحداث وتعليله لسقوط دويلات الطوائف ، رغم أنه كان ملكا من هؤلاء الملوك ، مما يؤكد أنه كان يتمتع بأهم صفات المؤرخ وهى الموضوعية ، والحيدة التامة ، والبعد عن التحيز وان كان فى ذلك يحاول تبرير موقفه ، وقد أرجع الامير عبد الله الزيرى انهيار دويلات الطوائف الى الخلافات الشديدة التى كانت تنشب بين الملوك فيما بينهم مما أفسح المجال

---

(٤٢) مذكرات الامير عبد الله الزيرى ، التبيان ، ص ١٠٢ ٠
(٤٣) المصدر السابق ، ص ١٧٢ - ١٧٣ ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لأمير المرابطين يوسف بن تاشفين لكى يتدخل فى خصوماتهم ، وانتهى به الامر الى تطلعه للسيطرة على الاندلس ٠

وقد ذكر فى موضع من كتابه على سبيل المثال « ولما انقضت غزوته تلك جمعنا فى مجلسه ، أعنى رؤساء الاندلس ، وأمرنا بالاتفاق والائتلاف وأن تكون الكلمة واحدة ٠٠ وأخذ الامير فى الانصراف الى بلاده وهو قد اطلع عيانا وسماعا من اختلاف كلمتنا ٠٠ »(٤٤) ٠

ان مذكرات الامير عبد الله الزيرى تعتبر وثيقة سيكولوجية من الطراز الاول تساعد على الحكم على مظاهر الانحلال الاجتماعى والتفكك السياسى فى الاندلس قبيل الزلاقة ، وفى أعقابها بالاضافة الى أنها تسد فراغا كبيرا فى تاريخ الاندلس ابتداء من الفترة التى تنتهى فيها مؤلفات ابن حيان(٤٥) ، كذلك تمدنا هذه المذكرات بكثير من المعلومات عن العلاقات السياسية لمملكة بطليوس مع جاراتها اشبيلية وغرناطة ومع المرابطين ٠

٤ - ابن حيان القرطبى (أبو مروان حيان بن خلف) ٣٧٧ - ٤٦٩هـ (٩٧٧ - ١٠٧٦م) « « المقتبس فى تاريخ رجال الاندلس » ٠

هو أبو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان بن محمد بن حيان ابن وهب بن حيان ، شيخ مؤرخى الاسلام فى الاندلس بلا نزاع(٤٦) ٠ وعلى الرغم من المكانة الكبيرة التى وصل اليها ابن حيان بين مؤرخى عصره الان ماوصلنا عنه من اخبار يعتبر شحيحا للغاية ، اذا ما قورن بما كتب عن غيره ، فهذه الكتابات لا تعدو سطورا تتضمن اشارات عن

---

(٤٤) مذكرات الامير الزيرى ، التبيان ، ص ١٠٦ - ١٠٧ ٠
(٤٥) المصدر السابق ، ص ٩ ٠
(٤٦) انظر مقدمة الدكتور محمود على مكى فى تحقيقه للمقتبس لابن حيان (القسم الخاص بامارة عبد الرحمن الاوسط ومعظم امارة الامير محمد بن عبد الرحمن) ص ٧ - جونثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٢٠٨ ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تاريخ مولده وسنة وفاته ، وأسماء شيوخه وأهم مصنفاته ، ومن الخسارة الكبيرة أن هذا المؤرخ الجليل لم يترجم لنفسه كما فعل كثير ممن سبقه أو لحقه من المؤرخين ، ولعل ذلك يرجع الى تواضع ابن حيان الشديد ، وهى صفة لازمته كما تلازم كبار رجال العلم فى كل زمان ومكان ، فقد لام نفسه كثيرا لأنه فى اعتقاده ، لم يسهب فى كتابة تفاصيل الفتنة ، رغم أن ما كتبه ووصل الينا فى كتاب الذخيرة لابن بسام كاف الى حد كبير(٤٧) .

وينتسب ابن حيان الى أسرة عريقة ، فجده الاعلى وهب بن حيان كان مولى للامير عبد الرحمن الداخل ، وربما كان ينتمى على حد راى الاستاذ الدكتورمحمود على مكى الى أسرة اسبانية قديمة لعبت دورا هاما فى تأييد عبد الرحمن بن معاوية عقب دخوله الاندلس ، مما جعل لأبناء وهب بن حيان وأحفاده مكانة خاصة لدى ملوك الدولة المروانية فيما بعد(٤٨) ، وان كانت هذه الاسرة لم تتول من المناصب الكبرى والخطط الكثير ، فنحن لم نر أحدا من أسرته قد تولى منصبا كبيرا فى الدولة باستثناء والده أبى القاسم خلف بن حسين الذى ولى منصب وزير أثناء حجابة المنصور بن أبى عامر لما كان يربط الاثنين من أواصر الصداقة والمحبة(٤٩) .

ولم يكن خلف بن حسين والد مؤرخنا مجرد وزير فى عهد المنصور بن أبى عامر ، وانما كان عالما راسخا فى العلم مما كان له أعظم الاثر فى صقل ابنه أبى مروان حيان ، وتشكيله وتوجيهه الى مجال العلم

---

(٤٧) انظر كتابات ابن بسام عن ابن حيان فى الذخيرة ، القسم الاول ، المجلد الاول ، ص ٣٥ .

(٤٨) ارجع الى مقدمة الدكتور محمود على مكى فى تحقيق المقتبس ، ص ٩ - وانظر ترجمة بالنثيا لابن حيان فى كتابه تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٢٠٨ - ٢١٢ .

(٤٩) ابن الابار ، التكملة لكتاب الصلة ، نشر كوديره ، مدريد ١٨٨٩ ، ترجمة رقم ١٤٩ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والادب ، فقد درس خلف بن حسين على يد أبى الحسن على بن محمد الانطاكى(٥٠) ، العلوم القرآنية ، واللغة العربية والحساب والفقه على مذهب الشافعى ، ومما لا شك فيه أن وصول خلف بن حسين والد ابن حيان الى منصب الوزارة فى عهد المنصور يدعونا الى الاعتقاد بأنه لابد أن يكون المنصور وخلف بن حسين قد عملا معا أيام الحكم المستنصر ، فى بعض مناصب الدولة مما ربط بين الرجلين بروابط الود والصداقة ، ومهد لخلف أن يتلقى منصب الوزارة فيما بعد(٥١) . وفى هذه الفترة اشتغل خلف بالكتابة التاريخية فقد كان يسجل للمنصور بن أبى عامر الكثير من وقائع عصره بأمانة شديدة ، ويكفى أن ابن الخطيب فى أعمال الاعلام قد اعتمد فى وصفه لموقعة جربيرة Gervera (٥٢) على ابن حيان الذى كان قد نقل تفاصيل هذه الموقعة من والده .

وورث ابن حيان هذه الصفات عن والده ، فكان دقيقا فى رواياته ، أمينا فى كتاباته . وظل ينعم بمكانة سامية فى عهد عبد الملك بن المنصور

---

(٥٠) أبو الحسن على بن محمد الانطاكى ، من أهل انطاكية ، ولد سنة ٢٩٩هـ (٩١١م) وقدم الى الاندلس فى شهر ربيع الآخر سنة اثنين وخمسين وثلثمائة (٩٦٣م) ، وحظى بمكانة رفيعة فى الدولة ، فقربه الخليفة الحكم المستنصر ، وكان عالما بالقراءات لا يفوقه فيها أحد ، كما كان بصيرا باللغة العربية والحساب ، وكذلك كان حجة فى الفقه ، وتوفى فى قرطبة يوم تسع وعشرين من ربيع الاول سنة ٣٧٧هـ (٩٨٧م) ، ودفن فى مقبرة الربض (انظر ابن الفرضى ، تاريخ علماء الاندلس ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦ ، ص ٣١٦) .

(٥١) ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص ٧٠ - ٧٣ .

(٥٢) توثقت العلاقة بين خلف وبين المنصور محمد بن أبى عامر ، فكان خلف أشبه بأمين سره يلازمه فى مجالسه ويصحبه فى غزواته ، وروى عنه ابنه حيان أخبارا كثيرة فى هذا الشأن ، وكان خلف أحد المصادر الهامة له أثناء كتابته لتاريخ الدولة العامرية
(P. Melchor Antuna, Abenhayan de Cordoba y su obra historica, El Escorial, 1924, P. 12.
وانظر عبد الله جمال الدين ، أبو مروان بن حيان أمير مؤرخى الاندلس ، مجلة أوراق ، ص ٢٠) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بن أبى عامر ، فارتبط بصلات وثيقة برجال الدولة ، مما هيأ له المجال ليتعرف منهم على أدق تفاصيل الحوادث التى تمر بها البلاد .

وعندما اندلعت أحداث الفتنة فى قرطبة بقى خلف بن حسين وابنه فى قرطبة لم يغادرها على الاطلاق ، رغم ما أصاب قرطبة من فوضى واضطراب .

ولعلنا نقدر فضل هذا الرجل خلف بن حسين ، وما كان يتمتع به من حميد الصفات اذا أدركنا أنه كان الاستاذ الاول الذى تلقى ابنه حيان عنه أول دروس الحياة ، لاسيما وأنه رزق بابنه حيان وهو بعد فى السادسة والثلاثين من عمره ، وكان قد تقلد بعض المناصب الكبيرة مما جعله يعد من طبقة الموسرين ، فآثر أن يعلم ابنه بالطريقة السائدة فى ذلك العصر وقوامها التردد على رجال العلم وشيوخه والتحلق مع طلاب العلم حولهم ، وانما اختصه بثلاثة أساتذة ، يتلقى على أيديهم العلم ، اما فى داره أو فى دار العالم الشيخ ، وبهذا كان بعد نظر هذا الاب العالم عاملا من العوامل التى ساعدت على بروز حيان ونبوغه . وهؤلاء الاساتذة الذين أخذ عليهم العلم ، هم : الفقيه المحدث عمر بن حسين بن محمد بن نابل الاموى(٥٣) ،واللغوى النحوى

---

(٥٣) عمر بن حسين بن نابل الاموى ، يقول عنه الحميدى « سمع أباه ، وقاسم بن أصبغ البيانى ، روى عنه أبو عمر بن عبد البر النمرى الحافظ ، وأبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن مسعود شيخ أبى العباس أحمد بن عمر بن أنس » (انظر الحميدى ، جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الاندلس ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، سنة ١٩٦٦ ، ص ٣٠٠) ، ويذكر ابن بشكوال أنه كان شيخا صالحا من بيت علم ودين ، كف بصره فى أواخر أيامه ومع ذلك فقد تتلمذ على يديه عدد كبير من طلاب العلم (انظر ابن بشكوال ، كتاب الصلة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦ ، جـ ٢ ، ص ٣٩٦) . وكان عمر بن نابل قد تلقى العلم فى المشرق حيث اصطحبه والده لتلقى العلم هناك ، ويقال أنه كان على صلة قوية ببنى ذكوان ، فلما ابتلى بنو ذكوان فى الفتنة البربرية اشتد تأثره بذلك ففقد عقله ومات والده (انظر تحقيق د . مكى للمقتبس فى المقدمة ، ص ٢١) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أبو عمر أحمد بن عبد العزيز بن فرج المعروف بابن أبى الحباب القرطبى(٥٤) ، والعالم اللغوى الشهير ، صاعد بن الحسن بن عيسى الربعى البغدادى(٥٥) . وعاش ابن حيان عصر الفتنة بما فيه من مساوىء واضطرابات دون أن يرحل عن قرطبة ، وقد سجل ابن حيان مادة تاريخية خصبة عن عصر الفتنة ، وتمكن بفضل صداقاته العديدة بمن خاضوا الفتنة أو عايشوها من التعرف على كل تفاصيل أحداثها ، ولهذا فقد نقل لنا سيرة بنى جهور بداية من أول رجالهم أبى الحزم جهور بن محمد بن جهور الذى كان قد بدأ يتعامل مع أهل قرطبة طبقا لنظام جديد ، وكانت الديمقراطية هى أساس معاملته لجماعة أهل قرطبة ، واستمر هذا الوضع فى عهد ولده أبى الوليد محمد بن جهور الذى خلف والده عقب وفاته عام ٤٣٥هـ (١٠٤٣م) وحين بلغ الكبر بأبى الوليد بن جهور ، بدأ الصراع بينه وبين ابنه مما هدد أمور بنى

---

(٥٤) أبو عمر أحمد بن عبد العزيز المعروف بابن أبى الحباب القرطبى ، ويرجع فى أصله الى بربر مصمودة . وباستقراره فى الاندلس أصبح فى عداد الاندلسيين ، ولد عام ٣١٠هـ (٩٢٢م) وتوفى عام ٤٠٠هـ (١٠٠٩م) . تتلمذ على يد ابن القاسم الثغرى قاضى قلعة أيوب وعلى يد العالم البغدادى أبى على القالى نزيل قرطبة ، وقد عهد المنصور بن أبى عامر اليه بتأديب ولده عبد الملك (انظر مقدمة د . محمود على مكى فى تحقيقه لكتاب المقتبس ، ص ٢٢) .

(٥٥) صاعد بن الحسن بن عيسى الربعى البغدادى ، يكنى أبا العلاء وقد روى عن القاضى أبى سعيد الحسن بن عبد الله السيرافى ، وأبى على الحسن بن أحمد الفارسى ، وأبى بكر بن مالك القطيعى ، وأبى سليمان الخطابى ، ووفد الى الاندلس فى أيام هشام المؤيد ، وحجابة المنصور محمد بن أبى عامر فى حدود الثمانين والثلاثمائة ، وأصله من الموصل ، وكان عالما باللغة والآداب والاخبار ، ومن عيوبه انه كان حاذقا فى السؤال لاستخراج الاموال ، وقد قصد صقلية حيث توفى فيما يقرب من عام ٤١٠هـ (١٠١٩م) وقيل فى عام ٤١٧هـ (١٠٢٦م) ، وكان صاعد يتهم بالكذب ، وقلة الصدق (انظر ابن بشكوال ، الصلة ، ج ١ ، ص ٢٣٧ ، الحميدى ، جذوة المقتبس ، ص ٢٤٠ ، ٢٤٤) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جهور فى قرطبة ، وكان أبو الوليد محمد بن جهور يبذل قصارى جهده دائما لحل النزاع بين ملوك الطوائف ، وانتهى أمر بنى جهور فى نهاية الامر بأن نفوا جميعا من قرطبة بعد استيلاء المعتمد بن عباد صاحب اشبيلية عليها(٥٦) . كان ابن حيان يعيش فى قرطبة أيام الجهاورة ، الذين كانوا أفضل من غيرهم من ملوك الطوائف ، ويبدو أن أمانة ابن حيان ، ودقته العلمية ، ورفضه المجاملة فى العلم ، وصراحته ، واحترامه لعمله ، قد أوقعته فى بعض المشاكل على أيام الجهاورة ، ولا نعرف الكثير عن المشاكل التى تعرض لها ابن حيان ، ولكننا نستطيع من خلال رواية ابن سعيد أن ندرك أن ابن حيان قد انتقد بعض أعمال أبى الوليد بن جهور فأثار عليه عبد الملك ولده الذى هم بالفتك به ، لولا أن أبا الوليد بادر بوقف سيل الغضب العارم الذى اجتاح ابنه تجاه ابن حيان لما كان يعرفه الاب من جموح الابن وطيشه(٥٧) .

وكان أبوالوليد بن جهور قد قلد ابن حيان منصب صاحب الشرطة(٥٨) ، وان كان الدكتور محمود على مكى لا يرى أى صلة بين مكانة ابن حيان الادبية وبين وظيفة صاحب الشرطة ، ولهذا فانه يفترض أن يكون ابن حيان قد نال هذا اللقب على نحو تشريفى أو فخرى(٥٩) ، فان منح الالقاب النظرية قد أصبح تقليدا جاريا منذ أيام الحكم المستنصر ، واستمر طوال عصر الدولة العامرية ، ثم تولى ابن حيان وظيفة « املاء الذكر فى ديوان السلطة »(٦٠) وهو العمل

---

(٥٦) ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص ١٥٠ .
(٥٧) ابن سعيد ، المغرب فى حلى المغرب ، جـ ١ ، تحقيق الدكتور شوقى ضيف ، القاهرة ١٩٥٣ ، ص ١١٧ .
(٥٨) المقرى (أحمد بن محمد) ، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، تحقيق محيى الدين عبد الحميد ، جـ ٢ ، المكتبة التجارية الكبرى ، ١٩٤٩ ، ص ١٠٢ .
(٥٩) الدكتور محمود على مكى ، مقدمة تحقيقه لكتاب المقتبس لابن حيان ، ص ٤٤ ، وانظر أيضا عبد الله جمال الدين ، المرجع السابق ، ص ٢٦ .
(٦٠) محمد أحمد أبو الفضل ، شرق الاندلس فى ظل الدولة الموحدية (رسالة دكتوراه) ، المقدمة ص ح .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الذى كان يتلاءم الى حد كبير مع عمله وشخصيته ، وهناك ملاحظة لابد لنا من ذكرها وهى أن هذه الوظيفة لم تحول ابن حيـــان الى مؤرخ للبلاط ، وانما ظل يتابع كتابة مؤلفاته التاريخية ، وظل يحتفظ بأهم صفاته كمؤرخ من أمانة ونزاهة علمية .

أهم كتب ابن حيـــان :

ألف ابن حيان عددا كبيرا من الكتب لا يقل عن الخمسين(٦١) ، ولكن لم يصل الينا من هذه المؤلفات الا أجزاء قليلة من أهمها المقتبس والمتين(٦٢) (وهو المسمى بالتاريخ الكبير ، والمقتبس يسمى بالتاريخ الصغير) وأخبار الدولة العامرية(٦٣) ، وكتابه عن غدر بنى عباد ببنى جهور فى قرطبة بعد أن استعانوا بهم ، وسماه البطشة الكبرى ، وكان ذلك آخر كتبه التى صنفها قبل وفاته وهو فى الخامسة والثمانين(٦٤) .

ونحن نذكر فى موضوعنا هذا المقتبس الذى رجعنا اليه فى كثير من مواضع بحثنا . ولم يتبق من المقتبس الذى كان يضـــم نحو عشرة أجزاء سوى خمسة قطع منفصلة .

---

(٦١) عن مؤلفات ابن حيان ارجع الى :
P. Melchor Antuna Aben hayan de Côrdoba y su obra histô-rica, el Escorial, 1924 — E. Garcia Gomez, a propôsito de Ibn Hayyan, al-Andalus Vol. XI, fasc. 2, 1946, P. 395-423.
مقدمة د . محمود على مكى لكتاب المقتبس فى تاريخ رجـال الاندلس لابن حيان ، القسم الخاص بالامير عبد الرحمن الاوسط، والامير محمد بيروت ١٩٧٣ .
عبـــد الله جمـال الدين ، أبو مروان بن حيان أمير مؤرخى الاندلس ، مجلة أوراق ، العدد ٢ ، مدريد ١٩٧٩ ، ص ١٩ — ٢٨ . ومن الملاحظ أن هذا الرقم مبالغ فيه وأن كتبه لا تتجاوز تاريخه الكبير .

(٦٢) ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الاول ، المجلد الاول ، ص ٣٥ .

(٦٣) المقرى ، نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٣٧٦ .

(٦٤) بخصوص كتاب ابن حيـان « البطشـة الكبرى » انظـر رأى د.حسين مؤنس فى تحقيقه لكتاب ابن الابار ، الحلة السيراء ، جـ ١ ، ص ٢٦٩ ، حاشية ٢ ، وانظر رأى الدكتور محمـود على مكى الذى أخذنا به فى مقدمة تحقيقه لكتـاب المقتبس ، ص ٨١ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

القطعة الاولى : وتتناول عصر الحكم الربضى وجزءا من عصر عبد الرحمن الاوسط وقد حصل عليها المستشرق ليفى بروفنسال من الخزانة العامة لجامع القرويين بفاس ورجع اليها ليفى بروفنسال فى كتابه «تاريخ اسبانيا الاسلامية»وكان قد بعث بصورة لهذا المخطوط الى الاستاذ عبدالحميدالعبادىأول عميد لكلية آداب الاسكندرية ليقوم بالاشتراكمعهفى نشر وتحقيق هذا المخطوط،ولكن وفاة كل من العالمين وضعت حدا لنشره، ثم اختفت النسخة المحفوظة بمكتبة العبادى ، وظن الباحثون فى تاريخ الاندلس أنها فقدت ولكن تبين أنها مازالت موجودة ، وأنها فى طريقها الى الظهور ٠

القطعة الثانية :

وهى التى تلى القطعة السابقة وتبدأ من عام ٢٣٢هـ (٨٤٦م) حتى عام ٢٦٧هـ (٨٨٠م) وتتناول ست سنوات من عهد عبد الرحمن الاوسط ، ومعظم عهد الامير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨ - ٢٨٣هـ) (٨٥٢ - ٨٨٦م) وهذه القطعة هى التى نشرها الدكتور محمود على مكى ٠ وقد استفدنا الى حد كبير من هذا الجزء من المقتبس خاصة عند الحديث عن بطليوس فى زمن عبد الرحمن بن مروان الجليقى ، وقد وضح لنا هذا الجزء من المقتبس كثيرا من النقاط التى كانت غامضة لاسيما فيما يتعلق بتفاصيل ثورة ابن مروان الجليقى ، الذى فر من قرطبة أكثر من مرة متجها الى أكثر من حصن من حصون الغرب ، وقد أتاح لنا المقتبس الفرصة لادراك كثير من الحقائق التاريخية حول أحداث هذه الثورة التى رواها ابن حيان باسهاب ، فى حين وردت هذه الاخبار مبتسرة للغاية بل ومشوهة أحيانا فى بعض المصادر العربية الأخرى ، مثل ذلك التفصيلات التى أوردها ابن حيان حول واقعة البربرية التى دارت بين عبد الرحمن بن مروان الجليقى الذى كان فى تلك الآونة فارا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عند ملك ليون وبين احدى سرايا المسلمين . وقد أورد ابن عذارى(٦٥) خبر هذه الواقعة موجزا ، وكذلك ابن الاثير(٦٦) وان كان قد تحدث عنها باستفاضة أكثر من ابن عذارى ، ولكن ابن حيان قد أسهب فى ذكر تلك الموقعة(٦٧) على نحو فاق فيه غيره من المؤرخين .

كما أننا بالرجوع الى ابن حيان فى كثير من تفاصيل أحداث ثورة ابن الجليقى قد استطعنا أن نسد العديد من الثغرات وأن نصحح الكثير من الاخطاء التاريخية التى وقع فيها كوديره فى بحثه عن بنى مروان الجليقى .

وهذا يدعونا الى القول بأن كوديره الذى يرجع الى هذا الجزء الهام من كتاب ابن حيان المقتبس (لأن هذا الجزء كان لايزال مخطوطا ، ولم يتم نشره وتحقيقه الا فى عام ١٩٧١) قد فاته الكثير واختلطت عليه بعض الاحداث ، فهو قد رجع فى بحثه عن « بنى مروان الجليقى فى ماردة وبطليوس » الى البيان لابن عذارى ، ولكتاب ابن القوطية ، ولكتاب العبر لابن خلدون ، وللجزء الذى نشره انطونية من المقتبس لابن حيان ، ولكن هذا كله لم يكن كافيا ، لتغطية الاحداث كلها ، فابن حيان فى كتابته لهذ الجزء من المقتبس قد أوضح تماما جميع التفاصيل المتعلقة بثورة ابن مروان الجليقى وتتبع تطوراتها بحيث مرت بخمسة مراحل . أما كوديره فقد اكتفى بجمع النصوص والسطور التى تتعلق ببطليوس أو ماردة فى تلك الفترة من الامارة ، والتى ظهر فيها ابن مروان الجليقى ، من المصادر المختلفة ، واقتصر فى دراسته على ترتيب هذه النصوص وفقا لترتيب السنين ، فعندما تعرض كوديرة مثلا لثورة ابن مروان الجليقى فى عام ٢٦١هـ (٨٧٤م) اعتمد

---

(٦٥) ابن عذارى ، البيان ، جـ ٢ ، س ١٠٣ .
(٦٦) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٧ ، ص ٣١٠ .
(٦٧) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د.مكى ، ص ٣٨٤ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نص ابن الاثير وابن عذارى واكتفى بذكر هروب عبد الرحمن من قرطبة ، ونزوله بقلعة الحنش حتى هزيمته أمام جيش الامارة ثم طلبه الامان من الامير محمد ونزوله ببطليوس التى كانت حينئذ قرية خالية ، ولم يذكر كوديره بطبيعة الحال تفاصيل كثير من الاحداث لأن هذه التفاصيل التى انفرد بها ابن حيان ، لم تكن قد صدرت بعد ، فقد ذكر ابن حيـــان على سبيل المثال أن الثوار فى الغرب ، وعلى وجه الخصوص مكحول ، الذى كان قد تحصن فى جلمانية قد استنجدوا بسعدون السرنباقى فى ذلك العام ٢٦١هـ (٨٧٤م) وكان هذا الثائر سعدون السرنباقى مقيما فى ذلك الوقت عند الفونسو الثالث ملك ليون ، فترك ليون ونزل جلمانيـــة لمساعدة مكحول(٦٨) . هذا الى جانب انفـراده برواية تفاصيل ثورة ابن مروان الجليقى فى هذا العام مما أتاح لنا فرصة التعرف على مزيد من التفصيلات وتتبع الاحداث بكل دقة ، وبذلك أمكننا بفضل هذه التفاصيل أن نربط الاحداث التى جاءت أخبارها مفككة فى المصادر الأخرى .

وعلى الرغم من رجوعنا الى معظم المصادر العربية ، والى كتابات بعض المستشرقين ممن كتبوا حول هذه الثورة أمثال كوديره الذى رجع بدوره الى كافة المصادر العربية التى تحدثت عن ثورة الجليقى ، الا أن ما ورد فى المقتبس قد فاق جميع هذه المصادر ، ففى حديثه عن حصار الامير محمـــد للجليقى ، فى قلعة الحنش سنة ٢٦١هـ (٨٧٤م) على سبيل المثال يسوق أخبارا مطولة ، كما يفوق غيره من المصـــادر عنـد عرضه لتجدد ثورة ابن الجليقى فى عام ٢٦٢ هـ (٨٧٥م) عندما انتقل من بطليوس الى حصن منت شلوط ومنه الى حصـن كركى ، وسـوف نتأكد من أنه المؤرخ الوحيد الذى انفرد بذكر أفعال هاشم بن عبد العزيز وزير الامير محمـد الاثير لديه مع أهالى منطقة أمسين وحصن مقالش

---

(٦٨) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د٠مكى ، ص ٣٨٢ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التى ان أوضحت شيئا ما فانما توضح توجسه الشديد وحذره من هؤلاء الاهالى وقسوته فى معاملتهم(٦٩) ٠

كما أننا استفدنا من هذا الجزء من المقتبس لابن حيان فى توضيح الظروف التى أدت الى وقوع الوزير هاشم بن عبد العـزيز فى الاسر ، وكيفية انتقاله الى بلاط الفونسوالثالث ملك ليون ، وكيف عاد الى قرطبة مرة ثانية بعد أن دفع الامير محمد الفداء له مع مزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع ٠

كذلك استفدنا من هذا الجزء من المقتبس عنـد تعرضنا لدراسـة أهم حوادث سنة ٢٦٣هـ (٨٧٦م) عندما كان الوزير هاشم بن عبـد العزيز لايزال أسيرا لدىالفونسوالثالث ملك ليونالذى رحب بابنالجليقى ودعاه الى ليون ، وقد لبى الجليقى هذه الدعوة وهاجم قوات المسلمين وانتصر عليهم بمعاونة قوات مملكة ليون ، فى موقعة البربرية ، هذا الى اغاراته مع الليونيين على غربى بطليوس ، فى منطقة حصن دوبل ٠

القطعة الثالثة :

وهى التى نشرها المستشرق الاسـبانى الأب ملشور انطونيـه ، وصدرت فى باريس عام ١٩٣٧ ، ويتناول هذا الجـزء فترة امارة الامير عبد الله بن محمد (٢٧٥ ـ ٣٠٠هـ) و (٨٨٨ ـ ٩١٢)وقد استعنا بمادة هذا الجزء فى تتبع العلاقات بين ابن الجليقى ، وجيرانه المولدين المنتزين فى الغرب ، فقد بدأ ابن حيان هذا الجزء بالتعريف بأهم الثوار المنتزين على الامارة فى عهد الامير عبد الله ، ومن خلال هذا العـرض سلط الضوء على العلاقات السياسية بين بعض الثوار وبعضهم الآخر ، ومن أمثلة ذلك أن عبد الملك بن أبى الجواد ، وهو أحد الخارجين على

---

(٦٩) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د٠مكى ، ص ٣٦٢ ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

السلطة المركزية«اقتعد مدينة باجة وملكها،وتحصن بحصن مارتلة وله حظ من المنعة تشييدا وعدة ، وكان قائما بدعوة المولدين معاندا لابن مروان صاحب بطليوس وابن بكر صاحب اشكونية ... »(٧٠) .

ومن نص ابن حيان نعرف أنه كان على خلاف مع ابن مروان الجليقى . ومنهم حجاج بن عمير اللخمى ، والد ابراهيم بن حجاج أحد الثوار العرب ، الذين انتزوا فى اشبيلية وقرمونة ، وقد شارك الأب حجاج بن عمير فى الموقعة التى أسر فيها هاشم بن عبد العزيز الوزير ، وقتل أثناء القتال ، وفى ذلك يقو لابن حيان « قتل أبوه حجاج بكركى فى الوقعة التى أسر فيها هاشم بن عبد العزيز ، فرأس بعده ابنه ابراهيم وثار ببلده عند ارتجاج الفتنة ... »(٧١) .

كذلك نستدل من بعض نصوص هذا الجزء على أن أحد الثوار وهو كريب بن خلدون تعاون مع عبد الرحمن بن مروان الجليقى فى أحد مراحل الثورة التى قام بها الجليقى(٧٢) . هذا وقد اعتمدنا اعتمادا خاصا على رواية ابن حيان عن ثورة ابن القط فى عام ٢٨٨هـ (٩٠٠م) وكان هدفها الرغبة فى الجهاد فى سبيل الله ، لاعلاء كلمة الدين(٧٣) ، فقد أفاض فى ذكر تفاصيل هذه الثورة فكان خير مصدر لنا عند حديثنا عن هذا الثائر المجاهد .

القطعة الرابعة :

وتتعلق بسنوات من خلافة عبد الرحمن الناصر ، وقد قام بنشر هذا الجزء وتحقيقه كل من الاستاذ بدرو شالميتا ، وفيدريكو كورينطى ومحمود صبح ، وهذا الجزء أفادنا كثيرا عند تعرضنا لدراسة أحداث

---

(٧٠) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق ملشور انطونيه ، ص ١٥ .
(٧١) المصدر السابق ، ص ١٥ .
(٧٢) نفسه ، ص ٦٨ - ٧٠ .
(٧٣) نفسه ، ص ١٣٣ - ١٣٨ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

استيلاء أردون بن ادفونش ملك ليون على يابرة فى عام ٣٠١هـ (٩١٣م) وقد وصف ابن حيان المدينة فى ذلك الوقت ، وذكر الجهود التى بذلها آنذاك عبد الله الجليقى صاحب بطليوس فى تحصين مدينته واعدادها لهجوم متوقع يشنه أردون ملك ليون ، كذلك وضح ابن حيان دور عبد الله الجليقى فى اعادة بناءأسوار يابرة وتعميرها ، واتاحة الفرصة لصديقه مسعود السرنباقى لسكناها(٧٤) .

كما استفدنا من هذا الجزء من المقتبس لابن حيان فى رسم صورة واضحة المعالم لطبيعة العلاقات القائمة بين عبد الله الجليقى ومن عاصره من الثوار فى المنطقة أمثال سعيد بن مالك صاحب باجة ، ويحيى بن بكر صاحب اكشونبه ، وبكر بن سلمة صاحب أروش(٧٥) .

وأخذنا برواية ابن حيان فيما يختص بتاريخ حملة أردون ابن الفونسو على الغرب ، فابن حيان يؤرخها سنة ٣٠٣هـ(٧٦) (٩١٥م) فى حين يؤرخها ابن خلدون(٧٧) الذى اعتمد عليه كل من كوديرة وليفى بروفنسال(٧٨) سنة ٣٠٢هـ (٩١٤م) . وقد ناقشنا رأى ابن حيان وتمكنا من اثباته وفقا لتسلسل الاحداث .

كما اعترضنا على ما ذكره كوديره بشأن قيام أهل بطليوس بتقديم الهدايا الثمينة الى أردون حتى يرحل عن بلادهم استنادا الى رواية مدونة سيلوس(٧٩) ، حيث أن هذا الخبر لا وجود له فى المصادر العربية كما أن عدم وروده فى المقتبس لابن حيان المؤرخ الثقة يؤكد

---

(٧٤) ابن حيان ، المقتبس تحقيق شالميتا ، ص ٩٥ ، ص ١٠٦ ،
(٧٥) المصدر السابق ، ص ١١٨ .
(٧٦) نفسه ، ص ١٢٠ .
(٧٧) ابن خلدون ، العبر ، المجلد الرابع ، ص ٣٠٧ .
(٧٨) Codera, Los Beni Meruan, P. 54.
(٧٩) Ibid, P. 55.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اعتراضنا عليه لاسيما وقد ثبت أن كثيرا من الاخبـار الواردة فى مدونة سيلوس عن حوادث هذه الغزوة مبالغ فيها ، وبالاضافة الى كل ما سبق استطاع ابن حيان أن يميط اللثام عن مصرع عبد الله بن محمد بن مروان الجليقى صاحب بطليـوس ويسلط الضوء على هذه الحـادثة فيزيل ما اكتنفها من غموض اذ أن النص الذى أورده ابن عذارى بهذا الشـأن لم يوضح أية تفاصيل ، ولم يشرح الظروف التى مات فيها ابن الجليقى ، مما دفع العديد من المؤرخين الى الدوران فى حلقة مفـرغة حول هذا الموضوع(٨٠) ٠

ويلى ذلك بداية عهد عبد الرحمن الناصر ، وكان ابن حيان أكثر توفيقا من غيره فى رسم صورة متكاملة لهذه الفترة ، أوضح فيها سياسته تجاه الثوار المنتزين فى هذه المرحلة ، وقد رجعنا الى ابن حيان لمعرفة تفاصيل تحركاته فى السنوات المختلفة(٨١) ، الى أن تم له محـاصرة بطليوس والاستيلاء عليها ، وزودنا ابن حيان باسم أول ولاة بطليوس من قبل الخلافة وهو عثمان بن عبد الله(٨٢) ٠

بل ان ابن حيان انفرد دون غيره من المؤرخين فى تزويدنا بأسماء عمال جميع كور ومدن الاندلس فى عهد خلافة عبد الرحمن النـاصر ، ومن خلال هذا الثبت الذى كان مرتبا وفقا للسنين تمكنا من اعداد قائمة بأسماء أهم ولاة بطليـوس فى الفـترة الاولى من ولاية عبد الرحمن النـاصر ٠ ونصل الى :

---

(٨٠) Ibid. P. 56.
(٨١) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ٢٣٨ - ٢٤٥ ٠
(٨٢) المصدر السابق ، ص ٢٤٩ ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

القطعة الخامسة :

وهى الاخيرة التى نشرت ، وقد قام بنشرها الاستاذ الدكتور عبد الرحمن الحجى ، وقد عالج فيها ابن حيان أحداث خمس سنوات غير كاملة من سنى خلافة الحكم المستنصر بالله (٣٦٠ - ٣٦٤هـ) (٩٧٠ - ٩٧٤م) . وقد كان المخطوط الاصلى مفقودا الا أن نسخة مصورة من هذه القطعة كانت محفوظة لدى المستشرق كوديرة ، قام د . الحجى بنشرها وتحقيقها(٨٣) .

ولكتب ابن حيان أهمية كبيرة ، فهو مؤرخ يمتاز بالصدق والامانة العلمية ، وعنه يقول جونثالث بالنثيا ، « أن كتبه لو بقيت لألقت على تاريخ الاندلس الغامض ضياء باهرا ، وصورته لنا أحسن تصوير ، ولوجدنا أنها تبلغ من الامتياز مبلغا يجعلنا نستغنى بها عن غيرها من الكتب التى تتناول تاريخ هذه العصور . ان ابن حيان سيال الاسلوب ولكنه مع ذلك يتعثر فى الاطناب والقعقعة اللفظية ... أنه ليسوق التاريخ مساق من يبدى رأيه وحكمه فيما يعرض من القضايا ، ويبحث عن أسباب الاشياء ويناقشها عن علم وفهم وذكاء ... »(٨٤) .

ويمتاز ابن حيان بدقته الشديدة وموضوعيته ومنطقية تفكيره ، فكثيرا ما رفض الاساطير والقصص الخرافية التى واكبت فتوحات المسلمين للاندلس(٨٥) . هذا الى جانب قدرته على التفصيل وشرح الاحداث بتفصيلات وافية ، والتنبه الى كل صغيرة وكبيرة وهذا ان دل على شيء فانما يدل على عمق الحاسة التاريخية لدى شيخ مؤرخى الاندلس .

---

(٨٣) مقدمة د . مكى من تحقيقه لكتاب المقتبس لابن حيان ، ص ١٤٩ .

(٨٤) جونثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٢١١ .

(٨٥) انظر مقدمة الدكتور مكى فى تحقيقه لكتاب المقتبس لابن حيان ، ص ١٠٧ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفتح ابن خاقان (ت ٥٢٩هـ/١١٣٤م) قلائد العقيان :

هو أبو نصر الفتح بن محمد بن عبد الله القيسى الاشبيلى الكاتب ، يرجع أصله الى قرية«صخرة الولد»القريبة من قلعة يحصب ، من أعمال غرناطة ، وقد نشأ ابن خاقان نشأة فقيرة ، وكانت لهذه النشأة أكبر الاثر فى تشكيل حياته التى قضاها متنقلا من مملكة الى أخرى ، يسأل أولى الامر العطاء ليتمكن من اشباع نزواته خاصة وأنه كان يدمن شرب الخمر(٨٦) .

وقد كان بينه وبين ابن باجة الفيلسوف عداء شديد ، وأسفر هذا العداء عن صفحات كتبها ابن خاقان ضد خصمه فى كتابيه القلائد والمطمح .

وقد رويت لابن خاقان بعض الاشعار ، ولكنه لم يجد فيها اجادة كبيرة . وأهم ما ألفه كتابى « مطمح الانفس ومسرح التأنس » و« قلائد العقيان ومحاسن الاعيان » .

ويقدم ابن خاقان فى كتابه مطمح الانفس تراجم لأهم رجال الاندلس وأعيانها ، وقد جعله ثلاث نسخ كبرى ووسطى وصغرى . أما القلائد ، وهو الكتاب الذى رجعنا اليه فى بحثنا هذا .فتكرار للمطمح فى بعض الاجزاء ، وقد قسمه الى أربعة أقسام الاول « فى محاسن الرؤساء وأبنائهم ودرج أنموذجات من مستعذب أنبائهم » والثانى « فى غرر حلية الوزراء وفقر الكتاب واللقاء » ، والثالث « فى لمع أعيان القضاة ولمح أعلام العلماء السراة » والرابع « فى بدائع نبهاء الادباء وروائع فحول الشعراء » ، وتعد كتاباته من ابدع ما ألف الاندلسيون فى مجال النثر المسجوع »(٨٧) .

---

(٨٦) جونثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٢٩٧ .
(٨٧) جونثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٢٩٨ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولم يكن ابن خاقان يعبأ بأحد ممن يأخذ عنهم فكان ينقل منهم دون أن يشير الى ذلك ، من ذلك ما نقله عن ابن بسام فى الذخيرة ، وقد أدى ذلك الى اقدام ابن بسام على شكايته الى القاضى ٠

وقد قتل الفتح بن خاقان ذبحا فى مسكنه بفندق لبيدة من حضرة مراكش فى ٢٢ محرم عام ٥٢٩هـ(٨٨) (١٣ نوفمبر ١١٣٤م) بايعاز من الامير على بن يوسف بن تاشفين الذى أشار بقتله ، وقيل أنه توفى قتيلا سنة ٥٣٥هـ (١١٤٠م) بمدينة مراكش بالفندق(٨٩) ، وقيل فى ليلة عيد الفطر من سنة ٥٢٨هـ (١١٣٣م) وذكر أنه لما توفى ظلت جثته مطروحة فى غرفته ثلاثة ليالى دون أن يشعر به أحد(٩٠) ٠ وقد أوعز على بن يوسف بقتله لنقده الشديد لحاشيته ، ودفن بباب الدباغين من مراكش ٠

ولكتاب « قلائد العقيان » قيمة تاريخية كبيرة الى جانب قيمته الادبية ، وقد افادنا للغاية فى ترجمته للمتوكل عمر بن الافطس الذى وصفه فيها بعظيم الصفات ، وروى فيها قصة بنى الافطس ونهاياتهم التعيسة مما ساعدنا على التوصل الى بعض التفاصيل الهامة بهذا الشأن ، ومن ذلك قوله « قد توسدوا التراب بدلا من الارائك وتضرجوا بالدماء بعد التضمخ بالمسك الصانك ، وغدا مصرعهم من نجيعهم أحمر كأنهم ما اعملوا أبيض ولا أسمر ٠٠٠ وصارت فى لحومهم للسباع ولائم وعلى دمائهم من النسور حوائم ، وطالما وردوا للمنى مناهل ، ووجدوا الديار بها أواهل »(٩١) ٠ ومما يحمد له أنه أورد قصيدة الشاعر

---

(٨٨) ابن الابار ، المعجم فى أصحاب القاضى الامام أبى على الصدفى ، مجريط ، ١٨٨٥ ، ترجمة رقم ٢٨٥ ، ص ٣٠٠ ، ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، جـ ٤ ، تحقيق د ٠ احسان عباس ترجمة رقم ٥٢٥ ، ص ٢٣ ، ٢٤ ٠

(٨٩) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، جـ ٤ ، ص ٢٣

(٩٠) ابن الابار ، المعجم ، ص ٣٠١ ٠

(٩١) ابن خاقان ، قلائد العقيان ، ص ٣٧ ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عبد المجيد بن عبدون فى رثاء بنى الافطس بأكملها(٩٢) .

وتسلط كتابات ابن خاقان كثيرا من الاضواء على مظاهر الحيـــاة الاجتماعيـــة فى مملكة بنى الافطس ، وكثـــيرا من الصفات والملامح الشخصية لعمـــر المتـــوكل بن الافطس من خلال ترجمته له فى قلائد العقيان ، فقد روى فى هذه الترجمة كيف أن المتـوكل ترك فاخر الملبس وعظيمه ، وأظهر الخشوع والزهد حين حل الجـدب بمنطقة حضرمة التابعة لمملكته(٩٣) .

كذلك تعرفنـــا من خلال وصفه لمجـــالس المتوكل على أن قصبة بطليوس كانت تطل على البطحاء(٩٤) ، وهى المناطق الممتدة شمالى بطليوس ، وفيها دارت وقعة الزلاقة ، كما تعرفنا على اسم أحد المغنين فى بطليوس وهو أبو يوسف المغنى(٩٥) . ويذكر ابن خاقان عند وصفه لمجلس راح حضره الوزير أبو بكر بن القبطرنة اسم ولدين للمتوكل حضرا المجلس أيضا هما ســعد بن المتوكل ، وكان بعـــد غلاما ، والفضـــل أخوه(٩٦) ، كما أفادتنا الى حد كبير ترجمته لأبرز أعلام بطليـــوس أمثال الوزير الشاعر ابن عبدون اليابرى والوزراء بنو القبطرنة الشعراء فى معرفة الحياة اليومية لبعض وزراء المتوكل عمر بن الافطس .

البكرى : « جغرافية الاندلس وأوروبا » .

هو عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمرو البكرى ، نسبة الى بكر بن وائل ، وشـــهرته أبو عبيد البكرى ، من أبرز أعلام

---

(٩٢) المصدر السابق ، ص ٣٨ - ٤١ .

(٩٣) نفسه ، ص ٤٣ .

(٩٤) ابن خاقان ، قلائد العقيان ، ص ٤٤ .

(٩٥) نفس المصدر .

(٩٦) نفس المصدر .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

القرن الخامس الهجرى وأشهر علمائه وجغرافييه(٩٧) .ولد البكرى فيما يقرب من عام ٤٠٥هـ (١١١٤م) فى مدينة ولبة حاضرة امارة ولبة وجزيرة شلطيش وتوفى فى شوال من عام ٤٨٧هـ (١٠٩٤)(٩٨) ، ودفن فى مقبرة أم سلمة(٩٩) بقرطبة الواقعة خارج باب اليهود .

ويرجع البكرى الى أسرة عريقة والى بيت وصف بأنه بيت امارة ، فقد كان جده أيوب بن عمرو البكرى صاحب خطة الرد والقاضى بلبلة كما أن جده هذا كان واحدا من كبار رجال الدولة بدليل أنه شهد على عقد تجديد الالفة بين هشام المؤيد وبين المنصور بن أبى عامر(١٠٠) ، فى صفر سنة ٣٨٧هـ (مارس ٩٩٧م) ، ولعل هذا الموقف يوضح لنا أن هؤلاء البكريين كانوا من أتباع المنصور بن أبى عامر ، فأيوب جد البكرى ومعه أخوه محمد كانا شاهدين على العقد الذى أدى الى تسرب السلطة والسلطان من يد هشام المؤيد ، ثم تولى أيوب امارة ولبة وشلطيش فى أواخر أيامه الى أن توفى فى رمضان عام ٣٩٨هـ (١٠٠٨م) وخلفه عليها فيمابعد ولده أبو زيد محمد ، وهذه المناصب التى تولوها تؤكد مرة أخرى أن هذه الاسرة كانت موالية للمنصور ابن أبى عامر ، الذى لم يكن يثق فى اسناد أمثال هذه المناصب الا فى أعوانه المخلصين .

وخلف أبا زيد محمد البكرى ، ولده أبو المصعب عبد العزيز والد أبى عبيد الله عبد الله ، وورث الملك عن والده ولكن الامر لم يهنأ للبكريين

---

(٩٧) حسين مؤنس ، تاريخ الجغرافية والجغرافيين ، مدريد ١٩٦٧ ، ص ١٠٨ .

(٩٨) البكرى،جغرافيةالاندلس‌وأوروبا،مأخوذة من المسالك والممالك، انظر المقدمة التى كتبها د . عبد الرحمن الحجى ، ص ٢٩ - ٣٠ - ومحمد أحمد أبو الفضل ، أبو عبيد الله البكرى والبكريون فى ولبة وشلطيش ، مجلة كلية الآداب بجامعة الاسكندرية ، العدد ٣١ ، مجلد ٨٢ (سنة ١٩٨٣) ص ١٤٢ .

(٩٩) ابن بشكوال ، كتاب الصلة ، ترجمة ٦٣٣ .

(١٠٠) ابن الابار ، الحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ١٨١ ، حسين مؤنس ، تاريخ الجغرافية والجغرافيين فى الاندلس ، ص ١١٠ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

طويلا فى امارتهم ، اذ سرعان ما أصبحت هدفا للمعتضد بن عباد فضمها الى مملكته بعد مضى احدى واربعين عاما من قيامها ، وانتهى أمر عبد العزيز والد البكرى الى الرحيل الى قرطبة حيث عاش فى ظل بنى جهور(١٠١) ،وكان البكرى شابافىتلك الفترة العصيبة حين أرغم على الرحيل الى قرطبة مع أسرته ووالده ، ولكنها كانت فرصة ذهبية أمامه ليحتك بعلماء قرطبة ورجال الفكر ، وكان البكرى حين دخل قرطبة يبلغ من العمر نحو خمس وعشرين سنة(١٠٢) ، ولم يغادر البكرى قرطبة بعد أن ذاع صيته وسطع نجمه فى سماء العلم والادب والجغرافية ، وتشهد بذلك مصنفاته المتنوعة من كتب أدبية وفقهية ولغوية بالاضافة الى المصنفات الجغرافية ، واذا تابعنا ترجمة ابن حيان وابن بسام وابن خاقان للبكرى لا نجد الا امتداحا لمعرفته بالعلوم الادبية واللغة وبلاغته فيها ، وقد ألف البكرى فى هذه الفترة المبكرة من شبابه كتاب « التنبيه على أغلاط ابى على فى أماليه » ، واتصل فى هذه المرحلة بالشاعر القرطبى ابراهيم بن محمد بن يحيى المعروف بابن السقاء ، وبخاطبه ببضعة أبيات من الشعر ولكنه كان شعرا ضعيفا مما يدل على أن صاحبه كان فى بداية اشتغاله بالشعر (١٠٣) .

ثم انتقل البكرى من قرطبة الى المرية وعاش فيها فترة من الزمن ، ولكن لم يطل بقاؤه بها لفقر الحياة الفكرية فيها بالمقارنة الى دويلات الطوائف الأخرى ، لذا فقد شد رحاله الى اشبيلية التى كانت من أعظم مدن الاندلس ازدهارا فى الحياة الفكرية والعلمية لاسيما فى عهد المعتمد بن عباد ، ولم يلبث أن ارتفع الى مصاف ندمائه الذين

---

(١٠١) البكرى ، جغرافية الاندلس وأوروبا ، ص ٣٠ - حسين مؤنس ، تاريخ الجغرافية والجغرافيين (لمزيد من التفاصيل (انظر ، ص ١١١ - ١١٤) .

(١٠٢) حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص ١١٥ .

(١٠٣) ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الثانى ، المجلد الاول ، ص ٢٣٧ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يحضرون مجالس بلاطه(١٠٤) . وظل البكرى مقيما باشبيلية حتى وفاته فى عام ٤٨٧هـ (١٠٩٤م) وقد أثرت الظروف التى مر بها البكرى فى بداية شبابه على مسلكه الشخصى فى حياته ، فهو لم يستطع أن ينسى كيف أنه هجر ملكه وملك أبيه الى قرطبة ، ثم كيف تحطمت الخلافة فى قرطبة(١٠٥) . لقد قضى شبابه وعمره كله يعانى مأساة الفتنة وما أعقبها من تفتت سياسى مما دفعه الى العكوف على احتساء الخمر ، وهذه الصفة كانت سببا فى تحامل المؤرخين عليه وانتقاده ، وعلى الرغم من انه كان فى قدرة البكرى فى هذه الفترة السياسية القلقة أن يميل الى جهة سياسية معينة ليلمع نجمه ويسطع فى مجال الحكم والسياسة الا أنه فضل العلم والكسب على التاليف والانتاج العلمى لحبه الشديد له ولاجلاله للعلم والمعرفة(١٠٦) .

وكان البكرى كسائر علماء عصره موسوعيا فى علمه فهو لم يكتف بالنبوغ فى مجال الجغرافية ، وانما كان عالما فى اللغة ومؤرخا ونباتيا وشاعرا ، وكانت « الموسوعية » سمة جيله من العلماء أمثال ابن حزم وابن حيان وابن بسام ... ، فتلك كانت صفة علماء هذ االعصر ، كذلك اتسم البكرى بالدقة ، فهو يتقصى ويتحرى عن كل خبر أو معلومة ، يسوقها فى مؤلفاته(١٠٧) .

وللبكرى مؤلفات عديدة فى مختلف المجالات العلمية ، وقد أحصى له اثنى عشر مؤلفا فى مجال الادب واللغة ، هذا بخلاف كتابى « معجم ما استعجم » المسالك والممالك » فى مجال علم الجغرافية .

وكتاب « معجم ما استعجم » هو معجم عن الاماكن الجغرافية

---

(١٠٤) حسين مؤنس ، تاريخ الجغرافية والجغرافيين ، ص ١١٩ .
(١٠٥) البكرى ، جغرافية الاندلس وأوربا ، ص ٣٠ .
(١٠٦) البكرى ، جغرافية الاندلس وأوروبا ، ص ٣٠ .
(١٠٧) حسين مؤنس ، الجغرافية والجغرافيين ، ص ١٠٨ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الخاصة بالمشرق دون الاندلس ، وهو مطبوع ، ولكنه لا يعنينا فى بحثنا هذا بطبيعة الحال ٠

أما كتاب « المسالك والممالك » فكان آخر ما صنفه البكرى ، بدأ فى كتابته وهو قرب الخمسين او الستين من عمره فجاء الكتاب لذلك صورة عظيمة لخبراته وقمة نضجه العلمى ، مما جعله يتربع على عرش الجغرافية الاندلسية ولهذا يعد من أعظم كتب الجغرافية على مستوى العالم الاسلامى بأسره(١٠٨) ٠

ولا يعرف عدد الاجزاء التى يتكون منها هذا الكتاب ، وحتى يومنا هذا لم يدرس ككل واحد(١٠٩) لتعدد وجود قطعة فى أكثر من مكان وأكثر من مكتبة ٠

وقد بدأ البكرى فى المسالك والممالك بالحديث عن بدء الخليقة واستمر فى حديثه حتى وصل الى عصره ، فتحدث عن البلاد وشعوبها المختلفة ومدنها وما تمتاز به ، وما اشتهرت به وعادات سكانها وأخلاقهم وطبيعة البلاد ٠٠٠ الخ ٠

ومن المؤكد أن ما وصل الينا من « المسالك والممالك » ليس هو الاصل الذى كتبه البكرى ، فالقطع والمخطوطات التى عثر عليها لا تتماثل ولا تتشابه ، وعن ذلك يقول الدكتور الحجى ، « والقطع التى لدينا ليست كلها متماثلة بل ان بعض الموضوعات موجودة فى أكثر من مخطوطة واحدة كما أن البعض الآخر موجود فى مخطوطة واحدة فقط »(١١٠) ٠

وقد اعتمد البكرى على مصادر قديمة غير اسلامية فهو يذكر فى

---

(١٠٨) البكرى ، جغرافية الاندلس وأوروبا ، ص ٣٤ ٠
(١٠٩) حسين مؤنس ، تاريخ الجغرافية والجغرافيين ، ص ١٣٢ ٠
(١١٠) البكرى ، جغرافية الاندلس وأوربا ، تحقيق د ٠ الحجى ، ص ٣٥ ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المسالك والممالك أسماء بعض الجغرافيين والرياضيين اليونان ، بالاضافة الى اعتماده على عدد من الجغرافيين الرومان أمثال بطليموس ، هذا الى جانب اعتماده على من سبقه من الجغرافيين المسلمين أمثال المسعودى وابن رستة والوراق ٠

كذلك أخذ البكرى عن معاصريه من الجغرافيين والمؤرخين أمثال ابن حيان والعذرى بدليل أنه يذكر فى كثير من مواضع كتابه عبارة « أخبرنى العذرى » وهذا يدل على أنه استقى مادته منه مباشرة ، كما يشير الى رحالة أندلسى من القرن الرابع الهجرى ، اعتمد عليه فى كثير من الاحيان ، هو ابراهيم بن يعقوب الطرطوشى ، كذلك اعتمد البكرى على الكثير من كتابات الرازى ، وهنا لابد من أن نلفت الانظار الى حقيقة هامة وهى أن هذه الخبرة وهذا العلم الغزير ، لم يكتسب عن طريق الرحلات والاسفار المتعددة ، وانما نتيجة لقراءات البكرى لكتابات من سبقوه ووصفهم لرحلاتهم التى قاموا بها بالاضافة الى اعتماده على الوثائق الرسمية فى قرطبة مما جعله يقدم لنا أوصافا غاية فى الدقة لبعض المناطق الجغرافية الاندلسية التى لم يصفها أحد من قبل ٠

وقد اعتمدنا على الجزء المنشور من « المسالك والممالك » الخاص بالاندلس الذى حققه الدكتور عبد الرحمن الحجى ، فى التعريف بالمدن والمواقع الجغرافية فى كثير من مواضع الرسالة كما أخذنا برأى البكرى فى انشاء مدينة بطليوس ، وهو يرى أن الجليقى قد تلقى الاذن لبنائها وسكناها من الامير محمد ، وذلك بعد خروج ابن مروان الجليقى من قلعة الحنش وليس من الامير عبد الله كما ذكر الحميرى(١١١) ٠

وبقراءة هذا المصدر نستطيع أن نقرر أن البكرى يعد من أعظم جغرافيى الاندلس ، وأنه يتميز بدقته العلمية وتحرى الصدق فى كتاباته ، وهو لذلك يعتبر على

) الحميرى ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٢١ ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حد قول الدكتور مؤنس قمة من قمم التأليف الجغرافى(١١٢) .

ابن الأبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى بكر القضاعى) ، الحلة السيراء :

هو أعظم مصنف لمعاجم الرجال فى الاندلس(١١٣) ، ولد فى مدينة بلنسية بشرق الاندلس فى عام ٥٩٥هـ (١١٩٨م)(١١٤) ، وعمل كاتبا لأمراء الموحدين ، وكان أبو زيد بن أبى عبد الله بن أبى حفص بن عبد المؤمن بن على أحد السادة الموحدين الذين استعانوا بابن الابار ليكتب لهم ، وقد خرج معه ابن الابار الى قلعة أيوب ، ليلاقى الملك خايمى الفاتح Jaime el Conquistador ملك أرغون ، ولكن ابن الابار شك فى نوايا سيده ، فقد خشى أن يرتد عن الاسلام(١١٥) ، فتركه وشأنه ودخل فى خدمة زيان بن مردنيش وأصبح كاتبا له(١١٦) . وقد أوفده ابن مردنيش الى تونس عندما حاصر الملك خايمى مدينة بلنسية ، ليستنجد بالسلطان الحفصى أبى زكريا الحفصى ، أقوى ملوك المغرب فى ذلك الزمان ، ونجح ابن الابار فى مهمته اذ استجاب السلطان المسلم لنداء ابن مردنيش ، فأرسل الاساطيل المشحونة بالمدد والاموال والاسلحة ، ولكن هذه الامدادات وصلت الى مقصدها بعد فوات الاوان ، اذ كانت بلنسية قد سقطت فى يد خايمى الاول سنة ٦٣٦هـ (١٢٣٨م) قبل وصول أية نجدات اليها .

وهاجر ابن الابار عقب سقوط بلنسية الى تونس ، حيث حظى بمكانة رفيعة فى البلاط السلطانى ، ولم يلبث السلطان أبو زكريا الحفصى أن قربه اليه فعينه كاتبا له ، ولما توفى أبو زكريا عام ٦٤٧هـ (١٢٤٩م) وخلفه ولده المستنصر بالله ، لم يستطع ابن الابار أن يحفظ للسلطان

---

(١١٢) حسين مؤنس ، تاريخ الجغرافية والجغرافيين ، ص ١٤٨ .
(١١٣) جونثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٢٧٧ .
(١١٤) أحمد مختار العبادى ، فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٥٤٣ .
(١١٥) Pons-Boigues, Ensayo Bio-bibliografico sobre los historiadores y geógrafos arabigo-espanoles, Madrid 1898, P. 291.
(١١٦) جونثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٢٧٧ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الجديد نفس المودة السابقة التى كان يستشعرها نحو والده المتوفى ، با
أن ابن الابار أثار حنق السلطان عليه مما أعطى الفرصة لأعدائه الحاقدين
فأخذوا يكيلون له الاتهامات لدى السلطان ، وكانت أخطر تلك الاتهامات
أن أعداءه ألصقوا تهمة الاشتراك فى التدبير لمؤامرة ضد السلطان
وعثروا فى داره على ورقة تحمل بيتا من الشعر يقول ابن الابار فيه :

طغـــا بتونس خلف ســـموه ظلمـــا خليفة

وقد تسبب هذا البيت فى غضب الخليفة عليه ، فأمر بقتله وحرقه
وكان ذلك فى عام ٦٥٨هـ (١٢٦٠م) .

وقبل أن نتحدث عن مؤلفات ابن الابار لابد أن نذكر أن البيئة الت
نشأ فيها ابن الابار كانت بيئة علمية صحيحة(١١٧) ، فقد كان وال
عبد الله بن أبى بكر رجل علم ودين ، يكثر من تلاوة القـــرآن الكر
ويؤم المسلمين للصـلاة ، ومن الجـدير بالذكر أن والد ابن الأبار تو
فى بلنسية عام٦١٩هـ (١٢٢٢م) وكان ابنه (ابن الأبار) فى بطليو
آنذاك .

وعلى الرغم من نشـأة ابن الأبار فى هذا الجو العلمى النقى ،
أنه لم ينهج نهج أبيه ، فقد اتجه منذ المرحلة الأولى من حيـــاته ا
السياسة وشغل الوظائف المربحة ، وكان ذلك فى نفس الوقت سبب با
ونكبته والنهـاية الطبيعيـة لطموحه بعيـد المدى(١١٨) . وقد تا
ابن الابار دراسته التاريخية على يد كل من الشيخ أبى الخطاب أحم
بن محمـد بن عمر بن محمـد بن واجب القيسى (٥٣٧هـ — ٦١٤هـ
(١١٤٢ — ١٢١٧م) والشيخ أبى سليمان داود بن سليمان بن حوط

---

(١١٧) ابن الابار ، الحلة السيراء ، المقدمة ، ص ١٤ .
(١١٨) Francisco Pons Boigues, Ensayo Bio-Bibliografico sobre los historiadores y geógrafos arabigo-espanoles, Madrid, 1898, p. 291.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الانصـــارى (٥٥٢هـ - ٦٢١هـ) (١١٥٧ - ١٢٢٤م)(١١٩) ، هذا بالاضافة الى عدد من كبـــار العلماء الذين لقنوه ســـائر أنواع العلوم الأخرى من فقه ونحو وأدب وقراءات ... الخ .

ومن أهم المؤلفات التى صنفها ابن الأبار ووصلت الينا :

١ - كتاب التكملة لكتاب الصلة :

ويقصد به تكملة الصلة لابن بشكوال ، وهو من اعظم كتب التراجم لأسماء علماء وملوك الاندلس ، طبقا لترتيب حروف الهجـــاء ، وقد حرص ابن الأبار فى آخر كل حرف على ذكر الغـرباء الذين وفدوا الى الاندلس .

وقد استعنا بهذا المصدر فى بعض المواضع من بحثنا حينما اقتضى منا الأمر ذلك . وأول من تولى نشر هذا الكتـاب المستشرق الاسـبانى الكبير دون فرنثيسكو كوديره عام ١٨٨٧م فصدرفىجزئين،ثم عثر فىمكتبة سليمان باشا أباظة بالقاهرة على نسخة خطية من هذا المصدر ، فأعاد كل من جونثالث بالنثيـا والاركون نشره ، ثم عثر الاسـتاذ محمـد شنب الجزائرى على جزء من هذا المصدر كان ناقصا فقام بنشره فى المجـــلة الافريقية عام ١٩٣٢(١٢٠) .

٢ - كتاب المعجم لأصحاب الصدفى :

والصدفى هو أبو على الحسين بن محمـد السرقسطى الاندلسى ، وكان قاضيا فاضلا ومحدثا من أعظم محدثى الاندلس ، توفى عام ٥١٤هـ (١١٢٠م) . وقد ألف ابن الأبار هذا الكتاب وخصصه لسيرة الصـدفى وتراجم تلاميذه طبقا لحروف الهجاء ، وتولى المستشرق كوديره نشره .

---

(١١٩) ابن الأبار ، الحلة السيراء ، المقدمة ، ص ١٦ .
(١٢٠) أحمد مختار العبادى ، فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٥٤٤.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٣ - الحلة السيراء :

الحلة السيراء أى الثوب المخطط بمعنى الكتاب الذى يتضمن الادب والشعر والتاريخ ، ويتناول تاريخ المغرب والاندلس منذ الفتح الاسلامى حتى منتصف القرن السابع الهجرى ، وقد قسمه ابن الأبار الى قرون وتحدث عن أشهر رجال كل قرن .

ويعد كتاب الحلة السيراء أفضل كتب ابن الأبار وأعظمها فائدة ، ولا يمكن لأى باحث فى مجال تاريخ المغرب والاندلس أن يستغنى عن هذا المصدر(١٢١) . ومن كتاب الحلة السيراء يتبين لنا أن ابن الابار كان مؤرخا غزير المادة وناقدا يقظا لا يمر بخطأ أو اسم علم الا واستدركه فى الحال ، هذا الى جانب أن أسلوب ابن الأبار فى الحلة السيراء يتسم بالقوة ويرتفع الى أعلى المستويات .

وقد قام دوزى بنشر هذا الكتاب فى بادىء الامر ، وأعاد المستشرق الالمانى مولر نشره ، وأخيرا نشره د . حسين مؤنس عام ١٩٦٣ فى جزأين ، وقد أفدنا من الحلة السيراء فى بحثنا الى أقصى حد ، فقد أشار ابن الابار من خلال ترجمته لكثير من رجالات الاندلس الى كثير من الاخبار المتعلقة ببطليوس ، وعلى سبيل المثال ترجم ابن الأبار لعبيد الله بن أحمد بن يعلى بن وهب من رجال المائة الرابعة ، ومن خلال الترجمة أدركنا أن والده أحمد بن يعلى كان قائدا كبيرا للخليفة الناصر أسند اليه قيادة بطليوس وأعمالها (الجوف كله) وان عبيد الله نفسه ولى كل ما كان بيد أبيه من بعده(١٢٢) .

كذلك ترجم ابن الأبار للمتوكل عمر بن الافطس ، وعرض فى هذه الترجمة لأصل أسرة بنى الافطس منذ بدايتها حتى وصول يوسف بن تاشفين الى الاندلس ، وأشار الى اشتراك أبى اسحاق بن مقانا قاضى

---

(١٢١) ابن الأبار ، الحلة السيراء ، المقدمة ، ص ٥١ .
(١٢٢) المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢٥٦ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بطليوس فى وفد القضاة الذين أوفدوا الى يوسف بن تاشفين لاعطائه صورة صادقة عن الاوضاع السياسية السيئة واستنهاضه للعبور الى الاندلس (وكان هذا الوفد يتكون من قاضى بطليوس المذكور ، والقليعى قاضى غرناطة ، وأبو بكر بن أدهم قاضى اشبيلية والوزير أبو بكر بن زيدون ، وقاضى قرطبة)(١٢٣) . وظل ابن الأبار يسرد تفاصيل أحداث تلك الفترة حتى محاصرة سير بن أبى بكر لبطليوس ثم اقدامه على قتل ابن الافطس عمر وولديه فضل والعباس . كما ينفرد ابن الأبار بالاشارة الى ولد رابع للمتوكل عمر بن الافطس اسمه سعد وعنه يقول « حدثه أنه (أى الوزير أبو بكر بن القبطرنة) دخل على نجم الدولة سعد بن المتوكل ، وهو محبوس فى سجن الملثمة ، بعد غلبتهم على أبيه المتوكل وقتلهم اياه وابنيه العباس والفضل ، فلما رآه أجهش باكيا ثم أنشده ... »(١٢٤) .

كذلك أشار ابن الأبار الى أحد كبار رجال مملكة بنى الافطس أصحاب بطليوس هو أبو محمد بن هود الجذامى وهو من بنى هود ملوك سرقسطة والثغر الاعلى ، تولى الاشبونة فى عهد المتوكل عمر بن الافطس(١٢٥) .

هذا وقد أفدنا أعظم فائدة من « الحلة السيراء » عند تناولنا لأهم ثورات الاندلس فى أواخر عهد المرابطين ، فقد ترجم ابن الأبار لكبار رجال غرب الاندلس وهم أحمد بن الحسين بن قسى ومحمد بن سيدراى بن عبد الوهاب بن وزير ، ومحمد بن عمر بن المنذر .

وعرفنا من خلال كتاباته أن أبا القاسم أحمد بن الحسين بن قسى

---

(١٢٣) ابن الأبار ، الحلة السيراء ، جـ ٢ ، ص ٩٩ .
(١٢٤) المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ١٠٤ .
(١٢٥) نفسه ، ص ١٦٥ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كان قائد الثوار بالغرب ، بل أنه كان « أول الثائرين بالاندلس عند اختلال دولة الملثمين »(١٢٦) .

وكان يرجع الى أسرة مسيحية من بادية شلب ، وقد قام ابن الابار بسرد أحداث ثورته منذ بدايتها حتى نهايتها ودخول الغرب الاندلسى فى طاعة الموحدين ، وأوضح لنا كيف أن بطليوس كانت تابعة لابن قسى شأنها فى ذلك شأن ميرتلة من ولايات الغرب طوال عام ٥٣٩هـ (١١٤٤م) . وعرفنا من خلال ترجمة ابن الأبار لكل من محمد بن عمر بن المنذر وابى محمد سيدراى بن وزير كيف أن ابن وزير انتزع كل من بطليوس وميرتلة من يد ابن قسى بسبب خلاف نشب بينهما ، كذلك عرفنا أن ابن المنذر كان صاحب الفضل الاعظم فى نجاح ثورة ابن قسى ، وساعده الايمن قبل وقوعه فى أسر سيدراى ، بعد نشوب الخلاف الكبير بين سيدراى من جهة وابن قسى من جهة أخرى ، وقد انضم ابن المنذر الى حليفه ابن قسى ، وانتهى أمر ابن المنذر حين أرسل سيدراى أسيره ابن المنذر الى خاله عبد الله بن الصميل يأمره « بأن يسير الى باجة ويستخرج ابن المنذر من سجنه ويسمل عينيه ، ففعل ذلك وأقام فى معتقله الى أن فتح الموحدون أعزهم الله باجة ... »(١٢٧) .

ويعتبر كتاب الحلة السيراء فى الواقع ثروة تاريخية لها قيمتها بالنسبة للدارسين فى تاريخ الاندلس بوجه عام والغرب الاندلسى بوجه خاص فى عصر دولة المرابطين ، وبداية حكم الموحدين للاندلس .

الشريف الادريسى : « وصف المغرب وأرض السودان ومصر والاندلس » من كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق :

هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس ، الذى

---

(١٢٦) ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ١٩٧ .
(١٢٧) ابن الابار ، الحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ٢٠٧ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ينتسب الى بيت الاشراف الادارسة الحموديين(١٢٨) ، ويعد الادريسى أول جغرافى متخصص فى علم الجغرافية الى حد أنه فاق فى هذا الميدان بطليموس وزاد عليه ، وقد تمكن هذا الجغرافى العظيم من رفع علم الجغرافية الى مصاف العلوم الكبرى(١٢٩) ، وكان بحق قمة علم الجغرافية عند المسلمين على حد تعبير الدكتور حسين مؤنس(١٣٠) . وليس لدينا أخبار عن حياة الادريسى الا أقل القليل ، فهو لم يظفر بترجمة كاملة مستقلة ، مفصلة البيانات فى أى كتاب من كتب التراجم فى المغرب او المشرق مما دفع بعض المستشرقين الى القول بأن عدم اهتمام المسلمين به يرجع الى اتصال الادريسى بالملك الصقلى روجر الثانى ، وقد قلل هذا الاتصال من قدر الادريسى عند العرب .

غير أن هذا الرأى غير صحيح لأن الادريسى لقى الكثير من التقدير والتعظيم من الجغرافيين المسلمين ، كما مدحته كتب المختارات الادبية والموسوعات الكبرى ، أما عدم وجود ترجمة مفصلة عنه فى احدى كتب التراجم فيرجع الى كثرة سفره وترحاله فى بلاد المسلمين مما جعل أصحاب التراجم لا يقعون على سيرته أو تفاصيل حياته(١٣١) .

وقد تلقى الادرسى علومه أول الامر فى المغرب ، ثم انتقل بعد ذلك الى الاندلس ، فأقام فترة فى قرطبة ، اتم فيها دراساته ، ثم زار مصر وآسيا الصغرى وصقلية(١٣٢) .

وفى صقلية أقام الادريسى لفترة طويلة فى كنف الملك روجر الثانى ،

---

(١٢٨) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب ، ص ٢٦ .
(١٢٩) حسين مؤنس ، تاريخ الجغرافية والجغرافيين فى الاندلس ، مطبعة معهد الدراسات الاسلامية ، مدريد ١٩٦٧ ، ص ١٦٧ .
(١٣٠) المرجع السابق ، ص ٢٥٧ .
(١٣١) نفسه ، ص ١٦٨ - ١٦٩ .
(١٣٢) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب ، ص ٢٦ - التاريخ والمؤرخون العرب ، الاسكندرية ، ١٩٨١ ، ص ٢٠٦ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد يقفز الى الاذهان تساؤل هام وهو كيف قبل الادريسى أن يقيم فى بلاط ملك مسيحى ، يؤلف له كتبا ، ويقدم له خدمات علمية جليلة ؟ والواقع أن دولة النورمان فى صقلية كانت نورمانية الاسم والرئاسة فقط ، أما المقومات الحضارية التى قامت عليها فى صقلية فكانت مزيجا من العربية والبيزنطية ، وهذا يفسر روابط الصداقة بين روجر ملك صقلية وبين الادريسى ، وأسباب قبول واستساغة الادريسى ، وهو الشريف العلوى ، الاقامة والعمل فى البلاط النورمندى(١٣٣) ، ولا غرابة فى ذلك اذا علمنا أن البلاط الصقلى كان يضم عددا كبيرا من علماء المسلمين ، كماكانت صقلية تموج بالمسلمين ، ولذلك لم يكن وضع الادريسى بالغريب أو الشاذ فى ذلك الوقت(١٣٤) . ثم ان الملك روجر الثانى كان مغرما بعلوم الفلك والجغرافية الامر الذى جعله يتمسك بالادريسى ، ويعهد اليه بتأليف كتاب عن صفة الارض من خلال ما شاهده فى رحلاته وتنقلاته ، وقد تمكن الادريسى من انجاز هذا العمل فى عام ٥٤٨هـ (١١٥٣م) وأضاف اليه جزءا أسماه « نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » عرف أيضا باسم الكتاب الرجارى Libro Rogeriano (١٣٥) . وقد أثنى الادريسى على الملك روجر الثانى ثناء حارا فى مقدمة هذا الكتاب ووصفه بأنه الملك المعظم المعتز بالله ، المقتدر بقدرته مما ساعد على رواج اشاعة ظهرت فى هذا العصر تؤكد اسلام روجر سرا(١٣٦) .

وقد قام دوزى بنشر الجزء المتعلق بافريقية والاندلس من نزهة المشتاق فى ليدن عام ١٨٦٦ ، ثم أعاد سافدرا Saavedra نشر هذا الكتاب مصححا فى مدريد عام ١٨٨١(١٣٧) .

---

(١٣٣) حسين مؤنس ، الجغرافية والجغرافيين ، ص ١٨٢ .
(١٣٤) المرجع السابق ، ص ١٨٢ .
(١٣٥) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب ، ص ٢٧ .
(١٣٦) حسين مؤنس ، الجغرافية والجغرافيين ، ص ١٨٢ .
(١٣٧) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب ، ص ٢٧ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكتاب نزهة المشتاق غنى بالمادة الجغرافية والتاريخية وقد وصف بطليوس وصفا ساعدنا على استنتاج بعض ما كانت عليه عمرانيـــا فى زمنه ، فقوله على سبيل المثال بأن بطليوس « كان لها ربض كبير أكبر من المدينة فى شرقها فخلا بالفتن ... »(١٣٨) دفعنا الى افتراض أن هذه الفتن التى أشار اليها الادريسى ، والتى أدت الى اخلاء ذلك الربض الشرقى لبطليوس ، اما أن تكون معاصرة لفترة ابن قسى ، خاصة بعـد دخول بطليوس وميرتلة فى ســلطانه عام ٥٣٩هـ (١١٤٤م) ، واما أن تكون هذه الفتن قد حدثت فى عهد ابن الحجام الذى ثار على الحـكم المرابطى أيضا (٥٤١ ـ ٥٤٢هـ) (١١٤٦ ـ ١١٤٧م) . وبالاضـافة الى ذلك أمدنا هذا المصدر الجغرافى الهام بأسماء مواقع سائر المدن التى تعرضنا لها فى بحثنا هذا ، وتقع جميعهـا فى منطقة غرب الاندلس ، فالادريسى يعرف كل مدينة ويذكر أهم ما اشتهرت به ويصف حصـونها وأسوارها ، ويعدد مواردها الاقتصادية فى حالة اشتهارها بمورد معين ، ويورد المسافات التى تفصل بينها وبين ما حولهـــا من المدن المجـاورة بحيث يرسم للقارىء خريطة تامة الوضوح .

عز الدين ابن الاثير : « الكامل فى التاريخ » :

هو على بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى ، كنيته أبو الحسن ، ولقبه عز الدين ، ويعرف باسم ابن الاثير الجزرى نسـبة الى جزيرة ابن عمر التى ولد فيها . أما لقبه الشيبانى « فان الاسـتاذ عباس العزاوى يقول أن ابن الاثير من أسرة عربية من بنى بكر وشيبان حيث كان يسكن بنو شيبان العراق منذ بداية الفتح الاسلامى(١٣٩) .

---

(١٣٨) الادريسى ، المغرب وأرض السودان ومصر والاندلس ، ص ١٨١.
(١٣٩) عباس العزاوى ، التعريف بالمؤرخين ، ص ٢٦ ـ ٢٧ نقـلا عن رسالة الدكتوراه عن ابن الاثير التى تقدم بها الدكتور عبد القادر طليمات الى جامعة عين شمس كلية الآداب سنة ١٩٦٧ ، ص١٣.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتقع جزيرة ابن عمر على مقربة من الموصل ، ويحيط بها نهر دجلة من جهة واحدة .

وعلى بن محمد الشيبانى هو أحد ثلاثة أخوة هم مجد الدين المحدث الاصولى النسابة اللغوى الاديب ، وضياء الدين أبو الفتح نصر الله فى النقد والبلاغة ، وعز الدين موضوع الدراسة(١٤٠) ، وكلهم شارك فى التاليف العلمى ، وعرفوا بالعلم والادب كل فى مجال تخصصه . وكان نصيب على أن انصرف الى دراسة التاريخفتفوق فيه.وفى ذلك يقول القزوينى « وينسب اليها بنو الاثير الجزريون (جزيرة ابن عمر) ، كانوا ثلاثة اخوة فضلاء رأيت فيهم الضياء ، يقصد ضياء الدين ، كان شيخا حسن الصورة فاضلا حلو الحديث ... »(١٤١) .

وقد ألف المؤرخ عز الدين بن الاثير مجموعة من الكتب منها « كتاب اللبا بفى تهذيب الأنساب » وكتاب « أسد الغابة فى معرفة الصحابة » و « تاريخ الدولة الاتابكية » وأهمها على الاطلاق كتاب « الكامل فى التاريخ » الذى رجعنا اليه فيما يتعلق بأحداث الاندلس .

ولد عزالدينابن الاثير فى جزيرة ابن عمر عام ٥٥٥ هـ (١١٦٠م) وتوفى عام ٦٣٠هـ (١٢٣٢م) عن خمسة وسبعين عاما . وينتسب ابن الاثير الى أسرة ثرية الى حد ما ، فقد كان أبوه متوليا لديوان المدينة من قبل قطب الدين مودود بن زنكى صاحب الموصل ، ولعل هذه البيئة الكريمة كانت أحد العوامل التى ساعدت ابن الاثير على سهولة التنقل بين حواضر العالم الاسلامى فى ذلك الوقت مثل بغداد ودمشق والقدس وحلب ، يرى بعينه ما يريد(١٤٢) ويحفظ ويجمع ليؤلف ،

---

(١٤٠) مجد الدين ابن الاثير ، المرصع فى الاباء والامهات والبنين والبنات والأذواء والذوات ، تحقيق د . ابراهيم السامرائى ، بغداد ١٩٧١ ، ص ١٠ .

(١٤١) القزوينى ، آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ٣٥٢ .

(١٤٢) ابن الاثير ، الكامل فى التاريخ ، بيروت ، ١٩٦٥ ، جـ ١ ص١١ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كذلك هيأت تلك الظروف الاقتصادية المستقرة التى نشأ فى ظلالها أسباب الحيـــاة الرغـــدة المترفة ، فقـــد وفـــر أبوه لأولاده ســـبل التعليـــم فألحـــق أبنـــاءه وعـــلى الأخص عـــز الـدين منـــذ طفـــولته بأحـد مكاتب الجـــزيرة بالعـــراق ليتعلم فيها أرقى أنواع التعليم فى ذلك العصر ، وفى هذه الفـترة تعلم عز الدين بن الاثير الكتابة والقراءة وحفظ القرآن ، ولما وصـل الى مرحلة الشباب أتاح له انتماؤه الى أسرة ثرية بارزة ن ينتقل بين الجزيرة والموصل ليتلقى العلم على أيدى شيوخها الى أن استقر به المقـــام فى الموصل ، وكانت آنذاك من أعظم المراكز العلمية فى العالم الاسلامى ، وبرزت فيها أسرات ذاعت شـهرتها فى العلم والمعـرفة ، كأسرة بنى منعه ، وبنى الشـهرزورى ، وبنى بلده جى ، وبنى المهاجر ، وبنى هبـل ، وبنى النقيب . وكان من أبناء هذه الأسر شيوخ وعلماء متخصصون فى شتى أنواع العلوم والآداب وفيها شباب من قرناء ابن الاثير يعملون على تحصيل العلوم ، مما أشعل من حماسـة ابن الاثير ودفعه على الاقبـــال عـــلى مواصلة التحصيل ، وشجعه على ارتياد مجالس العلم فى الموصل وفى بغـداد ودمشق ، وعندئذ واتته الفرصـة للتنقـل بين المدن الاسـلامية المجاورة لتلقى العلم .

ولم يكن ابن الاثير ليستطيع ارتيـــادها لولا ثراء أسرته وقدرة والده الاقتصادية ، ويحدثنا ابن الاثير فى ثنايا بعض الاخبـــار ، وعن طريق تراجمه لشيوخه عن العلوم التى تلقاها فى شبابه من شيوخ العلم ، كالأصول والفرائض والمنطق والهيئة والنجوم والقراءات ، بالاضافة الى العلم الذى تخصص فيه(١٤٣) .

ومن الجدير بالذكر أن ابن الاثير ظهـر فى فترة كانت الكتـــابة التاريخية قد بلغت أوجها بفضل كتابات عدد من كبار كتاب التـــاريخ

---

(١٤٣) انظر رسالة الدكتوراه المقدمة من الدكتور عبد القادر طليمات ، ص١٥ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أمثال الطبرى ومسكويه والوزير أبى شجاع والخطيب البغدادى ، وابن الجوزى ، وقد عمل ابن الاثير على الاستفادة بمنهج كل واحد منهم ، فقد سلك كل مؤرخ منهم منهجا مختلفا عن الآخر . وبهذا يكون ابن الاثير قد استفاد من خبرات وتجارب هؤلاء المؤرخين ، الذين سبقوه ، وساعده ذلك على تكوين منهج خاص به وسمات تميزت بها كتاباته عن غيرها ، أبرزها اعتماده على الاسلوب المرسل الذى يخلو عادة من المحسنات البديعية والالفاظ المعقدة وهذا أسلوب يتفق مع الاساليب العلمية السليمة ويثير شغف القارىء ويشوقه على متابعة الموضوع ، كما تتسم كتاباته بمراعاة ترتيب الموضوعات على نحو يسهل مهمة الباحث ، فى الرجوع الى المادة التى يطلبها .

هذا مع العناية بشرح الالفاظ والمصطلحات والاهتمام بضبط كثير من أسماء الأعلام والاماكن وتحديد المواقع المتشابهة اسما والمختلفة من حيث المكان صقعا والحرص على ذكر مصادره ومنهجه فى التأليف وظروف تأليف الكتاب(١٤٤) . ومن الجدير بالذكر أن ابن الاثير جمع فى كتابه « الكامل فى التاريخ » أخبار ملوك بلاد المشرق والمغرب الاسلامى ، كما أنه بدأ كتابه ، منذ بدء الخليقة حتى نهاية عام ٦٢٨هـ (١٢٣٠م) . وكان ابن الاثير يذكر أخبار الاندلس ضمن مجموعة أخبار متفرقة ، فأساس رواياته أنه يروى تاريخ بلاد المشرق الاسلامى وفقا للمنهج الحولى ثم يذكر أخبار مجموعة حوادث تمت فى نفس العام الذى يسرد فيه أبرز الوقائع ، وكان يضمن هذه المجموعة الاضافية من الحوادث أخبار الاندلس ، وكان المؤرخون السابقون عليه يأتون بالحادثة واحدة ويذكرون منها فى كل شهر أشياء فتأتى متقطعة لا يحصل منها على غرض ولا تفهم الا بعد امعان النظر(١٤٥) .وقد عالج ابن الاثير

---

(١٤٤) المرجع السابق ، ص ٣٤ .

(١٤٥) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ١ ، ص ١٢ - وانظر السيد عبد العزيز سالم ، التاريخ والمؤرخون العرب ، ص ١٠٣ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هذا العيب فعمل على تجميع الحادثة الواحدة فى مكان واحد حتى تأتى الاخبار متسقة ومتتابعة .

وقد اعتمد ابن الاثير فى الاجزاء السبعة الاولى من كتابه بوجه خاص على الطبرى ، وكذلك على ابن الكلبى والمبرد والبلاذرى ، والمسعودى ، ولم يكن ابن الاثير بالناقل الجامع للمادة ، فله الكثير من الاستدراكات والتعليقات على العديد من المؤرخين الذين رجع اليهم أمثال الطبرى والشهرستانى ، وا نكان قد بالغ فى الاستهانة بكتابات المؤرخين الذين سبقوه واعتمد هو عليهم ، وهذا خطأ فاحش وقع فيه ، فبعد أن خص الطبرى وحده بالذكر كمصدر أساسى له وامتدحه طويلا عاد لينقده ويذكر عيوبه . وعلى كل حال سواء كان ابن الاثير جادا فى حكمه على كتب من سبقه أم غير جاد فاننا لا نعفيه من اللوم ، لتجريحه السابقين عليه جملة .

ويعد كتاب « الكامل فى التاريخ » لابن الاثير أهم وأشهر مؤلفاته وهو أنموذج كامل للكتابة فى التاريخ العام العالمى والاسلامى على وجه الخصوص ، فمنذ ظهور الطبرى لم يظهر مؤرخ مسلم فى المشرق والمغرب اهتم بشئون العالم الاسلامى اجمالا ، وكان هذا من أهم العوامل التى دفعت ابن الاثير الى تأليف كتاب ، يجمع فيه أخبار العالم الاسلامى مشرقه ومغربه وما بينهما على حد وصفه(١٤٦) ، وقد وصف ابن كثير هذا الكتاب بأنه من أحسن مؤلفات ابن الاثير(١٤٧) ، ووصفه ابن خلكان بأنه من خيار التواريخ(١٤٨) ، وكذلك وصفه النسوى فى مقدمة كتابه « سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى »(١٤٩) . ويعتمد ابن الاثير فى

---

(١٤٦) رسالة الدكتوراه المقدمة من الدكتور عبد القادر طليمات ، ص ٤٥ .
(١٤٧) ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص ١٣٩ .
(١٤٨) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، جـ ١ ، ص ٤٣٨ .
(١٤٩) النسوى ، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى ، ص ٣٣ - ٣٤ (مقدمة المؤلف) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اخباره التى أوردها عن الاندلس على مصـــادر اندلسية مغربيـــة ، فقد كانت هذه المصادر متوفرة فى عصره(١٥٠) .

وقد رجعنا الى ابن الاثير فى مواضع متعددة عند حديثنا عن ثورة ابن مروان الجليقى ، وأفـدنا من الروايات التى أوردها عن الاندلس بهذا الصدد ، وقد انفـرد ابن الاثير بذكر حادثة رجل يدعى الولد فى مدينة باجة من المدائن الكبـــار بغرب الاندلس ، وقعت فى عام ٢٠٣ هـ (٨١٩م) ، ورجحنا أن يكون الولد المذكور فى ذلك النص هو مروان الجليقى . ومن الجدير بالذكر أن ابن الاثير أورد معظـــم أخبـــار ابن مروان الجليقى : ففى حوادث سنة ٢٦١هـ (٨٧٤م) على ســـبيل المثال أورد ابن الاثير ، الخبر التالى « وفيها هرب ابن مروان الجليقى من قرطبة فقصد قلعة الحنش ، فملكها وامتنع بها فسار اليه محمـــد صاحب الاندلس فحصره ثلاثة اشهر ، فضاق به الامر ، حتى أكل دوابه ، فأمنه محمد ، فسار الى مدينة بطليوس »(١٥٢) .

وفى حوادث عام ٢٦٢هـ ، (٨٧٥م) ذكر أن الامير محمد جهـز جيشـــه للتوجه لقتال ابن مروان الجليقى فى بطليوس ، فلمـــا بلغ ابن الجليقى ذلك رحل عن بطليوس ودخل حصن كركر ، وحوصر فيه(١٥٣) . كذلك أمدنا ابن الاثير بأخبـــار هامة ووافية عن موقعة البربرية(١٥٤) Polvararia وهى الموقعة التى انتصر فيها ابن الجليقى وأنصاره من نصـارى ليـون على سرية من سرايا المسلمين ، كان ابن الاثير أحد مؤرخين أربعـة أوردوا خبرها مفصـلا وهم ابن حيـــان وابن عذارى وابن الاثير وابن خـلدون ، وعلى الرغم من أن ابن الاثير من المؤرخين

---

(١٥٠) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب الاسلامى ، ص ١٢ .
(١٥١) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ٣٥٦ .
(١٥٢) المصدر السابق ، جـ ٧ ، ص ٢٨٨ .
(١٥٣) نفسه ، ص ٣٠٦ .
(١٥٤) نفسه ، ص ٣١٠ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العرب المشارقة المتأخرين ، فان روايته تعتبر مقاربة فى الدقة والكمال لرواية ابن حيان ، وربما يرجع ذلك الى اعتمادها على مصدر مشترك مفقود نرجح أنه الرازى وهو المصدر الرئيسى لابن حيان(١٥٥) . ومع أن ابن الاثير قد أورد تفاصيل هذه الموقعة الا أنه لم يطلق عليها اسم « البربرية » وانما عرفنا هذا المسمى من خلال ما كتبه كل من ابن عذارى وابن حيان ، ويقول ابن الاثير فى شرحه لأحداث هذه الموقعة « وفيها سير محمد ، صاحب الاندلس ، ابنه المنذر فى جيش كبير ، وجعل طريقه على ماردة ، فلما جاز ماردة الى أرض العدو تبعه تسع مائة فارس من العسكر ، فخرج عليهم جمع كثير من المشركين قد استظهر ، فاقتتلوا قتالا كثيرا صبروا فيه ، وقتل من المشركين عدد كثير ، ثم استظهر ابن الجليقى ، ومن معه من المشركين على السبعمائة ، فوضع السيف فيهم فقتلوهم عن آخرهم ، أكرمهم الله بالشهادة »(١٥٦) .

هذا بالاضافة الى الخبر الهام الذى ساقه ابن الاثير ضمن أحداث عام ٢٧١هـ (٨٨٤م) ويشير الى هجوم جيش الامارة ، بقيادة الامير المنذر ولد الامير محمد على مدينة بطليوس وقيامه بحرقها ، بينما تركها عبد الرحمن بن مروان الجليقى فارا الى حصن اشبر غزة(١٥٧) ، وقد أخذنا برواية ابن الاثير هذه ويتفق مع رواية ابن عذارى فى أن الجليقى ، قد هرب الى حصن اشبر غزة ، وليس الى حصن مونت مولين كما ذكر ابن خلدون .

ومن هذه الامثلة السابقة يتضح لنا أن ابن الاثير رغم كونه مؤرخا

---

(١٥٥) ابن حيان ، المقتبس من أنباء أهل الاندلس ، تحقيق د.محمود على مكى ، تعليق رقم ٦١١ ، ص ٦٥٦ ، ٦٦٥ .
ولمزيد من التفاصيل عن هذه الموقعة أرجع الى :
Sanchez Alborroz, La batalla de la Polvoraria, anales de la Universidad, de Madrid, fasc. III 1932 PP. 225-238.

(١٥٦) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٧ ، ص ٣١٠ ، ٣١١ .
(١٥٧) المرجع السابق ، جـ ٧ ، ص ٤١٦ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

شرقيا ، أحسن فى ذكره لبعض أخبار الاندلس ، وقد استفدنا الى حد كبير من هذا المصدر وأخذنا بأخباره فى كثير من الاحيان لما عرف عن صاحبها من الصدق والدقة والامانة الامر الذى يجعله من ثقاة المؤرخين المسلمين ، الذين كتبوا عن وقائع الاندلس ٠

ابن عذارى المراكشى : « البيان المغرب فى أخبار المغرب » :

هو مؤرخ يرجع الى أصل مغربى ، عاش فى عصر الموحدين ، ويعد كتابه البيان المغرب من أهم مصادر تاريخ المغرب والاندلس على الاطلاق ، تناول فيه دراسة هذا التاريخ منذ الفتح الاسلامى للمغرب حتى سنة ٦٦٧هـ (١٢٦٨م) ٠ وقد اعتمد ابن عذارى فى كتابه على مصادر مغربية أندلسية ترجع الى كل من القرنين الخامس والسادس الهجريين ، بل انه ذكر بنفسه أنه قد رجع الى العديد من المصادر من أهمها الطبرى والبكرى والرقيق والقضاعى والى كتاب نظم الجمان وكتابى الاشيرى والبيذق ٠٠٠ الخ ، لذا فقد جاءت أخباره أكثر دقة وتفصيلا عما أورده كل من ابن عبد الحكم والبلاذرى ٠

قسم ابن عذارى كتابه « البيان المغرب » الى ثلاثة أجزاء : ففى الجزء الاول اختصر أخبار المغرب منذ الفتح الاسلامى فى خلافة عثمان حتى انتقال الفاطميين الى مصر واستخلافهم صنهاجة على افريقية كما عالج فيه أيضا فتنة العرب وأسبابها وأخبار أمراء بنى زيرى وبنى حماد حتى ظهور المرابطين ٠ والجزء الثانى ذكر فيه أخبار الاندلس منذ الفتح الاسلامى حتى ظهور المرابطين فى المغرب ، واستيلائهم على الاندلس فى عام ٤٧٨هـ (١٠٨٥م) ٠ والجزء الثالث خصصه لتاريخ المرابطين والموحدين حتى انتهاء دولة الموحدين وظهور دولة الحفصيين ، والنصرية والمرينية حتى عام ٦٦٧هـ(١٥٨)(١٢٦٨م) ٠

---

(١٥٨) ابن عذارى ، البيان ، تحقيق ليفى بروفنسال ، ج ٣ ، انظر المقدمة ٠ أحمد مختار العبادى ، فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٥٤٠ ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكان المستشرق الهولندى دوزى ، قد نشر جزءا من كتاب البيـان المغرب فى الفترة التى تقع ما بين عام ١٨٤٧م وعام ١٨٥١ بليدن ، ويبدو أن المخطوط الذى اعتمد عليه دوزى كان مشوها الى حد كبير ، وقد اشتمل القسم الذ ىنشره دوزى على الجزء الاول من الكتاب ، وقسم من الثانى نشرهما فى جزئين الاول يتعلق بتاريخ المغرب منذ الفتح العربى حتى ظهور الدولة المرابطية ، أما الجزء الثانى فينتهى بوفاة المنصـور محمد بن بى عامر ٠

وقد أعيدت طباعة هذا الكتاب فى بيروت عام ١٩٥٠ ، ولكن هذه الطبعة الجديدة ظهرت بصورة أسوأ من الاولى ، اذ امتلأت بالعديد من الاخطـاء(١٥٩) ، مما دفع كلا من ليفى بروفنسـال وكولان الى اعادة نشر هذا الجزء الذى نشره دوزى من جديد ، بعد أن عثر ليفى بروفنسال على مخطوطة جديدة للبيان فى المغرب(١٦٠) فى خزانة الفقيه المحدث الشريف السيد محمد عبد الحى بن عبد الكريم الكتانى من مدينة فاس ، وكانت هذه المخطوطة الجديدة منسوخة بخط عتيق للغـــاية ، وكانت بعض أوراقها قد تعرضت للتلف ، ولم يذكر فى هذه المخطوطة اســـم الناسخ ولا تاريخ النسخ ٠ كما ذيل ليفى بروفنســـال كتاب البيـــان بمجموعة من الاوراق من تاريخ قديم « عديم الرأس والعقب ، مجهـول الاسم والصاحب عن بعض ملوك الطوائف ، منحها له صـديق بالمغرب ، هو المؤرخ السيد أبو عبد الله محمد بن على الدكالى السلاوى(١٦١) ٠

وكان ليفى بروفنسال قد نشر فى عام ١٩٣٠ فى باريس ، القســم

---

(١٥٩) انظر مقدمة ليفى بروفنسال فى البيـان ، جـ ٣ ، المقـدمة ـ السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب فى العصر الاسـلامى ، ص ١٦ ٠

(١٦٠) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب فى العصر الاسـلامى ، ص ١٦ ٠

(١٦١) ابن عذارى ، البيان ، جـ ٣ ، مقدمة ليفى بروفنسال ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الخاص بملوك الطوائف ، وكان يعتقد أن هذا الجزء ، هو الجزء الثالث من البيان المغرب ثم اتضح فيما بعد أنه تكملة للجزء الثانى من البيان ٠

وفى عام ١٩١٧م كان المستشرق الاسبانى امبروسيو اويثى ميراندا قد اهتم بنشر الجزء الثالث من البيان ، وكان يعتقد أن هذه المخطوطة لمؤلف مجهول الى أن تبين له أنها نسخة موجزة الى حد ما من الجزء الثالث من البيان المغرب ، فعاد الى تحقيق هذا الجزء مع كل من الاستاذين محمد ابن تاويت ، ومحمد ابراهيم الكنانى فى عام ١٩٦٣(١٦٢) ٠

والواقع أن كتاب البيان يعد من اكثر الكتب التى اعتمدنا عليها فى هذا البحث ، فهو الى جانب صدق رواياته ودقتها بحيث جعلت منه مؤرخا ثقة لا يقل أهمية عن ابن حيان ، اهتم باستيفاء كل الاخبار التى يأتى بها ، الامر الذى يتيح للباحث فرصة التفهم الكامل لجميع هذه الحوادث ٠

وقد اخذنا برواية ابن عذارى فى أن بطليوس كانت مدينة سابقة على الفتح الاسلامى للاندلس ، فقد ذكر أنها كانت عند استقرار ابن الجليقى بها مجردقرية صغيرة(١٦٣) ، وهذا يعنى أنها كانت ذات ماض قديم ٠ ويعتبر البيان المغرب لابن عذارى من اهم المصادر التى تضمنت اخبارا مفصلة عن ثورات المولدين فى منطقة الغرب وعلى وجه الخصوص فى ماردة قبيل ثورة عبد الرحمن بن مروان الجليقى ، فعلى سبيل المثال ، اشار الى ثورات ماردة من عام ١٩٠ ـ ١٩٧هـ(١٦٤) (٨٠٥ ـ ٨١٢م) والى حصار جيوش الامارة لها فى عام ٢١٧هـ(١٦٥) (٨٣٢م) والى تجدد ثورة ابن مرتين بماردة فى عام ٢٢٠هـ(١٦٦)

---

(١٦٢) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب ، ص ١٧ ٠
(١٦٣) ابن عذارى ، البيان ، جـ ٢ ، ص ١٠٢ ٠
(١٦٤) المصدر السابق ، ص ٧٢ ٠
(١٦٥) نفسه ، ص ٨٣ ٠
(١٦٦) نفسه ، ص ٨٤ ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(٨٣٥م) ، وهذه الاشارات مكنتنا من رسم خلفية تاريخية واضحة عن الظروف التى اندلعت فيها ثورات عبد الرحمن الجليقى فيما بعد فى بطليوس وماردة ٠

وكذلك كان البيان من اهم المصادر التى اعتمدنا عليها فى دراستنا لثورات ابن الجليقى فى مختلف مراحلها ، كما اعتمد عليه كمصدر أساسى العديد من كبار المؤرخين أمثال المستشرق الاسبانى كوديرة الذى كان البيان من اهم مصادر بحثه القيم عن بنى مروان الجليقى ٠

كذلك زودنا البيان بأخبار دقيقة ومفصلة عن كيفية استرجاع الخليفة عبد الرحمن الناصر لمدينة بطليوس من يد آخر بنى الجليقى(١٦٧) ٠

وبالاضافة الى ذلك يعتبر البيان من اهم المصادر التى أوردت بالتفصيل حوادث الحروب التى دارت بين بنى الافطس اصحاب بطليوس وبين بنى عباد ملوك اشبيلية ٠

وقد جاءت هذه الاخبار غاية فى الدقة والوضوح ، ولعل السبب فى ذلك يرجع الى اعتماد ابن عذارى على ابن حيان كمصدر هام لمعلوماته عن هذه الفترة من عصر دويلات الطوائف خاصة فى مجال العلاقات بين بطليوس واشبيلية(١٦٨) ٠ كما كانت ترجمته لملوك بنى الافطس من أفضل ما كتب عنهم وأهم ما اعتمدنا عليه فى بحثنا فى الفصل(١٦٩) الخاص بذلك ٠

وينفرد ابن عذارى بروايات هامة سلطت الضوء على ما اكتنف فترة الحكم المرابطى فى الاندلس من غموض ، من ذلك انه أورد خبرا هاما عن المنصور ابن الافطس وهو دخوله فى خدمة على بن يوسف فى

---

(١٦٧) ابن عذارى ، البيان ، جـ ٢ ، ص ١١٩ — ٢٠٠ ٠
(١٦٨) المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ص ٢٠٩ ٠
(١٦٩) نفسه ، ص ٢٣٤ — ٢٤٢ ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سنة ٥٠٤هـ بعد أن تمكن من الهروب من مملكة ليون الى أراضى الاسلام وأعلن عن توبته من الضلال، فأحسن الامير المرابطى اليه وجعله أحد قادته بل أحد أعظم قائدين فى الجيش المرابطى المتجه الى غزو مدينة قلمرية ، وكان ذلك عام ٥١١هـ(١٧٠) (١١١٧م) .

وقد أخذنا برواية ابن عذارى فيما يتعلق بتاريخه لغزوة أمير المرابطين تاشفين الى بطليوس لتأديب الملك الفونسو السابع ، الذى كان قد هاجم نواحى بطليوس وباجة ويابرة ، واشتبك معهم فى فلاة على مقربة من الزلاقة ، فابن عذارى يذكر أن تاريخ هذه الغزوة هو عام ٥٢٨هـ(١٧١) (١١٣٣م) بينما ورد الخبر فى سنة ٥٢٦هـ (١١٣١م) فى بعض المصادر الأخرى(١٧٢) .

ومن الملاحظ أن هذه الرواية التى ساقها ابن عذارى تتفق مع رواية ابن القطان مما يجعلنا نرجح صحة التاريخ الوارد فيها وأخذ به ابن عذارى عنه(١٧٣) . كذلك اعتمدنا على وصف ابن عذارى لجيش الامير تاشفين قبل معركته مع الملك الفونسو السابع فى نفس موقع الزلاقة الذى كان جده يوسف بن تاشفين قد انتصر فيه على عدوه الفونسو السادس(١٧٤) .

هذا وقد وفق ابن عذارى فى توضيح نشاط الفارس البرتغالى المرتزق جيرالدو سمبافور المعروف فى البيان باسم « العلج جراندة الجليقى»(١٧٥) وتحركاته فى الغرب . وكان ابن عذارى ثانى مؤرخين

---

(١٧٠) نفسه ، جـ ٤ ، ص ٦٤ .
(١٧١) نفسه ، ص ٨٨ .
(١٧٢) ابن الخطيب ، الاحاطة ، ص ٤٥٢ .
(١٧٣) ابن القطان ، قطعة من نظم الجمان ، ص ١٩٨ .
(١٧٤) ابن عذارى ، البيان ، جـ ٤ ، ص ٨٨ .
(١٧٥) ابن عذارى ، البيان ، القسم الثالث ، تحقيق اويثى ميراندا ، ص ٧٨ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تتبعا تحركات هذا الفارس فى منطقة الغرب هو ، وابن صاحب الصلاة ، فكان كلاهما أهم مصدرين اعتمدنا عليهما عند تأريخنا لهذه الفترة من فترات الصراع الموحدى/البرتغالى فى منطقة غرب الاندلس .

كذلك وردت فى البيان تفاصيل الغـزوة البرتغاليـة على مدينـة بطليوس سنة ٥٦٤هـ (١٦٦٨م) وهى الغزوة التى قادها الملك البرتغالى الفونسو انريكث بنفسه ، وساعده فى ذلك جيرالدوسمبافور ، وقد أوضح ابن عذارى كيف أنقذ الله بطليوس بتدخل فرناندو الثانى ملك ليون فى الوقت المناسب لاستخلاص المدينة للموحدين تنفيذا للحلف الذى عقـده مع الموحدين ، وللحفاظ على مصالحه الشخصية كما سنوضح فى الفصـل الخاص بذلك(١٧٦) .

كذلك أخذنا برواية ابن عذارى فيما يتعلق بالمعركة الاخيرة التى دارت بين جيوش ابن هود والليونيين تحت قيادة الفونسو التاسـع ، ورأينا أن فى عبارات ابن عذارى ما يشير الى أنها جرت بعد سقوط ماردة فى أيدى النصارى وليس قبلها مما يتفق مع ما ذكرته المصادر المسيحية عن هذه المعـركة ، ويؤكد ثقتنـــا فى جميـــع ما ورد فى البيـــان من أخبار(١٧٧) .

وأخيرا يلقى ابن عذارى أضواء باهرة على هذه المرحلة من تاريخ بطليوس فى ظل الحكم الموحدى ، وعلى الرغم مما يشوب هذه الفترة من تشابك فى الاحداث ، الا أن مؤرخنا بدقته وأمانته ، وصدق حاسته التاريخية قد فصـل تاريخ الدولة الموحدية ، مما مكننا من الاسـتفادة الى اقصى مدى فى الاحاطة بكل حوادث بطليوس ، ولهذا فاننى أعتبره من أهم المصادر التى اعتمدنا عليها فى التـــاريخ لهذا العصر الموحدى

---

(١٧٦) المصدر السابق ، ص ٧٧٩ ــ ٨١ .
(١٧٧) نفسه ، ص ٢٧٠ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وحتى سقوط بطليوس فى أيدى الليونيين ١٢٣٠م (٦٢٧ ـ ٦٢٨هـ) ٠

ابن صاحب الصلاة « تاريخ المن بالامامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين » :

هو أبو مروان عبد الملك بن أحمد بن محمد بن ابراهيم الباجى ، المعروف بابن صاحب الصلاة ٠ ويرجع أصله الى مدينة باجة الا أنه عاش فى اشبيلية واستوطنها مما جعـــل ابن الابار الذى ترجم له ، ينعتـه بالاشبيلى(١٧٨) ٠

ووظيفة صاحب الصلاة كانت احدى الوظائف التى ظهرت فى المجتمعات الاسلامية لتنظيم المجتمع الاسلامى وضبطه ، ومهمة صاحبهـــا امامة المسلمين فى الصلاة ٠ ومنبين هذه الوظائف وظيفة صاحب الاحبـــاس وصاحب المدينة وصاحب السوق ، وصاحب الرد وصاحب الشرطة وصاحب البريد وصاحب الخمس وصاحب المظلة ، وصاحب الوضوء وصـاحب السجادة وهاتان الوظيفتـان الاخيرتان لاتزال قائمتين بالمغـرب حتى يومنا هذا ٠ وقد ظهر لقب صاحب الصلاة منذ القرن الثالث الهجرى بدلا من لقب الامام منعا للالتباس امام المسلمين ويقصد به وليهم وحاكمهم وبين متولى صلاة المسلمين الذين يؤمهم ٠

وقد بدأ اسم عبد الملك ابن صاحب الصـلاة فى الظهور عام ٥٥٧هـ (١١٦١م) ، وكان ذلك فى مدينة قرمونة عندما تقدم ابن صاحب الصلاة الىالشيخ أبى محمد عبد الله ابن أبى حفص ، فاتح مدينـة قرمونة فى مسجد المدينة ، يهنئه بفتحه لها ، ثم تكرر ظهوره فى هذا العام ، عندما تقلد أحد المناصب فى مدينة قرطبة ، ورشح للكتابة فى دوائر الحكومة ، ولكنه اعتـذر عن قبول هذا المنصب ، ورغم اعتـــذاره الا انه اقام فى

---

(١٧٨) ابن صاحب الصلاة ، المن بالامامة ، ص ١٣ ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قرطبة مدة ، ظهـر فيهـا كأحد الكتـاب المشهورين ، وقد خرج فى هذا العام ضمن وفد كبير من كتاب اشبيلية ، لاستقبال السيدين ابى يعقوب وأبى سعيد فى ١٢ شوال من ذلك العام . ولم يظهر اسم ابن صـاحب الصلاة فيما بعد الا فى عام ٥٦٠هـ (١١٦٤م) عنـدما صـاحب السيد أبا سعيد والى قرطبة لمقابلة أخيه السيد أبى حفص فى جبـل طارق ، وورد اسم ابن صاحب الصلاة فى هذه المناسبة ضمن الشعراء الذين هنأوا بأشعارهم السيد أبا سعيد ، وكان مؤرخنا أحد هؤلاء الشعراء المهنئين ، وقد كان من نصيب ابن صاحب الصلاة أن يصحب السيد أبا حفص للقاء الخليفة أبى يعقوب يوسف بن عبد المؤمن فى مراكش . وهناك أقام فترة كافية ،تلقى خلالها العلم على أيدى كبار العلماء الذين كانوا يملأون البلاط الموحدى ، وشهد ابن صاحب الصلاة الاحتفال بانتصار الموحدين على ابن مردنيش يوم الاحد من ٢٣ ذو الحجـة عام ٥٦٠هـ(١١٦٥م) ويقال أن ابن صاحب الصلاة هو الذى تنبأ بهذا الانتصار(١٧٩) .

ثم عاد اسم ابن صاحب الصلاة الى الظهور مرة ثانية فى عام ٥٦٤هـ (١١٦٨م) عندما نصب الخليفة الموحدى ابو يعقـوب يوسف الشيخ أبا عبـد الله محمـد بن أبى ابراهيم واليا على غرناطة عام ٥٦٤هـ (١١٦٨م) ، وفى هذه السنة كان ابن صاحب الصـلاة واحدا من اكثر الناس اتصالا بالشيخ أبى عبد الله ، بحيث عد كاتم سره .

وفى سنة ٥٦٦هـ (١١٧٠م) يرحل ابن صاحب الصلاة الى مراكش ربما بصفة رسمية ليقدم تهانيه الى خليفة الموحدين أبى يعقوب يوسف بابلاله من مرضه . وظل ابن صاحب الصـلاة مقيما فى مراكش الى أن تأهب الخليفة أبو يعقوب للغزو فى الاندلس ، عندئذ تجهز ابن صاحب الصـلاة للعبـور الىالاندلس ، وقد وصف خلال هذه الرحلة حالات

---

(١٧٩) ابن صاحب الصلاة ، تاريخ المن بالامامة ، ص ١٨ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الاسعار ، التى تتعرض لها الاسواق المتنقلة مع الركب الخلافى ، كما روى قصة شيخ من أهل بطليوس خرج الى الخليفة الموحدى فى المهدية يستعطفه ويطلب منه قليلا من المال فبذل له الخليفة بذلا سخيا ومنحه مائتى دينار وثلاثمائة مثقال(١٨٠) ٠

ويتردد اسم ابن صاحب الصلاة مرة أخرى فى الاندلس عام ٥٦٧هـ (١١٧١م) عندما يقصد حصن بنيول ليطلب القوت فيشترى حبة تين بدرهم كامل ، ولكنها لم تسد رمقه ، فيمضى بعد ذلك الى بلنسية ٠

ثم يرحل ابن صاحب الصلاة الى مراكش ، ويلازم الخليفة فترة من الوقت ثم يعود من جديد الى الاندلس فى عام ٥٨٠هـ (١١٨٤م) ويواصل اتصاله بالبلاط الموحدى ، قبل استشهاد الخليفة أبى يعقوب يوسف ، فلما اعتلى المنصور الموحدى دست الخلافة لم يتردد فى تكريمه لكبر مكانته ، فلما شاخ اشركه فى الخطبة مع أبى الحكم عبد الرحمن بن حجاج بالجامع الاعظم من اشبيلية عام ٥٩٤هـ (١١٩٨م) ٠

ومن المرجح أن يكون ابن صاحب الصلاة قد ولد حوالى عام ٥٣٧هـ (١١٤٢م) كذلك لا نستطيع أن نحدد تاريخ وفاته على وجه الدقة ، ومع أن بعض المستشرقين أمثال بروكلمان وامارى وليفى بروفنسال يؤكدون أنه توفى فى عام ٥٧٨هـ (١١٨٢م) الا أننا لا نأخذ برأيهم استنادا على أن ابن صاحب الصلاة قد أرخ فى كتابه المن بالامامة لأحداث وقعت فى عام ٥٩٤هـ (١١٩٧م) وبالتالى فلا يمكن أن يكون قد مات فى عام ٥٧٨هـ (١١٨٢م)٠ويعتقد الدكتور عبد الهادى التازى لهذا السبب أن تكون وفاة ابن صاحب الصلاة قد حدثت فى أواخر المائة السادسة(١٨١) ٠ ومن أهم مصنفات ابن صاحب الصلاة بخلاف كتاب

---

(١٨٠) ابن صاحب الصلاة ، تاريخ المن بالامامة ، ص ٢١ ٠
(١٨١) المصدر السابق ، ص ٢٦ ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

«المن بالامامة»الذى رجعنا اليه ، واعتمدنا عليه فى بحثنا كتاب « ثورة المريدين »(١٨٢) . وتمتاز كتابات ابن صاحب الصلاة بالاسلوب البسيط المعبر الذى لا يخلو أحيانا من السجع ، ودقة السرد ، والصدق والامانة العلمية الفـــائقة مما جعله مؤرخا وأديبـــا فى ذات الوقت ، وان كانت تعبيرات البلاغيين تأخذه بعيدا فى بعض الاحيان فيتمادى فى الســجع ، وقد اهتم كذلك ، بالاستعانة بأبيات الشعر كلمـــا أمكنه ذلك(١٨٣) . وقد اتبع فى كثير من الاحيان عرض الاحداث طبقـــا للترتيب الحولى متبعا فى ذلك منهج الطبرى وابن الاثير ولكنه وجد أنها كثيرا ما تعوقه ، ولذلك فقد تناساها أحيانا كثيرة فى كتاباته(١٨٤) .

ويعد كتاب (المن بالامامة) من اهم المصادر التى يعتمد عليهـــا دارس هذه الفترة من تاريخ الدولة الموحدية ، ولذلك اعتمد عليه كل من ابن القطان فى كتابه « نظم الجمان » وابن عذارى فى البيـــان ، وابن الأبار فى الحلة السيراء وابن عبد الملك فى الذيل والتكملة وابن الخطيب فى الاحاطة وابن خلدون فى العبر والمقرى فى نفح الطيب . وقد ذكروه كمرجع من أهم مراجعهم ومن أمثلة ذلك أن ابن الأبار رجع الى كتـــاب ثورة المريدين لابن صاحب الصلاة عندما تعرض لذكر خبر أبى الوليـــد محمد بن عمر بن المنذر(١٨٥) .

وقد اعتمدنا على كتاب « المن بالامامة » اعتمادا خاصا منـــذ أن تناولنا بالدراسة تاريخ بطليوس فى عصر الخلافة الموحدية ، فهو المصدر الرئيسى الذى أمدنا بالمادة العلمية لهذا القسم من الدراسة ، فقد أوضح

---

(١٨٢) عن كتاب ثورة المريدين ، انظر مقدمة د . عبد الهادى التازى ، ص ٢٩ ــ ٣٤ ، وقد أشار اليه ابن الأبار فى الحـــلة الســيراء (جـ ٢ ، ص ٢٠٨) .
(١٨٣) جونثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٢٤٢ .
(١٨٤) المرجع السابق ، ص ٢٤٢ .
(١٨٥) ابن الأبار ، الحلة السيراء ، جـ ٢ ، ص ٢٠٨ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من خلال كتاباته الموقف فى الغرب الاندلسى عنـد دخول الموحدين الى الاندلس ، عندما بدأت مملكة البرتغال الناشئة تطمع فى ضم تلك المناطق النائية المتطرفة من بلاد المسلمين بالاندلس ، فأخذ الملك البرتغـالى الفونسو انريكث يوجه ضرباتهالمتتالية على ذلك الجنـاح الغـربى من الاندلس ، ويذكر ابن صاحب الصلاة أن سـيدراى بن وزير ، الزعيم الاندلسى الذى كان له الدور الهام فى تحطيم سـيادة المرابطين فى غرب الاندلس ، اقترح على الخليفة الموحدى عبـد المؤمن بن على أن يتجه بحملة كبيرة لصـد هذا الخطر البرتغـالى الى جانب توجيهه قوات مماثلة لصد الخطر النصرانى فى مملكتى ليون وبرشلونة(١٨٦) ٠

وقد رسم لنا ابن صاحب الصلاة صورة واضحة المعالم للفـارس البرتغالى المرتزق جيرالدو سمبافور المعروف فى المصادر العربية « بالعلج الذميم جراندة » وقد وضح لنا الكيفية التى تمكن بها جراندة من الاستيلاء على المدنالاسلامية واشار الى غدر هذا البرتغالى المغامر بمدينة ترجالة ثم يابرة(١٨٧) فقاصرش واستيلائه على حصن منتـانجش ، والحق أن كتاباته عن هذا الرجل كانت أساسية وضرورية لتكوين خلفية تاريخيـة صحيحة للاحداث التى كان يعيشها الغـرب الاندلسى ، وبطليـوس حاضرته ٠

وعرفنا من رواية ابن صاحب الصلاة أنه ورد على اشبيلية فى أواخر عام ٥٦٣هـ فرناندە صهرادفونش السليطن ملك قشتالة(١٨٨) (فرناندو رودريجث) صاحب ترجالة يطلب الدخول فى طاعة الموحدين(١٨٩) ٠

كما أفدنا كثيرا من الخبر الذى ساقه ابن صاحب الصلاة عن الصلح

---

(١٨٦) ابن صاحب الصلاة ، المن بالامامة ، ص ٢٢٠ ٠
(١٨٧) ابن صاحب الصلاة ، المن بالامامة ، ص ٣٧٣ ٠
(١٨٨) هو نفس الفونسو السابع المعروف بالفونسو ريمنـدس ملك قشتالة ٠
(١٨٩) ابن صاحب الصلاة ، المن بالامامة ، ص ٣٦٨ ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الذى تم بين الموحدين وبين فرناندة الثـــانى البيـــوج فى عام ٥٦٣هـ (١١٦٧م) والذى بمقتضاه أرسل الموحدون جيشا ليقـاتل الى جانب الفونسو ضد أعدائه من النصارى ، وكان أحد القادة الذين أرسلوا على رأس الجيش الموحدى أبو على بن تمصيلت الذى سيتولى بطليوس فى عام ٥٦٤هـ(١٩٠) (١١٦٨م) . وكان لهـذا الصلح أكبر الاثر فى دفاع فرناندة الثانى عن بطليوس عند تعرضها للهجوم البرتغـــالى فى ذلك العام(١٩١) .

ومما لا شك فيه أن التفاصيل التى أوردها ابن صاحب الصلاة عن أخبار جرانده أوجيرالدو سمبافور ساعدتنا على تتبع أخبار بطليوس فى هذه الحقبة مساعدة فعالة ، ذلك أن ابن صاحب الصلاة كان يتابع بسرد أخباره ومعاركه مع حكام الغرب وغاراته المتتالية واستيلائه على المؤن التى كانت تصل الى بطليوس بحيث حظيت هذه الفترة بنصيبها كاملا من البحث والتحقيق .

ويضاف الى ما سبق ، اشارة ابن صاحب الصـلاة الى اهتمـام الخليفة الموحدى أبى يعقوب يوسف بتحصين بطليوس فأعاد بنـــاء قصبتها ، وتأكد من وصول المياه اليها وامدها بالرجال والمؤن(١٩٢) ، لهذا كله اعتبرنا تاريخ المن بالامامة من أهم المصادر التى اعتمدنا عليها فى بحثنا هذا ، وهو مصدر قيم يمتاز بالصدق ، وفى اعتقادنا أنه لا غنى عنه عند التأريخ أو التعرض لهذه الفترة من التـــاريخ الاسلامى ، وهى فترة حاسمة عاصرها المؤلف وشاهد حوادثها بنفسه .

---

(١٩٠) المصدر السابق ، ص٣٧٠ .
(١٩١) نفس المصدر ، ص ٣٨٠ .
(١٩٢) ابن صاحب الصلاة ، المن بالامامة ، ص ٢٣٦ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عبد الواحد المراكشى « المعجب فى تلخيص أخبار المغرب » :

هو محيى الدين عبد الواحد بن على المراكشى ، ولد فى مراكش فى عام ٥٨١هـ (١١٨٥م) فى بدء خلافة أبى يوسف يعقوب المنصور الموحدى(١٩٣) ، ورحل من مراكش الى مدينة فاس وهو فى التاسعة من عمره ، حيث تتلمذ على العالم العظيم ابى بكر بن زهر(١٩٤) . ثم رحل الى الاندلس فى الثانية والعشرين من عمره وتلقى العلم هناك على أيدى علماء أندلسيين أجلاء ، نذكر منهم على سبيل المثال ابو جعفر الحميدى فى قرطبة حيث تتلمذ عليه مدة تقارب العامين . وفى عام ٦١٠هـ (١٢١٣م) عاد عبد الواحد المراكشى الى مراكش وشهد بيعة الخليفة الموحدى يوسف الثانى(١٩٥) ، ثم ترك مراكش بعد فترة وجيزة ورحل الى الاندلس للمرة الثانية ، وفى عام ٦١٣هـ (١٢١٦م) غادر المغرب والاندلس الى المشرق لأسباب غير معروفة وبدأ يطوف فى بلاد الاسلام المشرقية من مصر الى الحجاز الى الشام الى العراق(١٩٦) . وفى اثناء تجواله فى بلاد المشرق توطدت صلته بأحد الوزراء العباسيين الذى طلب منه أن يؤلف كتابه الموسوم بالمعجم ضمنه أخبار المغرب ، اقطاره ومدنه ، وملوكه خاصة الموحدين ، فاستجاب له عبد الواحد ، وانتهى

---

(١٩٣) انظر عبد الواحد المراكشى ، المعجب ، تحقيق محمد سعيد العريان ، ومحمد العربى العلمى ، ص ٣٦٠ (ترجمة المؤلف لنفسه) .

(١٩٤) ولد ابن زهر عام ٥٠٧هـ (١١١٣م) وتوفى فى عام ٥٩٥هـ (١١٩٨م) فى نفس العام الذى التقى به عبد الواحد المراكشى ، وكان ابن زهر قد بلغ وقتئذ من العمر نحو ثمانين عاما ، وكان ابن زهر طبيبا ، عالما ولغويا وشاعرا ذو نسب رفيع ومال كثير (انظر عبد الواحد المراكشى ، المعجب ، ص ٨٨ ، حاشية ٢) .

(١٩٥) عبد الواحد المراكشى ، المعجب ، ص ٣٢٦ ، التقديم ، ص ح . ويوسف الثانى هو يوسف بن محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ، بويع له بعد وفاة أبيه الناصر محمد فى شعبان سنة ٦١٠هـ (١٢١٣م) وعمره يومئذ ١٦ سنة (ارجع الى المعجب ، ص ٣٢٣) .

(١٩٦) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب ، ص ٢٢ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من كتابة المعجب عام ٦٢١هـ(١٩٧) (١٢٢٤م) .

ويتكون كتاب « المعجب فى تلخيص أخبار المغرب » من جزء واحد يشتمل على تاريخ المغرب والاندلس منذ الفتح الاسلامى للاندلس حتى نهاية عصر الموحدين ، وقد اعتمد عبد الواحد المراكشى فى الاخبار السابقة على عهده ، على بعض أخبار استقاها من الحميدى ، لم تصل الينا الا عن طريق عبد الواحد المراكشى .

ولعل رحلة عبد الواحد المراكشى الى المشرق ، وهى التى تسببت فى تصنيفه لكتابه المعجب كانت هروبا من بلاد المغرب لبعض الاسباب السياسية ، فما الذى يدفع رجلا مثل عبد الواحد المراكشى الى الهجرة والغربة ، والمعاناة والفقر والهم والاحزان ، وهو الذى كان ينتمى الى أسرة عربية عريقة فى المغرب ، بلغت من الثروة والجاه أن أتاحت له فى سن مبكرة أن يتجول فى بلاد المغرب والاندلس عدة مرات ، ولم يكن هذا الرحيل الى المشرق لأداء فريضة الحج ولا رغبة فى طلب العلم ، فلو كانت للحج لما تأخر عن اداء هذه الفريضة منذ عام ٦١٣هـ (١٢١٦م) وهو العام الذى بدأ فيه رحلته الى عام ٦٢٠هـ (١٢٢٣م) وهو العام الذى أدى فيه فريضة الحج(١٩٨) ، ولو أن هذه الرحلة كانت لطلب العلم لكنا قد لمحنا فى روايته ما يشير الى ما حصله واستوعبه من علوم خلال هذه الرحلة الطويلة أو على الاقل أسماء الشيوخ الذين أخذ عليهم فى الاقطار التى طاف بها .

ولا يعرف لعبد الواحد المراكشى أسماء مؤلفات أخرى ، ولكن بعض الباحثين يرون ان جودة أسلوبه واتسامه بالدقة والبلاغة دليل اكيد على

---

(١٩٧) عبد الواحد المراكشى ، المعجب ، ص ٣٧٦ ، السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب ، ص ٢٢ .

(١٩٨) انظر مقدمة محمد سعيد العريان ، والعلمى فى كتاب عبد الواحد المراكشى ، المعجب ، التقديم .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ان « المعجب » لم يكن أول مؤلفاته وانما كان أحد مؤلفات عديدة سبقته ، ويعلل البعض سر هذا الاسلوب القوى بأنه كان من كتاب الانشاء فى بلاط بعض أمراء الموحدين قبل أن تلقى به الاحداث الى المشرق(١٩٩) .

وقد قام دوزى بنشر هذا المصدر للمرة الاولى فى عام ١٨٤٧م من المخطوطة الوحيدة المحفوظة فى لندن رغم عدم كونها كاملة ، ولعلها قد جلبت من المشرق ، بعنوان The history of Almohades (٢٠٠) ، ثم طبع طبعتين أخريين فى مصر بدون تحقيق نقلا عن طبعة دوزى باسم « تاريخ الاندلس »(٢٠١) ، ثم أعاد دوزى نشره للمرة الثانية فى عام ١٨٨١م .

ثم قام المستشرق الفرنسى فانيان Fagnan بترجمته الى العربية فى عام ١٨٩٣م بالجزائر ، وقد أعاد الاستاذ محمد الفاسى المراكشى طباعته بمدينة فاس فى عام ١٩٣٨، ثم نشره الاستاذان محمد سعيد العريان ، ومحمد العربى العلمى بالقاهرة فى عام ١٩٥٠م . ومما لا شك فيه أن عبد الواحد المراكشى كان أحد ثلاثة مؤرخين عظام للدولة الموحدية بالاضافة اليه ابن عذارى وابن صاحب الصلاة ، ولهذا السبب فقد أخذنا من هذا المصدر الكثير من مادة الرسالة لاسيما ما يتعلق بالاحداث التى أحاطت ببطليوس طوال فترة الحكم الموحدى .

ومن أمثلة ذلك براعة المراكشى فى تصوير محاولة الخليفة الموحدى أبى يعقوب يوسف افتتاح شنترين،فقد أوضح كافة الظروف المحيطة بهذه الغزوة وانتهت بهزيمة المسلمين واصابة الخليفة بجراحه التى أدت الى وفاته(٢٠٢) .

---

(١٩٩) نفس المصدر السابق ، انظر التقديم .
(٢٠٠) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب ، ص ٢٣ .
(٢٠١) عبد الواحد المراكشى ، المعجب ، ص ٢٣ .
(٢٠٢) المصدر السابق ، ص ٢٥٩ - ٢٦١ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكان الخليفة أبو يعقوب يوسف قد غزا شنترين وكانت تابعة لمملكة البرتغال ، على أثر الهجمات المتكررة التى كان يشنها الفارس البرتغالى جيرالدو سمبافور على بطليوس ، وعلى أحواز اشبيلية ، وطريانة والشرف وشلوقة ، ولعب نصارى شنترين دورا هاما فى هذه الغزوات البرتغالية مما دفع الخليفة الى التفكير فىضرورة الاستيلاء على شنترين ليؤمن بطليوس والجوف من هذا الخطر الشديد ، كذلك أشار عبد الواحد المراكشى الى دخول بطليوس فى طاعة ابن هود فى أواخر عهد الموحدين(٢٠٣) ، وقد أفدنا كثيرا من المعجب ولاسيما ما يتعلق بفترة الدولتين المرابطية والموحدية . ولم يغفل عبد الواحد المراكشى بنى الافطس فخصهم بجانب كبير من اهتمامه،ووضح مكانةكل منالمظفروابنه المتوكل ابن الافطس فى مجال الادب والشعر والنحو وكتابة التاريخ(٢٠٤) ، كما أشار الى الكاتب أبى محمد عبد المجيد بن عبدون وزير المتوكل بن الافطس وقد مدح فى قصيدته التى رثا بها أسياده ملوك بنى الافطس عقب مقتل المتوكل وولديه العباس والفضل على أيدى المرابطين خارج أبواب بطليوس ، كما أورد لنا هذه القصيدة كاملة فى المعجب(٢٠٥) .

وهكذا خرجنا من رجوعنا الى هذا المصدر بحصيلة كبيرة من مادة الرسالة على الاخص فى عصر الطوائف وعصر دولتى المرابطين والموحدين.

---

(٢٠٣) عبد الواحد المراكشى ، المعجب ، ص ٣٣٥.وابن هود هو سيف الدولة أبو عبد الله محمد بن يوسف من سلالة بنى هود الجذاميين ، أصحاب سرقسطة ، استقل بشرق الاندلس ، ودانت له ماردة وبطليوس وقرطبة والمرية وجيان سنة ٦٢٥هـ (١٢٢٧م) وتلقب بالمتوكل على الله واتخذ السواد شعارا له ، ثم ضم اليه اشبيلية فى سنة ٦٢٩هـ (١٢٣١م) . وتعرض ابن هود لمؤامرة لقتله دبرها له وزيره ابن الرميمى فى المرية فى سنة ٦٣٥هـ (١٢٣٧م) ودفن بمرسية (ابن خلدون جـ ٤ ، ص ، ١٦٩ ـ المقرى ، نفح الطيب ، جـ ٦ ، ص ٢٠٨) .

(٢٠٤) المصدر السابق ، ص ٧٥ .

(٢٠٥) نفسه ، ص ٧٥ ـ ٨٩ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ابن أبى زرع (توفى فى منتصف القرن الثالث الهجرى) « روض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس » :

هو على بن محمد بن أحمد بن عمر بن أبى زرع الفاسى ، وكان معاصرا لدولة بنى مرين ، فقد عمل كاتبا للسلطان المرينى الخامس أبى سعيد عثمان المرينى (٧١٩ – ٧٣١هـ) (١٣١٩ – ١٣٣٠م)٠ويرى الدكتور السيد عبد العزيز سالم أنه بالرغم من أن كتابه الانيس المطرب « بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس » من أهم مصادر تاريخ المغرب لاشتماله على أخبار هامة عن تلك البلاد منذ قيام دولة الادارسة وتأسيس فاس حتى عصره ، الا أنه تشوبه الكثير من الاخطاء التاريخية فى كثير من الاحيان ، وقد ضرب لنا الدكتور عبد العزيز سالم مثلا لهذه الاخطاء ، وهو أن ابن أبى زرع نسب بناء مدينة مراكش خطأ الى يوسف بن تاشفين فى حين أنها من بناء أبى بكر بن عمر اللمتونى(٢٠٦) ٠

ويتفق معه فى ذلك الاستاذ الدكتور أحمد مختار العبادى الذى يذكر أن عددا كبيرا من المؤرخين القدامى والمحدثين قد ينتقدون ابن أبى زرع بسبب هذه الاخطاء ويتهمونه بالكذب والتلفيق ، ومن المؤرخين القدامى ، أحد الكتاب المعاصرين له وهو الخطيب أبو عبد الله بن مرزوق صاحب كتاب « المسند الصحيح الحسن فى مآثر أبى الحسن »(٢٠٧)

---

(٢٠٦) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب ، ص ٢٨ ٠

(٢٠٧) جاء فى المسند الصحيح الحسن فى مآثر ومحاسن مولانا أبى الحسن لمحمد بن مرزوق التلمسانى (تحقيق ماريا خيسوس بيغيرا ومحمود بوعياد ، الجزائر ١٩٨١ ، ص ١٠٨ – ١٠٩ قوله « فبنو مرين (أعزهم الله) أعلام زناتة ورؤساؤها وكبار قبائلها وعظماؤها وقد وقفت قديما على رفع نسبهم فى زنانة، وقرأت بين يدى المولى المرحوم (يقصد أبى الحسن المرينى) ما كتبه ابن أبى زرع فى ذلك،ومنهم سمعت (قدس الله روحهم) أن كثيرا من أخبار ابن أبى زرع انكرها والدهم المرحوم المولى أبو سعيد وأكذبه فيما أدركه بما حكاه على خلاف ما وقع عليه » ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومن المؤرخين المحدثين انتقده كل من دوزى وبونس بويجس واويشى ميراندا(٢٠٨) .

وقد نسب البعض كتاب روض القرطاس الى صالح بن عبد الحليم الغرناطى الذى عاش ومات فى المغرب مثل ابن أبى زرع فى النصف الاول من القرن الثامن الهجرى ، ولم يكن « روض القرطاس » المصدر الوحيد لابى أبى زرع الذى استفدنا منه ، فهناك مصنف آخر له رجعنا اليه فى الرسالة وهو « الذخيرة السنية فى تاريخ الدولة المرينية » .

أما روض القرطاس وهو المصدر الذى أفدنا منه الى حد كبير عند سردنا للاحداث التى جرت فى غرب الاندلس فى عهد الدولة الموحدية فيشتمل على تاريخ لكل من دولة الادارسة وزناته (المغراويين ، اليفرنيين) ثم دولتى المرابطين والموحدين واخيرا دولة بنى مرين .

وكان ابن أبى زرع قد أورد أخبار بعض المراسلات التى دارت بين ابن عباد ويوسف بن تاشفين قبل عبور الاخير الى الاندلس ، ووضح كيف كان ابن عباد أول من استقبل الامير المرابطى من ملوك الطوائف(٢٠٩) .

كذلك ذكر ابن أبى زرع اسم المتوكل عمر بن الافطس بين امراء وملوك الطوائف الذين عزموا على الاشتراك مع أمير المرابطين فى قتاله

---

(٢٠٨) Pons Boigues, Op. Cit., P. 421 — Huici Miranda, La Salida de los Almoravides del desierto, Hesperis, 3-4, trimestres 1959, P. 159.
أحمد مختار العبادى ، دراسة حول كتاب الحلل الموشية ، مجلة تطوان ، العدد الخامس ١٩٦٠ ، ص ١٤٢ ، هامش ٢١ ـ فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٥٥٩ .

(٢٠٩) ابن أبى زرع ، روض القرطاس ، ص ٩١ ـ ٩٣ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ضد الملك الفونسو السادس فى موقعة الزلاقة(٢١٠) . وقد أوضح كذلك كيف استقر ابن تاشفين فى بطليوس اياما حتى أحس بوصول الفونسو ومتجها الى بطليوس بعد تركه حصار سرقسطة(٢١١) ، فارتحل الى سهل الزلاقة حيث دارت المعركة . ويسوق ابن أبى زرع رواية متضمنة الاشارة الى أن المعتمد بن عباد ومعه المتوكل بن الافطس وبقية ملوك الطوائف نزلوا بمنطقة بها ربوة حاجزة لمفاجأة العدو وارهابه ، وقد اعتمد الاستاذ مانويل البران على هذا النص، وقد استخلصنا من هذه الرواية أن يوسف بن تاشفين كان من الذكاء بحيث أحسن استغلال طبوغرافية المكان لصالح جند المسلمين .

والواقع أن كتاب روض القرطاس كان أحد المصادر الهامة التى عرفنا من خلالها تفاصيل موقعة الزلاقة وأدق دقائقها من ترتيب الجيوش ووضع جيوش الاندلس ودورهم ودور القائد المرابطى داوود بن عائشة فيها (وهو الذى وصفه ابن أبى زرع بأنه لا نظير له فى الحزم والادارة)(٢١٢) ودور ابن الافطس وقواته من بداية المعركة حتى نهايتها .

كما يحدثنا ابن أبى زرع عن حصار يوسف بن تاشفين لحصن لييط وفشله فى الاستيلاء عليه مما كان له أكبر الاثر فى استياء ابن تاشفين من ملوك الطوائف فى الاندلس ، وفى تصميمه على ضرورة خلعهم عن عروشهم(٢١٣) .

ويتابع ابن أبى زرع سرد أحداث الفترة التى سبقت الاحتلال المرابطى لشبه الجزيرة ، ولكنه لم يوضح ما اذا كان يوسف بن تاشفين

---

(٢١٠) المصدر السابق ، ص ٩٤ .
(٢١١) نفسه ، ص ٩٤ .
(٢١٢) ابن أبى زرع ، روض القرطاس ، ص ٩٤ ، ٩٥ .
(٢١٣) المصدر السابق ، ص ٩٩ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هو الذى أمر قائده سير بن أبى بكر بفتح اشبيلية وبطليوس بعد استيلائه على غرناطة ، أم أن سير قد توجه من تلقاء نفسه لفتحها(٢١٤) .

ومن الجدير بالذكر أن ابن أبى زرع هو المؤرخ الوحيد الذى انفرد بذكر استيلاء النصارى على بطليوس من أيدى المرابطين عقب وفاة ابن الافطس ، ثم استردها سير بن أبى بكر عام ٥٠٤هـ (١١١٠م) كما نجح فى استرداد يابرة(٢١٥) ، وكان الاستاذ محمد عبد الله عنان قد انتقد هذا الخبر الذى ساقه صاحب روض القرطاس ولكن أحد المراجع الاسبانية المتخصصة وهو كتاب تاريخ مملكة بطليوس :

«Historia del Reino de Badajoz» للمؤرخ Martinez y Martinez

يؤكد هذا الخبر استنادا الى عدد من المدونات المسيحية الاسبانية والبرتغالية التى أجمعت على أن بطليوس وقعت فى أيدى البرتغاليين عقب دخولها فى طاعة المرابطين(٢١٦) . واتفاق المصادر المسيحية على وقوع هذا الحادث يدعونا الى الاخذ بهذه الرواية .

وقد أشار ابن أبى زرع(٢١٧) الى جهود الامير تاشفين بن على فى منطقة الغرب التى كانت تتعرض دائما لغارات الممالك المسيحية المجاورة ، من ذلك اشارته الى خروج الامير تاشفين بن على عام ٥٢٨هـ (١١٣٣م) الى منطقة الغرب حيث استولى على قنطرة محمود ، وان كان هذا الخبر يختلف مع ما أورده ابن القطان(٢١٨) الذى يؤكد أن تاشفين فى هذا العام استولى على حصن انطاطة وليس قنطرة

---

(٢١٤) نفسه ، ص ١٠٠ .
(٢١٥) نفسه ، ص ١٠٥ .
(٢١٦) Martinez y Martinez, Historia del Reino de Badajoz, P. 184.
(٢١٦) ابن أبى زرع ، روض القرطاس ، ص ١٠٧ .
(٢١٨) ابن القطان ، نظم الجمان ، ص ٢٠١ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

محمود ، وايا ما كان الامر ، فان ما أورده ابن أبى زرع رغم اختلافه عن نص ابن القطان يشير الى أن الامير تاشفين كان مهتما بتحصين منطقة الغرب وتأمينها ٠

وقد افادنا هذا المصدر الى حد كبير فى معرفة الظروف التى ظهرت فيها الدعوة الموحدية ، فقد افاض ابن أبى زرع فى عرضه لأحوال الدولة المرابطية فى هذه الفترة التى أخذت فيها الدعوة المهدوية فى الظهور والانتشار(٢١٩) ٠

وقد رجعنا الى روض القرطاس عند حديثنا عن غزوة شنترين عام ٥٨٠هـ (١١٨٤م) وكانت روايته من أكثر الروايات التاريخية تفصيلا عن هذه الموقعة(٢٢٠) ٠ ولم يغفل ابن أبى زرع الاشارة الى غزوات النصارى فى منطقة غرب الاندلس فى عهد الخليفة المنصور ، وان كانت أخباره يشوبها بعض الاخطاء ، والمبالغة(٢٢١) ٠

ولم يكف هذا المصدر عن اسعافنا بالمادة العلمية وتزويدنا بالنصوص التى اعتمدنا عليها فى كتابنا لما تبقى من عصر الدولة الموحدية ، فقد افدنا من روايته لهزيمة المسلمين فى قصر أبى دانس عام ٦١٤هـ (١٢١٧م) أمام جيوش مملكة البرتغال(٢٢٢) ٠ وكرر ابن أبى زرع احداث قصر أبى دانس فى كتابه الذخيرة السنية(٢٢٣) ، وان كانت بعض نصوصه فيما يتعلق بالصراع الاسلامى/المسيحى ، على هذه المدينة تتضمن بعض التحريف والخطأ مما يؤكد ما سبق أن ذكرناه فى بدء حديثنا من أن ابن أبى زرع رغم أهميته ومعالجته لعصر دولتى المرابطين والموحدين

---

(٢١٩) ابن أبى زرع ، روض القرطاس ، ص ١١٠ - ١٣٣ ٠
(٢٢٠) المصدر السابق ، ص ١٤٠ ٠
(٢٢١) نفسه ، ص ١٤٤ ٠
(٢٢٢) نفسه ، ١٤٤ ٠
(٢٢٣) ابن أبى زرع ، الذخيرة السنية ، ص ٥٠ ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الا انه لا يعد مصدرا موثوقا به تمام الثقة ، فعلى الباحث ان يلتزم الحذر والحيطة فى تناوله وأخذه لأخبار ابن أبى زرع ، كما يجب عليه مقارنتها دائما بما يعاصره من مؤرخين .

البيذق ، « كتاب أخبار المهدى بن تومرت » :

صاحب الكتاب هو أبو بكر بن على الصنهاجى الملقب بالبيذق ، وقد تغلب هذا اللقب على اسمه الى حد أنه كان يضطر فى كثير من الاحيان الى كتابة لقبه هذا فى كتابه كلما أراد التحدث عن نفسه .

و « البيذق » هذه كلمة تستخدم فى بلاد المغرب كصفة يوصف بها من كان قصير القامة تشبيها له باحدى قطع لعبة الشطرنج ، واحيانا تستخدم بصيغة التصغير فيقال « البويذق » .

ولم يكن البيذق من كبار الشخصيات ، أو ممن شغلوا مناصب سياسية هامة فى دولة ابن تومرت ، وانما كان يقوم ببعض المهام البسيطة أثناء مصاحبته للمهدى بن تومرت ، فكان بمثابة وصيف للمهدى أو خادم خاص له يرعى فراشه ويحمل له السراج عندما يشرع فى القراءة بخيمته ... الخ(٢٢٤) . ولم تكن علاقة البيذق بالمهدى تقتصر على هذه الخدمات فقد كان البيذق أحد تلاميذ المهدى . ويؤكد البيذق ذلك فى كتابه فيذكر كيف أنه كان جالسا مع بعض أصحابه فدخل عليهم المهدى، وتساءل قائلا « أين الصبيان » فأجابوا جميعا ها نحن حاضرون بما فيهم البيذق(٢٢٥) .

ويرى البعض أن البيذق بعد وفاة المهدى قام بالانضمام الى جماعة

---

(٢٢٤) البيذق ، أخبار المهدى بن تومرت ، تقديم وتعليق وتحقيق عبد الحميد حاجيات ١٩٧٤ ، ص ١١ المقدمة .
(٢٢٥) المصدر السابق ، ص ٥٢ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الحفاظ الذين كانوا يبثون تعاليم الدعوة الموحدية فى جميع أنحاء البلاد(٢٢٦) .

ومن المرجح أن يكون مولد البيذق قد حدث فيما يقرب من عام ٤٩٠هـ (١٠٩٦م) ووفاته فى عام ٥٥٥هـ (١١٦٠م) ولذلك فمن المعتقد أن كتاب « أخبار المهدى ابن تومرت » لم يكن كله من تأليفه ، وأن ماصنفه البيذق منه ينتهى عند أحداث عام ٥٥٠هـ (١١٥٥م) ، أما بقية الكتاب فمن تأليف كاتب آخر ، ويؤكد هذا الاعتقاد اختلاف المنهج والاسلوب وطريقة عرض الاحداث فى هذا الجزء المتبقى من الكتاب عن الجزء الأول(٢٢٧) .

ويستعرض البيذق فى القسم الاول من كتابه أحداثا هامة من اهمها عودة المهدى ابن تومرت الى بلاد المغرب ليدعو بدعوته الموحدية التى كان أساسها اصلاح الاسلام وقيام دولة جديدة أساسها الامر بالمعروف والنهى عن المنكر بدلا من دولة المرابطين ، وفيه يذكر البيذق اهم المواضع التى زارها المهدى كما يذكر أسماء الطلاب الذين يقبلون على التتلمذ له .

أما فى القسم الثانى من الكتاب فانه يوضح الظروف والملابسات التى أحاطت بوفاة المهدى ، ثم بيعة عبد المؤمن من بعده ، وما تلا هذه البيعة من علو شأن عبد المؤمن وتعاظم نفوذه ، وضعف سلطان المرابطين أمام سلطانه ، بحيث انتهى الامر بسقوط مراكش حاضرة المرابطين فى أيدى الموحدين ، وفتح بجاية بعد ذلك ، وتخلص عبدا لمؤمن من جميع المعارضين له .

أما القسم الثالث من الكتاب فقد ضمنه أخبار اهم الثائرين على

---

(٢٢٦) نفسه ، ص ١١ .
(٢٢٧) البيذق ، أخبار المهدى بن تومرت ، ص ١٥ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الموحدين فى كل من المغرب والاندلس موضحا أحداث الاندلس بشىء من التفصيل مثل ثورة ابن مردنيش ونهاية هذه الثورة ، ونهـاية جراندة الجليقى ، وجهاد يوسف بن عبد المؤمن فى الاندلس .

ويختلف منهج البيذق اختلافا كبيرا عن غيره من المؤرخين القدامى الذين أرخوا لدولة الموحدين ، فقد عاصر نشأة تلك الدولة ، وكان شاهد عيان لكل وقائعها ، ولهذا السبب اعتمـد بوجه خاص على الذاكرة دون المصادر المدونة فى تسجيل هذه الوقائع ، فهو يقص ما شاهده ويروى ما عاينـه وما سمعه الامر الذى دعا الباحثين الى وصف كتـاباته بالدقة والبســـــاطة لخلوها من أقوال المؤرخين وتضـــــارب الروايات المختلفة(٢٢٨) .

ويزخر الكتاب بأسماء الاماكن والانهار والقبائل والمدن الى جانب العديد من أسماء أعلام مغمورين ، فكان البيذق بذلك من قلائل المؤرخين الذين اهتموا بالتاريخ للانسان العادى البسيط الذى لم يرتفع الى منصب حكم أو سياسة .

وقد آمن البيذق بعصمة الامام المهدى بن تومرت ، وحاول تأكيد هذا الاعتقـاد بصور متعـــددة ، فمن تسجيل بعض الاساطير ، وذكر الروايات الخيالية وتدعيم قوله ببعض الآيات القرآنية . هذا الايمـان الشديد بعصمة المهدى بن تومرت الذى نتبينه من خلال كتابات البيـذق انما يعكس روح ذلك العصر ، فالناس كانوا منقادين ، انقيـــادا تاما لحكامهم ، الى جانب خوفهم من بطش هؤلاء الحكام وقسوتهم اذا ما انقلبوا عليهم ، وقد انفرد البيذق بذكر مثل من الامثلة الدالة على قسوة المهدى بن تومرت على أعداء دعوته حين أصـدر أوامره بقتـل عشرات

---

(٢٢٨) البيذق ، أخبار المهدى بن تومرت ، المقدمة ، ص ٢٠ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الآلاف من المعارضين له ، وقد سمى البيذق هذا الحـــادث بحـــادثة الاعتراف(٢٢٩) .

ويتميز أسلوب البيذق بالبساطة مع القوة ، ويخلو من اســاليب البلاغة كالمحسنات البديعية والكنايات والاستعارات ، وكثيرا ما استعمل البيذق بعض الكلمات المستخدمة فى اللهجة الشعبية سواء كانت عربيــة أم بربرية .

ورغم هذه المفـردات الشعبية الا أن أسلوب البيذق قد يتسم عامة بالقوة والدقة والبساطة فى آن واحد . أما ما أضيف الى ما ألفه البيذق ، وهو الجزء الذى كتبه مؤلف آخر بعد وفاة البيذق فيحمل عيوبا عديدة من ايجاز واقتضاب الى غموض فى وصف الاحداث ، ممــا يؤكد الرأى القائل بأن مؤرخا آخر بخلاف البيذق هو الذى قام بتأليف هذا الجــزء المتبقى من الكتاب .

وقد رجعنا الى البيذق عند تعرضنا للحديث عن بداية ظهـــور الدعوة الموحدية على يد المهدى ، وكيف انتهت هذه الدعوة المنـــاوئة للدولة المرابطية بقيـام دولة قوية ارتفعت على أنقاض دولة المرابطين المنهارة وورثت كل ممتلكاتها فى المغرب والاندلس .

كما رجعنا اليه عند تأريخنا لوفاة ابن الحجام والى بطليوس من قبـــل الدولة الموحدية ، ويسوق البيـــذق خبر استشهاد ابن الحجــام وابن وزير وابن عزون فى معــركة خاضوها مع ثوار الاندلس فى الشرق وهم ابن مردنيش وابن همشك وحلفائهم من النصــارى بقيــادة العلج الذميم مدار الاقرع ، ولكن البيذق لم يحدد لنا التاريخ والعام الذى جرت فيه هذه الموقعة واسفرت عن مقتل محمد بن على بن الحجام ، ويذكر

---

(٢٢٩) المصدر السابق ، ص ٢٢ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الاستاذ عبد الحميد حاجيات ، محقق الكتاب أن هذه الموقعة دارت عام ٥٥٧هـ (١١٦١م) بعد استرجاع ابن سعيد لمدينة قرمونة وقبل استيلاء ابن همشك وابن مردنيش على غرناطة(٢٣٠) .

وبالرجوع الى ابن عذارى تبين لنا أن هذه الموقعة التى لم يحدد لها البيـــذق تاريخا قد وردت فى البيـــــان تحت أحداث عام ٥٥٢هـ (١١٥٧م) وليس ٥٥٧هـ (١١٦١م) كمـا ذكر الاستاذ عبد الحميـــد حاجيـــات ، وعلى هذا النحـــو يؤكد ابن عذارى الخبر الذى ذكره البيذق ، ولكنه لا يشير الى مصرع ابن وزير فى هذه الموقعة ، وقد رفضنا هذا الخبر الذى أورده البيذق بشأن مقتـــل ابن وزير وأخذنا برواية ابن عذارى لأن اسـم ابن وزير سيتردد كثيرا فى الاحداث التالية ممـــا يؤكد ، صحة رواية ابن عذارى ، وخطأ البيذق(٢٣١) .

كذلك رجعنا الى البيذق عند حديثنا عن نهاية الفـارس جيرالدو سمبافور الذى كان قد التجأ الى خليفة الموحدين بمراكش طالبا الدخول فى خدمته ، ولكنه خانه وحاول الاتصـال بملكه السـابق انريكى ملك البرتغال فكان جزاءه القتل(٢٣٢) .

وقد أخذنا من البيذق الى حد كبير ، لاسيما فيما يتعلق بالأحداث التى وقعت فى بطليوس فى أواخر عهد ابن الحجام ووفاته .

---

(٢٣٠) البيذق ، أخبار المهدى بن تومرت ، حاشية ٦ ، ص ١٤٨ .
(٢٣١) ابن عذارى ، البيان ، القسم الثالث ، ص ٣٨ .
(٢٣٢) البيذق ، أخبار المهدى بن تومرت ، ص ١٦٨ ، ١٦٩ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الحلل الموشية فى ذكر الاخبار المراكشية لمؤلف أندلسى مجهـول من أهل القرن الثامن الهجرى :

لم يسجل مؤلف هذا الكتاب الهام اسمه على كتابه ، ولكنه ذكر أنه انتهى من تأليفه يوم الخميس ١٢ ربيع الاول عام ٧٨٣هـ (١٣٨١م) ، أى فى عصر السلطان محمد الخامس الغنى بالله ، سلطان غرناطة ، وأبى زيد بن عبد الرحمن بن أبى الحسن المرينى سلطان المغرب(٢٣٣) .

ولقد حاول بعض المؤرخين المغاربة نسبة هذا المصدر الهام الى أديب مالقى اسمه ابو عبيد الله بن أبى المعالى بن السماك العاملى ، الذى كان يعيش فى أواخر القرن الثامن الهجرى ، ويرى د . أحمد مختار العبادى والاستاذ عبد القادر زمامة انهم لم يدعموا افتراضهم هذا بالادلة ، مما دفعهم الى رفض هذا الافتراض وطرحه جانبـــا . كذلك نسبه المؤرخ بشـير الفرتى الذى كان قد طبع هذا المصدر الهام عام ١٩١٠ فى تونس الى الوزير لسان الدين بن الخطيب ، ولكن لما كانت وفاة هذا الوزير الغرناطى سبقت تاريخ تأليف هذا الكتـاب بنحو سبع سنوات فقد أصبح هذا الرأى قائما على غير أساس(٢٣٤) .

ولـكن الدكتـــورة ماريا خيسـوس ريبيرا ترجح فى بحث نشرته بالفرنسية بعنـوان « حول مؤلف محتمـل لمدونة الحلل الموشية » نسبة هذا الكتاب « الحلل الموشية » الى نفس مؤرخ كتاب « الزهرات المنثورة فى نكت الاخبار المأثورة » وهو محمد بن ابى المعالى بن السماك العاملى الذى سبق للدكتور مختار العبادى ، ود . عبد القادر زمامة أن رفضـا

---

(٢٣٣) أحمد مختار العبادى ، دراسة حول كتاب الحلل الموشية فى ذكر الاخبـــار المراكشية وأهميته فى تاريخ المرابطين والموحدين ، مجلة تطوان ، العدد الخامس ، ١٩٦٠ ، ص ١٣٩ ، وكتابه فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٥٥٦ .

(٢٣٤) أحمد مختار العبادى ، فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٥٥٦ ، ٥٥٧ ـ انظر التقديم فى الحلل الموشية ، ص ٩ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فكرة تأليفه للحلل الموشية(٢٣٥) . ثم قام الاستاذ الدكتور محمود على مكى أخيرا بتقديم دراسة تحليلية فى غاية الدقة ، قدم بهـا لكتـاب « الزهرات المنثورة فى نكت الاخبار المأثورة » وعالج فيهـا الحجج ، التى ساقتها الدكتورة ماريا خيسـوس مع دراسة مقـارنة لكتـابى « الزهرات » و « الحلل » أيد فيها رأى الدكتورة ماريا خيسوس فى أن الكتابين يمكن أن ينسبا لمؤلف واحد هو محمد بن أبى العلاء محمـد بن سماك العاملى(٢٣٦) .

ويبدأ كتاب الحلل الموشية بالحديث عن تأسيس مدينـة مراكش ولكن المؤرخ صاحب هذا الكتاب لم يقصد بكتابته التأريخ لمراكش وحدها أو سرد الاخبـار المراكشية التى تتعلق بهذه المدينة العظيمة التى كانت حاضرة المرابطين والموحدين ، والتى حفلت وامتـلأت بذخائر الفن والآثار ، فقارىء هذا الكتاب لن يجد ما يهمه من أخبـار مراكش عن قصورها ومساجدها وحماماتها وبيمارستاناتها وأسواقها وخططها ، ولا عن قواعد بنائها فبرغم من أن هذا الكتاب يحمل عنوانا عن مراكش ، يمكن أن يضعه ضمن قائمة الكتب التى تتحدث وتتناول تاريخ المدن ، الا أن الكتاب يتناول تاريخا عاما ، وذكر تاريخ عدة دول ، وليس تاريخ مدينة مراكش(٢٣٧) .

وقد تناول صاحب الحلل الموشية بالبحث والسرد والتفصيل تاريخ دولتى المرابطين والموحدين معتمدا على العديد من المصـادر الهـامة

---

(٢٣٥) Maria Jesus Rubiera, Sur un possible auteur de la chronique intitutée Al-Hulal al Mowasiyya fidkir al ajbar al Murrakusiyya, en II coloquio hispano — Tunecino de estudios Arabes, Madrid — Barcelona, Mayo, 1972, 143-146.

(٢٣٦) محمود على مكى ، الزهرات المنثورة فى نكت الاخبار المأثورة لابن سماك العاملى ، مجلة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية ، العدد العشرين ، ١٩٨٠ ص ٣٥ - ٤١ .

(٢٣٧) الحلل الموشية ، انظر التقديم ، ص ٤ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المعاصرة ، ذكر أسماء أصحابها ومنهم أبو زكريا يحيى بن محمد بن يوسف الانصارى الغرناطى المعروف بابن الصيرفى (ت عام ٥٧٠هـ) (١١٧٤م)(٢٣٨) ، وأبى الحسن الكتامى المعروف بابن القطان ، صاحب كتاب « نظم الجمان فى أخبار الزمان » ، والجغرافى الاندلسى عبيد الله البكرى المتوفى عام ٤٨٧هـ (١٠٩٤م) والبيذق صاحب كتاب المهدى بن تومرت ، وابن صاحب الصلاة(٢٣٩) ، ومحمد بن الخلف وابن بجير ، وأبو يحيى بن اليسع .

ولقد طبع هذا الكتاب لأول مرة فى تونس عام ١٩١٠ ، ولكن هذه الطبعة كانت مليئة بالأخطاء ، وأصاب نصه السقوط والبتر فى أماكن فى أماكن مختلفة ، ولم يلحق به فى هذه الطبعة أية فهارس ولا تحقيقات ولا حواشى ، مما جعل أحد الاساتذة المغاربة ويسمى ى . س . علوش يعيد طباعته بالرباط عام ١٩٣٦ ، وجاءت هذه الطبعة أفضل من الاولى الى حد ما ، وقد ألحق بالكتاب بعض الفهارس ، ولكن رغم جمال المظهر الخارجى لهذه الطبعة الا أن المضمون كان متناقضا مع المظهر كل التناقض ، فقد كانت الطباعة للمرة الثانية مليئة بالاخطاء والتحريف . وأخيرا اشترك كل من الاستاذين سهيل زكار وعبد القادر زمامة فى تحقيق ونشر الحلل الموشية بصورة جيدة ومتقنة فى عام ١٩٧٨ ، وكان المستشرق الاسبانى اويثى ميراندا قد أصدر الترجمة الاسبانية لهذا الكتاب فى عام ١٩٥٢ بمدينة تطوان من بين منشورات معهد الجنرال فرانكو(٢٤٠) .

---

(٢٣٨) كان ابن الصيرفى كاتبا للامير تاشفين بن على بن يوسف ، ومن كتبه التى ألفها كتاب « الانوار الجلية فى أخبار الدولة المرابطية » (انظر السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب ، ص ٢٤) .

(٢٣٩) أحمد مختار العبادى ، دراسة حول كتاب الحلل الموشية ، ص ١٤٠ ، ١٤١ ، فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٥٥٧ - السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب ، ص ٢٤ .

(٢٤٠) انظر الحلل الموشية ، التقديم ، ص ٩ ، ١٠ - السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب ، ص ٢٤ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكتاب الحلل الموشية من أهم المصادر التى اعتمدنا عليها للتأريخ لدولتى المرابطين والموحدين ، وقد تناول بالاشارة والحديث أيضا أخبار المتوكل عمر بن الافطس قبيل السيطرة المرابطية على الاندلس ، بل اننا اعتمدنا على كتاب الحلل الموشية ، فى اثبات أن المتوكل عمر بن الافطس لم يكن بالملك الخائن أو المتواطىء مع العدو المسيحى منذ البداية ، بل أنه حاول بقدر امكانه انقاذ الاندلس من العدوان القشتالى/ الليونى ، فوفقا للروايات التى أوردها صاحب كتاب الحلل الموشية ، اثبتنا أن المتوكل ابن الافطس ، كان أول من بادر من ملوك الطوائف ، بارسال رسالة استغاثة الى الامير المرابطى يوسف بن تاشفين ، وذلك فى عام ٤٧٤هـ (١٠٨١م) أى قبل سقوط طليطلة ٤٧٨هـ (١٠٨٥م) أى أنه سبق المعتمد بن عباد فى تحركه لانقاذ الاندلس ، فى حين أن المعتمد ، لم يبدأ اتصاله بيوسف ابن تاشفين الا بعد سقوط طليطلة ، ونص هذه الرسالة قد أورده صاحب الحلل الموشية كاملا(٢٤١) ، كما أورد صاحب الحلل نص الرسالة التى رد بها المتوكل عمر بن الافطس على الرسالة التى وجهها اليه الفونسو السادس ، وكان يهدده فيها ويتوعده ان لم يبادر بالتسليم له(٢٤٢) .

ويعتبر صاحب الحلل الموشية من أعظم من كتب عن مقدمات الفتح المرابطى للاندلس ، فقد وضح دور ملوك الطوائف فى استقدام اللمتونيين الى بلادهم لانقاذها من الخطر المسيحى المتربص بها ، كما سجل وصف استقبال هؤلاء الملوك للامير يوسف بن تاشفين ، بعد طول انتظار(٢٤٣) ، ثم فصل أخبار موقعة الزلاقة ، ودور ابن الافطس فيها ، ولم يترك شاردة ولا واردة فيما يتعلق بواقعة الزلاقة بما فى ذلك الاساطير والروايات الخرافية التى انتشرت قبيل حدوث الموقعة مثل

---

(٢٤١) الحلل الموشية ، ص ٣٥ .
(٢٤٢) المصدر السابق ، ص ٣٦ .
(٢٤٣) نفسه ، ص ٥٢ ، ٥٣ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الرؤيا التى ظهرت للملك الفونسو السادس(٢٤٤) . كذلك سجل فى صورة حية فرحة ابن الافطس بانتصار المسلمين فى الزلاقة ومبادرته بارسال نبأ هذا الانتصار الى أهل مملكة بطليوس ليشاركوه فرحته بهزيمة العدو(٢٤٥) .

كما استنتجنا من أحد الاخبار التى أوردها صاحب الحلل الموشية أن الامير على بن يوسف زود بطليوس بعدد من أجناد المرابطين استنادا الى أنه وزع أربعة آلاف جندى على الثغور ، ولما كانت بطليوس من المناطق الثغرية ، فمن المؤكد أن تكون قد نالت نصيبا من هذه الآلاف الاربعة(٢٤٦) .

كذلك أوضح صاحب الحلل الاسباب التى حملت الامير تاشفين بن على بن يوسف الى التوجه لملاقاة جيش الفونسو السابع عند الزلاقة حيث انتصر جده من قبل على الفونسو السادس ، وقد عرفنا أنه قبيل الموقعة هاجم العدو أراضى بطليوس واحوازها وعاثوا فسادا بها(٢٤٧) .

ومن خلال كتابات صاحب الحلل عن هذه المواقع يتضح لنا قدرته الفائقة على وصف ساحة القتال ونظام الجند وأسلحتهم كما لو كان قد عاين المعركة ، وسجل تعبير الحماس والعزيمة على وجوههم ، كما قوم أسلوب قتالهم مما جعله الفارس الاول فى ميدان وصف المعارك الحربية المرابطية والموحدية (انظر على سبيل المثال وصفه لمعركة تاشفين بن على بن يوسف فى الزلاقة)(٢٤٨) .

---

(٢٤٤) نفسه ص ٥٥ ، ٥٦ .
(٢٤٥) نفسه ، ص ٩٦ .
(٢٤٦) نفسه ، ص ٨٠ .
(٢٤٧) الحلل الموشية ، ص ١٢٢ .
(٢٤٨) المصدر السابق ، ص ١٢٢ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أما ما يتعلق بالقسم المخصص لدولة الموحدين فرغم أهميته ، فلم نستفد منه فى بحثنا بنفس القدر الذى استفدنا من هذا المصدر فيما يتعلق ببطليوس فى عصر المرابطين ٠

لسان الدين بن الخطيب ، (٧١٣ - ٧٧٦هـ/١٣١٣ - ١٣٧٤م) :

هو لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد المعروف بابن الخطيب السلماتى ٠ ولد فى لوشة Loja عام ٧١٣هـ (١٣١٣م)، وهى من مدن مملكة غرناطة ، وان كان أصل بيتهم من قرطبة(٢٤٩) ٠ وقد تلقى ابن الخطيب العلم فى غرناطة التى كان يسودها جو من العلم والادب ، ومال منذ صغره الى دراسة الطب وعلوم الفلسفة ، وتلقى أصول هذين العلمين عن أستاذه يحيى بن هذيل(٢٥٠) ٠

ثم انخرط ابن الخطيب بفضل كفاءته ومهارته فى سلك الوزارة فى مملكة بنى الاحمر ، وأصبح وزيرا فى عهد أبى الحجاج يوسف بن محمد الخامس،وقد تولى هذا المنصب بعد وفاة الوزير ابن الجياب عام ٧٤٩هـ (١٣٤٩م) ٠ ومن العوامل التى تسببت فى ارتفاع شأن ابن الخطيب وبلوغه هذه المكانة العالية ، نبوغه فى الآداب والفنون والشعر والتاريخ ، والطب والفلسفة الى حد أن السلطان محمد الخامس الغنى بالله أرسله سفيرا له الى المغرب لدى سلطانها أبى عنان المرينى لينتصر به ضد عدوه ملك قشتالة(٢٥١) ٠

ولكن انقلابا وقع فى عام ٧٦٠هـ (١٣٥٨م) وأسفر عن طرد السلطان محمد الغنى بالله الى المغرب ومعه وزيره ابن الخطيب الذى الذى عاش فى فاس مدة ثلاث سنوات تألق فيها نجمه ، والف عددا من

---

(٢٤٩) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب ، ص ١٩ ٠
(٢٥٠) جونثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسى ، ص٢٥٢ - أحمد مختار العبادى ، فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٥٤٦ ٠
(٢٥١) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب ، ص ٢٠ ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الكتب فى بلاد المغرب من أهمها » اللمحة البدرية فى الدولة النصرية » و « نفاضة الجراب فى علالة الاغتراب » وكتاب « معيار الاختيار فى ذكر المعاهد والديار » .

ثم عاد محمد الغنى بالله الى غرناطة مرة أخرى سنة ٧٦٣هـ (١٣٦١م) بعد أن تمكن من استعادة عرشه ، وعمل على ارجاع ابن الخطيب ، ولكن ظروف ابن الخطيب بعد عودته الى مملكة غرناطة لم تكن مواتية ، فسرعان ما بدأ الحاقدون عليه يوقعون بينه وبين السلطان ، ونجحت هذه السعايات فى اثارة غضب السلطان عليه ، وعندئذ شد ابن الخطيب رحاله وانتقل الى المغرب حيث التجأ الى السلطان أبى فارس عبدالعزيز بن أبى الحسن المرينى ، فى تلمسان ، وهناك حظى بتكريم السلطان له والاحسان اليه ، فلما توفى السلطان أبو فارس عام ٧٧٤هـ (١٣٧٢م) ، غادر ابن الخطيب تلمسان ورحل الى فاس ، وخلف أبا فارس على السلطنة ، ابنه الطفل « السعيد »(٢٥٢) ولكن الامر لم يدم له فسرعان ما خلع ونودى بأحمد بن أبى سالم سلطانا على دولة بنى مرين عام ٧٧٦هـ (١٣٧٤م) ، غير أن ابن الخطيب لم يسلم من المؤامرات التى دبرها له أعداؤه فى غرناطة وعلى رأسهم الوزير سليمان بن داود الذى ضم اليه منأعداء ابن الخطيب ابن زمرك الشاعر وأبا الحسن النباهى قاضى غرناطة ، وصاحب كتاب « تاريخ قضاة الاندلس » المسمى « المرقبة العليا » واتفق معهما على اتهام ابن الخطيب بالزندقة ، وقد بادر هؤلاء باحراق كتبه فى غرناطة ، ثم أمر بعض أتباعه بقتله سرا ، وبالفعل تم قتلابن الخطيب خنقا،ثم حملت جثته وأحرقت،وبعدها تم دفنه(٢٥٣) .

من هذا العرض السريع لحياة ابن الخطيب يتضح لنا أن نشاط ابن الخطيب السياسى لم يقتصر على مملكة غرناطة ، وانما تمكن بذكائه

---

(٢٥٢) جونثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٢٥٦ .
(٢٥٣) جونثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٢٥٧ ـ السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب ص ٢١ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومهاراته الادبية والسياسية من التاثير فى سياسة دول المغرب،وكذلك اثر فى سياسة الممالك النصرانية ، وقد وصلت الينا رسائل عديدة باللغات العربية تم تبادلها بين ابن الخطيب وبين ملوك هذه البلاد(٢٥٤) .

ولعل موهبة ابن الخطيب العلمية وقدراته فى العديد من المجالات الفلسفيةوالادبيةكانت منأهمالاسبابالتى ساعدت على تألق نجمهالسياسى وارتفاع شأنه ، ولعل هذه الموهبـــة كانت من أهم العوامل أيضا التى جعلت رسائله وقصائده التى أرســلها الى ســائر الملوك فى ذلك العصر مسلمين ومسيحيين ، تلقى أكبر الاثر فى نفوسهم ، ومن أهم تلك الرسائل نصــائحه التى أرســلها الى الملك القشتالى دون بطــره (بدر و الاول القاسى) باللغة الاسبانية .

ومن اهم مؤلفات ابن الخطيب التى الفها فى فترة اقامته بالمغرب :

١ ــ كتاب اللمحة البدرية فى الدولة النصرية ، وقد تناول فى هذا الكتاب الحديث عن أهل غرناطة وعاداتهم وذكر ملوكهم ، ويتــكون هذا الكتاب من جزء واحد قد تم طبعه فى القاهرة عام ١٣٧٤هـ(٢٥٥) .

٢ ــ كتاب « نفاضة الجراب فى علالة الاغتراب » ، وقد صور فيــه ابن الخطيب حياته فى الفترة التى قضاها بعيدا عن غرناطة ، وفيـــه يصف مشاهداته فى بلاد المغرب، كما يصف الاحداث السياسية التى مرت بها تلك البلاد اثناء مقامه بها . ويتكون هذا المصدر من ثلاثة أجزاء ، قام الدكتور أحمد مختار العبادى بنشر وتحقيق الجزء الثــانى منه فى القاهرة عام ١٩٦٧ ، وهو الجزء الذى كان معروفا فى تلك الفترة ، ثم تم

---

(٢٥٤) أحمد مختار العبادى ، فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٥٤٧.
(٢٥٥) المرجع السابق ، ص ٥٤٩ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العثور على الجزء الثالث من هذا المصدر فى مكتبة الرباط فى الآونة الأخيرة(٢٥٦) .

٣ - كتاب « معيار الاختيار فى ذكر المعاهد والديار » ويتضمن وصفا شائقا لمدن المغرب والاندلس ، استخدم فيه أسلوبا طريفا ينتمى الى فن المقامات المعروف فى الادب العربى ، واخيرا قام الدكتور مختار العبادى بنشر هذا الكتاب سنة ١٩٥٨ ضمن مجموعة من رسائل ابن الخطيب بعنوان « مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب فى بلاد المغرب والاندلس » .

٤ - كتاب« الحلل المرقومة فى اللمع المنظومة » ، لم يصل الينا ويعتبر من الكتب المفقودة ويتعلق بأصول علم الفقه ، غير أن هناك شروحا لهذا الكتاب منها شرح ابن خلدون ، وشرح ابى سعيد بن لب ، المسمى «بالطرر المرسومة على الحلل المرقومة » تعوضنا عن فقده .

٥ - كتاب « رقم الحلل فى نظم الدول » ، ارجوزة تاريخية اهداها ابن الخطيب الى السلطان المرينى ابى سالم ابراهيم .

٦ - كتاب « كناسة الدكان بعد انتقال السكان » ، وهو على هيئة من الرسائل على لسان سلطان سلطان غرناطة ، يوجهها الى سلطان فاس(٢٥٧) ، حققه الدكتور احمد مختار العبادى .

ومن المعروف أن ابن الخطيب واصل بعد عودته الى غرناطة الكتابة والتاليف عن بلاده ، ومن أهم هذه المؤلفات « الاحاطة فى أخبار غرناطة »،ويعد هذا الكتاب بمثابة « معجم أعلام جمع ابن الخطيب فيه سير النابهين من أهل مملكة غرناطة ومن وفد عليها وسكنها ، وقسمه

---

(٢٥٦) أحمد مختار العبادى ، فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٥٤٩.
(٢٥٧) المرجع السابق ، ص ٥٥٠ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اقساما بحسب المنصب أو بحسب ناحية الامتياز،فقسم للملوك والامراء وثان للعمال ، وثالث لذوى النباهة كالقضاة والمتحققين بعلوم القرآن والمحدثين والفقهاء،وأورد فيه ترجمة لنفسه ... »(٢٥٨) نشره الاستاذ محمد عبد الله عنان كاملا فى أربعة أجزاء .

وقد قام أحد المؤرخين المصريين واسمه بدر الدين البشتكى المصرى باختصار كتاب الاحاطة فى عام ٧٩٣هـ (١٣٩١م) وسماه « مركز الاحاطة » .

ومن أهم مصنفات ابن الخطيب أيضا فى تلك الفترة كتاب « ريحانة الكتاب ، ونجعة المنتاب » ،، وهذا الكتاب يضم المراسلات السلطانية التى دارت بين ملوك غرناطة وبين ملوك الدول المجاورة ومعظم هذه المراسلات من انشاء ابن الخطيب .

وقد قام العالم الاسبانى Gaspar Remiro بنشر الجزء الخاص بالمراسلات بين ملوك غرناطة وملوك فاس من بنى عبد الحق أو بنى مرين فى القرن الثامن الهجرى ، وباستثناء هذا الجزء المنشور فان كتاب الريحانة لايزال مخطوطا(٢٥٩) .

أما كتاب«أعمال الاعلام»الذى اعتمدنا عليه فى دراستنا هذه ورجعنا اليه فى كثير من نقاط البحث ، فمن أهم المصادر التى تناولت تاريخ المغرب والاندلس(٢٦٠) .

وقد قام ابن الخطيب بتقسيمه الى ثلاثة أقسام :

الاول : لايزال مخطوطا ، وقد تحدث فيه عن تاريخ المشرق الاسلامى .

---

(٢٥٨) جونثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٢٥٧ .
(٢٥٩) أحمد مختار العبادى ، فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٥٥١ .
(٢٦٠) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب ، ص ٢١ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والثانى : تناول فيه تاريخ الاندلس منذ الفتح الاسلامى حتى عصر السلطان محمد ابن يوسف بن اسماعيل، وقد نشره الاستاذ ليفى بروفنسال للمرة الاولى عام ١٩٣٤ بالرباط ، ثم أعيد نشره فى بيروت عام ١٩٥٦ .

أما القسم الثالث : فقد تناول فيه ابن الخطيب تاريخ المغرب منذ قيام دولة الاغالبة وحتى عصر الموحدين ، وكان ابن الخطيب يرغب فى استكمال هذا القسم حتى عصره ولكن بسبب ظروفه الخاصة ومأساته التى كان قد بدأ يعيشها فى ذلك الوقت لم يستطع ان يستكمل مادته .

ويعد « أعمال الأعلام » آخر مؤلفات ابن الخطيب ، فقد انتهى من تاليفه عام ٧٧٦هـ (١٣٧٤م) أى قبيل مقتله مباشرة(٢٦١) .

وقد استفدنا الى حد كبير من كتاب أعمال الاعلام ، ورجعنا اليه فى كثير من نقاط البحث ، ويمتاز أعمال الأعلام بصدق الرواية وقوة الاسلوب وسلاسته واستفاضة المادة التاريخية ، وقد رجعنا اليه خاصة عند حديثنا عن ثورة أهل طليطلة على ملكهم القادر بن ذى النون ، واستدعائهم لعمر المتوكل بن الافطس ليحكم بلدهم بدلا من القادر ، وقد وضح لنا ابن الخطيب كيف كان ابن الافطس كارها لهذه المهمة العسيرة ، فجاءهم ملبيا لندائهم وهو متثاقل للغاية(٢٦٢) .

كذلك ترجم ابن الخطيب لملوك بنى الافطس فى بطليوس ، واشار الى ادعائهم النسب العربى الى نجيب معتمدا فى ذلك على ابن حيان(٢٦٣) . ومن الملاحظ انه رجع الى ابن حيان فى كثير من مواضع الكتاب مما يدل على أن ابن حيان كان واحدا من أهم مصادره ، وكان « المتين » أحد كتب ابن حيان التى اعتمد عليها ابن الخطيب .

---

(٢٦١) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب ، ص ٢٩ .
(٢٦٢) ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص ١٨٠ .
(٢٦٣) المصدر السابق ، ص ١٨٢ ، ص ٤٨ ، ص ٨٤ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كذلك أشار ابن الخطيب الى كتاب « المظفرى » الذى كتبه المظفر بن الافطس ووضح لنا مكانته الادبية والعلمية ، وأشار الى براعته الشديدة فى مجال الشعر ، هذا الى جانب حديثه عن علاقته بملوك النصارى وعن استيلاء هؤلاء على مدينة قلمرية فى عهده ، وقد اعتمد عند سرده لسيرة المتوكل عمر بن الافطس على الفتح ابن خاقان(٢٦٤) .

وكان ابن الخطيب أحد المؤرخين القلائل الذين أشاروا الى المنصور ابن المتوكل عمر بن الافطس وذكر خروجه الى الفنش السادس ودخوله فى بلاطه ، وارتداده عن دينه(٢٦٥) .

كما استفدنا من « أعمال الاعلام » عند تعرضنا لذكر الثورات التى قامت ضد الحكم المرابطى فى غرب الاندلس فى أواخر عهد المرابطين ، ونقصد بذلك ثورة أبى القاسم ابن قسى الذى يعد أول ثائر ضد المرابطين فى الاندلس . وقد أشار ابن الخطيب باستفاضة تامة الى تفاصيل ثورة ابن قسى ، كما أشار الى عدد آخر من الثوار الذين شاركوا فى الاطاحة بالحكم المرابطى أمثال ابن وزير ويوسف البطروجى ولبيد بن عبد الله صاحب شنترين وأبى القمر بن عزوز صاحب شريش ومحمد بن على بن الحجام فى بطليوس ومحمد بن المنذر .... الخ(٢٦٦) .

---

(٢٦٤) ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص ١٨٥ .
(٢٦٥) المصدر السابق ، ص ١٨٦ .
(٢٦٦) ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص ٢٤٨ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الحميرى ، « صفة جزيرة الاندلس » من كتاب « الروض المعطار فى خبر الأقطـــار » :

من اهم المصادر الجغرافية والتاريخية لمدن الاندلس لأبى عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميرى ، وهو كتاب جامع ، اختـار منه ليفى بروفنسال ما يتعلق بالاندلس ، ونشره فى القاهرة سنة ١٩٣٨ على حروف المعجم الى جانب ترجمة فرنسية له وتعليقـات وفهـارس وافية(٢٦٧) .

وقد اعتمد الحميرى فى تاليفه للقسم الخاص بالاندلس من كتـاب « الروض المعطار » على الكثير من الجغرافيين الذين سبقوه ، خاصة عند كتاباته للمادة الجغرافية ، وممن اعتمد عليهم اعتمادا خاصا ، الادريسى فى كتابه « نزهة المشتاق » ، والبـكرى فى كتابه « المسـالك والممالك » والعذرى فى « نظم المرجان » . وكذلك اعتمد على كتاب « الاستبصار فى عجائب الامصار » لمؤلف مغربى من أهل القرن السادس الهجرى . أما المادة التاريخية فقد اعتمد فى جمعها على كتاب « مجمـوع المفترق » لمؤلف مجهول ، وكتاب « المغرب فى أخبار المغرب » لأبى التقى طاهر بن عبد الرحمن ، وكلا الكتابين مفقود اليوم(٢٦٨) .

ومن عيوب الحميرى أنه يغفل ذكر أهم المراجع التى اعتمد عليها ، ومن الغريب أنه على الرغم من ذلك كان ينتقد أصحاب تلك المصـادر نقدا عنيفا ، من ذلك انتقـاده للادريسى رغم أخذه عنـه العـديد من المعلومات بنفس أسلوبه الذى انتقده فيه(٢٦٩) .

---

(٢٦٧) جونثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٣١٠ .
(٢٦٨) حسين مؤنس ، تاريخ الجغرافيـا والجغرافيين فى الاندلس ، ص ٥٣٧ .
(٢٦٩) الحميرى ، صفة جزيرة الاندلس ، المقـدمة ، ص ح ، حسـين مؤنس ، تاريخ الجغرافيا والجغرافيين ، ص ٥٣٩ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويرى البعض ان الحميرى قد رجع الى ياقوت الحموى دون أن يشير اليه ، فقد كان ياقوت قد أتم معجمه فى عام ٦٢٤هـ/(١٢٢٤م) ، وبعدها ذاع صيته للغاية ، أما الحميرى فقد عاش فى النصف الثانى من القرن السابع الهجرى وزار الحجاز وأدى فريضة الحج ، وأطال المقام هناك ، وليس من المعقول الا يكون الحميرى قد رجع الى هذا المعجم الذى ألفه ياقوت لاسيما وأنه كان بصدد(٢٧٠) تأليف معجم ، هذا الى جانب أن أسلوب الحميرى فى سرد المعلومات الجغرافية مع خلطه بالأدب يشابه الى حد كبير أسلوب ياقوت ، بل اننا نجد فى بعض الاحيان ان المادة الجغرافية عند الحميرى تقتصر على ذكر شاعر أو أديب ظهر فى موضع معين(٢٧١) .

أما مواد هذا المصدر الجغرافى الهام فمرتبة ترتيبا أبجديا ، وقد حاول الحميرى ربط التاريخ بالجغرافية بطريقة رائعة ، ولعل أكثر هذه المادة التاريخية يرجع الى عصر الموحدين ، وهو العصر الذى سقطت فيه معظم حواضر الاندلس وقواعده فى أيدى النصارى(٢٧٢) .

وقد استعنا بكتاب الحميرى هذا عند حديثنا عن بطليوس أو أى مدينة من أعمالها . ورغم ضخامة هذا العمل وأهمية المادة الجغرافية التى أوردها الا أنها لا تخلو من الاخطاء التاريخية ، فبالنسبة لموضوع بناء بطليوس وانشائها على يد عبد الرحمن بن مروان الجليقى ، فقد ذكر الحميرى أن ابن الجليقى حصل على موافقة الامير عبد الله على بناء بطليوس(٢٧٣) ، وهذا خطأ بالغ لأن الذى منحه هذا الحق لم يكن الامير عبد الله وانما كان الامير محمد . أما عبد الله فهو الذى جدد الاسجال لابن الجليقى . ومن أمثلة الاخطاء التاريخية التى وقع فيها

---

(٢٧٠) حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص ٥٤١ .
(٢٧١) نفسه ، ص ٥٤١ .
(٢٧٢) جونثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٣١٢ .
(٢٧٣) الحميرى ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ٤٦ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ارجاعه تاريخ بناء مرسية الى سنة ٢١٦هـ(٨٣١م)(٢٧٤) بينما يؤكد العـــذرى أنها بنيت فى سنة ٢١٠هـ (٨٢٥م)(٢٧٥) ويؤيده فى ذلك ابن عذارى(٢٧٦) . وواضح أن الحميرى نقـل رواية العـذرى ولكن بصورة مختصرة ولكنه أخطأ فى ذكر التـاريخ . ويبدو أن سبب الخطـأ يرجع الى أن الحمـيرى قرأ تاريخ الانشـاء الوارد على هذا النحو فى العذرى « سنة عشرومائتين » على أنه « ستة عشر ومائتين » .ولـكن بخلاف هذه النقطة ، فقد أمدنا بمعلومات هامة عن بطليوس ، فقـد وصف لنا المسجد الجامع الذى بناه الجليقى بها ، والمسـاجد الأخرى وسور المدينة وربضها الشرقى ونهرها .

اما عن المدن والحصون التى كانت تتبع اقليم بطليوس فقـد ذكر الحميرى العديد منها ، نذكر منها على سبيل المثال حصن ابطير(٢٧٧) ، ورغم أن ما ذكره عنه كان ضئيلا الا أنه أفادنا الى حد ما لتكوين فـكرة عن هذا الحصن ، كما أطنب الحديث عن الاشبونة ، ووصفها ووصف حصن المعدن ، الذى يقع بالقـرب منهـا ، هذا الى جانب تعليقه على رحلة المغـررين منها ، الذين أخذوا يكتشفون الجزر المتناثرة فى المحيط الاطلسى(٢٧٨) .

وحظيت مدينة قصر أبى دانس بنصيب كبير من اهتمام الحميرى ،

---

(٢٧٤) الحميرى ، المرجع السابق ، ص ١٨١ .
(٢٧٥) أحمد بن عمر بن أنس العذرى ، نصوص عن الاندلس من كتاب ترصيع الاخبار وتنويع الاثار ، تحقيق الدكتور عبد العـــزيز الاهوانى ، مدريد ١٩٦٥ ، ص ٦ ، وراجع فى ذلك أيضا رسالة الماجستير المقدمة من السيد عزت قاسم أحمد عن تاريخ مدينة مرسية الاسلامية منذ انشائها حتى استيلاء المرابطين عليهـا ، الاسكندرية ١٩٨٤ ، ص ٣٦ وما يليها .
(٢٧٦) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٨٢ .
(٢٧٧) الحميرى ، صفة الاندلس ، ص ١١ .
(٢٧٨) المصدر السابق ، ص ١٦ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كمـــا وصف ســـقوطها على أيدى البرتغـاليين فى عام ٦١٤هـ(٢٧٩) (١٢١٧م) ٠

كذلك يذكر الحميرى أن باجة التى بناها يوليوس قيصر هو الذى سماها باجة ،وهىتعنى الصلحأوالسلم (من Paz)، وذكر أنه ينتسب اليها أبو الوليد البـاجى ، وعرض لتاريخهـا أيام الامير عبد الرحمـن الداخل(٢٨٠) ٠

ومن المدن التى أوردها الحمـــــيرى وتدخل فى نطـــــاق مملكة بطليوس ، قلمرية وشنترين وقورية وشنترة ويابرة ، وقد رجعنـا الى تعريفه لهذه المدن عند حديثنا عن حصون اقليم بطليوس وأهم المدن التى كانت تابعة لمملكة بطليوس فى عصر الطوائف ٠

المقرى ، « نفح الطيب ، من غصن أندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب » :

هو أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن أبى العيش بن محمد ، المقـرى ، التلمسـانى المولد ، فقد ولد فى تلمسان ودرس بها فى نشأته الاولى ، وحفظ القـــرآن الكريم ، وكان استاذه فى تلك الفترة المبكرة من حياته هو الشيخ أبو عثمان سعيد بن أحمد المقرى مفتى تلمســـان ، ثم رحل بعـد ذلك الى مدينـة فاس للدراسة(٢٨١) والاستزادة من العلم ، وكان يذكر عنها أنها دار خلافة المغرب ٠ وزار المقرى فى شبابه بلاد الحجاز ليحج بيت الله الحرام ، ثم بيت المقدس ومنها تمكن من الذهاب الى القاهرة ، وقد كرر ، زيارته لمكة والمدينة ، كما زار دمشق فى تلك الفترة من حيـاته ، وقد تعلق بأهل

---

(٢٧٩) نفسه ص ١٦٢ ٠
(٢٨٠) نفسه ص ٣٦ ٠
(٢٨١) جونثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٣٠٣ ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

دمشق تعلقا كبيرا ، وأحب هذه المدينة للغاية(٢٨٢) .

سار المقرى على نفس النهج الذى سار عليه ابن الخطيب فى كتاباته ، وان كانت هناك صفة لازمته لم تتوفر عند ابن الخطيب ، وهى استطراداته الكثيرة ، وخروجه عن الموضوع الاصلى للدراسة اعتقادا منه أن التزامه بمعلومة محددة وعدم اطلاقه العنان لقلمه نوع من التقصير فى الكتابة الامر الذى جعل الادباء يعتبرونه لهذه الصفة جاحظ المغرب ، ومن أشهر مؤلفاته :

١ - « ازهار الرياض ، فى أخبار القاضى عياض » وهو فى حقيقة الامر ترجمة للقاضى المغربى عياض بن موسى بن عمرون بن موسى اليحصبى السبتى ، وقد نشر من هذا الكتاب ثلاثة أجزاء ، أصدرها المعهد الخلافى بالقاهرة بتحقيق الاساتذة مصطفى السقا وابراهيم الابيارى وعبد الحفيظ شلبى سنة ١٩٣٩ ، ثم نشر فى خمسة أجزاء مع الابقاء على الاجزاء الثلاثة الاولى تحت اشراف اللجنة المشتركة لنشر التراث الاسلامى بين حكومة المغرب ودولة الامارات العربية ، فتولى تحقيق الجزء الرابع ، الاستاذان سعيد أحمد أعراب ومحمد بن تاويت وصدر فى الرباط سنة ١٩٧٨ ، أما الجزء الخامس فقد حققه الاستاذان د . عبدالسلام الهراس وسعيد أحمد اعراب ، وصدر فى الرباط سنة ١٩٧٩ .

٢ - « ازهار الكمامة » وهو مفقود ولا نعرف عنه شيئا سوى اسمه . وهناك أسماء عديدة لكتب أخرى مثل « اتحاف المغرى ، تكميل شرح الصغرى » ، و « الدر الثمين فى أسماء الهادى الامين »،و«عرف النشق فى اخبار دمشق » ،و«الغث والسمين والرث والثمين»،و«قطف المهتصر فى أخبار المختصر » ، و « فتح المتعال » ، و «روض الآس، العاطر الانفاس»

---

(٢٨٢) المقرى ، نفح الطيب ، جـ ١ ، المقدمة ، ص ١ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأخـــيرا نفـــح الطيب ، وكان اسـمه فى بداية الامر « عرف الطيب فى أخبار ابن الخطيب » اذ كان ينوى تخصيص هذا الكتاب للتعريف بالوزير ابن الخطيب ، ولكنه رأى أن يقدم الكتاب بدراسة موسوعية عن الاندلس : تاريخها وجغرافيتها وتراجم أهلها ممن رحلوا الى المشرق أو قدموا منه الى الاندلس ، فعدل عنوان الكتاب لذلك الى عنـــوانه الحالى . وكان المقرى أثناء اقامته بدمشق يروى لعلمائها وكبار رجالهـا عن الاندلس وروائعها الطبيعية من حدائق وخضرة ومناظر خلابة الى جانب ذكره لكبار علمائها ورجالها وخاصة لسـان الدين بن الخطيب ، فكثيرا ما ذكر لأهل دمشق نبذا من أحاديثه وكلمـاته مما دعا بعضهم وعلى رأسهم المولى أحمد الشاهينى الى أن يطلبوا منه أن يصنف لهـم كتابا للتعريف بهذا الرجل العظيم (ابن الخطيب) ، ولكنه لم يبـدأ بكتابة نفح الطيب فى دمشق ، وانما بدأ فى تأليفه بعـــد أن اســـتقر فى مصر .

ويتألف كتاب «نفح الطيب» من أربعة أجزاء، ويعتبر الجزآن الأولان مقدمة للجزئين الثالث والرابع ، ويحتوى الجزآن الاول والثانى على ثمانيـة أبواب ، الاول فى وصف جزيره الاندلس وحسن هوائهـــا واعتـــدال مزاجها ، وذكر أهم مدنها ، وكورها ، والثانى تحدث فيه عن فتـــح طارق بن زياد وموسى بن نصير للاندلس ، كما ذكر فيه أهم ولاة الاندلس من قبل بنى أمية ، والثالث تحدث فيه عن خلفـاء الاندلس وملوكه ، والرابع عن قرطبة حاضرة الخلافة ، وقد قام فى هذا الفصل بوصف جامع قرطبة العظيم ، وخصص الفصـــل الخامس للتعريف ببعض من رحل من رجال الاندلس الى بلاد الشرق ، وفى السـادس ترجم للوافدين عـلى الاندلس من المشرق ، والفصل السابع استعرض فيه فضائل أهل الاندلس والثامن ذكر فيه تغلب العدو المسيحى على الاندلس(٢٨٤) .

---

(٢٨٤) جونثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٣٠٣ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولعل أهم خصائص كتاب « نفح الطيب » أن مؤلفه عمد الى التكرار ، فقد كان يذكر الخبر الواحد فى أكثر من موضع من الكتاب ، وقد فسر محقق نفح الطيب الاستاذ محمد محيى الدين عبد الحميد ذلك بقوله « ومعذرة المؤلف فى ذلك أنه يحكى فى الامر الواحد عبارة كثير من المؤرخين بجملتها فى كثير من الاحيان ومقتصرا على موضع الحاجة أحيانا أخرى ، فتكرر لذلك المسائل بتكرار المنقول عنهم ، وقد تكون فى العبارة عدة مسائل فينقلها بطولها مرتين أو أكثر تبعا للمسائل التى يبحثها ويضن بتجزئة المنقول رغبة منه فى ربط أجزاء الكلام ، فقد يدل بعضه على بعض ، وقد تضيع فائدة تقطيع أوصاله .. »(٢٨٥) .

وترجع أهمية هذا المصدر الى أن المقرى يعمد الى نقل فقرات هامة للغاية من مصادر أخرى ضاعت ولم تصل الينا(٢٨٦) .

وقد قام كل من دوزى Dozy ودوجا Dugat ، وكريل Krehl ورايت Wright بنشر الجزأين الاولين من هذا المصدر فى مدينة ليدن فيما بين عامى ١٨٥٨ و ١٨٦١ ، وقدموا لهذا الكتاب بمقدمة وافية عن المقرى وعن كتابه النفح ، هذا الى جانب أن نفح الطيب قد نشر فى بولاق بمصر كاملا عام ١٨٦٢ ، ثم أعيدت طباعته بمصر وقام بتحقيقه الشيخ محيى الدين عبد الحميد عام ١٩٤٩(٢٨٧) ، وفى هذه الطبعة حاول الشيخ محيى الدين التغلب على التكرار الذى يتميز به المقرى ، فوضع عناوين صغيرة لكل جزء من أجزاء الكتاب وفى كل موضع الى جانب كتابته لفهرس شامل لكل ما ورد فى الكتاب ، مما أفاد القارىء الى حد كبير فى تتبع الخبر الذى يريده فى مواضعه المختلفة ، ثم صدرت طبعة أخيرة من نفح الطيب تحت اشراف الدكتور احسان عباس زودها بفهارس قيمة للأعلام والاماكن .

---

(٢٨٥) المقرى ، نفح الطيب ، جـ ٢ ، ص ١٣ .
(٢٨٦) جونثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٣٠٣ .
(٢٨٧) المرجع السابق ، ص ٣٠٤ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد أشـار المقـرى فى الجـزء الاول من النفح الى قصيدة الوزير ابن عبدون فى رثاء بنى الافطس وأورد البيت الاول منها(٢٨٨) . كذلك أورد بيتين من شعر أبى محمد عبـد الله بن السيد البطليـوسى الذى وصفه بأنه نحوى زمانه وعلامته ، ومن هذين البيتين ، تمكنا من تخيل صورة لما كانت عليه بطليوس من حسن وجمـال ، فابن السيد وصف غورها ونجدها وما فيها من دوحات وحدائق غنـاء ذات أشجار مورقة وورود مزهرة(٢٨٩) .

كما نقل المقرى فى هذا الجزء رسالة الشقندى عن فضائل الاندلس وفيها خص بالذكر المظفر بن الافطس باعتباره من أعظم أدباء عصره ، وباعتباره مؤلف كتاب « المظفرى »(٢٩٠) .

وفى الجزء الثانى يترجم المقرى للعديد من الشخصيات البطليوسية الشهيرة مثل ابى الوليد الباجى والاخوة الثلاثة من بنى القبطرنة وابن السيد البطليوسى،ومن خلال هذه التراجم تتضح لنا بجلاء صورةالحياة العلمية المزدهرة فى بطليوس بالوزراء والشعراء والعلماء لاسيما فى عصر بنى الافطس الذى تألقت فيه دولة الادب والشعر ، كمـا يسـاعدنا هذا على رسم صورة للحياة الاجتماعية للبلاط البطليوسى فى ذلك الوقت .

---

(٢٨٨) المقرى ، نفح الطيب ، ج ١ ، ص ١٧٣ .
(٢٨٩) المصدر السابق ، ص ١٧٣ .
(٢٩٠) نفسه ، ص ٤١٧ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثانيا : المصادر المسيحية

تقتصر اخبار الاندلس الواردة فى المصادر المسيحية على معلومات مقتضبة ومبالغ فيها بالقياس الى ما زدوتنا به المصادر العربية الغنية بالنصوص التفصيلية ، وتنسب أهم الروايات الواردة فى المصادر الاسبانية المسيحية فيما يتعلق بحوادث بطليوس الى الاسقف سامبيرو والى دون بلايو ، ولوزيتانو ، وكلها حوليات تخلو من أية حقائق تاريخية ذات قيمة علمية لموضوع الدراسة(١) ، باستثناء بعض النصوص الواردة فى مدونة لوزيتانو ومدونة سامبيرو التى استشهدنا بنصوصها فى كثير من مواضع البحث . ومن أهم المدونات المسيحية ، التى اعتمدنا عليها أيضا فى البحث المدونة الاولى العامة لتاريخ اسبانيا ، للملك الفونسو العاشر الملقب بالحكيم أو العالم .

أما مدونة سامبيرو Chronicon de Sampiro ، فتنسب الى سامبيرو أسقف استرقة Astorga الذى كتب هذه المدونة عندما كان يعمل كاتبا فى البلاط الملكى فى حدود سنة ٣٨٠هـ (٩٩٠م) ، وبداها بحوادث سنة (٢٥٢هـ) ٨٦٦م حيث انتهى سباستيان اسقف شلمنقة واستمر يؤرخ لأهم الأحداث التى مرت بأسبانيا حتى سنة٣٧٢هـ(٩٨٢م) دون أن يتعرض للحديث عن برمند الثانى أو ابنه الفونسو الخامس(٢) .

يبدأ سامبيرو بالتأريخ لعصر الملك الفونسو الثالث العظيم ملك ليون (٣٥٢هـ) (٢٦ مايو ٨٦٦م) ، ثم يتابع تاريخه لعهود خلفائه ، وهم غرسية ، وأردون الثانى ، وفرويلة الثانى ، والفونسو الرابع ، وردمير

---

(١) Sanchez Alonso, Historia de la historiografia espanola, Madrid, 1947, P. 111 — Fray Justo Perez de Urbel, Historia de Condado de Castilla, t. I. Madrid, 1948, PP. 14-27.

(٢) Franc. Henrique Florez, Espana Sagrada, t, XIV, Madrid MDCCCC, PP. 422-423.

الثانى ، واردون الثالث ، وشانجة الاول وردمير الثالث ، وقد اعتمدت على هذه المدونة فى دراستى لممالك أسبانيا المسيحية ، من ذلك على سبيل المثال اشارته الى توجه شانجة الاول الى قرطبة ليعالج نفسه من بدانته المفرطة ، ثم استرداده العرش من أردون الشرير(٣) .

أما مدونة دون بلايو Chronicon de D. Pelayo فتبدأ من حيث انتهى سامبيرو أى من سنة (٣٧٢هـ) ٩٨٢م ويستمر فى سرد تاريخ مملكة ليون على مدى ١٢٧ سنة وتنتهى بوفاة الملك الفونسو السادس فى سنة (٥٠٣هـ) ١١٠٩م ، وقد اعتمدنا على هذه المدونة فى تأريخنا لموقعة الزلاقة(٤) .

ويهمنا الحديث عن المدونة الاولى العامة لأسبانيا Primera Cronica general de Espana وتنسب الى الملك الفونسو العاشر العالم ، وكتبت بالقشتالية فى القرن الثالث عشر ، واستعين فى كتابتها ببعض علماء المسلمين واليهود ، وقد اعتمد هؤلاء فى تدوينها على كثير من المصادر التاريخية العربية والبيزنطية واللاتينية بالاضافة الى جميع الحوليات الاسبانية التى سبقتها وعلى الاخص الحولية الطليطلية لرودريجو دى رادا أسقف طليطلة (٥٦٦ - ٦٤٥هـ) (١١٧٠ - ١٢٤٧م)٠وتتضمن المدونة العامة لتاريخ اسبانيا روايات لا تختلف كثيرا عن الروايات الواردة فى مصادر التاريخ الاندلسى مما يدل دلالة واضحة على أن هذه المدونة نقلت أخبارا مترجمة من المصادر العربية ، لاسيما ما يتعلق بحوادث السيد الكنبيطور واستيلائه على بلنسية ، وابرز المصادر العربية التى يظن انها كانت المصدر الرئيسى لهذه المدونة كتاب الاكتفاء فى اخبار الخلفاء لابن الكردبوس ، وكتاب البيان الواضح فى العلم

---

(٣) Chronicon de Sampiro, en Espana Sagrada, Op. Cit., P. 455-456.

(٤) Chronicon de D. Pelayo, en Espana Sagrada, PP. 473-474.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لابن علقمة البلنسى ، وهو كتاب مفقود لم يصل الينا ولكن وصلتنا فقرات متعددة منه فيما رواه ابن عذارى فى البيان(٥) ٠

وقد اعتمدنا على المدونة العامة لاسبانيا عندما تعرضنا للحديث عن وقعة الزلاقة وعند تحديدنا لموقع المعركة وتقديرنا لأعداد المحاربين من الجانبين وأعداد القتلى ٠

ومن الغريب ان تنهج مدونة الفونسو العاشر نفس رواية مدونة لوزيتانو فى سرد وقعة الزلاقة اذ تتشابه تشابها صارخا مع ذلك المدونة فيما يتعلق بنتيجة الموقعة وان كانت تتحرج من الاشارة الى اغماءة الملك بسبب احتسائه الخمر بدلا من الماء(٦) ٠

ثالثا ـ المراجع الاوروبية الحديثة

مارتينث اى مارتينث (تاريخ مملكة بطليوس) :

Matias Ramon Martinez y Martinez, «Hitoria de Reino de Badajoz». Badajoz, 1904.

يعتبر من أهم المراجع الحديثة المتخصصة التى رجعنا اليها ، اذ يؤرخ لبطليوس منذ نشأتها قديما وحتى سقوطها فى ايدى الليونيين ، وقد زود كتابه بالعديد من الملاحق التى تتعلق بتاريخ بطليوس قبل وبعد سقوطها ٠ وقد طبع هذا الكتاب فى بطليوس عام ١٩٠٤ ، وهو نفس العام الذى توفى فيه المؤلف ٠

وقد ذيل الكتاب بتكريم المؤلف ماتياس ماتياس مارتينث اى

---

(٥) جمال الدين الشيال ، التاريخ الاسلامى واثره فى الفكر التاريخى الاوروبى فى عصر النهضة ، بيروت ١٩٦٩ ، وراجع أيضا :
Gamal el Din El Shayal, Ahmed Mokhtar el Abbadi, Islamic and arab contribution to the European Renaissance, Cairo, 1977, P. 287.

(٦) Primera Cronica General de Espana, ed. por R. Menendez Pidal, P. 557-558.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مارتينث ، وتأبينه بعد وفاته ، فى عام ١٩٠٤ سجلته الصحف الصادرة فى بطليوس وقاصرش عن المؤلف ٠

ويحتوى هذا المرجع على نحـو أربع وأربعين ملحقـا ، تتعلق العشرة الاولى منها بموضوعات تتصل ببطليوس قبل سقوطها فى أيدى الليونيين سنة ١٢٣٠م ، أو لها صلة باحدى المدن التابعةلاقليمبطليوس، فالملحق الاول على سبيل المثال عبارة عن ذكر الكتـابات الواردة على شاهد قبر دانيال أسقف بطليوس المستعرب سنة ١٠٠٠م (٣٩١هـ)(٧)٠

أما الملحق الثانى فيتضمن وصف الادريسى للاندلس نقلهـا عن الترجمـة الاسبانية التى قام بهـا انطونيـو فلاسـكث فى مدريد عام ١٩٠١(٨) ٠

والملحق الرابع سرد لأهم الحملات التى قام بهـا أهل طليطلة ، وشلمنقة نقلا عن مدونة الامبراطور الفونسو السادس ضد بطليوس قبل واقعة الزلاقة(٩) ٠ والملحق الخامس يتحـدث عن سـقوط قورية فى يد الفونسو السادس(١٠) ، والسادس يتحدث عن أسقفية قورية الجديدة التى انشأت عام (٥٣٧هـ) ١١٤٢م(١١) ٠

ومعظم ما تبقى من ملاحق تتعلق بموضوعات مسيحية لا علاقة لها بالتاريخ الاسلامى لبطليوس،وفى الملحق العاشر يتحدث عن الهبات التى قدمها فرناندو الثـانى فى اقليم بطليوس لنظـام سـانتاجو عـام (٥٦٧) ١١٧١م(١٢) ٠

---

(٧) Martinez y Martinez, Historia del Reino de Badajoz. P. 311-319.

(٨) Martinez y Martinez Op. Cit., P. 319-325.

(٩) Ibid, P. 330-333.

(١٠) Ibid, P. 334-335.

(١١) Ibid, P. 335-336

(١٢) Ibid, P. 346.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والملحق الرابع عشر يتحدث عن هبة الفونسو الثامن لنظام جماعة فرسان ترجالة فى عام (٥٩٢هـ) ١١٩٥(١٣) . والملحق الخامس والعشرين يتضمن هبات ملكيات من ماردة الى نظام القنطرة عام (٦٢٨) ١٢٣٠م(١٤) .

والملحق الثامن والعشرين يدور حول هبة منتانجش الى نظام سانتياجو عام (٦٢٨) ١٢٣٠م(١٥) .

أما بقية الملاحق فتعالج أحداثا تمت بعد سقوط بطليوس فى أيدى الليونيين ، فالملحق الثانى والاربعين مثلا يعالج هبة حصن الحنش الى نظام سانتياجو عام (٦٤٣هـ) ١٢٤٥م(١٦) .

ويختتم Martinez y Martinez كتابه بفهرسة او قاموس جغرافى غاية فى الاهمية يضم كل الاسماء الجغرافية لمدن اقليم بطليوس بالعربية وما يقابلها بالاسبانية مثل جلمانية هى Jurumenha بالاسبانية ، وقد استولى عليها الملك البرتغالى الفونسو انريكث عام (٦٢٨هـ) ١٢٣٠م . وعلى الرغم من المآخذ التى نأخذها على هذا الكتاب من تعصب لبنى دينه ضد المسلمين ومن مبالغات ممقوتة واخطاء فى الاسماء والتواريخ فقد افادنا كثيرا ، وعلى وجه الخصوص عندما تناولنا سقوط بطليوس فى أيدى الليونيين (٦٢٨هـ) ١٢٣٠م ، فقد رجع مارتينث اى مارتينث الى العديد من المدونات المسيحية التى تتبعت سقوط بطليوس منذ نشأة نظام جماعات الفرسان ، وتناولت هذه الفترة بنوع من الاستفاضة بعكس المصادر العربية التى اشارت اشارة عابرة عن سقوط مدن الغرب ، فتحدثت عن سقوط ماردة وقيام الحرب بين جيش ابن هود

---

(١٣) Ibid, P. 357-359.
(١٤) Ibid, P. 383.
(١٥) Ibid, P. 395.
(١٦) Ibid, P. 437-438.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبين الجيوش الليونية ، وهزيمة المسلمين ، وانتقال الليونيين عقب انتصارهم الى بطليوس للاستيلاء عليها ، ولكنها لم تذكر أية تفاصيل حول سقوط المدينة ، مما دفع مؤرخا مسلما مثل المقرى الى القول بأن بطليوس كانت فى حالة سيئة للغاية مما دفعها الى الاستسلام بسرعة دون أى مقاومة(١٧) .

وقد أخذنا برأى مارتينث أى مارتينث فيما يتعلق بالمناقشة التى دارت حول سقوط ماردة فى يد الفونسو التاسع ، فهل سقطت فى يده بعد الموقعة التى دارت بينه وبين ابن هود أم سقطت قبل بداية المعركة مع ابن هود ؟ ومن الجدير بالذكر أن مارتينث يؤيد سقوطها قبل بداية الموقعة .

وقد تتبع مؤرخنا خطوات نظام جماعات الفرسان منذ نشأته فى الممالك المسيحية ، ووضح أثره فى تنشيط حركة الاسترداد Reconquista بحيث يمكننا أن نقول أنه بظهور نظام جماعات الفرسان فى اسبانيا ، تكون حركة الاسترداد المسيحية قد صبغت بصبغة دينية بحتة بعد أن فقدت الطابع القومى وحده الذى كانت تتسم به من قبل(١٨) .

وقد رجع المؤلف مارتينث فى كتابه هذا الى العديد من الوثائق والمدونات المسيحية الاسبانية والبرتغالية ، يضاف الى ذلك أنه لم يغفل العديد من المصادر العربية الهامة ، فقد رجع الى الكثير منها ، مثل ذلك أنه يأخذ برواية ابن عذارى(١٩) فى أن بطليوس ترجع فى حقيقتها التاريخية الى عصور أقدم من العصر الوسيط الاسلامى ، فكانت عند نزول ابن الجليقى بها ، قرية بسيطة مما يؤكد أسبقيتها على

---

(١٧) المقرى ، نفح الطيب ، جـ ٢ ص ٥٨٢ .
(١٨) ابن عذارى ، البيان ، جـ ٢ ، البيان ، جـ ٢ ، ص ١٠٥ .
(١٩) Martinez y Martinez Op. Cit., P. 278-288.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العهد الاسلامى(٢٠) . ومن الامثلة الدالة على ذلك أيضا اعتماده على ابن عذارى عند تأريخه لتاريخ الخلافة فى عهد المنصور بن أبى عامر(٢١) ، كما انه يعتمد على كتاب تاريخ افتتاح الاندلس لابن القوطية وعلى كتاب العبر لابن خلدون حينما يتحدث عن ثورة عبد الرحمن بن مروان الجليقى(٢٢) ويعتمد كذلك على الحلل الموشية وروض القرطاس لابن أبى زرع حينما يؤرخ لبطليوس فى العهد المرابطى(٢٣) .

ولنا ملاحظة هامة للغاية ونحن بصدد تقويم هذا العمل الكبير الذى قام به مارتينث اى مارتينث ، هذه الملاحظة تتعلق بالمنهج الذى اتبعه المؤلف فى بحثه ، فمن صفات الباحث أو المؤرخ أن يكون موضوعيا بعيدا عن التحيز أو الميل لطرف دون الآخر أو تأييد رأى على رأى ، وفى كتاب مارتينث وجدنا العديد من العبارات التى تدل على تعصبه الشديد للجانب المسيحى وكراهيته العمياء للاسلام والمسلمين ، بل انه لم يكن يخفى أحيانا احتقاره الشديد للمسلمين واعتقاده بأن العرب والبربر المسلمين ليسوا سوى همجا بدائيين يتسمون بالقسوة والغلظة والبداوة ، ومن أمثلة أسلوبه القاسى اللاذع الذى جرح به الاسلام وافترى به على الشريعة الاسلامية عبارته التالية « وفى عهد عبد الرحمن الداخل تحولت الادارة الى حكم استبدادى وعندئذ بدأ المسيحيون المستعربون فى الثورة على الظلم الغاشم الواقع عليهم ، من جانب الحكومة التى نكثت بعهودها التى ارتبطت بها مع المسيحيين منذ الفتح ، وأمام هذا الوضع المضطرب ، ساندهم المولدون الذين كانوا موضع احتقار من العناصر العربية،وكان العرب يعاملونهم معاملة قاسية شأن المسيحيين،على الرغم من أعدادهم الكبيرة وثقافتهم الواسعة(٢٤) ... » ، وكذلك قوله « أما

---

(٢٠) Martinez y Martinez, Op. Cit., P. 21, 52.
(٢١) Ibid, P. 86.
(٢٢) Ibid, P. 56.
(٢٣) Ibid, P. 288, 181.
(٢٤) Martinez y Martinez, Historia del reino, Op. Cit., P. 53.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مسيحيو قرطبة الذين لم يستطيعوا الثورة لكثرة قوات الحرس الاميرى فى قرطبة فقد قصروا ثورتهم على المقاومة السلبية وعلى الاستشهاد فى صمت ، وتعرضوا بذلك لمذابح الشريعة الاسلامية(٢٥) ... » .

كذلك طعن مارتينث فى الامير محمد بصورة مبالغ فيها ويتمثل ذلك فى قوله « وبدأت الفوضى تسود كل المملكة ، فبينما كان الامير مستغرقا فى جمع الاموال واشباع بخله ، وبينما كان البلاط مشغولا فى محاكمة واعدام المسيحيين القرطبيين »(٢٦) .

هذا الى جانب طعنه الشديد للمرابطين واحتقاره لهم فى كتاباته ، فنعتهم بالجهل والافق المحدود والهمجية ، ومن أمثلة ذلك قوله « كان امراء المرابطين لجهلهم بالعلوم حريصين على استلهام سياستهم بمشورة الطبقة الكهنوتية(٢٧) الذين أسلموا لهم القياد فى الادارة الحكومية ، ولهذا تعرض الشعراء والفلاسفة وسائر الطبقة المستنيرة لنوع من التعصب غير المحتمل ، لقد حل بهؤلاء الرجال ، علماء الادب والفكر الذين كانوا ينعمون بالتقدير والاعزاز فى عصر الطوائف ، من التعصب الدينى المرابطى الفاحش ، ومن التحقير الذى لازمهم بصورة متواصلة ، وكانوا ساخطين على هذا الوضع المجحف الذى اضطرهم الى شراء سلامتهم وراحتهم بالأموال(٢٨) ... » وقوله « أما بالنسبة للنصارى فقد تحملوا آنذاك ظروفا غاية فى الشدة اذ أن تعصب المرابطين الذى استغله بحذق فقهاء الاندلس لم يقف عند حد،وبسببه تعرضت كثير من الكنائس للهجوم والتدمير(٢٩) ... » وبسبب حقده الشديد على المرابطين ،

---

(٢٥) Ibid, P. 53.

(٢٦) Ibid, P. 57.

(٢٧) هذا خطأ فاحش فلا يوجد فى الاسلام طبقة كهنوتية أو كما يفهم من هذا الاصطلاح طبقة رجال الدين .

(٢٧) Martinez y Martinez, P. 182.

(٢٩) Ibid, P. 182.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لتدينهم وحرصهم على مصلحة الاسلام والمسلمين فى الفترة الاولى من حكمهم أخطأ فى التأريخ لحكومتهم ، فذكر تحت عنوان « حكومة المرابطين » : « نعمت طبقة رجال الدين والفقهاء بكثير من الامتيازات فى عهد المرابطين »(٣٠) . ومرجع خطئه فى هذه النقطة أن الاسلام لم ينشىء طبقة من رجال الدين ، واذا كان يقصد بهم الفقهاء فان فقهاء الاندلس المالكية فى دولة المرابطين ، لم يكن لهم أى مظهر كهنوتى ، وكل ما فى الامر أن هؤلاء الفقهاء كانوا أكثر من غيرهم من الناس تفقها فى العلوم الدينية ، ولهذا كانوا موضع احترام الخاص والعام ولم يشكلوا طبقة متميزة فى المجتمع المرابطى .

ولكن بخلاف هذا الخطأ الذى وقع فيه مارتينث اى مارتينث فان كتابه يعد عملا كبيرا أفادنا الى حد كبير فىرسالتنا ، فهو تعرض لتاريخ بطليوس منذ عصر ما قبل الفتح الاسلامى،وحتى ما بعد سقوطهافىايدى الليونيين عام٦٢٨هـ (١٢٣٠م) وان كان قد مر فى بعض أجزاء كتابه مرا سريعا على تاريخ المدينة دون أن يوجه له ما يستحقه من اهتمام بينما فصل الحديث فى مواضع أخرى من بحثه .

فرنثيسكو كوديرة : « بنو مروان الجليقى » :

يعتبر هذا البحث الذى اعتمدنا عليه عند تأريخنا للثورة التى قام بها بنو مروان الجليقى فى ماردة وبطليوس من أهم البحوث التى تناولت فترة متقدمة من التاريخ السياسى البطليوسى،وهو بحث أساسى لدارسى هذه الفترة الهامة من تاريخ الغرب الاندلسى فى عهد الامارة ، وقد رجعنا الى ذلك المقال وعنوانه «Los Beni Meruan en Mérida y Badajoz» هو أحد مجموعة مقالات جمعها فرانثيسكو كوديرة فى كتابفى كتاب عنوانه (Estudios criticos de Historia arabe espanola)

(٣٠) Martinez y Martinez, Op. Cit., P. 182.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد صدر فى مدريد عام ١٩١٧ ، ويشمل المقال الاربعة وسبعين صفحة الاولى من هذا الكتاب .

ويستعرض كوديرة فى هذا المقـــال الكثير من الاحداث السياسية الهامة التى سبقت عصر مروان الجليقى وولده عبد الرحمن فى ماردة ، ويوضح لنا كيف أن ماردة كانت من أكثر مناطق الاندلس عصيانا للحكم الأموى(٣١) ، مما جعل هذه الاخبار بمثابة خلفيـة رائعـة للقـارىء والباحث عن أهم أحداث تلك الفترة الهامة ، وان كنـا نعيب على هذا المستشرق الكبير أنه أورد العديد من التفاصيل من الاحداث التى سـبقت عهـد بنى الجليقى فى ماردة وبطليـــوس بحيث لم تعد مجـــرد خلفية للاحداث وانما شكلت مقالا آخر من الممكن أن يـكون مسـتقلا بذاته ، فعلى مدى أربع وعشرين صفحة أخذ كوديرة يستعرض تلك الاحداث . وقد اعتمد فى كتـــابته لهذا البحث أساسا على جمـــع أقوال المؤرخين وترتيبهـا ترتيبـــا زمنيـــا ، الأقدم فالأحدث ، ففى بداية البحث يرجع الى ابن سعيد ويعتمد على نصوصه عنـدما يتعرض لذكر أحداث عام ٢٠١هـ(٣٢) (٨١٦م) ،ثم يأتى بنصـوص اقتبسها من الكامل فى التاريخ لابن الاثير لأحداث عام ٢٠٣هـ (٨١٨م)(٣٣)،وينتقل بعد ذلك الى ثورة محمود بن عبد الجبار ويتناولها بالتفصيل فيعرض لتطوراتها وأسباب انتقاله الى الملك الفونسو العفيف واستقراره هناك فى كنفه بعـد أن تحصـن فى حصن سانتا كريستينا على نهـــر مينه Mino وهو حصن يبدو أنه وهبه له واتخذه محمود بن عبد الجبار حصنا له ، كما أوضـح أن العلاقة الطيبة التى ربطت بين الثائر المسلم وبين الملك الجليقى لم تستمر طويلا ، وقد رجع كوديرة هنا فى هذه النقطة التىتختص بثـورة

---

(٣١) Codera, los Benimeruan en Merida y Badojoz, P. 3.
(٣٢) Codera, Ios Benimeruan, en Merida y Badajoz, P. 5.
(٣٣) Ibid, P. 5-6.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

محمـــود بن عبد الجبار الى العـديد من المصـادر العربيـــة مثـــل ابن خلدون(٣٤) وصاحب أخبار مجموعة وابن القوطية ، ورجع كذلك الى العديد من المدونات المسيحية وقارنها بالاخبار الواردة فى المصـادر العربية . ومن أهم المدونات المسيحية التى رجع اليها كوديرة وجمعها فلوريث فى كتابه الكبير Espana sagrada مدونتا البلدة وسباستيانى (Cronicon Albeldense (٣٥) ومدونة Cronicon Sebastiani) .

ومن أهم مزايا كوديرة الحيدة والموضوعية التامة وعدم الانحيـاز الى آراء المؤرخين النصارى التى وردت فى المدونات السـابق ذكرها ، لذلك فقد كان يأخذ بالآراء التى يراها أكثر استساغة للعقـــل والمنطق وترتيب الأحداث زمنيا ، وعلى سبيل المثـال فقد أخذنا بمـــا أوردته المصادر العربيـة عن سنة وفاة محمـــود بن عبد الجبار فى عام ٢٢٥هـ (٨٣٩م)(٣٦) .

ورغم هذه الفضائل والمزايا التى تميز بها بحث كوديرة عن بنى مروان الجليقى الا ان استطراده وتوسعه فى شرح ثورة محمود بن عبد الجبار وسليمان بن مرتين قد خرج به عن صميم الموضوع وهو ثورة بنى

---

(٣٤) Ibid, P. 11-13.

(٣٥) عثر عليها فى دير البلدة الواقع قريبا من مدينـــة لوجرونيـو Logrono فى وادى ابره وتشـتمل على تاريخ مختصر لملوك القوط فى اسبانيا وتاريخ الممالك المسيحية التى ظهرت فى شمال اسبانيا ومختصر لتاريخ العرب فى المشرق وفى الاندلس ، وتنتهى الاخبار بأحداث السنوات العشر الاولى من عهد الملك الفونسو الثالث العظيم (انظر جمال الدين الشيال ، التاريخ الاسلامى وأثره فى الفكر التاريخى الاوروبى فى عصر النهضة ، بيروت ، ١٩٦٩ ، ص ٢٧ ، وانظر أيضا :
Gamal El Din el Shayal, Ahmed Mokhtar el Abbadi, Islmaic and arab contribution to the european Renaissance, Cairo, 1977, P. 283).

(٣٦) Codera, los Benimeruan en Merida y Badajoz, P. 22.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مروان فى ماردة وبطليوس ، ورغم أن الثورات السابقة على ثورة الجليقى فى الغرب الاندلسى تعد خلفية هامة للالمام بالظروف والأحداث التى أثرت فى ثورة بنى الجليقى ، وطبعتها بسمات مميزة الا أن هذا لا يمنعنا من القول بأن هذا التفصيل من كوديرة فى شرح تلك الاحداث توسع كان يمكن اختصاره ، فبدلا من أن يشتمل هذا الجزء الذى نعده نحن بمثابة مقدمة تفيد فى تسليط الضوء على الظروف السياسية المحيطة ببداية ثورة بنى الجليقى على خمس وعشرين صفحة ، كان من الممكن أن يقتصر على عشر صفحات فقط تجنب الباحث من تشتت الذهن أو ربما كان الافضل أن يضع كوديرة لبحثه عنوانا يقتصر على ما يلى « ثورات ماردة وبطليوس ضد السلطة المركزية فى عهد الامارة » .

واذا انتقلنا الى صميم موضوعنا وهو بنى مروان الجليقى فسنرى أن كوديرة يفتتح حديثه عنهم بقوله « وقد كتبت فيه (يقصد عبد الرحمن بن مروان الجليقى) وفى أسرته مصنفات ومصنفات ، ولكن للاسف لم يصل الينا عنه الا اخبار متفرقة من الصعب تجانسها فى دراسة علمية ، ولهذا فسنقتصر على ترجمة النصوص (٣٧) ... » ولعل هذه الفقرة التى ذكرها كوديرة فى بدء حديثه عن بنى الجليقى هى بمثابة تعليل للمنهج الذى انتهجه فى بحثه ، وهو ما سبق أن ذكرناه ، من جمعه للنصوص العربية المتعلقة بالموضوع وترتيبها حسب أقدميتها دون تدخل كبير منه ، ولنضرب لذلك مثلا ، فهو قد بدأ حديثه عن عبد الرحمن بن مروان بترجمة الضبى له ، وهى التى جاءت تحت رقم ١٠٤٥ رغم أنها ترجمة هزيلة لم تزودنا بمعلومات وافية عن هذا الثائر القوى ، واكتفى كوديرة بترجمة ما أورده الضبى ووضعه كما هو فى مقاله ، ثم أورد ما ذكره ابن عذارى عن ابن مروان عند حديثه عن ثوار الاندلس ، ثم أورد ما ذكره ابن القوطية (٣٨) . ... الخ .

---

(٣٧) Ibid, P. 25.

(٣٨) Codera, Op. Cit., P. 26.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نقل كوديرة كل هذه النصوص دون ان يكلف نفسه مشقة استنباط حقائق تاريخية من خلالها أو يعلق تعليقا ما أو يثير بعض القضايا الجديرة بالتأمل والتفكير .

ومن اهم الآراء التى أوردها كوديرة(٣٩) وأخذنا بها نقده لرأى دوزى ، فقد استعرض دوزى فى براعة تامة الاخبار المتعلقة بأعمال ابن مروان ، ولكنه خصص له دورا أكبر من حقه ، فقد ذكر أن ابن مروان بعد أن تمكن من حشد عصابة من مسالمة ماردة ومولديها ، اخذ يدعوهم الى دين جديد ، هو وسط بين الاسلام والمسيحية ، متعاهدا مع الفونسو الثالث ملك ليون ، الذى كان بمثابة الحليف الطبيعى لجميع من يثور ضد حكومة قرطبة ، ويبدو أن العبارة التى ذكرها دوزى عن دعوة الجليقى من معه لدين جديد قد اقتبسها من ابن حيان وترجمها ترجمة حرفية ، ويهمنا أن نسجل عبارة ابن حيان « فارق الجماعة ، وجاور أهل الشرك ووالاهم على أهل القبلة ثم بدا له غير ذلك آخرا ، ففارق مجاورة الكفرة ولاذ بالطاعة(٤٠)...» .كذلك يقول ابن عذارى « ومنهم عبد الرحمن بن مروان المعروف بالجليقى اقتعد مدينتى بطليوس وماردة ففارق الجماعة وجاور أهل الشرك ، ووالاهم على أهل القبلة »(٤١) .

ومن خلال هذه النصوص العربية اتضح لكوديرة كما اتضح لنا أن دوزى قد أساء فهم تلك النصوص أو أنه بالغ فى تخيل قوة ونفوذ الجليقى ، فليس معنى استعانة الجليقى بملك ليون والتجائه اليه أن يقوم بالدعوة لدين جديد ، ولقد كان تحليل كوديرة لرأى دوزى وعرضه لرأيه فيما يختص بتلك النقط قويا ، مما جعلنا نأخذ بهذا الرأى ونغلبه على رأىدوزى .

---

(٣٩) Ibid, P. 27.

(٤٠) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق انطونية ، ص ١٥ .

(٤١) ابن عذارى ، البيان ، جـ ٢ ، ص ١٣٥ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكما سبق أن سقنا مثالا يوضح التزام كوديرة فى كثير من الاحيان بالنصوص العربية اذا ما تعرض لذكر نقطة أو خبر ورد ذكره فى كل من المصادر الاسلامية والنصرانية ، فاننا سنأتى هنا بمثل آخر يوضح هذه السمة التى اتسم بها كوديرة ، فقد رجع كوديرة الى كل من ابن عذارى وابن الاثير عند تعرضه لذكر حملة الامير محمد الى ماردة فى عام ٢٥٤هـ (٨٦٨م) وهى الحملة التى حاصر فيها المدينة مدة من الزمن حتى أذعن أهلها فنقلهم الى قرطبة بأموالهم ، وهدم سور ماردة ، ولم يترك الموضع الذى كان يقيم به عماله وولاته هناك . ولم يتردد كوديرة فى الاخذ برواية هذين المصدرين بدلا من الرواية المسيحية التى ساقها الاسقف دون رودريجو الطليطلى فى مدونته عن تاريخ العرب (Roderici Toletani, Historia Arabum) الذى تعرض لحملة الامير محمد ، ولكنه أدرجها تحت سنة ٢٤٨هـ (٨٦٢م) (٤٢) .

ولكننا نعيب على كوديرة اعتماده فى كثير من الاحيان على ابن خلدون كمصدر أساسى لمعلوماته رغم ما اتسمت به نصوص ابن خلدون والتواريخ التى يسجلها من أخطاء ، ومع ذلك فنحن نلتمس لكوديرة الكثير من الاعذار ، فمصادره فى ذلك الوقت عام ١٩١٧ كانت تقتصر على ابن عذارى وابن الاثير وابن الخطيب ، وأخبار مجموعة وتاريخ ابن القوطية ، وابن خلدون . ورغم تعدد هذه المصادر الا أنها لا تكفى لتزويدنا بتفاصيل الأحداث التى جرت فى عهد الامير محمد بينه وبين الثائر عبد الرحمن الجليقى ، ولم يرفع النقاب عن تلك التفاصيل الهامة الا بعد نشر القطعة الخاصة بتلك الفترة من الامارة من المقتبس لابن حيان وهى التى قام بنشرها وتحقيقها الدكتور محمود على مكى ، فبظهورها أميط اللثام عن كثير من النقاط الغامضة وترابطت بها الاخبار التى وردت ممزقة ومليئة بالثغرات ، واعتمد عليها كوديرة ، ومما لا شك فيه

(٤٢) Codera, los Beni Meruan en Merida y Badajoz, P. 30.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ان كوديرة بذل جهدا كبيرا ويحاول الافادة بقدر المستطاع من كل النصوص التى فى متناول يده للكشف عن الغموض الذى خيم على تلك الفترة التاريخية ٠

ولكن اعتماده على بعض النصوص والاخبار التى أوردها ابن خلدون قد أوقعه فى بعض الاخطاء التاريخية ، فقد اخذ كوديرة بما ذكره ابن خلدون عام ٢٥٥هـ (٨٦٨م) عندما اكد ان عبد الرحمن بن مروان الجليقى قد ذهب فى هذا العام الى ليون واتصل وده بملكها الفونسو وأقام عنده ولذلك فقد عرف بالجليقى(٤٣) ٠ وفى حقيقة الامر فان ابن مروان الجليقى لم يذهب الى ليون الا فى عام ٢٦٣هـ (٨٧٦م) وكان يقوم حتى منتصف عام ٢٦٣هـ (٨٧٦م) اى قبيل رحيله الى ليون مباشرة بالسلب والنهب ، وقد وضحنا بالتفصيل هذه المرحلة من ثورة الجليقى فى الفصل الخاص بذلك من رسالتنا ، وذكرنا اهم المصادر التى اعتمدنا عليها(٤٤) ٠

والشىء الغريب أن كوديرة عاد بعد عدة صفحات ليأخذ برواية ابن عذارى التى تؤكد انه فى عام ٢٦٣هـ (٨٧٦م) خرج الجليقى الى بلاد العدو واستقر بها(٤٥) ، ورغم ذلك فان كوديرة لم يعلق على الخبر الذى نقله من ابن خلدون ولم يوضح رايه الشخصى فى رحيل ابن مروان الى ليون ولم يذكر أية تفاصيل عن ذلك ٠ ومع ذلك كله فان كوديرة فى بداية مقاله سجل رفضه لراى ابن خلدون فى النص السابق ذكره القائل بأن الجليقى قد تلقب بهذا اللقب بسبب رحيله الى ليون والتجائه الى ملكها الفونسو(٤٦) ، وقد اخذنا نحن براى كوديرة هذا

---

(٤٣) Codera, Los Beni Meruan, Op. Cit., P. 31.

(٤٤) ابن حيان ، المقتبس من انباء اهل الاندلس ، ص ٣٨٣ ، ابن عذارى ، البيان ، جـ ٢ ، ص ١٠٣ ٠

(٤٥) Codera, Op. Cit., P. 38.

(٤٦) Ibid, P. 3.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كما سيتضح فى الفصل الخاص بابن مروان ، فلقب الجليقى قد اكتسبه ابن مروان قبل رحيله الى ليون ، وقد تلقب به لأن اصوله واصل اسرته ترجع الى منطقة استراما دورة التى التى كانت تسمى فى تلك الآونة باسم جليقية .

ومما سبق عرضه يتضح لنا أن كوديرة رغم انه خلق من مجموعة النصوص التى لديه مقالا هاما ، حاول فيه أن ينسق بين الروايات المختلفة ، وأن يعرض مجموعة من الافكار التى بلا شك فتحت أمام العديد من الباحثين مجالات وآفاق جديدة ، الا انه لم يعن بترتيب تلك الافكار وتوضيحها ، فهو قد تعرض للقب « الجليقى » على سبيل المثال فى الصفحة الثالثة من مقاله ، ثم وضح نص ابن خلدون الذى اعتمد عليه فى الحادية والثلاثين ، وبهذا يكون نقده لنص ابن خلدون قد سبق وروده بحوالى ثلاثين صفحة ثم عاد فى الصفحة الثامنة والثلاثين الى ذكر نص لابن عذارى يناقض ما ورد فى نص ابن خلدون دون تعليق منه او تحقيق ، وهذا لا يعنى سوى أن كوديرة كان يأخذ النصوص العربية دون ان يفحصها او يدقق فيها وكأنه كان يهتم بجمع اكبر قدر ممكن من تلك الاخبار والنصوص فى المصادر العربية دون تحقيق او تعليق .

ويعتمد كوديرة فى سرد احداث عام ٢٦١هـ (٨٧٤م) على كل ما كان فى متناول يده من نصوص عربية فى ذلك الوقت مثل نص ابن الاثير وابن عذارى وابن سعيد . ولكنها تشير الى ان ابن الجليقى واصحابه رحلوا بعد هروبهم من قرطبة فى ذلك العام الى قلعة الحنش . وبالرجوع الى المقتبس لابن حيان ، بتحقيق الدكتور محمود على مكى تبين أن هؤلاء الثوار اتجهوا بعد هروبهم من قرطبة اولا الى حصن الثلج(٤٧)

---

(٤٧) حقق الدكتور محمود على مكى اسم هذا الموضع تحقيقا دقيقا ، فرجح أن يكون له ارتباط بحصن شلبطرة لورودهما معا فى نص الحميرى فى معرض حديثه عن الحملة التى قادها محمد الناصر =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبعدها ، الى قلعة الحنش(٤٨) . وقد جاء هذا الخبر الذى أورده ابن حيان جديدا ومختلفا عن كل ما ورد فى باقى المصادر العربية الأخرى ، وبالتالى فان كوديرة لم يعلم به ولم يذكره فى مقاله(٤٩) . وبسبب عدم رجوع كوديرة الى هذا الجزء الهام من مقتبس ابن حيان لعدم ظهوره وقت ان كان يصنف بحثـــه ، فان كوديرة لم يطلـع على تفاصيل هذه الفترة من ثورة ابن الجليقى كما ذكرها ابن حيان ، ولذلك فهو لم يذكر قدوم سعدون السرنباقى فى هذا العـام ٢٦١هـ (٨٧٤م) ولم يذكر أن مكحول ابن عمر احد أعوان الجليقى كان قد استولى على قلعة جلمانية Jurumenha فى هذ االعـام لصـالح ثورة المولدين ، ولم يذكر أن أبنـاء عبد الرحمن بن مروان الجليقى الثلاثة منتصر ومروان ومحمـد كانوا يصحبون اباهم فى ثورته هذه . لم يذكر كوديرة ذلك بطبيعة الحال لأن هذه التفاصيل والاخبار لم تكن متوفرة لديه آنذاك ، لذلك كان علينـا ان نرجع الى مقتبس ابن حيـان الذى تعـرض لذكر تلك الاحداث واستفدنا منه الى أكبر مدى ، فوضحنا كيف حاصر الامير محمد ، ابن مروان الجليقى بقلعة الحنش ، وكيف قسم الامير محمد عسكره الى أربعة اقسام يحيط كل قسم منها بجهة من جهات القلعة على حدة ، كما وضحنا ان العـلاقة بين ابن مروان الجليقى ، وبين الامير عبـد الله ، وكانت

= الموحدى على قشتالة فى سنة ٦٠٨هـ (الحميرى ، ص ١٠٨) ويعتقد ان شلبطرة الواردة ربما يكون المقصود بهـا ما يعـرف اليوم باسم Salvatierra de los Barros الواقعة على سفح جبل شديد الارتفاع كثير الثلوج بحيث تبعـد عن ماردة بنحو ٦٠ ك٠م وعن قلعة الحنش بنحو ٥٠ ك٠م ، ويفترض أن يكون جبل الثلج هو نفس هذ االجبل المسمى Sierra de Gerez لبرودة قممـه (انظـر تعليـق رقم ٥٧٦ من هوامش المقتبس لابن حيان ، بيروت ، ص ٦٢٨ - ٦٢٩) .

(٤٨) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيـق د . محمـود على مكى ، ص ٣٤٧ .

(٤٩) Codera, Op. Cit., P. 32

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ودية ، لذلك فقد استجار ابن مروان بالامير عبـــد الله والتمس منه أن يتوسط له عند والده الامير محمد ، لكى يرفع الحصار الذى طال أمده وأرهق الثوار(٥٠) ٠

كذلك أغفل كوديرة الكثير من الروايات التى أوردها ابن حيـــان واعتمدنا عليها ولاسيما فيمـــا يتعلق بالخطوات التى سبقت دخول ابن مروان الجليقى الى حصن كركى ، وكذلك فيما يتعلق بأحداث المرحلة الرابعـــة من ثورة الجليقى ، وهو أيضـــا لم يتعـــرض بالشرح الوافى المستفيض لتفاصيل التجاء عبد الرحمـــن بن مروان الجليقى الى مملكة ليـــون ٠

وقد أشار كوديرة بطريقة خاطفة وسريعة الى غزوة البربرية التى جرت بين ابن مروان ومعه أنصاره من الثوار وبعض عسكر ليون « وذلك بعد التجائه الى ليون عام ٢٦٣هـ » وبين جند الامارة ، وفيهـــا انتصر الجليقى انتصارا حاسما ، وقد اعتمدت فى ذكر خبر هذه الغزوة على كل من ابن خلدون وابن الاثير ، ولكن كوديرة لم يحدد اسم هذه الموقعـة رغم ورود اسمها فى المصادر التى رجع اليها ، خاصة فى البيـــان لابن عذارى كما لم يحدد الزمن الذى جرت فيه ، مما افقد هذه الغزوة جزءا كبيرا من أهميتها ، وبالاضـــافة الى ذلك فان كوديرة قد زعم فى ســياق حديثه عن ثورة ابن الجليقى أنه خرج على كل من قرطبة وليون ممـــا جعل الفونسو ملك ليون ينقلب عليـــه الامر الذى دعاه الى التعجيـل بالعودة الى بطليـــوس ، واستند كوديرة فى ذلك الى كتـــاب العـــبر لابن خلدون ٠

وبالرجوع الى ابن خلدون وجدنا أن شـــيئا من ذلك لم يرد على

---

(٥٠) ابن حيـــان ، المقتبس ، تحقيـق د ٠ محمـــود على مكى ، ص ٣٥٥ ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الاطلاق ، فاما أن يكون كوديرة قد نسب الى ابن خلدون تفسيرا لعودة الجليقى من ليـون ، واما أن يكون قد أخطأ فى فهم نص ابن خلدون ، وعلى أية حال فقد رجعنا الى ما ورد فى مقتبس ابن حيـان ووجدنا أن أسباب الخلاف الذى دب بين الحليفين الفونسو ملك ليون ، وابن مروان الجليقى ترجع الى اغارة جند الفونسو على حصن دوبل وقتلهم لأهله وكانوا ينتمـون الى الجليقى ، على ما يبدو ، مما اثار حنق الجليقى ودفعه على ترك ليون .

واذا انتقلنا الى أحداث عام ٢٨٦هـ (٨٩٩م) نجد أن كوديرة قد التبس عليه الامر فى بعض النقاط أهمها قوله بأن الامير عبد الله قد ولى على بطليـوس أميرين تابعين للامارة انتهى أمرهما بأن قتـل أحدهما الآخر وقتل الذى بقى منهما على قيـد الحياة على يد عبـد الله حفيـد عبد الرحمن الجليقى ، ويستطرد كوديرة بقوله أن الامير عبـد الله قد توجه الى بطليوس وانه نجح فى قتل الثائر القائم بها واستولى عليهـا عام ٢٨٦هـ (٨٩٩م) ، والواقع أن هذه الوقائع لم تحدث ولعل كوديرة قد ظن ان عبد الله الجليقى الذى استولى على بطليوس بعد مقتل واليها هو الامير عبد الله(٥١) .

اما عن أحداث ثورة ابن القط فان كوديرة لم يشر اليها الا فى بضعة سطور.ومهما كان الامر فان كوديرة رغم بعض المآخذ التى أخذناها عليه ورغم بعض الاضطراب والتفكك الذى يشوب البحث ، الا انه يعتبر أحد المراجع الاساسية فى صلب هذا الموضوع وكان لزاما علينا قراءته قراءة متأنية ودقيقة .

ونستطيع أن نقرر أن كوديرة قد أنجز بكتابه لهذا المثال انجـازا

---

(٥١) Codera, Op. Cit., P. 53.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ضخما فى حدود امكانيات المصادر المتوفرة لديه، وقد ساعد هذا المقال العديد من الباحثين فى الكشف على كثير من النقاط الغامضة فيما يتعلق بثورة عبد الرحمن بن مروان الجليقى .

المؤرخ الاسبانى مانويل البران :
«Manuel Torron Albarran» : El solar de los Aftasies

يعتبر من اهم المراجع الاسبانية التى خصصت لدراسة تاريخ بطليوس فى عصر الطوائف ومن اكثرها تخصصا وتعمقا فيما يتعلق بهذه الفترة الهامة من تاريخ بطليوس ، وقد وضح لنا الاستاذ البران فى كتابه الاتساع الكبير الذى كانت عليه مملكة بنى الافطس وافاض فى وصف اسوارها وابوابها بصورة وافية للغاية مما يؤهل وصفه لكل مدينة او حصن كان يتبع المملكة البطليوسية لأن يكون بحثا ممتازا قائما بذاته ، وقد قام هذا المؤلف بنشر كتابه عام ١٩٧١ ، والحق ، لقد استعنا بهذا الكتاب واعتمدنا عليه اعتمادا خاصا لأن الاستاذ البران فى نظرنا يعد المؤرخ الوحيد الذى الف فى تاريخ مملكة بنى الافطس مؤلفا وافيا وقيما ، وقد بدأ البران دراسته السياسية بالتعريف بعصر ملوك الطوائف والظروف التى مكنت هؤلاء الملوك من الظهور ومن الاستقلال بممالكهم . وانتقل الى الحديث عن سابور الحاجب ، أول من استقل ببطليوس منذ أواخر عهد الحكم المستنصر وخلال عهد المنصور محمد بن ابى عامر ، وقد اعتبر البران عهد سابور بمثابة القنطرة أو البداية لعصر اسرة بنى الافطس .

ويعتبر بحث البران عن اصل بنى الافطس، واسمهم ، وسبب هذا اللقب العجيب ، وربطه بالعديد من الاماكن الجغرافية فى الجزء الغربى من شبه الجزيرة الاسبانية ، ومحاولته تتبع بعض الافراد الذين حملوا لقب ابن الافطس حتى موقعة العقاب ، وفى بلاد المكسيك ، بعد اكتشاف القارتين الجديدتين ، يعد هذا البحث أعظم ما كتب عن بطليوس مما

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أفادنا الى أكبر حد عند تعرضنا للحديث عن هذا الموضوع(٥٢) .

هذا وقد قام البران بمحاولة تقريب الاسماء العربيـة للمواضـع الطبوغرافية من الاسماء الحالية التى تحملها فى هذا الجزء الغربى الهام من الاندلس ، فأرجع الكثير من أسماء المواضع منذ العصر الاسـلامى الوسيط وحتى الآن الى أصول اسلامية عربية أو بربرية مما فتح لنا أبوابا كثيرة كانت موصدة ، ووضح لنا حقائق كثيرة كانت غامضة من قبل .

وقد تعرض البران لذكر العلاقات التى ربطت بين مملكة بن الافطس البطليوسية وبين ملوك النصـارى فى الشـمال ، ولم يكتف بسرد تلك السلسلة الطويلة من المعارك والغارات التى دارت بينهما ، وانمـا قدم لها بدراسة وافية عن العلاقات التى ربطت بين المسلمين فى بطليوس وبين النصارى منذ أيام الفونسو الاول عام (١٣٣هـ) ٧٥٠م وحتى عهـد فرناندو الاول الذى أغار على أراضى المظفر محمد بن الافطس فى عام (٤٤٣هـ) ١٠٥١م(٥٣) .

كما أفاض فى عرض العلاقات العدائية بين مملكة بطليوس ومملكة اشبيلية من جهة ، وبين مملكة بطليوس وطليطلة من جهة أخرى .

وقد اعتبر البران أن الحـرب التى نشبت بين ملوك بنى الافطس وبنى عباد هى حرب جنس ، أو حرب عنصرين متصارعين هما العنصر البربرى والعنصر العربى(٥٤) . وكان هذا هو حال الاندلس منذ أواخر عصر عبد الرحمن الناصر .

أما فيما يتعلق بالحرب القائمة بين يحيى المأمون بن ذى النـون

---

(٥٢) Manuel Torron Albarran, el solar de los Aftasies, P. 27-73.
(٥٣) Albarran, Op. Cit., P. 49-104.
(٥٤) Ibid, P. 252.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والمظفـر بن الافطس فان تاريخ هذه الحروب غير محـدود أو ثابت فى المصادر العربية مما جعل البران يحـاول الالمام بكل من كتب عن هذا الموضـــوع ، فقد رجع الى ابن الخطيب فى « أعمـال الاعلام » والى ابن حيان والى دوزى والى محمد عبد الله عنان ، وانتهى بأن قرر بأنه من الممكن وضع الخلافات بين بطليوس وطليطلة فيما بين عامى ٤٤٣ - ٤٤٧هـ (١٠٥١ - ١٠٥٥م) ومن هذا التاريخ تبدأ العمليات الحربيـــة التى قام بهـا فرناندو الاول ضد مملكة بنى الافطس ، وهذا الرأى هو ما أخذنا به عند تأريخنا لهذه المعارك التى دارت بين المملكتين .

وقد سلط البران أضواء ساطعة على مدينة قورية ، ووضح لنا مدى أهمية هذه المدينة كمفتاح للمملكة البطليوسية ، ثم وضح كيفية سقوطها فى يد الفونسو السادس فى عهد المتوكل عمر بن الافطس وربط بين هذا الخطر المسـيحى على قورية وبين الضعف الذى حل بممالك الطوائف فى تلك المرحلة والذى كان سقوط قورية فى أيدى المسيحيين ينهض دليـلا عليه ، ثم تعرض لذكر سقوط مملكة طليطلة فى عام ١٠٨٥م وأثر ذلك على ملوك الطوائف ، ثم مجىء المرابطين وعبور أميرهم يوسـف بن تاشفين الى الاندلس(٥٥) .

وأروع ما تحدث عنه البران باستفاضة هو موقعة الزلاقة (٤٧٩هـ) ١٠٨٦م لأنها الموقعة الاهم التى كما يراها المؤرخ عدلت مسار التـــاريخ الاسبانى الوسيط ، وكانت بداية النهاية لأسرة بنى الافطس فى بطليوس ولســـائر ملـوك الطوائف فى الاندلس . وقد اهتم البران بوجه خاص بدراسة الوضع الطبوغرافى لأرض المعـــركة وتطـــورها ونتائجها مع مقارنة الآراء الكثيرة التى جاءت فى هذا الصدد بعضها ببعض . ويمتاز كتاب أرض بطليـوس للبران بأنه الى جانب رجوعه الى العـــديد من

---

(٥٥) Albarran, El solar de los Aftasies, P. 125-130.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المصادر الاسبانية وغيرها استوعب كافة المصادر العربية التى تتعلق بهذه الفترة ، وعلى سبيل المثـــال كتـــاب « روض القرطاس » و « الحلة الســـــيراء » و « المعجب » و « نفـــــح الطيب » و « أعمـــــال الأعلام » ... الخ(٥٦) .

كما تعرض البران فى كتابه لوصف أهم الطـرق والمسالك بالمملكة البطليوسية وأهم حصونها ومدنها وثرواتها الاقتصادية ، وأهم السهول والفحوص وأهم الانهار والجبال والوديان . وقد اعتمد فى دراسته على كافة المصادر الجغرافيـة الخاصة بتلك الفـــترة من مؤلفات الادريسى والبكرى والحميرى .

أما عن بطليوس المدينة ذاتها فقد جمع كل أقوال الجغرافيين الذين تحدثوا أو أشاروا ولو من بعيد اليها ، فتحدث عن مظهرها العمـرانى وعن أبوابها وتفاصيل عمائرها ، وعن جناتها أو حدائقها ، ولم يكتف بالمصادر الجغرافية وانما قرأ كل القصائد والاشعار الرفيعة التى عبرت عن مدح طبيعة بطليوس ومنياتها ومنها منية قصر البديع الذى بنـــاه عمر المتوكل حيث كان يعقـد مجـــالس الشـــعر والطـــرب ، فذكر أنه فى خارج النطاق العمـــرانى للمـــــدن كانت تنفتـــح ســـاحة كبـيرة مخصصة لاعمال مختلفة ، كانت تسمى الشريعة أو المصـلى ، وأحيانا كان يقوم المتوكل فيها بتدريب الخيل وهى رياضة كانت محببة الى نفسه كعادة المسلمين فى تلك العصور الوسطى(٥٧) .

وكان البران أحد المؤرخين الذين أخذوا برواية ابن عذارى ، فى أن بطليوس رغم أنها تبدو اسلامية الانشاء الا أنها تسبق فى تاريخها الفتـح

---

(٥٦) Ibid, P. 131-237.

(٥٧) والمعروف أن تدريب الخيل وتمصيرها كان يقـــام فيما يعـــرف بالمصارة (راجع بحث المصـــارة ، للدكتور أحمـــد الطوخى (مقبول للنشر فى مجلة جمعية الاثار بالاسكندرية)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الاسلامى، ويعبر عن ذلك بقوله «ان محتويات المدونات تتيح لنا ان نلمح انه كان يسبق بناءها على النشز التاريخى المسمى الربوة La Muela مركز عمرانى وان كان قليل الاهمية وذو قوة دفاعية ضئيلة ، ولا يمكننا ان نغفل حقيقة الشواهد الرومانية التى كشفت وما أسفرت عنه البحوث الاثرية من وجود آثار قديمة جدا ببطليوس ولا من القطع القوطية الرائعة التى تم العثور عليها(٥٨) .

وقد حاول فى عدة صفحات معرفة اسم بطليوس ، ثم مضى يتحدث عن ابن مروان الجليقى الذى كان أول من اهتم ببطليوس منذ الفتح الاسلامى للاندلس(٥٩) .

والواقع ان هذا المرجع يعد من أهم المراجع التى يحتاج اليها الباحث فى تاريخ بطليوس ، وهو موضوعى ، خالى من التحيز بعكس المرجع السابق الذى الفه مارتينث اى مارتينث ، مستوف لكل أصول البحث العلمى من حيث الرجوع الى كافة المصادر العربية والاسبانية ، ولذلك يستحق منا ان نضعه فى راس قائمة المراجع الاوروبية التى رجعنا اليها رغم أنه أحدثها جميعا .

---

(٥٨) Albarran, el solar, Op. Cit., P. 623.
(٥٩) Ibid, P. 625-627.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الدراســـة التمهيـــدية

١ ـ الحقـائق التاريخيـــة عن الموقع القـــديم لبطليـوس والآراء المختلفة حول الاسم ٠

٢ ـ الوضع الجغرافى لبطليوس
المدينة وأهم المراكز العمرانية لبطليوس الاقليم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الدراسة التمهيدية

١ - الحقائق التاريخية عن الموقع القديم لبطليوس والآراء المختلفة حول الاسم :

تقع مدينة بطليوس غربى مدينة قرطبة(١) على الضفة اليمنى من نهر واديانة(٢) Guadiana قبل أن يصب فى المحيط الاطلسى بنحو ستين كيلو مترا .

وكانت بطليوس فى عصر دولة بنى أمية فى الاندلس جزءا من اقليم ماردة(٣) ولكنها أصبحت فى عصر ملوك الطوائف حاضرة بلاد

---

(١) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، مادة بطليوس .

(٢) ويذكر الادريسى أن واد يانه هو : « نهر ماردة وبطليوس ، وعليه حصن مارتلة المشهور بالمنعة والحصانة وحصن قسطلة على نحر البحر ، وهو عامر آهل وله بساتين وغلات شجر التين كثيرا ، ومنه الى قرية طبيرة على مقربة من البحر ١٤ ميلا ... » (الشريف الادريسى : المغرب وأرض السودان ومصر والاندلس مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ، ليدن ١٨٦٨ ، ص ١٧٩) ويذكر الرازى « ونهر آنة ومنبعثه بين شمال الاندلس وشرقيها فيما بين الجبل المسمى البويرة ، ومدينة رقوبل (وهى فوق مدينة ريمية) ومنصبه فى البحر المحيط بأكشونبة ومسافة طولها ثلاثمائة وعشرون ميلا . ونهر آنة هذا يغيض بين ماردة وبطليوس فيجرى متواريا حتى يبدو بموضع يعرف بفج العروس من فحص الفج ، ثم يغيض فيخرج بقرية من قرى قلعة رباح يقال لها آر » .
انظر :
Lévi Provençal, la Description de L'Espagne d'Ahmed Al Razi, Al-Andalus, Vol. XVIII, Fasc. I, Madrid 1953. P. 102).

(٣) الحميرى (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم) : صفة جزيرة الاندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار فى خبر الاقطار ، تحقيق ليفى بروفنسال ، القاهرة ١٩٣٧ ، ص ٤٦ ؛ المقرى (أحمد محمد المقرى التلمسانى) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، جـ ١ ، ص ١٥٦ ، ويصف ابن سعيد بطليوس نقلا عن الرازى بقوله «مدينة عظيمة كثيرة الحذق ، =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الجوف(٤) بغرب الاندلس(٥) . ومن المعروف أن اسم بطليوس لم يردد للمرة الاولى منذ الفتح الاسلامى للاندلس الا فى عهد الامير محمد بن عبد الرحمن الاوسط ، وجاء ذكره فى حوادث هذا العهد بمناسبة خروج عبد الرحمن بن مروان المعروف بالجليقى على الامير الاموى فى عام ٢٦١هـ (٨٧٤م)(٦) .

وعبد الرحمن الجليقى هذا هو الذى اسس مدينة بطليوس ، واستقل بها ، ويسجل هذا التاريخ بداية عهد من الازدهار شهدته مدينة بطليوس فى عصر الدولة الاموية بالاندلس ، وعلى الاخص فى عصر ملوك الطوائف وعصر دولتى المرابطين والموحدين الى حد انها تفوقت على ماردة التى كانت قاعدة الاقليم ومركز ثقله فى ظل الرومان والقوط

= جامعة للخلق ، أرضها كريمة وهى على نهر آنة (انظر ابن سعيد « على بن موسى المغربى ») : المغرب فى حلى المغرب ، جـ ١ ، تحقيق شوقى ضيف ، القاهرة ١٩٥٣ ، ص ٣٦٢ - ٣٦٣) ، ويشير ابن غالب الى ان بطليوس من كورة ماردة ويصفها بانها « مدينة عظيمة كثيرة الحذق ، جامعة للخلق ، وأرضها كريمة ،ولها اقاليم عدة » (محمد بن أيوب بن غالب الغرناطى ، نص اندلسى جديد : قطعة من كتاب فرحة الانفس فى تاريخ الاندلس ، تحقيق لطفى عبد البديع . مجلة معهد المخطوطات العربية ، ج ٢ ، نوفمبر ١٩٥٥ ص ٢٩٠) .

(٤) اصطلح اهل المغرب والاندلس على اطلاق كلمة « الجوف » على شمال البلاد والقبلة على جنوبها ، تاريخ الاندلس لابن الشباط ، نصان جديدان تحقيق أحمد مختار العبادى ، حواش، ص ١٤٧) والمقصود هنا ببلاد الجوف ، الثغر الجوفى أو الثغر الادنى وهى المناطق الغربية من الاندلس .

(٥) ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ، جا ، ص ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ومن الجدير بالذكر أن اصطلاح غرب الاندلس ، مازال يطلق فى يومنا هذا على المنطقة الممتدة غربى اشبيلية حتى المحيط وتسمى حاليا Algarbe ، وهو اسم محرف من الغرب .

(٦) السيد عبد العزيز سالم : بطليوس ، مقال بكتاب الشعب ، عدد ٦١ ، ص ٦٦ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الغربيين(٧) ، واستمرت تشغل مكان الصـــدارة حتى بداية ظهـور بطليوس ٠

وهناك من المؤرخين والجغـــرافيين الاندلسيين وفى مقـــدمتهم ابن القوطية ، وابن سعيد المغربى ، والحميرى ، من يرى أن بطليـوس مدينـة اسـلامية الانشاء أحدثت فى عهـــد الامارة على يد ابن مروان الجليقى : فابن القوطيـــة يذكـر أن ابن مروان الجليقى هو الـــذى ابتنى بطليـــوس ومدنهـــا وعمـــــــرها(٨) ٠ وكـذلك اورد ابن سعيد نفس المعنى فذكر ان الذى أحدث هذه المدينـة وكان أول بان لها هو عبد الرحمن الجليقى ، وكان « ابتداء خلافه على سلاطين بنى مروان سنة احدى وستين ومائتين وتوارثها ولده »(٩) ٠

اما الحميرى فيؤكد أن بطليوس حديثة الانشـــاء بنيت عـلى يد ابن مروان الجليقى(١٠) ٠ ولكننا نستدل مما رواه كل من ابن حيان ،

---

(٧) انظـر تاريخ الاندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط ، المصدر السابق ، ص ١٤٧ ٠ وقد وصف ابن الشباط ماردة فقال « وماردة احدى القواعد التى تخيرها ملوك العجم للقـــرار ابتداها القياصرة وترددت فيها الملوك ، فتجددت بهـا الاثار بالبنيـــان المتقن والتزيين والرخام المعجب ٠٠٠ » وفى ماردة يقول الحميرى « ماردة مدينة بجوفى قرطبة ، منحـــرفة الى الغرب قليلا ، وكانت مدينة ينزلها الملوك الاوائل ، فكثرت بها آثارهم والمياه المستجلبة اليهـا ، واتصـل ملكهم الى أن ملك منهم سبعة وعشرون ملكا ، ويقال ان ذا القـرنين كان منهم ٠٠ ثم دخلت امة القوط فغلبوا على الاندلس فاقتطعوها من صاحب رومة واتخذوا طليطلة دار ملكهم ٠٠ وقيل بل كانت دار مملكة لماردة بنت هرسوس الملك وبها من البناء آثار ظاهرة تنطق عن ملك وقدرة ٠٠٠ » (انظر الحميرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٧٥ -١٧٦ ،
Carlos Callejo Serrano, Badajoz y su Provincia, Barcelona, P. 6.

(٨) ابن القوطية (أبو بكر محمد بن عمر القـــرطبى) : تاريخ افتتـاح الاندلس ، تحقيق خوليـان ريبيرا ، مدريد ١٩٢٦ ، ص ٨٩ - ٩٠ ٠

(٩) ابن سعيد : المغرب ، جـ ١ ص ٣٦٢ ٠

(١٠) الحميرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ٤٦ ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عمدة مؤرخى الاندلس ، والبكرى ، وابن عذارى ، وابن خلدون أن موقع بطليوس كان مركزا عمرانيا قديما ثم هجر فى فترة غير معروفة ، ودثر ولم يظهر كمدينة الا فى عهد الامير محمد بن عبد الرحمن الاوسط على يد ابن مروان الجليقى ٠

وذكر ابن حيان فى معرض حديثه عن عبد الرحمن بن مروان مروان الجليقى انه هو الذى بنى بطليوس واقتعدها دار مملكة(١١) ، ثم عاد ابن حيان ليذكر فى كتابه المقتبس قاصية الغرب وهى يومئذ خالية يبنيها لنفسه ولمن معه(١٢) ، ونستنتج من نص ابن حيان أن بطليوس لم يستحدثها ابن مروان وينشئها من فراغ ، فقد كانت على حد قوله موضعا قديما مهجورا « وهى يومئذ خالية » ، وهذا فى حد ذاته يعنى أن موقع بطليوس كان بلدة ذات أصول سابقة على الفتح الاسلامى وانها خلت من سكانها فى حقبة تاريخية لا نستطيع تحديدها وانها ظلت خالية الى ان اعاد ابن مروان تعميرها وبناءها ٠ ويذكر البكرى انه لجأ الى حصن مرنيط من حصون جليقية وانعقد سلمه معه على ان يستقر ببطليوس ويتخذها دارا ، وهى اذ ذاك خالية(١٣) ٠٠٠ » ٠ ويوضح ابن عذارى هذا القول ، فيذكر أن الجليقى حين نزلها كانت يومئذ مجرد « قرية »(١٤) ٠

ويؤكد ابن خلدون ذلك فيصف بطليوس حين نزلها عبد الرحمن

---

(١١) ابن حيان (ابو مروان حيان خلف) ، المقتبس فى تأريخ رجال الاندلس ، القسم الثالث ، تحقيق الأب ملشور م ٠ انطونية ، باريس ١٩٣٧ ، ص ١٥ ٠

(١٢) ابن حيان : المقتبس من أبناء أهل الاندلس ، تحقيق دكتور محمود على مكى ، بيروت ، ص ٣٤٥ ٠

(١٣) البكرى (أبو عبد الله البكرى) : جغرافية الاندلس واوروبا من كتاب المسالك والممالك ، تحقيق دكتور عبد الرحمن على الحجى ، بيروت ١٩٦٨ ، ص ١٢٢ ٠

(١٤) ابن عذارى المراكشى : البيان المغرب فى أخبار الاندلس والمغرب ، الجزء الثانى تحقيق ج ٠ س كولان ، وليفى بروفنسال ، بيروت ، ص ١٠٢ ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بأنها كانت خربة فشيدها الجليقى(١٥) ، وهذا خير دليـــل على أن بطليوس كان لها كيان فعلى قبل أن يمصرها ابن الجليقى وأنها خربت ودثرت وتحولت الى قرية خربة غير مأهولة بالسكان . ويأخذ عدد كبير من المؤرخين الاسبان الحديثين والمعاصرين برأى ابن حيـان ومن يتفق معه فى الرواية من مؤرخى العـــرب وجغرافييهم ، فيرجعون مدينـــة بطليوس الحالية الى أصول رومانية ويميل أكثرهم الى القول بأن موقع بطليوس كانت تشغله مدينة باكس أوجوستا Pax Augusta الرومانية وكانت معروفة فى مراحل الجادة الرومانية ولذلك عرفت بطليوس باقليم « السلام » Pacense (١٦) . وينسب بعضهم بناء بطليوس الرومانية الى اغسطس قيصر شـأنها فى ذلك شـــأن ماردة وغيرها من المدن التى تسمت باسم قيصر(١٧) ومنها سرقسطة(١٨) .

ويذكر ميليـــدا فى موسـوعته الاثرية عن مدن اسبانيا ان الأثرى البرلينى Emilio Hübner يرجع انشاء بطليوس الى العصر الرومانى دون أن يحـــدد لهـا اسما بينمـا اختص مدينـــة باجة(١٩) باسـم

---

(١٥) ابن خلدون (عبد الرحمن ابن خلدون المغربى) : كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ، القسم الاول ، المجلد الرابع ، بيروت ، ١٩٦٨ ، ص ٢٨٤ .

(١٦) José Ramon Mélida : Provincia de Badajoz, Texto I, Madrid, 1925, P. 377.

(١٧) Diogo Suarez De Figueroa : Historia de la ciudad de Badajoz, Badajoz, 1976, P. 61.

(١٨) كانت سرقسطة تعرف باسم قيصر اغسطس Caesar Augusta

(١٩) عن باجة يقول الحميرى فى الروض المعطار « باجة الاندلس من اقدم مدنها بنيت فى أيام الاقاصرة ، بينهـا وبين قرطبـة مائة فرسخ من الكور المجندة ، نزلها جند مصر وكان لواؤهم فى المسيرة بعـد جنـد فلسطين ... ، ومدينـــة باجة اقدم مدن الاندلس بنيانا واولها اختطاطا واليها انتهى يوليوس القيصر وهو أول من سمى قيصر ، وهو الذى ســماها باجة وتفسير باجة فى كلام العجم الصلح Pax (الحميرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ٣٦) وباجة حاليا من مدن البرتغال وهى بخـلاف باجة =

Julia Augusta (٢٠) . وهنـــاك من المؤرخين من يجعـــل من ماردة وبطليـــوس(٢١) فى العصر الرومانى(٢٢) قاعدتين رئيسيتين لاقليـم

= تونس التى تقع على الطـــريق من طبرقة الى تونس (راجع الادريسى : المغـــرب وارض الســـودان ومصر والاندلس ، ص ١١٥) .

(٢٠) انظر تعريف Pax Julia فى Dictionary of greek and Roman Geography. فقد ورد فى القاموس اليونانى/الرومانى أن مدينة Pax Julia (ويسود الاعتقاد انها باجة الحـالية فى البرتغال) مدينة فى جنوبى لشدانية Lusitania على الطريق من اشتورياش Esuris الى يابرة Evora وكانت مستعمرة رومانيـــة وربمـا تكون مدينـــة Pax Augusta التى ذكرها استرابون فى المجلد الثالث فقرة (١٥١) على عادة الكثير من المدن التى كانت على عصر الرومان تتمتـــع بازدواجيـــة فى الاسماء ، وبرجوعى الى استرابون ، الجزء الثالث ، ص ٥٩ ـ ٦٠ فقرة (١٥١) وجدت انه ذكر فى معرض حديثه عن أهم المدن الرومانية القائمة فى شبه جزيرة ايبيريا اسم Augusta Emerita, Pax Augusta ، وانه أغفل اسم Pax Julia ولهذا فان الكثـــير من المؤرخين يرجحون الرأى القـــائل بان Pax Augusta هى ذاتها Pax Julia او بطليـــوس ، ومنهم Resende الذى عرض Albarran فى كتابه El solar de los Aftasies لرايه ، وان كنـــا نميـــل الى ان باجة هى Pax Augusta و Pax Julia فى ذات الوقت استنادا على رأى Martinez y Martinez ، فهو لا يقـر الرأى القائل بأن بطليوس هى مدينة Pax Augusta فلو أن اسم بطليوس مقتبس من اسم Pax Augusta لكـــان نطقـه أقـرب الى Baxaugus مثـلا ، وحيث انه لم يعثر على اى أثر أو نقش يحمل اســـم Baxaugus فاننا نلتزم برأى Martinez y Martinez فى رفض الرأى القـــائل بأن بطليـوس هى ذاتها Pax Augusta الرومانية ، وسأعرض فيما بعد بعض المقترحات حول أصل اسم بطليوس (انظر كتابه Historia del Reino de Badajoz, P. 22).

(٢١) يرى بعض المؤرخين الاسبان أن ماردة التى بنيت عام ٢٥ ق٠م عـــلى ضفاف واديانه والتى كانت تسمى باللاتينية عـــلى ايام الرومان Colonia Emerita Augusta كانت فى الواقع من اعظم مدن شبه الجزيرة الايبيرية او بمعنى آخر روما اسبانيا باعتبارها حاضرة لشدانية الرومانية مستشهدين بقول الشاعر Ausonio « ماردة ، أيتها المدينة الشهيرة ، ان نهرك يجرى بسرعة هائلة ليطويه البحر فى أعماقه ، وانك لسيدة أسبانيا بأسرها ..» =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

استرامادورة الذى كان القلب النابض لمنطقة لشدانية Lusitania (٢٣) احدى ولايات ثلاثة كانت تشتمل عليها «ابارية» أو شبه الجزيرة الايبيرية فى تلك الآونة .

ويرجع بنيـــان بطليـــوس الى زمن يسبق بكثـير عصر اغسطس قيصر(٢٤) ، الذى كان الرومان فى أيامه قد بداوا فى انشاء المستعمرات ، وقد ورد فى أحد المصادر الاسبانية أنه لو أن اغسطس بقواته واجنـاده الرومانهو الذى اسس مدينة بطليوس لما كان قد احتاج الى التشريعات والامتيازات الرومانية التى حصلت عليها بطليوس باعتباره هو وجنـده مواطنين رومان لا يحتاجون الى الامتيازات والقوانين الرومانية(٢٥) .

= انظر : Miguel Munoz De San Pedro, Badajoz, P. 20). ويرى هذا الباحث أن الآثار الرومانية فى ماردة تدل على عظمتها وسيادتها ومن هذه الاثار الجادة الرومانية المرصوفة ومن أمثلتها الطريق الشهيرة الموسومة بطريق الفضـة Via de la Plata وهى التى كانت تمتد من ماردة حتى اشتورياش ومن ماردة حتى جنـوب الاندلس، ومن أمثلتها أيضا الكتل الجرانيتية الضخمة التى كانت تشكل بناء المسارح والمعابد الرومانية الرائعة ومنهـا الاعمـدة والتماثيل الرومانيـــة .. ثم يذكر أن باقى المدن الرومانيـــة العظيمة التى ظهرت مثل (Zalamea) — Colubri (Alanje), Regina (Reina) — Muniapuim Julipense قد ظهرت حول ماردة المركز الاهم والاعظم .

(٢٢) Serrano, C. Badajoz y su provincia, P. 5-6.

(٢٣) لمزيد من التفاصيل عن الاثار بولاية لشدانية القديمة راجع : (Melida. : Provincia de Badajoz T, I, P. 89-198.

(٢٤) De Figueroa : Historia de la ciudad de Badajoz, P. 61.
وقبـــل سيطرة الرومان على اسـبانيا فى عام ٢١٤ ق.م كانت ابارية تنقسم الى ثلاثة أقاليم هى طركونة وباطقة ولشدانية ، وكانت طركونة تسمى اسبانيا الدنيا Espana Citerior فى حين كان يطلق على كل من باطقة ولشدانية اسم Espana ulterior
(De Figueroa, Op. Cit., P. 47)

(٢٥) من الآثار الرومانية الهامة فى بطليوس لوحة من الحجـــارة البيضاء تحتوى على بعض الرموز والكتـابات والرسوم التى ترمز الى حية هرقل الذى حكم اسبانيا عام ١٦٧٨ قبل الميـلاد (انظر : (De Figueroa : Op. Cit,. P. 63.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولهـــذا السبب يستبعد دى فجـــويرا De Figueroa أن تـــكون مدينة بطليوس من انشاء اغسطس قيصر ، ويميل الى ارجاع انشائها الى عهود أكثر قدما . ويسوق De Figueroa عددا من الاســانيد والحجج لاثبات رايه الجديد ، فيذكر أن أسوار بطليوس المغــرقة فى القدم ترجع الى عصور تسبق العصر الرومانى ، هذا بالاضـــافة الى تحليله لاسم المنطقة الواقعة بازاء البرج المعروف ببرج القديمة وكانت تسمى Calea نسبة الى الغال،ويستند فى رايه بأن هذه المنطقة كانت مقرا للغال الذين تسموا فى اليونانية بالكلت Celtos اعتمـــادا عـــلى عـــدد من الشـــواهد الاثرية عثر عليها فى أماكن متعددة من بطليوس من بينها تيجان وابدان أعمدة وكميات كبيرة من قطع فخارية(٢٦) تنتمى جميعها الى الطـــرز الايونية والدورية والتوسكانية(٢٧) .

ولقد فحص Jose Ramon Melida جميع التحف الاثرية القديمـــة المحفوظة فى متحف الآثار المحلى ببطليوس وترجع الى عصور ما قبـــل التـــاريخ ثم صنفها الى عصورها المختلفة ، فأرجع بعضها الى العصر الحجـــرى La edad de Piedra ، وبعضها الآخـــر الى عصر البرونز La edad del Bronce ، وسجل فى معـــــرض وصفه لهذه الادلة الاثرية

---

(٢٦) يعتمد De Figueroa فى عرضه لهذه الشواهد الاثرية المنتمية الى الطـــرز الايونية والدورية والتوسكانية على الوصف الذى أورده ماركو فيتروبيو Marco Vitrubio لها . وقد بقى بعض هذه الشواهد ـ وذلك فى عصر De Figueroa ـ فى كنيسة ســان بدرو فى بوابات الميدان وعلى باب الحصن وفى الاسوار ولـــكن على وجه الخصـــوص فى كنيسة سانتا ماريا ويتمثـــل ذلك فى الاعمدة التى تحمل العقود (انظر :
(De Figueroa : Historia de la ciudad P. 64.

(٢٧) وعلى هذا نستنتج أن De Figueroa يرجع انشـــاء بطليـــوس الى العصر اليونانى حتى أنه وصفها فى بداية كتابه « ومدينـــة بطليـــوس ليست منافسة لاسبرطة وهنـــاك وحدة واتفاق مع جيرانها واتفاق ووئام بين سكانها .... » (Op. Cit., P. 36).

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اسماء الاماكن التى تم العثور فيها عليها ، ومعظمها يقع فى مدينة بطليوس ذاتها أو فى المنطقة المحيطة بها .

ومن كتابات Mélida تتأكد لنا الحقيقة التاريخية لموقع بطليوس ، فبطليوس مدينة عريقة فى القدم ، وكانت مركزا حضاريا ومدنيا عريقا فى القدم يرتفع الى العصر الحجرى القديم ، واذا ما تناولنا بالدراسة أهم الادوات الاثرية التى صنعها الانسان القديم فى بطليوس فى عصور ما قبل التاريخ يتبين لنا أنها على قدر كبير من التقدم اذا ما قورنت بغيرها من الادوات الاثرية فى مجتمعات أخرى(٢٨) .

ومن أهم أمثلة الانتاج اليدوى لانسان بطليوس فى العصر الحجرى La edad de Piedra ما يلى :

أولا - مجموعة دون سيزار جونثالث(٢٩) César Gonzalez

١ - فأس(٣٠) حجرية مصقولة ، حافتها مقوسة ويبلغ طولها ٠٥ رم ، أما مدار حافة النصل فيبلغ ٠٨ رم ، وقد عثر عليها فى موضع سانت فيثنتى القنطرية .

---

(٢٨) José Melida : Provincia de Badajoz, I, P. 8.

(٢٩) Melida : Ibid, P. 7-8.

(٣٠) عثر على هذه المجموعة فى منطقة سان فثنتى San Vicente القنطرية (نسبة الى قنطرة السيف) وقد اشار الحميرى الى هذا الموضع ، فقال « قنطرة السيف بالاندلس ، حصن بينه وبين ماردة يومان ، وهو حصن منيع على نهر القنطرة واهلها متحصنون فيه ، ولا يقدر لهم احد على شىء ، والقنطرة لا يأخذها القتال الا من بابها فقط ، والقنطرة هذه قنطرة عظيمة على قوس من عمل الاول ، فى أعلاها سيف معلق لم تغيره الازمنة ولا يدرى ما تأويله » (الحميرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٦٤) ونهر القنطرة هو نهر تاجة وفى ذلك يقول الادريسى « ونهر تاجة المذكور يخرج من ناحية الجبال المتصلة بالقلعة فينزل مارا مع المغرب الى مدينة طليطلة ثم الى المخاضة ثم الى القنطرة ثم الى قنيطرة محمود ثم الى مدينة شنترين ثم الى لشبونة فيصب هناك فى البحر ٠٠ » (الادريسى : المصدر السابق ، ص ١٨٩) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٢ ـ بلطة او فاس حجرية على هيئة نصف قرص ، وهى خير مثل لدينا على انتاج العصر الحجرى ، يبلغ طولها ٠٥٧رم٠ وعرض حافة نصلها ٠٠٦رمترا ، عثر عليها ايضا فى نهاية موضع سان فيثنتى القنطرية San Vicente ٠

ثانيا ـ مجموعة اخرى من الادوات الحجرية جمعها انطونيو كوفارسى Don Antonio Covarsi ومحفوظة فى بطليوس(٣١) :

١ ـ سبع عشرة بلطة من حجر الديوريت،قليلة الصقل أطوالها تتراوح بين١٥رم٠ ، ٧رم٠ (٣ ـ ١٩) ٠

٢ ـ تسع بلطات من الديوريت ناعمة وجيدة الصقل أطوالها تتراوح بين ١٢٥رم٠ ، ٠٧٨رم (٢٠ ـ ٢٨) ٠

٣ ـ بلطةمن البازلت عريضة للغاية عند منتصفها ، حافتها مستديرة ويبلغ طولها ١٩٥ر١ وعرضها ٠٧٣رم٠ وسمكها ٠٥رم٠ (٢٩) ٠

٤ ـ بلطة من البازلت صغيرة وبها قطع مستدير ومقوس ، لم يعن بصقلها يبلغ طولها ٠٧٦رم٠

٥ ـ بلطة من الديوريت سميكة بها قطوع مستدير ومقوس ، يبلغ طولها ١٢٤رم٠ (٣١) ٠

٦ ـ بلطة من الحجر الاخضر ، سميكة ، بها قطوع فى نهاياتها ، يبلغ طولها ١٢٧رم٠ وعرضها ٠٦٠رم٠ وسمكها ٠٤ر٠ (٣٢) ٠

٧ ـ بلطة صخرية من مادة اشبه بالالبستر ، جيدة الصقل يبلغ طولها ١١٨رم٠ (٣٤) ٠

---

(٣١) راجع باقى النماذج
Melida : Provincia de Badajoz, P. 8.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٨ - بلطة من الديوريت ، سميكة وعريضة للغاية من منتصفها ، وبها تطوع مقوس ، جيدة الصقل ، يبلغ طولها ٢٤٣رم٠ (٣٥) ٠

٩ - بلطة من البازلت جيدة الصقل ، ورشيقة ناعمة ، واقرب الى شبه المنحرف ، وبها قطع مقوس ويبلغ طولها ٢١رم (٣٢) ٠

وقد عثر فى غرب الخزان الذى يزود السكان بالمياه على بعض الادوات التى ترجع الى العصر الحجرى مصنوعة من حجر الصوان مثل السهام والنبال،ومن بين هذه الادوات سكين من الحجر طوله ٠٨٥رم٠ وعرضه ٠٢رم٠

والى العصر البرونزى La edad de Bronce ترجع بعض أدوات نحاسية هى الفؤوس التقليدية التى تحتفظ بنفس اشكال الفؤوس النيولوتية المتأخرة والتى ترجع الى مرحلة الانتقال من العصر الحجرى الى عصر استخدام المعادن وان كانت الامثلة ترجع الى عصر استخدام البرونز(٣٣) أقل بكثير من تلك التى ترجع الى العصور الحجرية(٣٤)٠

(٣٢) لمزيد من الامثلة راجع ، ص ٨ - ٩ من نفس المرجع
Melida : Op. Cit., I P. 8.

(٣٣) لمزيد من التفاصيل عن عصر البرونز راجع
Melida : Op. Cit., I P. 8.

(٣٤) لقد نشأت أول سلالة بشرية فى استرامادورة خلال العصر الباليوليتى Paleolitico فى كهف مالترا فيزو Maltravieso الذى يقع بالقرب من قاصرش ، منذ حوالى ٣٠٫٠٠٠ عام ، وفى تلك الآونة خطا الانسان القديم لأول مرة على تراب بطليوس ٠ وفى العصر الحجرى الأعلى فرضت أول سلالة بشرية ثقافتها وحضارتها وأسست أول أصول عرقية فى المنطقة مختلطة مع العناصر الميزوليتية Mesolitico ٠ وقد تعرضت هذه الخلفية العرقية لتأثير جنس جديد حل فى المنطقة ، وهو تأثير الطرشيشيون Tartesios وهو السلالة التى تكونت فى عصر البرونز edad del Bronce مختلطة مع عناصر سامية وبربرية واستقرت فى وديان نهر الوادى الكبير ، وامتدت حتى نهر وادى آنة ، واستمرت العملية السلالية بظهور الكلت ، وهم الشعب الاوروبى الاطلنطى الذى غزا القسم الغربى من الجزيرة =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكان يقابل مدينة بطليوس فى بداية العهـــد الاسلامى فى الاندلس موضع يعرف باسم البشرنل(٣٥) ، وقد عرف ابن القوطية البشرنل بقوله « والبشرنل هذه تقابل بطليوس وبينهما النهر »(٣٦) . وكان ابن مروان الجليقى قد اشترط على الامير محمد أن يباح له البشرنل يبتنيها ويمدنها مقابل أن يقيم الدعوة له دون ان يلتزم بجباية .

واستقر الامر لابن مروان الجليقى على ما اشتهاه ، فاقام بطليوس فى الموضع المواجه للبشرنل ، ولكن عندما أراد هاشم بن عبد العـزيز أن يثأر منه أبلغ الامير محمـد أن ابن مروان كان فيما مضى يخـــرج هو وأصحابه على ظهور خيولهم من موضـع الى موضـع ، ولكن امره قد استفحل وعظم شأنه بعد أن اتخذ مدينـة ودورا وقصـورا وبســاتين

= فى القرن السادس ق . م ولقد عاشت هذه الشعوب متحالفة ضد الغزاة ، وعلى أيام الفينيقيين بدأت القوافل فى نقل النحـاس والقصدير المركب مع البرونز ، لقد أقام رجال عصر ما قبل التاريخ قبورهم بداخل صخور المنطقة ، واستقروا فى كهوف فى أوليفـا بمارده Oliva de Mérida والبوكيركى El Cerro y Arroyo de Alburquerque فى San Servan ســـان ســـرفان ولقد انشأوا الاعمدة فى أماكن متعددة مثل San Vicente de Alcantara وكذلك فى أم غزالة Magacela ، ونقشـــــوا الكثير من الرسوم فى صفرة Zafra ، وحصن الحنش Alanje وكركى . لقـد أظهـرت مخلفـات العصر الحجـرى وعصر البرونز والحديد الطريق الطويل الذى سارت فيه تلك الحضارات التى تركت آثارا وراءها تدل عليها مثل الفؤوس وقطع الفخار والمعبودات الوثنية واللوحات الاردوازية والسهام والنبال مما جعل المناطق التى انتشرت فيها تلك المخلفات مراكز عمرانيـة ناشئة تسمت فيمـا بعد هذه الآونة بقرون بالقنطـرة وكركى والحنش (Munoz de San Pedro, Op. Cit., P. 169.

(٣٥) السيد عبد العزيز سالم : بطليوس ، مقـالة بكتـاب الشعب ، عدد ٦١ ، ص ٦٦ .

(٣٦) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٨٩ ، ٩٠ ومن هذا نستنتج أن البشرنل لم يكن اسم بطليوس ذاتها وانمـــا كان اسم القرية المقابلة لبطليوس ويفصل بينهما وادى آنه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

محيطة بها ، واقترح على الامير أن يخرج على رأس حملة يشترك فيها الامير عبد الله(٣٧) .

ويرجح البران Albarran أن البشرنل كانت تقع على الربوة المرتفعة التى تتشابه مع الموقع الذى تقوم عليه بطليوس ، وكانت هذه الربوة تعرف فى الوثائق القديمة باسم Cerro de Orinaza حيث كان يقوم حصن صغير يعرف بحصن سان كريستوبال(٣٨) .

وربما كان السبب الذى من أجله اختار ابن مروان الجليقى بطليوس ليستقل بها بدلا من البشرنل المقابلة لها والتى يفصلها واد يانه عنها أن ابن مروان الجليقى الذى كان ملما الماما جيدا بطبوغرافية المنطقة كان يستهدف موقعا أكثر منعة وحصانة كما أنه كان يسعى فى أن يتحكم فى النهر من الامام(٣٩) . ولسنا بصدد الحديث عن موقع بطليوس وحصانته ولكننا نبحث فى تفسير اسم بطليوس .

فعلى هذا الاساس فان اسم بطليوس أطلق على المدينة موضع الدراسة ، وكان هذا الاسم يطلق لأول مرة فى العصر الاسلامى ، فلم نجد فى المصادر السابقة على العصر الاسلامى هذا الاسم بطليوس بنفس اللفظ والحروف . واستمر اسم بطليوس العربى مستخدما كاسم فعلى للمدينة حتى بعد أن استردها المسيحيون فى عام ٦٢٧هـ/١٢٣٠م(٤٠) والدليل على ذلك أن الملك الفونسو العاشر العالم ذكر اسم بطليوس أثناء

---

(٣٧) المصدر السابق ، ص ٩٠ .

(٣٨) يعتقد البران Albarran أن البشرنل كانت تقرؤ باليـاء (اليشرنل) ولهذا فهى تكون قريبة من حيث النطق الى كلمة Orinaza ، ولكن البران عاد الى التأكيد بأن حصن سان كريستوبال هو نفسه مدينة البشرنل القديمة ، انظر :
(Albarran : El Solar de los Aftasies, P. 627).

(٣٩) Albarran El Solar, Op. Cit., P. 627.

(٤٠) De Figueroa : Historia de la ciudad de Badajoz, P. 42.

حديثه فى احدى اجتماعاته بالكنيسة الكاتدرائية فى مدينة بطليوس فى نوفمبر من عام ٦٩٠هـ/١٢٩٣م لمنح بعض الامتيازات ، وقد ذكر الفونسو اسم بطليوس بهذه الصورة Badalloz (٤١) .

ومن الجدير بالذكر أن دون فرناندو Don Fernando ملك البرتغال أورد فى رسالة مؤرخة فى التاسع من مارس عام ٨١٤هـ (١٤١٧م) اسم بادلوس Badalouce على أنه بطليوس وهى تسمية قريبة من حيث النطق الى الاسم العربى بطليوس .

ومن الواضح أن التسمية الاسبانية Badajoz مشتقة من التسمية العربية بطليوس،وهذهالتسميةالاسبانية تخضع تماما لقوانين الصوتيات لأن الطاء تحولت الى D والسين الى Z (٤٢) .

وكلمة باداجوز Badajoz تتكون من مقطعين ، بادا ، وجوز ولعل هذين المقطعين يقتربان من حيث نطقهما للسامع من اسم ثانى ابواب السور الغربى بمدينة قرطبة وهو الباب الاوسط المعروف باسم باب الجوز(٤٣) الذى يحمل أيضا اسم باب بطليوس ، وكان هناك أكثر من باب بسور قرطبة اطلق عليه اسم احدى المدن الاندلسية مثل باب

---

(٤١) Ibid, P. 42.

(٤٢) و Badalloz, هى بطليوس بالعربية ولكنها تنطق بالاسبانية نطقا مختلفا من نطقها باللغة العربية فهى تنطق كما لو كانت بطايوس ولعلها محرفة من بلد الجوز أو وادى الجوز .
Albarran : Op. Cit., P. 623.

(٤٣) المقرى : نفح الطيب ، جـ ٢ ، ص ١٣ ، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس من الفتح العربى حتى سقوط الخلافة بقرطبة ،بيروت ، ١٩٨١ ، ص ٣٠٢ ، ٣٠٣ وكذلك كتاب قرطبة حاضرة الخلافة ، ص ١٧٣ — ١٧٤ ؛
Rafael Castejon : Cordoba Califal, Boletin, de la real Acad. de Cordoba, 1929, P. 274.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سرقسطة وهو الباب الجنوبى فى السور الشرقى بمدينة قرطبة (٤٤) وباب طليطلة فى نفس السور ، وباب ليون أو طلبيرة فى السور الشمالى لقرطبة وقد أطلق على هذه الابواب أسماء هذه المدن لاتجاه كل منها الى المدينة التى تسمى باسمها (٤٥) .

ومادام قد أطلق على الباب الذى يتجه الى مدينة بطليوس اسم باب الجوز وفى نفس الوقت اسم بطليوس ، ولما كان هناك تشابه فى مقاطع الكلمتين فان هناك احتمال كبير فى أن يكون أصل كلمة بطليوس مشتقا من باب الجوز ومنها جاءت الكلمة الاوروبية Badajoz ، ولعل كلمة « باب الجوز » جاءت محرفة من « بلد الجوز » أو «وادى الجوز » Valle del joz ثم حرفت الى بادا - جوز ، حيث أن منطقة بطليوس وما حولها كانت شهيرة بكثرة الغابات وكثافتها وبخاصة غابات البلوط (٤٦) وأشجار الجوز التى كانت تنمو وتجود فى مناخ بطليوس الذى ساعد على نمو الغابات وانتشارها .

ويرى البعض أنه ربما يكون اسم بطليوس قد أشتق من الكلمة العربية « بلد الضرس » (٤٧) Beledajors . والضرس هنا بمعنى La muela أى الربوة أو المكان المرتفع . فعلى الرغم من أن بطليوس تبدو اسلامية الانشاء فان المدونات التاريخية تتضمن ما يشير الى أن الربوة المسماة La muela هى مركز عمرانى قديم يتميز بقوة دفاعية ومناعة لا حدود لها ، كما أنه لا يمكن أن نهمل حقيقة الشواهد

---

(٤٤) المقرى : المصدر السابق ، ص ١٣ .

(٤٥) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس ، ص ٣٠٢ .

(٤٦) الحميرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ٤٥ ، الادريسى : المغرب وأرض السودان ، ص ٢١٣ ،
Manuel Torron Albarran : El Solar, P. 296.

(٤٧) De Figueroa : Historia de la ciudad de Badajoz P. 43.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الرومانية التى كشفت والاثار القديمة التى اسفرت عنها البحوث الاثرية فى الموقع ، ولا اللوحات الحجرية والكتل الرخامية القوطية الرائعة التى تم العثور عليها ، الامر الذى يدعونا الى القول بأن السكان الرومان الذين سكنوا حوض Anas القديم لم يستطيعوا بأى حال من الاحوال اغفال هذا الموقع المتميز لهذه الصخرة الجيرية التى أوحلها النهر القديم الطامى بجوار فحص قديم شديد الخصوبة ، ولعل هذه الربوة La muela تفسر موقف ابن مروان الجليقى من اصراره على اختيار بطليوس على وجه الخصوص لتكون مدينته التى يستقر فيها وينتزى بها ، وكذلك كل شىء يوحى بأن اسما قديما قد تحول فيما يرجح الى اللغة العربية(٤٨) . ويوضح De Figueroa أثناء وصفة لقصبة بطليوس انها كانت تحظى باسم الضرس لارتفاعها كحصن يحمى المدينة فوق التل أو الربوة المشرفة(٤٩) على نهر وادى آنة شرقى الزاوية التى ينحرف اليها النهر ، حين ينساب الى حدود البرتغال(٥٠) ، وقد يتعرض هذا الرأى للرفض على أساس أن قصبة بطليوس لم يتم بناؤها الا على يد الخليفة ابى يعقوب يوسف بن عبد المؤمن الموحدى ، فى حين أن مدينة بطليوس قد تأسست وتمصرت فى عهد الامير محمد بن عبد الرحمن(٥١) الاوسط أى فى عهد يسبق الزمن الذى بنيت فيه القصبة الموحدية بثلاثة قرون .

---

(٤٨) Albarran. M : Op. Cit, P. 623.

(٤٩) De Figueroa : Ibid, P. 25.

(٥٠) محمد عبد الله عنان : الآثار الاندلسية الباقية فى اسبانيا والبرتغال ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٦١ ، ص ٣٧٣ .

(٥١) يقول ابن صاحب الصلاة « وهو الذى حمى بطليوس من الكفر وابتنى لها قصبتها الشاهقة المانعة ، وسرب الماء اليها من الوادى .. » ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة على المستضعفين ، ص ٢٣٦ ، راجع مقالا عن قصبة بطليوس وأطلالها لتوريس بالباس فى مجلة الاندلس ومقالا آخر عن مسجد القصبة .

Al-Andalus, 1941, Fasc. I P. 168-203, Ibid : 1943, Fasc. II. P. 467.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولكن عددا من المصادر العربية أشارت الى أن قصبة بطليوس عريقة فى القدم ، وأن بناءها يرجع الى نفس التاريخ ، الذى بنيت فيه المدينة (٢٦١هـ - ٨٧٤م) . فالحميرى يذكر فى معرض حديثه عن الاعمال التى قام بها عبد الرحمن بن مروان الجليقى فى بطليوس بعد أن اذن له الامير الاموى(٥٢) ببنائها أنه « شرع فى بناء الجامع باللبن والطابية ، وبنى صومعته خاصة بالحجر واتخذ مقصورة ، وبنى مسجدا خاصة بداخل القصبة(٥٣) ... » . كذلك يذكر ابن عذارى أن ابن مروان « ابتنى فى بطليوس حصنا وجعله موطنا وادخل فيه أهل ماردة وغيرهم من أهل المكاتبة على الشر(٥٤) ... » ويوضح البكرى عند سرده لأهم الوقائع التى جرت أثناء ثورة عبد الرحمن بن مروان أنه أتم بناء الجامع والحمام وأن « لبطليوس أقاليم وحصون كثيرة »(٥٥) . وهناك نص هام أورده ابن حيان فى المقتبس يشير بصراحة الى قصبة بطليوس جاء فيه أنه بعد سقوط مدينة يابرة(٥٦) عام ٣٠١هـ

---

(٥٢) لم يذكر اسم الامير لأن هناك مناقشة سنثيرها فى الفصل الاول حول الامير الذى تم فى عهده بناء بطليوس ، هل هو الامير عبد الله كما ذكر الحميرى فى هذا النص أم الامير محمد كما جاء فى مصادر اسلامية أخرى .

(٥٣) الحميرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ٤٦ .

(٥٤) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٠٢ .

(٥٥) البكرى : جغرافية الاندلس وأوروبا ، ص ١٢٣ .

(٥٦) الحميرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٩٧ ، ويابرة من كور باجة بالاندلس ، وهى قديمة ، واليها ينسب ابن عبدون اليابرى الشاعر (انظر : محمد عبد الله عنان : الآثار الاندلسية ، ص ٤١١) وهى قاعدة ولاية النتيخو ويرجع تاريخ انشائها الى العصر الرومانى حيث كانت تسمى Ebora ، وتقع شمالى باجة وجنوب شرقى لشبونة على مقربة من بطليوس . وكانت أيام الطوائف من أعمال مملكة بطليوس ، وسقطت يابرة فى أيدى النصارى عام ٥٦١هـ (١١٦٥م) وصارت فيما بعد جزءا من مملكة البرتغال الناشئة على أيام الملك البرتغالى الفونسو انريكث ، ويذكر الادريسى أن يبورة « يابرة » مدينة كبيرة عامرة بالناس ولها سور وقصبة ومسجد جامع وبها الخصب الكثير الذى لا يوجد بغيرها من كثرة الحنطة واللحم وسائر البقول والفواكه وهى أحسن البلاد بقعة وأكثرها فائدا =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(٩١٣م) اهتم أهل غرب الاندلس بتحصين مدنهم وأن أهل بطليوس كبرى مدائنهم قاموا فى ذلك « أحسن قيام بفضل ما بهم من قوة ، وكان سور قصبتهم الى ذلك الوقت مبنيا بترب الطابية ، المرزوم بالمداوس ، وبالطوب الشمسى عمل أميرهم الاول عبد الرحمن بن مروان الجليقى أول ما نزل معهم(٥٧) .. » . ويؤكد هذا المعنى ما زودتنا به المدونة دقيقة عن الاعمال التى أجريت فى بطليوس فى عام دقيقة عن الاعمال التى أجريت فى بطليوس فى عام ٣٠١هـ (٩١٣م) ابتداء من الحملة المظفرة التى قادها أردون الثانى ضد يابرة ، فهذه المدونة تسلط الضوء على بعض النقاط الغامضة . فبعد أقل من عام من امارة عبد الرحمن بن محمد ، ظلت الأوضاع الداخلية فى الاندلس على مثل ما كانت عليه قبل ارتقائه دست الامارة ، وقد أتاح ذلك للملك أردون فرصة الاندفاع العسكرى فى أراضى غرب الاندلس ، وقد تسببت محاولات ملك ليون الاستيلاء على بطليوس كما وضحتها مدونة سيلنس فى اشاعة الذعر بين أهل بطليوس وتخوفهم من البقاء فى المدينة الامر الذى دفع هؤلاء وعلى راسهم أميرهم عبد الله بن محمد حفيد المؤسس ابن مروان الجليقى الى المبادرة باصلاح أسوارها وتحصين قلاعها التى كانت لاتزال قائمة منذ أيام ابن مروان الجليقى (الأول) . ولم يتردد عبد الله صاحب بطليوس فى القيام باصلاح الاسوار والقصبة بعد أن تعرضت لأضرار كبيرة منذ ان هاجمتها قوات الامير المنذر واحرقتها على أثر فرار ابن مروان الجليقى الى

= والتجارات اليها داخلة وخارجة » (الادريسى : المغرب وارض السودان ص ١٨١ وانظر : الحميرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٩٧) .

(٥٧) ابن حيان : المقتبس ، الجزء الخامس ، نشره ب . شالميتا وف . كورينطى ، مدريد ١٩٧٩ ، ص ٩٦ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اشبرغزة (Esparragosa) عام ٢٧١هـ (٨٨٤م)(٥٨) .

وورد فى المقتبس لابن حيان (٥٩) فى معرض حديثه عن الهجوم الذى شنته قوات عبد الرحمن الناصر على بطليوس فى عام ٣١٧هـ (٩٣٠م) النص التالى « ولازم أحمد ابن اسحاق القرشى القائد المقام على حصن بطليوس وكدهم بالحرب ووقمهم بالذل .. » ، ويفهم من هذا النص أيضا أن بطليوس كانت حصنا كما يفهم من النصوص السابقة وانه كان لها قصبة أو حصن لا يرام .

ولعل هذه النصوص السابقة تؤكد أن قصبة بطليوس كانت قائمة قبل عصر الموحدين بما لا يقل عن ثلاثة قرون وربما كانت حصانة موقع هذه القصبة السبب فى اعتناء الموحدين باعادة بنائها منذ الثلث الاخير من القرن السادس الهجرى (١٢م) ، ربما لأن بطليوس كانت ثغرا عسكريا يقع على الطرف الغربى من دولة الاسلام فى الاندلس ، وتعرضها لذلك لهجمات النصارى المستمرة ، ولهذا السبب أمر الخليفة أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بعمارة قصبة بطليوس وأسوارها على انقاض القصبة القديمة التى أصبحت على أيام الموحدين أطلالا دارسة بعد أن تعرضت منذ عهد بنى الجليقى(٦٠) لعاول التخريب والتدمير على أثر استيلاء قوات الخليفة عبد الرحمن الناصر عليها فى سنة ٣١٨هـ (٩٣٠م)(٦١) . ولقد ظلت آثار قصبة بطليوس قائمة فى عهد

---

(٥٨) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، جـ ٧ ، ص ٤١٦ . وفى ذلك يذكر ابن الاثير « وفى هذه السنة سير محمد صاحب الاندلس جيشا مع ابنه المنذر الى مدينة بطليوس فزال عنها ابن مروان الجليقى وكان مخالفا كما ذكرنا وقصد حصن اشبر غزة فتحصن به فأحرق المنذر بطليوس » .

(٥٩) ابن حيان : المقتبس ، جـ ٥ ، ص ٢٤٩ .

(٦٠) محمد عبد الله عنان : الاثار الاندلسية الباقية ، ص ٣٧٣ .

(٦١) يمكن القول بأن الاسوار والابراج التى تحيط اليوم بأطلال قصبة بطليوس من انشاء الموحدين باستثناء قطاع صغير يرجع تاريخه فيما يظهر الى عهد بنى الافطس .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بنى الافطس ، ونستدل على ذلك من نص أورده الفتح بن خاقان نطالع فيه ما يلى « فوصل المتوكل الى القصبة المطلة على البطحاء المزرية بمنازل الروحاء فأقام فيها »(٦٣) وكل ما سقناه من حديث فيما سبق انما قصدنا به اثبات أن موقع القصبة المنيع جعلها ضرسا قويا ، وحصنا منيعا ، ربما كان له دخل بتسميتها بلد الضرس الذى يعتقد دى فيجويرا أن اسم بطليوس قد أشتق منه ، وتكون بطليوس بذلك قد نسبت الى اشهر معالمها الاستراتيجية(٦٤) . ولكننا لا نوافق دى فيجويرا على هذا الرأى لأن اسم بلد الضرس لم يرد قط فى أى مصدر عربى قبل اسم بطليوس كما أن بطليوس نفسه أعجمى ولا يجوز أن يطلق العرب اسما أعجميا على مدينة محرفا من اسم عربى ، ولو ان ما ذهب اليه دى فيجويرا صحيح لكان الاسم الذى يعتقد انه الاصل فى تسميتها وهو « بلد الضرس » قد ورد فى المدونات التاريخية . وأعتقد أنه أراد أن يفسر الاسم الاسبانى لبطليوس من حيث الصورة الصوتية دون أن يفكر فى البحث عن مصدر الصورة العربية للاسم ، وهى بطليوس . ولا يكتفى دى فيجويرا بهذا التفسير فيعود الى القول بأنه ربما يكون الاسم قد أشتق من كلمة Beled — Ayx بمعنى بلد القدس والطهارة ، ويمضى دى فيجويرا فى شرح هذا الرأى ويجنح الى الخيال فيرى أن بطليوس كانت تعرف بهذا الاسم أيام العرب لأن أصل اسمها Pax angus ومعناه ارض الانبياء والرسل والقديسين(٦٥) .

---

(٦٣) ابن خاقان (الفتح) : قلائد العقيان ، القاهرة ١٣٢٠هـ (١٩٠٢م) ص ٤٣ .

(٦٤) لعل قصبة بطليوس التى أنشأها ابن مروان الجليقى قد بنيت على انقاض حصن رومانى قديم حيث أن De Figueroa أكد أن الكثير من أسوار بطليوس يرجع الى العهد الرومانى بل والى عصور الكلت (انظر :
De Figueroa, la historia de la ciudad de Badajoz, P. 63.

(٦٥) لم نعثر على أدلة اثرية تحمل اسم Paxangus ومن هنا فاننا نرفض هذا الرأى الذى جاء به De Figueroa

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فاذا كان الحوارى يعقوب قد جاء الى اسبانيا فى عام ٤٢م فى عهد الامبراطور جاليجولا وريث طيبريوس ، فان هذا القديس زار فى جملة ما زاره مدنا عديدة منهـا متروبوليس تاركا وراءه الاساقفة . ويؤكد De Figueroa أن الحوارى يعقوب زار المدن الواقعة على ضفتى وادى تاجة ومن بينها ماردة وعددا كبيرا من مدن لشدانية ، ولا يستبعد دى فيجويرا زيارته لبطليوس حيث أسس كاتدرائيتها ونصب فيها أسقفا ، ويوضح دى فيجويرا هذا الرأى فيذكر اننا اذا أمعنا النظر فى تاريخ الحواريين فاننا نجد أنهم كانوا يبحثون عادة عن المدن التى ينتشر فيها الفسق والفساد وعبادة الاوثان حيث يستطيعون اقناع الناس بالايمان ، ويوضح دى فيجويرا أسماء أهم الاساقفة الذين نصبوا فى اسقفية بطليوس(٦٦) .

وهناك من يرى أن بطليوس اشتقت اسمها من الكلمة Bada luz (٦٧) ، وتنقسم الى مقطعين الاول Bada ، ويرجعه أنصار هذا الرأى الى تلك الشعوب الغالية المسماة بالباديوس Badios والتى نزحت الى بطليوس وتركت اسمها بطبيعة الحال على الموضع الذى استقرت فيه ، واما المقطع الثانى لوز Luz فقد أرجعوه الى المقطع الاول من كلمة Luzitania (لجدانية) . والمعروف أن بطليوس باجماع كثير من المدونات الاسبانية كانت احدى قواعد اقليم لجدانية ، وبالرجوع الى تاريخ السيد La historia del Cid نجد أنه يؤكد أن بطليوس وماردة كانا يؤلفان مركز الثقل فى لجدانية كما أن الملك الفونسو العاشر كان يرى أن لجدانية لا تشتمل الا على بطليوس والغرب(٦٨) .

---

(٦٦) De Figueroa : La historia, Op. Cit., P. 75.

(٦٧) Ibid : P. 43.

(٦٨) انظر De Figueroa : Op. Cit., P. 43. ويعتقد دى فيجويرا أنه ربما كانت بادا Bada الشق الاول من =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثم طلع علينـــــا كل من مارتينث اى مارتينث ومانويل البران Albarran برأى آخر أرجعا فيه اسم بطليوس الى اللفظة اليونانية Bazzdaz بمعنى«البطل»،مرجحين بذلك الاصل اليونانىلاسمالمدينة، وهذا الاسم دخل فيما بعد فى اللغة اللاتينية شأن كثـــير من الاســماء الرومانية ذات الاصول اليونانية ومنها Elena و Alexander, (٦٩) . ويرجع مارتينث اى مارتينث أن يكون اسم بطليوس قد ظهر على أيدى المستعربين فى القرن التاسع حيث انه يرى أن اسم بطليـوس ليس له اشتقاق فى اللغة العربية(٧٠) .

ومن بين كل هذه الآراء السابقة نميل الى الاعتقـاد بأن اســم بطليوس أطلقه المولدون فى هذه المنطقة على هذه المدينة محـــرفا من «وادى الجوز» كما سبق أن أوضحنا،وأن مدينة بطليوس عريقة فىالقدم ترجع الى عصور ما قبل التاريخ وانهـــا كانت مركزا هاما فى العصر الرومانى ، ونستبعد أن يكون الاسم مشتقا من الاسم اللاتينى Pax Augusta لأنه الاسم الذى عرفت به مدينة باجة . واذا جاز لنـا أن نتقصى مصدر بطليوس من تسمية لاتينية ، فربما كان من الانسب ارجاعه الى Pax Julius الذى يقترب الى حد ما فى نطقه من صـوت بطليوس وان كان يصعب فى النطق تحويل باكس فى Pax Julius الى « بط » فى بطليوس ، ذلك لأن Pax Augusta لا يمكن أن تتحول

= كلمـــة Badaluz ترجع الى أيام Publio Cornelio الذى غزا اســبانيا فى العـــام الخـــامس والاربعين من تأسيس روما Escipion وكان قد وفد من مدينة تسمى Badia شديدة الحصانة والمناعة ، فلما غزا اسبانيا أقام فى موضع بطليـوس حصونا وقلاعا وسمى هذا الموقع الحـــربى Bada نسبة الى بلده .

(٦٩) Don Matias Ramon Martinez y Martinez : Historia del Reino de Badajoz durante la dominacion musulmana, Badajoz 1904, P. 20.

(٧٠) Ibid, P. 21.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فى النطق الى بطليوس الا بعد سلسلة من التغيرات المتتابعة التى لا يمكن تبريرها(٧١) . وعلى الرغم من ذلك فقد لقى هذا الرأى استجابة من جمهور من الباحثين(٧٢) ، الا أن فئة من المؤرخين يعارضون هذا الرأى اذ يرون من المستحيل ايجاد علاقة بين باكس أوجوستا Pax Augusta وبين بطليوس لاختلاف تحويل Pax أو Pacen فى Pacen Augusti الى طاء فى بطليوس وابتعاد مقطع « اليوس » فى بطليوس عن Augusti (٧٣) .

ولقد حاول فريق ثالث من المؤرخين تفسير اسم بطليوس ولكن عن طريق آخر غير الاصل اللاتينى ، وقد رجحت هذه المدرسة اشتقاقة من أصل يونانى فيكون بذلك أصل اسم بطليوس هو اسم Bazzahoz التى أمكن ادماجها فى اللاتينية ثم انتقل بعد ذلك الى اللغة العربية فى صورة « بطليوس » عندما اتخذ ابن مروان الجليقى فى عهد الامارة مقره للحكم فى نفس الموضع . ويعلق البران على ذلك بأن اللفظ اليونانى بطليوس استخدم كصفة Bazzahoz ، كما ورد اسم Battalo فى كتاب بلوتارخ(٧٤) كصفة ومنها جاء اسم العلم Battalus ، الذى عثر عليه فى اسبانيا ، ويؤكد Hübner انه عثر فى استرقة على نقش لهذا الاسم ، ويذكر الاستاذ البران انه عثر فى اسبانيا على كلمات ونقوش تحمل الاصل اللفظى Bata مثل Baticus و Bataesina وغيرها من الكلمات التى أطلقت على أسماء مواضع من اسبانيا مازالت تحمل أسماءها حتى اليوم(٧٥) .

---

(٧١) Huici Seybolds : Encyclopédie de L'Islam. t. I, P. 1. 124.

(٧٢) ويؤكد هذا الرأى Gaspar Barreiros ونقله الينا البران Abarran, : El solar de los Aftasides, P. 19.

(٧٣) A. Castro, Acerca del nombre de Badajoz, en Revista espanola, 1926, t XII, PP. 76-77.

(٧٤) Plutarco : «Las Vidas paralelas», trad. de Sanz, Romanillos, biblioteca Clasica, T. XXIV, P. 372.

(٧٥) Albarran : El solar de los Aftasides, P. 621.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهناك آراء ترجع اسم بطليوس الى أصل بشكنسى حيث أن الاسماء البشكنسية تنتهى عادة بالنهاية ez أو oz ، أو الى أصل قوطى أو لاتينى أو كلتى ، حيث تنتهى الكلمة بـ icus ، أو أصل ايبيرى أو هندوأوروبى عن طريق النهاية us ، أو عربى . ويرجح الاستاذ غرسية جومث(٧٦) الرأى الاخير ، وهو رأى يعتبره البران بناء(٧٧) ، ويلخص الاستاذ غرسية جومث رأيه بأن أسماء النسبة عند الاسبان المنتهية بحرف z لم تظهر بكثرة فى الكتابة حتى القرن التاسع الميلادى ، ويستدل على ذلك بسلسلة الاسماء المنتهية فى الاسبانية بـ oz,ez,iz وفيها تتخذ السين الاخيرة حرف z كالحال فى بطليوس العربية التى تحولت الى Batalyus ثم الى Badajoz أما منندث بيدال فيؤكد أن كثيرا من أسماء بلدان فى منطقة البحر المتوسط الغربى تنتهى بحرف oz أو z ، ويأتى البران بقائمة من أسماء مواضع تتشابه مع بطليوس فى مناطق مختلفة : منها اسم مجرى مائى أو رافد من نهر دويرة بالقرب من بلد الوليد اسمه Bajoz ، واسم موضع يعرف باسم Badayoz ، ويذكرنا هذا الاسم بصيغة Vadalloz (وادى اللوز) الواردة فى امتياز منحه الفونسو العاشر فى ولاية البه Alva ، أما خارج حدود اسبانيا فتكرر أسماء مماثلة لبطليوس فى Badiuz و Udine (٧٨) و Badaillac فى جنوب فرنسا و Badalinho فى البرتغال ، و Badaya فى البة بشمال اسبانيا . وهذا الانتشار الجغرافى لكلمات ذات صياغة مماثلة لبطليوس يدعو الى الاعتقاد بأن الاسم يسبق العصر الرومانى ، ولا شك فى أن هذا الاسم كان يتداوله المستعربون الذين كانوا يتخذون لغة تختلط فيها الاصوات

---

(٧٦) Garcia Gomez : Hispocoristicos arabes y patronimicos hispanos, en Arabica, Paris 1954, Op. Cit., P. 624.

(٨٨) Albarran : El solar, Op. Cit., P. 624.

(٧٨) اودبن مدينة بايطاليا شمال البحر الادرياتيكى فى ولاية فريول Frioul شمال خليج البندقية .

الاسبانية بالبيزنطية . أما الاسم المتأسبن لبطليوس العربية وهو Badajoz فتركيب لغوى شائع يتمثل فى اسماء مواضع تتماثل مقاطعها الاخيرة مع اسم Badajoz مثل quadioz أى (وادى شوش)(٧٩) علما بأنه لا توجد أى علاقة بين بطليوس ووادى شوش .

٢ - الوضع الجغرافى لبطليوس المدينة وأهم المراكز العمرانية لبطليوس الاقليم :

تقع مدينة بطليوس على الضفة اليمنى من نهر وادى آنه(٨٠) ، على مقربة من الحدود البرتغالية فى البقعة المثلثة التى يحتضنها النهر عند التقائه بفرعه المسمى بوادى سو(٨١) . ويحدها واد يانة من الشمال(٨٢) .وكان نهرها يسمى بالغور أو الغؤور لأنه كان يحمل السفن ثم يغور تحت الارض فى موضع معين حتى لا توجد منه قطرة(٨٣) .

وينتهى جرى نهر آنة الى حصن مارتلة ويصب فى المحيط الاطلسى

---

(٧٩) Asin Palacios : Toponomia, P. 159.

(٨٠) الرازى : المصدر السابق ، ص ٨٧ ، الادريسى : المغرب وأرض السودان ، ص ١٧٩ ، ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ، ص ٣٦٣ ، جـ ١ ، الحميرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ٤٦ .

(٨١) عبد الله عنان : الآثار الاندلسية الباقية ، ص ٣٧٣ .

(٨٢) ونهر آنة كما سبق أن أوضحنا كان يفصل بينها وبين البشرنل ، وبذلك تكون بطليوس واقعة على الضفة اليمنى للنهر فى حين تقع البشرنل على الضفة اليسرى .

(٨٣) الادريسى : صفة المغرب وأرض السودان ، ص ١٨١ ، الحميرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ٤٦ . وفيها يقول ابن الفلاس :

بطليوس لا انساك ما اتصل العد
فلله غور من جنابك أو نهد
ولله دوحات يحفك بينها
تفجر واديها كما شقق البرد

(راجع ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ، ص ٣٦٣) .
والغور هنا بمعنى الارض المنخفضة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قريبـا من جزيرة شلطيش(٨٤) ·وموقع بطليـوس من المواقع التى تصـلح لانشـاء المدن ، وقد وضـع ابن خلدون شروطا لابد من توافرها لتأسيس المدن الاسلامية فقال « أعلم أن المدن قرار تتخذه الامم عنـد حصول الغاية المطلوبة من الترف ودواعيه ، فتؤثر الدعة والسـكون ، وتتوجه الى اتخاذ المنازل للقرار ، ولما كان ذلك القرار والمأوى ، وجب أن يراعى فيه دفع المضـار بالحماية من طوارقهـا ، وجلب المنـافع وتسهيل المرافق لها : فأما الحماية من المضار فيراعى لها أن يدار على منازلها جميعا سـياج الاسوار ، وأن يكون وضـع ذلك فى متمنع من الامكنة أما على هضبة متوعرة من الجبل واما باستدارة بحـر أو نهـر بها حتى لا يوصل اليها الا بعد العبـور على جسر أو قنطـرة فيصعب منالها على العدو ، ويتضاعف امتناعها وحصنها ·· وأما جلب المنـافع والمرافق للبلد ، فيراعى فيه أمور منها الماء بأن يكون البلد على نهـر أو بازائها عيـون عذبة ··· ، فان وجود الماء قريبا من البلد يسهل على السـاكن حاجة الماء وهى ضرورية ·· ومما يراعى من المرافق فى المدن طيب المراعى لسائمتهم اذا صاحب كل قرار لابد له من دواجن الحيوان للنتاج والضرع والركوب ولابد لها من المرعى»(٨٥) · هذه الشروط تنطبق تماما على بطليوس التى تحظى بموقع اسـتراتيجى هام على نشز من الارض يطل على نهر واد يانة ، ويشرف على سهل يمتد مسافات بعيدة·

---

(٨٤) مخطوطة لمؤلف مجهول عن تاريخ مدينة فاس وبنـاء جامع القرويين ، والنصف الآخر عن جغرافية الاندلس ومصر والشام والحجاز ، ص ١٥٣ ، يذكر مؤلفهـا المجهـول ويقول فى ذلك « وفى الجنوب من هذه المدينة (اشبيلية) بنحو ستين فرسخا مدينة بطليوس وهى على النهر الاعظم ·· وهذا النهر لا يعلم آخره أصلا ولا مخرجا غير أنه يندفع فى موضع ويخرج ويجرى متصلا الى مدينة قلعة رباح حتى ينتهى الى مدينة بطليوس ثم يهبط حتى ينتهى الى القصر المسمى بمرتلنت على مقربة من البحر الاعظم » ·

(٨٥) مقـدمة ابن خلدون ، طبع المكتبـة التجارية بمصر ، بدون تاريخ ، ص ٢٤٧ - ٢٤٩ ·

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويتفق ابن بصال مع ابن خلدون فى الفصل الثالث من كتابه الفلاحة فى التعريف بأفضل المواضع لبناء القرية واقامة الدور ، وهو الموضع المرتفع حتى لا تصل اليها المياه ، ويستحسن ابن بصال أن يتم بناء المدن والقرى على ضفاف الانهار ، كذلك يرى أن تكون أبوابها من جهة الشرق لأن رياح الشرق أصح من رياح الغرب(٨٦) .

وقد حقق موقع بطليوس على واديانة(٨٧) مزيتين:اولاهما الحصانة والمنعة ، فابن مروان الجليقى لم يقنع بالاقامة فى البشرنل وآثر أن يكون موقع مدينته على الضفة الأخرى من النهر ليصبح متحكما فى النهر من تلك الجهة ، ويكتسب بذلك قدرة على الدفاع ، وقد ظهرت أهمية نهر واديانة كخط دفاع أمامى فى موقعة الزلاقة حيث كان نهر جريرو رافد وادى آنة الذى تجرى مياهه شمالى بطليوس فى اتجاه نهر تاجه يفصل بين جيوش المسلمين وجيوش قشتالة التى عسكرت فى موضع يبعد ثلاثة أميال عن المعسكر الاسلامى(٨٨) . وبالاضافة الى ذلك كان واديانة المصدر الرئيسى لتزويد سكان بطليوس بمياه السقاية والرى ، ومن المعروف أن المسلمين جددوا بناء القنطرة الرومانية الضخمة بهدف تيسير الافادة من مياه النهر(٨٩) ، وربما تم ذلك فى عهد الموحدين .

فابن صاحب الصلاة يذكر أن الخليفة ابا يعقوب يوسف بن عبد المؤمن الموحدى قام بتوصيل المياه الى بطليوس من الوادى(٩٠) ، ومن المؤكد

---

(٨٦) José Maria Millas Vallicrosa : La traduccion Castellana del Estado de Agricultura, P. 303, 304.

(٨٧) الحميرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ٤٦ .

(٨٨) محمد عبد الله عنان : دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطى ، القاهرة ١٩٦٠ ، ص ٣١١ ، وراجع ابن الاثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ٥٢ .

(٨٩) محمد عبد الله عنان : الآثار الاندلسية الباقية فى اسبانيا والبرتغال ، ص ٣٧٣ .

(٩٠) ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة ، ص ٢٣٦ .

أن مياه الوادى كانت تصل الى المدينة عن طريق قنوات تخرج من الوادى ، وتتشعب داخل المدينة ليستخدمها أهل بطليوس فى معاشهم وري بساتينهم ومزارعهم . ومما لا شك فيه ان وقوع بطليوس على ربوة مرتفعة وفر لها عامل الحصانة اذ انها بهذا الموقع الاستراتيجى تشرف على نهر وادى آنة ، فى رأس الزاوية التى يصنعها النهر عندما ينثنى مجراه نحو الجنوب الغربى ليشكل بذلك حدا فاصلا بين أسبانيا والبرتغال .

هذا الموقع تجويف واسع بين جبال منتانجش والنهر ، وعلى الطريق السالكة من اشبونة أى من المحيط الاطلسى الى هضبة اسبانيا الوسطى يفسر تاريخها كمدينة ثغرية تعرضت خلال قرون طويلة لكثير من الحروب(٩١) ، وكانت دائما فى عصور الاسلام فى الاندلس من اهم مراكز الدفاع الامامية شانها فى ذلك شأن قرينتها مدينة طليطلة(٩٢) .

ولعل هذا الموقع الاستراتيجى هيأ لبطليوس أن تبرز بين صفحات التاريخ وكأنها فى جملتها قلعة حصينة نعمت بموقع طبيعى منيع ، أهل لها الصدارة بين مختلف مدن الاندلس كمركز رئيسى للثورة على السلطة المركزية(٩٣) .

---

(٩١) Torres Balbas : Op. Cit., P. 168.

(٩٢) محمد عبد الله عنان : الآثار الاندلسية الباقية ، ٣٧٣ .

(٩٣) نفس المرجع ، ص ٣٧٣ . ومن امثلة ذلك خروج بطليوس عن السلطة المركزية أيام الامير محمد حين استقر عبد الرحمن ابن مروان الجليقى بها بعد خروجه من قلعة الحنش (٢٠ ك . جنوب شرقى ماردة) أثر تزعمه لثورة المولدين فى الغرب (راجع ابن القوطية : تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٨٨ - ٨٩ البكرى : جغرافية الاندلس وأوروبا ، ص ١٢١) واستمر خروج بطليوس عن قرطبة حتى عهد عبد الرحمن الناصر الذى قاد جنوده نحو الثوار فى غرب الاندلس وبدأ بعبد الرحمن بن مروان صاحب بطليوس (الجليقى) وانتهى الامر باستيلائه على بطليوس فى عام ٣١٨هـ) ٩٣٠م ((راجع ابن حيان : المقتبس تحقيق شالميتا ، ص ٢٤٦ وابن عذارى : البيان ، جـ ٢ ، ص ٢٩٦) وفى بداية الفتنة كانت بطليوس ملوى =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومن الجدير بالذكر أن أكثر أجزاء الربوة ارتفاعا ، ويصل الى ما يقرب من ٦٠ مترا فوق مستوى النهر ، تشغله(٩٤) القصبة الاسلامية القديمة المسورة ، وكانت قد أنشئت فيما يبدو فى نفس الفترة التى أسس فيها ابن مروان الجليقى مدينة بطليوس وقد استخدم فى بنائها اللبن والطابية(٩٥) . وان كانت الاسوار المحيطة اليوم باطلال قصبة بطليوس ترجع جميعها الى عصر الموحدين باستثناء قطاع صغير اقدم عهدا .

وكانت بطليوس تضم فى حوزتها على حد قول الرازى أراض خصبة من أصلح أراضى الاندلس لزراعة الغلال (الحنطة) ، وكان يزرع بها الكروم ، وأرضها من أفضل المناطق لتربية الماشية(٩٦) والصيد ،

= للخارجين على هشام المؤيد ، فقد تحصن بها ابن مناو وهو أحد الشخصيات العامرية البارزة ، وكان قد تلقب بذى الوزارتين ، وقد هاجم القصر الخلافى واستولى على ما اراد ثم فر هاربا الى بطليوس لحصانتها وقدرته على التخفى بداخلها (راجع ابن عذارى : البيان جـ ٣ ، ص ١٠٩) وشهدت بطليوس فى عصر الطوائف ظهور حكام من البربر استقلوا بها هم بنو الافطس أشهرهم المظفر الاديب صاحب كتاب المظفرى فى الادب والتاريخ (راجع ابن سعيد : المغرب جـ ١ ، ص ٣٦٤) ويظهر اسم بطليوس من جديد مرتبطا بالثوار فى عهد المرابطين ، فقد ثار ابو محمد سيدراى بن عبد الوهاب بن وزير القيسى فى يابرة وباجة ودخل فى طاعة ابن قسى ، ثم اختلف معه وانتزع منه ميرتلة وبطليوس التى كانت تتبع الثائر ابن قسى (انظر ابن الآبار : الحلة السيراء جـ ٢ ، ص ٢٧٢ هامش ١) ومن ثوار بطليوس كذلك فى عهد المرابطين محمد بن على بن الحجام صاحب بطليوس (ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ٢٤٨ ، ص ٢٥٣) .

(٩٤) Torres Balbas : Op. Cit., P. 168.

(٩٥) Ibid, 171.

(٩٦) توافر المراعى اللازمة لتربية الحيوانات والماشية شرط هام وضرورى للغاية ، ومن أمثلة المدن الاسلامية التى كانت تفتقر الى هذا العامل مدينة القيروان ، ولذلك تعرضت القيروان عدة مرات فى العصر الاسلامى للخراب ، ولولا صفة هذه المدينة =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كمـــا أنه يصـــاد فى واديهـــا السمك(٩٧) • ويذكر كل من الادريسى والحميرى(٩٨) ويتفق معهما العمرى أن بطليوس(٩٩) تقع فى بسيط من الارض أى فى منطقـــة سهلة • ومن المرجح أن يـــكون هذا الســـهل المشار اليه هو السهل الذى جرت فيه أحداث واقعة الزلاقة ، وتحديدا لامتداده علينا أن نذكر بعض الحقائق الجغرافية : فمن المعروف أن نهر واديانة يصل طاميا الى بطليوس متبعا مجراه شرقى المدينة ولا يلبث أن ينثنى برفق نحو الغرب ليواصل جريه حيث يلتقى برافد الكايا Caya على الحدود البرتغالية ثم يمضى الى الجنوب لتصب فيـــه ميـــاه رافده جيفورا Gevora الذى يتعامد عليه من الشـــمال مع بعض الانحـــراف شرقا ، ويتحدد رافد جيفورا مع رافد ثابتون Zapaton ورافد آخر يسمى البراجنة Albarragena اللذين يرتبطان ارتباطا وثيقـــا بالسهل الذى دارت فيه واقعة الزلاقة ، ويوازى الرافد جيفورا وعلى مسافة تبعد نحو كيلو مترين تقريبا ، نهـــر جيريرو Guerrero الذى يلتحم مع وادى آنة على مسافة تبعـــد سبع كيلو مترات عن نقطة التقائه برافده جيفورا ، أدنى بطليوس ، وتتكون من هذا الالتقاء جزيرة تعرف بجزيرة رومو Romo (١٠٠) • وقد ترتب على تعدد الروافد النهرية نشـــوء فحص رائع يتخلله نشز من الارض يقع قريبا من الرافد جيفورا يعـــرف بساجراخاس يصل ارتفاعه الى أقل من مائتى متر ويبعد عن بطليوس بنحو ٧ ك٠م(١٠١) •

= الدينية ووجود مسجدها الجـــامع لكانت قد تعرضت للاندثار والزوال (انظر عبد الـــعزيز ســـالم : تاريخ المغرب فى العصر الاسلامى ، طبعة الاسكندرية ص ١١٦) •

(٩٧) الرازى : Description de l'Espagne, P. 60.

(٩٨) الادريسى : المغرب وأرض الســـودان ، ص ١٨١ ، الحمـــيرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ٤٦ •

(٩٩) Albarran : El solar de los Aftasides, P. 644.

(١٠٠) Ibid, Op. Cit., P. 188.

(١٠١) Ibid, P. 189.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتتواصل فى الشمال سلسلة من الاكمات الصغيرة تحد الضفة اليسرى من نهر جيفورا . ويقطع هذا السهل شمالا على يسار نهر جيفورا وعلى مسافة تبعد ١٤ ك٠م من موقعنا ، تل آخر يسمى كاربونيراس Carboneras ، يفوق فى الارتفاع تل ساجراخاس بنحو ٥٠ مترا ولكن تتخلله شقوق واضحة بحيث يبدو من اعلى وكأنه قمع افطس يمكن تمييزه تماما على السطح الافقى للمنطقة . واذا تتبعنا هذا الخط الى اليسار حيث تبدأ الحدود مع البرتغال نشهد تلا ثالثا صغيرا يسمى ليفيانا Liviana يقع على بعد اثنى عشر كيلو مترا من بطليوس ويمكن تمييزه بوضوح بجوار الحافة اليمنى من نهر جيفورا ، ويصل ارتفاعه الى نفس ارتفاع كاربونيراس ، ويتألف من مجموع هذا السهل بأكماته منظر طبيعى ساحر ، وقد كسى السهل بفضل مزارعه وغروسه بالخضرة ، ويعرف اليوم باسم « الفحوص السفلى » «Vegas bajas» (١٠٢) . ويتكون من الروافد والاكمات الاطار العام المحيط بالسهل الذى يتخذ شكل مروحه يبرز فى أدناها الامتداد العمرانى للمدينة . وينبسط السهل على شكل زاوية منفرجة نحو الشمال الغربى فى اتجاه معاكس فى حين تحف بوادى آنة من الشرق أراضى طينية تميل الى الارتفاع متخذة فى تكومها أشكال قمم ونتوءات .

ويتألف فحص وادى آنة من سهول فيضية ، وكذلك فحص(١٠٣) نهر جيفورا ، وان كانت نسبه أقل . أما بقية الاراضى فطينية باستثناء المناطق الكلسية التى تقع بجوار بطليوس وتتيح قيام جرفين مرتفعين على أحدهما تنتصب القصبة ، وتواجه الآخر المسمى قمة سان كريستوبال حيث ينفتح باب فسيح يسمى باب النخيل . ويشق هذا

---

(١٠٢) Albarran : El solar de los Aftasides, P. 189.

(١٠٣) Ibid, P. 190.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المرج النضير بحذاء النهر أجزاء قديمة من الجادة الرومانية القـــادمة من ماردة(١٠٤) .

وبهذا يتضح لنا أن هناك ثلاثة مناطق محددة تماما : أولها بطحاء بطليوس الفسيحة المترامية بجوار وادى آنة وتتسع لمجرى نهر جيفورا ، والثانى : أرض خزان آجيلا الممتـــدة حتى حصن الزجالة(١٠٥) ، وأخيرا : الحقول الفسيحة الممتدة الى الشمال .

وبينمـــا يذكر الادريسى أن بطليـوس تتبع اقليـم القصر(١٠٦) (يقصد قصر ابى دانس Alcacer do Sal) يذكر كل من ابن غالب فى فرحة الانفس وياقوت فى معجم البلدان أن بطليوس(١٠٧) تتبـــع كورة ماردة ، ونستخلص من ذلك أن بطليـوس كانت جزءا من كورة ماردة ، وأنها كانت تتبع اقليم القصر ، والمعـروف أن الكورة أشـمل وأكبر من الاقليم(١٠٨) .

---

(١٠٤) Albarran : Op. Cit., 191.

(١٠٥) حصن الزجالة حصن قائم على قمم مرتفعـة وتتجمـع أدناه أنهار البراجنة وسان فوسترى وثاباتون (انظر (Albarran : Ibid, P. 194.

(١٠٦) الادريسى : المغـرب وأرض السـودان ، ص ١٧٥ . وفى ذلك يقول الادريسى « ويلى هذا الاقليم اقليـم القصر وفيه القصر المنسوب لابى دانس ، وفيه يابورة وبطليوس وشريشة وماردة وقنطرة السيف، وقورية ، ويليه اقليم البلاط وفيه مدينة البلاط ومدلين ، ويلى هذا الاقليم اقليم بلاطة وفيه شنترين ولشبونة وشنترة » .

(١٠٧) ابن غالب : فرحة الانفس ، ص ٢١ . ويذكر ياقوت أن بطليوس مدينة كبيرة بالاندلس من أعمـــال ماردة (ياقوت ، معجـم البلدان ، مادة بطليوس) .

(١٠٨) الاقليم هو كل قرية كبيرة جامعة أو البلدة وحوزها المتصل بها ، فالاقليم يضم عدة قرى ، وهو وحدة ادارية ومالية تتبع الكورة أو المدينة (ياقوت : المصـدر السـابق ، ص ٢٦ ، حسـين مؤنس : فجـر الاندلس ، ص ٥٧٨) ويذكر ياقوت أن الكورة اسم فارسى بحت وقد استعاره العرب وأطلقوه اسما على =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتقع بطليوس فى اقليم قاحل قليل المطر ، هو اقليم استرامادورة ، فمن المعروف أن الاندلس على حد تعبير الرازى أندلسان من حيث اختلاف هبوب رياحها ومواقع أمطارها وجريان أنهارها ، أندلس غربى، وأندلس شرقى(١٠٩) ،يتوسط الحدالفاصل بينهما منطقة وسطىاختلفت المصادر فى تحديدها(١١٠) .

ولكن الرازى ، وهو أقدم جغرافيى الأندلس وأكثرهم ثقة يذكر

= الاستان كما استعاروا لفظ الاقليم من اليونانيين فأصبح يدل على الكشخر والكورة والاستان بمعنى واحد وهى كل صقع يشتمل على عدة قرى ، ولابد لتلك القرى من قصبة أو مدينة أو نهر يجمع اسمها . والظاهر أن ياقوت التبس عليه الامر فنسب الكورة للفرس بينما هى فى الحقيقة كلمة يونانية (كوريا Curia) بمعنى المركز يتولاها ماليا الجسطال (وهى لفظة يونانية معربة من أوجسطاليوس) ويقصد به مندوب ديوان الخراج (راجع :
Grohmann, Arabic papiri in Egyptian library, Vol. III, Cairo 1938, PP. 15-17.
وراجع (سيدة الكاشف : مصر فى عصر الولاة ، ص ٢٥ ، وانظر تعريف الكورة وعلاقتها بالرستاق فى : السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الدولة العربية ، الجزء الثانى من دراسات فى تاريخ العرب ص ٢٦٠) » . والحوز هو زمام الكورة كله ، أى ما يتبعها من الارض والمدن ، وخطة البلد هى المساحة التى تغطيها المدينة نفسها ، وما يتبع حكومتها من الارباض والقرى (انظر حسين مؤنس : تاريخ الجغرافية والجغرافيين ، ص٦٧) .

(١٠٩) المقرى : نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ١٢٩ ، وكذلك يذكر ابن النظام أن بلد الاندلس عند علماء أهله أندلسان ، فالاندلس الشرقى منه ما صبت أوديته الى البحر الرومى ، المتوسط ، المتصاعد من أسفل أرض الاندلس الى المشرق وذلك ما بين مدينة تدمير الى سرقسطة ، والاندلس الغربى ما صبت أوديته الى البحر الكبير المعروف بالمحيط أسفل من ذلك الحد الى ساحل المغرب ، فالشرقى منهما يمطر بالريح الشرقية ويصلح عليها والغربى يمطر بالريح الغربية وبها صلاحه وجباله هابطة الى الغرب جبلا بعد جبل ... الخ .

(١١٠) حسين مؤنس : تاريخ الجغرافية والجغرافيين فى الاندلس : ص ١٠٤ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أن الغربى هو ما جرت أوديته الى البحر المحيط الغربى ، وتمطر بالرياح الغربية ، ويؤكد أن مبتدأ هذا الحوز من ناحية المشرق مع المفازة الخارجة من الجوف الى بلد شنتمرية طالعا الى حوز اغريطة(١١١) المجاورة لطليطلة مائلا الى الغرب ومجاورا للبحر المتوسط الموازى لقرطاجنة الحلفاء التى من بلد لورقة(١١٢) . وهذه العبارة التى ذكرها الرازى تتسم بعدم الدقة ، فنحن لا نعرف على وجه التحديد ما هى « المفاره الخارجة الى بلد شنتمرية » ولعل المراد هنا شنتمرية الغرب(١١٣) ، فتكون المفاره المقصودة هنا المنطقة التى تعرف اليوم باسترامادورة ، وعلى هذا فان الفاصل بين منطقتى

---

(١١١) يبدو أن المراد بحوز اغريطة هذه منطقة سلسلة جبال جريدوس Serrania de Gredos (حسين مؤنس : تاريخ الجغرافية والجغرافيين فى الاندلس ص ١٠٤) .

(١١٢) المقرى : نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ١٢٩ ، وراجع الترجمة الفرنسية فى
Lévi-Provençal, La description de L'Espagne d'Ahmed al Razi, Al Andalus, 1953, P. 60-61.

Cronica del Moro Rasis, ed. Diego Catalan, Madrid, 1975, P. 16.

(١١٣) تقع مدينة شنتمرية الغرب على المحيط الاطلسى وهى من مدن اكشونبة Ocsonoba ويذكر الادريسى أن سورها يصعد ماء البحر فيه اذا كان المد ، كما يذكر انها مدينة متوسطة القدر حسنة الترتيب لها مسجد جامع ومنبر وجماعة وبها المراكب واردة وصادرة وهى كثيرة الاعناب والتين » (الادريسى ص ١٧٩ ، الحميرى ، ص ١٥٥) وهى غير مدينة شنتمرية الشرق المنسوبة الى ابن رزين ، وكانت تعرف أيضا باسم السهلة (ابن عذارى : البيان ، جـ ٣ ، ص ٣٠٧) ويخلط الدكتور حسين مؤنس بين شنتمرية الغرب وبين Santaver فيذكر أن شنتمرية الغرب تكتب أحيانا شنتبرية وبالاسبانية Santaver (الجغرافية والجغرافيين ، ص ١٠٤) فى حين أن الرازى يجعل شنتبرية كورة تقع شرقى قرطبة
La Description de L'Espagne d'Ahmed al Razi, P. 80.
وراجع العذرى ، ص ١٤٤ .
=

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الامطار الغربية والشرقية هى المنطقة التى تتميز بقلة أمطارها وتقع فيها بطليوس ٠

واصبحت بطليوس فى أعقاب سقوط الخلافة المروانية بقرطبة وقيام دويلات الطوائف قاعدة امارة مستقلة فى ظل بنى الافطس(١١٤) ٠

وظلت بطليوس حاضرة مملكة بنى الافطس ما يقرب من سبعين عاما (٤١٣ - ٤٨٨هـ) (١٠٢٢ - ١٠٩٤م) ولهذا عرفت دولة بنى الافطس بمملكة بطليوس ، وكانت قد امتدت فى ظل هذه الاسرة امتدادا كبيرا الى حد أن حدودها الشمالية أصبحت تصاقب نهر دويره(١١٥) فى الشمال ومملكة اشبيلية فى الجنوب والبحر المحيط (المحيط الاطلسى) حتى مرتفعات رأس سينس cabo da Sines فى الغرب ، بينما أخذت تنحدر من المرتفعات الجرداء التى تحد مملكة طليطلة من الشرق والجنوب الشرقى وتقسم محافظتى بطليوس وقاصرش الى قسمين

= وكان يتولى شنتمرية الغرب زمن الفتنة بنو هارون توارثوا ملكها الى أن انتزعها منهم المعتضد بالله ابن عباد (راجع ابن سعيد ، المغرب فى حلى المغرب ، تحقيق د ٠ شوقى ضيف ، جـ ١ ، القاهرة ١٩٥٣ ، ص ٣٩٥ ، وابن عذارى ، البيان ، جـ ٣ ، ص ٢٩٨ وما يليها) ٠
واسترامادورة هى امتداد ما كان يعرف بالجوف فى المصطلح الجغرافى الاندلسى ، وهو مساحة واسعة تغطى فى التقسيم الحالى لاسبانيا الجزء الشمالى من مديرية ولبة Huelva وكل مديريتى بطليوس وقصرش Caceres وجزءا مما يحاذى هذه المديريات طولا من البرتغال (انظر حسين مؤنس: الجغرافية والجغرافيين ، ص ١٠٤) ٠

(١١٤) محمد عبد الله عنان : الآثار الاندلسية الباقية فى اسبانيا والبرتغال ، ص ٣٧٢ ٠

(١١٥) كذلك يوجد فى الشمال فحص باجة حيث يلتقى نهر اردیلة بوادى آنة ثم يتقدم هذا النهر من السفوح الشمالية لجبال أروتش مخترقا سيرا مورينا بالقرب من كاثلا القريبة من قرطبة ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتنثنى مع مجرى واديانه فيما وراء ماردة نحو الجنوب الشرقى(١١٦) ٠

وبلغ اتساع مملكة بطليـــوس ذروته فى عام (٤٦٨هـ/١٠٨١م) عنـدما تمكن المتوكل على الله آخر ملوك بنى الافطس من حكم طليطلة بصفة مؤقتة ، الا أن هذه الحدود لم تلبث بعد سـقوط طليطلة فى أيدى القشتاليين فى منتصف المحرم سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م أن انكمشت ، فاصبح اكثر من نصف مملكة بنى ذى النون فى حوزة القشتاليين بينما ظل القسم الجنوبى منها ابتـــداء من نهـــر تاجه داخل نطاق مملكتى بطليوس واشبيلية ٠

ونستنتج من ذلك أن مملكة بنى الافطس وقاعدتها بطليوس كانت تستوعب ما يزيد على ٦٠٪ من مسـاحة الاراضى التى تشـغلها دولة البرتغال حاليا ، فاذا ضممنا اليها نصف محافظة اسـترامادورة وبعض اجزاء اخرى من وسط الاندلس فانه جموع مساحة أراضى هذه المملكة يصل الى ٩٠ الف كم٢(١١٧) ٠

فكانت تشتمل على كل اقليم بيراس والساحل الاعلى والادنى من البرتغال باستثناء المنطقة الملاصقة لمملكة ليون ، كمـا كانت تضـم فى نطاقهـــا منطقة ريبـــاتيخو Ribatejo ومعظـــم منطقـــة المتيخو Alemtejo (١١٨) وكلتاهما تتبعان محافظة استرامادورة ٠

---

(١١٦) Albarran : Op. Cit., P. 37.

(١١٧) Ibid, P. 38.

(١١٨) لابد أن نتصور أن الحدود بين مملكة بطليـــوس وغيرها من دويلات الطوائف لم تكن ثابتة وانما كانت دائمة التغير والتجدد بسبب الحروب والخلافات الشخصية المتواصلة بين ملوك الطوائف (راجـع Albarran : Op. Cit., P. 38.) وبسبب هذه الحـروب المتواصلة بين الممالك الاسلامية المختلفة كانت المناطق المجاورة لنهر دويره والتى تمتـد نحو الشرق من لميق أراض مهجـورة تماما أو ما يسمى بالاراضى الثغـــرية لتعرضها للصـــوائف والغارات التى لم تكن تنقطع ، ولقد عانت مدينـة باجة نفس المعاناة فظلت مخربة لفترة طويلة Albarrân : Op. Cit., P. 38.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

واذا بحثنا فى الظروف الجغرافية لامارة بطليوس فاننا نجد ان جغرافيى العرب لم يقدموا مادة كافية لرسم صورة متكاملة بقدر الامكان، لما كانت عليه(١١٩) . كما ان معظمهم كان اذا تعرض لذكر موضع ما من هذه الامارة فانه يضفى عليه بعض عبارات من المديح لا يتردد عن تكرارها عندما يتطرق حديثه الى مواضع أخرى ، فالادريسى مثلا يستخدم بعض الصفات مثل « مدينة عامرة ، آهلة لها بساتين وغلات » أو مدينة متوسطة القدر حسنة الترتيب ، أو مدينة حسنة فى بسيط من الارض ولها غلات وجنات ، أو مدينة حسنة الهيئة بديعة المبانى ، أو مدينة جليلة عليها سور منيع الى آخر ذلك من الصفات التى يتردد ذكرها فى معظم المدن والمواضع التى تردفى كتابه ، ومع ذلك فقد استطعنا من خلال هذه الاوصاف ان نسجل صورة ربما تكون واضحة لمملكة بطليوس فى هذه الفترة .

١ - الجبال :

يطلق جغرافيو العرب عادة لفظ الشارات Sierra على سلاسل الجبال ويشير الرازى الى أن ثلاثة جبال تشق الاندلس من البحر الى البحر ، ويذكر الادريسى أن « جزيرة الاندلس مقسومة من وسطها فى الطول بجبل طويل يسمى الشارات وفى جنوب هذا الجبل تأتى مدينة طليطلة ... »(١٢٠) .

ويعتبر الادريسى جبل الشارات الجبل العظيم المتصل ويمتد على حد قوله من ظهر مدينة سالم الى قرب مدينة قلمرية فى آخر الغرب(١٢١) . ومثل هذا الفهم لجغرافية الاندلس عرفه الجغرافيون

---

(١١٩) Cronica del moro Rasis, P. 110, Lévi-Proençal, la Description de L'Espagne d'Ahmed al Razi, P. 100.

(١٢٠) الادريسى : المصدر السابق ، ص ١٧٣ .

(١٢١) المصدر السابق ، ص ١٨٨ .

القدامى أمثال بلنيوس وميلا(١٢٢) . ويدخل جبل سيرا دى استريا De Estrella ، فى نطاق امارة بطليوس ، فقد اورد الرازى اسمه فى سياق حديثه عن اقليم قلمرية وهى مدينة تقع على نهر منديق Mondego (١٢٣) الذى ينبع من سيرادى استريا(١٢٤) والى جنوب الاشبونة يرتفع جبل الرابطة Arrabida الذى يتقدم البحر متمثلا فى رأس اسبيشل Cabo Espichel . ولقد ذكر الرازى اسم هذا الجبل فأشار الى انه فى حد اقليمى باجة واشبونة جبل يعرف بجبل بنوابن أموصر Banu Benamocer (ويقصد به حاليا جبل سان جوان) ويسميه أهلها الرابطة(١٢٥) .

٢ ـ الانهـــار :

هناك أنهار ثلاثة رئيسية كانت تشق أراضى مملكة بطليوس هى نهر دويره ونهر تاجه ووادیانه أو نهر آنة . وستصبح هذه الانهار الثلاثة على مدى تاريخ بطليوس فى العصر الاسلامى الاهداف الاساسية لحركة المد المسيحى ، فهذه الانهار كانت بمثابة خنادق طبيعية مفتوحة فى طريق الجيوش الظافرة ، وواضح أن مصير بطليوس فى التاريخ ارتبط ارتباطا وثيقا بوجود هذه الانهار الثلاثة(١٢٦) .

ويعتبر الرازى نهر دويره أحد انهار رئيسية مشهورة ببلاد الاندلس ، وهى نهر قرطبة ويعرف بنهر بيطى ، ومن روافده شنيل وبلبلش ووادى شوش والوادى الاحمر وبلون ومنها نهر تربيد (شتورة)

---

(١٢٢) Albarran : Op. Cit., P. 278-279.

(١٢٣) الادريسى : ص ١٨٣ .

(١٢٤) La Description de L'Espagne d'Ahmed, al Razi, P. 89.

(١٢٥) Albarran : Op. Cit., P. 280, Lévi-Provençal, la description de L'Espagne d'Ahmed al Razi, P. 90.

(١٢٦) Albarran : Op. Cit., P. 282.

ونهر آنة ونهر تاجه ونهر دويره ونهر ابره ونهر مينه (١٢٧) Mino مسافة جريه سبعمائة ميل وثمانون وهو رقم مبالغ فيه وصحته كما يذكر ابن غالب ٥٨٠ ميلا ٠

ويذكر الرازى أن نهر دويره uero ينبع من جبال منتويا Montoya وهو نهر كبير للغاية غزير المياه ويصب فى البحر المحيط عند بلدة برتقال Porto (١٢٨) ٠ أما البكرى فيذكر أن نهر دويره منبعثه من جبال منتويا ومصبه فى البحر المحيط من مدينة قلمرية ومدينة برتقال Porto ، مسافة جريه سبعمائة ميل وثمانون ميلا ، ويقع فيه نحو عشرة أنهار »(١٢٩) ٠

وواضح أن بعض الجغرافيين العرب لاسيما الرازى كانوا يعتمدون على المصادر اللاتينية مثل هيروشيوس ، وسان ايسيدرو ونقلوا الاصطلاحات الى العربية بصورة خاطئة ثم تناقلوا ذلك فيما بينهم ، فشوهوا بذلك المعنى تماما(١٣٠) ٠

أما نهر تاجه فكان مجراه الطويل يخترق حدود امارة بطليوس ، ولعله النهر الوحيد فى اسبانيا الذى حظى باعجاب الجغرافيين منذ القدم ٠

ويصف ابن حوقل نهر تاجة على خريطة المغرب بقوله « هذا الوادى عليه مدن للمسلمين واعمال ورساتيق ويعرف بوادى تاجو ولجليقية عليه غير مدينة ، ويشق اكثر جليقية الى أن يقع بين المعدن

---

(١٢٧) Lévi-Provençal : La description de L'Espagne d'Ahmed Al Razi P. 101-104.

(١٢٨) Cronica del Moro Rasis, P. 116.

(١٢٩) Lévi-Provencal : La description de L'Espagne d'Ahmed Al Razi, P. 103.

ومدينة قلمرية تقع على مصب منديق وليس على مصب دويره

(١٣٠) Joaquin Valvó Bermejo «Fuentes Latinas de los geografos arabes» en al-Andalus, 1957. T, XXXII P. 241-250.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولشبونة من ارض الاندلس فى البحر المحيط ، وعند مصب هذا النهر مدينة المعدن(١٣١) .

ويذكر الرازى نهر تاجه فى مناسبات مختلفة باعتباره من اعظم انهار اسبانيا وفرة فى المياه ، كذلك يذكره عند وصفه لقنطرة طليطلة العجيبة المشهورة(١٣٢) ،وعند حديثه عن شنترين(١٣٣) واشدانية (ادانها) Idanha (١٣٤) واشبونة(١٣٥) ، وفى سياق حديثه عن انهار الاندلس يذكر نهر تاجه فيقول : « منبعثه من جبال بناحية طليطلة من عين فى موضع يعرف بالبيضة لكثرة صنوبره ، ومصبه فى البحر المحيط بالاشبونة ، مسافة جريه خمسمائة ميل وثمانون ميلا »(١٣٦) . وقد ورد ذكر نهر تاجه ثلاث مرات فى نزهة المشتاق للادريسى ، مرة عندما ذكر موقع مدينة لشبونة حيث يسميه بنهر طليطلة ومرة اخرى عند حديثه عن مدينة طليطلة وقنطرتها عجيبة البنيان حيث يسميه بالنهر الكبير،ومرة ثالثة عند ذكره لمدينة وادى الحجارة حيث يسميه بنهر تاجه الاكبر ، ويشير الى امتداد مجراه من الجبال المتصلة بالفنت غربا الى لشبونة ، ومن الجدير بالذكر أن بعض الجغرافيين ذكروه خطأ باسم نهر باجة وتناقلوا هذا الخطأ ومنهم ابن حوقل(١٣٧) .

أما نهر آنة المعروف بواديانه فيعد أطول أنهار الاندلس الغربية اذ يمتد مسافة تقرب من ثلثمائة وعشرين ميلا من منبعثه بجبل البحيرة

---

(١٣١) ابن حوقل : صورة الارض ، ص ٦٩ ، وانظر كذلك خريطة المغرب وبلاد الروم بنفس الكتاب ، ص ٦٥ .

(١٣٢) Cronica del Moro Rasis, P. 64, Lévi-Provençal, la description de l'Epagne, P. 81.

(١٣٣) Cronica del Moro Rasis; P. 83, Lévi-Provençal Ibid. P. 88.

(١٣٤) Cronica del Moro Rasis, P. 86-Lévi-Provencal, Ibid. P. 89.

(١٣٥) Lévi-Provençal, Ibid. P. 90.

(١٣٦) Lévi-Provencal, Ibid. P. 103.

(١٣٧) ابن حوقل : المصدر السابق ، خريطة المغرب ، ص ٦٥ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حتى مصبه فى البحر المحيط عند بلدة اكشونبة(١٣٨) ، وبفضل مياهه الوفيرة أمكن سقاية السهل الفسيح المحيط ببطليوس وكانت مياهه ترتطم بسور بطليوس ، وعنه يقول البكرى نقلا عن الرازى « ونهر آنة ومنبعثه بين شمال الاندلس وشرقيها فيما بين الجبل المسمى البويره ومدينة رقوبل (وهى فوق مدينة ريمية) ومنصبه فى البحر المحيط بأكشونبة ، ومسافة طوله ثلاثمائة وعشرون ميلا . ونهر آنه هذا يغيض بين ماردة وبطليوس ، فيجرى متواريا حتى يبدو بموضع يعرف بفج العروس من فحص الفخ ، ثم يغيض فيخرج بقرية من قرى قلعة رباح يقال لها آر(١٣٩) .

٣ ـ الفحص (أو السهل) :

١ ـ فحص بلاطة :

وهو سهل شنترين الفسيح الذى يمتد فى قلب اقليم بطليوس وكان يعتبر مخزن غلال لمملكة بنى الافطس أصحاب بطليوس(١٤٠) ، ويمكن اعتباره اقتصاديا وجغرافيا اقليما قائما بذاته له سماته الخاصة. ويقع فحص بلاطة فى اقليم ليزيرياس على نهر تاجه Lezirias del Tajo وهو اقليم فسيح يمتد بحذاء النهر حتى شنترين ، وتكسوه الخضرة وتكثر به المناظر الطبيعية الرائعة ، لاسيما عند شنترين ، ويحدد الادريسى اقليم بلاطة بثلاث مدن تقع عليه هى شنترين واشبونة وشنترة(١٤١) ، ويذكر ان سهل بلاطه ، يمتد فى الطريق من لشبونة

---

(١٣٨) Lévi-Provençal, la description de l'Espagne P. 102.

(١٣٩) Lévi-Provençal, Ibid, P. 102.

(١٤٠) وفى ذلك يقول الادريسى « وبينهما (اى شنترين ولشبونة) فحص بلاطة ، ويخبر أهل لشبونة ، واكثر أهل الغرب أن الحنطة تزرع بهذا الفحص فتقيم فى الارض اربعين يوما فتحصد ، وان الكيل الواحد منها ، يعطى مائة كيل وربما زاد ونقص » (الادريسى ، ص ١٨٦) .

(١٤١) الادريسى ، المصدر السابق ، ص ١٧٥ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الى شنترين(١٤٢) : فيقول « والطريق بينهما (أى بين شنترين ولشبونة) لمن شاء فى النهر أو فى البر وبينهما فحص بلاطة »(١٤٣) ،

وفحص بلاطة يقابل اليوم الموضع المعروف بفلادة Valada وواضح أن الاسم محرف من بلاطة وهى قرية فى منطقة concelho de Azambuja تلقت اسمها من اسم الفحص الذى مازال يحتفظ بتسميته العربية campo de Valada (١٤٤) . وفحص بلاطة على هذا النحو يقابل ما يعرف اليوم بسهل فلادا .

وهناك احتمال فى أن تكون لفظة فلادا Valada مشتقة من الفلاة ، وهو احتمال بعيد لوضوح الاصل العربى الممثل فى (بلاطه) . ويعتقد البران(١٤٥) Albarran أن كلمة Valada المحرفة من التسمية العربية بلاطة ، انما ترجع لأصل مستعرب أو رومانسى ، من اللاتينية Vallum بمعنى خندق ، وتعنى السهل الذى يشقه مجرى نهر تاجه . ويعتقد أويثى أن تكون اللفظة مشتقة من الكلمة العربية البلاط بمعنى الارض الواقعة بجوار الجادة الرومانية(١٤٦) . ومن عجائب الصدف أن بلاطة تقع على حافة الجادة الرومانية التى تحاذى نهر تاجة وتمتد من مدينة لشبونة مرورا بالبركة Alverca والنكير Alenquer الى شنترين(١٤٧) .

٢ - فحص البلوط :

هو اقليم سهلى فسيح حاضرته حصن غافق المعروفة اليوم باسم

---

(١٤٢) المصدر السابق ص ١٨٦ .
(١٤٣) نفسه ، ص ١٨٦ .
(١٤٤) Albarran : Op. Cit., P. 292.
(١٤٥) Albarran : Ibid, P. 293.
(١٤٦) Huici Encyclopédie de L'Islam, Op. Cit., P. 1019.
(١٤٧) Albarran : Op. Cit., P. 293.

بل القصر Belalcazar ، ويسميه الادريسى اقليم البلالطة(١٤٨) ، وفيه حصون كثيرة من أكبرها بطروش وحصن أبى هارون وغيرها دونها فى الكبر ، واسم بطروش مشتق من بترا Petra أو حجر ثم أطلق عليه قياسا على ذلك فحص البلوط Pedroches (١٤٩) .

ومن المعروف أن شجر البلوط ينمو بكثرة فى بلاد استرامادورة ، ولهذا ، يقول الرازى « واقليم فحص البلوط مصاقب لأوريطة ويقع الى الجنوب الشرقى من هذا الموضع والى الشمال من قرطبة ، ويسكنه بربر وقسمه السهلى تحده جبال منها جبال البرانس(١٥٠) .. » .

والواقع أن هذه المنطقة كان يسكنها بربر من قبيلة مكناسة البرانسية ، واليهم ينسب جبل البرانس المعروف اليوم بسيرادى المعدن(١٥١) .وقد وصف الادريسى هذه المنطقة وصفا دقيقا يدل على عمق معرفته بها ، فذكر أن حصن بطروش حصن « حسن كثير العمارة شامخ الحصانة ، لأهله جلادة وحزم على مكافحة أعدائهم ، ويحيط بجبالهم وسهولهم شجر البلوط الذى فاق طعمه طعم كل بلوط على وجه الارض وذلك أن أهل هذا الحصن لهم اهتمام بحفظه وخدمته ، لأنه لهم غلة وغياث فى سنى الشدة والمجاعة »،كذلك ذكر أن حصن غافق «حصن حصين ومعقل جليل وفى أهله نجده وحزم وجلادة وعزم ، وكثيرا ما تسرى اليهم سرايا الروم فيكتفون بهم فى اخراجهم عن أراضيهم،وانقاذ

---

(١٤٨) الادريسى : المصدر السابق ، ص ١٧٥ .

(١٤٩) Huici, Encyclopédie de L'Islam, Op. Cit., P. 762-763.

(١٥٠) Lévi-Provençal : La Description de l'Esp. P. 83.
ويضيف الحميرى : « بجبل البرانس المذكور معدن الزئبق الذى يحمل الى الافاق والزيتون المتناهى فى الجودة » (الحميرى ص ١٤٢) وتتصل أحواز فحص البلوط بأحواز فريش حيث تنمو أشجار القسطل (الحميرى ص ١٤٣) .

(١٥١) Albarran, Op. Cit., P. 295.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

غنائمهم منهم والروم يعلمون بأسهم وبسالتهم ، فينـــافرون أرضهم ويتحامون عنهم(١٥٢) ٠

وينقـل الحميرى ما أورده الادريسى فى وصفه لحصن بطـــروش وحصن غافق ، وواضح من هذا الوصف ان من خصـائص اقليم فحص البلوط توافر الزئبق وكبريتيد الرصاص وشجر البلوط الجيد الذى يفوق غيره فى سائر انحاء العالم بطيب الطعم ، وكان غذاء طيبا يعيش عليـه سكان الجبال ثلثى العام ، فكانوا يجففونه ويطحنونه لعمل الخـــبز ويحفظونه لفترات طويلة(١٥٣) ٠

الطرق الرومانية القديمة :

ظلت شبكة الطرق الفسيحة التى نظمها الرومان فى أرض ابارية (شـــبه جزيرة ايبيريا) قرونا عديدة مركزا للانتقـــالات الســكانية والتحركات العسكرية والنشاطات التجارية ، فلقد اعتمد الانتقـال بين مختلف المواضع فى جزيرة الاندلس فى العصر الاسلامى على الطـــرق القديمة ، وكلمة البلاط التى كانت شائعة عند المسلمين ، كانت تطـلق على الارض الممهدة أو على مراكز عمرانيـــة تقع على حافة الجـــادة الرومانية ، ومن أمثلة ذلك الموضع الموسوم بالبلاط ويقع على نهـــر تاجه ، وكان يدخل فى نطاق مملكة بطليوس(١٥٣ب) ٠ وبالاضافة الى اصطلاح البلاط هناك اصطلاح آخر بنفس المعنى أطلقه العـرب على الطريق الرومانى وهو الرصيف(١٥٣ج) ٠

ووجود مترادفات بنفس المعنى ينهض فى حد ذاته دليلا على مدى

---

(١٥٢) الادريسى : المصدر السابق ، ص ٢١٣ ٠

(١٥٣) Albarran : El Solar, Op. Cit., P. 295-296.
ويذكر الادريسى أنه يلى اقليـم قصر أبى دانس اقليم البـلاط وفيه مدينة البلاط ومدلين (الادريسى ، ص ١٧٥) ٠

(١٥٣ب) Albarran : Ibid., P. 331.

(١٥٣ج) Torres Balbas, La via augusta y el arrecife mu-ulman, en al Andalus, 1959, Vol. XXIV. P. 441-448.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الاهتمام الذى وجهه العرب الى الطرق الرومانية القديمة المرصوفة ، ومن مظاهر هذا الاهتمام انهم اتخذوا من هذه الطرق الرومانية شبكات متفرعة منها تيسيرا لتحرك الحملات العسكرية الموجهة الى الاراضى المسيحية أو تلبية الحاجات الاقتصادية . وكانت اراضى اقليم بطليوس لاسيما فى عصر الطوائف مرصعة بطرق متشابكة ، ومن الجدير بالذكر ان الاراضى الجنوبية ومنها فحوص استرامادورة واحوازها كانت تتعرض دائما للاعتداء والغزوات،وهذا حال كل أرض خصبة ومصير المناطق التى تتسم بالثروات الزراعية الهائلة عبر حقب التاريخ .

أهم حصون اقليم بطليوس :

كان لنظام التحصينات العسكرية أهميته بالنسبة لدراسة تاريخ المنطقة بحيث لا يمكننا التوسع فى دراسة الحروب الدائرة فى المنطقة فى تلك الآونة بين المسلمين والمسيحيين دون الالمام التام بهذه الحصون ومعرفة اسمائها .

وقد سجل تراس(١٥٣د) الاسباب الرئيسية التى أدت الى ازدياد عدد الحصون فى عصر الطوائف ، فذكر ان سقوط الخلافة ، وتمزق وحدة الاندلس الى دويلات صغيرة أدى الى تزايد المناطق الثغرية ، وكان لزاما على ملوك الطوائف الذين تقع اراضيهم على حدود دويلات أخرى مسيحية أو اسلامية أن يدافعوا عن كياناتهم ويذبوا عن حدود دويلاتهم ، وتمخضت عن ذلك أوضاع سياسية مضطربة تعرضت لها الاندلس فى تلك الحقبة ، وبالاضافة الى ذلك ضاعفت الصراعات الداخلية العديدة ، وتعدد القواعد الاندلسية وارتفاع بعضها الى مصاف الحواضر لدويلات الطوائف المستقلة من استعداداتها الدفاعية ، فظهرت من هذه

(١٥٣د) Henri Terrasse : Les forteresses de l'Espagne musulmane, Madrid, 1954, P. 18-19.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الحواضر مدن كانت خاملة أمثال الجزيرة والسهلة ، ورندة ، وقرمونة ، ومورور ، ولبلة ، وولبة ، وشلطيش ، وكذلك الشأن بالنسبة لبطليوس قاعدة مملكة بنى الافطس . وكان القائمون بالبناء يختارون عادة لاقامة قصابهم النقاط الحيوية المرتفعة التى تسيطر عسكريا واستراتيجيا على الموقع مع ايثار النشز المرتفع الذى تتوج الاسوار تضاريسه الناتئة وعراقيبه(١٥٤) .

اهم الحصون الواقعة على وادى آنة :

١ - حصن أرندة (Aranda) :

ويقع بين قلعة رباح ومارده(١٥٥) ذكره الادريسى فى معرض حديثه عن المسافات بين قلعة رباح وبطليوس فقال « ومن مارده الى حصن كركوى ٣ مراحل ، ومن كركوى الى مدينة قلعة رباح على ضفة نهر آنة ، وهذا النهر يأتى من مروج فوقها ، فيمر بقرية يانة الى قلعة رباح ثم يصير منها الى حصن ارندة ، ومنه الى ماردة ثم يمر بمدينة بطليوس فيصير منها الى مقربة من شريش »(١٥٦) ... ونستخلص من ذلك أن حصن ارندة من جملة الحصون الواقعة على نهر واديانه ومنها قلعة رباح وقرية يانة وحصن مارتلة .

٢ - حصن مورش (١٥٧) (Muroh) أو (Muros) (١٥٨)

وقد يكون هو نفس حصن مرلش الوارد ذكره فى نزهة المشتاق ، ويقع بالقرب من حصن فريش(١٥٩) وربما كان لاسم مورش صلة

---

(١٥٤) Georges Marçais : L'Architecture musulmane d'Occident, Paris, 1954, P. 217.

(١٥٥) الادريسى : المصدر السابق ، ص ١٨٦ .

(١٥٦) المصدر السابق ، ص ١٨٦ .

(١٥٧) Albarran : El Solar de los Aftasies P. 482.

(١٥٨) Ibid. P. 482.

(١٥٩) الادريسى ، ص ٢٠٦

بحصـــن قاشـــــتره مورش (شنت اشتيبن)(١٦٠) Castro Muros الذى يتفق حاليا مع حصن سان استيبان دى جرماث San Esteban de Gormaz (١٦١) وان كان هذا الاحتمال يبدو بعيدا عن الحقيقة لبعد موقع سان استبان دى جورماث من واديانه ، والارجح فيما أعتقد انه يقع قريبا من ماردة ، اذ ورد الاسم فى جملة الحصـون التى ذكرها البكرى فى سياق حديثه عن حصون ماردة(١٦٢) ، وهذا ما يؤكده فيلث ارناندث،وكان يعرف باسم Muro de Helechoso ويدعى الآن Helechosa ويتبع اقليم ترجالة Trujillo

٣ ـ حصن الصخرة(١٦٣)

وتعرف بصخرة أبى حسان Castillo de la Pena ، ويذكر البكرى أن هذا الحصن من جملة حصون كورة ماردة ، ومن الجدير بالذكر أن التسمية الاسبانية وهى Castillo de la Peña ترجمة اسبانية للتسمية العربية حصن الصخرة(١٦٤) .

٤ ـ حصن مدلين (Castillo de Medellin)

وقد ورد ذكره فى المســـالك والممـــالك للبـكرى بين حصـــون ماردة(١٦٥) وان كان ابن سعيد قد جعله من حصون بطليوس(١٦٦) وفيه يقول الادريسى « وكذلك من مدينة ماردة الى حصن مدلين مرحلتان خفيفتان وهو حصن عامر ، آهل وفيه خيول ورجال لهم سرايا وطرقات

---

(١٦٠) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ص ١٦٣ .

(١٦١) Lévi-Proveçal, Histoire de L'Espagne musulmane, t. 11, Paris, 1950, P. 37.

(١٦٢) البكرى : جغرافية الاندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك ، ص ١٢٠ . وانظر :
Felix Hernandez, La Cura de Merida, al-Andalus, 1960, PP. 313-371.

(١٦٣) المصدر السابق ، ص ١٢٠ .

(١٦٤) للمزيد عن هذه الحصون راجع Albarran : Op. Cit., P. 83.

(١٦٥) البكرى : جغرافية الاندلس وأوروبا ، ص ١٢٠ .

(١٦٦) ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ، ج ١ ، ص ٣٧٢ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فى بلاد الروم ، ومن حصن مدلين الى ترجالة مرحلتان »(١٦٧) .

وقد أسست مدلين فيما يقرب من عام ٨٠ ق.م ، وتم تأسيسها على يد القائد الرومانى القنصل كينتو سيسيليو ميتيليو Quinto Cecilio Metello أثناء حروبه الضارية مع سيرتوريو وجيشه الاسبانى(١٦٨) ، وكانت فى البداية معسكرا حربيا ثم تحولت الى مركز عمرانى رئيسى ، وارتفعت بعد ذلك بحيث أصبحت مستعمرة رومانية . وتحتفظ مدلين بآثار عديدة من العصر الرومانى(١٦٩) منها بعض دعائم القنطرة التى كانت تسلكها الجادة الرومانية Via Augusta ما بين ماردة واقليم كاربتانيا ، بينما لم تتبق آثار ذات قيمة من حصن مدلين الاسلامى الذى كان يؤلف نواة المدينة ومجموعة التحصينات.ومن المعروف أن هذا الحصن سقط فى أيدى فرسان القنطرة فى سنة ١٢٣٤م (٦٣٢هـ) . اقيم هذا الحصن فوق تل مرتفع يشرف على البلدة ويسيطر عليها ، وهو حصن منيع أقرب فى تخطيطه الى

---

(١٦٧) الادريسى : المغرب وأرض السودان ، ص ١٨٦ .

(١٦٨) Melida : Op. Cit., II, P. 367, Serrano, Op. Cit., P. 126.

(١٦٩) تتمثل أهم هذه الآثار الرومانية فى مدلين فى عدد من النقوش جمع بعضها Ccan Bermudez و Hübner ، كما تتمثل فى القنطرة الرومانية القائمة على واديانة فى محاذاة القنطرة الحديثة المقامة فى القرن ١٧ ، وقوائم القنطرة الرومانية مبنية من الملاط والحجارة ، ومن هذه القنطرة كانت تمتد الجادة الرومانية التى تبقت منها آثار متفرقة تمتد على مدى ٢ كلم ، هذا بالاضافة الى بعض أسوار رومانية اختلطت ببعض الابنية الاسلامية التى مازالت ترى فى منحدرات المرتفع الذى يتوجه الحصن . ومن المعتقد أن الباب القديم لايزال قائما عند رأس القنطرة من العصر الرومانى ، وهناك آثار مسرح رومانى ونقوش كتابية محفورة فى الرخام الابيض وشواهد جنائزية عثر عليها فى مدلين (راجع
Jose Melida; Op. Cit., II. P. 366-368.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الاستدارة(١٧٠) ، وينقسم الى قسمين ، الاول داخلى شديد الارتفاع ، له برج كبير يميل الى الاستدارة فى جانبه الغربى المطل على واديانة وتكتنف هذا القسم أبراج أخرى نصف اسطوانية ، أما القسم الثانى فمنخفض للغاية ، يطوق القسم الداخلى ، بحيث يبدو كما لو كان حزاما برانيا لأحد الاسوار ، ولهذا القسم باب يؤدى الى البرج الكبير الذى يتميز به القسم الاول من الحصن ، ويعرف هذا البرج الشامخ ببرج Homenaje أى برج التشريف(١٧١) ، وكان حصن مدلين على حد قول الادريسى حصنا عامرا آهلا بخيالة المسلمين يبثون السرايا فى أراضى أسبانيا المسيحية ، فكان قاعدة لخروج الحملات العسكرية على بلاد جليقية(١٧٢) .

٥ - حصن الحنش Castrum Colubri

ويقع على بعد نحو خمسة عشر كيلو مترات الى الجنوب الشرقى من ماردة(١٧٣) . وواضح أن العرب نقلوا الاسم اللاتينى الى العربية بنفس معناه ، فلفظة castrum تعنى الحصن colubri أى الحنش ، ومن الغريب أن يحرف الاسبان الاسم العربى من الحنش الى الانشى Alange ، وبذلك يتبين لنا التفسير الخاطىء لكوديره الذى ذهب الى أنه ينسب الى حنش الصنعانى(١٧٤) . ويرى مارتينث اى مارتينث أن التسمية العربية للحصن « الحنش » محرفة من التسمية الايبيرية الرومانية lanja وهى لفظة تعنى عين ماء ، ثم حرفت التسمية من

---

(١٧٠) يرى Melida انه لم يتبق من الحصن الاسلامى أية آثار وأن الحصن قد أعيد بناؤه فى عهد بدرو القاسى
(Melida : Op. Cit., II, P. 323-324).

(١٧١) Serrano, C : Badajoz y su Provineia, Op. Cit., P. 126.

(١٧٢) الادريسى : المغرب وأرض السودان ، ص ١٨٦ .

(١٧٣) Melida : Op. Cit., II, P. 361.

(١٧٤) Francisco Codera, «Los Benimeruan en Merida y Badojoz» en Estudios criticos de historia arabe espanola, Madrid, 1917, P. 55.

لعربية (الحنش) الى التسمية الاسبانية Alange (١٧٥) . وكان حصن الحنش(١٧٦) المفتاح التاريخى لبناء بطليوس ، فهو يقع فى

---

(١٧٥) Martinez y Martinez : Historia del reino de Badajoz op. Cit., P. 124.

(١٧٦) كان العرب يميزون بين الالفاظ الدالة على الحصون والمبانى العسكرية وفقا لوظائفها وطبيعتها . فالبناء القائم على وحدة دفاعية يسمى حصن ، وهذا اللفظ كان يسبق عادة الاسم الدال على الموضع الذى أقيم عليه الحصن ، مثل Alange أى حصن الحنش وبعضها يحمل اسم المنشىء أو شخصية لها علاقة بالحصن مثل حصن أبى حسان فى منطقة بطليوس . وأحيانا تتسمى الحصون بأسماء اسبانية خالصة دون ترجمة مثل حصن سنت أقروج Santa cruz ببطليوس ، وكثيرا ما ساد الاسم الرومانى أو الايبيرى دون تغيير . أما اذا اتخذ الحصن شكل نطاق حصين يحيط بالمدينة أو بأرضها ففى هذه الحالة يطلق عليه اسم قلعة ، وهناك صورة أخرى للتحصينات هى ما تعرف باسم البرج وتتألف من وحدة بنائية تتمثل فى برج يمكن أن يكون مجاورا للسور أو منفصلا عنه تماما بحيث يؤدى دورا دفاعيا بحتا ويعرف فى هذه الحالة بالبرج البرانى albarrana (راجع السيد عبد العزيز سالم : المساجد والقصور فى الاندلس سلسلة اقرأ ، عدد ١٩١ القاهرة ١٩٥٨) Torres Balbas, la alcazaba almohade de Badajoz, en obra dispersa, Madrid, 1981, PP. 236, 203.

ومن أمثلة هذه الابراج البرانية فى بطليوس ، برج اسبانتابروس ، ويسبق هذه الابراج عادة تحصينات تتوج نسزا مرتفعا وتجعل من الموقع مركزا دفاعيا استراتيجيا هاما ، ويطلق على هذا النوع من التحصينات اسم القصير ، وهو تصغير من قصر ، وكان يكتب بالرومانسية alcocer ، وقد شاع هذا الاسم على مواضع فى شبه الجزيرة ، ففى بطليوس يتمثل فى بلدة Pueblo de alcocer . وهناك تحصينات تتمثل فى المواضع الصخرية الطبيعية ، وهى التى كانت تستعمل فى الاحوال الضرورية عند الاشتباكات أو الهجوم ، ومنها صخرة أبى حسان ببطليوس (راجع : Albarran Op. Cit., P. 473, Serrano, C : Op. Cit., P. 140).

وفى القرن ١١م تغيرت السمات المعمارية لهذه الحصون وفقا للظروف المحيطة ، فظهر ما يعرف باسم الستارة الامامية ، وهى سور أمامى يسمى حزام برانى ، وكان الفراغ الواقع بين السورين يملؤ بالمياه تيسيرا للدفاع ، وبهدف تعويق الهجوم من الخارج .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اجراف عالية ، ويصفه الادريسى بالمناعة والشموخ فيقـول « وحصن الحنش منيـــع شامخ الذروة محلـــل الغلوة ، شاهق البنية ، حامى الافنية »(١٧٧) . وكان ابن مروان الجليقى قد نزل بحصن الحنش الى ان تلقى الاذن ببناء بطليوس(١٧٨) .

اقيـم حصن الحنش على ربوة مرتفعة تطـــل على ضفة نهـــر Matachél (١٧٩) حيث يتحكم الحصن فى الموقع بأسره ، والحصن شـــبه منحـــرف ، ولـكن من الممكن دراســـة بعض الابراج الباقيـة والاسوار(١٨٠) .وأبرزالآثارالاسلامية فىهذا الحصن البرج الضخم الذى يقع فى الطرف الجنوبى الشرقى من القلعـة ، وهو برج مربع الشـكل طول كل ضلع منه خمسة أمتار ، وجدرانه من الآجر تنفتح فيها نوافذ معقودة بعقود متجاوزة لنصف الدائرة على شكل حدوة الفرس ، ومن المعتقد أن هذه القلعة التى تقع على مسافة تبعد نحو ثلاثة أميال غربى ماردة من بنـاء المسلمين ، اقيمت بهـــدف أن تكون مركزا دفاعيـــا متقـــدما(١٨١) .

ونستدل من روايات ابن حيـان فى المقتبس أن هذا الحصن كان يسكنه فى زمن الخلافة برانس كتامة الذين كانوا قد أجلوا من حصـن سكتان ، وكانوا فى عدد كثير ويتسمون بالبأس والنجدة ، وقد تهـدم الحصن سنة ٣٠٢هـ (٩١٤م) عندما اجتاحه قوات أردون بن اذفونش

---

(١٧٧) الادريسى : المغرب وأرض السودان ، ص ٢١٣ .

(١٧٨) Allbarran, Op. Cit., P. 4977.

(١٧٩) Serrano C : Badajoz y su provincia, Op. Cit., P. 124, Melida : Op. Cit., II. P. 77.

(١٨٠) Albarran : Op. Cit., P. 497, Melida; Op. Cit., P. 77.

(١٨١) وقد ذكر Melida أن هذه القلعة قد بنيت على يد الملك المسلم Alagio الاجيو لتكون خطا دفاعيا اماميا ضد خليفة قرطبة (راجع Melida : Ibid, P. 77.) ولانعرفمنيكونهذا الملكالمسلم الذى ثار ضد خليفة قرطبة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ملك جليقية ، فالحق اعلاه بأسفله وقتل جميع من كان فيه من المدافعين البربر(١٨٢) .

٦ - حصن ليبـون(١٨٣) Lobon

ويقع شرقى بطليـوس على مقـربة من الحاضرة ، وكان يشـكل مركزا دفاعيا هاما عنها ، واليوم يكاد يكون مخربا . وبناؤه من الدبش والملاط وبداخله طابقـان ، الادنى منهمـا ، نقوشـه وقبتـه من الآجر(١٨٤) . وقد اسـترد المسـلمون هذا الحصـن من يد جرانده (جيرالدو سمبافور) Geraldo Sem Pavor بنصيحة من أبى عبـد الله عزون(١٨٥) فى سنة ٥٦٦هـ (١١٧٠م) .

٧ - حصن أبطـير Abtir

ويقع بالقرب من بطليوس ، بناه المنصور محمد بن ابى عامر من الحجارة المصقولة ، وعن هذا الحصن يقول الحميرى « حصن بالاندلس بمقربة من بطليوس ، من بناء محمد بن ابى عامر ، من جليل الصخر ، داخله عين ماء حارة ، وهو اليوم خال ، وعلى مقربة منه بنحو ثلاث غلاء ، قبر فى نشز من الارض ، قد نحت فى حجر ، وقد نضدعليه صفائح الحجارة ويعرف بقبر الشهيد ، ولا نعلم له وقت لقدمه ، يرفع عنـه بعض تلك الصفـائح ، فيرى صحيح الجسـم لم يتغـير ، نابت الشعر »(١٨٦) .

---

(١٨٢) ابن حيان : المقتبس ، جـ ٥ ، ص ١٢٢ .
(١٨٣) ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة ، ص ٤٦٣ .
(١٨٤) للمزيد عن هذا الحصن راجع
Melida, II : Op. Cit., P. 82.
Albarran : Op. Cit., P. 498.
(١٨٥) ابن صاحب الصـلاة : المن بالامامة ، ص ٤٠٢ ، ولمزيد من التفاصيل راجع :
Albarran : Op. Cit., P. 498.
(١٨٦) الحميرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ١١ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٨ ـ حصن جلمانيـــة(١٨٧) Jurumenha

ويقـع جنـوبى بطليـــوس على حدود البرتغـــال ، وقد ذكره ابن حوقل فى سياق حديثه عن المسافات بين شنترين وبطليوس(١٨٨) . وجلمانية حصن منيع وهام ، كان يغير منه عسكر بطليوس الاســلامية على أعدائهم ، وكثيرا ما تعرض هذا الحصن لهجوم الفارس البرتغالى جيرالدوسمبافور Giraldo Sem Pavor المعروف فى المصادر العربية باسم جرانده . وكان فى الاصل رباطا اسلاميا وقع فى يد جرانده سنة ٥٦١هـ (١١٦٥م)(١٨٩) وقد استرده المسلمون سنة٥٦٦هـ(١١٧٠م) وهدمه السيد ابو سعيد بن عبد المؤمن الموحدى(١٩٠) .

٩ ـ حصن أم غزالة(١٩١) El castillo de Magaccla

ويرجع الى أصول رومانية اذ كان مجرد محطة فى الجادة الرومانية الممتدة ما بين ماردة وسرقسطة ، وكانت تسمى Contosolia (١٩٢) .

ويقع حصن أم غزالة على بعد كيلو مترات من زخار Zujar ، وكان يسكنه ثوار نفزه(١٩٣) .ونستدل من نصوص المقتبس لابن حيان

---

(١٨٧) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ١١٠ ، ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ، جـ ١ ، ص ٣٧٨ ، ابن عذارى : البيـــان ، القســم ٣ ، ص ٧٨ ، ابن صـاحب الصلاة : المن بالامامة ، تحقيق عبد الهادى التازى ، ص ٣٧٤ ، ٣٩٢ ، ٤٠١
Albarran : Op Cit., P. 501.

(١٨٨) ابن عذارى : البيان ، القسم الثالث ، ص ٧٨ .

(١٨٩) ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة ، ص ١٣٨ ـ ١٤٠ .

(١٩٠) Melida : Op. Cit., II, P. 367, Serrano : Op. Cit., P. 126.

(١٩١) ابن حيان : المقتبس ، جـ ٥ ، ص ١٢٢ ، البـكرى : جغرافيـة الاندلس واوربا ص ١٢٠ ، ابن عـذارى : البيـان ، القســم الثالث ، ص ١٧٦ .

(١٩٢) Melida : Op. Cit., P. 371.

(١٩٣) Albarran : Op. Cit., P. 490.

ان هذا الحصن كان يقع قريبا من حصـــن مدلين وبالذات بين ســـهلة الاصنام وحصن مدلين(١٩٤) ٠

١٠ ـ حصن الارش(١٩٥) Castillo de Lares

كان من جملة حصون اقليم بطليوس الواقعة على واديانة(١٩٦) ومن المرجح أن الارش غير أورش Auros التى ذكـرها ابن غالب فى جملة مدن كورة باجة(١٩٧) ٠

الحصون الموزعة بين وادى تاجه ووادیانه

١ ـ حصن سنت أقروج : Santa cruz de la Sierra (١٩٨)

ويتوج مرتفعات سانتا كروث ، ويبلغ ارتفاعه فوق مستوى سطح البحر ٨٤٤ مترا بحيث يمكن للمسافر أن يشاهده على مســافة كيـلو مترات ، ويقع حصن سنت أقروج قرب مخرج الجادة الرومانيـة على مقربة من ترجلة Trujillo ٠

٢ ـ حصن القنطرة : شيدت هذه القنطرة على وادى تاجة فى سنـــة ١٠٦هـ لتسهيل عبور الاهالى فى مدينة القنطرة ، أما حصن هذه المدينة فيقع عند مرور وادى تاجة عبر الجادة التى تربط قاصرش بقلمـرية ٠ وقد اكتسبت المدينة اهميتها العسكرية والاستراتيجية من موقع الحصن المذكور المنسوب الى القنطرة والذى تبقت منه آثار اسلامية قليلة حددها ميليدا(١٩٩) ، وتتمثل فى عدة قطاعات من سور أسس من الدبش٠اما

---

(١٩٤) ابن حيـان ، المقتبس جـ ٥ ص ١٢٢ ، البـكرى ، جغرافيـة الاندلس ، ص ١٢٠ ٠
(١٩٥) البكرى : جغرافية الاندلس وأوروبا ، ص ١٢٠ ٠
(١٩٦) لمزيد من التفاصيل انظر (Albarran Ibid, P. 485).
(١٩٧) ابن غالب : المصدر السابق ، ص ٢٩٠ ٠
(١٩٨) البكرى : جغرافية الاندلس وأوروبا ، ص ١٢٠ ٠
(١٩٩) Melida, Op. Cit., II, P. 243.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الباب المسمى باب خارتين فاسلامى بدليل احتفـــاظه بآثار كتـــابات عربية(٢٠٠) . ويحدثنا الرازى عن حصن القنطـرة فى سياق ذكره لاقليم اجدانية Idanha (٢٠١) الواقع الى الشرق من قلمـرية فيذكر أنه موضع حسن ، وأن بالمدينة قنطرة على وادى تاجة لا مثيل لهـا فى العالم(٢٠٢) ، أما الادريسى فيذكر أن الحصن يقـع فى اقليـم القصر (قصر أبى دانس)(٢٠٣) . وقد ذكر الحصن فى كتاب جغرافية الاندلس لمؤلف مجهول معاصر للادريسى . وجاء فيه أنها من احدى عجـــائب الارض وهى من بنيان الاول،وهى قنطرة عالية البناء من قوس واحد يدخل النهر كله تحت القوس المذكور،« وارتفاع هذا القوس فى الهواء خمسة وسبعون ذراعا ، وعلى ظهر هذا القوس برج عظيم ، ارتفـاعه عن ظهر القنطرة أربعون ذراعا قد بنى البرج والقنطرة بأحجار عظيمة طول الحجر منهـا ثمانيـة أذرع وعشرة أذرع . وفى رأس البرج فى أحد الاحجار ثقب فيه سيف من اللاطون(٢٠٤) ... » أما الادريسى فيذكر أنها من « عجائب الارض ، وهو حصن منيع على نفس القنطرة وأهلها متحصنون فيه ، ولا يقدر لهم أحد على شىء ، والقنطـــرة لا يأخذها القتال الا من بابها فقط »(٢٠٥) ، ويذكر الحميرى أن قنطرة السيف اقيمت « على قوس من عمل الاول ، فى أعلاها سيف معلق لم تغـيره

---

(٢٠٠) Albarran : Op. Cit., P. 506-507.

(٢٠١) الرازى : المصدر السابق ، ص ٩٠ .

(٢٠٢) La description de l'Espagne d'Ahmed al-Razi, P. 90.

(٢٠٣) الادريسى : المصدر السابق ، ص ١٨٣ . ويقول الادريسى « ومن مدينة ماردة الى قنطرة السيف يومان ، وقنطـرة السيف من عجائب الارض وهو حصن منيع على نفس القنطـــرة وأهلهـا متحصنون فيه ، ولا يقدر لهم أحد على شىء ، والقنطـرة لا يأخذها القتال الا من بابها فقط . ومن مدينة قنطرة السيف الى مدينة قورية مرحلتان خفيفتان » ..

(٢٠٤) مؤلف مجهول : جغرافية الاندلس لمؤلف مجهول الاسم ، نسخة مصورة من المخطوط ، معهد مدريد لوحة ٦٦ ، ٦٧ .

(٢٠٥) الادريسى : المغرب وارض السودان ، ص ٨٤ .

الازمنة ، ولا يدرى ما تأويله »(٢٠٦) ، ولهذا السبب نسبت الى السيف فيقال قنطرة السيف ، وقد أخذ ليفى بروفنسال(٢٠٧) بنص الحميرى هذا ،ولكن الاستاذ البران ينفى وجود السيف . ومن الجدير بالذكر ان ابن حيان يمتدح بناء قنطرة السيف فيذكر انها « اضخم قنطرة بالاندلس وأعلاها سمكا واعجبها شأنا »(٢٠٨) .

٣ - حصن المعدن Almada

وهو حصن يقع على نهر التاجه قبالة مدينة لشبونة من الجنوب وكان أصله المعدن ، ثم عرف باسم almadana بعد منتصف القرن الثانى عشر الميلادى ، ثم تحول الى almada . ويعلل الادريسى تسميته بحصن المعدن « لأنه عند هيجان البحر يقذف هناك بالذهب والتبر فاذا كان زمن الشتاء قصد الى هذا الحصن ، أهل تلك البلاد فيخدمون المعدن الذى به الى انقضاء الشتاء وهو من عجائب الارض وقد رأيناه عيانا »(٢٠٩) . وجاء ذكر المعدن فى جغرافية الرازى(١١٠) على انه موضع يستخرج منه الذهب الخالص (التبر) من وادى تاجه على مقربة من لشبونة ، ويذكر الرازى أيضا انه بين لشبونة والمعدن ويقتحم البحر مياه وادى تاجه(٢١١) . وقد نقل الحميرى فى معرض حديثه عن أشبونة نفس عبارات الادريسى عن حصن المعدن(٢١٢) . وقد تعرض الحصن للتدمير على يدى ابى يوسف يعقوب المنصور فى

---

(٢٠٦) الحميرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٦٤ .

(٢٠٧) Lévi-Provençal : La Peninsule Ibérique au moyen age P. 197 note 5.

(٢٠٨) ابن حيان : المقتبس ، جـ ٥ ، تحقيق شالميتا ، ص ٢٧٩ .

(٢٠٩) الادريسى : المغرب وأرض السودان ، ص ١٨٤ .

(٢١٠) الرازى : المصدر السابق ، ص ٩٠ .

(٢١١) Lévi-Provençal : La description de l'Espagne d'Ahmed el-Razi P. 90.

(٢١٢) الحميرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٦ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جمادى الآخرة سنة ٥٨٧هـ (١١٩١م) وفى ذلك يقول ابن عذارى « ثم استمر العسكر الى حصن المعدن ففتحه وأمر بهـــدمه وتعفية رسمه ، فاستؤصل بالتخريب والدمار »(٢١٣) .

٤ ـ حصن زواغـة Azuaga

هو حصن بربرى يقع موقعا استراتيجيا على الطريق من قرطبة الى بطليوس(٢١٤) . وينسب الحصن الى قبيلة زواغة البربرية التى تركت بصماتها على المركز العمرانى الذى نشأ حول الحصن(٢١٥) .ولكن الحصن يطلق عليه حاليا اسم Miramonts ، ويقوم الحصن على قمة جبل يصل ارتفاعه الى ستمائة وثلاثين (٦٣٠) مترا . ويصفه الادريسى بقوله « وزواغة حصن عليه سور تراب ، وهو على كومة تراب ، ومنـه الى نهر اثنة مرحلة ، ومنه الى حصن الحنش مرحلة(٢١٦) ... » . وقد تبقت فى زواغة آثار مدجنة . ففى كنيسة سيدة الرحمة بزواغة باب معقـود بعقـد على شكل حدوة الفرس ، هذا الى جانب نوافذ مشبكة بزخارف من الطراز المدجن تنفتح فى بعض الابنية . ونضيف الى ما سبق برج كنيســة يحمـل نفس الطـراز المدجن مع بعض تأثيرات من الفن القوطى(٢١٧) .

٥ ـ حصن القنت(٢١٨) (فونت دى كانتوس Fuente de Cantos)

لم أتوصل الى تفاصيل عن حصن القنت فى المصـادر العربية وقد اختلط الامر على البران اذ اعتبرها نفس مدينة القنت بشرق الاندلس

---

(٢٣) ابن عذارى : البيان : القسم الثـالث ، تحقيق أويثى ميراندا ، تطوان ١٩٦٣ ص ١٩٨٥ .
(٢١٤) الادريسى : المغرب وارض السودان ، ص ٢١٣ .
(٢١٥) Albarran : Op. Cit., P. 47.
(٢١٦) الادريسى : المغرب وارض السودان ، ص ٢١٣ .
(٢١٧) Serrano, C : Badajoz y su provincia, Op. Cit., P. 155.
(٢١٨) جغرافية الاندلس لمؤلف مجهول ، لوحة ٤٨ والنسخة المطبوعة ص ٥٧ .

Alicante ، ونسب الى حصن القنت الغرب ما وصف به الحميرى مدينة القنت الشرق ، واعتمد على ياقوت فى تحديد الموقع ، وبالرجوع الى ياقوت تبين أن حصن القنت من أعمال لاردة وليس ماردة ، وواضح أنه أخطأ فى اعتباره من حصون ماردة(٢١٩) .

٦ - حصن منت ميور Castillo de Montemor

وهو غير حصن منت ميور بمالقة ، ويقع على مصب نهر منديق على بعد كيلو مترات من قلمرية . ويذكر الادريسى أن لهذا الحصن على النهر أرحاء ، وعليه كروم كثيرة وجنات ولها حروث كثيرة متصلة بالغربى منها الى ناحية البحر،ولها أغنام ومواشى،وأهلها أهل شوكةفىالروم(٢٢٠). وقد تعرض حصن منت ميور للتخريب على يد المنصور بن ابى عامر عام ٣٨٠هـ(٩٩٠م) ، واستولى عليه فرناندو الاول فى حملة على قلمرية عام ٤٥٧هـ (١٠٦٤م)(٢٢١) . ولأسوار هذا الحصن أسوار أمامية (Barbacanas) ، وهناك مجموعة أخرى من الحصون الصغيرة فى تلك المنطقة من أهمها حصن لنشاش Lanchash وحصن لقرشان castillo de logrosan الذى ذكره البكرى عند وصفه لكورة ماردة(٢٢٢) ، كما ذكر ياقوت الحموى خطئا انه من اعمال لاردة(٢٢٣) ، وحصن طمان Tomar ، وحصن بلمالة Palmela الواقع بالقرب من قصر ابى دانس وكان من القلاع السامية الارتفاق والانتفاع التى لا يتمكن لمنازلته جيش ، وقد أمر المنصور الموحدى بهدمه وازالة رسمه(٢٢٤) . وتختتم هذه الحصون بحصن منتانجش وكان من

---

(٢١٩) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، مادة لقنت .
(٢٢٠) الادريسى : المغرب ، وأرض السودان ، ص ١٨٣ .
(٢٢١) Albarran : El solar, Op. Cit., 523.
(٢٢٢) البكرى : جغرافية أوروبا والاندلس ، ص ١٢٠ .
(٢٢٣) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، مادة لقرشان ولمزيد من التفاصيل انظر : Albarran : Op. Cit., P. 504.
(٢٢٤) ابن عذارى : البيان ، القسم الثالث ، ص ١٨٥ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المعاقل الشاهقة الارتفاع المشهورة بالتوعر والامتناع(٢٢٥) .

أهم مدن اقليم بطليـــوس

من أبرز سمات المدن التى تدخل فى نطاق اقليم بطليوس انهـــا تحمل أسماء ذات أصوات قديمة ايبيرية أو كلتية أو رومانية لاتينيـــة عربت فى العصر الاسلامى دون أن تفقد كثيرا من نطقهـا ، وبعض هذه المدن تحمل اسم قبائل شاركت فى الفتح أو نزلت فى الموضـع ، وظلت تحمل طابعا لم يتغير منـذ العصر الاسلامى(٢٢٦) . فمـن المدن التى تحمل أسماء لاتينية باجة Beja (Pax Julia) ، وماردة Mérida (Emerita) Augusta) ، ويابرة Evora (Ebora) ، وقورية Coria (Caurium) ، ومدلين Medellin (Metellinum) ، وشلوقة San Lucar ، وموروش Muros

ومن المدن التى عربت أســـماؤها الاســـبانية حصـــن الحنش Castrum Colubri ، ومن المدن التى اتخذت أسماء من نزلهـا من قبائل : مغيلة Meguila ، ومكناسة الاصنام Mekenasa ، ولواته .

وفيما يلى عرض لأهم المدن التى كانت تتبع ولاية بطليـوس فى اكثر مراحل التاريخ الاسلامى :

١ ـ البـــلاط

اسم موضع مرتبط بالجادة الرومانية التى تخرج من ترجالة الى طلبيرة ، ويشير ابن حوقل الى مخاضة البلاط(٢٢٧) ولا يشير الى قلعة بهذا الاسم(٢٢٨) . أما الادريسى فيذكر بصراحة اسم البـلاط فى عدة

---

(٢٢٥) المصدر السابق ، ص ١٩٨ .
(٢٢٦) ليفى بروفنسال ، الاسلام فى المغرب والاندلس ، ص ٥٢ .
(٢٢٧) وكذلك يذكرها المؤلف مجهول الاسم صاحب جغرافية الاندلس بين بلدة اينيشة وشنترين ، والظاهر أنها سميت كذلك بسبب ضحالة مياه وادى تاجه عندها (لوحة رقم ٦) .
(٢٢٨) ابن حوقل : المصدر السابق ، خريطة المغرب ، ص ١١٠ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مواضع ويعتبر (مخاضة البلاط) قاعدة لاقليم البلاط ، ومن مدن هذا الاقليم مدلين(٢٢٩) ، ثم يتحدث عن البلاط باعتباره حصنا عندما يتعرض لذكر الطريق من قلعة رباح الى الشمال(٢٣٠) . ثم يتحدث عن مراحل الطريق بعد مكناسة فيذكر مخاضة البلاط(٢٣١) .

وعلى هذا النحو تتمثل اهمية اقليم البلاط الاستراتيجية فى انه يقع فى موضع يمر منه نهر تاجه ويطل فى نفس الوقت على طريق قديم للغاية .

٢ ـ قصر ابى دانس Alcacer do Sal

مدينة قديمة على نهر شطوبر Sado ، وكان الرومان يسمونها Salacia حسبما يذكر بلينى(٢٣٢) وعرفها العرب تحت اسم قصر بنى وردانس(٢٣٣) ،ثم قصر أبى دانس،ثم القصر ، ولعلها من Castrum (٢٣٤) اللاتينية . اما أبو دانس فشخصية اسلامية بربرية ، ويذكر ابن حيان أن الخليفة عبد الرحمن الناصر ولى على القصر يحيى بن ادانس وابن أخيه عبد الله بن عمر بن ادانس معا ، والى ابيهما ينسب القصر المذكور(٢٣٥) ، فى سنة

---

(٢٢٩) يقول الادريسى « واقليم البلاط وفيه مدينة البلاط ومدلين،ويلى هذا الاقليم بلاطة وفيه شنترين ولشبونة وشنترة .. » (الادريسى : المصدر السابق ص ١٧٥) وبهذا يتضح لنا أن هناك اقليم البلاط ويختلف عن اقليم بلاطة .

(٢٣٠) الادريسى : المغرب وأرض السودان ص ١٨٦ فهو يذكر « ومن قلعة رباح فى جهة الشمال الى حصن البلاط مرحلتان ، ومن حصن البلاط الى مدينة طلبيرة يومان ... » .

(٢٣١) الادريسى : المصدر السابق ، ص ١٨٧ ، ١٨٩ .

(٢٣٢) عن Garcia Bellido, La España del siglo I, P. 143.
وانظر : Albarran : Op. Cit., P. 540.

(٢٣٣) ابن حيان : المقتبس ، قسم ٣ ، ص ٢٥٤ ، كما أنها وردت فى هذا المقتبس فى ذات الصفحة على أنها قصر ابن ادانس .

(٢٣٤) Albarran : IIbid, P. 540.

(٢٣٥) ابن حيان : المقتبس ، قسم ٣ ، ص ٢٥٤ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٣١٧هـ (٩٢٩م)ثم عزلهما معا عن القصر المنسوب الى أبيهما والجبل وما ينضاف الى ذلك(٢٣٦) . ويؤكد الادريسى هذه التسمية فى كتابه نزهة المشتاق ، ويبرز أهميتها البحرية باعتبارها دار صناعة(٢٣٧) . أما ياقوت فينسب مدينة القصر الى باجة فيسميها قصر باجة ويذكر أنها من نواحى باجة قريبة من البحر(٢٣٨) . ويميز ابن غالب بين مدينة القصر ، وقصر أبى دانس،فيذكر أن القصر من مدائن كورة باجة(٢٣٩) . كذلك يفرق الحميرى بين مدينة القصر وبين قصر أبى دانس(٢٤٠) ، فيعرف مدينة القصر بأنها « مدينة بالاندلس ، بينها وبين شلب أربعة مراحل ، وهى مدينة حسنة متوسطة على ضفة نهر كبير ، وهو نهر تصعد فيه السفن السفرية ، وفيما استدار بها من أرض كلها شجر صنوبر ، وبها الانشاء الكثير وهى قصبة ، كثيرة الالبان والسمن والعسل واللحم ... » ، بينما يعرف مدينة قصر أبى دانس بقوله

---

(٢٣٦) المصدر السابق ، ص ٤٩٠ .

(٢٣٧) الادريسى : المغرب وأرض السودان ، ص ١٧٥ « ويلى هذا الاقليم ، اقليم القصر وفيه القصر المنسوب لأبى دانس ، وفيه يبورة وبطليوس وشريشة وماردة وقنطرة السيف وقورية ويليه اقليم البلاط .. » وفى ص ١٨١ يصف الادريسى مدينة القصر فيقول « والقصر مدينة حسنة متوسطة على ضفة النهر المسمى شطوبر ، وهو نهر كبير تصعد فيه السفن والمراكب السفرية كثيرا ، وفيما استدار بها من الارض كلها أشجار الصنوبر ، وبها الانشاء الكثير . وهى فى ذاتها رطبة العيش خصيبة كثيرة الالبان والسمن والعسل » .. ومن الجدير بالذكر أن نهر شطوبر الذى أشار اليه الادريسى هو نفس نهر سادو الحالى ، ومن الاسم العربى أشتق اسم مدينة Setubal وهى مدينة زاهرة تقع على مصب هذا النهر (انظر : Albarran : Op. Cit., P. 542).

(٢٣٨) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، مادة قصر باجة ، ص ٣٥٦ .

(٢٣٩) ابن غالب : قطعة من فرحة الانفس ، تحقيق لطفى عبد البديع ، ص ٢٩٠ .

(٢٤٠) الحميرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٦١ - ١٦٢ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« (بغربى الاندلس ، فيه كانت الوقيعة على المسلمين للروم سنة ٦١٤ ... » : وقد رسم هركولانو(٢٤١) صورة قاتمة لما تبقى من هذه المدينة الجميلة،فقد تحولت مروجها الخضراء الى أراضى قفراء،وتخربت الاسوار ولم يتبق منها سوى أطلال دارسة ٠

٣ ـ باجـــة

وتسمى باجة الاندلس وباجة الزيت تمييزا لها عن باجة تونس أو باجة القمح(٢٤٢) ، وهى مدينة بجنوب البرتغال ، ولم تخضع باجة لمملكة بنى الافطس أصحاب بطليوس الا لفترات قصيرة ، اى أنهـا لم تندمج طويلا فى مملكة بنى الافطس ، وتمثل باجة الصراع الطويل بين بطليوس واشبيلية وهو صراع تاريخى علمى وفلسفى وأدبى(٢٤٣) ٠ وتقع باجة فى القسم الجنوبى من محافظة ألنتيخو Alantejo الحالية الى الجنوب الشرقى من الاشبونة ٠ وتقوم المدينـة على ربوة متوسطة الارتفـاع بحيث تشرف على سهول الالنتيخو الادنى ، وتحسم بذلك مشكلة الحدود المضطربة المتذبذبة بين مملكة ليون ومملكة بنى الافطس٠ وعن باجة يقول الحميرى « أما باجة الاندلس فهى من أقدم مدائنهـا ، بنيت أيام الاقاصرة ، بينها وبين قرطبة مائة فرسـخ ، وهى من الكور المجندة ،نزلهاجند مصر ، وكان لواؤهم فى الميسرة بعد جند فلسطين ٠ ومدينة باجة أقدم مدن الاندلس بنيانا وأولها اختطاطا ، واليها انتهى بوليس القيصر ، وهو أول من سمى قيصر وهو الذى سـماها باجة ، وتفسير باجة فى كلام العجم «الصلح» ، وحوز باجة وخطتها واسعة ولها معاقل بالمنعة والحصانة(٢٤٤) » ٠٠

---

(٢٤١) Herculano : Historia de Portugal, t III, P. 56.

(٢٤٢) الحميرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ٣٦ والترجمة الفرنسية ، ص ٤٥ ، هامش ٢ ٠

(٢٤٣) Albarran : Op. Cit., P. 544-545.

(٢٤٤) الحميرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ٣٦ ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويضيف الجغرافى مجهول الاسم انها متصلة بأعمال ماردة ، وانها بلدة خصبة كثيرة الثمار ، وأن لها مدنا كثيرة وحصونا منيعة وأعمالا واسعة،وبها حمامات وشوارع واسعة،وأسواق ومساجد كثيرة ، وأهلها عرب(٢٤٥) .

ومن أبرز أعلام باجة ، الحبر العالم ايزيدور الباجى الذى سجل الكثير من حوادث الفتوحات عام (١٣٧هـ) ٧٥٤م ، كذلك لمعت شخصية الفقيه القاضى أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد الباجى شارح كتاب الموطأ(٢٤٦)ت ٤٧٤هـ - (١٠٨١م) . وقد سقطت باجة فى أيدى البرتغاليين عام ٥٥٦هـ (١١٦١م) عندما هاجموا مدينة بطليوس لأول مرة،وقد نجح الموحدون فى استردادها واسترداد يابرة وحصن القصر،وولى عليها عبد المؤمن بن على محمد بن على الحاج(٢٤٧).ثم غدر جراندة قائد ابن الرنك Alfonso Enriquez بمدينة باجة سنة ٥٦٨هـ (١١٧٢م) من البرج القائم بباب قصبتها ويعرف ببرج الحمام(٢٤٨) وأمكن للموحدين استردادها فى سنة ٥٧٠هـ (١١٧٤م) وترميم أسوارها وقصبتها(٢٤٩) .

وقد تبقى من آثار باجة الاسلامية عقدان لبابين وبقايا سور

---

(٢٤٥) ذكر بلاد الاندلس لمؤلف مجهول ، لوحة ٤٨ .

(٢٤٦) لمزيد من التفاصيل عن القاضى ابى الوليد الباجى ارجع الى : ابن بسام : الذخيرة ، القسم الثانى ، المجلد الاول ص ٩٤ ، الفتح بن خاقان : قلائد العقيان ، ص ١٩٦ (طبعة مصر ١٣٠٢هـ) ، الضبى : بغية الملتمس ، مجموعة تراثنا ، ترجمة ٧٧٧ ، ابن بشكوال : الصلة فى تاريخ علماء الاندلس ترجمة رقم ٥٤٤٩ ، ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ، جـ ١ ، ص ٤٠٤ ، ابن خلكان : وفيات الاعيان : جـ ١ ، ص ٤٠٨ .

(٢٤٧) ابن أبى زرع : الانيس المطرب بروض القرطاس ، تحقيق تورنبرج ، جـ ١ ، ص ١٣١ .

(٢٤٨) ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة ، ص ٦٠٠ .

(٢٤٩) المصدر السابق ، ص ١٠٧ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المدينة . والعقد الاول يتسم بالضخامة ويعرف بالباب الاسلامى Porta Moura ، وموقعه فى شمال المدينة ، ويبلغ ارتفاع هذا العقد نحو عشرة أمتار واتساع فتحته نحو ستة أمتار ، بينما يبلغ سمكه نحو مترين ، ونظام البناء فيه من الاحجار الصخرية الصلبة ، ويلصقه من الجهة اليسرى بقية من سور قديم ، أما العقد الثانى فيسمى عقد يابرة Arco de Evora وواضح أنه اسلامى الانشاء وان كان الاستاذ محمد عبد الله عنان يرجعه الى أصل رومانى(٢٥٠) . ويوضح البران أسباب نشوب الحرب الضارية بين بنى الافطس وبنى عباد حول باجة بهدف خطير كان يسعى اليه بنو عباد وهو السيطرة على منطقة تكفل لهم فتح الطريق الى قلب مملكة بطليوس(٢٥١) . ومن المعروف أن التاريخ الاسلامى لمدينة باجة ملىء بالوقائع والحوادث ، فقد تعرضت باجة منذقيام جندمصر بالثورة على عبد الرحمن الداخل بقيادة العلاءبن مغيث اليحصبى(٢٥٢) تعرضت المدينة لهجمات عسكرية متنوعة وغارات متكررة ، ففى ربيع الاول سنة ٢٣٠هـ (٨٤٥م) انهزم النورمان فى طبلاطة Tablada (٢٥٣) ثم تراجعوا الى لبلة ، ثم هبطوا الى جزيرة شلطيش ، ومنها الى اكشونبة حيث نزلوا على واديانه ومن هناك رحلوا الى باجة ثم انتقلوا بعدها الى مدينة المعدن ، وانتهى بهم الامر الى لشبونة حيث أبحروا فى سفنهم نحو بلادهم . وفى بداية القرن الرابع الهجرى (نحو ٣٠٢هـ) (٩١٤) تغلب عليها سعيد بن مالك وأخرج العرب منها وقام بدعوة المولدين الى أن هاجمها عبد الرحمن بن محمد (الناصر) فى سنة ٣١٧هـ (٩٢٩م) واستنزل صاحبها عبد الرحمن بن سعيدبن مالك بالأمان

---

(٢٥٠) عبد الله عنان : الآثار الاندلسية الباقية فى اسبانيا والبرتغال ، ص ٤٠٦ .

(٢٥١) Albarran : Op. Cit., P. 545-546.

(٢٥٢) ابن عذارى : البيان ، جـ ٢ ، ص ٥١ ولمزيد عن هذه الثورة راجع مقال السيد عبد العزيز سالم ، حول رفع الالوية السوداء ، ص ٥٩ .

(٢٥٣) السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادى : البحرية الاسلامية فى المغرب والاندلس ، جـ ٢ ، ص ١٥٧ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وافتتحت فى منتصف جمادى الآخرة من السنة ، واقام فيها عبد الرحمن الناصر خمسة عشر يوما(٢٥٤) ، وقد تأثرت باجة بحصار الناصر لها فتخرب بنيانها ، وأصبحت المدينة شبه مهجورة(٢٥٥) . وكانت باجة بحكم موقعها الاستراتيجى عرضة للتخريب والاضطراب ، وهذا يفسر ان اسوارها لم تكن تبقى دائما على حال واحدة أو تتخذ طابعا موحدا . وعن باجة يقول الرازى « تقع الى الجنوب الغربى من ماردة والى غرب قرطبة واغلة فى الجوف ، وباجة من اقدم مداين الاندلس ، وهى من بنيان قيصر أول من تسمى بقيصر من ملوك الروم ، وهو الذى بدأ نظام القياس ومساحة الاراضى ، وأرض باجة أرض زرع وضرع .. »(٢٥٦) وينتسب لباجة عدد من المدن والحصون من بينها حصن مرتيلة أو مرتلة(٢٥٨) أو مرتولة أو مارتلة(٢٥٩) أو ميرتلة(٢٦٠) أكثر حصونها وثاقة ومناعة . وفيها يقول ياقوت فى المعجم « ميرتلة حصن من اعمال باجة وهى أحمى حصون الغرب وأمنعها ، من الابنية القديمة على نهر آنة(٢٦١) » . ويصف الادريسى حصنها بأنه الحصن المشهور بالمنعة والحصانة(٢٦٢) .

---

(٢٥٤) ابن حيان : المقتبس ، قسم ٣ ، ص ٢٤٨ .

(٢٥٥) مدونة عبد الرحمن الناصر ص ٨١ .

(٢٥٦) الرازى : المصدر السابق ، ص ٨٧ وراجع ابن الشباط ، قطعة فى وصف الاندلس وصقلية من كتاب صلة السمط وسمة المرط ، تحقيق د . أحمد مختار العبادى ، مدريد ١٩٧١ ،ص١٤٦، وابن غالب : فرحة الانفس ، ص ٢٩٠ .

(٢٥٧) الحميرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٩١ .

(٢٥٨) مؤلف مجهول ، جغرافية الاندلس ، لوحة ٦ .

(٢٥٩) الادريسى : المغرب وأرض السودان ، ص ١٧٥ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٦ ، ابن صاحب الصلاة ، ١٣٦ .

(٢٦٠) المصدر السابق ، ص ٣١ ، ٤٩١ .

(٢٦١) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، مادة ميرتلة .

(٢٦٢) الادريسى : المغرب وأرض السودان ، ص ١٨١ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومن حصـــون باجة حصـــن ارندة Arun (٢٦٣) وحصـــن طوطالقة (٢٦٤) Tutalica وحصن أوريكة (٢٦٥) Ourique ، ومن عمالتها مدينـة يابرة (٢٦٦) أو يابورة (٢٦٧) (ابرس القديمـة Ebris) ، ويصفها الادريسى بقـوله « ومدينة يبورة كبـــيرة عامرة بالناس ولها سور وقصبة ومسجد جامع ، وبهـا الخصب الكثـير الذى لا يوجد بغيرها من كثرة الحنطة واللحم وسائر البقول والفواكه ، وهى أحسن البلاد بقعة وأكثرها فائدة »(٢٦٨) .

وفى باجة يقول ابن غالب « كورة باجة وتتصل بكورة ماردة وهى أرض زرع وضرع ونوارها يحسن للنحل ويكثر عنه العسل ، ولمائهـــا خاصية فى دبغ الاديم لا يبلغه دباغ فى الجودة ، وخطتهـا واســعة ، ولها مدن ومعاقل وأقاليم ، ومن مدائنها القصر وأروش ، ومسافة ما بين باجة ، وماردة ثلاثة أيام »(٢٦٩) .

٤ ـ قاصرس (٢٧٠) أو قصراش (٢٧١) أو قاصرش (٢٧٢) Caceres

كانت فى عصر الطوائف حصنا منيعا وملتقى هاما للطرق ، وأصبحت زمن الادريسى محرسا رفيعا مشحونا بالخيل والرجال للمغاورة فى بلاد

---

(٢٦٣) المصدر السابق ، ص ١٨٦ ويقع على مقربة من ماردة وبطليوس على واديانة .
(٢٦٤) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، مادة طوطالقة .
(٢٦٥) Description de L'Espagne, P. 88..
(٢٦٦) ابن حيان : المقتبس ، قسم ٣ ، ص ٦٢ ، البكرى : جغرافيـة الاندلس وأوروبا ، ص ٦٣ ، ابن عذارى : البيـــان ، ج ٣ ، ص ٢٣٤ ، ٢٣٥ .
(٢٦٧) مؤلف مجهـول : جغرافيـة الاندلس : لوحة ٤٦ ـ الادريسى ، ص ١٧٥ ، ١٨١ .
(٢٦٨) الادريسى : المغرب وأرض السودان ، ص ١٨١ .
(٢٦٩) ابن غالب : فرحة الانفس ، ص ٢٩٠ .
(٢٧٠) ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة ، ص ٣٦٨ .
(٢٧١) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ١١٠ .
(٢٧٢) الادريسى : المغرب وأرض السودان ، ص ١٨٧ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الروم(٢٧٣) . ولم تحظ بأهمية عسكرية الا منذ منتصف القرن السادس الهجرى عندما أسس سورها القوى الذى أقيم على أسس ضخمة ، وقد وصل الينا هذا السور سليما فى معظم أجزائه . واخذت قاصرش منذ ذلك الحين يتردد اسمها فى المعارك التى دارت فى ذلك الجانب الغربى من الاندلس ، فلقد سيطرت قوات الفونسو انريكيث Alfonso Enriquez وقوات فرناندو الثانى ملك ليون على الجانب الايسر من وادى تاجه ابتداء من منطقة Jara الطليطلية وحتى المصب . وحلت قاصرش محل قورية فى الاستراتيجية الحربية الاسلامية .

ويكتنف سور قاصرش أبراج برانية هامة مثمنة شبيهة ببرج بطليوس اسبنتابروس ، ويمتد سورها على مسافة مساحتها ثمانية هكتار ، وقد قام الاستاذ توريس بلباس بدراسة هذا السور ويرجح أنه أقيم فى ذات الوقت الذى أقيم فيه سور مدينة بطليوس(٢٧٤) .

ومن الثابت أن أجزاء من أسوار بطليوس ، يمكن تأريخها عن طريق ما أورده ابن صاحب الصلاة ، ولكن ليست لدينا نصوص صريحة عن تاريخ انشاء أسوار قاصرش .

ويفترض الاستاذ توريس بلباس أن أسوار قاصرش من انشاء الخليفة الموحدى أبى يعقوب يوسف الذى ترك اسمه على أحد أبراجها المسمى بوخاكو Bujaco ، وهو تحريف واضح من كنية الخليفة الموحدى يوسف بن عبد المؤمن ، ولكن ينبغى الا ننسى أن buja تؤلف المقطع الاول لكثير من المواضع الاسبانية مركبة الاسماء مثل Bujalance و Bujaralaro و Bujabarral ، مشتق من العربية « برج » . وهناك تفسير آخر لاسم هذا البرج مؤداه أنه من لفظة

---

(٢٧٣) المصدر السابق ، ص ١٨٧ .

(٢٧٤) Torres Balbas, Caceres, Al Andalus, 1984, P. 443-472.
Albarran : Op. Cit., P. 553.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Bujaca أو Buraja ، وهى كلمة عرفت فى جنوب أسبانيا منذ تاريخ قديم للغاية ، وتعنى حقيبة المتسول أو الحاج ، وربما كانت لهذه التسمية علاقة باللفظة المستعربة Beluchaca التى تعنى الرجلة ، وهو نبات له حبات كروية صغيرة ، وهناك من يرى أن كلمة بوخاكو ليست تحريفا لاسم الخليفة أبى يعقوب وانما هى كلمة ترجع لأصول بشكنسية وتعنى البجعة ، وبهذا يكون البرج الذى حمل هذه الكلمة يسمى برج البجع . ومع ذلك فنحن نميل الى الاخذ بالتفسير الاول وهو أن البرج سمى باسم أبى يعقوب مؤسس السور .

أما البناء فهو من الملاط والدبش وضحت فيه الخطوط التى تركتها الالواح المستخدمة فى البناء بالملاط وهى احدى خصائص البناء بالطابية فى الاندلس ، وان كانت أركان البرج قد بنيت من صفوف من الحجارة غير المنتظمة ، ولم تكن قاصرش طوال القرن الخامس الهجرى على ما يبدو مدينة ذات صفة سياسية أو عمرانية (٢٧٥) ، شأن عديد من مدن المملكة الافطسية ربما لأنها كانت مجرد حصن أو مدينة صغيرة تعتمد على أسوار ليست لها أهمية الاسوار التى أضيفت اليها بعد ذلك ، وانما اقتصرت أهمية هذه المدينة على دورها الذى قامت به كحصن على الطريق ، وهذا يفسر عدم اقبال الجغرافيين على ذكرها أو التفصيل فى وصفها ، ولكنها أخذت منذ النصف الثانى من القرن السادس تتلقى ما كانت تفتقده من أهمية عسكرية واستراتيجية بحيث امتدح الادريسى حصنها فى قوله «ومن ترجالة الى قاصرش مرحلتان خفيفتان وهو حصن منيع ومحرس رفيع فيه خيل ورجال يغاورون فى بلاد الروم (٢٧٦) ... » .

٥ - قلمرية أو قلنبرية Coimbra

من كورة شنترين تقوم على جبل مستدير وتقع على نهر

---

(٢٧٥) Albarran : Op. Cit., P. 556.

(٢٧٦) الادريسى : المغرب وأرض السودان ، ص ١٨٧ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

منديق الذى يجرى الى غربيها وتكثر عليه الارحاء(٢٧٧) . ويمر بأدنى حصون عديدة تابعة لقلمرية ، ويصب هذا النهر فى المحيط على بعد اثنى عشر ميلا من قلمرية(٢٧٨) . ويدور حول قلمرية سور حصين تنفتح فيه ثلاثة أبواب ، وكانت فى غاية الحصانة(٢٧٩) . أما المدينة فجميلة للغاية ، وتتميز قلمرية بفحصها الخصب الذى لا يستخدمون فيه وسائل الرى التقليدية كالنواعير والسواقى وانما يستخدمون رى الحياض ، فعندما يفيض النهر يغمر الاراضى بمياهه ، وعندما تتراجع المياه يبذرون البذور ويحصدون القمح لكل السنة وللسنة التالية .

وكان للمدينة ثلاثة أبواب هى باب المدينة وباب بلكوش وباب الحصن(٢٨٠) . أما باب المدينة الحالى فيرجع انشاؤه من أدناه حتى منبت العقد الى القرن الثالث الهجرى الذى تبع الاسترداد الاول للمدينة ، وكان المنصور بن أبى عامر قد استولى عليها سنة ٣٧٧ (٩٨٧م) فظلت فى أيدى المسلمين الى أن استردها فرناندو الاول ملك قشتالة وليون عام ٤٥٦هـ (١٠٦٤م) أى بعد استيلائه على بازو Viseo وليق Lamego بسبع سنوات(٢٨١) . واما القبوات فترجع الى القرنين الخامس والسادس للهجرة ، وقد تبقت من باب بلكوش أجزاء يرجع تاريخها فيما يبدو الى ما قبل القرن الثالث للهجرة . واما الباب الثالث وهو باب الحصن فعلى الرغم من أنه أقيم فى ٧٧٦هـ (١٣٧٤م) الا أننا نعتقد انه أقيم على أساس قديم .

---

(٢٧٧) الحميرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٦٤ .

(٢٧٨) المصدر السابق ، ص ١٦٤ .

(٢٧٩) الادريسى : المغرب وأرض السودان ص ١٨٣ .

(٢٨٠) Albarran : El Solar, Op. Cit., P. 558.

(٢٨١) ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ١٨٤ .
Antonio Prieto, y Vives, Los Reyes de Taifas, P. 66, 67.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٦ - قورية Coria

اسمها القديم Caurium ، وعربت الى قوريه ثم الى Coria في العصر الحديث . وموقع قوريه من المواقع الاستراتيجية للغاية اذ كانت تتحكم فى الطرق التى تربط الاندلس بماردة ، وعنها يقول الادريسى « وقوريه الآن مدينة فى ملك الروم ولها سور منيع ، وهى فى ذاتها ازلية البناء واسعة الفناء ، من احصن المعاقل واحسن المنازل ، ولها بواد شريفة خصيبة وضياع طيبة عجيبة ، واصناف من الفواكه كثيرة ، واكثرها الكروم ، وشجر التين ، ومن قوريه الى قلمريه ٤ أيام .. »(٢٨٢) .

وكان لسقوط قوريه فى أيدى النصارى عام ٤٧٣هـ (١٠٨٠م) اكبر الاثر فى مبادرة المتوكل على الله عمر ابن الافطس بمراسلة أمير المرابطين يوسف بن تاشفين يستحثه للعبور الى الاندلس لانقاذه من السقوط فى أيدى النصارى(٢٨٣) .

٧ - البش(٢٨٤) أو يلبش(٢٨٥) Elvas

تقع بين جلمانية وبطليوس ، وتقوم على مرتفع يشرف على سهل واديانه ، وكانت مسرحا لوقائع عسكرية عديدة . ويذكر البران Albarran ان اسم هذه المدينة لا يعرف أصله ، فابن حوقل وياقوت يذكران انها البش،أما الادريسى فيكتبها يلبش،وهى تسمية مباشرة من Yelves (٢٨١). واهم النصوص التى تحدثت عنها ، هو نص الادريسى الذى نطالع فيه ما يلى « وعلى يمين طريقها (يقصد على يمين مدينة شنترين) مدينة يلبش ، وهى فى سفح جبل ، ولها سور

---

(٢٨٢) الادريسى : المغرب وأرض السودان ، ص ١٨٣ .
(٢٨٣) انظر نص الرسالة فى الحلل الموشية ، ص ٣٥ ، والملحق الثاني .
(٢٨٤) ابن حوقل : صورة الارض ، ص ١١٠ .
(٢٨٥) الادريسى : المغرب وأرض السودان ، ص ١٨٦ .
(٢٨٦) Albarran, Op. Cit., P. 564.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

منيع ورقعة فرجة ، وبها عمارة وأسواق وديار كثيرة ، ولنسائها جمال فائق ، ومنها الى بطليوس ١٢ ميلا »(٢٨٧) . أما أسوارها الاسلامية فقد تخربت أجزاؤها العليا وأقام عليها سانشو الثانى السور الجديد عام ٦٢٤ (١٢٢٦م) . وقد تعرضت المدينة والاسوار لاضافات وترميمات متلاحقة .

٨ ـ يبوره او يابره Evora

كانت الدرة الثمينة لمملكة بطليوس زمن الطوائف ، وتقع فى سهل اليمنتيخو الخصب ، وكانت موطن الشعراء المسلمين العظام أمثال أبى محمد ابن عبدون(٨٨) الذى رثى المتوكل عمر بن الافطس وذويه بقصيدته المسماة البسامة(٢٨٩) سجل فيها مآثرهم وعظيم ملكهم(٢٩٠) .

ويابره مدينة حصينة تعرضت للغزو مرات عديدة كما تعرضت فى عصر الطوائف لغارات بنى عباد . واسم يابرة العربى مشتق من Ebora ، وورد الاسم فى جغرافية استرابون بهذه الصورة Ebura وان كان قد أخطأ فى تحديد موقعها فذكر أنها تقع على ساحل قادس(٢٩١) . والاسم يرجع لأصول كلتية ، ويعنى نوع من

---

(٢٨٧) الادريسى : المغرب وأرض السودان ، ص ١٨٦ .

(٢٨٨) انظر ترجمته فى كتاب الفتح ابن خاقان : قلائد العقيان ، ص ١٥١ ـ ١٥٤ ، ابن بسام : الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ، القسم الثانى ، المجلد الثانى ، ص ٦٦٨ ـ ٧١٩ نماذج لشعره .

(٢٨٩) للاطلاع على القصيدة كاملة ارجع الى الفتح بن خاقان : قلائد العقيان ، ص ٣٨ وما يليها ـ عبد الواحد المراكشى : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربى العلمى ، القاهرة ١٩٤٩ ، ص ٧٦ ـ ٨٧ ، ووردت غير كاملة فى ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ، ج ١ ، ص٣٧٦ ، وابن الخطيب : أعمال الاعلام ، القسم الخاص بالاندلس .

(٢٩٠) ومطلع القصيدة :
الدهر يفجع بعد العين بالأثر .. فما البكاء على الاشباح والصور

(٢٩١) استرابون انظر : Albarran : El solar, Op. Cit., P. 561.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الشجر السام الذى تتخذ عصارته لتسميم السهام أو الانتحار ، ويذكر الادريسى أنها مدينة كبيرة عامرة بالناس ولها سور وقصبة ومسجد جامع وقد تحول هذا المسجد الجامع بعد أن استولى عليها جيرالدوسمبافور الى كاتدرائية فى عام (٥٨٢هـ) ١١٨٦م . وقد تبقت آثار قليلة من أسوار يابرة الاسلامية يرجع تاريخها الى القرن السادس الهجرى وبعض آثار من الحصن الاسلامى الذى اقيم قبل القرن السادس ، وتتمثل هذه الآثار فى بقايا الباب الجديد Porta Nova ومن الملاحظ على تخطيط يابرة أن لها سورين متميزين ، الاول يسمى سور Velha ، وهو الاقدم ويرجع تاريخانشائه الى القرن السابع عشر ، فكان ينفتح فى السور القديم أربعة أبواب منها باب مورة Moura ، وباب شربه Serpa ، وباب الشمس sol ، وعقد ايزابيل Arco de doña isabel .

وحصيلة كتابات الجغرافيين العرب عنها قليلة ، فالرازى يذكر أنها مدينة قديمة من عمل باجة ، وكانت تسمى قديما Ebris وتسمى اليوم يابرة وتتبعها أقاليم كثيرة(٢٩٣) . أما الادريسى فيذكر أنها تقع فى اقليم القصر « وفيه القصر المنسوب لابى دانس ، ومنه يابورة وبطليوس وشريشة وماردة ، وقنطرة السيف وقوريه .. »(٢٩٤) وفى موضع آخر يقول الادريسى « ومدينة يبوره كبيرة عامرة بالناس ولها سور وقصبة وجامع وبها الخصب الكثير الذى لا يوجد بغيرها من كثرة الحنطة واللحم ، وسائر البقول والفواكه ، وهى أحسن البلاد بقعة وأكثرها فائدة ، والتجارات اليها داخلة وخارجة »(١٩٥) . ويتفق الحميرى مع الادريسى فى أن يابره مدينة من كورة باجة(٢٩٦) .

---

(٢٩٢) الادريسى : المغرب وأرض السودان ، ص ١٨١ .
(٢٩٣) Description de L'Espagne, P. 88.
(٢٩٤) الادريسى : المغرب وأرض السودان ، ص ١٧٥ .
(٢٩٥) المصدر السابق ، ص ١٨١ .
(٢٩٦) الحميرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٩٧ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٩ ـ اجدانية Exitania

وهى حاليا Idanha ، وقد انفرد الرازى باطلاق هذا الاسم على تلك المدينـــة الرومانيـة ، وذكر أنها تقع على وادى تاجه الى الشرق من قلمريه والى الغرب من قرطبة ، وانها مدينة قديمة للغاية وحصينة لها أرض خصبة تنتج القمح والكروم وتتوفر فيهـا حيـــوانات الصيد والاسماك (٢٩٧)

١٠ ـ شريشة Jerez de los Caballeros

تقع على ضفة واديانه فى اقليم(٢٩٨) القصر بين بطليوس وحصن مارتلة(٢٩٩) ، ولم يرد عنها أى تعريف فى المصادر العربية ٠

١١ ـ الاشـــبونة

عرفت عند العرب بالاشبونة ، ولشبونة ، ولسبونة عنـد ياقوت ويذكر الرازى أن الاشبونة تقع غربى باجة وبها ارزاق ، ذات محـارث وزروع واشجار ملتفة ، وبها ثمار كثيرة وخيرات واسعة وفواكه طيبـة وضروب الصيد فى البر والبحر ، وبزاتها الجبلية أطير البزاة واعتقها ، وفى جبالها شورة العسل وهو العسل الخالص البياض يشبه الســـكر فى المذاق ، ويوضع فى خرقة فلا يكون له رطوبة ، ولها معدن من التبر الخالص غزير المادة »(٣٠٠) ٠

أما أشهر ما ورد بشأنها فى التـــاريخ الاسلامى للاندلس فيتعلق برحلة الفتية المغررين الذين خرجوا منها فى مركب لكشف ما وراء بحـر

---

(٢٩٧) Albarran : Op. Cit., 571.

(٢٩٨) الادريسى : المغرب وأرض السودان ، ص ١٧٥ ٠

(٢٩٩) المصدر السابق ، ص ١٨٦ ٠

(٣٠٠) نص الرازى من المصادر التـالية : ابن غالب قطعـة من فرحة الانفس ، ص ٢٩١ ، Description de l'Espagne, P. 90.
مؤلف مجهول الاسم جغرافية الاندلس لوحة ٤١ ، ٤٢ ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الظلمات(٣٠١) . وشهدت الاشبونة ثورة أبناء سابور على عبد الله بن مسلمة ابن الافطس . وقد تعددت الموارد والثورات الاقتصادية بالاشبونة ، فالى جانب التبر الخالص الذى كان يستخرج من بحرها ، كان يتوفر بريفها العنبر الفائق المتناهى كثيرا (٣٠٢) . وفيها يقول الادريسى « ومدينة لشبونة على شمال النهر المسمى تاجه ، وهو نهر طليطلة ، وسعته أمامها ٦ أميال ، ويدخله المد والجزر كثيرا ، وهى مدينة حسنة ممتدة مع النهر ، ولها سور وقصبة منيعة ، وفى وسط المدينة حمات حارة فى الشتاء والصيف ، ولشبونة على نحر البحر المظلم ، وعلى ضفة النهر من جنوبه قبالة مدينة لشبونة ، حصن المعدن ، وسمى بذلك لأنه عند هيجان البحر يقذف هناك بالذهب والتبر ، فاذا كان زمن الشتاء قصد الى هذا الحصن أهل تلك البلاد فيخدمون المعدن الذى به الى انقضاء الشتاء ، وهو من عجائب الارض ... » .

ومن الملاحظ أن طبوغرافية لشبونة تتيح لنا استيعاب النظرية الدفاعية عن العمران المدنى فى العصور الوسطى ، فقد كان مصب تاجه يتوغل فى مجرى وادى براسا دى كوميرثيو الحالى متتبعا نفس تخطيط شارع أوجستا ، ثم يتفرع هذا المجرى الى جدولين يهبطان عن طريق شارع الحرية ، وشارع النخلة وأمير البحر ، ليتحدا بعد ذلك فى شارع روسيو ، ويحدد هذا الوادى مرتفعات جبل سان فرنثيسكو أو مرتفعات القصبة ، وقد نضب هذا الوادى فى الوقت الحاضر ولا نعرف متى حدث ذلك ، ولكن الذى لا شك فيه أنه كان وفيرا فى مياهه ابان القرن السادس الهجرى بدليل أنه كانت تتوزع على جانبيه المنيات فى القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) ، مما يؤكد وجود مجرى جفت مياهه .

---

(٣٠١) راجع تفاصيل مغامرة الفتية المغررين فى الادريسى : المغرب وأرض السودان ، ص ١٨٤ وما يليها ، الحميرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٦ ، عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم ص ٣١٧ .

(٣٠٢) ابن غالب ، فرحة الانفس ، ص ٢٩١ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والى الشرق من هذا الوادى يقوم حصن من العصر الوسيط على قمة الجبل الموسوم بالحصن أو القصبة ، وعلى سفح هذا الجبل عثر على آثار من العصر الرومانى .

أما القصبة فكانت تقوم على أكثر جوانب الجبل ارتفاعا بحيث تشغل هضبة المرتفع على ارتفاع ٩٥ قدما فوق مستوى سطح البحر ، وكان ينفتح فى السور الغربى للمدينة بابان ، الاول باب الخوخة ، ويعرف بالبرتغالية بباب Alfofa ، والثانى وهو الباب الكبير . ويشير الجغرافى مجهول الاسم الى هذين البابين فى السور المطل على البحر بقوله « ولها ستة أبواب على ترتيب غريب ، فمنها الباب الكبير ، وهو غربى عقدت عليه حنايا عليها حنايا اخرى معقودة على عمد من رخام ، وأوضعت تلك العمد على رخام أبيض موكوزة فيه ، ومنها باب غربى يعرف بباب الخوخة مطل على مرج عظيم أخضر ، وفى وسط هذا المرج جدولان يشقانه حتى ينصبا فى البحر »(٣٠٣) .

وينفتح فى السور القبلى باب البحر ، وفيه تدخل أمواج البحر عند مده ترتفع عن سوره ، أما السور الشرقى فينفتح فيه بابان أحدهما يسمى باب الحمة ، والحمة على مقربة منه ومن البحر ديماس ماء حار وماء بارد ، فاذا مد البحر واراهما ، واذا جزر ظهرا ، والباب الثانى يعرف بباب المقبرة(٣٠٤) ، ويسميه الجغرافى مجهول الاسم بباب المضيق »(٣٠٥) وعرف هذا الباب أيضا بباب الشمس(٣٠٦) .

---

(٣٠٣) مؤلف مجهول : جغرافية الاندلس ، لوحة ٤١ ، ٤٢ ، وقارن النص بما أورده الحميرى فى كتابه الروض المعطار فى خبر الاقطار ، قطعة نشرها ليفى بروفنسال ، ص ١٦ .

(٣٠٤) الحميرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٦ .

(٣٠٥) مؤلف مجهول : جغرافية الاندلس ، لوحة ٤١ ، ٤٢ .

(٣٠٦) Albarran : Op. Cit., P. 587.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١٢ - ماردة Merida ، (وعرفت قديما باسم Emerita))

عند الفتح الاسلامى لماردة قاومت هذه المدينة الحصينة حصار موسى بن نصير وأثرت هذه المقاومة فى سورها المنيع فتخربت قطاعات منه ، ثم تسبب عصيان أهلها للسلطة المركزية فى نكبتها عام ٨٣٤م ، فخربت مبانيها ، واتخذت أطلالها الرومانية محجرا لتعمير قرطبة ، ومنها بنيت القصبة المنسوبة الى عبد الرحمن الاوسط والتى ماتزال قائمة حتى اليوم على واديانه ، وتعتبر من أفضل القلاع الاسلامية فى الاندلس . وتتمثل عظمة المدينة فى أقوال الجغرافيين العرب الذين جعلوها موضوعا لمديحهم ، فماردة مدينة من بناء اغسطس قيصر أسسها فى عام ٢٤ ق٠م(٣٠٧) ، وحظيت منذ ذلك الحين بعناية الحكام والملوك ، فكان كل من استقر بها منهم يعمرها بالمبانى الجليلة ، ويستقطع لها الرخام الجيد ، ويجرى اليها المياه بقدرات فائقة(٣٠٨) . وتسجل رواية ابن عبد الحكم فى فتح ماردة الثروات الهائلة التى غنمها المسلمون من ماردة ، ثم تعرضت ماردة فى العصر الاموى بالاندلس للحصار عدة مرات الامر الذى ترتب عليه تخريب معظم عمرانها . ويحدثنا الادريسى عن ماردة القديمة فيقول « ومدينة ماردة كانت دار مملكة لماردة بنت هرسوس الملك ، وبها من البناء آثار ظاهرة تنطق عن ملك وقدرة ، وتعرب عن نخوة وعزة ، وتفصح عن غبطة ، فمن هذه البناءات فى غربى المدينة قنطرة كبيرة ذات قسى عالية الذروة كثيرة العدد ، عريضة المجاز ، وقد بنى على ظهر القسى اقباء تتصل من داخل المدينة الى آخر القنطرة ، ولا يرى الماشى بها ، وفى داخل هذا الداموس قناة ماء تصل المدينة ، ويمشى الناس والدواب على أعلى تلك الدواميس ، وهى متقنة البناء ، وثيقة التاليف ، حسنة الصنعة ،

---

(٣٠٧) يذكر المؤلف المجهول صاحب جغرافية الاندلس نقلا عن الرازى أنها كانت قاعدة الاندلس وقرارة الملك بنيت فى زمن قيصر اكتبتيان Octaviano (لوحة ٤٨) .

(٣٠٨) Albarran, El Solar, Op. Cit., P. 592.

والمدينة عليها سور حجارة منحورة من أحسن صنعة ، وأوثق بنـاء ، ولها فى قصبتها قصور خربة ، وفيها دار يقال لها دار الطبيخ وذلك أنها فى ظهر مجلس القصر، وكان الماء يأتى دار الطبيخ فى ساقيه هى الآن بهـا باقيـة الاثر لا ماء بها ، فتوضـع صحاف الذهب والفضـة بأنواع الطعام فى تلك الساقية على الماء حتى تخـرج بين يدى الملكة ، فترفع على الموائد ... ومن اغرب الغـريب جلب الماء الذى كان يأتى الى القصر على عمد مبنية تسمى الارجالات (الدعائم) وهى اعداد كثيرة باقية الى الآن قائمة على قوائم(٣٠٩) ، لم تخل بها الازمان ولا غيرتها الدهور ، ومنها قصار ومنها طوال بحسب الاماكن التى وجب فيهـا البناء(٣١٠) وأحوالها .. وفى الجنوب من سور هذه المدينـة قصر آخر صغير وفى برج منه كان مكان مرآة كانت الملكة ماردة تنظر الى وجهها فيـه ، ومحيـط دوره عشرون شبرا ، وكان يدور على حرفه ، وكان دورانه قائما ، ومكانه الى الآن باق ، ويقال انما صنعته ماردة لتحـاكى به مرآة ذى القرنين التى صنعها فى منار الاسكندرية(٣١١) ... » وقد وصف الحميرى تلك الآثار فى ماردة بدوره(٣١٢) كما وصف أسوارها يكون طولها خمسين ذراعا متقنة البناء ، عددها ثلاثمـائة وستون ثمانى عشر ذراعا(٣١٣) ، وكان على بابها مما يلى الغرب حنـايات يكون طولها خمسين ذراعا متقنة البناء ، عددها ثلاثمـائة وسـتون حنية ، وفى وسط قنطرتهـا برج محنى يسلك تحتـه من سلك فى

---

(٣٠٩) يقصد بها دعائم الجسر الرومانى المسمى بجسر المعجـزات (لوس ميلاجروس) .

(٣١٠) الادريسى : المغرب وأرض السودان ، ص ١٨٢ ، وقارن نص الحمـيرى الذى اقتبسه من نص الادريسى (الحمـيرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٧٦ وما يليها) .

(٣١١) الادريسى : المغرب وأرض السودان ، ص ١٨٣ .

(٣١٢) الحميرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٧٦ .

(٣١٣) هذا النص منقول من المسالك والممالك للبـكرى ، تحقيـق الحجى ، ص ١٩ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

القنطرة ، وتفسيرها باللسان اللطينى مسكن الاشراف ٠٠ »(٣١٤) ٠ كما يصف قصر ماردة(٣١٥) الذى بناه عبد الملك بن كليب بن ثعلبة « وهو منيع ، طول كل شقة من سوره ثلاثمائة ذراع ، وعرض البناء اثنا عشر ذراعا ، وقنطرة ماردة عجيبة البنيان ، طولها ميل بأبدع ما يكون من البنيان ، ومن ماردة الى بطليوس عشرون ميلا(٣١٦) ٠٠ » ٠

وحول بهو الاستراحة السياحية بماردة El Parador nacional de Turismo مجموعة من أعمدة رومانية انتزعت فى الاصل من معبد La Concordia ، وعلى هذه الاعمدة بقايا كتابات عربية ، نميز من بينها كلمة « الله الآمر » ، مما يدعو العديد من الاثريين الى الاعتقاد بأنها اقتلعت من أحد المساجد بماردة(٣١٧) ٠

١٠ ـ مكناسة الأصنام

من عمل ماردة وهى غير مكناسة الزيتون (تاقررت) بالمغرب ، وغير مكناسة لاردة المسماة حصن مكناسة Mequinenza (٣١٨)،وكانت مكناسة الاصنام تقع على مقربة من بطليوس ، وكانت فى سنة ٣٠٣هـ (٩١٥م) حصنا مشحونا بالخيل والمغامرين ، فكانوا على حد قول ابن حيان « يستطيلون لذلك على من يجاورهم ويتطرفون أعمال ابن مروان بيطليوس بغاراتهم ، فخرج اليهم ابن مروان بخيله وحشوده

---

(٣١٤) الحميرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٧٦ ٠

(٣١٥) لعله يقصد قصبة ماردة التى أمر عبد الرحمن الاوسط ببنائها فى سنة ٢١٩هـ (٨٣٤م) (راجع التفاصيل فى : جومث مورينو : الفن الاسلامى فى اسبانيا ترجمة د ٠ لطفى عبد البديع و د ٠ السيد عبد العزيز سالم ، القاهرة ١٩٥٩ ، ص ٥١ وما يليها) ٠

(٣١٦) الحميرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٧٦ ٠

(٣١٧) Albarran : Op. Cit., P. 603.

(٣١٨) Lévi-Provençal, la description de l'Espagne de Razi, P. 74.
ومؤلف مجهول : ذكر بلاد الاندلس ، لوحة ٦ ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهاجم بلدتهم ، وتمكن من الاستيلاء على قرية قسولة ، وكانت أم قراهم وأكثرها خيلا وعدة ورجالا ، وكانت كهفا يلوذ به قاطعو السبل والمفسدون فى الارض ، فهدمها ، وانهزم المكناسيون ، وأعمل عسكر بطليوس السيف فيهم ، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة من وجوه فرسانهم(٣١٩) .

١١ - شنترين Santarem

من مدن كورة باجة ، وتقع على جبل يتميز بكثرة أجرافه وتشرف من موقعها الحصين على الاخدود الذى يكتنف مجرى وادى تاجه ، وهى بهذا الموقع تسيطر على السهول الفسيحة ، مترامية الاطراف ، ولها برج سامى الذروة ، متناه فى الحصانة ، وتتوزع المدينة حول الحافة العظيمة للجبل من جهة القبلة ، وبأسفل المدينة ربض على طول النهر ، وكانت دائما وعلى مدى التاريخ ملتقى الطرق التى عبرتها الحملات الحربية ، أما الاسم فكان يعرف قديما بـ Scallobis وتحول فى عصر القوط (القرن السابع) أيام الملك Recesvinto الى Santa Irene تكريما للشهيدة ايرين ، ومن هذا الاسم اقتبس العرب اسم شنترين أو شنت ايرين(٣٢١) ، ولقد شاركت شنترين بطليوس فى ملاذ الحياة فى داخل قصور حكامها من ملوك الطوائف ، حيث المساجلات الشعرية التى زخرت بها مملكة بطليوس فى ظل ملوك بنى الافطس . وتضم المدينة ثلاثة مراكز عمرانية : المركز الاول القائم بأعلى المرتفع ، وهو المدينة القديمة ، أما الأخريان فبأدنى الأجراف . وأما أسوار المدينة وأعنى بها جميع التحصينات التى كانت قد أقيمت منذ سنة ٥٤٢هـ

---

(٣١٩) ابن حيان : المقتبس ، جـ ٥ ، تحقيق كورينطى ، ص ١١٨ - ١١٩ .

(٣٢٠) ابن غالب : فرجة الانفس ، ص ٢٩١ .

(٣٢١) ذكر بلاد الاندلس لمؤلف مجهول ، لوحة ٤٣ ،
Albarran : Op. Cit., P. 604.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(١١٤٧م) التى سقطت فيها المدينة فقد تهدمت كلها وتلاشى معظمها . أما الابراج والاسوار التى تبقت اليوم فمازالت قائمة فى الموضع المسمى Las Foute dos Figueiras أو سـان تيـاجو San Tiago ، ويصف الرازى مدينة شنترين بأنها تقع على نهر تاجه(٣٢٢) غربى باجة غير بعيد من مصبه فى البحـر ، وهى من أكرم الأرضين ، ونهـرها يفيض على بطحائها كفيض نيل مصر ، فتزدرع أهلها على ثراه عنـد انقطاع الزريعة فى البلاد وذهاب أوانها فلا يقصر عن نمائه الطيب ولا يتأخر اناه وادراكه . وحصن شنترين يقوم على جبل عال كثير العـلو والمناعة ، « له سور عظيم وأبراج منيعة لا تدرك بقتال(٣٢٣) . وعن شنترين يقول الادريسى « ومدينة شنترين على جبل عال كثـير العـلو جدا ولها من جهة القبلة حافة عظيمة ، ولا سور لها ، وبأسفلها ربض على طول النهر ، وشرب أهلها من مياه عيون ، ومن ماء النهر أيضا ، ولها بساتين كثيرة وفواكه عامة ومباقل وخير شامل(٣٢٤) » ، وكانت شنترين قد حظيت باهتمام أمراء بنى أمية ، فزودها الامير الحكم الربضى بجامع عظيم ، واقيمت فيها حمـامات عظيمـة وأسواق واسـعة مرتبة(٣٢٥) ، ثم انتزى بها أمية بن اسحق القرشى فى عهد النـاصر الاموى فغزاه القائد أحمد بن محمد بن الياس ، وتم افتتاحها فى سنة ٣٢٧هـ(٣٢٦) (٩٣٨م) .

وفى عهد المظفر محمد بن عبد الله بن مسلمة المعروف بابن الافطس قصدها فرذلند ابن شانجة ملك الجلالقة بجيوشه ، فبـادر المظفـر

---

(٣٢٢) يخطىء المؤلف مجهول الاسم فى ذكر اسم النهر الذى تقع عليه شنترين فيذكر أن شرب أهلها من نهر آنه (لوحة ٤٣) .

(٣٢٣) الادريسى : المغرب وأرض السودان ص ١٨٦ La Description de L'Espagne de Razi, P. 88. ، الحميرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ١١٣ وما يليها .

(٣٢٤) الادريسى : المغرب وأرض السودان ، ص ١٨٦ .

(٣٢٥) مؤلف مجهول : ذكر بلاد الاندلس ، لوحة ٤٣ .

(٣٢٦) ابن حيان : المقتبس ، جـ ٥ ، ص ٤٣١ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بالوصول اليها قبل وصول الجلالقة ، وتم الاتفاق على الصلح مقابل اتاوة يدفعها ابن الافطس قدرها خمسة آلاف دينار يؤديها كل سنة(٣٢٧) . وفى سنة ٥٤٢هـ (١١٤٧م) استولى البرتغاليون على شنترين(٣٢٨) ، وحاول أبو يعقوب يوسف الموحدى استرجاعها فى سنة ٥٧٩هـ (١١٨٣م) ولكنه لقى مصرعه خارجها(٣٢٩) ، وقيل توفى بعد مرض أصابه(٣٣٠) .

١١ ـ شنترة Cintra

هى مدينة مشهورة بالخصب ، تقع على مقربة من البحر وجبال سيرادى فياجيم ، ويذكر الحميرى أنها من مدائن الاشبونة على مقربة من البحر ، يغشاها ضباب دائم لا ينقطع ، وهى صحيحة الهواء ، ولها حصنان فى غاية المنعة ، ويعتمد أهلها فى سقايتهم على نهر ماؤه يصب فى البحر ، ومنه يسقون جناتهم ، وأكثر زراعاتهم الفاكهة وأهمها التفاح العجيب الذى يبلغ من الضخامة ما يجعل الدابة لا تحمل منه الا ثلاث حبات(٣٣١) ، والكمثرى ، كما اشتهرت بعنبرها الجيد(٣٣٢) ، ومن خواصها أن القمح والشعير يزرعان فيها ويحصدان عند مضى أربعين يوما من زراعته .

١٢ ـ ترجلة Trujillo

وكانت منزلا لقبائل نفزة الذين تحملوا فى القرن التاسع الميلادى وطأة الحملات الاشتورية . ويتحدث الادريسى عن أسوارها المنيعة وأسواقها التجارية ، ويتحدث عن قيام أهلها بغزو النصارى . أما

---

(٣٢٧) ابن عذارى : البيان ، جـ ٣ ، ص ٢٣٨ .
(٣٢٨) ابن غالب : فرحة الانفس ، ص ٢٩١ .
(٣٢٩) عبد الواحد المراكشى : المعجب ، ص ٢٥٩ .
(٣٣٠) الحميرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ١١٤ .
(٣٣١) ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ، جـ ١ ، ص ٤١٥ .
(٣٣٢) الحميرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ١١٣ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الحميرى فيصور حصار النصارى لهـــا فى ٦٣٠هـ (١٢٣٢/١٢٣٣م) فتوجه محمد بن يوسف بن هود لمواجهتهم من الخلف ولكنه عجـز عن ذلك ، واخذ طريق اشبيلية ، ومن هناك اتجه الى ترجلة غير انه تلقى خبر سقوطها فى ايدى النصارى ، وتم ذلك فى ربيـع تلك السنة ، وقد تبقت من القلعة الاسلامية آثار هامة منها الجب(٣٣٣) .

---

(٣٣٣) Albarran : Op. Cit., P. 15.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

البـــاب الأول

بطليـوس فى ظل بنى مروان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصـــل الأول

بطليوس فى عهد مؤسسها عبد الرحمن بن مروان الجليقى

١ ـ تتابع الثورات فى ماردة وبداية ظهـــور عبـد الرحمن بن مروان الجليقى ٠

٢ ـ ثورة عبد الرحمن بن مروان الجليقى وتأسيس بطليوس ٠

٣ ـ تمصـــير بطليوس ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصـل الأول

بطليوس فى عهد مؤسسها عبد الرحمن بن مروان الجليقى

(١)

تتابع الثورات فى ماردة وبداية ظهور عبد الرحمن بن مروان الجليقى :

يسدل التاريخ ستاره الكثيف على ماضى بطليـــوس قبـل بداية تمصيرها فى عهد الامير محمـد الاول بحيث نكاد لا نعـــرف شيئا عن أخبارها قبل هذا التاريخ ، فالمصادر العربية والاسبانية لم تسعفنا بمادة تاريخية تسد هذا الفراغ الكبير .

وليس فى أيدينا من المصادر التاريخية ما يعين على تسليط الضوء على تلك الفترة الغامضة من تاريخ هذه المدينـــة العريقة ، وان كانت الدلائل الاثرية تؤكد أنه موغل فى القدم . ولا يبدأ اسم بطليـــوس فى الظهور الا منذ أن نطقت المصادر العربية به فى عهد الامير محمد بمناسبة انتزاء عبد الرحمن بن مروان الجليقى فى هذه البقعة التى شهدت مولد بطليوس الاسلامية .

ولم تكن بطليوس آنذاك سوى قرية صغيرة(١) يمكن أن يمـــر عليها الباحث مرا سريعا وعابرا دون أن تلفت نظره أمام الوقائع المتتالية التى شملت غرب الاندلس فى اعقاب الفتح الاســلامى ، والتى انتهت بانحدار ماردة التدريجى نحو اضمحلالها المحتوم(٢) ، ذلك أن ماردة

---

(١) ابن عذارى : البيان ، جـ ٢ ص ١٠٢ .

(٢) كانت ماردة الرومانية فى العهد الامبراطورى مركزا متألقـــا للغاية للحضارة اللاتينيةفىأسبانياوربماكانت اكثر المدنالرومانية التى أسسها الرومان فى شبه الجزيرة الايبيرية سكانا وثراء ، كما أنها سجلت بعض أمثلة لتأصـــل المسيحية فى أرضها فى أرضها فى القرن الرابع الميلادى بحيث بلغ الحمـاس المسيحى اقصاه فى القرن الخامس والقرن الســابع ، ثم ثار أهل ماردة عـلى ليوفيخيلدو ، وساندوا ابنه هرمانخيلدو . ومنـــذ أن خضعت البلاد للاسلام وظلت ماردة المسيحية تحتفظ بهذه =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كانت بمرتفعاتها الجرداء واسوارها المنيعة التى لا ترام مجالا خصبا للثورات وحركات التمرد والمؤامرات ، كما كانت وكرا مهيئا للمتآمرين من افراد البيت الاموى ، والخارجين على الحكم المركزى فى قرطبة ، وربما كان ذلك من العوامل التى دفعت الامير عبد الرحمن الداخل مثلا الى اسناد ولايتها الى ولده هشام الذى كان يرفع منزلته ويضعه فى المكان الاول من الادارة لما اتصف به من كياسة وحسن سياسة (٣) ، ومما لا شك فيه أن اختيار هشام لولاية ماردة فى حياة أبيه جاء موفقا كل التوفيق ، اذ كانت ولاية هذه المدينة المعروفة بعصبية أهلها وجنوحهم الى الثورة والتمرد يحتاج الى علو يد وعظيم هيبة مع قدرات خارقة لاستئلاف القلوب وكسبها عن طريق المواددة وحسن المعاملة ، وكل هذه الصفات كانت تتوفر فى شخص هشام ولهذا ساد السلام والهدوء ماردة مدة ولايته لها .

وذكرنا أن الفضل الاعظم فى عودة بطليوس الى الظهور فى العصر الاسلامى باسمها الذى اتخذته انما يرجع الى الثائر المولد ، عبد الرحمن بن مروان الجليقى ، ويرى فريق من المؤرخين الاسبان المتعاطفين مع الثوار المولدين والمستعربين أن ثورة عبد الرحمن الجليقى انما انبعثت تعبيرا عن شعوره بالظلم الذى تعرض له من الحكم الاموى ، ويجنح هؤلاء الى الاعتقاد بأن الامارة التى بدأت قوية بحكم عبد الرحمن الداخل ، تحولت بمرور الوقت الى حكم استبدادى غاشم فى عهد الحكم الربضى وولده عبد الرحمن الاوسط ، وانتهت فى عهد

= المسيحية بدليل المعاهدة التى عقدها أهلها مع موسى بن نصير عند افتتاح المدينة ، وظلت ماردة تتمتع طوال القرن الثانى للهجرة بحياة هادئة باستثناء بعض الحركات الثورية البسيطة الى أن قامت دولة عبد الرحمن الداخل وعندئذ بدأت متاعب هذه المدينة التى انتهت باضمحلالها وتدهورها .

(٣) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس ، ص ٢١٤ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وسجل عبد الرحمن اخضاعه لثورة ماردة بقصبة بناها على نهر واديانه تعرف اليوم لدى العامة بالدير ، وعلى مدخلها نقش كتابى يحمل تاريخ انشائها سنة ٢٢٠هـ(١٨) (٨٣٥م) . ويذكر Martinez y

---

= من القتل فيقول « وغزا ماردة سبعة اعوام ولاء فلما كان العام السابع واشفى بهم على العطب ، نظر الى جنده قد تعلقوا بشرفات السور وتغلبوا عليه ، وضعف أهل ماردة عن دفاعهم ، فسمع صراخ النساء وعويل الصبيان وعجيج البكاء فأمر بالامساك عنهم وقبض أهل العسكر عن قتالهم ، ثم دعا بوزرائه وقواده وقال لهم . قد علمتم ما كان من تغلب حشمنا ورجالنا على هؤلاء الظلمة لأنفسهم ولم يكن رفعنا ما رفعناه عنهم الا رقبة لله عزوجل فيهم ، وتخوفا من قتل ولدانهم وأطفالهم ، ومن لا ذنب لهم ممن استكره على نفسه منهم ، ونحن نرى استجلاب النصر من حيث عودنا الله ، وعرفنا من العفو والصلح ، وقد عزمت على الانتقال عنهم فان ابصروا قدر يدنا فى الابقاء عليهم ومراقبة الله فيهم والا كان الله من ورائهم محيطا وعلى الانتقام منهم قديرا ...»(انظر أخبار مجموعة،ص١٣٩) ولمزيد من التفاصيل عن اقامة محمود بن عبد الجبار عند الفونسو الثانى حتى مقتله سنة ٢٢٥هـ (٨٣٩م) انظر :
Lévi-Provençal : Histoire de L'Espagne Musulmane, t. I, P. 210. Codera : Op. Cit., P. 14-24.

ولكن سليمان تنازع مع محمود وانتقل الى الشمال بينما واصل محمود رفع لواء الثورة فى ماردة بمساعدة أخته جميلة التى عرفت بجمالها البارع ، وتمكن من الاستيلاء على المناطق المجاورة ، ولكنه اضطر أمام القوة التى أرسلها الامير عبد الرحمن الاوسط لوضع حد لثورته الى الفرار مع أخته جميلة الى مملكة ليون حيث لاذا بالفونسو الثانى الذى رحب به واكرمه ، واتخذه سلاحا يشهره ضد هذه الامارة الاموية ، ولكن محمود لم يلبث أن استشعر الندم لموقفه المخزى من المسلمين وآثر أن يستسلم لعبد الرحمن الاوسط فطلب منه الامان ، ولما علم الفونسو بذلك ناهضه وتمكن من الظفر به أسيرا ثم أمر بقتله عام ٢٢٥هـ (٨٤٠م) أما أخته جميلة فقد ظلت تقاوم الى ان سقطت أسيرة بدورها وحملها الفونسو الثانى قهرا على التنصر ، وتزوجها وكان أحد أعقابها أسقف شانت ياقب (انظر ابن سعيد : المصدر السابق ، المغرب ، جـ ١ ، ص ٤٨ ولمزيد من التفاصيل ارجع الى المقتبس لابن حيان تحقيق د.مكى ، ص ٦٧٤) .

(١٨) راجع التفاصيل فى مانويل جرمث مورينو : الفن الاسلامى =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الظلم الذى وقع عليهم فى عهود الاستبداد الاموى ، ولم يتردد

= رأس قوة من أتباعه الى حصن منت شلوط Monsalud التابع لبلدة مقالش ، وتقع الى جنوب بطليوس منحرفة قليلا الى الشرق على مسافة تبلغ ٥٠ كيلو مترا (ابن حيان : المقتبس من أنباء أهل الاندلس تحقيق د . محمود على مكى ، هامش رقم ٥٨٩ ، ص ٦٣٨) وتحصن فيها عدة سنوات الى أن داهمته قوات الامير ، فلاذ بالفرار الى الملك الفونسو العفيف ملك اشتورياش واستظل بحمايته ،ومنحه الملك قلعة بين برتقال Porto وليق Lamego ، تعرف بقلعة سانتا كريستينا لاتخاذها قاعدة لشن الغارات على أراضى الاسلام المجاورة ، ولكنه لم يلبث أن ندم على تصرفاته وكتب الى الامير عبد الرحمن الاوسط يطلب الصفح والامان والسماح له بالعودة الى بلده ، وأبدى عبد الرحمن موافقته ولكن الفونسو علم بخبر هذه المكاتبة ، فهاجم قلعة محمود ، ووقع هذا أسيرا فى أيدى النصارى ، فقتلوه فى رجب سنة ٢٢٥هـ (مايو ٨٤٠م) راجع ابن القوطية : تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٦٧ ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٤٦٦ ، ليفى بروفنسال : نبذة تاريخية فى أخبار البربر منتخبة من كتاب مفاخر البربر ، الرباط ، ١٩٢٤ ، ص ٨٠) ثم ثار أهل ماردة على الامير فى سنة ٢٢٠هـ (٨٣٦م) بزعامة سليمان بن مرتين المولد ، ولم يجنح أهل ماردة الى السلم الا بعد مصرع زعيمهم فى نفس السنة . ارجع الى :

Simonet, Op. Cit., P. 307-316, Isidro de las Cagigas, los Mozarabes, t. I, P. 164).

ويؤكد سيمونيت بعد ذلك ان السبب فى قيام المولدين والمستعربين بالثورة على الامير محمد بن عبد الرحمن لاسيما فى غرب الاندلس (ماردة وشنتمرية) ، انما يرجع الى امعان الامير الاموى محمد فى سياسة الاضطهاد التى مارسها مع المستعربين ، فيذكر أن الامير محمد كان قاسيا ومتعصبا للاسلام ضد العناصر المسيحية وأن العاملين فى الجهاز الادارى بقرطبة نهجوا نهجه فى عدائه للمسيحية ، وترتب على هذه السياسة تخريب الكنائس المستعربة Simonet, Op. Cit., P. 443) ، ويضيف ليفى بروفنسال الى ذلك العامل عاملا جغرافيا وهو قرب مملكة اشتوريش من كورة ماردة الامر الذى شجع سكان ماردة على الارتباط مع عملاء اشتورياش وساعد على قيامهم بالثورة على الدولة الاموية

= Lévi-Provençal, Op. Cit., t. I, P. 208.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المولدون(٥) الذين كانوا لا ينعمون رغم اسلامهم وتفوقهم العددى

= ومن الغريب أننا نجد بين المؤرخين العرب المحدثين بعض المؤيدين لهذا الرأى ومنهم الدكتور محمد عيسى الحريرى الذى يرى أن الفترة التى ثار فيها زعماء المولدين أمثال عمر بن حفصون وابن مروان الجليقى على السلطة المركزية فى قرطبة ، كانت فترة مضطربة للغاية ذلك ان الامارة الاموية فى قرطبة كانت قد أرخت قبضتها على العناصر التى يتكون منها البناء الشعبى للدولة الاموية فى الاندلس وأعنى بهم العناصر أسبانية الاصل ، وهم المولدون المسلمون والمستعربون الذين ظلوا متمسكين بدينهم ، وكانت هذه العناصر تشكل الجمهرة العظمى من سكان الاندلس ، وكان هناك العرب اليمنية والمضرية ، وأخيرا البربر ، وكانوا أكثر عددا من العرب ، وفى رأى الدكتور الحريرى ، أن هذه العناصر الشعبية كانت تعيش مع بعضها فى وئام تام فى العهود التى تقوى فيها الحكومة المركزية ، أما فى حالة الضعف فان الشعور القومى يطغى وتتغلب النزعة الانفصالية عند هذه العناصر ، وقد ساعدتهم على ذلك طبيعة بلادهم الجبلية من جهة ، وشعور المولدين والمعاهدة بأنهم أصحاب البلاد الاصليون من جهة ثانية بالاضافة الى احساسهم بمظالم العرب واضطهادهم لهم ، يضاف الى ذلك العامل الاقتصادى وهو أحد العوامل التى تسببت فى خلق أسباب العداوة والكراهية بين المولدين والعرب . (انظر د . محمد عيسى الحريرى : ثورة عمر بن حفصون ، زعيم المولدين فى الجنوب الاندلسى ، الطبعة الاولى ص ٨ ، ٣١) بل ان الامر لم يقتصر على ذلك اذ تجاوزه الى العلاقات الاجتماعية ويتمثل فى احتقار العرب للمولدين وتعاليهم عليهم ، ويستطرد المؤلف ، فيذكر أن معاملة العرب للمولدين تماثل معاملة العرب للموالى فى المشرق .

(٥) المستعربون ، هم نصارى الذمة الذين يخضعون للادارة الاسلامية ويتعايشون مع المسلمين ، ولكن مع استمرارهم فى الاحتفاظ بدينهم المسيحى ، وكان العرب يطلقون عليهم نصارى الذمة ، وكان المستعربون فى الاندلس يؤلفون جمهرة سكان البلاد فى السنوات الاولى بعد الفتح الاسلامى ، ولكن بمرور الايام أخذت أعدادهم فى التناقص تدريجيا مع ازدياد أعداد المسلمين (انظر السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ١٣٠) ، أما المولدون فقد ظهروا فى المجتمع الاسبانى نتيجة زواج المسلمين عربا كانوا أم بربرا من =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وثرائهم العريض وثقافتهم الواسعة ، بنفس الامتيازات التى كان ينعم بها الفاتحون من العرب والبربر ، فى دعم العناصر المستعربة ومساندتها.

وعلى هذا النحو ثار النصارى فى ماردة ضد عبد الرحمن الاوسط مرتين ، الاولى فى عـــام ٢١٤هـ (٨٢٧م) ، والثانيـــة فى عام ٢٢٢هـ (٨٣٥م) بالاتفاق مع المعاهدين النصارى فى طليطلة ، أما المستعربون فى قرطبة فقد آثروا المقاومة السلبية فاقتصرت حركتهم المناهضة للحكم الاموى على ما اصطلح على تسميته بحركة الاستشهاد(٦) .

= الاسبانيات ، ومن هذه المصاهرة ظهر ذلك الجيل الذى يعرف بالمولدين ، وكان عبد العـزيز بن موسى بن نصير أول من تزوج بأسبانية هى Egilona ايخيلونا أرملة لذريق (انظر عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص ١٢٨) .

(٦) قام المستعربون بفتنة غريبة اشبه ما تكون بحركة انتحـــار جمـــاعى واستشهاد ، فعلى الرغم من أن بعض المستعربين كانوا ينعمـون بنوع من التســـامح الدينى فى عصرى الامارة والخلافة ، وكانوا يتمتعون بحرياتهم فى العمل ويشغلون الكثير من المناصب الادارية الكبرى الا أنه عز على بعض المتطـرفين منهم أن يتسبب هذا التسامح فى زيادة عدد المسالمة ، كما أنهم رأوا شباب المستعربين قد أغفلوا تعلم لغاتهم الاصلية وأقبلوا على التعمق فى علوم اللغة العربية وآدابها ، ومن هذا المنطلق احتدمت نفوسهم بالسخط والغضب وسعوا الى الحد من ذلك بكافة السبل عن طريق الاستشهاد ، وبدأت هذه الحـــركة عندما فقد القديس برفكتو Perfecto صوابه عقب مناقشـــة دارت بينه وبين أحد المسلمين عن كل من الرسول والمسيح ، وانتهى امره بالقتل حين طعن فى الاسلام ، وقذف جهـارا فى القـرآن الكريم ، وسب رسول الله محمد ﷺ بقصـــد الاستشهاد . ثم تفاقم الامر بعد ذلك حين تزعم راهبان هما ايلوخيو Eulogio والفـــارو Alvaro حركة اشعال نار الفتنة بين المتطرفين من المعاهدين ودعوتهم الى توسيع نطاق حركة الاستشهاد هذه ، وقد اشتركت النساء فى هذه الحركة أمثال فلورا Flora المولدة التى لم تتردد فى الارتداد عن الاسلام بعد أن هربت من بيت والدها ، وصممت على الاستشهاد حين وقفت أمام القاضى وسبت الرسول (ص) رغم علمها بان هذه التهمة تنتهى بها =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكانت دعائم الحكم الاموى عند وفاة الامير عبد الرحمن الاوسط فى ربيع الآخر سنة ٢٣٨هـ (٨٥٢م) ، قد أخذت فى التصدع ، وبدأت أولى علامات الثورة على الحكم الاموى فى السنة الاولى من عهد الامير محمد . واعتقد أن الاستناد فى تبرير قيام هذه الثورات فى نواحى مختلفة من الاندلس ومن بينها ثورة عبد الرحمن بن مروان الجليقى المولد بأنها انتفاضات ضد الظلم والطغيان الذى مارسه الحكم الاموى المتعصب للعرب على العناصر المستعربة والمولدة ، لا يقوم على أساس قوى وتفسيره على النحو المذكور يبدو لنا غير مقبول ، فقد كانت سياسة التسامح الدينى تطبق فى الاندلس تطبيقا فعليا على المعاهدة ، وعلى الأخص منذ قيام دولة عبد الرحمن بن معاوية،فكان لنصارى الذمة قاض بينهم يقضى فى منازعاتهم ، يعرف بقاضى العجم ، فاذا كان أحد المتخاصمين مسلما والآخر مسيحيا كان على القاضى المسلم الذى يفصل بينهما أن يكون ملما الماما كبيرا بكل القانون القوطى والشريعة الاسلامية(٧) ، وكان نصارى الذمة يتمتعون بحرية دينية لا نظير لها ، فكانت لهم كنائسهم وأديرتهم وأسقفياتهم ، وكانت اشبيلية فى العصر الاموى مركزا اسقفيا كبيرا . كما كانت ماردة ذاتها مركزا اسقفيا

= حتما الى القتل (٢٣٦هـ - ٨٥١م) .
وعلى اثر ذلك انعقد مجلس (مجمع) دينى تراسه قومس بن انتنيان فى عام (٢٣٨هـ - ٨٥٣م) ، قرر حظرالتفوه بألفاظ نابية عن الرسول المسلم واعتبار من يقوم بها خائنا لقضية المسيحية ومخالفا لتعاليمها ، ودعا فى هذا المجمع المستعربين الى التزام الهدوء والطاعة ، وقد استمرت حركة التطرف الدينى هذه فى عهد الامير محمد بن عبد الرحمن وان كانت قد هدأت عندما أطلق سراح ايلوخيو ، وعينه أسقفا على مدينة طليطلة (انظر التفاصيل فى ابن حيان : المقتبس ، تحقيق د . محمود على مكى ، تعليق رقم ٣١٢ ، ص ٥٢٤ ، محمد عيسى الحريرى : ثورة عمر بن حفصون ، ص ٣٦) .

(٧) النباهى : تاريخ قضاة الاندلس ، المسمى المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ، نشره ليفى بروفنسال ، القاهرة ١٩٤٨ ، ص ٢١ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هاما للغاية استمر يقوم بوظيفته حتى عصر الامير محمد ، ثم ظفرت بطليوس بمكان الصدارةالذىكانت تتبواه ماردة ،فورثت مركزها الاسقفى بتشجيع عبد الرحمن الجليقى الذى انتهز فرصة وفاة الاسقف آريولفو فى سنة ٢٤٨هـ (٨٦٢م) وخلو ماردة من رجال الدين الذين يمكن أن يخلفه أحدهم على كرسيه الاسقفى بسبب هجرة معظم رجال المجلس الكنسى فى ماردة الى مملكة ليون ، وأخذ يجتذب المرشح الجديد للاسقفية ومن معه الى بطليوس بهدف جعلها مركزا أسقفيا بديلا ،وعلى هذا النحو أصبحت بطليوس منذ ذلك الحين مقرا أسقفيا هاما ،وورثت بطليوس بذلك المركز الدينى الهام وذى كانت تشغله ماردة . وهكذا فات هؤلاء الباحثين الذين يرجعون الثورات التى تزعمها ثوار مولدون ضد الامارة الى ظلم العرب للمسيحيين والمولدين واضطهادهم الشديد لهم ، فات هؤلاء أن الاندلس شهدت الى جانب هذه الثورات المولدة ثورات أخرى بربرية ، وثورات عربية ضد الحكم الاموى فى الاندلس ، فالى جانب ثوار هذه المرحلة من المولدين أمثال عمر بن حفصون فى ببشتر وديسم بن اسحاق فى لورقة ومرسية وكورة تدمير ، وابن الشالية فى جيان ، وقسطلونة Cazlona وغيرهم ، وجد ثوار معاصرون لهم مسلمون من البربر أمثال بنو موسى بن ذى النون ، وعمر بن مضم الهترولى المعروف بالملاحى ، وخليل وسعيد ابنا الملهب ، وزعال بن يعيش بن فرانك النفزاوى ، كما وجد ثوار من العرب أمثال محمد بن أضحى بن عبد اللطيف الهمدانى بالبيرة ، وسعيد بن سليمان بن جودى وابن عطاف العقيلى وسوار بن حمدون وابراهيم بن حجاج وبنو المهاجر التجيبيون ، ومحمد بن عبد الرحمن المعروف بالشيخ الاسلمى الخزاعى ، ومنذر بن ابراهيم بن محمد بن السليم(٨) .

بالاضافة الى ذلك كله هناك حقيقة تاريخية مؤكدة وهى أن معظم

---

(٨) لمزيد من التفاصيل راجع السيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص ٢٥٣ - ٢٥٩ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المراكز الثورية للمولدين التى تصدت للحكم الاموى وأعلنت انفصالها عن قرطبة كانت تتلقى فيضا من الدعم المادى والعسكرى أو حتى مجرد السند الادبى من الممالك المسيحية فى اسبانيا ، فمـاردة مثلا ، وكانت تضم جالية كبيرة العدد من المولدين بالاضافة الى طائفة قوية من نصارى الذمة ، كانت بحكم وقوعها على مقـــربة من مملكة اشتوريش تتلقى تشجيعا من هذه المملكة على القيام بالثـورة ضد قرطبـــة ، وجنحت العناصر غير العربية فيها أى فى ماردة الى الارتباط مع مملكة اشتوريش برابطة الحلف بحيث أن الملك الفونسو الثانى المعروف بالعفيف(٩) لم يتردد فى الســـنوات الاخيرة من حكمـه فى مســـاندة ثورة المولدين والمستعربين فى ماردة ضد الحكم الاموى ، وكان على الامير عبد الرحمن الاوسط أن يواجه هذا الخطر بشجاعة ، ففى هذه الفـــترة أجمـــع المستعربون فى الثغر الادنى على الثـورة ضـــد عبد الرحمن الاوسط

---

(٩) هوألذفونش بن فرويلة الاول المعروف بالفونسو الثانى العفيف Alfonso II el Casto ملك جليقيـة واشتوريش فى الفـترة من ١٧٥هـ الى ٢٧٧هـ (٧٩١ - ٨٤٢م) خلفا لمورقاط بن اذفونش (موريجاتو بن الفونسو الاول الملقب بالكاثوليكى) (١٧٢ - ١٧٥هـ) (٧٨٩ - ٧٩١م) ويسجل حكمه الطويل خلال ٥١ سنة عاصر فيها كل من الامير هشام الرضـا والحـكم الربضى وعبد الرحمـن الاوسـط مرحلة جديدة اتسمت بالنشـاط فى فى الاسترداد الاسبانى . ولقد تبـادل هذا الملك مع أمراء بنى أمية فى الاندلس الغارات والغزوات كما تناوبا النصر والهزيمة واذا كانت قوات قرطبـة قد نجحت فى اقتحـام أسـوار أبيط Oviedo حاضرة الفونسو الثـانى فى اشتوريش ، مرتين ، فان قوات الفونسو نجحت بدورها فى احتلال لشبونة لفـــترة مؤقتة وتحولت اشتوريش فى عهـده من مركز للمقاومة ضـــد المسلمين الى مملكة . ولمزيد من التفاصيل ارجع الى :

Armando Cotarelo Valledo, Alfonso III el Magno, Madrid, 1933, P. 46-52, Aguado Bleye, Manual de Historia de España, Madrid, 1947, P. 479-840.

Luis Suarez Fernandez, Historia de España, Edad Media, Madrid 1978, P. 31, 32, Jose Luis Martin, la peninsula en la edad media, Barcelona, 1980, PP. 200-202.

وشجعهم على هذه الثورة رسالة ودية تلقوها من لويس التقى ملك الفرنجة(١٠) . وفى هذه الاثناء فى سنة ٢١٣هـ اجتمع أهل ماردة(١١)

---

(١٠) كان ثوار ماردة على اتصال مباشر بلذويق بن قارلة المعروف باسم لويس التقى ابن شارلمان Ludovico Pio. (١٩٨ - ٣٢٥هـ/٨١٤ - ٨٤٠م) ويذكر سيمونيت أن الامبراطور لويس التقى خاطب أهل ماردة فى كتاب أرسله اليهم عام (٢١١هـ) ٨٢٦م ردا على كتاب أرسلوه اليه يبثونه فيه شكايتهم من السياسة الغاشمة التى يتبعها الامير عبد الرحمن الاوسط معهم ، وجاء فى كتاب الامبراطور ما يلى « سمعنا بما تعانونه من مضايقات بسبب قسوة الملك عبد الرحمن الذى لم يتردد فى تجريدكم من أملاككم متبعا فى ذلك كل وسائل القهر والعسف والعنف ، ، وعرفنا ما كان يفعله ابوه (الحكم الربضى) Abolaz الذى ضاعف عليكم الضرائب والجزيات وكان يتقبضها منكم بالعنف وجعل من الاصحاب أعداء ومن أهل الطاعة ثوارا ، وحاول ان يجردكم من حريتكم ولكنكم كما سمعنا عنكم كعهدنا بكم دائما تمكنتم من الرد على هذه المظالم بشجاعة ، وتصديتم لسياسته الغاشمة معكم . ولهذا حرصنا على مواصلة الدفاع عن حريتكم ضد ملك قاسى ... وسنحاول بعون الله أن نرسل اليكم جيشنا فى الصيف المقبل الى حدود مملكتنا لكى ينتظرمن هناك وصول أوامرنا وفيها الوقت المحدد للعبور الى بلادكم ، اذا رأيتم أن فى ذلك مساعدة لكم ضد عدونا المشترك الذى يستقر لصق حدودنا بحيث اذا أراد عبد الرحمن أو جيشه أن يتوجه ضدكم نمنعه بحد السيف » . ويضيف سيمونيت أن أهل ماردة الثائرين على الامير الاموى كانوا يتفاوضون مع ملك الفرنجة الامبراطور لويس التقى حامى المسيحية ولكن هذا التعاون لم يكن مثمرا بسبب بعد بلاد الفرنجة عن موطن الثورة ماردة ، ومن المعروف أن لويس التقى أرسل فى سنة ٨٢٧ (٢١٢هـ) جيشا الى الثغر الأعلى حيث قاتل الثائر القوطى عيشون الذى كان يعيث فسادا باسم الامير عبد الرحمن الاوسط داخل حدود مملكة الفرنجة .
(Simonet : Op. Cit., P. 343-345).

(١١) مخطوطة النويرى : لوحة ٢١ ، يقول النويرى « وكانت ثورة أهل ماردة فى سنة ٢١٣هـ ، قتل أهلها عاملهم فثارت الفتنة فسير اليهم عبد الرحمن جيشا فحصرهم وأفسد زرعهم وأشجارهم فعادوا للطاعة ، وأعطوا رهاينهم ، وعاد الجيش عنهم بعد أن خربوا أسوار المدينة ، ثم أرسل اليهم من ينقل أحجار السور الى النهر ليلا ... » .

وراء زعيمين ثوريين هما محمود بن عبد الجبار المصمودى ، وسليمان بن مرتين المولد(١٢) المعروف بقعنب ، وشقوا عصا الطاعة على الامير عبد الرحمن الاوسط ثم وثبوا على مروان الجليقى والى ماردة وقتلوه(١٣) ، وعلى أثر ذلك وجه الامير عبد الرحمن قوة من قرطبة حاصرت المدينة سنة ٢١٤هـ (٨٢٩م) ولكن هذا الحصار لم يأت بنتيجة حاسمة . وفى العام التالى ٢١٥هـ(٨٣٠م)عاودت قوات قرطبة محاصرة ماردة ، الا أن المدينة استعصت على عسكر قرطبة ، وظلت صامدة أمام هذا العسكر القرطبى ، ولكن هذا الحصار الشديد لماردة تسبب فى تدمير المزارع المحيطة بها(١٤) وتخريب العمران فى نواحيها . ولما اشتد الحصار على ماردة وطال أمره ، قدم الثوار عدة رهائن(١٥) منهم

---

(١٢) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٦٧ ، يقول ابن القوطية « وكان قد تحرك فى أخريات الامير حكم رحمه الله بجانب موورور رجل يقال له قعنب تنسب اليه فتنة ، فضرب بين العرب والموالى وبين البتر والبرانس حتى قامت فتنة أطفاها الله فى صدر أيام عبد الرحمن بن الحكم ، وفر قعنب الى جانب ماردة وما والاها ، فاقام فيها أيضا فتنة بين البربر والمولدين ، قتله الله فيها ، واتصل بذلك قيام محمود وأخت له تسمى جميلة بقرب وادى تاجه بجوفى ماردةوما والاها فدارت بينهما فتنة وكانت جميلة تدعو الى الطاعة وأخوها محمود الى الخلاف والمعصية ، ثم أطفاها الله بموت محمود . وانظر كذلك محمد بن على الشاطبى المغربى ، مخطوطة عقود الجمان فى مختصر أخبار الزمان ، ميكروفيلم محفوظ فى جامعة أم القرى بمكة المكرمة ، ورقة رقم ٢٦٨ وانظر أيضا . السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ٢٣١) .

(١٣) كان قد تزعم الثورة فى ماردة على الحكم الربضى فى سنة ٢٠١هـ (٨١٦م) (ابن سعيد : المغرب ، جـ ١ ، ص ٤١) ولمزيد من التفاصيل عن مصرع مروان الجليقى راجع :
Lévi-Provençal : Op. Cit., t. I, P. 208).

(١٤) ويعبر ابن عذارى عن ذلك بقوله « وفى سنة ٢١٧هـ حوصرت ماردة وضيق عليها ، حتى فر عنها خلق كثير وقتل منهم كثير ... (انظر ابن عذارى : البيان ، جـ ٢ ، ص ٨٣) .

(١٥) Lévi-Provençal : Op. Cit., P. 208, Martinez y Martinez, Op. Cit., P. 54.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الى عسكر الامير حملوا الى بلاط قرطبة ، كان من بينهم عبد الرحمن بن مروان بن يونس الجليقى ، وولوا على أنفسهم واليا مخلصا للامارة هو حارث بن بزيع .

ولم يتم خضوع ماردة للامارة الا فى سنة ٢١٩هـ(١٦) (٨٣٤م) بعد أن فر منها محمود بن عبد الجبار(١٧) وسليمان بن مرتين .

---

(١٦) اشتدت ثورة ماردة فى عام ٢١٣هـ (٨٢٨م) ، ويأتى ابن الاثير فى روايته لحوادث سنة ٢١٣هـ بتفاصيل ضافية عنها فيقول « وفى سنة ٢١٣هـ ، فيها قتل أهل ماردة من الاندلس ، عاملهم فثارت الفتنة عندهم ، فسير اليهم عبد الرحمن جيشا فحصرهم وأفسد زرعهم وأشجارهم ، فعاودوا الطاعة وأخذت رهائنهم ، وعاد الجيش بعد أن خربوا سور المدينة.ثم أرسل عبد الرحمن اليهم بنقل حجارة السور الى النهر لئلا يطمع أهلها فى عمارته ، فلما رأوا ذلك عادوا الى العصيان ، وأسروا العامل عليهم ، وجددوا بناء السور وأتقنوه » . واستمرت أحداث هذه الثورة مايقرب من سبع سنوات خرج عبدالرحمن أثناءها فى قوة من عسكر قرطبة الى ماردة فى عام ٢١٤ (٨٢٩م) ، حيث أفسد بلدهم وحاصرهم ، ثم رحل عنهم وأرسل اليهم فى عام ٢١٧هـ (٨٣٢م) جيشا حاصر المدينة ثم رحل عنها ، ثم عاود الكرة فى عام ٢١٨ هـ (٨٣٣م) ، وأرسل جيشا الى ماردة لاخضاعها وتمكن هذا الجيش من السيطرة على ماردة بعد أن فر عنها محمود بن عبد الجبار زعيم الثورة الى حصن منت شلوط ، فيمن معه من أصحابه ، ولكن قوات قرطبة طاردته عام ٢٢٠هـ (٨٣٥م) ففر مع أتباعه الى جليقية ، ولما بعث عبد الرحمن فى طلبهم سرية من قواته أوقع بهم محمود بن عبد الجبار الهزيمة ، وغنم ما معهم ، ثم سار محمود حتى وصل الى مدينة منيه التى ربما تكون باسم Miño وهو نهر ينبع من جبال آلبة ويشق بلد جليقية من الشرق الى الغرب ثم يصب فى البحر المحيط (وصف الرازى للاندلس ، La Description de L'Espagne, P. 104).

(١٧) ومحمود بن عبد الجبار بربرى يرجع أصله الى بنى طريف من مصمودة ، ثار مع سليمان بن مرتين واستولى الثوار على حصن فرنكش على واديانه ، وقد يكون المقصود بها مدينة Valencia de Mino بالبرتغال كما يعتقد كوديره (وهو الارجح) وملكها محمود وأتباعه ، ثم استقر فى كنف الفونسو الثانى الى أن قتل فى عام ٢٢٥هـ . ويأتى صاحب أخبار مجموعة بشواهد تعبر عن اشفاق عبدالرحمن على أهل ماردة =

وسجل عبد الرحمن اخضاعه لثورة ماردة بقصبة بناها على نهر وادیانه تعرف اليوم لدى العامة بالدير ، وعلى مدخلها نقش كتابى يحمل تاريخ انشائها سنة ٢٢٠هـ(١٨) (٨٣٥م) . ويذكر Martinez y

---

= من القتل فيقول « وغزا ماردة سبعة أعوام ولاء فلما كان العام السابع وأشفى بهم على العطب ، نظر الى جنده قد تعلقوا بشرفات السور وتغلبوا عليه ، وضعف أهل ماردة عن دفاعهم ، فسمع صراخ النساء وعويل الصبيان وعجيج البكاء فأمر بالامساك عنهم وقبض أهل العسكر عن قتالهم ، ثم دعا بوزرائه وقواده وقال لهم . قد علمتم ما كان من تغلب حشمنا ورجالنا على هؤلاء الظلمة لأنفسهم ولم يكن رفعنا ما رفعناه عنهم الا رقبة لله عزوجل فيهم ، وتخوفا من قتل ولدانهم وأطفالهم ، ومن لا ذنب لهم ممن استكره على نفسه منهم ، ونحن نرى استجلاب النصر من حيث عودنا الله ، وعرفنا من العفو والصلح ، وقد عزمت على الانتقال عنهم فان ابصروا قدر يدنا فى الابقاء عليهم ومراقبة الله فيهم والا كان الله من ورائهم محيطا وعلى الانتقام منهم قديرا ...»(انظر أخبار مجموعة،ص١٣٩) ولمزيد من التفاصيل عن اقامة محمود بن عبد الجبار عند الفونسو الثانى حتى مقتله سنة ٢٢٥هـ (٨٣٩م) انظر :
Lévi-Provençal : Histoire de L'Espagne Musulmane, t. I, P. 210. Codera : Op. Cit., P. 14-24.

ولكن سليمان تنازع مع محمود وانتقل الى الشمال بينما واصل محمود رفع لواء الثورة فى ماردة بمساعدة أخته جميلة التى عرفت بجمالها البارع ، وتمكن من الاستيلاء على المناطق المجاورة ، ولكنه اضطر أمام القوة التى أرسلها الامير عبد الرحمن الاوسط لوضع حد لثورته الى الفرار مع أخته جميلة الى مملكة ليون حيث لاذا بالفونسو الثانى الذى رحب به وأكرمه ، واتخذه سلاحا يشهره ضد هذه الامارة الاموية ، ولكن محمود لم يلبث أن استشعر الندم لموقفه المخزى من المسلمين وآثر أن يستسلم لعبد الرحمن الاوسط فطلب منه الامان ، ولما علم الفونسو بذلك ناهضه وتمكن من الظفر به أسيرا ثم أمر بقتله عام ٢٢٥هـ (٨٤٠م) أما أخته جميلة فقد ظلت تقاوم الى أن سقطت أسيرة بدورها وحملها الفونسو الثانى قهرا على التنصر ، وتزوجها وكان أحد أعقابها أسقف شانت ياقب (انظر ابن سعيد : المصدر السابق ، المغرب ، جـ ١ ، ص ٤٨ ولمزيد من التفاصيل ارجع الى المقتبس لابن حيان تحقيق د٠مكى ، ص ٦٧٤) .

(١٨) راجع التفاصيل فى مانويل جرمث مورينو : الفن الاسلامى =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Martinez أن عبد الرحمن الجليقى كان من بين الرهائن الذين سيقوا الى قرطبة على أثر استنزال عبد الرحمن الاوسط لأهل ماردة فى سنة ٢١٩هـ (٨٣٤م) . وفى ذلك أبلغ دليل على أنه كان من أبرز رؤساء الثورة فيها . ومع ذلك ومع افتراضنا أن عبد الرحمن بن مروان الجليقى كان من الرهائن وهو أمر بعيد الاحتمال، فلا أستبعد أن يكون اختياره من بين وجوه الرهائن (١٩) دليلا آخر على رغبة أهل ماردة فى التخلص منه باعتباره ابن مروان بن يونس الجليقى (٢٠) الذى أبدى تعاونه مع السلطات الاموية فنصبوه واليا من قبلهم على ماردة وكان ذلك من أسباب وثوب أهل ماردة عليه فى ثورتهم سنة ٢١٣هـ (٨٢٨م) واقدامهم على قتله كما سبق أن أشرنا .

واذا افترضنا أن عبد الرحمن الجليقى اختار أن يكون على حد قول مارتينث اى مارتينث من جملة الثوار مدفوعا الى ذلك بطموحه وذكائه واتساع حيلته أو أنه انضم اليهم مؤخرا ، فكيف نفسر انقلابه على أبيه مروان بن يونس الجليقى واقدامه هو أو غيره من رفاقه على قتله ؟ واذا افترضنا أن عبد الرحمن بن مروان انقلب على أبيه وانضم الى زعماء الثورة فى بلدة ماردة ، فكيف نفسر المكانة العظمى التى حظى بها فى قرطبة عقب نزوله فى بلاط قرطبة رهينة فى جملة رهائن ماردة بحيث أصبح فى جملة الحشم بديوان الامير عبد الرحمن الاوسط (٢١) لهذا كله لا نوافق على قول مارتينث .

= فى أسبانيا ، ترجمة د . لطفى عبد البديع ، ود . السيد عبد العزيز سالم ، القاهرة ١٩٥٩ ، ص ٥٠ وما يليها .

(١٩) مخطوط النويرى : ص ٢١ .

(٢٠) ويرى Martinez y Martinez أن اسم يونس ، وهو اسم الجد ، ربما كان أسبانى الاصل من جونيوس أو ايونوس iunu- ولكنى أرى أن نسبه الجليقى يرجع الى أنه أقام فترة بجليقية فى كنف ملكها .

(٢١) ذكر ابن حيان أن عبد الرحمن بن مروان بن يونس وأهله « من مولدى الغرب الغالبين فى رأى التغوية وكان ذا بأس وكيد عظيم الى دهاء ومكر وبصر بالشر لا يلحقه فيهن أحد من =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقبل أن نمضى فى الحديث عن أسرة الجليقى يجدر بنـا أن نذكر خطئا وقع فيه مارتينث اى مارتينث ، ربما كان الرد عليه حلا للمشـكلة فهو يؤرخ خروج عبد الرحمن بن مروان الى قرطبة بين مجموعة الرهائن بعد استنزال عبد الرحمن الاوسـط لماردة فى سنة ٢١٩هـ (٨٣٤م) . ولـكن ابن حيـــان وابن عذارى يؤكدان ان ذلك حدث فى سنة ٢٥٤هـ (٨٦٨م) فى عهد الامير محمد (٢٢) وهو التاريخ الصحيح . ونعتقد ان الفترة من

= نظـرائه ، وقد كان فى جمـلة الحشم فى ديوان السـلطان ، فخرج الى ما خرج اليه من الفسـاد فى الارض .. » (انظـر ابن حيـان ، المقتبس ، تحقيـق د . محمـود على مكى ، ص ٣٤٣) وذكر ابن القوطيـة أن أول فتن حدثت على الامير محمد فى أواخر أيامه « خروج عبد الرحمن بن مروان المعروف بالجليقى من قرطبة الى الغرب ، وكان فى جملة الحشم وكان أصله من جهة الغرب وكان من المولدين » (راجع ابن القوطية: تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٨٨) وذكر الضبى فى بغية الملتمس أن عبد الرحمن بن مروان الجليقى منسوب الى بلده ، كان من الخـوارج فى أيام بنى أمية بالاندلس » (ترجمـة رقم ١٠٤٥) .

(٢٢) ورد فى البيان المغـرب لابن عـذارى فى حوادث سنة ٢٥٤هـ (٨٦٨م) أن الامير محمـد خرج لاستنزال الثوار فى ماردة فتحصنوا فى المدينة أياما ، ووقع القتال على القنطـرة حتى تغلب الامير محمد ، فهم بهدم رجل منها ، فاضطر أهل ماردة الى الاذعان الى طاعته على أن يخرج فرسانهم ، « وهم يومئذ عبد الرحمن ابن مروان وابن شـاكر ومكحول وغير هؤلاء ، وكانوا أهل بأس ونجدة وبسالة مشهورة ، فخـرج المذكورون ومن هو مثلهم الى قرطبة بعيالهم وذراريهم ، وولى عليها سعيد بن عباس القرشى وأمر بهدم سورها ولم تبق الا قصبتها لمن يرد من العمال » (ابن عذارى : البيان ، جـ ٢ ص ١٠٠) .

وأورد ابن حيـان هذا الخبر مع بعض التوضيح الصريح الذى يؤكد أن ابن مروان الجليقى كان أحد زعمـاء الثـورة البارزين فى ماردة ، يقول ابن حيان « وفيها (سنة ٢٥٤) غزا الامير بنفسه مدينة ماردة وكان قد أظهر غزو طليطلة زميلتها فى الشقاق ، وقد بلغه التياث أمرها وتخوف نفاق أهلها ، فتقدم فى طريقها محلات ، ثم نكب الى طريق ماردة فاحتل عليهم وهم آمنون من قصده اليهم ، فتحصنوا منه بمنعة مدينتهم وأمرهم وهم يومئذ يدور على زعمائهم عبد الرحمن بن مروان وابن شـاكر ومكحول =

٢١٩هـ (٨٣٤م) التى أخمد فيها عبد الرحمن الاوسط ثورة ماردة التى قتل فيها مروان الجليقى والى المدينة والتى امتد أمرها حتى سنة ٢١٩هـ ، الى سنة ٢٥٤هـ (٨٣٤ - ٨٦٨م) التى استسلم فيها أهل ماردة للامير محمد هى فترة كافية لحمل عبد الرحمن بن مروان الجليقى على الظهور كأحد زعماء الثورة بحيث حمل هو ورفاقه الى قرطبة ليكونوا رهائن لدى الامير ليراقبهم عن كثب ، وأسرة مروان الجليقى هذه من أصل غير معروف ، وتتمثل هذه الاسرة فى عدة أفراد استأثروا بحكم بطليوس وماردة فى الفترة من قيام مؤسسها عبد الرحمن بن مروان بتأسيس بطليوس حتى سنة ٣١٨هـ (٩٣٠م) عندما تمكن عبد الرحمن الناصر من استرجاع هذه المدينة واسقاط أسرة بنى الجليقى . وقد وصلت الينا فى المصادر أخبار وافية عن مؤسس هذه الاسرة(٢٣) ، غير

= (وهو مكحول بن عمر صاحب حصن جلمانية) فأحاط بهم وشد حصرهم ، وناهض قنطرتهم ، فاشتد عليها جلادهم ، وذمر الامير رجاله فقاتلوهم حتى غلبوهم عليها ، وأمر الامير باخراب رجل من أرجلها ، فكان سببا فى اذعان اهلها فدانوا له على اخراج فرسانهم المذكورين عنهم ، فخرجوا منتقلين بالعيال والذرية ، وخلت المدينة من ذوى النجدة .. فلم يكن الا قليل حتى انتقضت عليه وعاد اليها جماعة منهم كان أخرجهم عنها » (المقتبس لابن حيان ، تحقيق د . محمود على مكى ، ص ٣٢٢) .

(٢٣) تلقب عبد الرحمن بلقب الجليقى، وقد رأى العديد من المؤرخين انه اكتسب هذا اللقب بسبب الحلف الذى كان يربطه بالفونسو الثالث ملك ليون ، ولكن هذا الرأى خاطىء ، وقد رفضه كل من Martinez y Martinez وكوديرا وكذلك Lévi-Provençal وقد بين كوديرا أن هذا اللقب اكتسبه عبد الرحمن بن مروان قبل أن يلحق بالفونسو الثالث فى أبيط Oviedo التى استقر فيها ثمان سنوات (انظر ابن حيان : المقتبس تحقيق د. مكى، ص ٣٤٧ ، وابن عذارى : البيان ، ج ٢ ص ١٠٢) بل ان ابن سعيد قد لقب مروان بن يونس والد عبد الرحمن بنفس هذا اللقب الجليقى (انظر ابن سعيد ، المغرب ، ج ١ ، ص٤١)وهذا يعنى أن هناك أسبابا أخرى جعلت أفراد هذه =

اننا اذا حاولنا التوسع فى معرفة تاريخ هذه الاسرة تمهيدا لرابطة بقدر الامكان بالمناطق التى اقترنت بوقائع عبد الرحمن بن مروان الجليقى أثناء ثورته ، لن نجد سوى أخبارا متفرقة ، على الباحث أن يربطها فيما بينها ليتوصل الى بعض الحقائق الواضحة . وأول هذه الاخبار نص انفرد ابن سعيد المغربى دون غيره بروايته فى حوادث سنة ٢٠١هـ (٨١٦م) جاء فيه « وفيها نكث أهل ماردة وقام بأمرها مروان الجليقى »(٢٤) . وليس لدينا فى المصادر العربية ما يشير الى ان

= الاسرة ابتداء من الجد الاول وهو مروان بن يونس يتلقبون بلقب الجليقى غير تحالفها مع الملك الفونسو الثالث لأن هذا الحلف كما أوضحنا لم يتم الا فى عهد عبد الرحمن أى بعد عام ٢٦٢هـ. (٨٧٥م) . ويرى Lévi-Provençal أن سر تلقب هذه الاسرة بهذا اللقب يرجع الى أن أصولهم ترجع الى منطقة جليقية فهى أسرة مولدة ، ويرى ليفى بروفنسال توضيحا لرأيه أن جليقية لم يكن المقصود بها جاليسيا Galicia الحالية وانما كانت تضم أيضا كل المناطق التى تقع اليوم شمالى البرتغال وتشمل الولايات الواقعة ما بين دويره ومنيه Minho , Duero حتى وادى منديق الذى كان يفصل بين جليقية المذكورة ، التى يرجع منها الجليقى وبين أراضى الاسلام فى الثغر الادنى ، وكانت ماردة عند بداية ثورة مروان بن يونس حاضرة هذا الثغر ، ويتفق Fernando Valdez مع Lévi-Provençal فى هذا الرأى (انظر :

Levi-Provençal : Histoire de L'Espagne Musulmane, t, I P. 303

أبحاث فرناندو فالدز عن حفرياته الاثرية فى قصبة بطليوس فى صيف يوليو ١٩٧٨ ، وبحث عن بنى مروان الجليقى فى ماردة وبطليوس Francisco Codera ص ٤) ومما يدل على ان عبد الرحمن بن مروان الجليقى لم يكن جليقى الاصل بالمفهوم العام أن ابن حيان يلقبه بالماردى بعد ابن الجليقى ويصفه بأنه أمام ماردة الذى فارق الجماعة وجاور أهل الشرك ووالاهم على أهل القبلة » (ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق انطونيه ، ص ١٥) .

(٢٤) ابن سعيد : المغرب ، جـ ١ ، ص ٤١ ،

Codera : Los Beni Meruan en Mérida y Badajoz, en Estudios criticos de historia arabe española, Madrid, 1917, Vol. IX, P. 5.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثورة ماردة فى سنة ٢٠١هـ (٨١٦م) قد تم اخمادها على يد الحكم الربضى أو على يد ابنه وخليفته عبد الرحمن الاوسط(٢٥) . وقد ناقش كوديرا هذه المشكلة فى بحثه وكان يعتقد بادىء ذى بدء عند قراءته لنص ابن سعيد أن الخبر يتعلق بعبد الرحمن بن الحكم وبالتالى فقد ظن أن التاريخ مشكوك فيه ، ولكن لما كان هذا النص فريدا من نوعه ولم يرد نص مماثل له فى أى مصدر آخر ، بالاضافة الى أن التاريخ الذى يسجل هذا الحادث صريح لا مجال للشك فيه اذ ليس هناك ما ينقضه ، فقد وجد نفسه مضطرا الى قبول هذا النص على انه حقيقة ثابتة ، وبذلك اعتبر مروان بن يونس الجليقى أول ثوار هذه الاسرة ضد الامارة بقرطبة .

ويبدو أن مروان بن يونس قد عاد الى الطاعة بعد ذلك فى ايام الامير عبد الرحمن الاوسط بحيث يوافق هذا الامير على اسناد ولاية ماردة اليه ، ونستنتج من النصوص التاريخية التى أوردت خبر مصرعه فى سنة ٢١٣هـ(٨٢٨م) ان أمره استقام مع حكومة قرطبة ، وانه جنح الى الطاعة الامر الذى انتهى بقتله على أيدى الثوار فى تلك السنة(٢٦) . ولمتابعة أخبار هذه الاسرة علينا أن نلقى الضوء على الفترة التى تقع فيما بين ثورة مروان الجليقى بماردة فى عام ٢٠١هـ (٨١٦م) وبين ثورة محمود بن عبد الجبار وسليمان بن مرتين بماردة فى عام ٢١٣هـ (٨٢٨م) والتى سبق أن تحدثنا عنها .

وأول ما نلاحظه أن ابن الاثير بعد سرده لأخبار ثورة مروان الجليقى بعامين يسوق خبر حادث آخر فريد من نوعه له علاقة بهذه المنطقة ولم يرد فى المصادر العربية الأخرى ، فقد ذكر فى حوادث عام

---

(٢٥) Codera, Ibid. P. 6.

(٢٦) د.محمود على مكى : تحقيقات المقتبس من أنباء أهل الاندلس ، ص ٦٢٣ حاشية رقم ٥٦٧ .

٢٠٣هـ (٨١٨م - ٨١٩م) ما يلى « وفيها ظهـر بالاندلس(٢٧) رجل يعرف بالولد وخالف على صاحبها ، فسير اليه جيشا ، فحصروه بمدينة باجة ، وكان استولى عليها ، فضيقوا عليه فملكوها وقيد » .

ويزودنا ابن سـعيد(٢٨) بنص آخر فى حوادث سـنة ٢١٠هـ (٨٢٥م) ربما يلقى الضوء على نص ابن الاثير ، جاء فيه « وفى سنة عشر ومائتين أمر عبد الرحمن عامله جابر بن مالك أن يتخذ مرسية منزلا للولاية ، وتحرك بنفسه الى حصار طليطلة وماردة ، وفتـح حصونا كثيرة من جليقيـة »(٢٩) ، ويصمت كوديرا عن التعليـق على هذين النصين ولكننا بمقارنة ما ذكره كوديرا بما لدينا من نصـوص عربيـة نستنتج أن زعيم الثورة بباجة فى عام ٢٠٣هـ (٨١٨/٨١٩م) ويسميه ابن الاثير بالولد،قد يكون نفس مروان الجليقى المولد الذى أشار ابن سعيد الى ثورته بماردة فى عام ٢٠١هـ وفى هذه الحالة يتضح لنا مدى خطورة مروان الجليقى على الامارة فى تلك الفترة من امارة الحـكم الربضى ، ووجه الخطر يتمثل فى أنه لم يقصر ثورته على ماردة وحدها وانما وسع

---

(٢٧) ابن الاثير : الكامل ، جـ ٦ ، ص ٣٥٦ .
(٢٨) ابن سعيد : المغرب ، جـ ١ ، ص ٤٨ .
(٢٩) يعلق كوديرا على هذا النص بقوله « وفى السنة التالية ٢١١هـ (٨٢٦/٨٢٧م) ارسـل لويس التقى Ludovico Pio الى أهل ماردة يستحثهم على الثورة ويعرض عليهم حمـايته وان كان فريق من المؤرخين يعتقد أن هذا الكتاب كان موجهـا الى ثوار ماردة ، وقد تحدثنا عن هذا الكتاب فى بحث نشر بالجزء السابع من هذه المجموعة ، ص ٢٠٣ وأشـرنا الى أنه كتب فى سـنة ٨٢٦م/٢١١هـ وأشـرنا الى انـه لـم يـكن موجها الى أهل ماردة اعتقادا منـا بأن هذه المدينـة لم تعلن عصيانها على الامير القرطبى ، ولكن يثبت الآن ان ماردة ثارت منذ عام ٢٠١هـ (٨١٦م) الامر الذى يجعل اتصال لويس التقى بثوارها أمرا أكثر قبولا »
(انظر Codera : Los Benimeruan, Op. Cit., P. 7-8.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نطاقها بحيث أصبحت ثورة عارمة فى الغـــرب كله ، ونستند فى هذا الرأى على النص الذى أورده ابن عذارى فى جملة حوادث سنة ١٩٠هـ (٨٠٥م) اذ يقول « وفى سنة ١٩٠ هـ خرج الامير الحـــكم غازيا الى ماردة . فلما وصلها احتلها وحاصرها ، وكان بها اصبغ بن عبـــد الله بن وانسوس ثائرا ، واذا بالخبر وصله أن سواد أهل قرطبة أعلنـــوا بالنفاق وتداعوا الى صاحب السوق لسلاح ، وكتب المحلفون الى الحكم بما حدث بعده وبما ظهر من ضمائر السفلة ،فصدر قافلا ، وطوى المراحل وقطع الطريق فى ثلاثة أيام ، ودخل القصر ، فهـدأ النـــاس وسكنت الاحوال ، وصار الناس فى هدوء وسكون من سنة ١٩٠ الى ٢٠٢هـ ... وترددت الغزوات سبعة أعوام الى ماردة وبها اصبغ بن عبـــد الله ثائرا متمنعا ، وكان سبب ثورته أن عدوا لأصبغ طالبه عنـــد الحكم وأغراه عليه . ثم مشى الى أصبغ بمثل ذلك ، وروعه منه ، فتوقع العقـــوبة والسطوة به فكان ذلك سبب دخوله ماردة ، وقيامه بهـــا ، وتكررت الغارات عليه سبعة أعوام ، فافتتحت فى العام السابع بمحاولة انجلت عن طلب الامان لاصبغ ، فأمن وخرج من ماردة وصار فى مصاف الحكم ، فسكن قرطبة ، ثم فسح له فى الاختلاف الى ضياعه بماردة حتى التاث أمرها ، واضطربت حالها(٣٠) ، وهذا معناه أن الحكم الربضى وضع حدا لثورة اصبغ بن عبدالله بن وانسوس فى عام ١٩٧هـ (٨١٢م) . ثم التاث أمر ماردة حين عاد اليها اصبغ مرة ثانية ، ولعل ابن عذارى يقصد بذلك الالتياث الثورة الكـبرى التى أشعلها مروان الجليقى فى الغـرب كله ، ولعل اصبغ بن وانسوس كان قد شارك مروان الجليقى فى هذه الثورة لأنها كانت ثورة كبيرة وشاملة الى حد أن الامبراطور لويس التقى ملك الفرنجة كما سبق أن أوضحنا خاطب أهل ماردة يستحثهم عـلى الصمود والاستمرار فى هذه الثورة(٣١) . أما القول بأن ثورة مـــروان

---

(٣٠) ابن عذارى : البيان ، جـ ٢ ، ص ٧٢ .

(٣١) ونحن نؤيد بذلك رأى الاستاذ الدكتـــور مكى الذى ســـبق أن أوردناه فى الصفحات السابقة .

الجليقى استمرت حتى عام ٢١٠هـ (٨٢٥م) فى عهد عبد الرحمن الاوسط فغير مقبول لدينا على الاطلاق ، فمن الثابت ان مروان الجليقى كان عاملا على ماردة من قبل عبد الرحمن الاوسط وانه قتل على يد ثوارها فى عام ٢١٣هـ (٨٢٨م) ، وعلى هذا النحو لا يمكن بأى حال من الاحوال أن يكون مروان الجليقى هو نفسه صاحب ثورة طليطلة وماردة ، بحيث استدعى الامر اقدام الامير على حصارهما فى سنة ٢١٠هـ (٨٢٥م) حسبما أورده ابن سعيد فى المغرب(٣٢) .

(٣)

ثورة عبد الرحمن بن مروان الجليقى وتأسيس بطليوس :

المرحلة الاولى :

فقدت ماردة بعد خضوع أهلها للامير عبد الرحمن الاوسط فى سنة ٢١٩هـ (٨٣٤م) زعيمين من ابرز زعمائها الثوريين هما محمود بن عبد الجبار بن زاقلة المصمودى وسليمان بن مرتين المولد الاصل وكانا قد وثبا بمروان بن يونس الجليقى عامل الامير عبد الرحمن على ماردة فقتلاه فى سنة ٢١٣هـ (٨٢٨م) ، واضطرا امام الحملة التى وجهها عبد الرحمن الى ماردة لاخضاعها لسلطانه الى الفرار عنها فيما يقرب من سنة ٢١٧هـ (٨٣٢م) ، فالتجأ محمود بن عبد الجبار الى حصن منت شلوط الواقع على مقربة من بطليوس واستقر به المقام فى منت شاقر Monchique بكورة اكشونبة حتى سنة ٢٢٣هـ (٨٣٨م) ، واضطر اخيرا الى اللجوء الى جليقية بسبب الحملات التى كان يوجهها الامير على حصنه ، أما ابن مرتين فقد لاذ بحصن شنت اقروج Santa Cruz de la Sierra الواقع بالقرب من ترجلة Trujillo ولكن فرقة من عسكر قرطبة تعقبته واوقعت الهزيمة باتباعه ولقى ابن مرتين مصرعه فى سنة ٢٢٠هـ (٨٣٥م)(٣٣) .

---

(٣٢) ابن سعيد : المغرب ، جـ ١ ، ص ٤٨ .
(٣٣) ابن عذارى : البيان ، جـ ١ ، ص ٨٤ .

ولكن ماردة لم تعدم رجالا من أبنائها واصلوا جمع الصفوف ومناهضة الحكم الاموى ، من أبرزهم عبد الرحمن بن مروان بن يونس الجليقى ومكحول بن عمر صاحب حصن جلمانية ، ويبدو أن عبد الرحمن قضى فترة ليست بالقصيرة لكى يزيل من نفوس اهل ماردة خيانة أبيه لقضيتهم ، ويثبت فى نفس الوقت اخلاصه للثورة ، فلما تمكن من كسب قلوبهم بدأ هو ورفاقه فى الاعداد لثورة جديدة ، ولم تلبث هذه الثورة أن تفجرت فيما يقرب من سنة ٢٥١ (٨٦٥هـ) وشملت ماردة ونواحيها ، وكان على الامير محمد بن عبد الرحمن أن يتدارك هذا الخطر قبل أن يستفحل وأن يخمد نار الثورة قبل أن تأتى على كل البلاد فى الغرب ، ولذلك لم يتردد فى تسيير حملة بقيادة الوزير أمية بن عيسى فى سنة ٢٥٣هـ (٨٦٧هـ) ووافاه الامير بنفسه فى قوة اضافية فأحكم حصارها وانتسف مزارعها ، ثم قفل عنها بعد شهر من وصوله(٣٤) . وفى العام التالى غزاها الامير بنفسه(٣٥) ، وتمكن بعد حصاره لها وتخريب دعائم قنطرتها من السيطرة على الموقف ، وكان ذلك سببا فى اذعان اهلها وبذلهم الطاعة له بعد أن سلموا له زعماء الثورة وعلى رأسهم عبد الرحمن الجليقى وابن مكحول وابن شاكر ورقط(٣٦) بأولادهم وذراريهم ليتخذهم رهائن يضمن بوجودهم فى قرطبة انضواء ماردة الى سلطانه . ثم استعمل عليهم سعيد بن عباس القرشى واليا عليهم من قبله(٣٧) .

---

(٣٤) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق د . مكى ، ص ٣٢١ .
(٣٥) راجع التفاصيل فيما سبق .
(٣٦) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق انطونية ملشور ، ص ١٥ .
(٣٧) أرخ الاسقف رودريجو الطليطلى لهذه الاحداث فى مدونته عن تاريخ العرب Historia Arabium بعام ٢٤٨هـ (٨٦٢هـ) وهو تاريخ غير صحيح كما سبق أن رأينا من خلال ما ورد فى المصادر العربية راجع :
Codera : Op. Cit., P. 30.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أقام عبد الرحمن بن مروان فى ديوان الامير محمد بقرطبة فترة من الوقت تقدر بسبع سنوات ، كان خلالها موضع عناية الامير واهتمامه ، بحيث اعتبر من الحشم ، كما ظفر بثقة رجال الدولة والبلاط ، غير أن عبد الرحمن بن مروان الجليقى ، لم يكن ليرضى بالتنعم هوه وذويه فى قرطبة بمثل هذه الحياة المترفة ويتخلى هو ورفاقه عن قضية قومه فى ماردة والغرب ، ثم أنه كان بالاضافة الى هذا الشعور القومى الطاغى الذى كان يغمر جوانحه ويدفعه دفعا الى ترقب الفرصة المواتية للحاق بقومه ورفع راية الثورة من جديد ضد الحكم الاموى ، ومواصلة ما انقطع بعد مصرع أبطال ماردة العظام أمثال ابن عبد الجبار وابن مرتين ، كان يحدوه الامل فى الظفر بالزعامة المطلقة على بلاد الغرب تمهيدا لاقامة دولة مستقلة عن قرطبة يتولى رئاستها . وكان طبيعيا أن يعد عبد الرحمن خطة للافلات من الرقابة المسلطة عليه بقرطبة والهروب الى الغرب ليواصل من هناك نضاله ضد دولة الامير محمد ، فقد كان قبل كل شىء مولد الاصل تشده جذوره الاسبانية الى التحرر من التبعية للحكومة القرطبية وتأسيس ملك يتولاه أمثاله من ذوى الاصول الاسبانية ، بدليل أنه تعاون بعد فراره مع أقرانه من المولدين أمثال مكحول وسعدون السرنباقى .

وهكذا خرج عبد الرحمن بن مروان عاصيا من مكانه فى مصاف السلطان ، بقرطبة خالعا للطاعة(٣٨) ، ولهذا السبب نعت بأحط

---

(٣٨) اتخذ عبد الرحمن الجليقى من اهانة الوزير هاشم بن عبد العزيز له ذريعة للفرار الى الغرب واشعال نار الثورة هناك على الدولة الاموية ، والحادث هنا ، يشابه ما وقع فى المغرب الادنى بين عقبة بن نافع الفهرى وبين كسيلة زعيم البربر ، فقد فر كسيلة من المعسكر العربى عندما أهانه عقبة ، ثم ترصد لعقبة عند عودته من غزوته الكبرى الى المغرب الاقصى وقطع عليه طريق العودة الى القيروان ، وثأر لنفسه من عقبة فى وقعة تهودة (راجع عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٢٨) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الصفات كالغدر والخبث والشر والنفاق والبصر بالشر ، فابن القوطية يقول عنه « وكان لابن مروان من العقل والكيد والبصر بالشر بحيث لا متقدم له فيه »(٣٩) . ويذكر ابن حيان أن أصله من « مولدى الغرب الغالبين فى رأى التغوية ، وكان ذا بأس شديد وكيد عظيم الى دهاء ومكر وبصر بالبشر لا يلحقه فيهن أحد من نظرائه ... فخرج الى ما خرج اليه من الفساد فى الارض والسعى للامارة ، فأدرك من ذلك حظا عظيما جشم له مكاره شديدة»(٤٠) .. وفى موضع آخر يضفى عليه صفة الخبث والمروق(٤١) .

المرحلة الثانية :

أفلح عبد الرحمن الجليقى فى الفرار من قرطبة(٤٢) فى سنة ٢٦١هـ (٨٧٠م) مع أصحابه الذين كان الامير محمد قد اتخذهم رهائن فى مصافه بعد أن تمكن من استنزال أهل ماردة فى سنة ٢٥٤ (٨٦٨م) ، وكان سبب فراره فى الظاهر ، مشادة وقعت بينه وبين الوزير هاشم بن عبد العزيز الاثير عند الامير محمد جرعه بسببها من الاهانة ما جعله يعجل بالفرار الى الغرب(٤٣) ، وفى نيته المعصية وخلع الطاعة ، فقد أمر هاشم بن عبد العزيز بصفع قفاه واستذله بأن قال له : الكلب خير منك(٤٤) . وكان عبد الرحمن قد اتفق مع أصحابه المنتزين معه على

---

(٣٩) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٨٨ .
(٤٠) ابن حيان : المقنبس ، تحقيق د . مكى ، ص ٣٤٣ ، ٣٤٤ .
(٤١) المصدر السابق ، ص ٣٤٥ ، والقسم الذى حققه انطونية ، ص ١٥ .
(٤٢) ابن عذارى : البيان ، جـ ٢، ص ١٠٢ ، ابن الاثير : الكامل ، جـ ٧ ، ص ٢٨٨ .
(٤٣) ابن حيان : المقتبس من انباء أهل الاندلس ، تحقيق د.محمود على مكى ، ص ٣٤٣ .
(٤٤) ابن عذارى : البيان ، جـ ٢ ، ص ١٠٢ ، ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ٢١ .

أن يخرجوا متفـــرقين فى أوقات مختلفة وعلى طرق شتى على ان يتم اجتماعهم بحصن الثلج(٤٥) . فخرجوا من قرطبة متفرقين واجتمعوا

---

(٤٥) ابن حيان : المقتبس ، ص ٣٤٧ . أما حصن الثلج فقد وردت اشـــارة عنه فى كتاب الحمـــيرى ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٠٨ ، فى مادة شلبطرة Salvatierra رغم انه سيذكر تحت اسم حصن الثلج فى نفس المصـدر فى المادة المخصصـة لحصن العقاب Las Navas de Tolosa ، ص ١٣٧ . ولا ندرى ما اذا كان حصن اللج هو نفسه حصن الثلج أم أنه حصن آخر ، وكان سبب اشارة الحميرى الى حصن الثلج فى باب شـلبطرة تعرضه للحملة التى وجهها محمد الناصر بن يعقوب المنصور على قشتالة فى أوائل سنة ٦٠٨هـ (يونيو ١٢١١م) وفيهـــا استولى الناصر على حصن الثلج أولا ثم عاد لحصار شلبطرة . وقد أشار ابن عذارى الى حمـــلة شلبطرة دون أن يأتى بذكر حصن الثلج (انظر البيان،تحقيق أويثى ميراندا،جزء ثالث، تطـوان ١٩٦٠ ، ص ٢٣٨ ـ ٢٤١) ، ويرى د . مكى أنه لو صح أن حصن الثلج وحصن اللج اسمان لموضـع واحد فلابد أن يكون هذا الموضع على مقربة من شلبطرة المذكورة هنـــا (انظر د . مكى ـ ابن حيـــان ـ المقتبس من أنباء أهـــل الاندلس ، ص ٦٢٩) ويستبعد د . مكى الموقع الذى حـدده الاستاذ ليفى بروفنسال لهذا الحصـن على الخريطـة التى رسمها للاندلس بحيث جعله يقع جنوب غربى قلعة رباح ، وهو موضع يبدو منحرفا الى الشمال الشرقى من قرطبة ، ولا يعقل أن يخرج ابن مروان ومن معه من قرطبة الى هذا الموضع قبل توجههم الى حصن الحنش الذى يقع فى اتجاه آخر فى الغرب ، كما أن د . مكى يرفض أن يكون الحصن هو حصن اللج الذى جاء ذكره فى الحلة السيراء (ابن الابار : الحلة السيراء،جـ٢، ص ٢٥٢) لأنه يقع فى شمال شرقى قرطبة لنفس السبب ، كذلك يتشكك د.أحمد مختـــار العبـادى فى تعليقه على نص ابن الكردبوس (ص ٨٨) فى أن يكون اسم حصن الثلج بجوار شلبطرة لأن اسم شلبطرة قد أطلق على عدة أماكن فى اسبانيا شمالا وشرقا وغربا ، وينتهى د . مكى بعد دراسته لهذا المعلم الطبوغرافى الى أن ، حصن شلبطرة المقصود فى نص الحميرى ربما هو نفس الموضع الذى يعرف اليوم باســـم Salvatierra de los Barros ، ويقـع على سـفح جبـــل ارتفاعه أكثر من ثمانمائة متر ، ويبعـد عن ماردة بنحو ستين كيلو مترا وعن =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بعد ذلك فى هذا الحصن،وهناك أحكموا خططهم واتفقوا على رفع لواء الثورة ، وأشاعوا من هناك أن الامير محمد قد مات ، وأن لا طاعة لهم بعد ذلك لأمراء قرطبة ، ثم بدأوا يغيرون على النواحى القريبة منهم مدة يومين ، ثم استقر بهم المقام فى اليوم الثالث من خروجهم من قرطبة بقلعة الحنش(٤٦) فاستولوا عليها لحصانتها وامتنعوا

= قلعة الحنش بنحو خمسين كلو مترا ، وهو بذلك جزء من مقاطعة بطليوس اليوم . وأنا أؤيد رأى د . مكى حيث أن موقع حصن الثلج المذكور وفقا لرأيه موضع أقرب ما يكون الى قلعة الحنش التى لاذ بها عبد الرحمن بن مروان الجليقى .

(٤٦) قلعة الحنش موضع قريب من بطليوس يتصف بالمنعة والحصانة ، والاسم ربما يكون مشتقا من الكلمة الاسبانية الايبيرية Lanca التى تعنى عين ، والظاهر أنها كانت عين ماء رومانية ، وكان لهذه القرية حصن أشار اليه ابن عذارى (راجع التفاصيل عن هذا الحصن فى مجلة استرامادوره ، العام الثانى ، رقم ١٥ ، وانظر
Martinez y Martinez, Op. Cit., P. 55, Codera, Op. Cit., P. 34.
وعن الاسم القديم لقلعة الحنش أو حصن الحنش Alanje راجع الفصل التمهيدى للرسالة عن حصون مملكة بطليوس ، وأصل الاسم باللاتينية Castrum Colubri ، وهى ترجمة حرفية لاسم قلعة الحنش ، وقد ناقش الدكتور محمود على مكى الآراء التى دارت حول اسم حصن الحنش وأولها وأكثرها منطقية أن الاسم ترجمة من اللطينية الى اللغة العربية ، وفى هذه الحالة تعزى الترجمة الى جماعات المولدين أو المعاهدين النصارى باقليم ماردة . ويرى كل من Codera فى بحثه السابق Los Beni Meruan, P. 55.
وليفى بروفنسال فى كتابه
Histoire de L'Espagne musulmane t. I, P. 296.
ان الاسم له أصل عربى ، وأرجعاه الى حنش بن عبد الله الصنعانى ، ولكن د . مكى يرفض هذا الرأى بحجة أنه لو كان ذلك حقا لقيل فيه « قلعة الحنش » بدون الحاق أداة التعريف ، كذلك رفضه الا ستاذ مانويل البران Manuel Albarran Op. Cit., P. 496 بينما يذهب مارتينث : Martinez y Martinez Op. Cit., P. 54. الى أن أصل اسم الحنش يرجع الى Lanja التى تعنى عين ماء فتحرف بالعربية الى al-lanche ثم alange انظر : Martinez y Martinez Op. Cit., P. 54).
والحصن لايزال باقيا يقوم عاليا على الربوة،وقد تحول بعد =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بهـــا(٤٧) .

وكان عبد الرحمن بن الجليقى قد اصطحب معـه فى خروجه الى قلعة الحنش أبناءه الثلاثة منتصر ومروان ومحمـد ، وكانوا أكثر حزما وأشد بسالة من أبيهم(٤٨) ، كذلك رافقه صاحباه الثائران مكحـــول وابن شاكر ودخلا معه مكان أمنهم قلعـة الحنش لحصـــانتها . وكان عبد الرحمن وصاحباه قد أشاعوا وهم بعـــد فى حصن الثلج أن الامير محمدا قد مات وأعلنوا خروجهم على الدولة الاموية ، وأخذوا يبثـون الغارات فى نواحى الحصن ويسلبون وينهبون . فلما نزلوا بقلعـــة الحنش ، وضمنوا لأنفسهم هذا القرار المكين ، أطلقوا الغارات على أهل الطاعة وكل من يدين بالطاعة للحكومة المركزية فى جميـــع النواحى ، وأوقعوا بكل من التقوا به من أتباع الدولة ، وأولى الامر فيهـا من ولاة وعسكر وفرسان ، فكانوا يرجلونهم عن خيولهم ، ويسلبونهم أمتعتهم وثيابهم ثم امتدت أيديهم الى خيول العرب والبربر الذين ينزلون فيما جاورهم من قرى وضياع ، فجمعوا منهـا فى ثلاثة أيام نحو خمســـمائة فرس وأشاعوا الذعر وبثوا الرعب فى نفوس الناس ، ففر سكان هذه النواحى من البسائط الى قمم الجبال والاوعار والحصون ، وأرســلوا الى أمير قرطبة يستعينون به بعد أن اختـل صمام الامن فى بلادهم ، ولم يتردد الامير محمد فى انفاذ حملة أسند قيادتها الى وزيره هاشم بن عبد العزيز يستهدف منها وضع حد للاضطراب والعيث الذى سببه الخارجون على الدولة واعادة الامن الى ربوع البلاد . وفى تلك الاثناء كان مكحـــول بن عمر زميـل الجليقى فى العصيان والثـــورة قد استولى على بلدة

= سقوط الحصن فى أيدى المسيحيين لنظام سانتياجو الحـــربى (ولمزيد من التفاصيل انظر :
Carlo Callego Serrano : Badajoz y su provincia, P. 124.

(٤٧) ابن حيان : المقتبس من أنباء أهل الاندلس ، ص ٣٤٧ ، ابن عذارى : البيان ، جـ ٢ ، ص ١٠٢ .

(٤٨) المصدر السابق ، ص ٣٤٧ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جلمانيـــة(٤٩) Jurumenha القريبة من قلعة الحنش وهى قلعة حصينة اعتبرها الجغرافى الاندلسى ابن سعيد حصنا(٥٠) ثم تحولت فى أواخر القرن السادس الهجرى الى رباط للجهاد وموقع ثغـــرى هام بين دار الاسلام ودار الحرب(٥١) ، وتأبش اليه فيهـــا من تأبش من المولدين المتجردين للعصيان والمرقين ومن تألبهم من أهل اقليم ماردة،وخرجت الحملة بقوة كثيفة من عسكر قرطبة يوم السبت الخامس من شعبان سنة ٢٦١هـ (١٥ مايو ٨٧٥م) ، فلما علم الجليقى فى قلعة الحنش ومكحول فى جلمانية بوصول جيش الامير محمد قرب قلعة الحنش ، وكانت قد احتشدت اليهما من جموع المولدين الثائرين أعداد هائلة . لم يترددا فى طلب العون من صاحبهم فى المعصية سعدون بن غار(٥٢) المعـــروف بالسرنبـــاقى ، وكان آنذاك مستأمنا الى اذفنش بن رذمير بن أردون المعروف فى المصادر الاسبانية بالفونسو الثالث العظيم (el magno)

---

(٤٩) جلمانية هى مدينة Jurumenha البرتغالية الحالية ، وهى الآن من أعمال يابرة Evora احدى المقاطعات الشرقيـــة فى البرتغال ، وتقع جلمانية على بعد نحو خمسة وعشرين كيلو مترا الى جنوب شرقى بطليوس على الضفة اليسرى لواديانه وقد تحولت جلمانية فى أواخر القرن السادس واول القـــرن السابع للهجرة (الثانى عشر والثالث عشر الميـلاديين) الى مركز من أهم مراكز المثاغرة والجهاد ضد النصارى فى الاندلس (ولمزيد من التفاصيل عن أهم شعراء جلمانية راجع ابن حيان: المقتبس ، تحقيق د . محمود على مكى ، ص ٦٣٤) .

(٥٠) سماها حصن جلمانية من أعمال مملكة بطليوس (ابن سعيد ، جـ ١ ، ص ٣٧٨) .

(٥١) أورد محيى الدين بن عربى فى « رسالة القـدس » ترجمـــة للصوفى الاشبيلى ابى العباس أحمد بن همام ذكر فيها أن هذا الصوفى استقر بحصن جلمانيـــة المذكور بقصـــد الجهاد ضـــد النصارى (انظر ابن عربى : نشر وتحقيق أسين بلاثيوس ، مدريد ـ غرناطة ، ١٩٣٩ ، ص ٥٢ وما يليها ، وراجع تعليق رقم ٥٨٠ للدكتور مكى فى المقتبس لابن حيان ، ص ٦٣٤) .

(٥٢) ابن حيان : المقتبس ، ص ٣٤٩ .

ملك اشتوريش وليون(١٣) (٢٥٢ - ٢٩٨هـ/٨٦٦ - ٩١٠م) مقيما بمدينة برتقال Porto الواقعة عند مصب وادى دويره على الحدود بين دار الاسلام ودار الحرب فى ظل رعاية الفونسو المذكور ، فلما استنجد أصدقاؤه الثوار بحصن الحنش وجلمانية استأذن الملك الفونسو الثالث فى التوجه اليهم لمساعدتهم ، وعندئذ لم يتردد الفونسو الثالث فى السماح له بمساعدة رفاقه فى الشقاق ، وتحمس لذلك حماسا كبيرا اذ وجد فى ذلك اضعافا لقوى المسلمين ، وتمزيقا لوحدتهم ، وتشتيتا لجهود الدولة الاموية ، وبعثرة لقواها(٥٤) . ولم يلبث سعدون أن توجه فى قوة كبيرة من أجناده الى ابن مكحول بجلمانية ، فازداد عدد الخارجين فى هذا الحصن واشتد أمرهم ، وكان هاشم بن عبد العزيز قد توغل فى الغرب حتى توسط أقاليم ماردة وانحرف عن مقصده الاساسى ، فقد نكب عن عبد الرحمن صاحب قلعة الحنش وعن مكحول بن عمر صاحب جلمانية بمعظم الجيش الذى خرج به ولم يترك منه الا قوة قليلة العدد لمواجهة الزعيمين ، والظاهر أن الامير محمد ، وقد بلغته أخبار حملة هاشم وانحرافها عن غايتها قرر أن يخرج بنفسه على رأس حملة أخرى أعدها هذه المرة اعدادا منظما وجهزها بكل ما يلزم من العدد والآلات لاستنزال القلاع الحصينة ، ورأى أن يبدأ بجلمانية التى

---

(٥٣) وعرف الفونسو الثالث أيضا بالامبراطور Imperator وورث خلفاؤه من بعده هذا اللقب واعترفت قشتالة وارغون بذلك اللقب ، وورد لقب امبراطور فى الوثائق الارغونية مع اسم ملك ليون انظر : Antonio Ramos Oliveira
Historia de España, la edad Media, Mexico ,1974, P. 45.
ولمزيد من التفاصيل عن حياة الفونسو الثالث ارجع الى :
A. Cotarelo, (Valledor) «Historia critica y documentada de la vida y acciones de Alfonso III el Magno, ultimo rey de Asturias, Madrid, 1933.
وقد لخصه الاستاذ اجوادو بلييى Aguade Bleye : Manual de Historia de España, t. I, Madrid, 1947, P. 482-483.

(٥٤) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق د . مكى ، ص ٣٥٠ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

احتشدت فيها حشود سعدون ومكحول . ولكنه آثر ان يطلع وزراءه ويشاورهم فى الامر ، فنصحوه بأن يبدأ بقلعة الحنش ، ويترك جلمانية لكثافة حشودها وحصانتها وقالوا له « الجمع بجلمانية كثيف ، ولسنا نأمل أن (نظفر بهؤلاء المارقين فيها على قلتنا) فيقتصوا منك »(٥٥) . ثم انهم أقنعوه بضرورة البدء بالاسهل وهو عبد الرحمن بن مروان الجليقى فى قلعة الحنش(٥٦) . فأخذ برأيهم ، وخرج على هذا النحو من قرطبة ، بعدته وعديده حتى وصل الى نواحى قلعة الحنش ، واستخدم أسلوبا حربيا مبتكرا فى محاربة المارقين عليه بهدف التعجيل باستنزالهم ، فقد جمع الجيف والميتة من معسكره وأمر بالقائها فى الآبار التى يشرب منها الثوار المحاصرون ، حتى أمر ماؤها وداد وفسد وأصبح لا يصلح للشرب ، وفى نفس الوقت رتب وضع الرماة على ضفة النهر ، يحمون قواته عند ورودهم للسقاية والانتفاع بمياهه ، ونجحت خطته على ما يشتهى ، وأقبلت جماعات من الثوار الى ضفة النهر ومشارعه لتعبئته فتعرضوا لسهام الرماة ، واضطروا الى التراجع الى حصنهم حتى أشرفوا على الهلاك من العطش ، ولما هم الثوار بالاستسلام ، فطنوا الى امكانية حفر عدد من الآبار خارج سور حصنهم ، والتوصيل بينها عن طريق شبكة مائية من السروب الارضية ، وهى طريقة شرقية أدخلها المسلمون الى الاندلس(٥٧) . وتمكنوا

---

(٥٥) المصدر السابق ، ص ٣٥٠ .

(٥٦) ابن عذارى : البيان : ج ٢ ، ص ١٠٢ .

(٥٧) هذه الطريقة التى توصل بها ابن مروان الجليقى لاستخراج المياه العذبة الجوفية عن طريق السروب الارضية ظلت على حد قول د . محمود على مكى عصب الحياة فى مجريط الاسلامة ثم المسيحية حتى اواخر القرن الماضى ، وبفضل هذا النظام المائى المحكم الذى أدخله المسلمون فى اسبانيا استطاعت مدريد أن تصبح عاصمة اسبانيا منذ سنة ١٥٦٢م (انظر د . محمود على مكى : مدريد العربية ، نشرة المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ص ٤٨ والصفحات التالية ، والتعليق رقم ٥٨٦ من تحقيقه لكتاب المقتبس لابن حيان ، ص ٦٣٦) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بفضـــل هذه السروب من استخراج ماء عذب معين على مقـــربة من حصنهم ، ولم يعد لهم حاجة الى ورود النهر ، كما ان قرب السروب من حصنهم أغنتهم عن ركوب المغامرة والتعرض لخطر رماة السهام بجيش الامير محمـــد ، وهكذا حلت مشكلة المياه بالحصن ، فرفع ذلك من معنويتهم ، وزادت طاقتهم للصمود ، فعادوا الى الامتناع والمقـــاومة وأقاموا للآبار المحتفرة جدرانا خارجية تطوقها وتحمى من يرتادها من سهام الرماة ، وكسوا هذه الجدران أخشابا ثقيلة مكسوة بجلود الابقار وكانوا يتسللون من حصنهم عبر هذه السروب الارضية الى الآبار لجلب المياه . وعندما بلغ الامير محمد ذلك اجتهد فى منع الثوار من الوصول اليها ، فنصب المجانيق وأصبح يرميهم بها ليلا ونهارا ، وهم يتحاشون التعرض لها لقرب الآبار من الحصن،وهكذا أخفق الامير فى منع ابن الجليقى من التزود بالمياه ، ولم يبق أمامه سوى مطاولة الثوار بالحصار طويل الأمد بغية اســتنفاذ الاقوات والمؤن داخل الحصـــن ، فلا يبقى أمام المحصورين سوى الاستسلام . واستمر الحصار المحكم قائمـــا حول الحصن،وأصل الامير خلاله قصف الحصن بحجارة المجانيق التى ركزها نحو تلك الناحية من الآبار،وأصيب اثناء ذلك عدد كبير من أهل الحصن، وهم فى كل ذلك صامدون مصطبرون على مكروهه ، جادون فى قتـــاله حتى استغرق الحصار ثلاثة اشهر وعشرة أيام ، وزع الامير أجنـــاده لاحكامه على ثلاثة جهـــات ، وانفـــرد هو بقوة من رجاله فى الجهـــة الرابعة(٥٨) . وعلى الرغم من هذا الحصار المحكم ، فقـــد كان بعض فرسان ابن الجليقى يتسللون خفية من القلعة اثناء الليل وتخترق عسكر الامير فتلحق ببسيط ماردة ، وربما أوغلت داخله ، وتعود الى أصحابهم بالغنائم . ولما طال الحصار واشتد الامر على أهل الحصن ، وضاقت بهم الحال كتب عبد الرحمن الجليقى الى الامير كتابا يسترحمه فيـــه على من معه من الاطفال والنساء ويسأله الامان ، وكاد الامير محمـــد

---

(٥٨) ابن حيان : المصدر السابق ، ص ٣٥٢ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يستجيب الى ملتمسه لولا أن تقدم اليه رجل من رؤساء البحريين(٥٩) يعرف بابن اللغام كان مشهودا له بشدة البأس وقوة المراس لم يتردد فى معارضة ما استقر عليه رأى الامير من تأمين أرواح الثـــوار ، ونصحه بمواصلة الحصار ، وضمن له افتتاح قلعة الحنش فى يوم واحد أو بعض يوم،وأقسم ألا يؤدى صلاة الظهر الا بداخل قلعة الحنش بعدافتتاحها،ولم يسع الامير أمام هذا الحماس المتدفق الا أن يعدل عن قراره ، فى تأمين الثوار على أرواحهم ، فرد رســول ابن الجليقى خائبـــا ، ولم تلبث المعارك أن أستؤنفت من جديد وألح عسكر الامير فى افتتــاح الحصن ، فاشــتد القتـــال وحمى وطيس المعركة ، وحملت قوات الامير بعنف وضراوة على المدافعين عن الحصن من اتباع ابن الجليقى مستغلين فرصة ضعفهم وطلبهم للامان فى الوقت الذى أيقن الثــوار بقــرب النهـــاية المحتومة ، ومع ذلك فقد واصلوا القتال وتفانوا فى الذود عن قلعتهم ، وتسلحوا بالصبر على المكاره الى أن نفذت مقاومتهم ، وسقطت حصون قلعتهم الواحد بعد الآخر ، ثم رأى المحصورون أن ينسحبوا من المواقع الدنيا من القلعة وأن ينقبضوا الى مواقعها المرتفعة حتى لا تصل اليهم سهام الرماة فى الوقت الذى يمكنهم التحكم فى الموقف . فزاد ذلك عسكر الامير اقداما وطمعا فيهم ، واســتمر القتال دائرا الى وقت الزوال ، وحدث أن هبت عاصفة عاتية اثناء القتال اثارت سحابا كثيفـا ، أظلم الجو فأعشى العيون الى حد أن أحدا من المقــاتلين لم يكن يستطيع أن يتبين من يقاتله ، فمال الجانبان الى وقف القتال . ثم عاد ابن مروان الجليقى فى الصباح الى طلب الامان(٦٠) بعد أن اشتد عليه الامر وتحرج موقفه ، ويئس من مواصلة الصمود ، وآثر ان يوسط فى المسالمة الولد

---

(٥٩) وهذا دليل قاطع على أن جيش الامير محمد كان مزودا ببعض رجال البحـــر ذوى الخبرة بالقتـــال ربما كان يستهدف من استخدامهم عبور نهر ريتش أحد روافد واديانه،وهذا النهر يقع عليه حصن الحنش .

(٦٠) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق د . مكى ، ص ٣٥٤ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عبد الله ولى العهد لدالة كانت له عليه،فاستجاش به،وطلب منه الشفاعة له عند أبيه الامير(٦١) ، ويبدو أن العلاقة بين الولد عبد الله وعبد الرحمن الجليقى كانت طيبة وربما كانت تربطهما صداقة ما نمت بينهما عندما كان ابن الجليقى رهينة بديوان الامير ، بدليل أن ابن الجليقى كان يعرف عن ولى عهد الامير الشىء الكثير كلين العريكة ، وشدة الحب للعافية(٦٢) ، فاستغل ذلك أحسن استغلال عندما طلب منه الوساطة عند الامير .

ولم يتردد الولد عبد الله فى تلبية طلبه ، وبادر على الفور بالاتصال بأبيه ، وشفع له فى أمانه بعد أن استعطفه عليه ، ومازال يلح على أبيه ليرفقه على ابن الجليقى حتى يحقق له ذلك ، فمنح ابن مروان من معه الامان على شريطة أن يجلوا عن قلعة الحنش،ولكن ابن الجليقى أخذ يشكو الى الامير « ثقل الظهر وضيق الحال » فسأل الامير أن يأذن له بالرحيل الى بطليوس والحلول بها ، وكانت فى ذلك الحين مجرد قرية(٦٣) مهجورة(٦٤) خالية ، ليستقر فيها ويبتنيها ويعمر ما حولها ، وأباح له الامير الرحيل بالامان والنزول بهذه القرية ، ويذكر ابن القوطية أن ابن الجليقى كان قد طلب من الامير أن يبيح له البشرنل وهى قرية تقابل بطليوس ويفصلها عنها واديانه ليمدنها ويستقل بولايتها وجبايتها(٦٥) . وتم الأمر على ذلك ، وأصدر الامير محمد منشورا بهذا المعنى . ولضمان انضواء ابن الجليقى تحت لواء الامير وخضوعه له ، طلب الامير محمد عددا من الرهائن ، فلم يتردد ابن الجليقى فى أن يقدم من قبله ثلاثين رجلا من قومه رهينة يصحبهم الامير معه الى قرطبة ، ومبالغة

---

(٦١) المصدر السابق ، ص ٣٥٥ .
(٦٢) نفسه ، ص ٣٥٥ .
(٦٣) ابن عذارى : البيان ، ج ٢ ، ص ١٠٢ ،
Lévi-Provençal Op. Cit. t. I, P. 297.
(٦٤) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق د . مكى ، ص ٣٥٥ .
(٦٥)ابن القوطية : تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٩٠ .

منه فى استرضاء الامير ترك له ولده محمد بن عبد الرحمن الجليقى بل وحفيده ابن ابنه وهو عبد الرحمن بن محمد(٦٦) ٠

وعلى هذا الاساس من الاتفاق قفل الامير بحشوده الى قرطبة(٦٧) بينما اتجه عبد الرحمن بن مروان الجليقى الى بطليوس ، فنزلها ، وعمرها ، واقام بها مسالما الامير بقية سنة ٢٦١هـ (٨٧٤هـ) ، وصدرا من سنة ٢٦٢هـ (٨٧٥م) كتم خلالها ما بنفسه من اعلان الخلاف والمعصية ، اذ لم يتخل قط عن طموحه وآماله فى الاستئثار بحكم بطليوس وما يجاورها ، ولكنه كان يصطنع فى ذلك الحذر الشديد ، فكان يدس عيونه وصنائعه ليتعرفوا على كل اخص اخبار الامير محمد ساعة بعد ساعة ويكتبون له بها فلا يكاد يغيب عنه شىء من أموره(٦٨) ، وبذلك يضمن لنفسه المبادرة بالتحرك عند الضرورة ٠ ويمكن اعتبار هذه الفترة مرحلة اعداد لثورة جديدة ٠

---

(٦٦) يذكر ابن حيان فى المقتبس ، تحقيق د ٠ مكى ، ص ٣٥٥ « واعطاه ابن الجليقى ولده محمدا الى حفيده وثلاثين من قومه رهينة ٠٠ » بينما يذكر فى القسم الخاص بدولة الامير عبد الله انه سلم حفيده عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن رهينة عنه الى الامير محمد اقام بدار الرهن فيها مدة (ابن حيان : المقتبس ، تحقيق انطونية ملشور ، ص ١٥) ٠

(٦٧) وفى مدح الامير محمد وتهنئته باستنزال قلعة الحنش يقول الشاعر محمد بن عبد العزيز العتبى من قصيدة طويلة :

فاستخبرن قلعة الحنش التى دمرت
هل عندها لعداة الله من خبر ؟
فتلك دورهم اخلى معاهدها
تعاور الريح والصمصامة الذكر
فاترك سؤال مغانيهم وسل بهم
سيف الامير الرضا ينبيك بالخبر
محمد قمر الملك الذى انقشعت
به دجى الغى من بدو ومن حضر

راجع ابن حيان : المقتبس ، تحقيق د ٠ مكى ، ص٣٥٩ ٠

(٦٨) ابن حيان : نفس المصدر ، ص ٣٥٦ ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فلما استكمل استعداده للقيام بالثورة ، وأعد لكل شيء عدته ، وعقد حلفا مع الفونسو الثالث (٦٩) العظيم ملك ليون تأمينا لظهره عندما يتحرج به الموقف ، لم يتردد فى اعلان الخلاف ونبذ الطاعة ، فى نفس عام ٢٦٢هـ (٨٧٥م) . ثم استأنف غاراته على الانحاء المجاورة وارهاق أهلها بسلب أموالهم ونهب متاعهم .

وهكذا تمكن عبد الرحمن بن مروان من اعادة تعمير مدينة بطليوس وتعميرها وكانت كما أوضحنا قرية خالية مهجورة ، وسرعان ما نمت واتسع نطاقها العمرانى لتتحول الى مدينة من أهم قواعد الغرب الاندلسى ، وحاضرة الثغر الجوفى ، وبالغ ابن مروان فى تحصينها اذ كان يزمع العصيان فيها عندما تتهيأ له الظروف ، ولهذا يعتبر عام ٢٦٢/٢٦١هـ (٨٧٥م) نقطة تحول خطيرة فى تاريخ بطليوس المدينة والحاضرة .

المرحلة الثالثة :

لم يلبث عبد الرحمن الجليقى أن عاد الى سيرته الاولى فى الشقاق والخلاف والمجاهرة بالعصيان فى نفس عام ٢٦٢هـ (٨٧٥م)(٧٠) ، وأخذ يغير على المناطق المحيطة ببطليوس وتمكن من الاستيلاء على بعض المدن باقليم اشبيلية مثل طبلاطة Tablada واكشونبة كما احتل جبلا يقال له منت شاقر Monte Sacro (٧١) ، وكان من الطبيعى أن ينزعج الامير لهذه الاخبار ، ويبادر بوضع حد لعيث ابن الجليقى ، وجاء رد فعله سريعا فأنفذ وزيره الاثير لديه هاشم بن عبد العزيز على

---

(٦٩) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، جـ ٤ ، ص ١٣١ ، محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام فى الاندلس ، ص ٣٠٥ ،
Martinez y Martinez, Op. Cit., PP. 56, 57.

(٧٠) ابن حيان : المقتبس من أنباء أهل الاندلس ، ص ٣٥٦ .

(٧١) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٨٢ ، عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس ، ص ٢٤٧ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

راس صائغه يغزى بها ابن مروان الجليقى ببطليوس ، وشاركه قيادتها المنذر بن الامير محمـــد ، وكان الامير محمـــد قد بالغ فى اعداد هذه الحملة ، وحشد لها أهل الكور ، واشاع أنه عبأ كل أجناده لغزو العدو (يقصـــد ملك جليقيـــة) مستهدفا ألا يفطن ابن الجليقى لحقيقـة مقصـــده(٧٢) ، ولكن ابن الجليقى كان قد بلغته حقيقة أهداف هذه الصـــائفة عن طريق أعوانه وجواسيسه الذين بثهـــم فى بلاط الامير بقرطبة ، وسبقوا جيش الامير الى عبد الرحمن بن مروان وأبلغـــوه بفصول العسكر نحوه ، وكان لزاما على عبد الرحمن ان يتخـذ أهبته لتلقى هذه الجيوش الكثيفة ، ويتفادى تجربته الاولى مع الامير فى قلعة الحنش ، وكانت بطليوس قد اتسع نطاقها العمرانى بالمبانى والمنشـآت التى اقامها ابن الجليقى واكتظ بها العمران البطليوسى ، فرأى الامير أن بطليوس قد اتسعت عليه ، ولم تعد تصلح لمواجهة مثل تلك الجيوش وكان قد اجتمع اليه عدد كبير من أهل ماردة وغيرهم(٧٣) من المتمردين والعصاة من المولدين ، فبادر بالخروج مع اتباعه الى حصن منتشلوط وكان حصنا منيعا لا يرام ليتخذ منه ملاذا يتحصن فيه ويحتمى داخل أسواره وأبراجه ، ويبدو أنه اجتاز فى طريقه اليه اقليم مسطاسة(٧٤) Mestanza من أعمـــال فحص البلوط ، فانضم اليه عدد كبير من أهل

---

(٧٢) ابن حيـــان : المقتبس من أنبـــاء أهل الاندلس ، ٣٦١ ، ابن الاثير : الكامل ، ج ٧ ، ص ٣٠٦ ،
Codera : Op. Cit., P. 33.

(٧٣) انتجع بطليوس عدد كبير من سكان ماردة ، لاسيما بعـد أن خربها عبد الرحمن الاوسط فيما بين ٢١٥ - ٢١٩هـ (٨٣٠ - ٨٣٤م) ، وأصبحت بطليـــوس على هذا النحـو مركز جذب لأهل ماردة ، ورجب عبد الرحمن الجليقى بهـم ليستفيد من مشاعرهم الثـورية على الحـــكم الاموى فيؤازروه فى حركته المقبلة .

(٧٤) اسم قبيلة بربرية من شعب البرانس سكنت هذا الموضع فنسب اليها (مجهول : نبذة تاريخية من كتـــاب مفـــاخر البربر ، ص ٦٤) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هذا الاقليم خشية ان تطاهم قوات هاشم بن عبد العـــزيز ، وفى ذلك يقـول ابن حيـــان « وجد أهل مسطاسة مستوحشين من هاشـم بن عبد العزيز خائفين من أن يطاهم بجيشه اذا اجتاز بهم ، فخرج جميعهم مع ابن الجليقى مجفلين قدام هاشم ، فنهضـــوا بنهوض ابن مروان يريدون الاقتراب من حصن منت شلوط كيما يدخلوا فيه لحصـانته اذا استلح هاشم فى اتباعهم »(٧٥) .

وفى تلك الاثناء كانت جيوش قرطبة قد وصلت الى حصن بطليوس وفوجئوا به خاليا مهجورا ، فانطلقوا فى اثر ابن مروان ورجاله ، ومروا بحصـــن مقـــالش (لعلها نقالش Nogales)(٧٦) التـابع لاقليـم امسين (لعلها حرفت من انسين Encinar) (٧٧) . وكان سـكان هذا الاقليم ومعظمهم من المولدين والعجم (أى نصارى الذمة) يميلون الى عبد الرحمن الجليقى ، ولكنهم اذ هالتهم كثافة جيوش هاشم وادركوا عدم قدرتهم على مواجهتهم بادروا ببذل الطاعة لهاشم واظهروا تمسكهم بطاعتهم للامير ، وتضرعوا الى هاشم ان يؤمنهم على ارواحهم ، ولكن الوزير اتهمهم بالنفاق وموالاة ابن مروان ، واشترط عليهم قبل كل شىء الاستسلام اليه والنزول على حكمه ، بل انه وعدهم بالامان وقال لهـم « اهبطـوا من ذاتكم وكذلك اؤمنكم »(٧٨) فلما استجابوا له وبادروا بالخروج من حصنهم مع اولادهم ونسائهم واصبحوا فى معسكر الامير ، امر هاشم بجمع الرجال منهم ثم انه غدر بهم فكان يسأل كل رجل منهم

---

(٧٥) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق د . مكى ، ص ٣٦١ .

(٧٦) يقع على مسافة تبعد نحو ٥٠ ك٠م الى الجنـوب الشرقى من بطليوس ويعتبر حصن منت شـــلوط الذى كان ابن الجليقى يسعى الى التحصن فيه من ضواحى نقالش
(Codera : Los Benimeruan en Merida, y Badajoz, P. 10).

(٧٧) موضع يقع على مقربة من بطليوس من اعمال بلدة يبرينـــة Llerena (ابن حيان : المقتبس ، تحقيق د . مكى تعليق رقم ٥٩٣) .

(٧٨) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق د . مكى ، ص ٣٦٢ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عن دينه فان أجابه بأنه أعجمى (مسيحى) أمر بضرب عنقه وسبى ذريته ، وان أجاب بأنه مسلم يمتحنه بأن يأمره بقراءة سور من القرآن الكريم يختارها هاشم له ، فان أخطأ الرجل قتله وان أصاب قتله بعد أن يتهمه بأنها حيلة ينقذ بها نفسه من الموت(٧٩) .

وعلى هذا النحو لم يفلت من سيفه واحد منهم بل أتى عليهم جميعا ، ثم باع سبيهم لجماعة من وجوه عسكر المسلمين أطلقوا سراح من تأكدوا أنه من ذرية المسلمين(٨٠) . ولما انتهى هاشم من مذبحة مقالش تابع مطاردته لابن مروان ، فأصبح لا يمر على حصن الا اتهم أهله بممالأة عبد الرحمن الجليقى والاتفاق معه ، فعند مروره بحصن سمب خرج اليه شيوخهم من المصامدة باذلين الطاعة ، فعنفهم على تقاعسهم فى محاربة ابن الجليقى ، فلما اعتذروا له بعجزهم عن قتاله ، وبأنهم أكثر الناس عداء لابن الجليقى ، لم يصدقهم قولهم فجمع من وجوهم ثلاثين رجلا قتل بعضهم وصلب بعضهم ، واستبقى البعض الآخر ، فصار كلما مر بمرحلة قتل جماعة منهم حتى أتى على آخرهم . ويعلل د . محمود على مكى هذه القسوة(٨١) ، بأن عسكر قرطبة وعلى راسه المنذر بن محمد والوزير هاشم بن عبد العزيز اصطنع كل مظاهر القسوة مع كل من لحقت به مظنة تأييد ابن الجليقى والايقاع بكل من اشتبه فى التعاون معه أو حتى السكوت عنه من جيرانه المولدين والنصارى والبربر ، ويعتقد أن هاشم واصل هذه السياسة فكان ينتسف المزارع فى المناطق المحيطة بابن الجليقى للتضييق عليه ، ولمنع أى خيرات عنه من الممكن أن يتقوت بها هو واتباعه ، وربما لارغامه على الخروج اليهم من مخبئه فيهاجموه أو يهاجمون معسكره

---

(٧٩) ابن حيان : المقتبس ، من أنباء أهل الاندلس ، ص ٣٦٢ .
(٨٠) المصدر السابق ، ص ٣٦٢ وما يليها .
(٨١) د.محمود على مكى فى تحقيقه لكتاب المقتبس لابن حيان ، حاشية رقم ٥ ص ٣٦٤ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهو بعيد عنه ، وقد تحقق ذلك عندما استدرجه عسكر قرطبة الى الخروج على رأس سرية الى المراعى المجاورة لجمع بعض الاقوات لقومه ، فانتهز هاشم هذه الفرصة وهاجم محلة ابن الجليقى بقوة من رجاله ، فتصدى لها المسطاسيون أصحاب ابن الجليقى فهلك عدد كبير وأصيب منهم رئيساهم لمقدمان عليهم ، واضطر مكحول صاحب جلمانية ورفيق ابن الجليقى الى النزول فيمن معه لنصرة السطاسيين ، فناشبه عسكر الامير القتال وهو فى قلة من رجاله ظنا منهم انه نفس ابن مروان الجليقى لشدة الشبه بينهما ، فقتلوه وعادوا الى معسكراتهم برأس مكحول وما أصابوه من غنائم(٨٢) . ووقع خبر مصرعه على ابن الجليقى وقوع الصاعقة ، وجن جنونه وعزم على الثأر ، فأنفذ رسولا ماهرا من أتباعه الى وليهم سعدون ابن غار السرنباقى ، يبلغه بما جرى من أحداث ويستدعيه لنصرته ، ثم غادر الحصن متجها الى حصن كركر(٨٣) ، أو كركى(٨٤) ، وما ان علم هاشم بن عبد العزيز بنزول عبد الرحمن الجليقى ، بحصن كركى حتى بادر بانفاذ فرقة من فرسانه الى حصن منت شلوط ليستولى عليه ، ويقطع بذلك الطريق أمام ابن الجليقى الذى كان يسعى جاهدا الى التحصن فيه لحصانته ، اذا ما يئس من الصمود فى حصن كركى . فانقطعت آمال ابن الجليقى فيه ،

---

(٨٢) ابن حيان : المقتبس ، من أنباء أهل الاندلس ، ص ٣٦٥ .

(٨٣) يقول ابن حيان « وانصرف بأصحابه الى كركر محلته . فسار بقية يومه ذلك ، وسرى ليلته فأصبح بمحلته بكركر صبيحة اليوم التالى من كبسها بعد أن قدم اليها خيلا تطلع عليها وتسبق اليه بخبرها ، فرجعت اليه بسلامتها بأن خيل السلطان لم تقم عليها بعد كبسها لها فاستبشر وامتد الى محلتها فدخلها .. » (انظر ابن حيان : المقتبس ، ص ٣٦٦ ، وابن عذارى : البيان ، جـ ٢ ، ص ١٠٢) ويذكر ابن الاثير فى الكامل ، جـ ٧ ، ص ٣٠٦ « وكان بمدينة بطليوس فلما سمع خبرهم فارقها ودخل حصن كركر » .

(٨٤) ابن عذارى : البيان ، جـ ٢ ص ١٠٢ ، ويعتقد الدكتور محمود مكى أن التسمية الصحيحة لهذا الحصن هى كركى ، وتقع على مسافة تبعد ٢٢ كيلو مترا شمال بطليوس Albuquerque راجع ابن حيان : تعليق رقم ٥٩٧ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

واسقط فى يده ، ولم يبق أمامه سوى استنهاض سعدون السرنباقى لنصرته ، وكان هاشم يطمع فى حصر عبد الرحمن الجليقى فى حصن كركى(٨٥) ، والقضاء عليه وعلى أصحابه قضاء مبرما . ولما تحققت له السيطرة على حصن منت شلوط قفل بقواته الى حصن كركر(٨٦) ، وطوقه بقواته وأحكم عليه الحصار - ثم نصب على الحصن مجانيقه وسلطها عليه لتمطره بالاحجار الضخام ليلا ونهارا ، فهلك بسببها عدد كبير من أصحاب ابن مروان ، تساقطوا صرعى من حوله ، واضطر ابن الجليقى الى الامتناع بجذع شجرة بلوط هرمة كانت تحميه من قذائف المجانيق وتقيه اذاها لضخامة الجذع وقوة احتماله .

وطا لالحصار ونفذت الاقوات ، ولم يعد لديهم ما يأكلونه سوى دوابهم ولحوم قتلاهم . ومع ذلك فقد واصلوا صمودهم وتفانوا فى القتال ، وتمكنوا فى احدى الاشتباكات من قتل عدد من رؤسائهم ، من ابرزهم فرحون العريف أحد العرفاء العشرة المقدمين عند الامير محمد(٨٧) .

وفى تلك الاثناء تحرك سعدون السرنباقى فى حشود كثيفة من قومه واتباعه لمعاونة ابن الجليقى ، وذكر ابن عذارى أنه دخل الى بلاد الشرك مستمدا ، فجاء بمدد من المشركين (يقصد من الجلالقة)(٨٨) . وفى أثناء اجتيازه بمدينة قلمرية ، وكانت وقتئذ متمسكة بطاعة الامير محمد،وكان يسكنها قوم من بنى ادانس المصامدة يتزعمهم ادانس بن عوسجه ، فاشتبك سعدون معهم ، وتغلب عليهم بعد أن قتل منهم بعض رجالهم،فأرسلوا رسلا من قبلهم الى هاشم يحذرونه من

---

(٨٥) ابن عذارى : البيان ، جـ ٢ ، ص ١٠٢ .
(٨٦) ابن الاثير : الكامل ، جـ ٧ ، ص ٣٠٦ .
(٨٧) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق د . مكى ، ص ٣٦٨ .
(٨٨) ابن عذارى : البيان ، جـ ٢ ، ص ١٠٢ ، محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام فى الاندلس ، ص ٣٠٦ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سعدون ، وبعثوا معهم بثياب قتلاهم تحريضا له على الثار لهم . وفى نفس الوقت اشاع سعدون وهو فى طريقه لنجدة ابن الجليقى انه قدم فى قلة من الجند ، فكتب عامل حصن منت شلوط بذلك الى هاشم ، واخذ يحرضه على انتهاز تلك الفرصة(٨٩) ، وهكذا رأى هاشم فى ذلك فرصة مواتية للقضاء على سعدون ، فأسرع بالسير من معسكره فى فرقة قليلة من الفرسان على غير تعبئة ولا اهبة الى أن وصل الى وادى يقال له « احشد » ، فعسكر على أحد جانبيه بينما عسكرت قوات سعدون على الجانب الآخر ، عندئذ عمد سعدون الى اصطناع الحيلة والخداع فتظاهر بالانسحاب الى بلده ، فطمع فيه هاشم ، ولم يشك فى انه قد هاب لقاءه ، فصمم على مطاردته وقتاله ، وعندئذ عبأ قواته للقتال واندفع وراء قوات سعدون حتى تراءت له ، ولم يتردد هاشم فى اجتياز الوادى من مخاضة سهلة العبور ، واشتبك فى ١٢ شوال سنة ٢٦٢هـ (٩ يوليو ٨٧٦م) فى قتال عنيف انتهى بتراجع أنصار سعدون سريعا ، فلما علم سعدون بذلك بادر بارسال مجموعة من الفرسان لترد عنهم جيوش هاشم ، ولكن هاشم استطاع أن يوقع بهم الهزيمة للمرة الثانية فتراجعوا ، وهنا وقف سعدون بين انصاره يصرخ فيهم(٩٠) ويذكرهم وعودهم له بالثبات للموت والاستبسال فى القتال ، فثبتت قلوبهم وقاوموا رجال هاشم بن عبد العزيز ، وبدأوا الهجوم بدورهم ، واشتد وقعهم على انصار هاشم وقد أبلى رجال سعدون بلاء حسنا فى الدفاع عنه ، فقتل من رجاله خيرتهم،وقد أورد ابن حيان اسماء بعضهم ، منهم حجاج بن عمير الاشبيلى ، وعبد الرحمن بن محمد بن حزم ، ومحمد بن مسلمة الباجى ، وأحمد بن رفاعة . وحاول هاشم أثناء القتال أن يترصد لسعدون بنفسه ، فذهب الى المخاضة التى كان قد عبر منها الى سعدون فاستعصى عليه اجتيازها لكثرة المقاتلين من الجانبين ،

---

(٨٩) ابن عذارى : البيان ، جـ ٢ ص ١٠٣ .
(٩٠) ابن حيان : المقتبس من أنباء أهل الاندلس ، ص ٣٧٠ - ٣٧١.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فترجل عن فرسه،وجلس على ترسه ريثما ينجلى الموقف،فأقبل اليه من اصحاب سعدون رجلان من أشجع فرسانه هما محمود وعبد الجبار ابنا قنباله(٩١) ، وهما بقتل هاشم لولا أن تعرف على هاشم أحمد بن خليفة الماردى أحد فرسان سعدون البارزين ، فنهاهما عن قتله وعرفهما به وبمكانته ، فترجلا عن فرسيهما وحملاه أسيرا ، وأرسلا بخبره الى سعدون ، فاقتاده سعدون الى حصن منت شلوط ، وكان خاليا من رجال هاشم فاحتله برجاله . وذكر ابن عذارى أن هاشم لما اخذت عليه المضايق وناشبوه القتال اخذته جراح وقتل من أصحابه جماعة،ثم وقع فى أسر سعدون(٩٢)،ويردد ابن الخطيب(٩٣) نفس رواية ابن عذارى من اصابته بجراح اثناء القتال ، أما بقية المصادر العربية فتمر سريعا على هذه الموقعة التى أسر فيها هاشم ، فابن خلدون يذكر ان ابن مروان هزم هاشما وأسره(٩٤) ، والمقرى فى نفح الطيب لا يأتى بأى اشارة عن أسر هاشم بن عبد العزيز ، بل لا يذكر شيئا عن ابن مروان الجليقى(٩٥) . ويلخص ابن القوطية الخبر تلخيصا مبتسرا على النحو الآتى : « وخرج الامير المنذر وهو ولى عهد ، وهاشم قايد الجيش لمحاربتهما ، فلما قرب الجيش منهما تقحم عليهما هاشم فى الوعر فهزماه فيه واسرا هاشم(٩٦) ... » .

ويتضح لنا من خلال روايتى ابن عذارى وابن الخطيب ان هاشم بن عبد العزيز اجتاز النهر مع عسكره وفرسانه عبر مخاضة سهلة

---

(٩١) المصدر السابق ، ص ٣٧٢ .
وواضح من الاسم انه من أصل اسبانى Campillo وان صاحبى الاسم مولدان .
(٩٢) ابن عذارى : البيان ، جـ ٢ ، ص ١٠٣ .
(٩٣) ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ٢١ .
(٩٤) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، المجلد الرابع ، ص ٢٨٩ .
(٩٥) المقرى : نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٣٢٩ .
(٩٦) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٨٩ ،
Codera, Op. Cit., P. 36.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العبور ، وأسرع بقواته وراء سعدون وأصحابه فناشبوه القتال ، فقتل من عسكره جماعة وأصيب اصابات ربما أقعدته عن الفرار ، فسهل وقوعه أسيرا . ونعتقد أن هذه الرواية أقرب الى المنطق من رواية ابن حيان ، وتشير الى أن هاشم انحاز عن حاميته ربما بقصد الفرار بنفسه ، ولم يكن أمامه سوى المخاضة التى كان قد عبر منها الى سعدون ، وقد ألقاها مغتصة بالخيل ، والفرسان يتقاتلون مع أتباع سعدون ، فترجل وجلس على ترسه ينتظر نتيجة المعركة « والقتل يعمل فى أصحابه الى أن انتهى اليه » . ولا مجال هنا لتصديق ما تشير اليه الرواية ، فليس من المنطقى أن يعتزل المعركة قائد جيش ووزير عظيم وفارس شجاع مثل هاشم ، ويجلس متفرجا على أتباعه وهم يذبحون ويقتلون ، منتظرا دوره دون أن يحرك ساكنا ، ولهذا فاننا نميل الى ترجيح رواية ابن عذارى وابن الخطيب لاسيما وأن سعدون السرنباقى كان معروفا بجراته وشجاعته ، وكان قد قدم فى عدد كثير من الخيالة والمشاة والرماة(٩٧) .

بادر سعدون بالقفول الى حصن كركر وقد حمل معه أسيره هاشم ، واحتل فى طريقه الى كركر حصن منت شلوط(٩٨) ، وبلغ المنذر خبر وقوعه فى الاسر فأسقط فى يده ولكنه تماسك ، وضبط عسكره وجعل على قيادته البراء بن مالك القرشى(٩٩) ، ثم شدد الهجوم ثلاثة

---

(٩٧) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق د . مكى ، ص ٣٦٨ ، يقول ابن حيان « وكان معه فرسان أصحابه لا يدرون الموت شدة ونجدة وكان هو من أهل البصر بالحرب والحزم فيها والعزم عليها بحيث لا يساويه فى ذلك أحد من أهل زمانه » (ارجع الى ابن حيان : المقتبس ، تحقيق د . مكى ، ص ٣٧١ ، محمد عنان: دولة الاسلام فى الاندلس ، ص ٣٠٥) . ويرى الدكتور مكى أن جلوس هاشم على ترسه يعنى أنه لم يجد مفرا له من الاستسلام والاستئسار لأن الجلوس على الترس يجنبه القتل وهو علامة على طلب الأسر حفاظا على الحياة .

(٩٨) ابن حيان : المقتبس : من أنباء أهل الاندلس ، ص ٣٧٣ .

(٩٩) وجد أبيه عبد الملك بن عمر ، وكان قد دخل الاندلس فى عهد عبد الرحمن الداخل وكان موضع ثقة الامير، فولاه اشبيلية =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أيام الى أن وصلت اليه رقعة من هاشم يشير عليه فيها برفع الحصار عن الجليقى والانسحاب الى قرطبة ، وأن يفاوض الثوار فى فدائه . لم يتردد المنذر فى الموافقة بشرط أن يحافظ الثوار على حياة هاشم بن عبد العزيز والا فانهما لن يفلتا من يدى الامير لو أن مكروها أصابه ، وفى مقابل ذلك وعدهما بأن يتشفع عند والده الامير محمد لكى يمنحهما الامان . وانصرف المنذر بذلك الى قرطبة بجيوشه(١٠٠) .

وكان سعدون قد سلم أسيره هاشم بن عبد العزيز الى صاحبه عبد الرحمن بن الجليقى ، فاختلى به وبدأ معه حوارا عنفه فيه اذ أخذ يذكره باهانته له ولزملائه فى دار الرهائن بقرطبة(١٠١) ، ولم يلبث ابن الجليقى أن أثاره الحديث فهاج وماج واحتد على هاشم ، وهم بالوثوب عليه ، ولكن هاشم خفف من ثورته بعبارات هدأت من ثائرته وخففت غضبه ، وحملته على الاستحياء .

فقد كناه ثم طلب الا تشتت به ، فقد نال كفايته بسبب ذنبه ، وقد قضى الله قضاءه ، اذ وقع فى أسر من تعدى عليهم وظلمهم ، وكان رد ابن الجليقى كما أورده ابن حيان على النحو التالى « صدقت والله يا أبا خالد ، وكرم مقامك ، ولكنا اختنقنا لاعمائك فى مطالبتنا،وارهاقك لنا الى هذا الطرف النائى ، الذى ليس ينقصكم ولا يوهن ملككم ، واسرافك فى اتباعنا اليه حتى القاك الله فيما أنت فيه »(١٠٢) . ويذكر

= (عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس ، ص ١٩٤ ، وما يليها) .

(١٠٠) محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام فى الاندلس ، ص ٣٠٦ .

(١٠١) ابن حيان : المقتبس ، من أنباء أهل الاندلس ، ص ٣٧٥ . يذكر ابن حيان أنه قال له « أما علمت أنه لا ينبغى للمقتدر أن يغتر بقدرته فان قدرة الله فوقه ؟ أتذكر قولك لى ولأصحابى هؤلاء بقرطبة ، وقد أريناك الخبز الذى كان يقطع لنا ومحاكاته الزفت فى لونه وسألناك عن غيره ؟ فالحمد لله الذى حكم بالعدل وطامن من نخوتك » .

(١٠٢) ابن حيان : المقتبس من أنباء أهل الاندلس ، ص ٣٧٥ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ابن عذارى أن ابن مروان الجليقى بره وأكرمه وأحسن اليه ولم يعاقبه بفعلته(١٠٣) .

والى هنا تنتهى المواجهة بين قائد جيش الامير محمد وقد استذله الاسر ، وبين ثائر من ثوار الغرب كان رهينة لدى الامير بقرطبة ، لم يثمله النصر فيفقد وعيه ، ويأخذ بثأره ممن أهانه وقد أصبح تحت رحمته ، وعندئذ لم يعد لدى ابن الجليقى سوى الرحيل بأسيره فى عمق الغرب الاندلسى ليبحث مع صاحبه عن خطتهما المقبلة ، فمضوا الى الاشبونة وأغاروا عليها وعاثوا فى ديارها ، وغنموا من الغنائم ما أنساهما مرارة الحرب ، وكان ابن الجليقى قد تسلم هاشم من صاحبه سعدون أملا فى أن يرده الى الامير محمد ، وعندئذ يفرج الامير عن رهائن قومه ويردهم الى بلدهم ، وكان قد اتفق على ذلك مع هاشم الذى ذلل له الامر وهونه عليه وضمنه له . أما سعدون السرنباقى فقد أدرك خطأه فى تخليه عن هاشم للجليقى ، وخشى أن يغضب اذفنش Alfonso III عليه ، عندما يعلم بتفريطه فيه ، وبالغ أصحاب سعدون فى تجسيم هذا الخطأ الذى وقع فيه وعظموا له الورطة التى زج نفسه فيها ، عندما ينصرف الى بلده ، فكيف يواجه الملك الذى يأويه فى بلده ، وهو الذى أذن له فى خروجه ؟ وكيف يبرر موقفه من المسيحية اذ تهاون فى تسليم وزير المسلمين دون أن يأخذ رأى مليكه فيه ، وبينوا له حسد جماعات المسيحيين بالملك له على ثقته فيه ، وهو بذلك قد أفسح لهم المجال ليغيروا قلبه عليه . وما زالوا يهولون له جحوده نحو ذلك الملك الذى فتح باب ملكه لهم ، وفاض عليهم بفضله ، ووثق بهم بين رعيته ، فتأثر سعدون بمقالتهم وعظم عليه الامر ، وتبين له خطأه ، فحدث عبد الرحمن بن مروان فيما كلموه فيه وأبلغه بأنه لن يرجع الى بلده ومواطنيه الا وهاشم معه ليقدمه الى الملك أسيرا ذليلا فيظهر على خصومه بأسره . فأقره ابن مروان على ذلك وأنكر على نفسه أن يكون

---

(١٠٣) ابن عذارى : البيان ، ج ٢ ، ص ١٠٣ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سببا فى غم يدخل عليه أو فى كرب يصيبه بسببه ، وأظهر له استعداده للتضامن معه وافتدائه له اذا اقتضت الحال بأولاده وماله ، ثم السبب الذى دعاه الى الحرص على الاحتفاظ بالوزير الاسير ، وهو أن يستأمن له ولقومه به ليردهم الى بلدهم الذى أخرجوا عنه ، فيعودوا اليه معززين ، ويشترطوا عليه ما شاءوا من شروط ، ولكنه بعد أن استمع الى مقالة سعدون بشأنه لا يملك الا أن يرده الى صاحب الفضل فى أسره ، ثم أنه دفعه الى سعدون ، فعاد به الى بلده ، وكتب الى اذفونش يبشره بما أصابه من نصر ويبلغه بشأن أسيره ، وما أن بلغ اذفنش ذلك حتى أذهله الخبر ، فعظم سروره به ، وشمخت أنفه بوقوع هاشم فى أسره ، وأخذ ينتظر وقد أمضه الشوق والصبر وصول سعدون اليه والنهوض به نحوه ، فلما مثل هاشم أمام الملك ، ووقف على حسن شمائله ولطف معشره واتساع أفق معارفه ، قربه اليه ، وأدناه منه ، واتخذه نديما ، فأصبح نادرا ما جلس لأهل مملكته أو تفرغ لطعامه الا وكان هاشم برفقته يأخذ الملك بمشورته ويعمل برأيه(١٠٤) .

المرحلة الرابعة :

مع بداية عام ٢٦٣هـ (٨٧٦م) تبدأ مرحلة جديدة فى تاريخ الثائر ابن مروان الجليقى ، اعتمد فيها على المغامرة وحياة السلب والنهب ، وتبدأ هذه المرحلة منذ أن ظفر هو وصاحبه بهاشم بن عبد العزيز ، فلم يتردد ابن الجليقى فى الاغارة على اشبونة والعيث فى نواحيها ، ثم ضاقت عليه الحياة فى هذه المدينة ، فنقل مجال نشاطه التخريبى نحو وادى تاجه ، فنزل هو وأصحابه بجبل أماية Amaya المعروف فى زمنه

---

(١٠٤) ابن حيان : المقتبس ، من أنباء أهل الاندلس ، ص ٣٧٩ .

بأماية ابن مروان(١٠٥) ، وهو على حد قول ابن حيان « جبل شامخ حصين بشرقى مدينة أماية الخراب على وادى سبير »(١٠٦) (يعرف حاليا بوادى Sever وهو رافد من روافد وادى تاجه) . ولم يلبث بربر البرانس والبتر الضاربين فى هذه المنطقة أن أقبلوا عليه يوادعونه ويهادونه ويخطبون سلمه اتقاء لشره ودرءا لغاراته ، وعقدوا معه عهدا وميثاقا تعاهدوا عليه ، وأقام عبد الرحمن بن مروان الجليقى فى جبل أماية أياما ثم خرج على رأس قوة كبيرة من فرسانه الى باجة وأطراف اكشونبة بعد أن ترك على حصنه بالجبل على بن لب(١٠٧) ، أحد أعوانه ، فى عدة قليلة من العسكر والفرسان مطمئنا الى جانب البربر لارتباطهم بعهد معه ، وانطلق ابن مروان بعيدا واستغرقت غزوته ما يقرب من أربعين يوما تعرض أثناءها لعواصف عاتية وسيول عاقته عن العودة سريعا الى حصنه ، وانتهز بربر البرانس فرصة غيابه الطويل وقلة من بقى فى حصن الجبل فأقدموا على نقض العهد بينهم وبين ابن مروان ، وأقبلوا فى حشودهم الى حصن أماية وقد أيقنوا بالظفر على أصحاب ابن الجليقى . ولكنهم اصطدموا بمقاومة عنيفة ، وتمكن على بن لب رغم قلة من كان لديه من العسكر أن يردهم على أعقابهم ، فولوا الادبار وقوات ابن لب تذرع فيهم حتى بلغت الغاية من نكالهم .

---

(١٠٥) مازال الحصن القائم على هذا الجبل باقيا حتى اليوم ومازالت البلدة تحمل اسم مروان وتسمى حاليا مرفاو Marvao وتقع فى شرق البرتغال بازاء مدينة شنترين ، وعلى مقربة من نهر سبير Sever (راجع تعليق رقم ٦٠٦ ، ٦٠٧ على نص المقتبس لابن حيان ، تحقيق د . محمود مكى ، ص ٦٥٠ - ٦٥١) .

(١٠٦) ابن حيان : المقتبس ، من أنباء أهل الاندلس ، ص ٣٨٠ .

(١٠٧) من الغريب أن يطلق اسم لب على دير يقع على بعد ١٠٠ ك.م شرقى قاصرش يعرف بوادى لب guadalupe كما يطلق على سلسلة جبال تعرف بجبال وادى لب وواضح أن الموضع سمى باسم على بن لب صاحب ابن مروان الجليقى (ابن حيان المقتبس ، تحقيق د . مكى ، تعليق ٦٠٩) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويبدو أن حياة المغامرة التى كان يحياها ابن الجليقى واعتماده على السلب والنهب لم تستثير أصحابه ، فقد كرهوا حياة الحروب ، وسئموا الفتنة وخافوا عواقبها ، وتاقت نفوسهم الى الاستقرار فى بلدهم آمنين . والظاهر أنهم حدثوا ابن الجليقى بهذه الخواطر فعارضهم معارضة شديدة ولكنهم اختلفوا عليه ، وخاطب نفر منهم عامل ماردة من قبل أمير قرطبة وسألوه أن يؤمنهم على أرواحهم وأموالهم ولهم عليه الطاعة ، فأمنهم نكاية فى ابن مروان ، فقفلوا عائدين الى ماردة ، تاركين عبد الرحمن بن مروان مع قليل من أنصاره وحيدا خائفا ، قد ضاقت به الارض على اتساعها ونفر أهالى الغرب من وجوده بين ظهرانيهم ، واستوحش الجليقى ولم يجد من ينصره سوى اذفنش ملك جليقية ، فجد فى الاتصال به وهو فى حاضرته ليون(١٠٨) يطلب منه أن يتقبله فى بلاده ، ورحب الفونسو الثالث بهذا الطلب ترحيبا بالغا ، وأبدى قبولا حسنا لتلقى ابن مروان الجليقى ، فقد دعاه الى ليون ووعده باقطاعه واكرامه والتوسعة عليه ، وطلب منه أن يتعجل فى المجىء ، ثم انه خصص لاستقباله فى بلاده قوة من فرسانه بقيادة قواميسه وعظماء دولته ، واستقر عزم ابن مروان على قصده ، وفى ذلك يقول ابن حيان « وخرج عسكر اذفنش الذى أبعده الى بلد الاسلام لتلقيه فأجاز وادى تاجة فى قنطرة السيف(١٠٩) ، وشن الغارات فى تلك

---

(١٠٨) كانت أبيط Oviedo حاضرة الفونسو حتى نهاية سنة (٢٦٤هـ) ٨٧٧م ولكنه انتقل منها حسب ما أورده ابن حيان الى ليون فى الفترة من (٢٦٣ - ٢٦٤هـ) ٢٤ سبتمبر ٨٧٦م الى ١٠ فبراير سنة ٨٧٧م (راجع : المقتبس ، تحقيق د٠مكى، ص ٦٥٣) .

(١٠٩) قنطرة السيف : بلدة من بلاد غرب الاندلس ، تقع على وادى تاجة على مسافة تبعد نحو ٥٠ ك . م الى الشمال الغربى من قاصرش وتعرف اليوم باسم القنطرة alcantara ، وقد أوردنا فى دراستنا التمهيدية تفاصيل هامة عن تعليل تسميتها بقنطرة السيف ووصف واف لهذه القنطرة .

الناحية حتى انتهى الى كورة ايريكش(١١٠) ، ثم اتوا بن مروان بحصن أماية فدخلوه معهم فى جميع أصحابه بنسائهم وأبنائهم ورجالهم حتى أوردوهم وادى دويره ، فلما أجازوه نزل ابن مروان فى جميع من معه على مسيرة يوم امامه الى بلد العدو(١١١) .. » ، وقد رجع كوديره فى دراسته عن بنى مروان الجليقى الى رواية ابن عذارى فى أحداث عام ٢٦٣ (٨٧٦م)وفيها يذكر ابن عذارى أن المنذر ابن الامير محمد قد خرج فى هذا العام الى ماردة ، فلما وصل هناك علم أن ابن مروان الجليقى قد رحل عن بطليوس ، فاحتلها القائد الوليد بن غانم ، وهرب ابن مروان الى ليون(١١٢) .

وما كاد ابن الجليقى يصل الى ليون حتى قدم فى خاصته للقاء الملك اذفنش (الفونسو الثالث) ، فاستقبله الملك أحسن استقبال(١١٣) ، واكرم وفادته وادناه اليه ، ثم انه أنزل بحصن

---

(١١٠) حصن ايريكش : لعل صحته ابرنطيش وحرفت الى ايريكش خطئا فى النسخة الخطية ، وفى هذه الحالة يقابل هذا الحصن اسم موضع من أعمال شنترين بالبرتغال يعرف باسم Abrantes ويقع على وادى تاجه على بعد نحو ١٥٠ ك٠م شرقى هذه المدينة مما يتفق مع خط سير ابن الجليقى الى مملكة اشتوريش كما توضحه رواية ابن حيان (راجع ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د ٠ مكى ، ص ٣٨٢ ، وتعليق رقم ٦١٣ ص ٦٥٤) ٠

(١١١) ابن حيان ، المقتبس من انباء أهل الاندلس ، ص ٣٨٣ ٠

(١١٢) Codera : Los Beni Meruan, Op. Cit., P. 38.

(١١٣) يقول ابن حيان « فلما وصل اليه أدناه ورحب به وبسط أمله وقال له : دونك بلدى انزل فيه بحيث شئت ، وتوسع منه وقومك حيثما أحببت ، فلا منازع لك فيه ولك عندى بعد ما أردت ، واختار له حصن بطرلسه على وادى دويره بالعدوة القصوى من ليون حضرته ، فنزل ابن مروان فيه بمن معه وانبسط فى عمارة ما حوله ... » (ابن حيان ، المقتبس من أنباء أهل الاندلس ، ص ٣٨٣ وقارن الرواية مختصرة ومشوهة فى ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ١٠٣ فى قوله « وفى سنة ٢٦٣هـ خرج المنذر بن الامير محمد وجعل طريقه على ماردة ، =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بطرلسه(١١٤) على وادى دويره بالقرب من مدينة ليون ، فنزل فيه ابن مروان الجليقى بكل من قدم معه من أتباعه ، « وانبسط فى عمارة ما حوله »(١١٥) . ومن الغريب أن ابن مروان ترك بصماته واضحة على اسم موضع بهذه المنطقة يعرف اليوم Vez de Marban فسره دكتور محمود مكى بأنه « فحص مروان »(١١٦) ، ولم يلبث ابن مروان أن استرد نشاطه فى مهاجمة قرى المسلمين وأراضيهم المتاخمة لمملكة اشتوريش مظهرا ولاءه واخلاصه للملك الفونسو الذى آواه فى بلاده وغمره بكرمه ، وأظله بسابغ نعمته(١١٧) .

= فلما انتهى ذلك الى ابن مروان زال عن بطليوس واحتل بها قائد المنذر الوليد بن غانم ، فخرب ديارها وتقدم ابن مروان الى بلاد العدو ..) . ويعلق د . محمود على مكى فى تحقيقه للمقتبس من أنباء أهل الاندلس لابن حيان (هامش رقم ٦ ، ص ٣٨٣) على استقبال اذفنش لابن مروان وسعدون فى بلاده بقوله « انما كان حرصه على الايقاع بين المسلمين حتى تنبسط أيدى الثوار من أمثال ابن مروان وسعدون السرنباقى واشباههما فى بلاد المسلمين ، وتتزايد غاراتهم على ثغور الدولة ويقتطعوا بذلك له من المعاقل والقرى ما يستطيعون ، فيسكن النصارى ما يستولى عليه هؤلاء الثوار من أطراف الثغور ويعمر بهم نواحيها وقراها التى يخليها المسلمون » .

(١١٤) حصن بطرلسه : لعله محرف من بطريشة الذى يعرف اليوم باسم لابدراخة La Pedraja ، وهى بلدة على بعد ٢٠ك٠م الى جنوب بلد الوليد كما تبعد عن مجرى وادى دويره بنحو عشرة كيلو مترات (راجع التفاصيل فى البحث القيم الذى أعده د . محمود مكى حول هذا الاسم فى تحقيقه للمقتبس لابن حيان ، تعليق رقم ٦١٥ ، ص ٦٥٥) .

(١١٥) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د . مكى ، ص ٣٨٣ .

(١١٦) ارجع الى تحقيق د . محمود على مكى لمقتبس ابن حيان ، ص ٦٥٦ .

(١١٧) أجاد دوزى فى عرض الاخبار المتعلقة بأعمال ابن مروان ، ولكنه خصص له دورا لم يكن يحلم به فى اعتقادنا ، يقول دوزى « ولما تمكن ابن مروان من حشد عصابة من بين مسالمة ماردة وغيرها ، دعاهم الى دين جديد هو وسط بين المسيحية والاسلام ، وتعاهد مع الفونسو الثالث ملك ليون والحليف الطبيعى لجميع من يثور ضد حكومة قرطبة» . ويبدو أن عبارة =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومن أمثلة خرجاته ضد المسلمين ما حدث فى نهـــاية عام ٢٦٣هـ (٨٧٨م) عندما أوقع بنحو سبعمائة فارس من المسلمين فى الموضـع المعروف بالبربرية(١١٨) ، فأبادهم عن آخرهم(١١٩) ، وكان ذلك فى

= دوزى عن دعوة ابن مروان لدين جديد وسـط بين الاســلام والمسيحية اقتبسها من ابن حيان وترجمها حرفيا ، يقول ابن حيان (فى المقتبس ، تحقيق انطونيـــة ، ص ١٥) « فارق الجماعة وجاور أهل الشرك ووالاهم على أهل القبلة ، ثم بدا له غير ذاك آخرا ففارق مجاورة الكفرة ولاذ بالطاعة » ، وقوله فى المقتبس تحقيق د ٠ مكى (ص ٣٤٤) » وضافرا الشرك وأحدثا فى الاسلام احداثا عظيمة ، وبثا الغارات على المسلمين ، وصارا فى القفر بين الاسلام والشرك » ، وينقل ابن عذارى نفس هذه الكلمات ، فى حين تبدو العبارة فى تاريخ افتتاح الاندلس لابن القوطية اقل وضوحا ٠ ويعتقد كوديرة
(Codera : los Beni Meruan, Op. Cit., P. 27).
انه لا يوجد أساس كاف للتأكيد أو حتى للقول بأن مروان دعا الى دين جديد ، وفى كتاب المقتبس لابن حيان تحقيق د٠مكى يتمثل رأى د ٠ محمود على مكى فى رفضه التـام لرأى دوزى واتفاقه مع كوديرة ، فنص ابن القوطيـة وابن حيان يقصـــد بالاسلام والشرك هنا بلاد المسلمين وبلاد النصـــارى وليس المسيحية والاسلام (انظر تحقيقات د ٠ مكى ، ابن حيـان ، المقتبس ، من انباء أهل الاندلس ، تحقيق رقم ٥٦٩ ، ص ٦٢٣ ـ ٦٢٤) ٠ ويبدو أن صفة التنصر والارتداد عن الدين الاسلامى قد لحقت ببعض الثوار المولدين الخارجين عن السلطة المركزية وكان شـيئا مألوفا فى تلك الفـــترة خاصة عقب ردة عمر بن حفصون وتنصره وكان قد ثار هو الآخر فى نفس الفـترة التى ثار فيها ابن مروان الجليقى (انظر محمد عيسى الحريرى،ثورة عمر بن حفصون ، ص ٣٦) وقد ربط الدكتور محمـد عيسى الحريرى بين أحداث حركة التطرف الدينى أو حركة الاستشهاد التى كانت قد ظهرت فى عصر عبد الرحمن الاوسط ، واستمرت فى عهد ابنه الامير محمد وبين تنصر عمر بن حفصون ، ونحن نرى أن الرأى الذى جاء به دوزى غير صحيح وربما كان تنصر عمر بن حفصون قد أوحى له أنه لابد لابن الجليقى بدوره أن يرتد هو الآخر أو يدعو لديانة جديدة ٠

(١١٨) عرفت فى المصادر الاسبانية المسيحية باسم La Polvoraria وعن هذه المعركة ارجع الى : ابن حيان ، المقتبس ، تحقيـق دكتور محمود على مكى،هامش رقم ٦١٦ ص ٦٥٦وص٦٦٥، =

صيف سنة ٢٦٣هـ (٨٧٨م) .

ومن الجدير بالذكر أن المصادر العربية لم تشر الى هذه الواقعة ، باستثناء ابن عذارى الذى أورد خبرها موجزا للغاية ومشوها(١٢٠) ، وابن حيان(١٢١) وابن الاثير(١٢٢) اللذان تحدثا عنها فى شىء من التفصيل مع اختلاف طفيف فى الرقم الدال على عدد أجناد السرية الاسلامية التى أوقع بها ابن مروان الجليقى وأصحابه .

وفى عام ٢٦٤هـ (٨٧٧م) عاد هاشم بن عبد العزيز من الاسر(١٢٣) فكانت عودته بردا وسلاما على الامير محمد الذى فجع بأسره وظل فى قرارة نفسه يحن حنينا متواصلا الى سماعه ومجالسته وان كان فى الظاهر يعرض على عجلته وتهوره ، وفى نفس الوقت كان يعمل فى الخفاء على خلاصه من أسره(١٢٤) ، فكان يراسل الفونسو

وراجع ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٢ ، ابن خلدون ، كتاب العبر ، جـ ٤ ، ص ٢٨٦ ، Claudio Sanchez Albornoz, la Batalla de la Polvoraria, anales de la Univ. de Madrid, Fasc. III, 1932, PP. 225-238).

(١١٩) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د . مكى ، ص ٣٨٤ ، وقارن ابن الاثير ، الكامل فى التاريخ ، جـ ٦ حوادث سنة ٢٦٣ .

(١٢٠) ابن عذارى ، البيان ، جـ ٢ ، ص ١٠٣ .

(١٢١) ابن حيان ، المقتبس من أنباء أهل الاندلس ، ص ٣٨٤ .

(١٢٢) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٧ ، ص ٣١٠ .

(١٢٣) ابن حيان ، المقتبس من أنباء أهل الاندلس ، ص ٣٨٦ ، ابن عذارى ، البيان ، جـ ٢ ، ص ١٠٣ .

(١٢٤) لقد كان الامير محمد فى قرارة نفسه ، رغم ما يبديه علنا من ذم فى هاشم بن عبد العزيز وانتقاده لعجلته وتسرعه بحيث انتهى الى الاسر ، يتمنى أن يفك أساره ، فلما أطلقه الفونسو من أسره ، سر الامير محمد سرورا عظيما كتمه فى نفسه ولم يظهره لحساد هاشم حتى لا يتعرض للحرج ، وتظاهر بالاعراض عنه نحو سنتين ، ثم أخذ يقربه ويدنيه منه حتى استعاد هاشم مكانته الاولى من قلبه ، ويذكر عيسى الرازى أن وزراء الامير محمد أصحاب هاشم بن عبد العزيز انقلبوا عليه بعد وقوعه فى الاسر ، ولم يترددوا فى اظهار الشماتة به واساءة القول =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الثـــالث ملك ليون على أن أهل هاشم يطـــالبوه بفك أسره فى مقـابل دفع الفـدية ، وقد تحمـــل الامير الفـــدية التى بلغ قدرها ١٥٠ الف دينار(١٢٥) ، ولم يلبث هاشم أن استعاد مكانته فى البلاط ، واســتوت حاله فى الاثرة لدى الامير محمد ، فأعاده الى القيادة مع الوزارة فى سنة ٢٦٦هـ(١٢٦) (٨٧٩م) ، وأخذ يغزو بلاد الثائرين والمتمردين ، ويقيم تجاهها الحصون والقلاع ويسـكنها جماعات من الموالين للامير ليتولوا مغاورتهم ، ومن بينها حصن قرذيره Cardela من عمـل حصـن اللوز Iznalloz بمقاطعة غرناطة الذى ما يزال يحتفظ اليوم ببقايا أسوارها وأبراجها على نشز من الارض(١٢٧) .

ويواصل ابن مروان الجليقى بذل طاعته وولائه للملك الفونســو الثالث ، ويسـجل ذلك بمشاركته فى اعتـــداءات الجلالقة على اراضى الثالث ، ويسـجل ذلك بمشاركته فى اعتـــداءات الجـلالقة على اراضى ملك جليقية دار الاسلام ، وفى هذه الغـــزاة خدع الفونسو الثـــالث

= فيه وأيدوا رأى الامير محمد فى لومه لما سببه طيشـه وعجلته وقلةأحكامه لنظره من هزيمةعسكره،وكان هؤلاءالوزراء مدفوعين فى ذلك بما اقدم عليه حساده من تجريح ، ولم يقف الى جانب هاشم منهم الا وليد بن عبد الرحمن بن غانم الذى خالفهم فى ذلك ودافع عنه ، وصوب رأى الامير فيه ، وشـجعه على المضى فى تخليصه من اسره على الرغم من أن وليد هذا لم يكن تربطه به ثم رابطة صداقة وانما كان يبتغى الانصاف ، وكان ابن غانم يتعهـد أسرة هاشم اثنـــاء اسره ويحمى ضياعه (لمزيد من التفاصيل) ، راجع ابن حيان ، المقتبس ، منأنبـــاء اهل الاندلس ، ص ٣٨٩ - ٣٩١ ، أخبـــار مجمـــوعة فى تاريخ الاندلس ، ص ١٤٤ ، وما يليها) .

(١٢٥) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٨٩ ، عبد الرحمن الحجى ، اندلسيات ، المجموعة الثانية ، طبعة دار الارشاد ، ص ١١٧ ، حسين مؤنس ، معالم تاريخ المغـرب والاندلس ، ص ٣٠٣ .

(١٢٦) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د . مكى ، ص ٣٩٥ .

(١٢٧) المصدر السابق ، تعليق رقم ٦٢٥ ، ص ٦٧٠ - ٦٧١ .

عبد الرحمن بن مروان الجليقى ، فقد أظهر له أنه انما يقصد طليطلة فلما اجتاز السلاسل الجبلية التى تفصل قشتالة عن الاندلس (الدرب الثانى) وخلف وادى تاجه ، افصح عن وجهته الحقيقية وهى كورة ماردة بلد ابن مروان ، فهاجم حصن دوبل Los Adobales الواقع على مسافة تبعد نحو ٢٠ ك٠م الى الجنوب الشرقى من بطليوس ، فهاجمه الملك وافتتحه وقتل عددا كبيرا من حاميته(١٢٨) ٠

اثارت خديعة الملك لابن الجليقى استياءه لاسيما وان الملك استهدف الاغارة على بلد ابن الجليقى ، فأظهر انقباضه وسخطه وان كان قد كتمهما عن الملك ، ولكن هذا الاخير لاحظ قطوبه وتغيره ، فلما سأله عن سبب تغيره وانقباض نفسه أنكر ذلك وأظهر له التبرؤ مما ظنه به من استيائه لما فعله من وطئه لبلده ، وانتهت الغزوة ، وعاد الملك الى مقر ملكه ، وعاد ابن مروان الى حصنه ٠ فأقام مدة من الوقت مستوحشا من الملك ، وامتدت الجفوة بين الحليفين ، وكان الباعث على هذا التحول تشكك ابن مروان فى نوايا الملك تجاهه ، لما عرف من غدره ، وتذكر ابن مروان غدر ملك جليقية السابق سميه وسلفه الفونسو الثانى العفيف بحليفه محمود بن عبد الجبار(١٢٩) ٠ وعندئذ عزم على فض الحلف القائم بينه وبين الملك الجليقى وعدم التبعية له ، وقرر العودة الى بلاده واستئناف ما كان قد انقطع بدخوله فى خدمة الفونسو الثالث ٠

---

(١٢٨) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د ٠ مكى ، ص ٣٩٦ ، وقد انفرد ابن حيان بهذه الرواية من مؤرخى العرب ، أما المصادر المسيحية فقد أخطأت فى كثير من تفاصيل الغزوة فجعلت من ابن مروان الجليقى خصما لالفونسو الثالث بحيث حاربه الفونسو ،كما تبالغ فى ذكر عدد القتلى من المسلمين،وتخطىء فى تحديد موقع المعركة ٠ (راجع تعليق رقم ٦٢٨ ، ص ٥٧٢ ، ٦٧٣) وانظر :
Aguado Bleye, Manual de la Historia, P. 48).

(١٢٩) راجع ما سبق ذكره عن ثورة ابن مرتين ومحمود بن عبد الجبار٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومن المحتمل أنه قضى فترة الانتقال بين عودته من غزوة حصن دوبل وانقلابه على الفونسو الثالث ، وهى تقرب من ٤ سنوات عاطلا عن الغزو بدليل أنه لم يرد فى المصادر العربية ذكر لنشاطه الحربى حتى سنة ٢٧١هـ (٨٨٤م) التى بدأ يلمع فيها من جديد اماما للنفاق والشقاق .

ومن الثابت أنه نقل نشاطه الى بطليوس ، وهى المدينة التى استحدثها فى عهد الامير محمد واتخذها معقلا له ، واضح أنه عاد اليها هذه المرة لتعمير ما تخرب من حصنها قبل أن يستأنف عيثه فى المناطق المجاورة(١٣٠) ،وكان على الامير محمد أن يتحرك من جديد لوضع حد لعيثه ، ففى سنة ٢٧١هـ (٨٨٤م) وجه الامير محمد جيشا بقيادة ابنه المنذر الى بطليوس ليحد من نشاط عبد الرحمن الجليقى فى غرب الاندلس ، فلما عرف عبد الرحمن بأمر هذا الجيش ترك بطليوس وفر الى حصن اشبر غزة Esparragosa (١٣١) ليمتنع فيه ، وانتهز

---

(١٣٠) يذكر ابن خلدون « ثم وقعت المراودة فى الصلح على أن ينزل عبد الرحمن بطليوس ويطلق الوزير هاشما فتم ذلك سنة خمس وستين ، ونزل عبد الرحمن بطليوس وكانت خربة فشيدها وأطلق هاشما بعد سنتين ونصف من أسره ، ثم تغير اذفونش لعبد الرحمن بن مروان وفارق ، وخرج من دار الحرب بعد أن قاتله ، ونزل مدينة انطانية Idanha-a velha بجهات ماردة وهى خراب فحصنها ،وملك ما اليها من بلاد اليون وغيرها من بلاد الجلالقة واستضافها الى بطليوس » ابن خلدون ، تاريخ جـ ٤ ، ص ٢٨٥ .

(١٣١) ورد الاسم خطئا فى ابن الاثير على أنه اشبرغرة بينما ذكره ابن عذارى صحيحا (جـ ٢ ، ص ١٠٥) اذ يتفق فى النطق تماما مع التسمية الحالية للموقع ، ويتسمى بهذا الاسم فى الوقت الحاضر موضعان باقليم بطليوس الاول اشبر غزة دى لاسيرينا Esparragosa de la Serena والثانى اشبر غزة الارش Esparragose de lares فى مقاطعة القصير Alcocer ، ويرجح ليفى بروفنسال الموضع الثانى ليكون المقصود من حصن اشبر غزة فهو يقع بين واديانه والمعدن
(Lévi-Provençal, Op. Cit., P. 298, Note 3).

الامير المنذر فرصة اخلاء بطليوس فقام بحرقها وتدميرها(١٣٢) .

ولم يكتف الامير محمد بذلك بل واصل توجيه حملاته لمحاربة ابن الجليقى . ففى صيف العام التالى ٢٧٢هـ (٨٨٥م) سير جيشا بقيادة ابنه الامير عبد الله ، والقائد هاشم بن عبد العزيز(١٣٣) الى الغرب ليحاصر عبد الرحمن فى حصن اشبرغزة Esparragosa الذى كان قد تحصن فيه فى العام السابق أمام عسكر الامير المنذر . وتم حصار الجليقى ، ودارت بعض الاشتباكات ، ولكن هاشم لم ينل منه مأربا فقفل عائدا الى قرطبة دون نتيجة حاسمة(١٣٤) .

ويسوق كل من ابن القوطية ، وابن خلدون روايتين تتشابهان الى حد كبير عن هذه الفترة من ثورة عبد الرحمن بن مروان الجليقى ، فابن خلدون يذكر ان هاشم بن عبد العزيز سار فى سنة ٢٧١هـ (٨٨٤م) الى عبد الرحمن الجليقى « وحاصره بحصن مونت مولن ، ثم رجع عنه ، فأغار ابن مروان على اشبيلية ولقنت . ثم نزل منت شلوط فامتنع فيه ، وصالح عليه الامير محمدا ، واستقام على طاعته الى أن هلك

---

(١٣٢) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٧ ، ص ٤١٦ ،
Lévi-Provençal, Op. Cit., P. 298.

(١٣٣) لم يكد هاشم يسترد مكانته ويحظى عند الامير محمد حتى أسند اليه قيادة الجيوش ، ففى عام ٢٦٧هـ (٨٨٠م) غزا هاشم وحده بالصائفة الى سرقسطة وحاصرها حصارا شديدا وانتسف حقولها واستولى على أرباضها (ابن حيان ، المقتبس تحقيق د . مكى ،ص ٣٩٩) ، وكذلك خرج هاشم فى تلك السنة الى كوره رية ليقضى على الفتنة ويأخذ رهائن من أهل تاكرنا ليلزمهم بالطاعة (راجع ابن عذارى : البيان ، جـ ٢ ، ص١٠٤) وفى عام ٢٦٨هـ (٨٨١م) عاد هاشم بن عبد العزيز الى مهاجمة سرقسطة وكان معه فى هذه المرة المنذر ابن الامير محمد ، فدمر عمران سرقسطة ، وافتتح حصن روطة ، ثم تقدم الى البسة والقلاع وافتتح حصونا كثيرة (البيان ، لابن عذارى ، جـ ٢ ، ص ١٠٥ ، ابن خلدون ، التاريخ ص ٢٨٧) .

(١٣٤) ابن عذارى ، البيان ، جـ ٢ ص ١٠٥ .

الامير محمد .. »(١٣٥) . أما ابن القوطية فيقول « ثم ظهر ابن مروان ظهورا صار بذلك رئيس المولدين فى الغرب ، وصار السرنباقى(١٣٦) تابعا له ، وخرج بعد قفل العسكر عنه فى جيش عظيم ، فبلغ الى كورة اشبيلية وتوسط اعمالها ، وغنم حصن طلياطة(١٣٧) بمن فيه ، ثم تقدم فشق كورة لبلة ثم دخل اكشونبة وضبط بها جبلا يقال له منت شاقر ، فجبل الغرب كله وأفسده ، فلما طال غم الامير محمد به ، وجه اليه أمينا فقال له : يا هذا قد طال غمنا بك وغمك بنا ، عرفنا بمذهبك ، فقال لهم : مذهبى أن يباح لى البشرنل ابتنيها وأمدنها وأعمرها وأقيم الدعوة ، ولا تلزمنى جباية ولا طاعة فى أمر ولا فى نهى .. ففعل(١٣٨) ، وصفت طاعته الى أن طامع هاشم يأخذ الثأر فيه وقال للامير محمد انما كان تعاصى أمر ابن مروان علينا بأنه كان هو وأصحابه على ظهور خيولهم ، ينتقلون من موضع الى موضع ، وقد

---

(١٣٥) ابن خلدون ، العبر ، ص ٢٨٧ .

(١٣٦) سعدون السرنباقى : كما اتضح من سياق الاحداث هو صديق ابن مروان الجليقى الذى ناصره فى العديد من المواقف أثناء ثورته ضد الامير محمد ، وكان فارسا شجاعا فى ميدان القتال ، وفى عهد الامير محمد أسره النورمان الخارجون بساحل الاندلس الغربى وفداه منهم بعض اليهود ، ولكنه هرب من هؤلاء التجار اليهود الى الجبل الذى نسب اليه بين قلنبرية وشنترين ، وعاد الى حياة المغامرة والسلب والنهب الى أن قتل على يد الفونسو الثالث ملك ليون (انظر ابن حيان ، المقتبس فى تأريخ رجال الاندلس ، تحقيق انطونية ، ص ٢٣) .

(١٣٧) قرية بين اشبيلية ولبلة تبعد عن كلتيهما بنحو عشرين ميلا (الحميرى ، صفة جزيرة الاندلس ص ١٢٨) . وذكر الجغرافى مجهول الاسم انها مدينة ازلية عجيبة الشكل رائعة البناء من بنيان الاشبان ، وبها حمامات عجيبة وأسواق حسنة وسور حصين (ذكر بلاد الاندلس ، لوحة ٦٨) .

(١٣٨) من المعروف (كما سبق أن ذكرنا فى موضعه) أن أول من بنى هذه المدينة عبد الرحمن بن مروان الجليقى فى سنة ٢٦١هـ (٨٧٤م) فى عهد الامير محمد وليس فى سنة ٢٧١ (٨٨٤م) مكايذكر ابن القوطية ، وواضح أن نص ابن القوطية مضطرب خلط فيه بين وقائع ثورة ابن الجليقى .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

صار الساعة فى مدينة ودور وقصور وبساتين محيطة بها فنخرج اليه ، فانى ارجو ان يظفر الله به ويخرج معى الولد عبد الله فقد كان لابن مروان اليه انحراف عند كونه بقرطبة ، فخرج الى اشبيلية ثم انتقل الى لبلة ، فلما بلغ ابن مروان الخبر ، ادرك الامر بعقله وذكائه ، فكتب الى الامير محمد : بلغنى ان هاشما خرج الى جهة الغرب ، ولست اشك انه قد اطمعه فى اخذ الثأر منى كونى فى حصن وغلق ، وبالله لئن جاز لبلة الى لاضرمن بطليوس بالنار ثم اعود الى حالى الاول معك . فلما قرأ محمد كتابه امر بصرف الولد وصرف هاشم من الطريق فانصرفا .. »(١٣٩) .

وبمقارنة الروايتين تتضح لنا الحقائق التالية :

١ ـ انه على الرغم من مكانة ابن خلدون كمؤرخ الا انه وقع فى بعض الاخطاء التاريخية عندما كتب عن موقف حكومة قرطبة من عبد الرحمن بن مروان الجليقى فى هذين العامين ٢٧١هـ (٨٨٤م) ، و ٢٧٢هـ (٨٨٥م) ، فقد سجل خروج هاشم بن عبد العزيز فى سنة ٢٧١هـ (٨٨٤م) لمحاربة ابن مروان الجليقى ، فى حين ذكر ابن الاثير انه فى عام ٢٧١هـ (٨٨٤م) خرج جيش من قرطبة بقيادة الامير المنذر وحده لمواجهة ابن مروان الجليقى(١٤٠) ، وربما كان ابن خلدون يقصد ان خروج هاشم بن عبد العزيز قد حدث سنة ٢٧٢هـ (٨٨٥م) على نحو ما اورده ابن عذارى فى كتابه البيان(١٤١) . كما ان نص ابن القوطية(١٤٢) يؤكد ان خروج هاشم ، وهو حادث يدرجه ابن خلدون ضمن حوادث عام ٢٧١هـ (٨٨٤م) تم فى عام ٢٧٢هـ (٨٨٥م) . وعلى الرغم من انه لم يحدد صراحة عاما لوقوع هذه الحوادث ، الا ان انتهاء النص بعقد

---

(١٣٩) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٩٠ .
(١٤٠) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٧ ، ص ٤١٦ .
(١٤١) ابن عذارى ، البيان ، جـ ٢ ، ص ١٠٥ .
(١٤٢) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٩٠ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

السلم النهائى بين الامير محمد وعبد الرحمن الجليقى ، وموافقة الامير على اقامة الجليقى فى بطليوس ، وتوقف كافة الحروب بينهما (بدليل سحب الامير محمد لجيشه الذى كان متجها للمرة الثالثة وفى ظرف عامين الى عبد الرحمن الجليقى بقيادة كل من هاشم والامير عبد الله) يؤكد انه لابد وان يكون هذا النص متعلقا بوقائع جرت فى أواخر عام ٢٧٢هـ (٨٨٥م) ، وبالتالى بعد عام ٢٧١هـ (٨٨٤م) ، ولما كانت الحوادث التىتتضمنها رواية ابن القوطية تتشابه الى حد كبير مع الحوادث التى وردت فى نص ابن خلدون ، لاسيما ما يختص بغارة الجليقى على كورة اشبيلية(١٤٣) واعمالها والاراضى التى حولها ، ففى ذلك ما يدعونا الى الاعتقاد بأن نص ابن خلدون كان يومىء الى أخبار سنة ٢٧٢هـ ، وليس ٢٧١هـ .

٢ - ان ما ذكره ابن خلدون بشأن تحصن عبد الرحمن الجليقى فى مونت مولن عندما بلغه قدوم هاشم بن عبد العزيز مشكوك فى صحته لاتفاق مصدرين موثوق بهما هما ابن الاثير وابن عذارى على أن ابن مروان الجليقى تحصن فى سنة ٢٧١هـ(١٤٤) (٨٨٤م) بحصن اشبرغزه عندما بلغه خروج المنذر لحصار بطليوس ، ثم فى عام ٢٧٢هـ (٨٨٥م) عندما بلغه قدوم هاشم بن عبد العزيز لقتاله(١٤٥) .

٣ - ان ابن خلدون اخطأ عندما ذكر أن ابن الجليقى صالح الامير محمد على أن يستقر فى حصن منت شلوط وأنه ظل به حتى وفاة الامير محمد . والواقع ان بطليوس كانت الحصن الذى اتفق مع الامير محمد

---

(١٤٣) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٩٠ ، ابن خلدون ، العبر ، ص ٢٨٧ .
(١٤٤) ابن الاثير ، الكامل جـ ٧ ، ص ٤١٦ .
(١٤٥) ابن عذارى ، البيان ، جـ ٢ ، ص ١٠٥ .

على الاستقرار فيه كما يذكر ابن القوطية(١٤٤) والبكرى(١٤٧) ، ونعتقد أن ابن خلدون خلط هذه الحوادث مع حوادث عام ٢٦٢هـ عندما لجأ عبد الرحمن الجليقى الى حصن موتت شلوط وتبعه هاشم بن عبد العزيز الى هناك ، وحاصره كما سبق أن أوضحنا .

وباستقرار ابن مروان فى بطليوس فى أواخر عهد الامير محمد تبدأ هذه المدينة فى الظهور والتألق ، اذ حظيت بعنايته واهتمامه ، فأمهرها بالمنشآت العظيمة مدنية وحربية ، ويعتبر ابن الجليقى المؤسس الحقيقى لهذه المدينة منذ أن نزلها للمرة الاولى فى عام ٢٦١هـ(١٤٨) (٨٧٤م) ، وكانت بعد قرية(١٤٩) ، مهجورة(١٥٠) ؛ وكانت بطليوس على الرغم من الاضرار الفادحة التي سببها حرق المنذر لها فى عام ٢٧١هـ(١٥١) (٨٨٤م) ماتزال فى حالة جيدة تؤهلها لأن تكون مقرا لعبد الرحمن الجليقى ، ويؤكد ذلك التهديد الذى أرسله ابن مروان الجليقى الى الامير محمد سنة ٢٧٢هـ (٨٨٥م) بحرق هذه المدينة لو تقدمت جيوش قرطبة خطوة الى بطليوس(١٥٢) ، ولو أن بطليوس كانت قد أحرقت حقا على يد المنذر فى سنة ٢٧١ (٨٨٤م) لما هدد ابن الجليقى الامير محمد بحرقها فى سنة ٢٧٢هـ (٨٨٥م) ، ولما استجاب الامير لطلب ابن الجليقى وأمر على الفور بسحب قوات قرطبة .

---

(١٤٦) ابن القوطية ، المصدر السابق ، ص ٩٠ .
(١٤٧) البكرى ، جغرافية الاندلس ، ص ١٢٢ ، حسين مؤنس ، معالم تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٣٠٣ .
(١٤٨) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٧ ، ص ٢٨٩ .
(١٤٩) ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ١٠٢ .
(١٥٠) ابن حيان ، المقتبس من أنباء أهل الاندلس ، ص ٣٥٥ .
(١٥١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٧ ، ص ٤١٦ .
(١٥٢) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٩٠ .

٣ - تمصير بطليوس :

تتفق جميع المصادر العربية على أن عبد الرحمن بن مروان الجليقى هو الذى أعاد بناء بطليوس ومصرها باذن من الامير محمد(١٥٣) ، باستثناء الحميرى الذى يجعل بناءها باذن من الامير عبد الله (وليس الامير محمد) ، يقول الحميرى « بطليوس بالاندلس من اقليم ماردة بينهما اربعون ميلا وهى حديثة الاتخاذ ، بناها عبد الرحمن بن مروان المعروف بالجليقى باذن الامير عبد الله له فى ذلك ... »(١٥٤) .

وواضح من اجماع المؤرخين على أن بناءها حدث فى عهد الامير محمد أن الحميرى تجاوز الصواب فى تأريخه لبناء بطليوس اذ أرجعه الى عهد الامير عبد الله بدلا من الامير محمد ، وربما كان السبب فى هذا الخطأ يرجع الى أن الحميرى كان يقصد تجديد الاسجال لعبد الرحمن بن مروان الجليقى على بطليوس لأن هذا التجديد هو الذى تم فى عهد الامير عبد الله(١٥٥) .

---

(١٥٣) يقول البكرى « ومدينة بطليوس حديثة الاتخاذ ، بناها عبد الرحمن بن مروان المعروف بالجليقى باذن الامير محمد ، لما أخرجه من قلعة الحنش .. » (انظر البكرى ، جغرافية الاندلس ، ص ١٢١) ويقول ابن حيان : « وكان أحد من وقع بهاشم بن عبد العزيز مع سعدون بن فتح السرنباقى بكركر فى أيام الامير محمد ، فل جيشه وأسره ، فألقاه بيد الفونسو ملك جليقية ففكه بفداء ثقيل ... وهو الذى بنى بطليوس ومدنها وكان ابن ابنه عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن رهينة عنده بقرطبة » (انظر ابن حيان ، المقتبس فى تاريخ رجال الاندلس ، ص ١٥) .
ويقول ابن عذارى « فأباح له الامير محمد الرحيل الى بطليوس والحلول بها ، وهى يومئذ قرية ، فخرج اليها وقفل عنه » (انظر ابن عذارى ، البيان ، جـ ٢ ، ص ١٠٢ وانظر نص ابن القوطية فى تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٨٩ ، ونص ابن سعيد فى المغرب ، جـ ١ ، ص ٣٦٣ ، ٣٦٤) .

(١٥٤) الحميرى ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ٤٦ .

(١٥٥) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق انطونية ، ص ٥٣ ، ويقول =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبعد ان جدد الامير عبد الله الاسجال للجليقى أرسل له ابن مروان يخبره بأنه لا يوجد فى بطليوس مسجد جامع يدعو للامير فيه ، ولا حمام واحد يغتسل فيه المسلمون ، كما طلب منه أن يرسل اليه بعض العمال ليتولوا بناء الجامع والحمام ، فتتحول بطليوس من ذلك من مقر لسكنى أهل البوادى الى حاضرة هامة بين حواضر الاندلس(١٥٦) .

فانفذ الامير عبد الله عددا من البناة وكمية من المال يستعين بها ابن الجليقى فى اقامة المنشآت المذكورة ، فبدأ عبد الرحمن الجليقى ببناء المسجد الجامع واتخذه من اللبن والطابية ، أما صومعة الجامع فقد بناها من الحجر وجعل للمسجد الجامع مقصورة . كذلك اقام الحمام ، وكان موقعه على مقربة من أحد أبواب المدينة .

ولم يهتم ابن مروان بتجميل بطليوس وتزيينها فحسب وانما اهتم كذلك بتحصين المدينة وتحويلها الى قلعة منيعة(١٥٧) ، فالبكرى

= ابن حيان فى ذلك « وفيها (أى فى عام ٢٧٥هـ) أيضا استدعى عبد الرحمن بن مروان المعروف بابن الجليقى صاحب بطليوس من الامير عبد الله تجديد الاسجال له على ما بيده منها ومن ذواتها ، وذكر امتساكه بالطاعة ، فأجابه الى سئله ، وجدد الاسجالة له على ما فى يده فأقام على سكونه » . وانظر البكرى ، جغرافية الاندلس ، ص ١٢٢ حيث يقول « فلما توطد له الملك كتب الى الامير عبد الله وقد تولى الامر أن يجدد له سجلا على بلده وعقدا على قومه المولدين ، فأجابه الى ذلك».

(١٥٦) البكرى ، جغرافية الاندلس ، ص ١٢٣ ، يقول البكرى « ثم كتب اليه الا مسجد جامع له يعلن فيه الدعاء للامير ولا حمام يغتسل فيه ، فهم على كثرتهم بادية وان تحضروا ، وسأله ان يرسل اليه فعلة يبنون له الجامع والحمام فيلحق البلد بالحواضر ، فأجابه الى ما أراد » .

(١٥٧) لقد سبق ان أوضحنا فى الدراسة التمهيدية أن عبد الرحمن الجليقى باعتباره رجل ثورة اختار منذ البداية بطليوس دون البشرنل لاستراتيجية موقعها الذى يتحكم فى مدخل نهر وادیانه ولأن بها ربوة مرتفعة كانت منذ أقدم العصور مصدر قوة ومنعة =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وابن عذارى والحميرى يؤكدون على قيام الجليقى ببناء حصن قوى فى بطليوس ليكون مانعـــا لها ويقيها حصـــار اعدائه(١٥٨) ٠ ويذكر ابن حيان أن سور قصبة بطليوس كبرى مدائن اهل الغرب ، عمـــل أميرهم الاول عبد الرحمن بن مروان الجليقى كان مبنيا « بترب الطابية المرزوم بالمداوس وبالطوب المشمس »(١٥٩) ٠ وكما اهتم ابن الجليقى بالبنـــاء الحـــربى نراه يحـــرص على اقامة مسجد خاص داخل القصبة(١٦٠) لأنصاره وجنده ، وأحاط بطليوس بسور كبير بنـاه من التراب(١٦١) ٠ ولم يكن المسجد الجامع ومسجد الحصن المسجدين الوحيدين بالمدينة فقد اقيم بها عدد من المساجد اقامهـا الاهالى(١٦٢) من بينها مسجد بناه أحد العلماء وهو على بن حسن بن شبوقة ، وكان كثير العلم متصرفا فى الأدب والظرف ، وكان موثقا،انصرف الى اشبيلية، ومات بها فى أوائل أيام عبد الرحمن الناصر ، وقد عرف هذا المســجد باسمه(١٦٣) ٠

ونستدل من احدى التراجم التى أوردها ابن الفرضى أن عبـــد الرحمن بن مروان حرص على رفع بطليـوس الى مصـــاف الحواضر الاندلسية الكبرى ، فاتخذ لها قاضيا ليفصل فى الخصومات بين الناس ، ويقيم العدالة بينهم ، ففى الترجمة رقم ٥٨٤ يذكر اسم أحد القضـــاة

= دفاعية للمدينة ، وقد سبق ان أوضحنا فى نفس الدراسة اعمال ابن مروان الحربية التى تتمثل فى القصبة والحصن ٠

(١٥٨) الحمـــيرى ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ٤٦ ، ابن عذارى ، البيـــان ، جـ ٢ ، ص ١٠٢ ، البكرى ، جغرافيـة الاندلس ، ص١٢٣ ٠

(١٥٩) ابن حيـان ، المقتبس ، الجـــزء الخامس ، نشرة شالميتا ، ص ٩٦ ٠

(١٦٠) الحميرى ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ٤٦ ٠

(١٦١) المصدر السابق ، ص ٤٦ ٠

(١٦٢) نفسه ، ص ٤٦ ٠

(١٦٣) ابن الفرضى ، تاريخ علماء الاندلس ، جـ ١ ، ص ٣٥٦ ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الذين استقضاهم عبد الرحمن بن مروان الجليقى ، وفى ذلك يقـــول « سلمان بن قريش أصله من ماردة ، وسكن قرطبة حينـــا واستقضاه ابن مروان ببطليوس، ثم صار الى قرطبة فسكنها وسمع منه الناس كثيرا، وكان ثقة سمعت غير واحد من شيوخنا يثنون عليـه ويوثقونه ، وكان فصيحا بليغـا ، وتوفى بقرطبـــة فى المحرم ســـنة تســـع وعشرين وثلاثمائة »(١٦٤) .

(١٦٤) ابن الفرضى ، تاريخ علماء الاندلس ، جـ ١ ، ص ١٩٤ . ومنذ ذلك الحين تبدأ بطليوس فى التألق والازدهار ، وسيمهد ذلك لكى تصبح فى عصر الطوائف احدى العواصم الاندلسية الزاهرة ، خاصة فى مجال العلم والادب ، ولا عجب اذ أن بطليوس كانت احدى مراكز المولدين فى الغرب الاندلسى ، وقد نبغ من هؤلاء المولدين العديد من العلماء الذين نشأوا فى بطليوس ثم انتقلوا منها الى غيرها من المدن مثل اشبيلية وقرطبـة ، وقد بلغت بطليوس مكانة علمية كبيرة نافست قرطبة فيما بعد ، ولا شك أن الفضل فى ذلك يرجع الى عبد الرحمن بن مروان الجليقى مؤسس بطليوس الاسلامية .
انظر :
Abdel Ghafour Rozi, The Social role of scholars in Islamic Spain, Boston University, 1983, P. 86-89)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

البـــاب الأول

الفصـــل الثـــانى

بطليوس فى عهـد خلفـاء عبد الرحمن بن مروان

١ ـ السنوات الاربعة الاخيرة من عهد عبد الرحمن الجليقى .

٢ ـ بطليوس فى عهد عبد الله بن محمد حفيد ابن الجليقى .

٣ ـ سقوط دولة بنى الجليقى فى بطليوس عام ٣١٨هـ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصـــل الثـــانى

(١)

بطليوس فى عهـد خلفـاء عبد الرحمن بن مروان

منذ ان استقر عبد الرحمن بن مروان الجليقى فى بطليوس ، وهو يسعى جاهدا لجعلها حاضرة لامارة مستقلة ، فلم يلبث أن ضم اليهـا عددا من الاقاليم والحصون التابعة لها ، واهمها مدينـة ماردة(١) ، وحصن الحنش وحصن كركر وحصن منت شلوط وغيرها .

ولم يلبث ابن مروان أن تاق الى حياة المغامرة والغزو ، اما رغبـة فى توسيع رقعة امارته ، او اشباعا لهوايته فى الغـزو ، فلم يمض عـلى مصالحته للامير عبد الله عام واحد حتى نكث عهـده وعاد الى سـيرته الاولى فى المروق والعصيان ، ودخل فى طاعته عدد من الثوار المعروفين فى تلك الآونة بالغرب الاندلسى ، ومنهم عبـد الملك بن ابى الجواد الذى ثار فى باجة(٢) Beja وامتلكهـا ، وتحصن فى حصـن مارتلة(٣) Mertola ، وكان من اكثر حصون الغرب حصـانة وله نصيب من المنعة ، ومنهم بـكر بن يحيى بن بكر زدلف(٤) الثائر فى مدينـة شنت مريه Santa Maria de Algarve من كورة اكشونبة Ocsonoba وبناها حصنا اتخذ عليها ابوابا من الحديد ملبشة عجيبة الصنعة،وفيه

---

(١) البكرى ، جغرافية الاندلس ، ص ١٢٣ .

(٢) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيـق ملشـــور ، ص ١٥ ، ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ١٢٥ وراجع :
Lévi-Provençal, Op. Cit., P. 341

(٣) تقع مارتلة على نهر واديانه على مقربة من بطليوس ولهـــا حصن مشهور بالمنعة والحصانة (انظر الادريسى ، المغـــرب وارض السودان ومصر والاندلس ، ص ١٧٩ ، الحمـــيرى ، صفة لجزيرة الاندلس ، ص ١٧٥) .

(٤) كان جده زدلف Zadulfo عجميا (مسيحيا) مولى لبـكر بن نجاد الاودى،فسمى ابنه باسم مولاه(ابن حيـــان،المقتبس، تحقيق ملشور ، ص ١٦) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يقول ابن حيان « وكان له ترتيب واهبة ورجال شجعان وعدة موفورة . وكان يتشبه فى سلطانه بابراهيم بن حجاج ، وله اصحاب الرأى وكتاب للعمل ، وكان له عهد مؤكد الى جميع من فى طاعته باضافة أبناء السبيل وقرى النزال ، وحفظ المجتازين ، فكان السالك بناحيته كالسالك بين أهله وأقاربه(٥) ، « وكان هؤلاء الثلاثة ابن ابى الجواد وابن مروان الجليقى وابن زدلف قائمين بدعوة المولدين ، والبا على من خالفهم ، ويدا على من خرج عنهم .

ولكى نستطيع أن نتفهم دور الجليقى فى هذه الفترة يجب أن نرسم صورة الاندلس بعد وفاة الامير محمد عام ٢٧٣هـ (٨٨٦م) . اصبحت الاندلس جمرة تلتهب بسبب الثورات المشتعلة ضد الدولة الاموية فى كل مكان ، وشغل الامير المنذر فى السنتين اللتين قضاهما فى الامارة بمحاربة ابن حفصون(٦) ، ثم تولى الامير عبد الله عام ٢٧٥هـ (٨٨٩م) فبادر بطلب الصلح من ابن حفصون(٧) ، ولكنه عجز عن تسكين ثورة كورتى اشبيلية ولبلة(٨) ، وكان يسكن باقليم الشرف من

---

(٥) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق ملشور ، ص ١٥ ، ١٦ ، ابن عذارى ، البيان ، جـ ٢ ص ١٣٧ .

(٦) تعد ثورة ابن حفصون عام ٢٧١هـ (٨٨٤م) نتيجة مباشرة لثورات الجليقى ففى هذا العام هرب عمر بن حفصون من قرطبة وقصد جبل ببشتر فأرسل الامير محمد جيشا لحربه ، وواصل الامير توجيه عسكره لمحاصرته فى العام التالى (انظر ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٧ ، ص ٤١٢ ، ص ٤٩ ، ابن عذارى ، البيان جـ ٢ ، ص ١٠٥) .

(٧) Martinez y Martinez, Op. Cit., PP. 71-72.

(٨) وفى ذلك يقول ابن حيان « وفى سنة ست وسبعين ومائتين ثار بمدينة لبلة ، ايضا المعروف بابن عمرون من العرب واسمه عثمن ، فتعصب على المولدين والمسالمة واستدعى سواد الناس فثاروا معه على عمرو بن سعيد القرشى عامل الامير عليهم ، فدخلوا عليه بدار الامارة ونهبوا رحله واخرجوه عن المدينة .. وثار بجبل العيون من حصون لبلة المعروف بابن عفير ، فاتصلت الفتنة بكورة لبلة كلها ، وامتدت شرقا الى ما =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اشبيلية الحضارمة ويتزعمهم كريب بن خلدون الذى نجح فى توحيد القبائل اليمنية باشبيلية ولبلة وشذونة ضد قرطبة(٩) ، ورأى ان يظهر ضعف الدفاع عن اشبيلية حتى يضمن التفاف العرب حوله ، فأوهم قبائل البربر المقيمة فى ماردة ومدلين بأن كورة اشبيلية قد بلغ بها الضعف الى حد يسهل معه الاغارة عليها وانتهابها . فسال لعاب البربر ، وتلهفوا على الاغارة عليها ، ولم يترددوا فى غزو طلياطة من قرى اشبيلية ، وقتلوا سكانها ، واستباحوا اموالهم ، وعندئذ خرج الى اشبيلية موسى بن ابى العاصى واستنفر سكان الكورة للدفاع عن بلدهم ، وعسكر على مسافة ثلاثة أميال من طلياطة على كوم من جبل يسمى جبل الزيتون(١٠) . وعند اللقاء تخاذل كريب عن عامل اشبيلية وفر

= يتصل بها من قرى اشبيلية وغربا الى ما يتصل من كورة باجة (انظر ابن حيان ، المقتبس فى تاريخ رجال الاندلس ، ص ٦٧) كما يذكر ابن حيان فى اخبار ثورة اشبيلية « وفى سنة ست وسبعين ومائتين ، هاجت الفتنة بكورة اشبيلية ايضا واضطرب اهلها على سلطان الجماعة الامير عبد الله ثم خرجوا الى المعصية ... فكان اول من اظهر الخلعان بها واثنى بأهل المعصية وسعى فى تفريق الكلمة كريب بن عثمان بن خلدون ، وكان امرىء سوء مصرا على الغش مبغضا للخلفاء ، فلما ارتضم اهل الكور حوله فى الشقاق ، وتتابعوا فى المعصية ، سما الى مناغاتهم مخالف سليمن بن محمد بن عبد الملك الثائر بكورة شذونة وعثمن بن عمرون الثائر بكورة لبلة وجنيد بن وهب القرمونى من البربر البرانس (انظر ابن حيان ، المقتبس فى تاريخ رجال الاندلس ، ص ٦٨) .

(٩) وفى هذا يقول ابن حيان « وكان دعوة كريب هذا من العرب فى يمن من قبل حضر موت ودعوة ابن عبد الملك الشذونى فيهم من لخم ، ودعوة ابن عمرون اللبلى فيهم ايضا من خشين ، فلما ظهر تالبهم فى عروبتهم ناغاهم الموالى والمولدون من اهل حاضرة اشبيلية بتوالدهم ، فخافوا المضريين من العرب والبتر من البربر من اهل كورة مورور مضادين لكريب بن عثمان من فعله ودعوته الى اليمانية .. » (المقتبس ، تحقيق انطونية ، ص ٦٨) .

(١٠) ابن حيان ، المقتبس انطونية ، ص ٦٩ ،
Martinez y Martinez Op. Cit., P. 72.

مع قسم كبير من جيش اشبيلية ، فاضطر موسى بن أبى العاصى الى الانسحاب ، وتحصن فى قرية وبر من اقليم البر ، وعاد البربر الى احتلال طلياطة واقاموا بها ثلاثة أيام يعيثون فسادا ، ونهبوا كل منطقة الشرف ، وملئوا أيديهم بما غنموه فى كل جهات الكورة ، ثم عادوا الى بلادهم(١١) ، ولما علم ابن مروان بخبر هذه الغزوة وضعف الدفاع عن كورة اشبيلية عزم على غزوها بدوره ، وبث غاراته على نواحيها تحقيقا لهدفين : أولهما الظفر بأكبر قدر من الغنائم(١٢) واحراز مزيد من الانتصارات مما يقوى موقفه أمام السلطة المركزية بقرطبة . والثانى مساعدة(١٣) كريب بن خلدون على مهاجمة اشبيلية ونهب احوازها . فخرج فى أواخر سنة ٢٧٦هـ (٨٨٩م) على رأس قوة من عسكره من بطليوس ونزل بقرية مورة ، وتقع بما يبعد عن اشبيلية بنحو ثلاثة فراسخ ، ومن هنا أخذ يشن الغارات على نواحيها ، وانتهبت قواته جميع المواضع التى مرت بها دون أن تعترضه أى قوة الى أن ملأ عسكره أيديهم بالغنائم ، وأشبع رغبته ، فقفل عائدا الى بطليوس ، وأثبت ابن الجليقى بهذه الغارة عجز الامير الاموى ووهنه ، كما استثار غضب الرعية على أميرهم وشجع أطماع أهل الشر فى كل مكان ، ونستخلص من ذلك أن عهد الامير عبد الله كان يموج بالفوضى والفتن والاضطرابات الى حد أن الامير عبد الله لم يكن يسيطر الا على قرطبة(١٤) وحدها ، فالعرب تظاهروا بعصبيتهم وظهر منهم زعماء استقلوا عن قرطبة مثل كريب بن خلدون زعيم الحضارمة فى شرف اشبيلية(١٥) .

---

(١١) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ٦٩ .
(١٢) نفسه ، ص ٦٩ ، ٧٠ .
(١٣) محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام فى الاندلس ، ص ٣٣٩ .
(١٤) Martinez y Martinez, Op. Cit., P. 74.
(١٥) وظهر كذلك ابراهيم بن حجاج الذى ملك اشبيلية وقرمونة ، وكان أبوه حجاج بكركر فى الوقعة التى أسر فيها هاشم بن عبد العزيز ثم ثار ابنه فيما بعد على الامير عبد الله (انظر ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق انطونية ص ١١) .

Aljarafe de Sevilla وعبد الله بن حجاج مع اللخميين فى فحص لبلة Niebla ، وابن عطاف فى منطقة منتيشة ، Mentesa ، وابن السليم فى مدينة شذونة Medina Sidonia ،وابن وداد فى لورقة Lorca ، والانقرى سرقسطة Zaragoza (١٦) ، كذلك ظهر من البربر زعماء عصابات منهم الطماشكة (١٧) وبعض قطاع الطرق ما بين قرطبة واشبيلية ، واسس بعضهم دويلات أمثال موسى بن ذى النون وأولاده فى شنت برية Santa Maria de Albarracin واقليش Uclés (١٨) ، وملقون Malagon ، وقونكه Cuenca ، ونواحى طليطلة (١٩) Toledo . ومنهم عمر بن مضم الهترولى المعروف بالملاحى فى جيان (٢٠) Jaen ، وزغال بن يعيش بن فرانك النفزاوى بحصن أم جعفر من بلاد الجوف من عمل ترجاله (٢١) Trujillo باقليم ماردة (٢٢) ، وثار بناحية الثغر الادنى أيام الامير محمد من البربر أيضا محمد بن تاكيت المصمودى من لجدانية بين نهر دويره ونهر تاجه ، وفى قورية Coria وقلمرية Coimbra وشنترين (٢٣) Santarem ، الذى زحف الى ماردة وكان ينزل بها على أيام الامير محمد جند من العرب وكتامة ، فاستطاع بذكائه ودهائه أن يخرجهم من ماردة ، واستقر بها هو وقومه من مصمودة (٢٤) ، فزحفت اليه جيوش

---

(١٦) ابن عذارى ، البيان ، جـ ٢ ، ص ١٣٧ ، Martinez y Martinez, Op. Cit., P. 73.

(١٧) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق انطونية ، ص ٧٠ .

(١٨) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق انطونية ، ص ١٧ - ١٩ .

(١٩) Martinez y Martinez, Op. Cit., P. 74.

(٢٠) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق انطونية ، ص ٢٥ .

(٢١) المصدر السابق ، ص ٢٢ .

(٢٢) Lévi-Provençal, Histoire, t. I P. 34, Note I, la péninsule iberique, P. 252.

(٢٣) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د . مكى ، ص ٣٦٣ ، وهامش ١ ، ابن خلدون ، العبر ، جـ ٤ ، ص ٢٨٩ ، محمد عبد الله عنان ، دولة الاسلام فى الاندلس ، ص ٣٣٩ .

(٢٤) ابن خلدون ، العبر ، مجلد ٤ ، ص ٢٨٩ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الامارة من قرطبة ، فاستعان بعبد الرحمن بن مروان الجليقى الذى لم يتردد فى القدوم من بطليوس لمساعدته • وظلت جيوش الامارة تحاصرهم شهورا ثم رحلت بعدها الى قرطبة ، فبادر باعلان استقلاله بمـــاردة فاثار غضب الجليقى الذى كان قد ضمها الى دولة بطليـــوس ونشبت بينهما الكراهية والعـداوة(٢٥) ، واشتبكوا فى بعض المعـــارك التى أسفرت عن هزيمة ابن تاكيت أمام ابن مروان فى لقنت Fuente de Canto ، وقد ســـــجل ابن خلدون هذه الوقائع فى النص التـــــالى « وعظمت الفتنة بينه وبين عبد الرحمن صاحب بطليوس بسبب مظاهرته عليـه ، وحاربه فهـــزمه ابن مروان مرارا كانت احداها على لقنت ، استلحم فيها مصمودة،فقصت من جناح ابن تاكيت،فاستجاش بسعدون السرنباقى صاحب قلنيرة(٢٦) فلم يغنه ، وعلا كعب ابن مروان عليهم وتوثق أمره وطلبه ابن حفصون فى الولاية فامتنع ثم هلك ســنة ••• أيام الامير عبد الله »(٢٧) •

وبهذا يتضح لنا دور عبد الرحمن بن مروان فى الثورة على الامارة وصراعه الاخير مع ابن تاكيت وانتصاره عليـــه ، ولم يرد تاريخ وفاته فى المصادر العربية وان كان ابن خلدون قد أكد كمـا جاء فى النص انه توفى اثناء حكم الامير عبد الله • ويعتقد معظم المؤرخين المحدثين وعلى رأسهم ليفى بروفنســال(٢٨) و د • محمود مكى(٢٩) و د • عبـــد الرحمن(٣٠) الحجى انه توفى فى عام ٢٧٦هـ/٨٨٩م •

---

(٢٥) ابن حيـــان ، المقتبس ، تحقيق د • مكى ، تعليـــق ٥٩٦ ، ص ٦٤٣ ، Lévi-Provençal, Histoire t. I, P. 441.

(٢٦) صحتها قلنبيرة (Coimbra)

(٢٧) ابن خلدون ، كتاب العبر ، جـ ٤ ، ص ٢٩٠ وراجع ايضـا ، محمود على مكى ، المقتبس لابن حيان ، حاشية رقم ٥٧٧ ، ص ٦٣٠ •

(٢٨) Lévi-Provençal, Histoire, t. I, P. 386.

(٢٩) د • محمود على مكى ، المقتبس ، ابن حيـان ، حاشية رقم ٥٧٧ ، ص ٦٣٠ •

(٣٠) عبد الرحمن الحجى ،اندلسيات ،المجموعة الثانية ،بيروت =

وشجع اختفاء عبد الرحمـــن الجليقى من مسرح حوادث غرب الاندلس على ظهور دولتين فى الغرب : الاولى دولة عبـد الملك بن أبى الجواد فى باجة ، ودولة بكر بن يحيى بن بكر فى شنتمرية الغـــرب ، وكلاهما كان تابعا لعبد الرحمن الجليقى . وهكذا تمزقت دولة عبـــد الرحمن بن مروان الجليقى عقب وفاته ، أما عن أبناء ابن الجليقى فلا نعرف عنهم الا أخبارا بسيطة عن أبنيه مروان ومحمد .

(٣)

بطليوس فى عهد عبد الله بن محمد حفيد ابن الجليقى

(١) بطليوس فى مرحلة الانتقال بين رئاسة عبـد الرحمـن الجليقى وحفيده عبد الله :

أما ابنه الاول مروان فقد خلف اباه عبد الرحمن على حكم بطليوس وذلك فى عام ٢٧٦هـ (٨٨٩ - ٨٩٠م) أو بعدها بقليل ، ولـكن حـكم مروان لم يطل اذ توفى بعد توليه أمر بطليـوس بشهرين . فآل أمرهم بعد وفاته الى الامير عبد الله ، فعقد على بطليوس لأميرين عربيين ، ربما فر بمقدميهما من كان ببطليوس من أعقـــاب عبد الرحمـن بن مروان الجليقى الى حصن شونة ، هما مروان وأخوه عبد الله حفيدى عبـــد الرحمن الجليقى لابنه محمد(٣١) . ولم يلبث الخلاف أن دب بين واليى

= ١٩٦٩ ، ص ١١٨ ويرجح د . مكى أن تكون وفاة عبد الرحمن بن مروان حدثت فى سنة ٢٧٦ استنادا الى أن ابن حيـــان ذكر أنه خرج فى عام ٢٧٦هـ لغزوة قرية مورة ثم صمت عن ذكر أخباره بعد ذلك (ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق انطونيـة ، ص ٦٩) .

(٣١) ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٤ ، ص ٢٩٠ . يقول ابن خلدون فى ذلك « ثم هلك اثر ذلك سنة ... أيام الامير عبـد الله وولى ابن عبد الرحمن بن مروان ، واثخن فى البرابرة المجـاورين له ،وهلك لشهرين من ولايته ، فعقد الامير عبد الله على بطليوس لأميرين من العرب ، ولحق من بقى من ولد عبد الرحمن بحصن شونة ، وكانا اثنين من أعقابه وهما مروان وعبد الله ابنا ابنه محمد ، وعمهما مروان » .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بطليوس ، ربما بسبب التنازع على ولاية المناطق التابعة لبطليوس وقتل أحدهما الآخر ، وشق عصا الطاعة على الامير عبد الله واستقل ببطليوس ، وما أن علم عبد الله حفيد عبد الرحمن الجليقى بهذه الاخبار حتى أسرع بمهاجمة المدينة وقتل حاكمها وسيطرعلى بطليوس وامتلكها ، واشتد خطره حتى أعاد الى الاذهان تاريخ جده عبد الرحمن ، فقد أثخن فى حصون البربر المحيطة به ، وبث الغارات على نواحى بطليوس وأرغم سكانها على بذل الطاعة ، واستكمل قتال جده لابن تاكيت صاحب ماردة . ويبدو أن هذه الحرب لم تكن ذات طائل ، فقد اصطلحا ودخلا فى طاعة الامير فترة قصيرة لم تلبث أن تجددت الحرب بينهما حتى أواخر أيام الامير عبد الله(٣٢) . وكان عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الجليقى هو نفس عبد الله الذى ذكره ابن حيان فى المقتبس بقوله « وكان ابن ابنه عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن رهينة عنه بقرطبة ، اقام بدار الرهن فيها مدة وآلت اليه امارة بطليوس بعد جده وعمه وأخبارهم طويلة »(٣٣) .

وتصمت المصادر العربية عن تزويدنا بأخبار عن أسرة بنى عبد الرحمن بن مروان الجليقى بعد وفاة ابنه مروان سنة ٢٧٦هـ (٨٨٩م) ، كما أن ابن خلدون وهو المؤرخ الوحيد الذى يرجع اليه الفضل فى توضيح هذه الفترة الغامضة من تاريخ بطليوس لم يأت

---

(٣٢) ويقول ابن خلدون « ثم خرجا من حصن شونة ولحقا بآخر من أصحاب جدهما عبد الرحمن ، ثم اضطرب الاميران ببطليوس وتنازعا ، وقتل أحدهما الآخر واستقل ببطليوس ، ثم تسور عبد الله منها سنة ست وثمانين فقتله ، وملك بطليوس واستفحل أمره والمعجل له الامير عبد الله عليها . ونازل حصون البرابرة حتى طاعوا له وحارب ابن تاكيت صاحب ماردة . ثم اصطلحوا واقاموا جميعا طاعة الامير عبد الله ، ثم تحاربوا فاتصلت حروبهم الى دولته .. » (انظر ابن خلدون ، العبر ، مجلد ٤ ، ص ٢٩١) .

(٣٣) ابن حيان ، المقتبس فى تاريخ رجال الاندلس ، تحقيق انطونية ، ص ١٥ - ابن خلدون ، العبر ، ج ٤ ، ص ٢٩١ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بتفاصيل عن حوادث بطليوس فى الفترة بين مقتل مروان بن عبد الرحمن وبين اعتلاء عبد الله عام ٢٨٦هـ (٨٩٩م) ملك بطليوس ، ويأتينا كوديره بخبر غريب عن أحداث عام ٢٨٦هـ (٨٩٩م) فهو يذكر أن الامير عبد الله قتل الثائر فى بطليوس واستولى عليها سنة سنة ٢٨٦هـ(٣٤) (٨٩٩م) . وهذا خطأ واضح ، فقد خلط كوديره بين الامير عبد الله بن محمد وبين عبد الله بن محمد بن مروان الجليقى الذى تمكن من قتل صاحب بطليوس فى تلك السنة (٢٨٦هـ) (٨٩٩م) .

وواضح أن كوديرة قد فسر النص التالى الذى أورده ابن خلدون « ثم تسور عبد الله منها سنة ست وثمانين ، فقتله وملك بطليوس ، واستفحل أمره والمعجل له الامير عبد الله عليها »(٣٥) تفسيرا خاطئا ، فظن أن عبد الله الذى أورد ذكره أولا هو الامير عبد الله وهذا غير صحيح ، فلو أن الامير عبد الله هو المقصود بالهجوم على بطليوس سنة ٢٨٦ (٨٩٩م) لما عبر ابن خلدون عن ذلك بقوله (وملك بطليوس) لأن بطليوس ملك طبيعى للامارة ، هذا من جهة ، الى جانب تعبير ابن خلدون بقوله « واستفحل أمره » ، وهذا يدل على أن المقصود هو عبد الله الجليقى ، فليس من المنطقى أن يستفحل أمر الامير ، ثم قول ابن خلدون (والمعجل له الامير عبد الله) يؤكد أن الجليقى هو المقصود بهذه الاعمال بدليل أن الامير عبد الله قد عجل بالهجوم على المدينة بعد أن علم بتحركات الجليقى واستيلائه على بطليوس ، وأخيرا فابن خلدون حين يعنى الامير عبد الله ، لا يحذف عنه لقبه الاميرى ، وهذا يؤكد أن عبد الله حين ذكر فى العبارة ، لأول مرة ، كان يعنى به عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الجليقى ، وأن

---

(٣٤) Codera, Los Benimeruan, Op. Cit., 53.

(٣٥) ابن خلدون ، العبر ، مجلد ٤ ، ص ٢٩١ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ابن خلدون قد فرق بين الثـــائر وبين الامير بأن منح الامير لقبـه قبـل بدء الحديث عنه .

وينبغى أن نشير بهذه المناسبة الى أن اختلاف الواليين العربيين اللذين ولاهما الامير عبد الله على بطليوس وتنازعهما على ولايتها وولاية ما يتبعها من أقاليم قد ترتب عليـــه خروج بعض المدن التابعة لامارة بطليوس عليها ، ويزودنا كل من ابن حيـان(٣٦) وابن عذارى(٣٧) بخبر نستنتج منه أن حصن كركى وجبل البرانس انفصـــلا عن ولاية بطليوس فاستقل بهما ابن يامين وابن موجول من أعلام المخـــالفين ، الامر الذى دفع الأمير عبد الله الى توجيه حملة بقيـــادة عبـــاس بن عبد العزيز القائد الى هذين الموضعين ، وتمكن من قتلهما ، والاستيلاء على حصونهما فى سنة ٢٨٥هـ (٨٩٨م) .

(ب) موقف بطليـوس من حركة ابن القط :

فى عام ٢٨٨هـ (٩٠٠م) اجتاز أهل بطليوس أحداثا خطـيرة ، شملت بلاد الجوف كلها ، ماردة وبطليـوس وطليطلة ، وطلبـــيرة ، وتتمثل هذه الاحداث فى خروج الداعى المعروف بابن القط القرشى لقتال مملكة ليون ومن ورائه أهالى الجوف جميعا يساندونه ويجاهدون معه فى سـبيل الله(٣٨) . وكانت بطليـوس فى تلك الآونة تحت ســـيطرة عبد الله بن الجليقى .

---

(٣٦) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق انطونية ، ص ١٢٧ .
(٣٧) ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ١٣٨ ، حوادث سنة ٢٨٥هـ (٨٩٨م) .
(٣٨) يقول ابن حيان عن ابن القط ودعوته لأهل الجوف « فنزل نفزة عند بنى راشد على وادى انة فأقام لديهم شهورا ، وأظهر شأنه عندهم ، وخاطب من حوله يدعوهم ويعـــدهم ويمنيهم حتى استجاب له أهل ذلك الجانب ، واجتمع اليه جمع منه ثم ارتقى الى مكاتبة أهل ماردة وبطليوس وطليطلة وذلك الثغر فسارعوا =

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الاسكندرية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وابن القط هذا هو أبو القاسم أحمد بن معاوية بن محمد المعروف بالقط بن هاشم بن معاوية ابن الامير هشام بن عبد الرحمن الداخل، وكان من أهل العناية بالعلم والصناعة ، ومن المهتمين بوجه خاص بعلم النجوم ومعرفة الهيئة ، وكان وسيما حسن الصورة(٣٩) . وقد خرج على الامير عبد الله داعيا الامر بالمعروف والنهى عن المنكر الى الجهاد فى سبيل الله ، وقد ساعد ابن القط فى دعوته هذه شخص يعرف بأبى على السراج المعروف بالزاهد(٤٠) ، دعاه ورغبه فى الجهاد ضد الشرك وخرجا معا الى فحص البلوط Canton de los Pedroches ، وجبل البرانس Sierra de Almaden يدعوان البربر سكان الجوف والغرب الى الحق وازهاق الباطل ، ويرغبان هؤلاء القوم فى الجهاد ، ويصوران لهم

= اليه .. » (انظر ابن حيان : المقتبس ، تحقيق انطونية ، ص ١٣٧ ، ١٣٨) .

ويقول ابن حيان أيضا « وتجول فى بلاد البربر هناك يظهر لهم الزهد ويدعو الى جهاد الكفرة ، فاجتمع له خلق عظيم من برابر الجوف والغرب ومن أهل طليطلة وطلبيرة اقتحم بها أرض جليقية ، فقصد منها مدينة سمورة وذلك سنة ثمان وثمانين » (انظر ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق انطونية ، ص ١٣٩) .

(٣٩) ابن الابار ، الحلة السيراء ، جـ ٢ ، ص ٣٦٨ وقد قيل فى جماله شعرا هو :

أعجوبة ما سمعت قط
قالوا : رشا والده قط
قد قلدوك السيف يا سيدى
والقرط أولى بك والربط

(٤٠) ذكر ابن حيان أن هذا الرجل كان من شرار الخلق ، كان يتردد بجهات الثغر مخيلا بالجهاد ، واشتهر بخبث الطوية وسوء النية (ابن حيان : المقتبس ، تحقيق انطونية ص ١٢٧) وذكر عيسى بن أحمد الرازى نقلا عن ابن حيان أنه كان يلبس ثياب صوف وفى رجليه نعلان من حلفاء ، يركب حمارا (ابن حيان ، نفس المصدر ، ص ١٣٨) ويشبهه ليفى بروفنسال بالثائر الخارجى أبى يزيد مخلد بن كيداد اليفرنى فى جبال أوراس وافريقية على الدولة الفاطمية . انظر : Lévi-Provençal Histoire de L'Espagne musulmane, t. I, P. 382.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ضعف الامير عبد الله فى مواجهة أعداء الدين ، ونجحا فى دعوتهما فانثالت عليهما حشود من أهل هذه المنطقة تمكنت دعوتهما فى نفوسهم ، فاستألفا قبائلهم ، واستغويا طرائقهم ، واعميا بصائرهم(٤١) .

ومما لاشك فيه أن ابن القط استغل ما عرف به البربر من سذاجة وسرعة الايمان بالمعتقدات الدينية ، وهى ظاهرة وضحت عند البربر منذ أيام الفتح العربى للمغرب ، استغلها قبله عقبة بن نافع أحسن استغلال ، كما استغلها أيضا الداعية الاسماعيلى أبو عبد الله الشيعى .

وزحفت هذه الحشود الكثيفة من فحص البلوطالى فحص ترجيلة Trujillo حيث قبيلة نفزة البربرية ، فزعم انه المهدى ، ناصر الدين وعاصم المسلمين ، وهو بذلك قد سبق عبد الله المهدى وداعيته أبى عبد الله الشيعى بأعوام(٤٢) . فانضم اليه اهالى تلك المنطقة،ومن هناك وجه ابن القط دعاته ورسله(٤٣) الى جميع سكان الجوف والغرب ومن بينها أهل ماردة وبطليوس(٤٤) ، يدعونهم الى الجهاد معه ويعدونهم بالنصر على أهل جليقية ، ، ولم يلبث ابن القط ان افصح عن هدفه الحقيقى وهو الاستيلاء على سمورة Zamora التى قام الفونسو بتعميرها سنة ٢٨٠هـ (٨٩٣م) واسكنها بالنصارى ، واتخذها مقرا لحكمه ، ومركزا لتوجيه الغزوات الى دار الاسلام ، واصبحت تشكل تهديدا متواصلا على أراضى المسلمين لقربها منها ، وبعد ليون ، المقر

---

(٤١) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق انطونية ، ص ١٣٣ ، ١٣٤ .

(٤٢) Lévi-Provençal Op. Cit., P. 383.

(٤٣) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق انطونية ، ص ١٣٤ . ويقول ابن الابار « واجتمع اليه خلق عظيم يقال انهم بلغوا بين خيل ورجل ستين الفا أكثرهم من برابر الجوف والغرب ، ومن أهل طليطلة وطليرة ، قصد بهم الى سمورة .. » (انظر ابن الابار ، الحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ٣٦٩) .

(٤٤) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق انطونية ، ص ١٣٨ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

السابق لملكة جليقية عنها ، وسبب انتقال الفونسو الثالث الى سمورة انزعاجا للمسلمين ، وعظم عليهم امتداد مملكة اشتوريش وليون الى ذلك ، وقد نال المسلمون من هذه المدينة أضرارا شديدة بسبب سهولة طرق قوات اشتورياش منها الى أراضيهم ، واستعصائها على المسلمين لمناعتها وقوة بأس حماتها ، بالاضافة الى انشغال الدولة الاموية عنها بقتال أهل الخلاف عليها بوسط الاندلس ، وانشغالهم عن المسلمين بصفة مؤقتة بخلاف الداخلية ، مما ترتب عليه انقطاع الجهاد . ولكن المسلمين فى مناطق الثغر كانوا يخشون اليوم الذى يفض فيه ملوك المسيحية خلافاتهم فينصرفون اليهم ، ويعبر ابن حيان عن مخاوف المسلمين بقوله : « وصار أهل كل بلد من الثغور وما جاورها مضطرين الى مسالمة المشركين وملاطفتهم لما بينهم وبين جيرانهم من داء الفتنة ، فهم مع ذلك يتهافتون الى الجهاد ويتطلعون الى دخول أرض العدو ، فلا يجدون الى ذلك سبيلا ، ولا عليه معينا ، فلما وردتهم رسل هذا الرجل وقرءوا كتبه ، طابت أهواؤهم فخرجوا نحوه مبادرين اليه ، مستبقين نحوه ، كانما صبح فيهم لقدر مكتوب وحين مجلوب ، وصاروا اليه على الصعب والذلول(٤٥) ... » . وبلغ عدد انصار ابن القط من الفرسان والمشاة نحوا من ستين الفا أو اكثر ، خرج بهم من نفزة متجها الى سمورة ، حديثة الاستيطان ، وعبر بجموعه وادى تاجه وهو يعدهم بفتح سمورة وغيرها ، ولنا أن نتصور مدى افتتان هذه الحشود الضخمة من المريدين به ، وهو ما صوره ابن حيان عند وصفه للطريقة التى كان يحتال بها ابن القط على أنصاره ، فكان يتكهن لهم ويدعى ما يشبه المعجزات والكرامات الى غير ذلك من الاوهام التى يتغلب بها على عقول هؤلاء البربر البسطاء(٤٦) .

---

(٤٥) ابن حيان ، نفس المصدر ، ص ١٣٤ .

(٤٦) يقول ابن حيان « وعبر بجموعه وادى تاجه وهم معض (معصوصبون) مزدلفون الى قربه ، وهو يتكهن لهم ويعدهم بفتح سمورة وما وراءها ،ويقول لهم انه لن يأتى مدينة ويدنو =

ولحق بابن القط مزيد من المريدين الجـــدد من أهالى طليطـلة وطلبيرة Talavera ، ووادى الحجـــارة Guadalajara ، وشنت برية Santaver ، وفى نفس الوقت بدأ الخـلاف ينشب بينه وبين أنصـــاره القدامى من أهل نفـزة ، فقـد خاف رئيسهم وهو زعال بين يعيش بن فرانك النفزاوى أن يغلبه ابن القط على رئاسة قومه فقرر أن يفتك بابن القط ، وأن يغدر به ساعة لقائه مع العدو(٤٧) ، ثم زحف ابن القط فى حشـــوده حتى نزل على ضفة وادى دويره بالعـــدوة التى تلى ديار الاسلام ، وعسكر أمام سمورة . ومن هناك كتب الى اذفنش بن أردون (الفونسو الثالث) ملك أشتوريش وليون يدعوه الى الاسلام وينذره بالصاعقة منه . وكانت النتيجة أن غضب الفونسو وصمم على قتال ابن القط ، وذهب الى سمورة يعدها للقتال ، ثم أقام على ضفة نهر الوادى الكبير التىتلى سمورة . ثم اشتبك الفريقان على ضفة نهر دويره ازاء

= الى سورها الآخر قدامه وانفتحت له ، حتى فتن به كثير من الناس ، جهلة أتباعه ، وأقاموه مقام النبى الصادق قوله ، لضعف عقولهم وسفاه أحلامهم ، وكان يركب فرسـا نضـاحا كثـير العرق ، فسأله بعضهم عن سبب كثرة عرقه بحيث لا يعـرق خيولهم فقال : انى ما آمره بمكان أحاول تجاوزه الا وملائكته تجذبنى للمقـــام عندهم وملائكة المكان الذى أؤمله تنـــازعهم وتستكرنى الى مكانهـــا ، فلهـــذا ما ترون من عرق فرسى ، وزعموا أنه كان يأخذ عدة أعواد يابسة فيضعها فى كمه ويشد عليها شبه المعتصر حتى يقطر منها رشح يشبه الماء بحيلة من الشعباذ قد أحكمها يخيل أنه له ويقول هذه من بعض ما أعطانيه الله من الكرامة وسأريكم أكثر منهذه فى أوقاته ان أخر الله المدة ، ومضى بهم على جهته يوم سمورة ... » (انظر التفاصيل ، ابن حيان ، المقتبس تحقيق انطونية ، ص ١٢٥) .

(٤٧) ويمضى ابن حيان فى سرد تفاصيل علاقة ابن القط باتبـــاعه الجدد وكيف أساء ابن القط استقبال هؤلاء الانصار ، وكيف خرج لهم على حصان أشهب بثياب بيضاء وعمامة بيضاء،وكيف اختال أمامهم بفرسه فكاد يقع أمام قبته مما أســاء اليه والى مكانته أمامهم (انظر التفاصيل فى ابن حيـــان ، المقتبس ، تحقيق انطونية ، ص ١٣٥) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سمورة ، فانهزم عسكر الفونسو عند أول لقاء وولوا الادبار ، فطاردهم رجال ابن القط وحصروا النصارى عند واد وعر يقع قريبا من سمورة يقال له وادى أردونى فأبادوهم ، وجد فلولهم فى الفرار الى مدينتهم ، فجاءت هزيمة الاشتوريين على غير هوى زعال بن يعيش اذ كان يأمل فى أن تدور الدائرة على ابن القط حسدا فيه ، وعندئذ عزم زعال هو وقومه على خذلان ابن القط فنادى بشعار الهزيمة ، وانسحب من المعركة هو واتباعه النفزيين ، فاقتدى بهم الناس ، ورجع أكثرهم ، فانتهز الفونسو هذه الفرصة وكرت عساكره على المسلمين ، وأذرعوا فى صفوفهم فقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، عند عبورهم النهر ، وكانت كارثة محققة على المسلمين استمرت ثلاثة أيام وانتهت فى اليوم الرابع بهزيمة نكراء منى بها ابن القط ورجاله ، ولقى فيها مصرعه فى ٢٠ رجب ٢٨٨هـ (١٠ يوليو سنة ٩٠١م) ، فاحتز رأسه وأمر الفونسو بنصبه على باب سمورة ، وعرفت هذه الوقعة بيوم سمورة(٤٨) .

وبمقتل ابن القط تنتهى الاحداث التى عاشتها بطليوس فى زمن الامارة فى ظل واليهم الثائر عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الجليقى ، حيث أن المصادر لا تمدنا بأى معلومات عن الفترة الواقعة بين حركة ابن القط عام ٢٨٨هـ (٩٠٠م) وبين اعتلاء عبد الرحمن الناصر دست الامارة بقرطبة سنة ٣٠٠هـ (٩١٢م) ، وهذا يعنى سكوت المصادر عن تحركات عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الجليقى فى أثناء الاعوام العشرة الاخيرة من حكم الامير عبد الله الى أن يرد ذكره من جديد فى المقتبس لابن حيان فى حوادث عام ٣٠١هـ (٩١٣م) فى عهد عبد الرحمن الناصر .

---

(٤٨) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق انطونية ، ص ١٣٨ - ١٣٩ وراجع التفاصيل فى :
Cotarelo, Historia de Alfonso III, el magno, P. 265.
Aguado Bleye, Op. Cit., t. I, P. 483.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ونستدل من رواية ابن خلدون على أن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الجليقى أقام على طاعة الامير عبد الله فترة من الوقت ثم شغل بمحاربة جيرانه بالغرب ، فاتصلت حروبهم حتى نهاية عصر الامارة(٤٩) ، وواضح من رواية ابن خلدون أن الفترة التى أقام فيها عبد الله بن محمد بن الجليقى على طاعة الامير عبد الله كانت موقوته ، وانتهت بقيام الحروب بينه وبين جيرانه ، ونعتقد أن هذه الحروب انما نشبت بينه وبينهم بهدف توسيع رقعة أراضيه ، ومد نفوذه على المدن والمواضع القريبة من بطليوس . ومن الواضح أن نفوذ عبد الله بن الجليقى صاحب بطليوس كان يشتمل على مدينة ماردة ويابرة وبعض الحصون كحصن أروش وقلعة الحنش ومنتانجش ومنت شلوط ، كما تحالف مع بعض الثوار أمثال مسعود بن سعدون السرنباقى وكان متحصنا بحصن نيانى(٥٠) ، ومسعود بن ادانس صاحب قصر ابن ادانس(٥١) ، وسنرى كيف ثار عليه بعض القائمين بدعوة المولدين فى الغرب فى بداية عهد عبد الرحمن الناصر ، وعمدوا الى ضم بطليوس اليهم والقضاء على دولة بنى مروان الجليقى وأعنى بهم الحلفاء الثلاثة سعيد بن مالك صاحب باجة(٥٢) ، ويحيى بن بكر صاحب اكشونبه صهره ، وابن عفير صاحب لبله(٥٣) ، اتفقوا على محاربة ابن الجليقى .

---

(٤٩) ابن خلدون ، العبر ، ج ٤ ، ص ٢٩١ .
(٥٠) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ١٠٤ .
(٥١) المصدر السابق ، ص ١٠٦ .
(٥٢) كان قد أخرج العناصر العربية من باجة وتزعم دعوة المولدين ممتثلا ما كان قد حققه عبد الرحمن بن مروان الجليقى من قبل فى رئاستهم وتشيخهم على جماعتهم .
(٥٣) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ١١٦ - ١١٧ .

(جـ) بطليوس فى ظل السنوات الثلاثة الاولى من عهد عبد الرحمن الناصر :

فى بداية عام ٣٠١هـ (٩١٣م) فاجأ اردون بن اذفونش (٩١٤ - ٩٢٤م) ملك اشتوريش وليون(٥٤) أهالى مدينة يابرة بغزوهم ،

---

(٥٤) توفى الملك الفونسو الثالث فى (٢٩٨هـ) فى ٢٠ ديسمبر سنة ٩١٠م أثر مرض قصير وقد بلغ من العمر ٦٢ عاما ، وكان قد حكم أربع سنوات حكما مشتركا و ١٣ سنة منفردا . فقد كان قد أسند الى اردون Ordoño حكم مملكة جليقية فى حين تولى ابنه الاكبر غرسيه Garcia حكم مملكة ليون وابنه فرويله Fruela حكم اشتوريش ، ونونة فراند Nuno Fernadez حكم قشتالة وقنع الفونسو بالمقام فى سمورة مدينته الاثيرة لديه فى رفقة زوجته خمينة ، ومواصلة الصراع ضد المسلمين الى أن توفى فى نهاية عام ٢٩٨هـ - ٩١٠م ، (راجع :
Cotarelo, Alfonso III el Magno, P. 519, Aguado Bleye, Op. Cit., P. 485).

أما اردون فقد عهد أبوه الفونسو الثالث الى بنى موسى بن قسى أصحاب سرقسطة بتنشئته ، فعاش فى كنفهم حتى سنة (٢٧٣هـ) ٨٨٦م . وفى سنة (٢٧٩هـ) ٩٨٢م أسند اليه أبوه حكم مملكة جليقية ، فظل يتولاها الى أن توفى أخوه الاكبر غرسية فى سنة (٣٠٢هـ) ٩١٤م ، واستقر فى مدينة ليون التى أصبحت مركزا للادارة والحكم ، وفيها أنشأ قصره الملكى والكاتدرائية . أما عن نشاطه الحربى فكان موفقا . ويذكر أجوادو بليى أنه اجتاح أراضى ماردة فى سنة (٣٠١هـ) ٩١٣م واستولى على حصن الحنش وذبح كل حاميته وأن عبد الرحمن الناصر رد على هذه الغارة الشنعاء بحملة سيرها بقيادة ابن ابى عبدة نحو حصن قاشترة مورش المعروف بحصن غرماج San Esteban de Gormaz سنة ٣٠٥هـ(٩١٧م) ، فسارع الملك اردون للدفاع عنها واشتبك مع ابن ابى عبدة فى معركة ضارية انتهت بهزيمة القائد المسلم ومصرعه (راجع
Aguado Bleye, Op. Cit., P. 487.

ولكن ليفى بروفنسال يذكر استنادا الى رواية الرازى ان الحملة كانت موجهة الى يابرة (فى الاقليم الذى يعرف اليوم فى البرتغال باسم اليمتيخو Alemtejo ، وان الحملة الموجهة الى ماردة حدثت بعد ان أصبح ملكا على ليون اى على اثر وفاة أخيه غرسية فى سنة (٣٠٢هـ) ٩١٤م ، ويستند ليفى =

ففى أول هذه السنة (صيف عام ٩١٣م) عبأ أردون الثانى قواته وعزم على قصده مدينة يابره ، فخرج على رأس هذه الحشود الكثيفة التى بلغت ثلاثين ألفا(٥٥) من الفرسان والمشاة والرماة نحو الثغر الجوفى ، وكان يتولى يابره آنذاك من قبل الامير عبد الرحمن بن محمد ، مروان بن عبد الملك بن أحمد ، فنزلت عساكر أردون على يابره يوم الاربعاء ١٣ من المحرم من عام ٣٠١هـ (١٩ أغسطس ٩١٣م) ولم تكن أسوار يابرة من الحصانة الكافية بحيث تستطيع أن تصمد لحصار طويل ، فقد كان سورها خلوا من الدراوى (الستائر العليا) كما أنه كان بأحد جوانبه من الخارج تل كبير من أزبال المدينة التى يطرحها الاهالى . وأول ما فعله أردون أنه طاف حول سورها يتفحصه عساه يعثر على نقطة ضعيفة فيه يجتاح منها المدينة ، فألفاه سورا متطامنا منخفضا قد سقطت شرفاته وستائره ، وكانت الازبال قد تكدست وأحدث كوما مرتفعا يكاد يتساوى فى ارتفاعه مع ارتفاع السور . وعندئذ تكشفت له نقاط الضعف فى الدفاع عن يابرة واستبانت له العورة فى سورها ، فتحركت أطماعه فى فتحها بعد أن كان هدفه هو مجرد الغارة ، فمن هذا الكوم يمكن أن يجتاح المدينة بكل يسر وسهولة ويقضى على مقاومة اهلها دون أن يستطيعوا له دفعا . ويبدو أنه تظاهر بجهله لنقطة الضعف فى سورها ، فحاصرها من كل جانب ، وجد فى منازلة

= بروفنسال فى ذلك على رواية لابن خلدون وعلى رواية راهب سيلوس
Lévi-Provençal, Op. Cit., t, 11 P. 36
— Codera, los Benimeruan, P. 54, 59).
وان كان راهب سيلوس يجعل هذه الغزوة فى العام الرابع من حكم أردون الثانى ، والمقصود بذلك العام الرابع من وفاة الفونسو الثالث .

(٥٥) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ٩٣ ، مدونة عبد الرحمن الناصر ، تحقيق غرسيه جومث وليفى بروفنسال ، ص ٤٣ .
Una crónica anónima de Abd Al Rahman III, al Nasir, P. 43,
Aviles Fernandes (M.) y otros, España musulmana, t. V de la serie : nueva historia de España, Madrid, 1980, P. 106.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اهلها(٥٦) . ويصف ابن حيان نقلا عن الرازى اقتحام اردون للمدينة وصفا تفصيليا دقيقا ، فذكر انه امر جميع فرسانه بالترجل عن خيولهم للاشتراك فى القتال بما فيهم القوامس والاباترة (لعلها جمع لباتر اى الأب عند المسيحيين) ولم يستثن من رجاله سوى خمسة افراد من مشيخة اهل بيته(٥٧) . ثم بداوا يهاجمون اهالى المدينة المتترسين بأعلى السور ليدفعوا عن المدينة واستخدموا فى هجومهم النبال والسهام الحارقة التى لم يستطع المدافعون أن يتجنبوها لخلو السور من ستراته او ذرواته ، فلما اشتد الهجوم وتكاثرت عليهم النبال وعجز المسلمون عن الصمود واصبحوا هدفا للرماة ، تركوا الاسوار مكشوفة وتراجعوا عنها الى داخل المدينة ، وعندئذ خلا الجو للقوات الليونية للتسور عن طريق كوم الازبال الى اعلى السور ، وتمكنوا بفضل هذا الكوم من فتح ثلمة فى السور كانت قد سدت بالبناء مؤخرا ، ومنهما اخذوا يتسللون الى قلب المدينة ، فما شعر اهل المدينة الا وهم قد دخلوا عليهم من جميع نواحيها ، وصاروا معهم فيها ، فاحتمى المسلمون عند ذلك فى دفاعهم ، وشدوا عليهم شدة رجل واحد حتى اخرجوهم من داخلها ، وعادوا الى سورهم فصاروا فى اعلاه ، وقتلوا من العدو خلقا »(٥٨) .

وهكذا اخفق الهجوم الاول لقوات اردون الثانى ، عندما كر عليهم الاهالى فاخرجوهم من السور ، وارتقى المدافعون ممشاه المكشوف Promenoir من جديد . وكان لكرة المسلمين على القوات الليونية

---

(٥٦) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ٩٤ .
(٥٧) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ٩٤ ، مدونة عبد الرحمن الناصر ، ص ٤٤ .
(٥٨) المصدر السابق ، ص ٤٤ .
(٥٩) ممشى السور هو طريق المدافعين باعلى السور الذى يتحركون عليه للدفاع عن المدينة ، وكان ممشى السور فى اسوار المدن الاسلامية مزودا فى العادة بستارة ذات دروات وشرفات ، ولكن هذه الستارة كانت مهدمة فى سور يابرة .

أثرها العميق فى نفوسهم ، فقد أخرجوا من المدينة بعد أن افتتحوها ، ولم يطيقوا أن يفلت الزمام من أيديهم واستشاطوا غضبا ، ثم أنهم أعادوا تنظيم صفوفهم وكروا كرة رجل واحد ، فأوقعوا بالمسلمين هزيمة نكراء أشد أثرا على المسلمين من الهزيمة الاولى ، واضطر المسلمون الى التراجع عن الاسوار ، فاقتحمتها قوات أردون الثانى من جديد ، والتحموا مع أهل المدينة فى معركة عنيفة قتل فيها عدد كبير من الجانبين ، ودارت الدائرة على المسلمين ، فأذرع فيهم الليونيون قتلا ، وتكاثروا عليهم ، وأرغموهم على التراجع الى موضع بشرقى المدينة على مقربة من السور فحصروهم فيه ، ولم يستطيع المسلمون الدفاع عن أنفسهم لاكتظاظهم فى هذا الموضع الضيق وصعوبة تحركهم فيه ، فسهل ذلك على الليونيين ابادتهم فقتلوهم عن آخرهم ، واستباحوا المدينة ، فسبوا جميع نسائها وأطفالها عدا عشرة أفراد من وجوه أهل يابرة لجأوا الى احدى المنشآت الاثرية وارتقوا الى أعلاها وتحصنوا فيها ، وتحكموا فى الدفاع عن أنفسهم من قمة ذلك المبنى الى أن أجنهم الليل وفتر العدو عن ملاحقتهم بالقتال ، فتسللوا أثناء الليل واتخذوا من ظلامه ستارا أخفاهم حتى خرجوا منها الى مدينة باجة ، ولم ينج سواهم من أهل المدينة جميعا (٦٠) ، والظاهر أن عددا من الاهالى لاذ بالمساجد فذبحوا عن آخرهم ، ومن بينهم مروان بن عبد الملك عامل يابره الذى استشهد فى المسجد المنسوب اليه ، وبلغ مجموع عدد القتلى داخل المدينة ٧٠٠ رجل وعدد من سباهم العدو من النساء والاطفال ما يزيد عن أربعة آلاف ، ويعلق ابن حيان نقلا عن الرازى على هذه المذبحة بقوله « فذكر أهل الغرب أنه لم تدر بالاندلس على أهل الاسلام دائرة من قبل العدو ومنذ سكنت أشنع من هذه الدائرة ، ولا أفظع منظرا ، ولقد كان الداخل اليها بعد

---

(٦٠) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ٩٥ ،
R. Ricard, pour Comprendre l'art musulman dans L'Afrique de Nord et en Espagne, Paris 1924, P. 221.

خروج العدو بمدة يدخل اليها ، فيأتى ذلك المأزق الذى ضم اليه المسلمون عند الاحاطة بهم ، ولم يجدوا عنه منفذا ، فينظر الى عقرى جاثمين قد ركب بعضهم الرجال والنساء ، قد همدت جثثهم سافا فوق ساف فى سمك قامة وقامتين ، وصعد الى حائط السور ، فيرى منظرا موحشا شنيعا وهولا هائلا فظيعا ، وذلك الموضع يعرف بالافراتس بالعجمية Apretos اسما لضيقه »(٦١) .

ولما تحقق لاردون ما كان يسعى اليه بادر بالرحيل عنها فى صبيحة اليوم التالى أى الخميس : خوفا من رد فعل عبد الله بن الجليقى صاحب بطليوس الذى فجع بالكارثة ولم يتهيأ له المجال للتدخل فى الوقت المناسب ، وكان لهذه الغزوة المفاجئة ليابرة أكبر الاثر على الثغر الجوفى بأجمعه ، فقد جزع سائر أهل الغرب لهذه الحادثة الاجرامية جزعا شديدا ، واتخذوا منها نذيرا لهم من غزوات مقبلة ، فأخذوا يحسبون لغدهم كل حساب وشرعوا فى ترميم معاقلهم واصلاح أسوارهم ، وتحصين مدنهم ، وحفظ عورتهم ، وكان أكثر المهتمين بذلك أهالى مدينة بطليوس كبرى مدائن الغرب ، وقاموا بتنفيذ ذلك خير قيام ، وكان سور قصبتهم التى ابتناها عبد الرحمن بن مروان الجليقى من تراب الطابية المرزوم بالمداوس وبالطوب المشمس(٦٢) . فخاطب أهل بطليوس أميرهم عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الجليقى فى ضرورة النظر فى تحصين مدينتهم بسور قوى ، فاستجاب لذلك ، وخرج مع

---

(٦١) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ٩٥ ، مدونة عبد الرحمن الناصر ، ص ٤٦ وكلمة apretos (مضايق) من المصدر apretar يعنى يضيق أو يشدد الضغط . وقد يكون من الاتراش المحرفة من اللفظة الرومانسية Estrecho

(٦٢) الطابية نوع من الملاط الذى تختلط فيه قطع الحجارة غير المنتظمة بالثورة والكلس واللبن ويعرف فى الاسبانية باسم Tapia وبالفرنسية Pisé (راجع :
R. Ricard, pour comprendre l'art musulman, P. 326 — George Marçais, l'Architecture musulmane d'Occident, Paris 1954, P. 224.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كبـــار مشايخهم ليشرف على تحصينها بنفسه ، وجمع العمال والفعلة لتقوية متن السور وزيادة عرضه فجعلوه فى عرض « عشرة أشبار لوحا واحدا »(٦٣) أى ما يعادل مترين ٠

وبعد أن اطمأن عبد الله بن محمـــد الجليقى الى قوة معـــاقل بطليوس ، تطلع الى يابره المهجورة ، فقد كان يتوقع ان يلجـأ اليهـا جماعات البربر يسكنونها ويضايقونه بسكناهم فيها ، فعزم على هدم أسوارها وتدمير أبراجها فتكون عورة لا يطمع أحد فى النزول بهـــا ، فخرج مع قوة من اتباعه الى يابرة ، فهدم ابراجها ودمر بقية أسوارها وسواها بالارض ٠ ثم تركها خالية طوال ذلك العام ٣٠١ (٩١٣) حتى اذا ما استهل عام ٣٠٢هـ (٩١٤م) أقبل هذه المرة لاعادة بنيان أسوارها ليسكنها مسعود بن سعدون السرنباقى حليفه وتابعه وابن صـــاحبه القديم(٦٤) ، مع من يصحبه من انصاره الشاردين الخـارجين عـلى الحكم الاموى ، وكما هدم عبد الله الجليقى أسوار المدينة وأبراجهـا فى العام السابق خوفا من أن ينزل المدينة من يتهدد بلده من المغامرين عاد لبنائهـــا من جديد فى العـام التـالى لينزلهـــا صـــاحبه مسعود بن سعدون(٦٥) ٠ ولالتجاء مسعود بن سعدون السرنباقى بيابرة قصـة طويلة كان عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الجليقى صاحب بطليوس طرفا فيها بحكم محالفته لمسعود ، وايوائه له بجواره فى يابره ، فقـد

---

(٦٣) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ٩٦ ٠
(٦٤) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ٩٦ ٠
(٦٥) يقول ابن حيان « فيها (٣٠٢هـ) أنزل عبد الله بن محمـــد بن عبد الرحمن المعروف بابن الجليقى ، صاحب بطليـوس وأعمالها ، حليفه مسعود بن سعدون المعروف بالسرنباقى ومن معه من قومه الشاردين عن الجماعة ، مدينة يابره الحديثـة ، الخراب بأيدى الكفرة سنة احدى وثلاث مائة ، وابتنى لهـــم سورها وعمر بهم مكانهـــا ، فأهلت بهم مساكنهـــا بعـــد اقوائها ٠٠ » (انظر ابن حيـــان ، المصـــدر الســـابق ، ص ١٠٤) ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سبق أن أشرنا(٦٦) أن مسعود هذا كان متحصنا بحصن يقع شرقى مدينة شنترين يعرف باسم نيانى ، وكان صديقا لسعيد بن مالك صاحب مدينة باجة الذى سيطر عليها بعد جلاء العرب عنها .

وحدث أن استدعى سعيد بن مالك ، مسعود السرنبـــاقى من حصنه ليستعين به وبأتباعه على عدوه يحيى بن بكر المنتزى بأكشونبة ووعده مقابل ذلك أن يوسع له فى بلده ، ولم يتردد مسعود فى الاستجابة لطلبه ، فوفد عليه بباجة ومعه جموع أصحابه ، فأنزلهم سعيد فى حصن البشتريل من حصون باجة ويقع على مسافة تبعد عشرين ميـلا غربى باجة ، وبوصول مسعود وقواته ، تقوى سعيد بن مالك وأخذ يدفعه لازعاج يحيى بن بكر ومضايقته حتى اضطر يحيى الى مصالحة غريمه سعيد بن مالك .

وأصبح وجود مسعود على مقربة من ســـعيد بن مالك ويحيى بن بكر بعد مصالحتهما شوكة فى جنبيهما ، فقد أخذ يشعر باعتـــداده بنفسه عليهما ويحس بأهميته فى المنطقة بعد أن ارتفعت المنـافرة بين الغريمين ، ثم أنه أخذ يتحصن فى معقله ويعمل على حماية قومه،وانقطع عن توجيه الغارات على الحصون المجاورة ، فاجتذب الانصـار اليـه وانتجع الناس بلده وقصدوا حصنه لعدالته وحسن سيرته ، حتى كثرت رعيته ، وصلح حال أهل حصنه ، فأثار بذلك غيرة صديقه القديم سعيد بن مالك وحليفه الجديد يحيى بن بكر ، فكرها جيرته وعمـلا عـــلى طرده من حصنه ، فاصطنعا الخداع والحيلة للتخلص منه ، فكتبا اليـه يدعوانه للقائهما فى موضع من بسيط باجة واكشونبه ، وحددا له موعدا بعينه ، وفى ذلك اليوم خرجا اليه بسائر رجالهما وانصارهما ، فى حين خرج مسعود السرنباقى صافى النفس لا يخامره أدنى شك فى نيتهما ،

---

(٦٦) فى نهاية الحديث عن بنى الجليقى فى عصر الامارة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولا يدرى الشرك الذى نصباه له ، فغدرا به مع خاصته وقيـــداه ، ثم سجناه ، وأرسلا الى الحصن من أخرج منه أهله وولده واستوليا على ما فى الحصن من مال وسلاح ، وفرقا رعيته بين بلديهما(٦٧) . وهم يحيى بن بكر بقتله والتخلص منه ، فأنكر ذلك عليه سعيد بن مالك وابنه مالك بن سعيد ومنعاه من الاقدام على تلك الجريمة الشنعاء بعـد أن جاء اليهما مطمئنا ، وكان سببا فى مصالحتهما ، وحسبه ما أصابه من خروجه عن حصنه وتشريد قومه ، وقرر الحليفان أن يطلقـــا سراحه ويتركا له حرية الانتقال حيث شاء ، فمضى مسعود الى بكر بن مسلمة صاحب حصن أروش لثقته فيه ، ثم أن بكر كان قد زوج ابنـــه من ابنة مسعود السرنباقى قبل تلك الحادثة ، فأقام مسعود فى كنف صهره بـــكر بن مسلمة فترة من الوقت حظى خلالها برعاية صهره وحسن تقبله له ولكن مسعود ضاق من وضعه نزيلا على صهره عبئا عليه ، كمـــا أنه احس بأنه فرط فى حق من حقوقه ، وشرد قومه فتفـرقوا أيدى ســبأ ، فعزم على جمعهم تحت لوائه ، وعلى هذا النحو ترك أروش الى قصر أبى دانس(٦٨) ، حيث نزل عند صاحبها مسعود بن ادانس ، فأحسن استقباله واكرمه وعظمه ، واقام عنده فترة اتصل خلالهـا مسعود بن سعدون بحليفه عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الجليقى حفيد حليف ابيه ، وأخذ يطلعه على ما أصابه من سوء الحال ، وما انتهى اليه أمره من تشريد وضـــياع ، وناشـــده أن يرعى بحق الدعوة المولدية التى تجمعهما ، والحلف الذى كان قائما بين جده عبد الرحمـــن بن مروان الجليقى وبين ابيه سعدون السرنباقى ، وأخذ يذكره بالصـداقة التى كانت تربط بين أبويهما ، وكانت منزهة عن الاغراض الدنية ، صـداقة خالصة هدفها التضامن والحلف والموالاة والنصرة ، وتجلت عندما ساند

---

(٦٧) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ١٠٤ ، ١٠٥ .
(٦٨) المصدر السابق ، ص ١٠٥ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سعدون السرنباقى جده عبد الرحمن الجليقى بنفسه وقومه ، وعندما طالع عبد الله الجليقى مضمون الرسالة استعظم ما وصل اليه أمر مسعود وعز عليه أن يلقى هذا المصير ، فأجمع هو وقومه على نصرته والاخذ بيده ومساعدته(٦٩) .

ولم يلبث أن أقدم على دعوة مسعود السرنباقى الى النزول هو وخاصته وعدتهم خمسون رجلا بيابره ، كما كتب الى مسعود بن أدانس يطلب منه يأذن لمسعود السرنباقى وخاصته ومن يفد اليه من قومه بالرحيل من عنده الى يابره على أن يشيعه(٧٠) بنفسه وأصحابه حتى لا يتعرض مسعود لكمين ينصبه له خصماه سعيد بن مالك أو يحيى بن بكر ، ومبالغة من عبد الله الجليقى فى الترحيب بالسرنباقى ، لم يتردد فى التوجه بنفسه مع رجاله الى يابرة قبل وصول حليفيه مسعود السرنباقى ، ومسعود بن أدانس ليكون فى استقبالهما عند وصولهما ، وحرص على أن يرافقه جمع كبير من الفعلة وعرفاء البناء بضروب

---

(٦٩) يقول ابن حيان « فاستعظم عبد الله وقومه ما جرى على ابن سعدون ، وأنفوا له وأجمعوا على معونته والاخذ بيده ، واعترفوا بذمامه وحق والده وقالوا : هذه مدينة يابرة بقربنا ، قد صارت منذ زال عنها العدو ضررا على أطرافنا فلنسكنها هذا الرجل وقومه ، ولنغنهم على ايطانها وعمارتها ، فاذا أسكنوها استرحنا من غمها ، وصارت مع ذلك فى عداد أعمالنا ، فأجمعوا على ذلك ووافقهم على ذلك أميرهم عبد الله بن محمد ، وخاطب مسعود بن سعدون عند ذلك أن يرحل الى يابرة بأهله وولده ومن لحق به من قومه .. » (انظر ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ١٠٦) .

(٧٠) ذكر ابن حيان أن عبد الله الجليقى صاحب بطليوس كتب الى مسعود ابن دانس صهر مسعود السرنباقى يطلب منه أن يشيعه ورجاله من بلده الى يابره ، وهذه العبارة توضح لنا أن ثمة علاقة مصاهرة كانت تجمع بين مسعود السرنباقى ومسعود بن دانس وكذلك بين مسعود السرنباقى وبين بكر بن مسلمة صاحب أروش (انظر ابن حيان : المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ١٦) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الآلات والعدة لاعادة اصلاح ما تهدم فى يابره من أسوار وجبر ثلماتها ، وتقوية أركانها ، وغلق ما تفتح من أبوابها . وتولى ابن الجليقى اصلاح ما وهى من الاسوار بالبناء ، وحصن عوراتها قبل أن يصل صاحباه ، ثم خرج لاستقبال المسعودين عنـــد وصولهما ، ثم ســـلم لمسعود بن السرنباقى مدينة يابره وقد دارت بها الاسوار وسدت فيها الثغرات وهو يقول له « هذه لك ولقومك فانزل بمن معك على اسم الله ، فاكتب الى من قعد عنك من قومك واستبدل بهم ، فرغبهم فى الاقبـال ، وحضهم على الاستجماع ، وعدهم عنى بالمعونة على توسعة المعيشة ، والحملان من الرجلة ، فســـوف أفى لك ولمن فاء اليـك بالموعدة ، حتى يلم الله شعثك ويرد اليك قومك ، ويعيدك الى أحسن حالك ، فتكونوا لنـــا ظهـــره ... »(٧١) .

واهتزت نفس مســعود بن السرنبـــاقى أمام كرم ابن الجليقى وشهامته ، ولم يستطع أن يعبر له عن شكره ويقدر له عظيم صنعه لكل ما أسداه اليه بأكثر من أن يعده بالوفاء والموالاة . واقام ابن الجليقى أياما أورد الى يابره أثناءها كميات كبيرة من الاطعمة والاقوات وزودها بالخيل والبغال والكسوات ، ثم رحل عنها بعد أن اطمأنت نفسه لحليف صادق ، يقوم عنه بمهمة الدفاع عن يابرة ويحمى له بطليوس بهـــذا الخط الدفاعى الامامى . وسرعان ما انتشر خبر نزول ابن السرنباقى بيابره ، فى النواحى المجـاورة ، وعرف به قوم ابن السرنبـاقى الذين توزعوا فى باجة واكشونبة ، فأقبلوا اليها كما أقبل كل من نجا من مذبحة الليونيين من أهلها ، ومن أفلت من أسارهم ولم تلبث أن عمرت المدينة بأهلها وتزايد عدد سكانها بما عرف عن مسعود السرنبـــاقى من حب للعدالة وما أشيع من كثرة الخيرات والمرافق بها ، وفى ذلك يقـول ابن حيان « ولحق بأميرها ابن سعدون أكثر أصحابه الذين كانوا احتسبوا

---

(٧١) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ١٠٧ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عنه باكشونبة وباجة وغيرهما فكثرت حوزته وعمرت خطتهـا ، وعدل فى رعيته ، فتزيدت عمارة يابره ونمت فى غلاتهـا فصلحت بذلك حاله وحال اهلهـا معـه ، فكان ذلك سبب سـكناها وعمارتهـا الى اليوم »(٧٢) .

وفى عام ٣٠٣هـ (٩١٥م) أى العام التالى من نزول مسـعود بن سعدون السرنباقى فى يابره اصطلح عبد الله بن محمد الجليقى مع سعيد بن مالك صاحب باجة ، وكان لهـذا الصلح أسباب ، كمـا كان لخصومتهم قبله أسباب ، وترجع أسباب الخصومة وفقا لما ذكره الرازى الى أن سعيد بن مالك عندما استولى على مدينة باجة ، أخرج من فيها من العناصر العربية ودعا للمولدين ، وأراد بذلك أن يظهر على عبد الله بن الجليقى وان يتقدمه فى دعوة المولدين ، فيتزعم حركتهم فى الغرب ، ويحتل بذلك مكانة عبد الرحمن بن مروان الجليقى شيخ ثورة المولدين فى غرب الاندلس فى زمنه ، ونجح فى ضم يحيى بن بكر صاحب أكشونبة اليه بعدان أصهر اليه وسوى معه بتلك المصاهرة الخـلاف الذى كان قائما بينهما ، كما نجح فى الوساطة بين يحيى بن بكر وبين ابن عفـير المنتزى بكورة لبلة(٧٣) ، وتحـالف الثـلاثة فيما بينهم وأصبحوا يدا

---

(٧٢) المصدر السابق ، ص ١٠٧ .

(٧٣) لبلة تتصل بأحواز أكشونبة وهى مدينة قديمة حسنة فى غرب الاندلس تعرف بالحمراء بها آثار كثيرة للاول ، وكان لها سور منيع قائم على تماثيل أربعة وانفردت بهذه البنية من بين سائر المدن ، ومن مدنها مدينة جبل العيون Gibraléon ، وتجتمـع مياهه من عيون ثلاثة تخرج من جبل قطر شانة ، ويجاز عليه فى قنطرة الى لبلة ، وبها أسواق مرتبة وتجارات،ويصلح بها دبغ الجلود ، وبينها وبين البحر المحيط ستة أميال . ولبلة جامعـة لفوائد الكور ، كثيرة العنب والزيتون ، وضروب الثمـار يكثر فيها القرنفل الفاضل ويجود بها العصفر ، وهى سهلية جبلية ، وبها صيد وفير من الطير والوحوش والاسماك (انظر جغرافية الاندلس لمؤرخ مجهول ، لوحة ٥٢ ، ابن غالب ، قطعـة من فرحة الانفس ، تحقيق د . لطفى عبد البديع ، مجلة معهـد المخطوطات العربية ، عدد ٢ ، نوفمـبر ١٩٥٥ ، ص ٢٩١ ، معجم البلدان ، مادة لبلة) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

واحدة على عبد الله بن محمد بن الجليقى . ثم حاول الحلفاء الثلاثة ، أن يضموا بكر بن سلمة صاحب أروش الى حلفهم ، ولكنه أبى عليهم ذلك وأنف أن ينضم طرفا فى هذه المؤامرة على عبد الله الجليقى بعد أن كان حليفا قديما لجده عبد الرحمن بن مروان الجليقى ، ناظم جماعة المولدين ، بل أنه تمسك بموالاة عبد الله بن الجليقى والتحالف معه على خصومه ، وبدأ سعيد بن مالك ومعه أنصاره بالعدوان على ما كان بيد عبد الله من أراضى ، وكان على عبد الله بن محمد الجليقى أن يتحرك سريعا فيتصدى لهذه المؤامرة الخسيسة ويواجه هذا الحلف الثلاثى بكل ثقله قبل أن يفلت منه زمام المبادرة ، فبادر بحشد حشوده وخرج ومعه حليفه بكر بن سلمة صاحب أروش فى جيوشه الكثيفة للقاء سعيد بن مالك وحليفيه ، فنزل عبد الله بن الجليقى فى قرية الطمال التى تبعد عن باجة بنحو خمسة أميال وبدأ بارهاب أعدائه ، وذلك بافساد الزروع وحرقها وقطع الشجر والاغارة على المناطق المجاورة ، وكان من الطبيعى أن يتحاشاه ابن مالك ، ويتجنب الاشتباك معه بعد أن تبين له عظم قوته ، كما أنه خاف من مغامرة الاصطدام به وآثر مصالحته ، وتناقش مع صاحبيه فى ذلك فوافقا على مسالمته ، وأرسلا له رسولا من قبلهما يستلطف الجليقى ويحمل اليه اعتذارهما ، ولم يسع عبد الله الجليقى الا أن يقبل هذا الاعتذار بعد أن اعترفا له بأنه سيد أهل هذه الدعوة المولدية وابن شيخها ، وبعد أن أبديا رغبتهما فى ارضائه وعقد الصلح معه ، عاقدهما ابن مروان الى ما أحباه ، كما عاقده ابن عفير صاحب لبلة ، وعندئذ قفل عبد الله بن الجليقى عائدا الى بطليوس ، ولكن ابن عفير سرعان ما نقض عهده مع عبد الله الجليقى ، فبدأ يغير على أعماله ، وحاول ابن الجليقى أن يثنيه عن سوء فعله وأخذ يحثه على الوفاء بعهده معه على الصلح والسلم(٧٤) ، غير أن ابن عفير أصر على عدوانه ونكثه لعهده ، ولم يتراجع عن عزمه ،

---

(٧٤) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ١١٨ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وعندئذ أعد ابن الجليقى عدته لمحاربته ، والتصدى له ، فزحف اليه بعدته وعديده ، وأمر بكر بن سلمة صهره أن يأتى اليه بجميع قواته لمحاربة ابن عفير الناكث للعهد ، وتمكنا من التغلب على ابن عفير وتأديبه بعد أن نجحا فى افتتاح حصنه المعروف بالمنت ، وفى ذلك يقول ابن حيان « واستمد عليه بكر بن سلمة صهره ، فجاء بجميع من معه واجتمع فى طريقه الى ابن عفير ، فنزلا معا بجمعهما على حصن لابن عفير يعرف بالمنت فى وسط بلده ، وحارباه حتى افتتحاه ، فغنم عبد الله بن محمد ما أصابه فيه وقتل بعض رجاله ، وأسر باقيهم وانتقل عنه الى حصن بلاييش Velillos ، وقد شده ابن عفير بحماة رجاله ، فحاربهم ابن مروان يومه الى الليل وابن عفير بحيث يراه ، وجالت الخيل فى بسيط هذا الحصن وأغارت عليه ، واستاقت أمواله ، واعتاص الحصن فى ذاته على ابن مروان وقد بات عليه ، فرجل من الغد قافلا الى بطليوس طاعته وقد أخزى ابن عفير وأذله »(٧٥) . وكان قد بلغ عبد الله بن الجليقى ان ابن الفرج شيخ مكناسة الاصنام قد استطال على أعمال ابن مروان ببطليوس وأغاروا على أطراف دولته ، فما كاد ينتهى من تأديبه لابن عفير حتى تفرغ له عقب قفوله عن لبلة ، وعزم على وضع حد لعيثه فى أراضيه ، ولذلك فما كاد يعود الى بلده حتى خرج فى حشد من قواته وفرسانه لمواجهة المكناسيين ، فوطأ بلادهم ، وعاث فيها فسادا واستولى على احدى قراهم وهى قرية قسولة ، وكانت من أكبر قراهم ، وأكثرها غنى ، وكانت وكرا للمفسدين وقاطعى الطرق ، فقتل رجالها ، ودك مبانيها ، وجعل أعاليها أسافلها ، فأثار ذلك الغزو البطليوسى حفيظة المكناسيين فبادروا بتتبع عبد الله بن الجليقى عسى أن يلحقوا به ويستردوا ما غنمته قواته من أموالهم ومتاعهم ، ودار القتال بين الطرفين وأسفر عن هزيمة المكناسيين ، ومقتل أعداد كثيرة من فرسانهم ووجوه رجالهم ، وحال

---

(٧٥) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ١١٨ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الليل بين قوات بطليوس وبين فلولهم ، فعاد الجليقى الى بطليوس مظفرا ، غانما ، وبهذه الغارة تمكن عبد الله بن الجليقى من فرض هيبته على جميع أعدائه . وعلى الرغم من الهزيمة النكراء التى تلقاها شيخ مكناسة على يد ابن الجليقى ، فقد عاود الكرة اذ عز عليه أن يتقبل الامر الواقع ، فأخذ يجمع فرسانه ويغير بهم على الاراضى التابعة لعبد الله الجليقى عسى أن يدرك منها شيئا ، فاستاء ابن الجليقى من هذا الاعتداء السافر على أملاكه وقرر أن يلقنه درسا جديدا لا ينساه ، لذلك فقد عاد الى غزو بلاده ، وهاجمه فى بيت له كان قد خرج اليه للشراب مع المقربين اليه من أتباعه ، غير أن عبد الله الجليقى لم يتمكن من مفاجأة ابن الفرج بسبب عين من عيون ابن الفرج من مستأمة مكناسة كان عند ابن الجليقى بادر بتحذيره بوقت كاف قبل أن يهاجمه ابن الجليقى ، فأسرع ابن الفرج باللجوء الى حصنه واستعصى على ابن الجليقى مفاجأته ، فلما وصل ابن الجليقى لم يجد ابن الفرج فى مجلس شرابه الذى كان قد أعده لذلك ، فاكتفى بالاغارة على المناطق المحيطة بهذا الموضع ، وأرسل رجاله بخيولهم على البسيط يكتسحونه وينهبونه حتى امتلأت أيديهم بالغنائم ، فعادوا مع رئيسهم عبد الله الجليقى الى بطليوس ، ولكن شيخ مكناسة لم يسكت على ذلك وقرر أن يقتفى أثره ثم يفاجئه بالهجوم ، ويثأر لنفسه ولقومه ، فجمع ابن الفرج رجاله وتتبعوا الجليقى(٧٦) وأنصاره ، ثم هاجموه عند نهير ، غمر الماء ضيق المجرى ، فبادر بالهجوم على قوات عبد الله بن الجليقى ، فارتد اليهم بقواته واشتبك معهم فى قتال عنيف انتهى بهزيمة المكناسيين من جديد وفرار زعيمهم ، ورفع انتصار عبد الله بن الجليقى من قدره أمام خصومه ، واسترداده مكانته زعيما لطائفة المولدين فى الغرب .

---

(٧٦) المصدر السابق ، ص ١١٩ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(د) الأخطار التى أحاطت ببطليوس منذ عام ٣٠٣هـ (٩١٥م) حتى مصرع عبد الله ابن الجليقى سنة ٣١١هـ (٩٢٣م) :

تعرض كوديرة(٧٧) فى دراسته القيمة عن بنى مروان الجليقى لحمله أردون ابن رذمير Ordoño hijo de Ramiro (٧٨) على الغرب وأرخها فى عام ٣٠٢هـ (٩١٤م) ويتفق معه ليفى بروفنسال فى هذا التاريخ(٧٩) بناء على ما ذكره ابن خلدون ، اذ يقول « وكان فى أول المائة الرابعة ، ملك على الجلالقة أردون بن رذمير بن برمند بن فريولة بن اذفونش بن بيطر ، وخرج سنة اثنتين وثلاثمائة الى الثغر الجوفى لأول ولاية الناصر ، وعاث فى جهات ماردة وأخذ حصن الحنش ، وبعث الناصر وزيره أحمد بن عبده فى العساكر الى بلاده فدوخها ... »(٨٠).

هذا الى جانب ما جاء به كوديرة من اشارات وردت فى مدونة سيلوس عن هذه الحملة التى قام بها أردون الثانى على ماردة وبلاد الغرب . وعلى الرغم من أن مدونةسيلوس تؤخر هذا التاريخ اربع سنوات الا أن كوديرة أخذ برأى ابن خلدون وأرجع تاريخ هذه الحملة الى عام ٣٠٢هـ .

ويذكر صاحب مدونة سيلوس أن أردون الثانى خرب فى حملته اقليم ماردة وأنه استولى على حصن الحنش ، وتضيف المدونة ان جميع

---

(٧٧) Codera, Los Benimeruan, P. 54.

(٧٨) صحته أردون بن الفونسو وليس ابن رذمير .

(٧٩) Lévi-Provençal, Histoire de L'Espagne, Vol. 2.
ويبدو أن ليفى بروفنسال لم يعتمد فى رأيه هذا عن حملة أردون الا على ابن خلدون ولم يطلع على ابن حيان اذ كان لا يزال مخطوطا رغم أنه كان فى متناول يده .

(٨٠) ابن خلدون ، العبر ، المجلد الرابع ، ص ٣٠٧ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

البربر كانوا يدافعون عن الحصن فى حين سبى الغزاة النساء والذرارى ، وظفروا بغنائم هائلة من التحف الذهبية والفضية ، والمنسوجات المصنوعة من الحرير . أما أهل ماردة جميعا فقد خرجوا مع ملكهم حتى بطليوس يحملون الهدايا القيمة ويطلبون السلم(٨١) .

وبالرجوع الى ابن حيان المصدر الرئيسى لحوادث هذه الفترة الذى لم يرجع اليه كوديرة فى تأريخه لهذه الغزوة تتضح لنا النقاط التالية :

١ - أن التاريخ الصحيح والصريح لخروج هذه الحملة المسيحية الى الغرب الاندلسى كما أورده ابن حيان(٨٢) هو عام ٣٠٣هـ (٩١٥م) ويؤيد هذا التاريخ الاستدلال المنطقى استبعاد سنة ٣٠١هـ (٩١٣م) لتكون تاريخا لحملة اردون على ماردة وحصن الحنش لأن هذا العام شهد وفاة غرسية ملك ليون واعتلاء اردون الثانى أخيه دست المملكة ، ومن الطبيعى أن يسعى اردون الملك الجديد الى اثبات وجوده وسطوته فى بداية حكمه ، فيستهل عهده بهجوم خاطف ومركز على مدينة يابرة يترتب عليه تدمير أسوارها ، وتشهد الشهور الباقية من هذه السنة قيام أهل بطليوس بتحصين بلدهم وتخريب ما تبقى من أسوار يابرة حتى لا تكون مقرا وسكنا للبربر يتهددون منها بطليوس ، وعلى هذا النحو يتبين لنا استنادا الى ابن حيان الذى يعتمد بدوره على الرازى أن عام ٣٠١هـ (٩١٣م) لم يشهد اى نشاط عسكرى جديد لاردون الثانى فى أراضى الغرب، وهو أمر يبدو منطقيا للغاية فمن الحكمة أن يحتاط اردون فلا يغامر مرة اخرى بعد أن استثار عليه جميع القوى الاسلامية فى الغرب ، وعليه أن ينتظر فرصة اخرى مواتية ليضرب ضربته التالية . أما عام ٣٠٢هـ (٩١٤م) الذى يعتقد كوديرة أنه العام الصحيح الذى تم

---

(٨١) Codera, los Benimeruan, P. 55.

(٨٢) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ١٢٠ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فيه وقوع الغزو فنستبعده أيضا لأنه شهد وقائع عديدة ساقها ابن حيان على مدار السنة بحيث لم يعد هناك مجال لسرد أخبار أخرى على قدر كبير من الخطورة ولا يمكن اغفالها : كأخبار حملة أردون على الغرب مثلا ، فكما أوضحنا من قبل كان ذلك العام مشحونا بأخبار الخلافات التى وقعت بين مولدى الغرب من جهة ، واهتمام عبد الله بن الجليقى باقرار صاحبه السرنباقى على يابرة ، فلو أن هذا العام كان حقا نفس العام الذى تم فيه غزو أردون للثغر الجوفى لما تفرغ الجليقى لتعمير يابرة تمهيدا لاستقرار السرنباقى ، وفى هذه الحالة ربما كان قد صرف جهده لتحصين بلاده ضد أى عدوان لا تتهيأ لأهل الغرب القدرة على دفعه ومقاومته . ويسوقنا الحديث الى عام ٣٠٣هـ (٩١٥م) الذى يسجل فيه ابن حيان نقلا عن الرازى خروج أردون بن اذفونش لغزو بلاد الجوف ، فى وقت بلغت فيه الفتنة ذروتها فى الغرب ، على النحو الذى صورناه فى الصفحات السابقة . ويعبر ابن حيان عن الحالة السيئة التى وصل اليها التفتت السياسى فى الغرب عند خروج أردون بقوله « فخرج من مدينة ليون حضرته الى مدينة سمورة ، وتلوم فيها حتى تتامت جموعه ،ففصل منها نحو بلد الاسلام ، والمسلمون يؤمئذ فى طخية من الفتنة ، وعلى انبتات من الجماعة (٨٣).والواقع أن علم ٣٠٣هـ (٩١٥م) كان أكثر الاعوام الثلاثة التى انصرمت على بداية القرن الرابع اضطرابا لأنه شهد منازعات حامية وصراعات دامية بين رؤساء المولدين فى الغرب على زعامة الدعوة المولدية التى كان يتولاها عبد الرحمن بن مروان الجليقى بجدارة واستحقاق ثم انتهت الى عبد الله الجليقى حفيده بعد أن تغلب على جميع منافسيه عليها .

٢ ـ استعد أردون لهذه الغزوة استعدادا كاملا فحشد قواته «من حد بنبلونة الى سيف البحر من أقصى جليقية(٨٤) » .

---

(٨٣) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ١٢٠ .
(٨٤) المصدر السابق ، ص ١٢٠ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فاجتمع له منها نحو ٦٠ ألف مقاتل خرج بهم من سمورة أقرب مدنه الى دار الاسلام ، وكانت الظـروف التى خرج فيهـا مواتية ، فالفتنة قد استشرت فى الغرب ، وطحنت المسلمين برحاها ، والمجال قد انفتح أمام أردون للسيطرة على الموقف ، فطمع فى الاستيلاء على ماردة التى تعتبر من كبريات مدن الغرب ٠

٣ ـ يسجل ابن حيان المراحل التى مرت بها تلك الغزوة ، ففى المرحلة الاولى يجتاز وادى تاجه عبر قنطرة السيف وقد اصطحب معه بعض الادلاء من رعيتـه بالاضـافة الى عدد من خونة المسلمين كان أمهرهم فى الدلالة رجلان من ماردة ذكر ابن حيان اسم أحدهما وهو ابن الريشى وأصله من بربر مصمودة البرانس المستقرين فى ماردة ٠

ويذكر ابن حيان انه قدمهما أمام عسكره ليفاجىء اهل مكناسة دون أن يتحرزوا من قواته ، ويتأهبوا للقائه (٨٥) ، وقد كان لهذين الدليلين أكبر الاثر فى الهزيمـة التى حلت بالمسـلمين فى مكناسـة الاصنام ، فقد طلب أردون منهما أن يعـبروا وادى آنه أدنى حصـن مدلين وأن يخترقا سهل الوادى أثناء الليل حتى يصلا الى مكناسـة الاصنام فى الصباح فيفاجئا اهلها دون ان يشعر أهالى المنطقة بهـذه التحركات فلا يحتاطوا للدفاع عن بلدهم ٠ ونجح الدليلان فى مهمتهما ، ولم يفطن أحد اليهما ولا الى ما وراءهما من حشود كثيفة ، فلمـا عبر الجيش الليونى وادى آنة ، وأصبح على مسافة تبعـد خمسـة أميال جنوبى مدلين Medellin ، وبدأ الدليلان يخترقان السهل أثناء الليل ، أحس ابن الريشى بالندم ، واستيقظ ضميره فجأة وعز عليـه أن يتحالف على أهل دينه ، وأفضى بذلك الى صاحبه،فأبدى أسفه هو الآخر عـلى فعلتهما الشنعاء ، وخشيا أن تجتاح الجيوش الليونيـة مكناسة الاصنام ، فعمدا الى تنكب السـهل الذى كان الملك أردون قد

---

(٨٥) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ١٢١ ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أمرهما باختراقه ، وقررا أن ينحرفا عن السهل ، فيسلكا الطريق المحاذية لوادى آنة بمضايقها ووعورتها ، كل ذلك لاتاحة الفرصة أمام المسلمين للتنكب عن طريق الخيل والتحصن فى القلاع فلا يصيبهم اذى من عسكر أردون ، وعلى هذا النحو نجحا فى تضليل جيش الليونيين طوال الليل فصاروا يتخبطون فى مسالك وعرة لا يجدون منها منفذا الى أن أصابوا الطريق فى الصباح ، وقد تنبه المسلمون فى تلك النواحى الى وجودهم فلاذوا بحصونهم ، فلما أطلق أردون عسكره فى المنطقة للاغارة طول نهارهم لم يصيبوا أحدا ، وقلق أردون على مقدمته فلحق بها ، فألفى عسكره وقد أصابهم الاعياء والكلل وحل بهم التعب ، فجمع أردون الادلاء ، وطلب منهم أن يشقوا السهل فيصبحوا أمام مكناسة الاصنام وحسبه ما تعرض له أثناء الليلة السابقة من متاعب فسلكوا به عبر سهلة الاصنام وأم غزالة Magazela الى أن وصلوا به الى حصن مدلين فى طريق سهلة لم يلق فيها وعورة ، ففطن أردون الى خطة ابن الريشى وصاحبه وخداعهما له وأدرك أنهما غررا به وبقواته فأمر بضرب عنقيهما ، وكان أهل حصن مدلين قد أخلوه أثناء الليل فأمر بهدمه وقضى فيه ليلة وعندئذ تبدأ المرحلة الثانية ، وتبدأ برحيله بعسكره الى قلعة الحنش ، فتصدى لقواته برانس كتامة ، وكانوا قد أجلوا من حصن سكتان(٨٦) ، واستقروا بقلعة الحنش وقد عرف هؤلاء البربر بشدة البأس والنجدة ، فاشتبكوا بقيادة مقدمهم ابن راشد مع قوات أردون فى معركة عنيفة دارت خارج الحصن ، وأسفرت عن هزيمة المسلمين فتراجعوا الى حصنهم ، وتلقاهم قومهم بأدنى

---

(٨٦) حصن بشغل موقعا عسكريا استراتيجيا هاما اتخذ قاعدة لخروج الحملات الاسلامية الى بلاد جليقية ، وقد ذكر ابن حيان أنه كان يقع الى الشمال الغربى من طليرة ، ويعتقد د . مكى أنها نفس البلدة المسماة حاليا Zacatena على مقربة من مدينة قلعة رباح ، واسم سكتان اسم بطن من بطون البربر كان مقيما فى هذه المنطقة (راجع ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د . مكى ، تعليق رقم ٥٤٢ ص ٦١٣) .

الحصن لمساعدتهم ، ولكن الليونيين أطبقوا عليهم وتمكنوا من اقتحام الحصن وأبادوهم عن آخرهم وسبوا نســـاءهم وذراريهم ، وقتـــل ابن راشد رئيسهم، ودهدم الحصن وسوى بالارض.ثم يبدأ أردون المرحلة الثالثة برحيله فى اليوم التالى الى ماردة وسلك الطـريق المؤدية الى غربى المدينة بحيث كان وادى آنة يفصل بينه وبينها . ثم توقفت قواته ازاء قصبة المدينة عند قرية اشترلة Estrella الواقعة أمام قنـاطر المياه المعروفة بجسر المعجزات ، واخذ الملك يتأملها متعجبا من تقانة بنيانها وارتفاع اقواســـها ، وخرج لمحاربته فرسان من اهل ماردة ، ولكنه منع فرسانه من مبارزتهم ، وآثر أن يجنح الى السلم ، فأخرج اليه واليها محمد بن تاكيت رسولا من قبله يوادعه بهدية تتمثـــل فى فرس رائع من عتاق الخيل بسرجه ولجامه ، أعجب به الملك ، فقبل الهدية ثم رحل عن ماردة ونزل بقرية قولسانة(٨٧) الواقعـــة على واديانه على مقربة من ماردة فقضى بها الليل ، ثم قفل عائدا الى بلده مارا بقنطرة السيف .

٤ ــ ذكر كوديرة أثناء حديثه عن هذه الغزوة خبرا غريبا ورد فى مدونة سيلوس وهى أن أهل ماردة خرجوا مع ملكهم حتى بطليوس وقد حملوا معهم هدايا قيمة يطلبون منه الســلم ، ولما لم يرد أى ذكر لبطليوس فى رواية ابن حيان التى نقلها عن الرازى وفيها يؤكد(٨٨) رحيل أردون من ماردة عائدا الى بلــده مرورا بقولســانة فقنطـرة السيف ، فاننا لا نقبل الخبر الذى ساقه كل من كوديرة (٨٩) وليفى بروفنسال (٩٠) لعدم وجود ما يقابله فى المصادر العربية . ولا ينهض

---

(٨٧) لم أتوصل الى معرفة موقع قولســانة المذكورة وهى غير بلدة قلسانة Calsena احدى مدن كورة شذونة .

(٨٨) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ١٢٣ .

(٨٩) Codera, los Benimeruan, P. 55.

(٩٠) ذكر ليفى بروفنســال أن أردون استخدم الاتاوة المالية دفعها له أمير بطليوس فى تأسيس كنيسة سانتا ماريا بليون
Lévi-Provençal, Op. Cit., P. 37.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

انفراد مدونة سيلوس بهذا الخبر مبررا لأن نأخذ به لما نعرفه عن دقة الرازى الذى استقى منه ابن حيان روايته وصدقه لاسيما وقد أورد فى ذكر حملة أردون الثانى تفاصيل غاية فى الدقة بحيث وردت مبتسرة ومشوهة فى المدونات الاسبانية الامر الذى يجعلنا نثق به ثقة كاملة .

(هـ) مصرع عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الجليقى سنة ٣١١هـ (٩٢٣) :

تمضى ثمان سنوات على هذه الاحداث دون أن يرد لبطليوس أى ذكر فى المصادر العربية ، فمنذ أحداث غزوة أردون الثانى على بلاد الجوف فى عام ٣٠٣هـ (٩١٥م) لم نعد نسمع عن حوادث جرت فى مدينة بطليوس أو فى منطقة نفوذها كامارة أو حتى عن أى أخطار خارجية تعرضت لها أو تهددتها (٩١) ، الى أن حل عام ٣١١هـ

---

(٩١) ورد فى المقتبس لابن حيان (تحقيق شالميتا ، ص ١٥٥) فى حوادث عام ٣٠٧هـ (٩١٩م) ، خبر هام مؤداه أنه فى منتصف هذا العام وصلت الى عبد الرحمن الناصر أنباء تأهب أردون ملك ليون للهجوم على الثغر الجوفى ، فأعد عبد الرحمن الناصر جيشه وأمر وزيره القائد اسحاق بن محمد المروانى بالخروج فى حشود كثيفة الى غرب الاندلس لمواجهة هذا الهجوم ، كما عمل على استنفار المسلمين الى الثغر الجوفى ليساعدوا اخوانهم أهالى هذه المنطقة على مواجهة العدو ، وتحركت جيوش الامارة وعلى رأسها القائد اسحاق بن محمد ، فلما بلغت أردون الاخبار بخروج المسلمين فى حشود ضخمة لتلقيه خاف فتقهقر راجعا الى بلاده ، ولكن الوزير القائد اسحاق بن محمد ظل مقيما فى بلاد الجوف مدة حتى تأكد من رحيل العدو فعاد الى قرطبة ، ومنذ ذلك الحين اهتم عبد الرحمن الناصر باستنفار المسلمين لجهاد الليونيين ، وبدأ يرسل المنشورات الى عماله لترغيب الناس فى الجهاد (انظر ، ص ١٥٥ ، ص ١٥٦ ، ص ١٥٧) ومما لاشك فيه أن هذا الخبر الذى أورده ابن حيان عن مشروع اردون لغزو بلاد الجوف ، من الاخبار الهامة ، ونستنتج منه أن منطقة الثغر الجوفى كانت عرضة لمغامرات ملوك ليون وغاراتهم المدمرة ، وكان من الممكن أن يتحقق هذا الهجوم لولا يقظة عبد الرحمن =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(٩٢٣م) ، وهو العام الذى قتل فيه عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الجليقى ، ويأتى ابن عذارى على ذكر هذه الحادثة على وجه السرعة ، ولا يذكر أية تفاصيل عنها فيقول « وفيها (أى عام ٣١١هـ) قتل عبد الله بن محمد بن مروان الجليقى صاحب بطليوس ، دخل عليه بعض أهل الموضع فقتلوه (٩٢) .. » ويرى كوديرة (٩٣) أن نص ابن عذارى يبدو مبهما بسبب افتقاده الى النصوص التفصيلية التى من شأنها أن تسلط الضوء على الظروف التى أدت الى مصرعه ، الا أن رواية ابن حيان رغم اختصارها هى الأخرى تساعد الى حد كبير على معرفة الاسباب الحقيقية التى أدت الى اغتيال عبد الله بن الجليقى ، فهى أكثر وضوحا من رواية ابن عذارى ، وتتضمن بعض التفاصيل ، يقول ابن حيان فى حوادث سنة ٣١١هـ (٩٢٣م) « وفيها قتل عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن الجليقى ، صاحب بطليوس ، المنتزى فيها على الخلاف للجماعة ،وراثة عن آبائه ،وكانوا أولى شأو بعيد فى المعصية ، وذوى حوادث عظيمة ، قتله أصحابه لاختلاف وقع بينهم ، فرفع الله به عن المسلمين شرا شديدا »(٩٤) .

وواضح أن قتلة ابن الجليقى كانوا من جملة أنصاره ، اختلفوا معه لأمر خطير ربما يتعلق بتسليم بطليوس لعبد الرحمن الناصر ، والكف عن الخلاف للجماعة ، وان كان ابن حيان يختتم نصه بعبارة يفهم منها ان قتله جاء خيرا للمسلمين ، وفى هذه الحالة يمكن تفسير سبب قتله بنيته فى التحالف من جديد مع ملك ليون واشتورياش ، ونعتقد أن هذا التفسير الاخير هو أقرب الى المنطق ، ويفسر هذا نوايا أردون العدوانية على بلاد الجوف سنة ٣٠٨هـ (٩٢٠م) .

= الناصر وسرعة تحركه (انظر مدونة عبد الرحمن الناصر ، ص ٦٠ ـ ٦١) .

(٩٢) ابن عذارى ، البيان ، جـ ٢ ، ص ١٨٥ .

(٩٣) Codera, Los Benimeruan P. 56.

(٩٤) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ١٨٨ .

وايا ما كان الامر فقد كان مصرعه خاتمة مرحلة تعرض فيها الغرب ـ اقصد غرب الاندلس ـ لنشاط واضح المعالم لحركة الريكونكيستا La Reconquista من جانب ملوك اشتورياش وليون ، ويكفى أن عهده شهد موجات متتابعة من المد الليونى : ففى سنة ١٨٢ (٧٩٨م) استولى الفونسو الثانى على الاشبونة استيلاء مؤقتا حتى سنة ١٩٣هـ (٨٠٨م) (٩٥) . وفى سنة ٢٥٤هـ (٨٦٨م) سقطت مدينة برتقال Porto فى يد الفونسو الثالث ولكنها ظلت تتأرجح بين الحكم الاسلامى والجليقى الى أن استردها المنصور بن أبى عامر سنة ٣٨٧هـ (٩٩٧م) (٩٦) . وفى سنة ٢٦٤هـ (٨٧٨م) سقطت قلمرية فى أيدى الليونيين(٩٧) ، وان كان د . مكى ينفى وقوعها نهائيا فى أيديهم استنادا الى ما أورده كوتارلو(٩٨) .

وخلف عبد الله بن الجليقى على امارة بطليوس وما يتبعها من حصون وقرى ابنه عبد الرحمن بن عبد الله ،وقد أورد كل من ابن حيان وصاحب مدونة الناصر لدين الله اسمه كاملا(٩٩) . ومن الغريب أن كوديرة عندما يؤرخ لبطليوس فى هذه الفترة الحاسمة من تاريخها لا يذكر اسم الامير الجديد ويكتفى بقوله « وبعد وفاة عبد الله بن مروان الجليقى خلفه فيما يبدو على بطليوس رجل من أسرته » . ولم يحدد كوديرة للاسف مدى قرابة هذا الامير الجديد للامير المقتول كما انه لم يتوصل الى معرفة اسمه رغم وجود نصين صريحين يشيران الى ذلك

---

(٩٥) Lévi-Provençal, Histoire de L'Esp. Mus., t. II, P. 174.

(٩٦) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د . مكى ، تعليق ٥٨٤ .

(٩٧) Lévi-Provençal, Op. Cit., t. I, P. 321.

(٩٨) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د . مكى ، تعليق ٦١٩ وانظر : A. Cotarelo Valledor, Alfonso III el magno, Madrid, 1933, P. 628.

(٩٩) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ٢٤٦ ، مؤلف مجهول ، مدونة الناصر ،ص ٨١ .وراجع ابن عذارى،البيان، جـ ٢ ، ص ١٩٩ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بكل وضوح كانا فى متناول يده . ومن المرجح ان السبب فى اغفال كوديره لاسم خليفة عبد الله بن محمد بن الجليقى يرجع الى انه اعتمد فى دراسته لهذا الموضوع على البيان المغرب لابن عذارى الذى لم يذكر الاسم صراحة واكتفى بقوله « وفيها (اى فى سنة ٣١١هـ) كانت غزاةالناصر الى مدينة بطليوس لمحاربة أهلها وابن مروان المنتزى عليه فيها »(١٠٠) .

(٣)

سقوط دولة بنى الجليقى فى بطليوس سنة ٣١٨هـ (٩٣٠م)

(أ) استرجاع الناصر لبطليوس

اهتم عبد الرحمن بن محمد منذ توليه الامارة فى قرطبة سنة ٣٠٠هـ بالقضاء على الدويلات الطائفية ، واعادة الاندلس الى سابق وحدتها على نحو ما كانت عليه فى عهود الامراء الاقوياء(١٠١) ، واعتمد فى ذلك على سياسة تقوم على الترهيب والترغيب ، فقد أرسل الكتب والرسائل الى جميع الثوار المستقلين فى نواحى الاندلس يطلب منهم الطاعة والتبعية لسلطانه ، فكان أول من أجابه سعيد بن السليم عامل حصن مارتس Martos من كورة جيان Jaen ، وأول من بايع الناصر من أصحاب الاطراف محمد بن عبد الرحمن أمير سرقسطة ، ثم بدأت تتتابع البيعات من جميع بلاد الاندلس ، وبعد مرور شهر من توليه الامارة أعد حملة كبيرة أستهدف منها القضاء على من تبقى من الثوار الخارجين على دولته ، فبدأ عهده بصائفة سيرها عام ٣٠٠هـ(٩١٢م) وتعرف بغزوة المنتلون (Monteleon) نسبة لافتتاحه حصن المنتلون وكان من أهم الحصون المناوئة لسلطانه وأخطرها ، وفيها افتتح سبعين حصنا « كل حصن منها قد نكبت عنه

---

(١٠٠) Codera, los Benimeruan, P. 57.

(١٠١) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس ، ص ٢٨٠ .

الصوائف ، واعيى على الخلائف ، وكان استعد لها من اول شهر رجب من هذه السنة وأنفد الكتب الى عمال الكور والنواحى فى الاحتشاد لها والاستعداد »(١٠٢) . ونجح عبد الرحمن فى اجتذاب أحمد بن محمد بن مسلمة بن حجاج صاحب اشبيلية الى الدخول فى الطاعة ، فسلم له مدينة اشبيلية عام ٣٠١هـ(١٠٣) (٩١٣م) ، وكذلك تمكن من القضاء على ثورة بنى عمر بن حفصون فى ذى القعدة ٣١٥هـ (٩٢٧م) . وفى العام التالى افتتح مدينة لقنت Alicante وقليوشة Calliosa بشرق الاندلس(١٠٥) . ثم تفرغ بعد ذلك لاستنزال ثوار الغرب : ففى عام ٣١٦هـ (٩٢٨م) افتتح الناصر مدينتى ماردة وشنترين بدون قتال ، وكان قد سير لهذا الغرض قائده الوزير أحمد بن محمد بن الياس على رأس قواته غازيا الى كور الغرب ، فاستسلم له مسعود بن تاجيت (أو تاكيت) بعد ان استأمن لنفسه ولأهله ، فنزلوا قرطبة وسكنوها « ودخل عبد الملك بن العاصى عامل الناصر لدين الله مدينة ماردة فملكها واستوثقت فيها الطاعة(١٠٦) .. » .

---

(١٠٢) ابن حيان ، المقتبس : تحقيق شالميتا ، ص ٥٨ ، مدونة عبد الرحمن الناصر ، ص ٣٤ ،
Lévi-Provençal, Op. Cit., t. II, P. 22.

(١٠٣) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ٦٩ ، ابن عذارى ، البيان ، جـ ٢ ، ص ١٦٤ .

(١٠٤) ابن حيان ، المقتس ، تحقيق شالميتا ، ص ٢٢٦ ، مدونة الناصر ، ص ٧٤ .

(١٠٥) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ٢٣٨ ، ابن عذارى ، البيان ، جـ ٢ ، ص ١٩٧ و
Lévi-Provençal, Op. Cit., t, 11 P. 23.

(١٠٦) ابن حيان ، تحقيق شالميتا ، ص ٢٣٨ ـ ٢٣٩ . ويفسر ابن حيان سبب افتتاح ماردة صلحا بأن أهلها أطاعوا الناصر واذعنوا له بعد ان قوى أمره واشتدت شوكته واستولى على مكناسة الاصنام وما حولها من بلاد الثغر الجوفى،وكانوا قد علموا كذلك أن الوزير أحمد بن محمد بن الياس استقر على رأس جيشه الكثيف فى تلك المنطقة بعد طول حروب مع أهالى الحصون المجاورة ، كما بلغهم انه حاصر حصن أم جعفر =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كذلك افتتح الناصر مدينة ماردة قاعدة بلاد الجوف صلحا فى تلك السنة فاستسلم اليه أهلها بالامان(١٠٧) ، وتولاها من قبل الخليفة عبد الرحمن الناصر عبد الملك بن العاصى ، فدخلها عبد الملك دخول الفاتحين وبذل أهلها الطاعة،وجمع الناصر لواليها عمل مكناسةوهوارة ونفرة ولقنت ، فاتسعت ولايته (١٠٨) ٠

وفى تلك السنة أيضا افتتح مدينة شنترين بلا حرب(١٠٩) ثم ازداد حرص الناصر على وضع حد لدولة بنى الجليقى وجميع المخالفين عليه من زعماء هذه النواحى ، وأصر على استنزال المستمسكين بالخلاف عليه ، فقرر الخروج بنفسه لغزو كور غربى الاندلس وبدأ بتعبئة قواته لهذه الغزاة فى ١٠ من ربيع الاول سنة ٣١٧هـ (٢٣ ابريل ٩٢٩م)(١١٠) ، فكان خروجه من قصره بقرطبة فى اليوم الحادى عشر من شهر ربيع الآخر (الموافق ٢٤ من مايو) وأغزى معه ولديه الامير الحكم ولى العهد والامير المنذر ٠ وكان قد أرسل رسله الى ثوار

= قاعدة قبيلة نفرة التى يتزعمها آنذاك ابن عيسى من بنى ورجول ، فخاطبه ابن عيسى فى طاعة الامير عبد الرحمن وتسليم حصنه والنزول الى قرطبة ومع الامان ، فتم ، وبذلك أصبح الخطر يتهدد ماردة لا سيما بعد أن نقل أحمد بن الياس نشاطه الحربى الى حصن الحنش ، وحارب رجاله ، فصمم مسعود بن تاجيت أمير ماردة على الدخول فى طاعة الامير والمضى الى قرطبة ، واختار للتفاوض عن بلده رجلا من بربر ماردة اسمه ابن منذر نجح فى وساطته ، وتمكن من أخذ الامان لابن تاكيت ولأهل ماردة ، ونتج عن نجاحه فى الوساطة أن استقضاه عبد الرحمن الناصر على ماردة ، ثم أمر الناصر عبد الملك بن العاصى بدخول ماردة ، فدخلها وضبط قصبتها المنيفة ٠

(١٠٧) ابن حيان ، المقتبس : تحقيق شالميتا ، ص ٢٣٨ ٠
(١٠٨) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ٢٤١ ٠
(١٠٩) ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ١٩٨ ٠
(١١٠) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ٢٤٥ ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الغرب المستمسكين بالخلاف فى صدر هذه السنة ، يدعوهم الى الدخول فى طاعته ، وينصحهم بالتخلى عن غيهم وضلالتهم وعصيانهم ، ولوح لهم باكرام الطائعين ، وانذر المخالفين بالقتال وللاسف لم يلق الناصر اى استجابة من هؤلاء الثوار وعلى رأسهم صاحب بطليوس وهو عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن مروان الجليقى الذى ورث امارته « عن أربعة من آبائه أولى شاو فى الغى وقدم ثابتة فى الضلالة »(١١١) .

نزلت جيوش قرطبة بقيادة الخليفة عبد الرحمن الناصر ، وشارك فى القيادة القائدان أحمد بن اسحق القرشى واخوه محمد فى ساحة بطليوس ازاء بابها فى ٢٣ ربيع الآخر من سنة ٣١٧هـ (٩٢٩م) ، فبرز له صاحبها عبد الرحمن الثانى فأفحش فى القول وأساء التصرف (١١٢) ، ولم يتردد فى تحدى الخليفة الأموى ، فبادر باخراج عدد من فرسانه لمحاربة عسكر قرطبة ، ولم يتردد الناصر فى اخراج قوة من أبطاله ناشبوا أهل بطليوس القتال فدافع ابن الجليقى سويعة ثم انهزم رجاله وولوا الادبار ، فطاردتهم عساكر قرطبة داخل أرباضهم وقتلت جماعة من فرسانهم(١١٣) فتدافعوا الى باب المدينة وتحصنوا بداخلها وقد أصيبوا بالذعر وتولتهم دهشة الهزيمة ، والظاهر أن قوات ابن الجليقى حاولت فى اليوم الثانى من الحصار الاشتباك من جديد مع قوات الناصر فى موقعة اخرى ، انتهت بهزيمتهم ، وقتل فيها عدد كبير منهم أرسلت رؤوسهم الى قرطبة ، وعلى أثر ذلك بدأ الناصر يحكم حصاره على المدينة ، فبادر رجاله بانتساف المزارع واحراق الاشجار وافساد العمران الممتد فى الارباض الواقعة خارج السور ، وتدمير كل مرافقهم ، وشدد الناصر الحصار

---

(١١١) المصدر السابق ، ص ٢٤٦ .
(١١٢) نفسه ، ص ٢٤٦ .
(١١٣) نفسه ، ص ٢٤٦ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عليهم(١١٤) ووكل به الى القائد أحمد بن اسحاق القرشى ، ثم اتجه هو بقوة من رجاله الى ماردة لتفقد أحوالها ، واستصلاح أهلهـــا ، ومباشرة معاشها . ثم ان الناصر ولى على ماردة محمـد بن اسحق القرشى بدلا من عبد الملك بن العاصى الذى كان قد ولاه عليها فى العام السابق . وترك الناصر فى خدمة الوالى الجديد عـددا من الحشم ، وكر عائدا الى مدينة بطليوس ، ثم هاجم بعساكره جانبا آخر مـن بطليوس غير الجانب الذى سبق أن هاجم منه المدينة ، وأذاق أهلها وبال عصيانهم ومروقهم ، ولم يكتف الناصر بذلك بل استقدم لتعزيز الحصار وأحكامه أعدادا كثيفة من قواته بعـددهم وآلاتهم ، وأمرهم بالمبالغة فى مضايقة أهل بطليوس ، وجعل على كل حصن من حصون بطليوس طوائف من انجاد قواته يضيقون عليها ، ويواصلون مضايقة المدافعين فيها بعددهم وآلاتهم ، واستمر حصار الناصر لها عشرين يوما (١١٦)ذاق فيها أهلها مرارة قذائف المجانيقوآلام الجوع،وبعد أناطمئن الناصر الى احكام الخناق على بطليوس والى تشدد قائده أحمـد بن اسحق فى تأديبهم ، خرج فى جمهور عساكره متجها الى باجة ، وكان يتولاها الثائر عبد الرحمن بن سعيد بن مالك صاحب ابن الجليقى فى الخلاف والمعصية ، فنزل الناصر بقواته فى ساحة باجة فى أول جمادى الآخرة ، وأرسل يدعو صاحبها الى الطاعة وينذره بالقتـال ، فأبى النصيحة ، فطوق العسكر أسوار المدينـة من كل جانب ، وحاصروا أهلها ، وقد تحصنوا داخل أسوارهم ، فقطـع النـاصر عنهم الميرة والاقوات حتى نالهم الجوع والعطش ، وتساقطوا من الاعياء ، فاضطر صاحبها الى طلب الامان والاستسلام ،فأمنه الناصر ، وأمن أهله وبنى قومه ، فأدخلهم بعسكره ، ثم نقلهم الى قرطبـــة فأصبحوا فى عداد

---

(١١٤) المصدر السابق ، ص ٢٤٧ ، ابن عذارى ، البيـــان ، جـ ٢ ، ص ٢٠٠ .
(١١٥) ابن عذارى ، البيان ، جـ ٢ ، ص ٢٠٠ .
(١١٦) المصدر السابق ، ص ٢٠٠ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حشـمه ، وتم افتتـــاح باجة فى ١٥ من جمـــادى الآخرة سنة ٣١٧هـ (٩٢٩م) وولى عليها عبد الله بن عمرو بن مسلمـة فى أول رجب ، وندب معه قوة كثيفة من الرجال والعدة ، وأمر بانشاء قصبة لسكنى عامله . وما أن تم للناصر كل ذلك فى غضـون ١٥ يوما (١١٧) حتى زحف الى اكشونبة ، وكان يتولى هذه الامارة الثـــائر خلف بن بكر المولد ، وكانت تضم الاراضى من شنتمرية الغرب الى شلب(١١٨) .

فنزل بساحتها فى ٢٣ من جمادى الآخرة وكان قد افتتح فى طريقه اليها حصن الرقاع(١١٩) ، فغنم فيه لخلف بن بكر مالا كثـيرا وعدة وسلاحا ، ففت ذلك فى عضد ابن بكر ، وأيقن بعبث المقاومة ، فأرسل رسله الى الناصر للتفاوض فى التسليم واظهـار طاعته له ، فقبـل الناصر منه ذلك ، واقره على ولايته على أن يلتزم بالطـــاعة ويطبق العدالة بين الرعية ويحسن السيرة ، ولا يأوى مارقا أو يقبل مخالفا ، ثم قفل الناصر الى قرطبة بعد ثلاثة وتسعين يوما(١٢٠) . أما أحمـد

---

(١١٧) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ٢٤٨ وقارن مدونة الناصر ص ٨١ ، وابن عذارى ، البيان ، جـ ٢ ، ص ٢٠٠ .

(١١٨) Lévi-Provençal, Op. Cit., t. II, P. 25.

(١١٩) ابن حيان ، المقتبس ، شـــالميتا ، ص ٢٤٨ ، ابن عذارى ، البيان ، جـ ٢ ، ص ٢٠٠ ، ولم نتوصل الى معـرفة موقع هذا الحصن أو ما يقابله حاليا من أسماء المواضع .

(١٢٠) مدونة عبد الرحمن الناصر ،ص ٨١،وفى ذلك يقول ابن حيان « فأخرج اليه النزائل وأقام الوظائف ودعا الى اقراره بمكانه على أن يمحض الطاعة ويلتزم ادرار الجباية الوافرة ويحسن السيرة فى الرعية ، وقد أظهر رعيته فيه رغبة شديدة ووصفته بسيرة حميدة فقبل الناصر لدين الله أنابته واوسعه حســـن رأيه وأقره على ولاية بلده ،وفارقه على عدد مقرر فى جباية بلده يحمله لميقـاته فى كل عام الى حضرته ، وأخذ عليـه احسـان السيرة فى رعيتـه ، وألا يقبل نازعا ولا يكشف هاربا ، فالتزم جميع ما شرط عليه ، ووقف عنـد ما حد له ، وجدد النـاصر لدين الله سجله على كورة اكشونبة عند ايابه عن غزوته الميمونة يوم السبت لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة منها،فدخل قصر =

ابن اسحاق القرشي فقد واصل حصاره لبطليوس ومقاتلته لأهلها ، وتدميره لعمرانها ، وكانت بينه وبينهم وقائع دارت فيها الدوائر عليهم ووقع فى يده خلالها سبعون أسيرا من فرسانهم بعث بهم الى باب السدة(١٢١)بقرطبة حيث ضربت رقابهم بالمرج(١٢٢) على ضفة الوادى الكبير . ومنذ ذلك الحين انكسرت شوكتهم وانهارت مقاومتهم، واستمر حصار بطليوس حتى صدر عام٣١٨هـ(١٢٣) (٩٣٠م) ،فقد واصل عسكر الخليفة التضييق على أهل بطليوس وقطعوا عنهم الاقوات ، فيئسوا من المطاولة ، وأيقنوا بنهايتهم المحتومة بعد أن لمسوا اصرار الخليفة الناصر على استنزالهم ، ورأوا منه عزما لا فترة فيه وجدا لا بقاء لهم عليه . ولم يلبث أميرهم عبد الرحمن بن عبد الله أن استكان لقدره ، وأذعن بطاعة الخليفة ذليلا ، فأرسل يطلب الامان ، فأجابه

= قصر الخلافة بقرطبة حضرته ، يوم الاحد لاربع عشرة ليلة خلت من رجب منها ، وقد استتم فى غزاته تسعين يوما وثلاثة أيام زائدة عليها » (انظر ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ٢٤٩) .

(١٢١) كان ينفتح على رصيف قرطبة ويعتبر من الابواب الرئيسية بقصر الخلافة بقرطبة ، وكان الخليفة يشرف من السطح على اعدام الثوار أمام هذا الباب (ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ١١٢) وتعليق جثثهم أو صلبها على شرفاته . ولمزيد من المعلومات عن هذا الباب راجع السيد عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة حاضرة الخلافة فى الاندلس ، ج ١ ، بيروت ١٩٧١ ، ص ١٩٣) .

(١٢٢) المرج من متنزهات قرطبة التى يقصدها الوشاحون والشعراء فى قرطبة الاسلامية، وقد عرف بالمرج الخصيب ، ووردفى زجل قاسم بن عبود الرياحى وعرف أيضا بالمرج النضير ، وكان يقع بالقرب من الرملة بين الوادى ونهير يتفرع منه يعرف اليوم باسم فونسانتا ،وورد ذكر المرج النضير فى قصيدة لأبى القاسم عامر بن هاشم القرطبى ، (المقرى ، نفح الطيب ، ج٢ ، ص ٨٠) كذلك عرف بمرج الخز كما ورد فى شعر كل من أبى الحسين بن أبى جعفر الوقشى وابن سعيد المغربى (المقرى ، ج ٢ ، ص ٢٠) .

(١٢٣) Codera, Op. Cit., P. 58.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الناصر اليه وامنه هو واهله ورجاله ، ورحلوا الى قرطبة حيث اسكنهم الخليفة وبالغ فى اكرامهم ، وهكذا سقطت دولة بنى مروان الجليقى، ودخلت بطليوس الحاضرة فى فلك الخلافة فضبطها الخليفة وقلد عثمان بن عبد الله عاملا عليها بصفة مؤقتة فكان أول عمـــال الدولة بعـــد انضمامها الى الجماعة(١٢٤) ٠

(ب) بطليوس فى ظل الخلافة الاموية :

اصبحت بطليوس تابعة لدولة عبد الرحمن النـــاصر ، تدين له بالتبعية والطاعة والولاء ، ويعين عليها كل عام عاملا او واليا من قبله يباشر أمورها ، ويشرف على شئون أهلها ، ويرعى مصالحهم ، وفى نفس الوقت يعمل على ربطها بالخلافة(١٢٥) بقرطبة ٠ وفيمـا يلى جدول يتضمن أسماء عمال بطليوس فى عهد الخليفة عبد الرحمـــن الناصر :

---

(١٢٤) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ٢٧٢ ٠

(١٢٥) تلقب عبد الرحمن الناصر بالقاب الخلافةفى ٢٨ ذى القعدة سنة ٣١٦هـ (٩٢٨م) ليـــوطد مركـــزه داخل الاندلس وخارجه وليحارب الفاطميين الذين كانوا يسعون الى السيطرة عـلى الأندلس حتى تصبح لهم دولة مترامية الاطراف تضم المغرب والاندلس يسودها التشيع،ولهذا تلقب الناصر بالقابالخلافة، واصدر منشورا وزعه عماله فى النواحى المختلفة (انظر السيد عبد العـزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس ، ص ٢٨٧ ، وانظر الملحق ، ص ٣١٩) ٠

عام الولاية	اسم العامل
اول عام ٣١٨ هـ	عثمان بن عبد الله
المحرم من ٣١٨ هـ	محمد بن مطرى (١٢٦)
٣١٩ هـ	محمد بن مطرى (١٢٧)
٣٢٠ هـ	محمد بن عبيد الله (١٢٨)
٣٢١ هـ	معاوية بن حكم القرشى (١٢٩)
٣٢٢ هـ	مطرف بن جراح (١٣٠)
٣٢٣ هـ	براء بن مقاتل (١٣١)

(١٢٦) ابن حيان ، المقتبس ، شالميتا ، ص ٢٨٥ .

(١٢٧) ذكر ابن حيان اسم هذا العامل فى ثبت عمال الناصر عام ٣١٩هـ (٩٣١م) ولم يرد فى احداث عام ٣٢٠هـ (٩٣٢م) اسم عامل بطليوس .

(١٢٨) لم يرد اسم عامل بطليوس لهذه السنة ٣٢٠هـ (٩٣٢م) الا فى عام ٣٢١هـ (٩٣٣م) حيث قال ابن حيان « وفيها (٣٢١هـ) عزل محمد بن عبيد الله من مدينة بطليوس ووليها معاوية ابن حكم القرشى » (المقتبس لابن حيان : تحقيق شالميتا ، ص ٣٣٢) .

(١٢٩) ذكر ابن حيان (فى أخبار عام ٣٢١هـ كما ذكرنا) أن معاوية بن حكم القرشى هو الذى تولى بطليوس لهذا العام ، ولكنه ذكره فى أخبار عام ٣٢٢هـ بصورة أخرى حيث قال « وعزل حكم بن معاوية القرشى عن مدينة بطليوس بمطرف ابن جراح » (ابن حيان ، المقتبس ، شالميتا ، ص ٣٥٦) .

(١٣٠) المصدر السابق ، ص ٣٥٦ .

(١٣١) نفسه ، ص ٣٧٨ .

السنة التى تولى فيها العامل	اسم عامل مدينة بطليوس
٣٢٤ هـ	عيسى بن ديسم (١٣٢)
٣٢٥ هـ	محمد بن جهور(١٣٣) - قاسم بن قمقام وأحمد بن محمد بن عبد الرحمن (١٣٤)
٣٢٦ هـ	لياس بن سليمان
٣٢٧ هـ	أحمد بن يحيى (١٣٥)
٣٢٨ هـ	براء بن مقاتل (للمرة الثانية)
٣٢٩ هـ	محمد بن سليمان ، ومحمد بن عبد الله ابنو مودى معا مع ولاية شنترين .
٣٣٠ هـ	أحمد بن محمد ، وعباس بن عبد الله معا مع ولاية ركب واروش واحوازهما (١٣٩) .
قبل ٣٤٣ هـ	أحمد بن يعلى بن وهب
٣٤٣ هـ	عبيد الله بن أحمد بن يعلى بن وهب (١٣٧)

(١٣٢) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ٣٩٢ .

(١٣٣) حدث اضطراب فى نص ابن حيان الذى يشير فيه الى عزل عامل بطليوس سعيد بن وارث فى سنة ٣٢٥هـ (٩٣٦م) (ص٤١٧) بينما كان قد ذكر من قبل فى حوادث سنة ٣٢٤هـ (٩٣٥م) انه تولى على بطليوس عيسى بن ديسم بدلا من براء مقاتل (ص ٣٩٢) . وبمقابلة النصوص التى أوردها ابن حيان نجد انه حدث خطأ ما فى ذكر اسماء الولاة فى عامى ٣٢٥هـ (٩٣٦م) ، ٣٢٦هـ (٩٣٧م) ، فسعيد بن وارث كان واليا على وادى الحجارة سنة ٣٢٣هـ (٩٣٤م) كما ان محمد بن جهور الوارد ذكره لم يكن يلى بطليوس وانما كان يلى اشبيلية فى سنة ٣٢٤هـ (٩٣٥م) ثم عزل عنها سنة ٣٢٥ (٩٣٦م) .

(١٣٤) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ٤٣٠ .

(١٣٥) لم يذكر ابن حيان اسم من ولى بطليوس هذا العام (٣٢٧هـ) (٩٣٨م) ، ولكننا نستنتج من اخبار الوزراء والعمال فى سنة ٣٢٨هـ (٩٣٩م) على انه كان يليها أحمد بن يحيى قبل ولاية براء بن مقاتل الثانية . =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هذا ما وصلنا من المصادر العربية عن أهم عمال بطليوس فى عهد الناصر ، وقد ذكر ابن حيان فى أحداث عام ٣٢٤هـ (٩٣٥م) أن الوزير يحيى بن اسحاق « دخل من مدينة بطليوس غازيا الى جلالقة الغرب دمرهم الله فافتتح حصن اربقيرة (١٣٨) . هذا الخبر يشير الى حقيقة هامة للغاية وهى أن بطليوس على الأخص فى عصر الخلافة الأموية ، اصبحت منطقة ثغرية هامة ومنطلقا للجهاد ضد أعداء الاسلام،

= (١٣٦) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ٤٩٠ .

(١٣٧) ورد فى الحلة السيراء لابن الابار والبيان ، جـ ٢ لابن عذارى ، ص ٣١٩ أن الناصر ولاه على اقليم الثغر الجوفى (بطليوس) بعد أن عزل اباه أحمد بن يعلى من منصبه ورقاه الى ولاية طليطلة واعمالها من الثغر الادنى ، ورفع منزلته ، وجعله فى مرتبة الوزراء مع احتفاظه بخطته فى الشرطة العليا، ولم يحدد ابن الابار العام الذى تولى فيه أحمد بن يعلى ولاية بطليوس ولكن لما كان ابن الابار قد ذكر السنة التى تولى فيها ابنه عبيد الله ولاية بطليوس بدلا من والده فيمكننا أن نتصور أن الأب القائد أحمد بن يعلى كان واليا على بطليوس قبل عام ٣٤٣هـ (٩٥٤م) (انظر ابن عذارى جـ ٢ ، ص ٢١٧) وكان أحمد بن يعلى قد ابلى بلاء حسنا اثناء ولايته على بطليوس فى حروبه ضد جليقية (انظر ابن الابار ، الحلة السيراء ، جـ ١ ، ص ٢٥٦) ، من بينها حملة قادها أحمد بن يعلى فى سنة ٣٣٩هـ (٩٥٠م) استولى فيها على ثلاثة حصون ، وعاد بآلاف من الاسرى (انظر
Lévi-Provençal, Histoire de l'Esp. Mus., t. II. P. 25.
ويذكر ابن عذارى ، (البيان ،جـ٢ ،ص ٢١٧) فى أحداث سنة ٣٣٩هـ (٩٥٠م) أن الناصر أخرج قائده أحمد بن يعلى نحو جليقية « رجاء فى انتهاز فرصة من العدو ، فاعانه الله عليها واقتحم على غفلة فافتتح ثلاثة حصون وسبى نحو من الف سبية » . « وفى سنة ٣٤٠هـ كانت للمسلمين غزوات على الروم نصرهم الله فيها منها فتح على يد قائد بطليوس بجليقية هزمهم اقبح هزيمة ، قتل جملة من حماتهم ومقاتلتهم ، وسبى نساءهم وذراريهم نيفا على ثلاثمائة رأس ... وفتح آخر على يدى أحمد بن يعلى قائد الناصر » ، والظاهر أن ابن يعلى كان يتولى أيضا قيادة الاسطول فى هذه السنة ، (ابن عذارى ، البيان ، جـ٢ ، ص ٢١٨) .

(١٣٨) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ٣٨١ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فكانت معبرا لجيوش المسلمين ضد اعدائهم، اما الوزير يحيى بن اسحاق فهو يحيى بن اسحق البطليوسى الطبيب الذى «لم يكذب صدق حدسه ولا خفى غامض على حسه»، وكان بصيرا بالعلاج ، استوزره عبدالرحمن الناصر وولاه الولايات الجليلة بعد اسلامه (١٣٩) ، ويورد ابن عذارى خبرا فى حوادث عام ٣٤٠ هـ (٩٥١ م) نصه « وفى سنة ٣٤٠هـ كانت للمسلمين غزوات على الروم نصرهم الله فيها ، منها فتح على يد قائد بطليوس بجليقية ، هزمهم اقبح هزيمة ، قتل جملة من حماتهم ومقاتلتهم ، وسبى من نسائهم وذراريهم نيفا على ثلاثمائة رأس ووصل ذلك السبى الى قرطبة لثلاث خلون من المحرم ، وفتح اخر على يد احمد بن يعلى قائد الناصر » (١٤٠) ، ولعل هذا الخبر يوضح تماما مدى اهمية بطليوس فى عصر الناصر ، فقد كان يرسل اليها اقوى الولاة الذين يتساوون فى مقدرتهم الحربية مع اعظم قادة الخلافة فى ذلك الوقت، ويشير ابن عذارى انه فى ذلك العام الذى خرج فيه قائد بطليوس الى جليقية غازيا ، فتح احمد بن يعلى قائد الناصر بلاد العدو ، وانتصر رشيق قائد الناصر فى طلبيرة ، كما انتصر فى نفس العام يحيى بن هاشم التجيبى فى غزاته لهذا العام ، ومن الجدير بالذكر ان أسماء هؤلاء القادة الكبار ترد فى نفس الوقت مع خبر غزوة قائد بطليوس مما يدل على أن قائد بطليوس كان على قدم المساواة مع باقى القواد ، ومايؤكد اهمية المدينة كثغر وقاعدة للجهاد .

وقد اهتم بنو أمية لاسيما فى عهد الناصر بتحصين الثغور ، وكان يبعث ثقات رجاله من الفقهاء والقضاة لتفقدها ، مثل ذلك محمد بن

---

(١٣٩) ابن فضل الله العمرى ، مخطوطة مسالك الابصار ، الجزء التاسع ، نسخة مصورة ، محفوظة فى مكتبة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمدريد تحت رقم ٢٠ لوحة ١٥٦ وجه ، وانظر جمال الدين ابى الحسن على بن يوسف القفطى ، تاريخ الحكماء ، تحقيق Julius Lippert ، ليبزج ١٩٠٣ ، ص ٢٥٩ .

(١٤٠) ابن عذارى ، البيان ، جـ ٢ ، ص ٢١٧ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عبد الله بن يحيى بن يحيى الليثى قاضى الجماعة بقرطبة منذ عام٣٢٦هـ (٩٣٧ م) الذى كان يخرج الى الثغور ويتولى اصلاح ما وهى فيها ، وقد توفى فى آخر خرجاته الى بعض الحصون المجاورة لطليطلة . ولما كانت بطليوس من اهم المناطق الثغرية ، فكان لابد للخلافة ان تهتم ببناء الحصون لها خاصة وقد ذكر ابن الفرضى فى ترجمته لقاسم بن أحمد بن محمد بن عباس المعروف بابن ارفع رأسه أنه استقضى فى زمن المستنصر بالله على بطليوس ، وتصرف فى بنيان الحصون فى الثغر الجوفى، فاذا كان الحكم المستنصر قد قام بتحصين حاضرة الجوف بطليوس فمن البديهى أن تكون بطليوس أحد الثغور التى كان أمثال محمد بن عبد الله يهتمون بتحصينها فى عهد عبد الرحمن الناصر (١٤٢) .

ومثل آخر نسوقه لاثبات أهمية هذا الثغر ، ذلك أن الناصر كان قد اخرج قبل غزوة الخندق الوزير القائد أحمد بن محمد بن الياس بقطيع من جيشه الى ثغر الغرب احتياطا على اهله حتى لاتكون للعدو عليهم حيلة عند توغله هو بالصائفة فى أرضهم (١٤٣) ، وفى سنة ٣٢٨ هـ (٩٣٩ م) انفذ كتبه الى جميع القواد والعمال بالثغور العليا والشرقية والجوفية (بطليوس) والغربية بادخال السرايا الى دويلات اسبانيا المسيحية من كل جهة ، وارسل يزود هذه الثغور باعاظم قواده .

وقبل أن نختتم هذا الفصل لابد من الاشارة الى خبر غريب أورده ابن خلدون فى كتابه العبر فى سياق حديثه عن ملوك بنى أذفونش من الجلالقة نقلا عن ابن حيان ، يقول ابن خلدون « ثم هلك شانجة ملك بنى اذفونش ببطليوس (وصحتها بليون) وقام بأمرهم بعده ابنه رذمير» (١٤٤) . ومن المعروف أن شانجة هذا ويعرف فى المصادر

---

(١٤١) ابن الفرضى ، تاريخ علماء الاندلس ، ص ٣٧٠ .
(١٤٢) المصدر السابق ، ص ٣٧٠ ترجمة ١٠٨٣ .
(١٤٣) ابن حيان ، المقتبس ، شالميتا ، ص ٤٣٤ .
(١٤٤) ابن خلدون ، العبر ، ج ٤ ، ص ٣٨٨ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الاسبانية بسانشو السمين كان وفد جدته الى قرطبة سنة٣٤٧هـ(٩٥٨م) ليستعين بالناصر فى استرجاع عرش مملكة ليون ونبرة الذى عزله منه نبلاء ليون وقشتالة وقد تمكن بفضل معونة الناصر من استرجاع ملكه فى سنة٣٤٩(٩٦٠م)، ولكنه لم يف بوعود للناصر فاضطر خلفه المستنصر الى محاربته . وعاود الحكم محاربته فى صائفة سنة ٣٥٢هـ (٩٦٢م) ونازل شنت اشتيبان دى غرماج على نهر دويره . ومن المعروف أن شانجة توفى فى ٣٥٥هـ (٩٦٦م) مسموما سمه أحد نبلاء جليقية ويدعى القومس جنثالو El Conde Gonzalo de Galicia فى تفاحة قدمها له فى قصره ، وخلفه ابنه ردميره الثالث (١٤٥)، وواضح انه لا علاقة بين سانشو ومدينة بطليوس التى ظلت فى عصر الحكم المستنصر بالله ثغرا للمسلمين فى الجوف ومنطلقا للجهاد الى مملكة ليون ونبرة ، ولم تكن تربطه بالحكم المستنصر أية علاقات ودية بل على الضد من ذلك كان الحكم يوجه اليه الحملات بسبب عدم وفائه بالتزاماته وعهوده نحو أبيه .

---

(١٤٥) Antonio Ramos Oliveira, La Edad Media, P. 90.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

البـــاب الثـــانى

مملكـــة بطليـــوس فى عصـــر دويلات الطوائف

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصـــل الثـــالث

(بطليوس فى عصر المنصور بن الافطس وولده المظفـر)

١ ـ بطليوس قاعدة غرب الاندلس فى عصر دويلات الطوائف

٢ ـ المنصور أبو محمد عبد الله بن محمد بن مسلمة ابن الافطس ٠

٣ ـ بطليوس فى عهد المظفر محمد بن عبد الله ابن الافطس ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصـــل الثـــالث

(بطليوس فى عصر المنصور بن الافطس وولده المظفـر)

(١)

بطليوس قاعـدة غـرب الاندلس فى عصـر دويـــلات الطـوائف

منذ أن أصبحت قرطبة مستقر الخلافة المروانية فى الاندلس ، يبدأ عصر جديد تألقت فيه قرطبة وازدهرت فيها الحيـاة العلمية وترعرعت، وارتبط اسمها بالعلم والادب ، فكانت اليهـا الرحـلة فى رواية الشـعر والشعراء والمركـز الذى يتردد عليه طلاب العلم والعلماء ، وقـد تعهد خلفاء قرطبة الحركة العلمية فيها بالرعاية وشاركوا فيها مشاركة فعالة .

فانتجع قرطبة فى أيام الحكم على وجه الخصـوص جلة من خيرة العلماء اجتذبتهم اليها أضواء حضارتها الساطعة ، وشدهم الى قصدها انها على حد قول الحجارى « منتهى الغاية ومركز الراية وأم القـرى ، وقرارة اولى الفضل والتقى ، ووطن أولى العلم والنهى ، وقلب الاقليم، وينبوع متفجـر العلوم وقبة الاسـلام وحضرة الانام ودار صوب العقول وبستان ثمر الخواطر وبحر درر القرائح » (١) .

ولقد اجتذبت قرطبة فى جملة من اجتذبتهم شمس علومهـا صفوة من علماء بطليوس وادبائها نذكر منهـم فى عصر الناصر الطبيب يحيى بن اسحق وكان بصيرا بالعلاج ، يصنع الأدوية بنفسه وعالج الناصر من مرض حل به، فحظى بثقته ، واستوزره وجعله طبيبه الخاص، وطبيب

---

(١) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم بالاندلس ، ص ٢٩٥ ، قرطبة حاضرة الخلافة فى الاندلس ، جـ ١ ، ص ٦١ وما يليها .

حرمه وكرائمه (٢) . وفى عصر الحكم المستنصر الخليفة العالم (٣) استقدم الخليفة الى قرطبة والى بطليوس ابا الوليد يحيى بن عبد لوس وكان شاعرا من مشاهير شعراء الاندلس فى زمنه ، ولكن كان من النوع الذى يغلب عليه الزهد ، وربما دفعه ذلك الى ان يطلب من الخليفة ان يأذن له بالرحيل الى الغرب للتنسك (٤) . كذلك ذاعت شهرة شاعر بطليوسى أخر ، هو سليمان ابن بطال البطليوسى ، كذلك قدم الى قرطبة فى عصر هشام المؤيد وحاجبه المنصور اعداد لا تحصى من العلماء والادباء ، من سائر انحاء الاندلس شاركوا فى النهوض بالحياة الادبية والعلمية . هذا الدافع الذى اجتذب الكثير من رجالات العلم الى قرطبة حاضرة الخلافة ، اجتذب أيضا فارسيا (٥) يدعى سابور (٦) ، قدر

---

(٢) ابن جلجل ،طبقات الاطباء والحكماء ،تحقيق الاستاذ فؤاد السيد ، القاهرة ، ١٩٥٥ ، ص ١٠١ ، ابن أبى أصيبعة ، عيون الانباء فى طبقات الاطباء ، نشرة الدكتور نزار رضا ، بيروت ١٩٦٥ ، ص ٤٨٨ .

(٣) السيد عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة فى الاندلس ، جـ ٢ ، ص ١٦١ وما يليها .

(٤) ولقد كان الحكم من أكثر خلفاء قرطبة اهتماما بالحركة العلمية ففى عهد والده الناصر استقبل الحكم ، أبا على اسماعيل بن القاسم القالى اللغوى ، صاحب كتاب « الامالى » (٣٣٠هـ) عند نزوله بالاندلس واصطحبه معه الى قرطبة تكرمة له واحتفاء بقدومه .وكان الحكم بعد خلافته ،يعين الكتاب والمصنفين بالكتب والمال ، كما اهتم للغاية بفن تجليد الكتب واجتمع له فى قصره عدد مهول من خزائن الكتب ،وقد بلغ عدد فهارس دواوين الشعر وحدها فى مكتبته أربعا وأربعين فهرسة تشتمل كل فهرسة على عشرين ورقة ، (انظر ابن سعيد ، المغرب ، ص ١٨١) هذا الى جانب اهتمام الحكم المستنصر بكتب الطب والعقاقير والتنجيم (انظر السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين، ص ٣١٤ - ٣١٥وراجع قرطبة حاضرة الخلافة ، جـ ٢ ، ص ١٦١ - ١٦٥) .

(٥) Martinezy Martinez; Op. Cit., P. 83.

(٦) ذكر ابن الابار نقلا عن ابن حيان أن سابور هذا كان من الفتيان العامرية وكان أحد صبيان فائق فتى الحكم المستنصر بالله (ابن الابار ، الحلة السيراء ،جـ٢، ص ٩٦) ويؤكد =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

له ان ينتزى فى ثغر الغرب ويتلقب بالحاجب وهو اللقب الذى احتفظ به حتى وفاته وسجل فى شاهد قبره . ويبدو ان سابور هذا بعد ان أصبح من فتيان المنصور بن ابى عامر قد تألق بين فتيانه الصقالية وبرز بينهم، وربما كان يتولى عملا هاما فى البلاط تحت اشراف فائق الفتى (٧) بحيث

= ابن الاثير أنه من الفتيان العامرية فيذكر انه قام ببطليوس «سابور الفتى العامرى» ولكنه أخطأ وذكر أنه تلقب بالمنصور والحقيقة أن المنصور هو لقب أبو محمد عبد الله بن محمد بن مسلمة الذى كان يدبر له أمره ثم استولى على ما كان بيده بعد وفاته (راجع ابن الاثير ، ص ٢٨٨) وواضح مما سبق أن سابور كان من الفتيان العامرية اذ كان أحد صبيان فائق فتى الحكم المستنصر وعبدا من عبيده ، وربما ألحق النسب العامرى به عندما استبد المنصور محمد بن أبى عامر بالدولة ، ثم انتزى ببطليوس وثغر الغرب فصحبه عبد الله وظاهره ودبر أعماله وأصبح بيده الحل والربط ، فلما توفى سابور استولى عبد الله بن مسلمة على مقاليد الامور ، وتلقب بالمنصور . أما نسبته الى الفرس ، فأمر مشكوك فيه ، ولم يرد له ذكر فى المصادر العربية ، وربما انتشرت هذه النسبة بين المؤرخين المحدثين لارتباط اسم سابور باسم سابور ذىالاكتاف وهو اسم فارسى، ولكن اتخاذ سابور لهذا الاسم لاينهض دليلا على أنه فارسى، ومن الجدير بالذكر أن الاستاذ محمد عبد الله عنان عند رجوعه الى النسخة الخطية من الحلة السيراء لابن الابار ، قرأ كلمة سابور العامرى على أنها سابور الفارسى « دول الطوائف ، القاهرة ١٩٦٠ ، ص ٨٠ ـ ٨١) ونحن نرجح النسبة العامرية للاسباب السابقة ، لاسيما وانه لم يعد هناك مماليك أو عبيد من الفرس فى القرن الخامس الهجرى .

(٧) كان رئيس الصقالبة فىبلاط الحكم المستنصر والخادم الخاص له ، ويعرف بفائق النظامى وكان يتولى البرد والطراز ، وكان من مؤيدى المغيرة ابن الناصر ، خليفة للحكم المستنصر واتفق معه فى ذلك جؤذر الفتى زميله فى خدمة الحكم ، وحاول جؤذر اخفاء خبر وفاة الحكم عن سائر اهل الدولة ، وعن جعفر بن عثمان الصحفى الحاجب ، بل انه اقترح على زميله فائق أن يغتال جعفر ولكن فائق نهاه عن قتله ، وأرسل فى طلب جعفر ، فلما حضر نعيا اليه الحكم ، ولما كان جعفر يرغب فى تنصيب هشام لصغر سنه فقد أشار على أصحابه بقتل المغيرة ، وأسند هذه المهمة الى ابن أبى عامر فنفذها وأسقط فى يد =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ظهرت مواهب له كانت خافية ، فأسند اليه الحكم عملا اداريا فى الثغر الجـــوفى ٠

ويعتقـد مارتينث اى مارتينث Martinez y Martinez ان الخليفة الحكم المستنصر عهد الى سابور بحكم بطليوس ومنطقتها ، ويبدى مارتينث رأيه فى كيفية وصول سابور الى الحكـم فى بطليوس ، فيذكر أن المنصور بن ابى عـامر هـو الذى أوحى الى الخليفـة عن طريق علاقته الوثيقة بالسيدة صبح البشكنسية ام ولد الحكم ان يسند حكومة بطليوس الى سابور ، فى الظاهر مكافأة لجهوده ، وفى الواقع لابعاده عن المسرح السياسى فى قرطبة وحتى يتفرغ لتحقيق مآربه (٨) بعيدة المـدى ٠

وقد يكون هذا الرأى صحيحا وهو ما أرجحه شخصيا استنادا الى النص الذى أورده ابن عذارى ويفيد بأن سابور هذا كان زمن الجماعة ، وفى عهد الحكم المستنصر بالله بالذات مقيما بالغرب الاندلسى ، يقـول ابن عذارى « وكان بهذا الصقع بطليوس وشنترين والاشبونة وجميـع

= فائق وجؤذر ، ثم تمكنت الوحشة بين جعفر والصقالبة ، فقد انحرفوا عنه وكرهوا خلافة هشـام ، وبلغ جعفـر أن فائق وجؤذر يدبران انقلابا على الدولة ويدسـان فى ذلك الى بعض من فى قيادتهما من وجوه الغلمان ، فأراد أن يفل من قوتهما ، فأوعز الى ابن ابى عامر بضم معظمهم اليه ، فاتخذ منهم نحو خمسمائة غلام شد بهم أزره ، وفخم أمره فأحبوه وأصبحوا فى قيادته فنسبوا اليه ومن المرجح أن يكون سـابور واحدا من هؤلاء العامرية ٠

أما فائق فقد انتهى أمره بأن نفاه المنصور ابن أبى عامر الى الجزائر الشرقية حيث مات (ابن عذارى ، البيان ، جـ ٢ ، ص٢٦٣) ٠

(٨) Martinez y Martinez, Op. Cit., P. 84.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الثغر الجوفى فى امد الجماعة رجل من عبيد الحكم المستنصر بالله يسمى سابور (٩) ٠

وواضح من هـذا النص انه كان يؤدى عمـلا اداريا فى كل الثغـر الجوفى بما فى ذلك المدن الثلاثة المذكورة ، وهذا يدعونا الى الاخذ برأى مارتينث اى مارتينث ٠ ومن الجدير بالذكر أن المنصور بن ابى عامر تقلد فى آخر ايام الحكم قضاء القضاة بالغرب ، وجعله الخليفـة عينا على العسكر وأوعز اليه فى مهمـاته ، فحمدت سيرته هنـاك وصحب حينئذ وجوه العسكر وأشياخ القبائل (١٠) ولعـل صلته بسابور توثقت منذ ذلك الحـين ٠

وفى ٤ من صفر عام ٣٦٦ هـ (٩٧٦ م) دعا ابن ابى عامر الناس لمبايعة هشام بن الحكم بالخلافة بعهد من ابيـه ، وحلف امامه الوزراء وكبار رجال الدولة يمين الولاء، وارسلت من البيعة نسخ ليوقعها العمال فى مختلف الولايات (١١) ، وكان هشام صبيا حجر عليه ابن ابى عامر داخل القصر ، ويذكر كوندى ان سابور اراد فى زيارته الى قرطبـة على اثر وفاة الحكم ربما لحلف يمين الولاء ان يختلى بهشام الصبى ، ويفضى اليه ببعض الامور او يحذره من المحيطين به من رجال الدولة ، مدفوعا فى ذلك بولائه لفائق الفتى ، الا أن ابن ابى عامر حال دون تحقيق هذه الزيارة ، واضطر سابور الى العـودة الى ولايته كمـا فعل غيره من الولاة (١٢) ٠ ويعلل Martinez y Martinez ، رغبة سابور هذه فى الالتقاء بهشام المؤيد بأن سابور عندما كان يعمل فى خدمة الحكـم المستنصر تمكن من اكتساب ثقة ولده الامير هشام وربما لهذا السبب اوعز بعض خصوم ابن ابى عامر الى سابور أن يحادث الامير هشام

---

(٩) ابن عذارى ، البيان ، جـ ٣ ، ص ٢٣٦ ٠
(١٠) المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٥٣ ٠
(١١) ابن عذارى ، البيان ، جـ ٢ ، ص ٢٦٣ ٠
(١٢) Conde, Op. Cit., P. 10.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بشأن مؤامرة قد يكون الحاجب قد دبرها ضده (١٣) . ولكننى لا أرى هذا الرأى ، فليس لدينا من النصوص ما يؤكد انه قدم لمبايعة هشام ، والمعروف ان العمال على الاقاليم ، كانوا يوقعون على نسخ البيعة ويرسلونها بالبريد الى قرطبة . وواضح ان رأى كوندى لا يعتد به لانه لا يستند على اى اساس تاريخى ، وكذلك رأى مارتينث اى مارتينث الذى يميل الى الظن بأن سابور كان مدفوعا باخلاصه لهشام وانه ربما اراد ان يحذره من مؤامرة قد يدبرها الحاجب (جعفر المصحفى) واتساءل كيف يفكر الحاجب فى مؤامرة لاطاحة هشام بينما هو صاحب المؤامرة التى رفعت هشام الى دست الخلافة واطاحت بالمغيرة .

حقيقة ان سابور كان من الفتيان المخلصين لفائق الفتى كبير صقالبة القصر بحكم انه كان احد صبيان فائق ، ولما كان فائق يؤيد خلافة المغيرة، فمن المرجح ان سابور كان بالتبعية مؤيدا لخلافته ،وربما كان من بين الصقالبة الساخطين على هشام ، الامر الذى دفع ابن ابى عامر الى استمالتهم بحيث اصبح يقتنى منهم خمسمائة غلام نسبوا اليه ، واعتقد ان سابور منذ ذلك الحين اصبح يعرف بالعامرى بعد ان استوثق ابن ابى عامر من اخلاصه له ،وعلى هذا الاساس يصبح تقليده لولاية الغرب من قبل المنصور اقرب الى المنطق .

ومنذ استقرار هشام المؤيد على دست الخلافة بدأ نجم محمد بن ابى عامر فى الارتفاع والتألق ، وعمد الى دعم سلطانه عن طريق حجره على الخليفة هشام وحصره بشخصيات ممن يثق المنصور بهم ، أما هو فقد انفرد بشئون الدولة ، وكون جيشا اعتمد فيه على ثقات رجاله واتباعه ، وبدأ سلسلة من الغزوات ضد اسبانيا المسيحية والتى بفضلها اكتسب فى سنة ٣٧١هـ (٩٨١م) لقب المنصور (١٤) ، ودعى له بهذا

---

(١٣) ابن عذارى ، البيان ، جـ ٢ ، ص ٢٧٩ .
(١٤) ابن عذارى ، البيان ، جـ٢ ، ص ٢٧٩ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اللقب على المنابر استيفاء لرسوم الملوك ، وكانت الكتب تنفذ عنه « من الحاجب المنصور ابى عامر محمد بن ابى عامر الى فلان » وأخذ الوزراء ووجوه بنى امية يقبلون يده .

وكان المنصور بن ابى عامر قد بلغ بعد تسوره الى منصب الحجابة ونكبته لجعفر بن عثمان المصحفى درجة عالية من النفوذ والسلطان ، وافتتن به اهل الاندلس لما احـــرزه من انتصارات مذهلة على قـــوى المسيحية فى اسبانيا (١٥) .

وتصمت المصادر العربية خـلال الفترة التى اصبح فيها المنصور ، الحاكم الفعلى والمطلق للبلاد عن ذكر سابور الذى يبدو انه واصل القيام بأعباء منصبه عاملا على الغرب ، ويشير مارتينث Martinez y Martinez فى تاريخه لبطليوس الى ملاحظة هامة هى ان المنصور بن ابى عامر ترك سابور يواصل القيام باعباء عمله واليا على الغـرب فى الوقت الذى لم يتردد فيه فى تنحية اى شخص يناصبه العداء ، من منصبه ، ولكن هذه الملاحظة لا تبدو غريبة اذا وضعنا فى الاعتبار ان سابور كان يحكم ولاية بعيدة عن قرطبة ومتطرفة عنها ولا تمثل بالنسبة لقرطبة خطرا حقيقيا بالاضافة الى ان المنصور لم يكن ليترك سابور ينعم بالراحة فى منصبـه لو لم يكن موضع ثقتـه .

وتوفى المنصور عام ٣٩٢هـ (١٦) (١٠٠٢م) ، بعد خمس وعشرين

---

(١٥) غزا المنصور سبعا وخمسين غزوة ما بين شاتية وصائفة لم تنكس له فيها راية (راجع ابن عذارى ، البيان ، جـ ٢ ، ص ٣٠١ ، السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين واثارهم فى الاندلس، ص ٣٣١ ، وانظر غزوات المنصور الى بلاد اسبانيا المسيحية فى العذرى نصوص عن الاندلس ، تحقيـق د. عبد العـــزيز الاهوانى ، مدريد ١٩٦٥ ، ص ٧٤ ـ ٨٠) ويجعلهـا صاحب ذكر بلاد الاندلس ٥٦ غزوة يذكرها ببعض التفصيل (مجهول، ذكر بلاد الاندلس ، مخطوطة ، نسخة مصورة لوحة ١٥٧ ـ ١٦٤) .

(١٦) ابن عذارى ، البيـان ، جـ ٢ ، ص ٣٠١ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سنة وأربعة وأربعين يوما مضت منذ توليه منصب الحجابة ، وعلى اثر وفاته بدأت اركان الدولة العامرية تتصدع وتختل على الرغم من ان ابنه المظفر عبد الملك قد انتهج نفس سياسته الاستبدادية العسكرية،الا ان وفاة عبد الملك فى ١٦ صفر سنة ٣٩٩ هـ (٢ اكتوبر ١٠٠٨ م) كان ايذانا بالانهيار ، فعبد الرحمن شنجول الذى خلفه على الحجابة كان يطمع فى ان يكون وليا للعهد لهشام ، وقد اثار عليه ادعاؤه (١٧) وغروره اهل الحاضرة قرطبة أثناء غيابه فى غزوة أغزاها فى جمادى الاولى ٣٣٩هـ (١٠٠٨م) واستغل محمد بن هشام بن عبد الجبار أحد أحفاد الناصر انحراف مشاعر الاهالى على شنجول واشعل نار ثورة عاتية فى ١٦جمادى الاخرة من تلك السنة احتدم ضرامها سريعا،فقد اقدم على قتل عبدالله بن عمر صاحب المدينة بقرطبة وتمكن بواسطة اتباعه من العامة وسفلة القوم من اطلاق سراح سجناء المطبق ، ثم اقتحم قصر الخلافة بقرطبة وهدم الزاهرة بعد أن انتهبتها العامة وجردتها من روائعها ، فلما بلغ شنجول ذلك ولم يكن قد تجاوز طليطلة بعد ، عدل عن مواصلة الغزو وقرر القفول ، وفى اثناء عودته تخلى عنه اجناده ، وتفرقوا حتى لم يعد معه عند وصوله الى مشارف قرطبة أحد من رجاله ، فقبض عليه وصلب على باب السدة من قصر قرطبة .

وكان هشام المؤيد لليلة اشتعال نار الثورة قد تنازل عن الخلافة الى محمد بن عبد الجبار الذى تلقب بالمهدى وعندئذ طغى ابن هشام وبغى وزاد جبروته ، فأخرج الخليفة المؤيد من قصره واسكنه بعض دور الملك واحضر للناس رجلا ميتا قيل انه يهودى او نصرانى زعم انه المؤيد ،

---

(١٧) وفى ذلك يقول ابن الخطيب نقلا عن ابن حيان «وقد تقدم القول فى سبب تعلق هذا الجاهل بدعوى الخلافة عجز فيه من غير تأويل ولا عقيدة وكيف استهواه كيد الشيطان وغرته قوة السلطان ، الى ان ركبها عمياء مظلمة لم يشاور فيها نصيحا ولا فكر فى عاقبة » (ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص١٠٥) .

وجاء بمن شهد من وزرائه ان هذا الميت هو هشـام المؤيد ، ثم عمـد رجاله الى مهاجمة زعماء البربر بالرصافة وانتهبتها فكسب ابن هشام بذلك عداءهم ، وبدأت نفوس البربر والصقالبة العامرية المتضررين من قواته تتحد وتتجمع ضده ، واشتعلت بذلك نيران الفتنـة بين البربر والعامة ، وقامت مذبحة بشعة قتل فيها العامة عددا كبيرا من البربر ، فخرجوا من قرطبة الى الثغر وتزعمهم امير مروانى آخر هو سليمان بن حكم بن سليمان بن الناصر (١٨) ، ولاه البربر عليهم فعرف بامام البربر وتلقب بالمستعين بالله (١٩) .

وكان البربر يسعون الى الثأر من المهدى ، فاستعانوا بشانجة بن غرسية قومس قشتالة،واشتبك البربر وحلفاؤهم القشتاليون مع قوات واضح الفتى قائد المهدى فى معركة حامية الوطيس جرت فى المحرم سنة ٤٠٠ هـ (١٠٠٩م) انتهت بهزيمة واضح وانفتح الطريق امام البربر نحو قرطبـة .

ولم تحد محاولات المهدى لتحصين ابواب قرطبة من هذا السـيل البشرى الهائل ، فقد اجتاحها حشود البربر الظـافرة بعد انتصارها الساحق على قوات المهدى خارجها ، وفر المهدى من قرطبة متنكرا الى طليطلة حيث اقام فى كنف واضـح الفتى . وكان واضـح قـد استنصر بقومس برشلونة ريموند بوريل واخيه ارمنجول المعروف فى المصـادر العربية بارمقند (٢٠) ، فنصراه نظير تخليه عن مدينـة سالم ، وبهذه

---

(١٨) ابن عذارى ، البيان ، جـ ٣ ، ص ٨٤ .

(١٩) حول الفتنة البربرية ـ راجـع : ابن عذارى ، البيان ، جـ ٣ ، ص ٨١ ـ ٨٦ ، ابن الخطيب اعمال الاعلام ، ص ١٣٠ ومايليها
Algunas Precisiones sobre la ruina de la Córdoba omeya; Al-Andalus, Vol. XII, 1947; P. 278-292.
والسيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس، ص ٣٤٧ ـ ٣٥١ ، قرطبة حاضرة الخلافة ، جـ ١ ، ص ١٠٩ـ ١١٤ .

(٢٠) ابن عذارى ، البيان ، جـ ٣ ، ص ٩٤ .

القوة القطلانية بالاضافة الى قوة اخرى حشدها من طليطلة ومرسية وبلنسية (٢١) ، تقدم واضح والمهدى الى قرطبة حيث التقى مع قوات سليمان فىعقبة البقر Albacar ،وهو سهل يقع على مسافة تبعدنحو ٢٠ك٠م الى الشمال من قرطبة ، فانهزم سليمان وتحصن فى الزهراءفى حين دخل المهدى قرطبة منتصرا ، ولا نستبعد ان يكون بربر غرب الاندلس قد اشتركوا مع بربر قرطبة فى تلك المعارك تضامنا منهم مع سليمان ، اذ ان معظم منازل البربر فى بلاد الاندلس تقع فى الغرب فى ماردة ومنتانجش وبطليوس ومكناسة الاصنام ، وكتامة ونفزة وغيرها من المواضع التى تحمل اسماء نازليها من البربر ، ومع ذلك فليس لنا أن نجزم باشتراكهم فى هذه المعارك التى خاضها البربر فى قرطبة وفى مربلة ورندة عند وادى آره وانتصروا فيها على قوات المهدى طالما لم تسعفنا المصادر العربية بنص صريح يؤكد ذلك ٠

ثم تتابعت الفتن والنوائب تطحن الحاضرة طحنا ، فمنذ ان اقتحم البربر مدينة الزهراء فى ٢٣ ربيع الاول من سنة ٤٠١ هـ (٤ نوفمبر سنة ١٠١٠م) وفتكوا بأهلها وحتى مقتل سليمان فى ٢٣ من المحرم سنة ٤٠٧ هـ (يونيو ١٠١٦م) ، عاشت بلاد الموسطة فى عهود مظلمة الفوضى السياسية والاضطراب الى ان سقطت الخلافة المروانية فى قرطبة فى ١٢ ذى الحجة ٤٢٢ هـ (نوفمبر ١٠٣٠م) بعد حوادث مثيرة (٢٢) تركت بصماتها واضحة على العمران القرطبى وعلى المجتمع الاندلسى بأسره ، ثم قامت دويلات الطوائف ، وأعلن ولاة الاقاليم والقادة والرؤساء فى النواحى استقلالهم ، وكان سابور العامرى أحد هؤلاء

---

(٢١) Martinez y Martinez, Op. Cit., P. 93.

(٢٢) فى سقوط الخلافة المروانية بقرطبة انظر :

Aguado Bleye; Manual de la Historia de España, t, I, P. 507 — Lévi-Provençal, Histoire de L'Espagne musulmane, t, II, P. 311-341.

السيد عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة ، جـ ١ ، ص ٩٢ - ١١٦ ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الولاة الذين استقلوا بمناطق ولايتهم (٢٣) . والظاهر انه كان من الشخصيات القوية فى الغرب بحيث تمكن من السيطرة على عدد من المدن الكبرى ، ثم مد نفوذه على كل الثغر الجوفى مستغلا فى ذلك اشتغال الناس بالفتنة وانهيار سلطان الخلافة . ويرجع اليه الفضل بلا شك فى أنه جنب بلاده التعرض لنارالفتنة التى اصطلت بها قرطبة وجاراتها فى جنوب شرق الاندلس فى غرناطة والمرية ورندة ومالقة ، ومن الغريب انه العامرى الوحيد الذى استقل فى الغرب فى حين اختار الفتيان العامرية شرق الاندلس لممالكهم المستقلة .

ولم يكن سابور العامرى بالسياسى البارع ، الخبير بأمور الدولة الذى يمكنه انشاء ملك قوى له ولاولاده من بعده (٢٤) ، ولكنه كان جلفا عنيفا غفلا من الصفات التى تؤهله لادارة دولة وسياسة رعية ولذلك كان لزاما عليه ان يستوزر رجلا تتوفر فيه كل الصفات التى يفتقدها هو لتدبير شؤون الدولة ، فاستعان بأبى محمد عبد الله بن محمد بن مسلمة (٢٥) . وكان ابن مسلمة هذا من أهل المعرفة التامة والسياسة والدهاء وهى الصفات التى كان يفتقدها سابور .

واصل أبو محمد عبد اللهبن مسلمة من بربر مكناسة (٢٦)الذين

---

(٢٣) يقول ابن عذارى فى ذلك « فلما وقعت الفتنة وتفرقت الجماعة وانشقت عصا الامة ، انتزى سابور المذكور على ما كان بيده كما فعل غير من الثوار ...» (ابن عذارى ، جـ٣ ص ٢٣٦) .

(٢٤) ابن عذارى ، البيان ، جـ٣ ، ص ٢٣٥ ، محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف منذ قيامها ص ٨٢ .

(٢٥) ابن الابار ، الحلة السيراء ، جـ ٢ ، ص ٩٦ ، ابن عذارى ، البيان ، جـ ٣ ، ص ٢٣٥ ، ص ٢٣٦ ، ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ص ١٨٢ ،
Albarran, el solar de los Aftasies, Op. Cit., P. 32-Martinez y Martinez, Op. Cit., P. 95.

(٢٦) ذكر ابن الابار نقلا عن ابن حيان ان اصل عبد الله بن مسلمة من مكناسة وانه انتزى ببطليوس وثغر الغرب وان سابور قد استعان به فظاهره ودبر اعماله (ابن الابار ، الحلة السيراء جـ ٢ ، ص ٩٦) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

استقروا بفحص البلوط جوفى قرطبة (٢٧) ، ومن غرائب الامور التى تعجب لها ابن الخطيب أن بنى الافطس أرجعوا نسبهم الىقبيلةتجيب العربية (٢٨) ، ولعلهم أرادوا بذلك أن ينالوا مزيدا من الشرف بانتسابهم الى العرب بعد ان ازدهرت مملكتهم ولمع اسمها فى كافة المجالات . وقد استغل ابو محمد جهل سابور بشئون الدولة ، فأظهر همته وبراعته فى ادارتها ، وأثبت أنه قادر على امضاء أمورها وسياستها ، فجعله يثق به ويعهد اليه بكل امور دولته وينظمها بحيث أصبح بيده الحل والربط شأنه شأن وزراء التفويض فى الخلافة الفاطمية او السلاطين فى عصر السلاجقة ، فأستبد به وتحكم فىكل أموره (٢٩). ويحدد ابن عذارى أهم المدن التى كانت قد دخلت فى سلطان سابور ووزيره ابى محمد عبد الله فى صقع الغرب وهى بطليوس وشنترين والاشبونة بالاضافة الى جميع الثغر الجوفى ، ويتبين لنا من ذلك ان امارة بطليوس او مملكة بطليوس اذا جازت لنا هذه التسمية اتسعت اتساعا كبيرا فى عهد مؤسسها سابور بحيث شملت المثلث الممتد ما بين بطليوس والاشبونة وشنترين ويدخل فيه يابرة وبعض الحصون الواقعة على ضفاف واديانه وتاجة ، قرب المصب ، ثم اتسعت المملكة فى عهد المنصور ابن الافطس بعد ذلك بحيث شملت اقليم استراما دورة بالاضافة الى قسم كبير من البرتغال حتى وادى دويرة ، ومن جهة ليون حتى نواحى شلمنقة ، ومن الشرق عند الحدود الحالية لاقليم استراما دورة ، وتمتد من سلسلة جبال وادى الرمل Guadarrama حتى سيرامورينا ومن تلك السلسلة الجنوبية جنوبا الى اقليم الغرب الحالى بالبرتغال.

---

(٢٧) ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ١٨٢ .

(٢٨) ذكر ابن الخطيب نقلا عن ابن حيان ، العبارة التالية « ومن النادر الغريب انتماؤه فى تجيب، وبهذه النسبة مدحته الشعراء آخر وقته ، اذ يقول ابن شرف القيروانى :

ياملكا أمست تجيب بـه تحسد قحطان عليه نزار

(٢٩) يقول ابن الابار « وتزيد فى الغلبة عليه حتى صار كالمستبد به » (انظر ابن الابار ، الحلة السيراء ، جـ ٢ ، ص ٩٦) .

وكان الغرب البرتغالى يخرج عن نطاق امارة بطليوس خاصة بعد وفاة سابور وفى أيام المنصور ابن الافطس ،ففى اكشونبه وشنتمرية استقل المعتصم محمد بن سعيد بن هارون (٣٠) ، وفى مرتلة استقل ابن طيفور (٣١) فى نفس الوقت ، كما استقل ابو بكر محمد بن سعيد بن مزين فى شلب (٣٢) ، وعلى نفس الحال استقل ابن ذى النون

---

(٣٠) ابن عذارى ، البيان ، جـ ٣ ، ص ٢٩٨ . ويذكر ابن عذارى عن بنى هارون ، أن أولهم سعيد بن هارون ، استقل بمدينة اكشونبة فى بداية الفتنة ،الى أن توفىفى سنة ٤٣٤هـ(١٠٤٢م) فخلفه على اكشونبه ابنه محمد الملقب بالمعتصم الذى كان قد بويع له بشنتمرية الغرب فىسنة ٤٣٣هـ (١٠٤١م) ، وكان مثلا أعلى للحاكم العادل والسياسى القدير ، ولم تصف له الايام لطمع المعتضد ابن عباد فى دويلته ، فدخل معه فى صراع طويل، فلما ضيق عليه المعتضد بحروبه ، وادرك المعتصم الا قبل له به ولا قدرة له على منازلته ، تنازل عن ملكه سنة ٤٤٣هـ (١٠٥١م) فكانت دولته بها عشر سنين .

وذكر ابن عذارى فى موضع اخر ان المعتضد اخرجه من بلده سنة ٤٤٩هـ (١٠٥٧م) (ص ٢١٥) ، وواضح أن التاريخ الاول اجدر بالثقة لانه حدد بعد ذلك مدة حكمه .

(٣١) ابن بسام ، الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ، القسم الثانى ، المجلد الاول ص ٢٠ .

(٣٢) امارة شلب ، كانت تشتمل على كورتين ، كورة شلب وكورة باجة ، استقل بها بعد الفتنة الحاجب القاضى ابو الاصبغ عيسى بن ابى بكر محمد بن سعيد بن مزين واقام بها دولة سنة ٤٤٠هـ (١٠٤٨م) وتلقب بالمظفر ، وكان يحترس من ابن عباد ويتقى شره ،وبعد أن انتزع ميرتلة من ابن طيفور عام٤٣٦هـ(١٠٤٤م) وقتله المعتضد فى اخر سنة ٤٤٥هـ (١٠٥٣م) ثار بها ولده أبو عبد الله محمد وبسط نفوذه عليها وايده فىذ لك اهالى شلب جميعا . وقد لقب نفسه بعميد الدولة وتسمى بالناصر ، واستمر يحكم البلاد حتى توفى عام ٤٥٠هـ (١٠٥٨م).ثم تولى بعده ولده المظفر عيسى الى ان ضايقه المعتضد ولكن ابن عباد تمكن من دخول شلب وهدم اسوارها ، ودخل القصر ، وقتل عيسى المظفر وضرب عنقهصبرا فىشوال عام ٤٥٥هـ (١٠٦٣م)، وسجل هذا الحدث نهاية دولة بنى مزين (ابن الابار ، الحلة السيراء ، جـ ٢ ، ص ١٨٦ ، ابن عذارى ، البيان ، جـ ٣ ، ص ١٩٣ - ١٩٣ ، ص ٢٩٦ - ٢٩٨) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بطليطلة بينما تحولت اشبيلية ولبلة وقرمونة وولبة الى امارات مستقلة (٣٣) .

وعلى الرغم من ان ابا محمد عبد الله ينتمى الى فرع متواضع من قبيلة مكناسة البربرية ، ليس لها نصيب من النباهة والمعرفة ، الا ان عبد الله بن محمد الملقب بابن الافطس (٣٤) كان شديد الدهاء ، بعيد النظر والمعرفة ، وافر الحزم والسياسة بحيث استطاع السيطرة على دولة سابور بعد وفاته عام ٤١٣هـ (١٠٢٢م) دونا عن ولديه الغلامين عبد الملك وعبد العزيز (٣٥) .

وتاريخ وفاة سابور الحاجب فى سنة ٤١٣ هـ (١٠٢٢م) كما هو مسجل فى شاهد قبره الذى وصل الينا ، والذى يحتفظ به المتحف الاقليمى للاثار ببطليوس (٣٦) ينهض دليلا على ان سابور كان من

---

(٣٣) Martinez y Martinez, Op. Cit., P. 96.

(٣٤) لقد تعرض Manuel Albarran لاصل اسم ابن الأفطس ، وقد اخذ برأى الاستاذ أوليفر اسين Asin الذى يرى ان لقب ابن الافطس الذى اطلق على هذه الاسرة فى بطليوس كان له اكبر الاثر على المدينة فهناك منطقة فى بطليوس اطلق عليها جزيرة الافطس ، هذا بخلاف منطقة اخرى تسمى باسم « مرج الافطس » ومدينة فى محافظة او منطقة بطليوس تسمى « منزل الفطسا » ويستطرد المؤلف بقوله ان هناك العديد ممن تلقبوا بابن الافطس شاركوا فى واقعتى العقاب او Las Navas de Tolosa وطريف (Rio Salado) بل ان هناك عائلات فى مالقة ووادى الحجارة تحمل نفس اللقب بل وفى المكسيك ايضا . وفى طليطلة وجدت اسرة يهودية تحمل نفس اللقب .ويعتقد البران ان جد بنى الافطس دخل الاندلس مع حملة طارق عند فتحه الاندلس (انظر Albarran, Op. Cit. P. 29. ومما يدل على رسوخ اثر هذه القبيلةفىمنطقة الغرب أن منطقة باسترامادورا ماتزال تعرف باسم Mequinesa (أنظر
Albarran. M, El Solar, Op. Cit., P. 28.

(٣٥) ابن عذارى ، البيان ، جـ ٣ ، ص ٢٣٧ وانظر ايضا ، محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف منذ قيامها ، ص ٨٣ .

(٣٦) الشاهد لوحة من الرخام ٤٢ر × ٣٥ر م ، عثر عليها فى سنة ١٣٠١هـ (١٨٨٣م) جماعة من البنائين فى بطليوس كانوا يحفرون أساس المنزل رقم١٧ بشارع ابريل ملك دون ادواردو غرسية =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اوائـل المنتزين من أهـل الاندلس على الخلافة بقرطبة ، وقـد تلقب بالحاجب ، وهو لقب فخرى تلقب به بعض ملوك الطوائف للتظـاهر بالعظمة لما كانت تحمـله وظيفة الحاجب زمن الخـلافة من معانى الاستبداد بالملك والتفخيم ، ومنهم الحاجب ذو الرئاستين عبد الملك بن رزين صاحب السهلة(٣٧) ، والحاجب حسام الدولة أبو محمد اسماعيل بن المأمون بن ذى النون (٣٨)،والحاجب سيف الدولة أحمد المستعين بالله بن هود (٣٩) ، والحاجب عماد الدولة عبد الملك بن هود آخـر ملوك بنىهود بسرقسطة(٤٠)، والحاجب معز الدولة فى البونت(٤١)، والحاجب سراج الدولة عبـاد باشبيلية (٤٢) ، والحاجب شرف الدولة ببلنسـية (٤٣) .

واذا كان من الصعب تحديد مدة استقلاله بالثغر فاننا قياسا الى

= فلورندو ، ويتضمن النقش الكوفى ، النص التالى :
(بسم الله الرحمـن الرحيم . هذا قبـر سابور الحاجب رحمه الله ، وتوفى ليلة الخميس لعشر ليال خلون من شعبان من سنة ثلاثعشره واربع مائة،وكان يشهد أن لا اله الا الله)
راجـع :
Martinez y Martinez Op. Cit., P. - Jose Ramón Mélida, Catálogo Monumental de España, Badajoz, texto II, P. 73.
Lévi-Provençal Inscriptions arabes d'Espagne, texte, Paris, 1931, P. 53.

(٣٧) الفتح ابن خاقان ، قلائد العقيان ، ص ٥٢ .

(٣٨) هذا اللقب ورد فى صندوق من العاج صـناعة قونكة مؤرخ سنة ٤٤١هـ (١٠٤٩م) من عمل عبد الرحمن بن زيان (أنظر :
José Ferrandis, Marfiles arabes de Occidente, t, I, Madrid 1935, P. 93, 93, 98.
كما ورد فى درهم مضروب بطليطلة سنة ٤٤٨هـ (١٠٥٦م) باسم الحاجب حسام الدولة المأمون (Prieto y vives, P. 217).

(٣٩) Antonio Prieto y Vives, los reyes de Taifas, P. 128, 206.

(٤٠) Ibid, P. 129. 207.

(٤١) Ibid, P. 197.

(٤٢) Ibid, P. 140.

(٤٣) Prieto y Vives, P. 218.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تاريخ وفاته سنة ٤١٣هـ (١٠٢٢م) يمكننا أن نحدد تاريخ استقلاله أما بسنة ٤٠٠هـ (١٠٠٩م) التى انتصر فيها البربر على المهدى محمد بن هشام فى ١٣ ربيع الاول سنة ٤٠٠هـ (١٠٠٩م) فىقنطش او قنتيش او فى موقعة وادى آره فى ٦ ذى القعدة سنة ٤٠٠هـ (٢١ يونيو ١٠١٠م) التى انتصر فيها البربر على حشود المهدى ، واما سنة ٤٠٣هـ (١٠١٢م) عندما اقتحم البربر ارباض مدينة قرطبة عنوة فى ٢٦ شوال (٩ مايو ١٠١٣م) واعملوا السيف فى رقاب خصومهم ،ونثروا الدمار فى كل انحاء قرطبة، وفى هذه السنة قسم سليمان المستعين بعض كور الاندلس بين رؤساء القبائل البربرية فى جيشه، فأعطى جوفى البلاد لمغراوة ، وجيان لبنى برزال وبنى يفرن ، والبيرة لحبوس بن ماكسن الصنهاجى ، وشذونة وموورور لبنى دمر وأزداجه ... وبذلك غلب العنصر البربرى فى الاندلس (٤٤) . ونحن نميل الى الاخذ بتاريخ سنة ٤٠٣هـ (١٠١٢م) الذى استقرت فيه اوضاع البربر فى الجنوب الاندلسى والموسطة ، ولعل ذلك أتاح لسابور الفرصة فى ان يستقل بدوره بمعظم بلاد الغرب فى تلك السنة الفاصلة التى تحدد بداية الفتنة ، وهو ما يتفق مع ما ذكره ابن عذارى فى قوله « فلما وقعت الفتنة وتفرقت الجماعة وانشقت عصا الامة انتزى سابور المذكور على ما كان بيده كما فعل غيره من الثوار»(٤٥) . والمقصود بهؤلاء الدويلات البربرية التى اشرنا اليها بالاضافة الى الدويلات الصقلبية التى قامت فى شرق الاندلس فى نفس الفترة فى بلنسية وشاطبة ودانية ولورقة وطرطوشة وميورقة والمرية . ومن أصحاب هذه الدويلات التى استقلت فى أول قيام الفتنة دولة بنى رزين البربر أيام ثورة ابن عبد الجبار (٤٦)ودولة بنى خزرون بن عبدون الخزرىالبربر

---

(٤٤) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين ، ص ٣٥٦ .
(٤٥) ابن عذارى ، البيان ، جـ٣ ، ص ٢٣٦. وذكر ابن بسام أن سابور انتزى ببطليوس وثغر الغرب من عمل الحاجب ابن ميتويه (انظر ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الثانى ، المجلد الثانى ، ص ٦٤٠) .
(٤٦) ابن عذارى ، البيان ، جـ ٣ ، ص ٣٠٧ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من بنى يرنيان ، استقلوا بقلسانة Calsena سنة ٤٠٢هـ (١٠١١م) عند استحكام الفتنة (٤٧) .

وعلى أساس هذا الافتراض يكون سابور قد حكم زهاء عشر سنوات بفضل وزيره ومشيره أبى محمد عبد الله بن محمد بن مسلمة المعروف بالافطس الذى استغل جهل سابور بسياسة الملوك وادارة البلاد «فاشتمل هذا الوزير ابن مسلمة على أمر سابور كله»ويبدو انه صاهر سابور فزوج ولده محمد ابنة سابور(٤٨)الى أن هلك سابور فى سنة٤١٣هـ(١٠٢٢م)وعندئذ استأثر عبد اللهبن الافطسبملك الثغر دون ولدى سابور ، واستقام امره فى بطليوس مؤسسا دولة بنى الافطس ، أما عبد الملك وعبد العزيز ولدا سابور فقد ساءهما ضياع حقهما فى مملكة ابيهما واهتضام ابن الافطس لهذا الحق ، فتسللا من بطليوس ونزلا الى مدينة الأشبونة ، واستقل بها عبد العزيز فترة عن مملكة ابن الافطس ، ولم تطل مدته الى ان توفى فخلفه اخوه عبد الملك مكانه ، وكان ضعيف الشخصية عاجزا عن الادارة وتصريف الامور ، لا يصلح للملك ، فكتب أهل الاشبونة الى عبد الله بن مسلمة ابن الافطس سرا ، وطلبوا منه أن يرسل اليهم عاملا من قبله ، فوجه اليهم ولده ، « ولم يشعر سابور حتى امتلأت البلد من العسكرية ، فلم يكن له بد من طلب السلامة لنفسه وأهله وماله ، فأعطى ماسأل وسلم على ماشرطه»(٤٩) وواضح أن عبد الله بن مسلمة هذا قد سهل لعبد الملك بن سابور الخروج منالاشبونة اذ كانت بينه وبين ابن سابور صلة مصاهرة ، ثم رحل عبد الملك من الاشبونة بعد ان تركه زوج اخته يسير حيث شاء ، فأثر عبد الملك ان يقصد قرطبة . فلما اقترب موكبه منها استأذن الوزير

---

(٤٧) المصدر السابق ، ص ٢٩٤ .

(٤٨) استنتجت ذلك من قول ابن عذارى فى معرض حديثه عن استيلاء ولد عبد الله ابن الافطس على الاشبونة وانتزاعها من عبد الله بن سابور « وكان هذا الداخل زوج اخته فأجمل معه اجمالا كثيرا » (ابن عذارى ، ج ٣ ، ص ٢٣٧) .

(٤٩) ابن عذارى ، البيان ، ج ٣ ، ص ٢٣٧ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ابا الحزم جهور بن محمد بن جهور (٤٢٢ - ٤٣٥هـ) (١٠٣٠ - ١٠٤٣م) الذى اجتمع الملأ من أهل قرطبة على تفويض امرهم له، والذى عرف بأمين الجماعة ، فأذن له فى ذلك ونزل عبد الملك بدار أبيه سابور فأقام بها الى ان توفى .

اما عبد الله بن مسلمة المعروف بأبن الافطس ، فيجمع مؤرخو الاندلس على أنه من بربر مكناسة ، ولكنه من البربر البلديين أى الذين استقرت اسراتهم بالاندلس منذ فترة طويلة ، فتأقلموا واصبحوا من أهل البلد ، وفى ذلك يقول ابن الاثير « اصله من بربر مكناسة لكنه ولد ابوه بالاندلس ونشأوا بها ، وتخلقوا تخلق اهلها وانتسبوا الى تجيب وشاكلهم الملك » (٥٠) . وشأن ابن الافطس فى ذلك شأن غيره من البربر البلديين أمثال بنى ذى النون أصحاب طليطلة (٥١) وبنى دراج القسطليين (٥٢) .

وعندما نتتبع مناطق استقرار البربر فى غرب الاندلس لابد لنا من

---

(٥٠) ابن الاثير ، الكامل فى التاريخ ، جـ ٩ ، ص ٢٨٨ .

(٥١) اسم جدهم ذى النون ، وأول من دخل منهم الاندلس اسماعيل الملقب بزنون بن السمح ابن وردحيعن الهوارى ، نزل بكورة شنتبريه وخدم هو وقومه المنصور بن ابى عامر وتقدموا فى دولته ، وأول من تملك منهم طليطلة فى عصر الطوائف اسماعيل بن عبد الرحمن بن عامر بن مطرف بن ذى النون، ولد بالاندلس وتأدب بآداب أهلها ، وكان أديبا وشاعرا (ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٩ ، ص ٢٨٨ ، ابن عذارى ، البيان ، جـ٣ ، ص ٧٦) .

(٥٢) ومنهم ابن دراج القسطلى الشاعر وهم من البربر الصناهجة الذين دخلوا الى الاندلس فى بداية فتح طارق بن زياد للاندلس (راجع ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ص ٤٦٦)، وقد اندمج هؤلاء البربر فى المجتمع الاندلسى اندماجا تاما وكان ذلك الاندماج شأن كثير من الاسر البربرية ، ذات التاريخ المتأصل فى الاندلس ، بعكس الطوائف البربرية الطارئة التى انثالت على الاندلس فى عهد المنصور بن ابى عامر وولده المظفر فلم تتمثل المجتمع الاندلسى ولم يتمثلهم هذا المجتمع (ديوان ابن دراج القسطلى ، تحقيق د. مكى ، دمشق ١٩٦١ ، ص ٢٥) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التعرض بطبيعة الحال لرأى المستشرق الهولندى رينهارت دوزى الذى يذهب الى القول بأن العرب استثمروا جهود البربر فى فتح الاندلس لصالحهم ، فاختصوا أنفسهم بالمناطق الخصبة الدفيئة فى سهول الأندلس ومروجها ، واقصوا البربر الى المناطق الجدباء فى لامنشا واسترامادورة وجليقية ومرتفعات ليون حيث كانوا يصطدمون بدون انقطاع بقوات اسبانيا المسيحية (٥٣) . وقد أخذ كثير من الباحثين بوجهة نظر دوزى وعلى راس هؤلاء الاستاذ ليفى بروفنسال (٥٣) والاستاذ الدكتور السيد عبد العزيز سالم (٥٤) . « ويبدو أن اسباب الخلاف بين العرب والبربر ترجع الى استئثار العرب بالاراضى الخصبة دون البربر ، وكان البربر لذلك كله يضمرون للعرب السوء وينتظرون فرصة مواتية فيثبون عليهم » (٥٥) . والى جانب هذا الفريق هناك بعض المؤرخين لا يذهبون هذا المذهب ومنهم د. حسين مؤنس (٥٦) ، ود. عبد الواحد ذنون طه (٥٧) .

وعلى أية حال فقد كانت أكثر المناطق المأهولة بالبربر السهل المعروف بفحص البلوط El valle de las pedroches الذى يمتد الى الشمال الغربى من قرطبة وجبال سيرا مورينا Sierra Morena وأهم مدنه بطروج وغافق.ويرجع سبب استقرار البربر فى هذه المنطقة الى ثرواتها الطبيعية كالبلوط والزيتون ومعدن الزئبق .

وأشهر القبائل التى استقرت فى هذه المنطقة مكناسة ومديونة ومصمودة ونفزة وجراوة ، وقد سيطرت هذه القبيلة الاخيرة على احدى

---

(٥٣) Lévi-Provençal Histoire, Op. Cit., t.I, P. 87.

(٥٤) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس، ص ١٢٣ - ١٢٤ .

(٥٥) المقرى ، نفح الطيب ، جـ ٤ ، ص ٣٨ ، ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ٤٣ .

(٥٦) حسين مؤنس ، فجر الاندلس ، ص ٣٨٨ .

(٥٧) عبد الواحد ذنون طه ، استقرار القبائل البربرية فى الاندلس، مجلة اوراق ، العدد الرابع ، ١٩٨١/٤ ، ص ٣٥ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اماكن فحص البلوط . وهناك موضع بكورة ماردة يعرف بمكناسة (٥٨) Mequinenza في غرب الاندلس ربما كان الموضع الذى استقرت فيه قبيلة مكناسة التى ينتسب اليها الجد الاعلى لبنى الافطس لقربها من بطليوس ، كما نزلت قبيلة نفزة وفرعها ولهاصة فى فحص البلوط ، واليها ينتمى منذر بن سعيد البلوطى قاضى الجماعة بقرطبة فى عهد عبد الرحمن الثالث (٣٠٠ - ٣٥٠هـ) - (٩١٢ - ٩٦١م) وان كان ابن حزم يرى ان منذر بن سعيد ينتمى الى مديونة التى كانت تقطن فى المنطقة ذاتها (٥٩) . فى حين يذكر صاحب مفاخر البربر انه من ولهاصة (٦٠) .وقد امتدت منطقة استقرار البربرفىوسط الاندلس عبر وديان نهر تاجة Tajo من شمال طليطلة وطلبيرة الى واديانه Guadiana فى الجنوب حيث تقع ماردة وبطليوس ومدلين، وبقية المناطق المأهولة فى الاجزاء الغربية من شبه الجزيرة الايبيرية (٦١) . كما استقر فى وادى آنة جماعات من نفزة مثل بنى رشيد ، بينما عاش آخرون من هذه العشيرة فى ترجالة ، وبالقرب من ماردة لا تزال هناك قرية تحمل الى الوقت الحاضر اسم نفزة، اما جبال المعدن Sierra de Almadén ، فقد كانت ماهولة بالبربر ، وقد كانت هذه المنطقة غنية بمصادرها الطبيعية المعدنية ، لذا فقد اطلق عليها المسلمون اسم جبال المعدن ومازالت تحتفظ بنفس التسمية . وكانت قبيلة البرانس البربرية اكثر القبائل تجمعا فى هذه السلسلة حتى انها سميت بجبال البرانس، والى الشرق من هذه الجبال عاشت مجموعة اخرى من البرانس تشمل اوائل الذين

---

(٥٨) ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، مادة مكناسة ، وانظر :
Miguel Asin Palacios, Contribución a la toponomia arabe de España, Madrid, 1944, P. 121.
وهذا الموضع يحمل نفس اسم مكناسة التابعة لعمل لارده

(٥٩) ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج ٢ ، ص ٥٠٠ .

(٦٠) مجهول ، نبذ تاريخية من كتاب مفاخر البربر ، تحقيق ليفى بروفنسال ، الرباط ، ١٩٣٤ ص ٦١ ، ص ٧٩ .

(٦١) عبد الواحد ذنون ، استقرار القبائل البربرية ، ص ٤١ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ينتمون الى مسطاسة وهى فـرع من عشيرة ازداجة (٦٢) . وقـد كان لهؤلاء حصن مسطاسة (٦٣). ويرجح د. حسين مؤنس ان تكون قرية Mestanza الحاليةالقريبة من مدينة مسطاسة هى أصل الحصن الذى استقرت فيه قبيلة الرأس (٦٤) ، وفى قسطلة الغرب Cacella من أعمال شلب (٦٥) نزل بنو دراج البـــربر وهم من صنهاجة (٦٦) وعلى هذا النحو تجمعت بالغرب قبائل بربرية كثيرة الى حد يمكننا معه ان نطلق على الغرب بلاد البربر ، وكانت كل ماردة وبطليوس ومدلين الواقعة على واديانه من أكثر مناطق شبه الجزيرة اكتظاظا بالبربر ، وكان معظمهم ينتمون الى مصمودة وهوارة ومكناسة وكتامة (٦٧) . أما قورية (٦٨) ولجدانية فقد كانتا منزلا لقبائل مصمودة وربما لبعض افراد مكناسة ، ثم تحولوا عنهـا الى ماردة بعد تقدم الهجوم والزحف النصرانى من الشمال بداية من عام ٢٦١هـ (٨٧٢م) معحركة ابن مروان الجليقى ، ورغم كل هذا فقد استقر بعض البربر فى اماكن متطـرفة فى الغرب مثل شنترين Santarem ، ونرجح ان يكون بعض برابر البرانس

---

(٦٢) وقد عبر بعض افراد ازداجة نفسها الى الاندلس فى أوقـات لاحقـة ، وكانوا بقيادة أبو دليـم بن خطاب الذى استقر فى قرطبة ، وأصبح بعض احفـاده فقهاء ومحدثين مشـهورين فى هذه المدينـة .

(٦٣) حصن ينسب الى قبيلة مسطاسة من اعمال أوريط Oreto باقليم فحص البلوط (راجع ياقوت ، مادة مسطاســـة ، ابن الابار ، الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص١٧٨ وانظر هامش رقم٢).

(٦٤) ابن الابار ، الحلة السيراء ، جـ ٢ ، ص ١٧٨ ، هامش ٢ .

(٦٥) قرية تقع اليوم علىحدود البرتغال وتقععلىساحلالمحيط بين حـدود أسبانيا ومدينة طبـيرة Tavira (ديوان ابن دراج القسطلى ، ص ٢٩ ــ ٣٠) .

(٦٦) مجهول ، نبذة تاريخية فى اخبار البربر فى القرون الوسطى ، منتخبة من المجموع المسمى بكتاب مفـــاخر البربر ، تحقيق ليفى بروفنسال ، الرباط ١٩٣٤ ، ص ٧٨ .

(٦٧) من بربر مصمودة محمود بن عبد الجبار الثائر بمـاردة فى ٢١٣هـ (٨٢٨م) وأختـه جميلة ، اللذان تمردا سويا عـلى عهد عبد الرحمن الاوسط (انظر تعليـــق د. مكى على نص المقتبس لابن حيان ، تعليق رقم ٦٢٩ ص ٦٧٣) . =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فد استقروا بالقرب من شنترين حيث لا يزال يوجد اليوم موضع الى الشمال الشرقى من شنترين يسمى برنس Pernes نسبة اليهم ، كما استقرت بعض بطون من مصمودة فى الاشبونة بدليل تردد ذكر اسماء عدد كبير منهم فى كتب التراجم وفى بعض المصادر العربية (٩٩). اما بنو دانس بن عوسجة فقد استقروا فى موضع من الغرب عرف فيما بعد بقصر ابى دانس (٧٠) ، وكانوا قد استقروا فى قلمرية Coimbra التى تقع على بعد ١٢٠ كلم الى الجنوب من برتقال Porto ، هذا الى جانب استقرار جماعة من قبيلة زواغة البربرية بالقرب من بطليوس فى حصن اقترن باسم هذه القبيلة « حصن Azuaga » كما عاشت قريبا من بطليوس قبيلتا مغيلة وزناتة ، ولاتزال حتى اليوم هذه المناطق تحمل اسم هاتين القبيلتين Gineta, Maguilla (٧١) .

ماكاد عبد الله بن مسلمة المعروف بابن الافطس يستولى على امور الدولة بعد وفاة سابور حتى يسيطر على بطليوس وما يتبعها ،ويتلقب بالملك المنصور ، ومن ثم بدأ يمارس نفوذه كملك من ملوك الطوائف ، ولم يلبث ان دخل فى صراع عنيف طويل الامد مع ملوك اشبيلية فى

= (٦٨) قورية Coria تتبع محافظة قاصرش Caceres الحديثة على وادى نهر تاجة قريبا من الحدود البرتغالية،وقد ورد ذكر هاتين المدينتين فى المصادر العربية جنبا الى جنب ، ويرجح د.عبد الواحد ذنون انتكون اجدانيةوتبعد نحو ستين كيلو مترا الى الغرب من قورية ، هى نفس المدينة البرتغالية الحالية (ص ٢٠١) Idanha Velho . ولكن د. مكى يرجح أن تكون هى نفس حصن انطاطة (راجع ابن القطان ، نظم الجمان ص ٢٠١) .

(٦٩) ابن الفرضى ، تاريخ علماء الاندلس،القسم الاول، ص ١٧ - ١٨ ، ياقوت الحموى ، المعجم ، ج ١ ، ص ١٩٥ .

(٧٠) تسمى مدينة قصر ابى دانس اليوم Alcaçer do Sal اى قصر الملح ، لذا فقد رجح د. عبد الواحد ذنون طه ان بربر هذه المنطقة كانوا يتاجرون بالملح الذى يشكل الانتاج الرئيسى لهذه المنطقة (المرجع السابق ص ٤٢) .

(٧١) Albarran, Op. Cit., P. 45.

الحدود الجنوبية كما دخل فى صراع مع مدينة باجة الثائرة (٧٢) .

(٢)

المنصور(٧٣) ابو محمد عبد الله بن محمد بن مسلمة بن الافطس

أ - بداية الصراع بين ابى محمد عبد الله بن محمد ابن الافطس وبين ابن عباد فى اشبيلية :

لا نعرف على وجه الدقة التاريخ الذى بدأ فيه العداء بين المنصور ابن الافطس وابى القاسم محمد بن عباد ، ولكن المتواتر هو ان الصراع الحاد بين كل من مملكة اشبيلية (٧٤) ومملكة بطليوس قد بدأ فى عهد

---

(٧٢) Albarran, el solar de los Aftasiés, Op. Cit., P. 32.

(٧٣) يخلط الاستاذ الدكتور حسين مؤنس بين المنصور والمظفر ، فيلقب عبد الله بن مسلمة خطئا بالمظفر فى حين انه تلقب بالمنصور اما المظفر فهو لقب ولده محمد الذى خلف اباه المنصور عبد الله فى مملكه بطليوس سنة ٤٣٧هـ (١٠٤٥م) واليه ينسب كتاب المظفرى

Hussain Monés, Consideraciones sobre la epóca de los Reyes de Taifas, al Andalus, Vol. XXXI, 1966, P. 316.

ومن الجدير بالذكر ان الدكتور سلفادور جومث نوجاليس عندما رجع الى المقال المذكور فى دراسته القيمة عن بلاط بنى الافطس ببطليوس

Gomez Nogales; La corte de los Aftasies de Badajoz; Principalmente en el campo de la filosofia, en Actas del IV Coloquio Hispano-Tunecino; Madrid 1983, P. 137.

لم يلاحظ هذا الخطأ الذى يغلب على الظن انه ورد سهوا فى بحث الدكتور مؤنس .

(٧٤) ينتسب بنود عباد ملوك اشبيلية ،الى لخم ،ومؤسس دولتهم القاضى ابو القاسم محمد بن اسماعيل بن قريش بن عباد بن عمرو بن اسلم بن عمرو بن عطاف بن نعيم . وعطاف كان قد دخل الاندلس مع طالعة بلج بن بشر القشيرى ، وقيل انهم ينتسبون الى النعمان بن المنذر بن ماء السماء (لمزيد من التفاصيل ارجع الى ابن الابار ، الحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ٣٤ ، ابن عذارى ، البيان ، ج ٣ ، ص ١٩٣ ، محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف منذ قيامها ، ص ٣٢) . وقد تألق نجم بنى عباد فى اعقاب الفتنة على يد جدهم القاضى ابى الوليد اسماعيل قاضى اشبيلية الذى كان قد تقلد العديد من الوظائف ، =

المنصور ابى محمد عبد الله بن محمد بن مسلمة مؤسس الدولة الافطسية منذ سنة ٤٢٠هـ (١٠٢٩م) وانه استمر فى عهد ابنائه مدة طويلة ، وكان السبب فى نشوب هذا الصراع فى بداية الامر مدينة باجة التى كانت تابعةللمنصور الافطسى، وكانابن الافطس قد بادربالاستيلاء عليها لقربها الشديد منمملكة بطليوس، وكانت مدينة باجة Beja (٧٥) قد طحنتها النوائب فترة تتجاوز قرنا من الزمان ، ففى فترة التمزق السياسى التى سبقت ارتقاء عبد الرحمن الناصر على دست الخلافة ، كانت مسرحا لصدامات مسلحة كما أنها تعرضتابان الفتنة التى واكبت السنين الاخيرة منخلافة هشامالمؤيد لمحن ونكبات ،فقد هاجمتها قبائل البربر وعاثوا فيها فسادا ، وتأثر عمران باجة بهذه الغارات ، فرحل عنها كثير من سكانها وباتت باجة مدينة شبه مهجورة (٧٦) .

= فقد تولى الشرطة لهشام المؤيد ، ثم خطة الامامة والخطابة بالجامع الاعظم ، ثم ولى قضاء اشبيلية . وعندما احتدمت نيران الفتنة البربرية بقرطبة واستدعىالقاسم بن حمود لتولى الخلافة بقرطبة بعد مصرع اخيه على بن حمود سنة ٤٠٨ هـ (١٠١٧م) ، وخلا الجو للقاضى رأى أن يتخلص أهل اشبيلية من البربر ، فلما استدعى القاسم الى قرطبة ليتولى الخلافة للمرة الثانية ، اجتمع رأى أهل اشبيلية على ثلاثة من الزعماء يتولون امرهم من بينهم القاضى اسماعيل ، ثم قدم القاضى ولده ابا القاسم محمد لينفرد بالحكم فى اواخر سنة ٤١٤هـ (١٠٢٣م) وهو التاريخ الذى يبدأ فيه استقلال مملكة اشبيلية (انظر ابن الابار ، الحلة السيراء ، جـ ٢ ، ص ٣٤ وما بعدها ، ابن بسام، الذخيرة ، المجلد الثانى ، القسم الثانى ، ص ١٣ - ١٤ ، البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ١٩٣ وما يليها) .

(٧٥) ذكر صاحب كتاب « ذكر بلاد الاندلس » انها مدينة عظيمة ازلية من اقدم مدن الاندلس بنيانا ، « وكانت متصلة باعمال ماردة ، وهى غرب قرطبة ، واغلة فى الجوف ، وهى خصيبة كثيرة الثمار ذات زرع وضرع وفواكه وعسل طيب ، وبها معدن الفضة .. وبها حمامات وشوارع واسعة واسواق ومساجد كثيرة واهلها عرب » (لوحة ٤٨) وينسب الى باجه القاضى الفقيه الاديب العالم المتكلم أبو الوليد الباجى شارح الموطأ ، ت ٤٧٤هـ (١٠٨١م) انظر الحميرى صفة جزيرة الاندلس ، ص ٣٦) .

(٧٦) Martinez y Martinez, Historia de Badajoz; P. 101 — Albarran; el solar de los Aftasies P. 259. =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولم يكد عبد الله بن الافطس يبلغه ان أبا القاسم محمد بن عباد يسعى للاستيلاء على باجة ليعمرها ويشحنها بأجناده حتى تبين له مدى الخطر الذى يمثله ذلك بالنسبة لدولته ، وادرك ان عباد انما كان يستهدف اتخاذها نقطة ارتكاز رئيسية فى الغرب ينطلق منها لاخضاع الدويلات الصغيرة المتناثرة فى غرب الاندلس لسلطانه ، ومنها دويلة بنى مزين فى شلب ودولة بنى هارون فى شنتمرية الغرب ودولة البكريين فى أونبة وشلطيش Saltés ودولة بنى خزرون فى اركش Arcos ، وانتزاع بعض المدن التابعة لمملكة بطليوس ، وعندئذ يصبح فى امكانه تنفيذ سياسة توسعية نحو الشمال .

كان ابن الافطس يعلم تماما ان ابا القاسم بن عباد منذ ان انفرد بحكم اشبيلية حتى اصبح خصما عتيدا له ، فلما بلغه ما كان ينتويه نحو باجة اعتبر ذلك نذيرا له ،وكان عليه ان يبادر بالتحرك (٧٧) ، ولم يتردد ابن الافطس فى اتخاذ زمام المبادرة ، فارسل قوة من اجناده

= ولقد تعرضت باجة بعد سنة ٢١٥هـ (٨٣٠م» لغارات كثيفة مخربة قام بها محمود بن عبد الجبار الماردى المصمودى قبل أن يستقر مؤقتا فى منت شاقر Monchique بكورة اكشونبه التى نزح منها الى جليقية (Lévi - Provençal, Histoire, t. 1, P. 205)

وفى تلك الفترة استقل بباجة عبد الملك بن ابى الجواد القائم بدعوة المولدين (ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق انطونية ، ص ١٥) ثم تعرضت لموجة ثانية من التخريب عندما حاصرها عبد الرحمن الناصر فى جمادى الاخرة سنة ٣١٧هـ(يونيو ٩٢٩م) بالمجانيق وآلات الحرب حتى استنزل صاحبها عبد الرحمن بن سعيد بن مالك (ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ص ٢٤٨) .

(٧٧) لم يكن عبد الله بن الافطس يهتم كثيرا بمدينة باجة ، ولايقدر اهميتها العسكرية بالنسبة لمملكته حتى بلغه سعى ابن عباد للسيطرة عليها ، وعندئذ اتضحت له ابعاد استراتيجية خصمه وادرك الخطورة الحقيقية التى تمثلها باجة بالنسبة لمملكة بطليوس لو ان ابن عباد بادر قبله بالاستيلاء عليها ، وهكذا بدأ التنافس بين مملكة بطليوس ومملكة اشبيلية على باجة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بقيادة ابنه محمد ، الى باجة للاستيلاء عليها ، ونجح محمد بن عبد الله بن الافطس فى تنفيذ مهمته .

ولما بلغ ابن عباد ان ابن الافطس سبقه فى الاستيلاء عليها ، لم يسكت عن ذلك وان كان قد تظاهر بالسكوت وقبول الامر الواقع . ولكنه اخذ يخطط للاستيلاء عليها ، واستعان فى ذلك بمحمد بن عبد الله البرزالى صاحب قرمونة (٧٨) الذى كانت تربطه به مصالح مشتركة ، فقد كانت قرمونة الحصن الامامى لاشبيلية من جهةالشرق، كما ان البرزالى صاحب قرمونة كان يخشى على بلده من بنى حمود فى قرطبة ، ولهذا لم يكن يتردد فى تلبية اى طلب لابن عباد .

وحدث ان اختلف اهل مدينة باجة فيما بينهم على الرياسة ، وقامت فيها فتنة تعرف باسم فتنة البرابرة ، فاستغل ابن عباد الاوضاع المرتبكة فى باجة وسير ولده اسماعيل على رأس حشد من الجند

(٧٨) بنوبرزال - أو البرازلة - فخذ من زناتة من بنى يفرن كانوا ينزلون بالزاب الاسفل منافريقية (وسط الجزائر حاليا) بخلاف الزاب الاعلى الذى كان يتبع الاغالبة ، وصفوا للحكم المستنصر بالشدة والشجاعة فىالحروب فأمر بمكاتبتهم، فعبروا الى الاندلس ودخلوا فى خدمة الخلافة الاموية ،واستعان بهم المنصور ابن ابىعامر ،فازدادوا بذلك قوة ونفوذا،وعند وقوع الفتنة تمكنوا من الاستيلاء على قرمونة واستجه، وحصن المدور واحوازها ، وكان زعيمهم عندئذ محمد بن عبد الله البرزالى ، وكان قد تحالف لفترة منالزمن مع القاضى ابى القاسم بنعباد، ولكن فى عهد ابنه المعتضد قامت بين اشبيلية وقرمونة حروب طويلة انتهت بمقتل محمد بن عبد الله البرزالى ، ومنذ ذلك الوقت بدأ شأن البرازلة يضعف ، ويتحالف اسحاق بن محمد بن عبد الله البرزالى مع بنى الافطس الذين كانوا قد حاربوهم من قبل ، وانتهى امر البرازلة بان انضمت بقاياهم الى باديس بن حبوس الزيرى ، صاحب غرناطة ، (انظر ابن الابار ، الحلة السيراء ، جـ٢ ، حاشية ، ص ٥٠ ، مجهول ، نبذ تاريخية من كتاب مفاخر البربر ، ص ٤٤)
Albarran, el solar, Op. Cit., P. 261.

للاستيلاء على باجة واشترك البرزالى فى هذه الحملة بقواته (٧٩) . وكانت باجة حتى ذلك الحين ما تزال تابعة لابن الافطس ، وتم حصارها ، واجتاحت خيالة قوات ابن عباد وحليفه كل منطقة يابرة والمناطق الساحلية ، ونهبت ودمرت كل ما تقابله فى الطريق ، وبالطبع توجهت قوات المنصور ابن الافطس للدفاع عن باجة ، وكان على رأسها محمد بن المنصور بن الافطس يساعده فى ذلك ابن طيفور صاحب مرتلة قاعدة شلب ، وكان ابن طيفور قد أقبل لمساعدة ابن الافطس وذلك عندما تبين له مدى الضرر الذى سيترتب على سيطرة ابن عباد على باجة بالنسبة لدولته الصغيرة . ثم دارت معركة عنيفة بين الجانبين انتهت بتغلب ابن عباد وحليفه البرزالى على قوات ابن الافطس ، فتمزقت شر ممزق ووقع عدد كبير منها فى اسر ابن عباد ، وكان من جملة الاسرى محمد بن عبد الله بن الافطس الذى اعتقله البرزالى فى قرمونة حتى اطلق سراحه فى ربيع الاول من سنة ٤٢١هـ (٨٠) (١٠٣٠م) بعد عام كامل

---

(٧٩) يقول ابن بسام « تعطلت قصبة باجة بسبب فتنة البرابرة ، وخربت على قدم بنائها فى الجاهلية واتصال عمرانها فى الاسلام ، ومكانها من طيب المرية واتساع الخطة ، وكان افائها من اختلاف اهلها قديما وبقاء شؤم العصبية بين العرب منهم والمولدين ، فسما لها ابن عباد وابن مسلمة وذهبا يومئذ الى امارتها ، واستظهر القاضى ابن عباد فى ذلك بحليفه محمد بن عبد الله البرزالى صاحب قرمونة ، وجرد ابنه اسماعيل لبنائها ، فسبقه ولد ابن مسلمة اليها الملقب بالمظفر ، وجاء فى مدد ابن طيفور صاحب ميرتلة من امراء الساحل (المحيط) فنزل ابن عباد عليه بباجة ، وضربت خيله الى ناحية يابرة والغرب فهتكت استارها ، وخربت ديارها ، واتصل الحصار بابن الافطس بباجة وانصدع الجمع عن اسره ، وقتل كبار رجاله وبعثت بالاسرى الى ابيه ، وكان فى جملتهم اخ لابن طيفور صلب باشبيلية ، وحبس ولد ابن الافطس عند صاحب قرمونة ابن عبد الله . وبلغت هذه الغزاة من ابن الافطس الغاية وتجاوزت الملك برعيته النهاية ... » (انظر ابن بسام الشنترينى ، الذخيرة فى محاسن اهل الجزيرة القسم الثانى ، المجلد الاول ، ص ٢٠) .

(٨٠) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ٢٠٣ ، وذكر ابن =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من الاعتقال ، فعاد الى بطليوس بعد ذلك وقد هذبته المحنة (٨١) .

ويبدو أن ابن الافطس وابن عباد اتفقا على هدنة تتوقف فيها المعارك بدليل أنه لم يحدث بين الجانبين قتال حتى سنة ٤٢٥هـ (١٠٣٤م) . ولم تمض اربع سنوات على فك محمد بن عبد الله بن الافطس من سجنه حتى تجددت الحرب بين المنصور عبد الله ابن الافطس وأبى القاسم محمد بن عباد ، وكان ابن عباد قد عزم على غزو مملكة ليون ، وكان يتعين على قواته أن تمر من اراضى مملكة بطليوس ، فتعاقد بينه وبين ابن الافطس على الا يتعرض الاخير لقوات اشبيلية وعلى هذا الاساس، خرج اسماعيل بن عباد على رأس جيشه الى أراضى العدو بموافقة ابن الافطس الذى سمح له بالعبور فى اراضيه ليحارب فى غليسية (٨٢) والمقصود بها مملكة ليون ، ويذكر سيمونيت نقلا عن مخطوطة ريحان

= عذارى ان ابن عبد الله البرزالى عرض على محمد بن الافطس ان يجتاز على القاضى ابن عباد ليشركه فى المن عليه باطلاق سراحه ، ولكن محمد بن الافطس انف من ذلك وآثر أن يكون اسيرا لديه على ان يتحمل منته عليه ، فكبر فى عين البرزالى ، واطلقه بعد ان اكرم تشييعه .

(٨١) ابن عذارى ، البيان ، جـ ٣ ، ص ٢٠٣ ، وانظر محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص ٣٦ ، ٨٢ .

(٨٢) يقول ابن بسام « فلما كان فى سنة خمس وعشرين وجه ابن عباد بابنه اسماعيل مع عسكر الى أرض العدو تحت معاقدة بينه وبين ابن الافطس ، فلما اوغل اسماعيل ببلده يريد ارض غليسية وابن الافطس ، قصد الغدر به ، بادر بجميع رجال ثغره ورصده فى شعب ضيق فى طريق قفوله ،ولم يعلم ابن عباد بشىء من تدبيره حتى حصل فى الانشوطة ، فبادر اسماعيل بالنجاة لنفسه ، واسلم جميع عسكره له ، وجرت عليه فى مهربه مع حملته من اصحابه شدة لجأ فيها الى ذبح خيله والاغتذاء بلحومها ، ونجا بندمائه الى مدينة اشبونة آخر عمله من ساحل البحر المحيط ، فاصطلم ابن الافطس عسكره اصطلاما لم يسمع بمثله ، ووقع فرسان العدو من النصارى على كثير منهم، فاقتنصوهم اقتناصا وقتلوا منهم امة ، وكانت حادثة شنيعة» (انظر ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الثانى ، المجلد الاول ، ص ٢٢) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اللباب ان ابا القاسم محمد بن عباد كان قد استولى فى احدى حملاته على شمال اقليم لجدانية على حصنين متقابلين يقومان على نشزين يفصل بينهما جرف يعرفان بالاخوين ويقعان على مقربة من بازو Viseo يعرفان اليوم باسم Alafoens كانت تسكنهما جماعات مسيحية من المستعربة بعضهم يتكلم العربية ويزعمون أنهم من سلالة جبلة ابن الايهم ، وبعد أن استولى ابن عباد على الحصنين اصطحب معه فى جملة عسكره ثلاثمائة من حاميتها ، وكانوا محاربين اشداء (٨٣) .

ويعتقد البران أن هؤلاء المستعربين ارشدوا ابن عباد على الطرق المؤدية الى هدف غزوته وهى منطقة معروفة على مقربة من نهر دويرة (٨٤).وقد يكون الهدف من هذهالحملة الاشبيلية رغبة المسلمين فى استغلال الوضع السيىء الذى كانت تجتازه مملكة ليون على عهد برمند الثالث بسبب الجفاف والمحل والجوع الذى كابدته فى العام السابق ، بالاضافة الى الاضطراب السياسى الذى نشأ نتيجة الصراع القائم بين الملك الشاب برمند الثالث ملك ليون وشانجة الثالث ملك نبرة ، ثم بينه وبين فردلند الاول ملك قشتالة (٨٥) . ولا تتيح لنا المادة التى فى متناول ايدينا ان نحدد الهدف الذى كان يسعى اليه ابن عباد فى مملكة ليون أو الموقع الذىهاجمه فىالأراضىالليونية، وعلىالرغم من موافقة ابن الافطس على عبور قوات اشبيلية فى اراضية الا انه قرر أن ينكث بوعده ويترصد عودته من غزوته وينقض عليه بكل عدته وعديده اشباعا لشهوة انتقامه من اسماعيل بن عباد الذى هزم قواته فى باجه قبل سنوات ، وأسر ولده محمد . وبينما أوغل اسماعيل بن عباد ببلاد ابن الافطس فى طريق عودته من غزوته خرج عليه ابن الافطس فجأة فى قوة كثيفة وطارده بشدة ففر

---

(٨٣) S'monet; Historia de los Mozárabes de E-paña, P. 654.
Albarran, el Solar, Op. Cit., P. 262.

(٨٤) Albarran, el solar, Op. Cit., P. 263.

(٨٥) انظر الملحق رقم «١» .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اسماعيل (٨٦) فى شرذمة من رجاله يطلب النجاة بنفسه ، تاركا جيشه كله تحت رحمة سيف ابن الافطس ، وتعرض اثناء فراره لمأزق جمة ولجأ الى ذبح خيله والاغتذاء بلحومها الى ان وصل الى الاشبونة (٨٧) .

أما جيشه فقد كان ضحية الصراع بين بنى الافطس وبنى عباد ، فقد أصبح فريسة سهلة للعدو من النصارى الذين اقتنصوهم اقتناصا وقتلوا منهم اعدادا هائلة ، وكانت حادثة شنعاء تركت بصماتها واضحة فى الحوادث التالية (٨٨) .

وقد اثار لجوء اسماعيل بن عباد الى الاشبونة ، كما ورد فى رواية ابن عذارى وأخذ به مانويل البران (٨٩) والمستشرق الهولندى دوزى (٩٠) جدلا بين الباحثين نظرا لان الاشبونة كانت تدخل فى نطاق مملكة ابن الافطس ، فلا يعقل ان يلوذ ابن عباد ببلد تابع لابن الافطس ، وهذا ما دعا الى التشكك فى صحة قراءة الاشبونة ، ولقد قراها ادريس روجيه فى مخطوطة البيان فى صورة الأشونة ، وبهذا فقد رجح ان تكون الاشونة التى لجأ اليها اسماعيل هى اكشونبة (فارو الحالية) وكانت تابعة فى تلك الاونة لبنى هارون ، ويؤكد هذا الافتراض أنها وردت فى معجم البلدان لياقوت تحت اسم اشونبة .

ومع ذلك فاذا كان المقصود بالاشبونة اكشونبة فمن المستبعد ان تكتب بهذه الصورة الاشونة باضافة (ال) ، واغلب الظن ان تكون الاشونة الواردة فى مخطوطة ابن عذارى هى تحريف واضح من الاشبونة التى وردت واضحة فى نص ابن عذارى الذى نشره ليفى بروفنسال ونحن

---

(٨٦) ابن عذارى ، البيان ، جـ ٣ ، ص ٢٠٢ .
(٨٧) المصدر السابق ، ص ٢٠٣ .
(٨٨) نفسه ، ص ٢٠٣ .
(٨٩) Albarran, Op. Cit., P. 263.
(٩٠) Dozy, Op. Cit., Vol, III, P. 11.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نميل الى الاخذ بقراءة ليفى بروفنسال ، يضاف الى ذلك وجود اسباب اخرى تدعو الى ميل اسماعيل الى التراجع عن طريق الساحل مرورا بالاشبونة ، اذ انه للذهاب من مملكة اشبيلية الى الاراضى الليونية يتحتم سلوك الطرق الغربية المرتفعة من ساحل الاطلسى ،وللنزول من مناطق دويرة يتعين استخدام الطرق التى تهبط نحو تاجة عبر قلمرية، ومن المعروف ان الاشبونة كانت قد اعلنت استقلالها عن ابن الافطس فى فترة تسبق وصول اسماعيل بن عباد بقليل فى ظل عبد العزيز وعبد الملك ولدى سابور ، ولا نستبعد ان يكون اسماعيل قد اختار الاشبونة فىتلك الآونة بالذات التى كان سلطان ابن الافطس فيها مذبذبا،وربما اثر اسماعيل ان يمضى من هناك الى شلب القريبة ، واغلب الظن ان بطليوس هاجمت فلول اسماعيل على مقربة من وادى تاجة أو عند مفترق الطرق المؤدية الى الاشبونة الامر الذى يفسر لجوءه الى هذه المدينة ومنها يمكن الوصول عن طريق الساحل الى حدود مملكة اشبيلية .

وعلى هذا الاساس علينا ان نستبعد الاحتمال بان تكون اكشنبة ملاذا لابن عباد اذ ان ذلك من شأنه ان يورط قوات ابن الافطس المطاردة لقوات اشبيلية عند تراجعها ، فان مطاردتها لهذه القوات الى هذا الحد لابد ان تبعدها عن اراضى مملكة بطليوس ، وفى هذه الحالة تجد هذه القوات نفسها مضطرة الى النزول الى الساحل الجنوبى داخل نطاق امارة من الامارات الصغيرة المستقلة فى هذا الصقع وذلك بعد اختراقها لمملكة ابن عباد ، الوحيد الذى يمكنه حماية رجاله ،ولايمكن ان يكون الاشتباك قد وقع حسب ما زعمه مارتينث اى مارتينث فى سيرادى لا استريا (سلسلة جبال النجمة) لانه لا يوجد ما يثبت ذلك (٩١) .

(٩١) Albarran, Op. Cit., P. 264.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهكذا يتضح لنا فى الظاهر ان اطلاق سراح الامير محمد بن الافطس من معتقله قد تم نتيجة اتفاق بين الطرفين أقرب ما يكون الى معاهدة الصلح ، تتوقف فيها الاشتباكات العسكرية ، ولكن فى واقع الامر لا نستطيع ان نجزم بشىء من ذلك لان المصادر العربية لم تزودنا بما يؤكد هذا الافتراض ، وكل ما فى الأمر أن حالة الركود فى العلاقات بين اشبيلية وبطليوس انتهت فى عام ٤٢٥هـ (١٠٣٣م) بذلك الكمين الذى نصبه ابن الافطس لقوات ابن عباد وادى ذلك الى كارثة تعرضت لها هذه القوات على أيدى الليونيين ، وأدى ذلك بطبيعة الحال الى توتر العلاقات من جديد بين العاصمتين وان كان ذلك لم يؤد الى اشتباكات جديدة بين قواتهما ، وانما كان الموقف على وشك التفجر بحيث يمكننا أن نشبهه بوميض النار تحت الرماد ، وقد وضعت وفاة القاضى ابى القاسم محمد بن عباد فى سنة ٤٣٣ هـ (١٠٤١م) حدا لهذا الموقف، ومنذ اعتلاء ولده عباد تبدأ مرحلة جديدة فى تاريخ الصراع بين اشبيلية وبطليوس ، وسيتجدد هذا الصراع فى عهد المظفر بن الافطس مع ابى عمرو عباد الملقب بالمعتضد بالله (٩٢) .

ب - الاوضاع السياسية فى الغرب فى عهد المنصور بن الافطس :

لم يكن الصراع الدائر بين ابن عباد فى اشبيلية وابن الافطس فى بطليوس فى حقيقته صراعا شخصيا بين ملكين ، وانما كان فى واقع الامر حلقة من حلقات الصراع المتأصل بين الطائفة البربرية والطائفة العربية كان صراعا بين العنصر العربى والعنصر البربرى فى الاندلس ، فابن عباد

---

(٩٢) يرجح Martinez y Martinez الرأى القائل بأن ابا محمد عبد الله بن محمد بن مسلمة الملقب بالمنصور بن الافطس قد اكتسب هذا اللقب الذى يوضح انتصاره وتفوقه العسكرى بعد هزيمته لابن عباد فى عام ٤٢٥هـ (١٠٣٣م) ، فمن الحقائق التى نعرفها عن عهد المنصور بن الافطس انه لا يوجد حادث أو مناسبة واحدة تؤهله للتلقب بهذا اللقب الرفيع الا هذه الحادثة التى توضح طباعه الغادرة وخصاله التى قامت على الغدر ونكران الجميل لهذا فانى أرى رأى Martinez y Martinez (أنظر : Martinez y Martinoz, Op. Cit., P. 104.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كما سبق أن أوضحنا يرجع فى نسبه الى أصول عربية بحتة وقحطانية بالذات اذ أن نسبه يرتفع الى لخم بينما يرجع بنو الافطس الى أصل بربرى قح . وقد يكون هذا الصراع نتيجة للمطامع الشخصية وشهوة السلطان بصرف النظر عن الأصول .

ويرى البران أن عام٤٤٠هـ (١٠٤٨م)قد شهد تحالفا بربريا قويا يستهدف ابن عباد ، يضم كل من باديس بن حبوس القوى صاحب غرناطة ، ومحمد بن نوح الدمرى سيد مورور ، ومحمد بن خزرون صاحب أركش وقلسانة،واسحاق بن محمد بن عبد اللهالبرزالىصاحب قرمونة ،وبنى يحيى اليحصبى أصحاب لبله ،والمظفرصاحب بطليوس، وفى اعتقاد البران أن جذور هذا التحالف البربرى قديمة ترجع الى الايام الاولى للصراع بين ابن عباد وابن الافطس فى حدود سنة ٤٢١ هـ (١٠٣٠م) ، وهذا الصراع بين العرب والبربر هو الذى سيؤدى الى مقتل اسماعيل ابن القاضى ابى القاسم محمد بن عباد فى اوائل المحرم سنة ٤٣١هـ (أواخر سنة ١٠٣٩م) .

ولعل هذا الحديث يقتضى منا عرض صورة سريعة لخلفية الحوادث والوقائع التى حركت المنصور بن الافطس والتى ستعيننا فيما بعد على تفسير كثير من المواقف الغامضة فى عصر ملوك الطوائف .

ومن المسلم به أن حوادث القرن الخامس الهجرى الذى اصطلح على تسميته بعصر ملوك الطوائف كانت صراعا بين اهل الاندلس سواء من العرب او البربر القدامى المتأسبنين أو العناصر الاسبانية المتعربة ، وبين العناصر الطارئة على الاندلس من البربر والصقالبة ، واتخذ هذا الصراع بادىء ذى بدء مظهرا قوميا واضح المعالم بين أهل الاندلس وبين البربر الذين يزاحمونهم دون الصقالبة الذين كانواينضمون مرة الى أهل الاندلس ، ومرة الى البربر الى ان اتخذوا فى النهاية جانبا فى هذا الصراع فمالت طائفة الصقالبة الى جانب الطائفة الاندلسية ضد الطائفة البربرية (٩٣) ، بحيث تحولت الطوائف الثلاثة الى طائفتين

(٩٣) Henri Pérès, La poésie andalouse en arabe classique au XIe

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

متعاديتين احداهما بربرية والاخرى اندلسية تجمع بين العنصر العربى وبين البربر البلديين والصقالبة .

وقد استغلت الطائفة البربرية احداث الفتنة التى انتهت بسقوط الخلافة المروانية بقرطبة ، واقتطع رؤساؤها لانفسهم دويلات بربرية مستقلة منها دولة بنى زيرى بن مناد الصنهاجى فى غرناطة ، وبنو برزال الزناتيون فى قرمونة ، وبنو دمر الاباضيون فى مورور Moron وبنو خزرون بأركش ، وبنو ابى قرة برندة Ronda ، وبنو يحيى بلبلة وشلب ، وبنو هارون بشنتمرية الغرب ، وبنو مزين بشلطيش Saltés Silves Niebla ، فى حين استقل رؤساء الطائفة الاندلسية فى مناطق متعددة من الاندلس ، ففى شرق الاندلس قامت دويلات صقلبية فى دانية وبلنسية وطرطوشة والمرية ، وفى طليطلة قامت دولة بنى ذى النون ، وفى السهلة دولة بنى رزين ، وفى بطليوس دولة بنى الافطس وجميعهم من البربر البلديين . أما فى قرطبة فقامت دولة بنى جهور واصلهم من الفرس دخل جدهم الاول يوسف بن بخت الى الاندلس قبل دخول عبد الرحمن بفترة طويلة (٩٤) . وفى اشبيلية قامت دولة بنى عباد اللخميين ، وفى سرقسطة دولة بنى هود الجذاميين ، وفى المرية دولة بنى صمادح التجيبيين ، وكلهم من العناصر العربية فى الاندلس ، وقد تزعم بنو عباد باشبيلية والمعتضد بالذات الطائفة الاندلسية ، وتولوا مهمة جمع شتات أهل الاندلس وتكوين جبهة اندلسية متحدة تهدف الى القضاء على الجبهة البربرية المعادية ، فمنذ أن خلف المعتضد اباه وهو يسعى سعيا حثيثا لتوسيع رقعة مملكته على حساب امراء زناتة فى الجنوب والجنوب الغربى من الاندلس ، ثم على حساب بنى حمود فى مالقة والجزيرة وبنى جهور بقرطبة ، وبنى طيفور بمرتلة ، وبنى طاهر بمرسية ، وكان ابوه

= siècle, Paris, 1937, P. 5-15 — Isidro de las Cagigas, Andalucia musulmana, Madrid, 1950, P. 34-Lévi-Provençal, Histoire de — l'Espagne musulmane, t. III, P. 175.

(٩٤) ابن عذارى ، البيان ، جـ ٣ ، ص ١٨٦ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

القاضى ابى القاسم محمد بن عباد قد تصدى لاطماع بنى حمود فى مملكته عن طريق الالتفاف حول زعيم روحى،فزعم انه اهتدى الى هشام المؤيد فاستقدمه وبايعه بالخلافة،ثم خاطب الدويلات الاندلسية بشانه فخطب له بعض ملوك الطوائف وابى البعض ، فاضطر ابن عباد الى استخدام العنف والقوة فى حملهم على الخطبة لهشام المزعوم (٩٥) .

ولم يلبث العداء بين الطائفة الاندلسية والطائفة البربرية أن بلغ

---

(٩٥) يتمثل ذلك فى العملات التى وصلتنا من هذه الدويلات ، وقد نقش عليها اسم هشام المؤيد ، ويذكر ابن حيان أنه فى سنة ٤٣٥هـ (١٠٤٣م) تميز امراء الاندلس وملوكهم من قبائل البر وغيرهم وصاروا فريقين ، وكان من بين ملوك الطوائف الذين اطاعوا بنى عباد فى دعوتهم الهشامية سليمان بن هود الجذامى صاحب الثغر الاعلى ومعه مقاتل الصقلبى صاحب طرطوشة وعبد العزيز بن ابى عامر صاحب بلنسية وابن معن صاحب المرية ، وسعيد ابن رفيل صاحب شقورة Segura وغيرهما من الرؤساء الى الوزير محمد بن جهور صاحب قرطبة . وكان هؤلاء الاندلسيون نمطا واحدا متظاهرين على عظيم البرابرة يومئذ باديس بن حبوس الصنهاجى صاحب غرناطة ومن تميز معه من البربر ومن يدعو اليه من ادريس بن يحيى صاحب مالقة ، وكانوا متعاضدين متناصرين على من يباينهم من الامراء سواهم على اختلافهم فى الرأى والدعوة ، وكان هؤلاء الثغريون المذكورون يدعون لهشام المنصوب باشبيلية ،وكان باديس ومن والاه من امراء البرابرة يدعون لامامهم بمالقة وهو ادريس بن على بن حمود الحسنى و ... » .

ويضيف ابن حيان ان فريقا آخر من ملوك الطائفة الاندلسية ومنهم مجاهد العامرى صاحب دانية وابن الافطس صاحب بطليوس ايضا ، ومن يتصل به من الرؤساء بالغرب ويحيى بن ذى النون صاحب طليطلة ، واسحق بن محمد البرزالى صاحب قرمونة ومن والاه من الامراء الاصاغر امثال ابن نوح وابن خزرون وغيرهما ، كان هؤلاء جميعا على الدعوة الهشامية . ويعلق ابن حيان على هذا التكتل من جانب الطائفة الاندلسية ، فيقول « وتظاهر كل من هؤلاء الامراء على ضده فى الظاهر اتم مظاهرة يتداخلون ويتعاونون على دفع الحوادث الطارقة لهم، ولا يثب بعضهم على بعض بخلاف رأى أو دعوة» (انظر ابن عذارى ، البيان ، جـ٣ ، ص ٢١٩ ، ٢٢٠) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ذروته عندما اقـــدم المعتضد بن عباد على التهـــام الدويلات البربرية المتناثرة حول مملكته وكان بعضها قد دخل فى حلف ابن الافطس ، وادى هذا الاعتداء على تلك الدويلات البربرية الى تجدد الاشتباكات بين قوات اشبيلية وقوات بطليوس . ومن الغريب ان الصراع القائم بين ابن عبـاد وابن الافطس كان يتخذ فى مظهره العام لونا عصبيا رغم ان ابن الافطس كان متأسبنا يندرج فى الطائفة الاندلسية التى يتزعمها بنو عباد ، وربما كان ذلك سببا فى انتحـاله للنسب التجيبى ، وقـد رأينا الاسباب التى ادت الى تجدد الصراع بين الجانبين ، ومع ذلك فالاستاذ محمد عبد الله عنان يوجه انظارنا الى نقطـــة هامة تحدث عنها ايضـــا مارتينث اى مارتينث Martinez Y Martinez وهى ان ابن عباد رغم خصومته للبربر اعتمد فى صراعه ضد المنصور بن الافطس على حليفـــة البربرى محمد بن عبد الله البرزالى صاحب قرمونة ، وقد سبق أن أوضحنا أن العامل الاستراتيجى وعامل المصلحةالمشتركة قد جمعا بين الضدين(٩٦) وكما استعان ابن عباد بالبربر اعتمد المنصور بن الافطس على البربر .

ومن المعروف ان محمد بن عبد الله البرزالى صاحب قرمونة كان مـن أكبر محرضى ابن عباد على حروبه ضد العصبية البربرية تحقيقا لمصالحه واطماعه الشخصية حتى ان ابن عذارى يسميه « بقطب رحى الفتنة (٩٧) » حينا و «بشهاب الفتنة (٩٨) » حينا آخر .

وقد حاول قطع السبل على قرطبة وتضييق الحصار عليهـا حتى اضطر وزراء قرطبة الى الاستعانة ضده بطائفة من بربـر بنى برزال بشذونة ، وكان ابن الافطس يعتمد فى كثـــير من الاحيـــان على بعض

---

(٩٦) محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص ٣٥ .
Martinez y Martinez, Historia de Badajoz, P. 105.

(٩٧) ابن عذارى ، البيان ، جـ ٣ ، ص ٢٠٢ .

(٩٨) المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٢٠٦ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الطوائف البربرية (٩٩) .

ومن الامثلة التى تصور طبيعة الصراع الذى كان يدور سرا بين العصبيتين البربرية والاندلسية موقف يحيى بن حمود الملقب بالمعتلى الذى كان قد استقر فى مالقة من عبد الله البرزالى حليف ابن عباد ، فقد كان المعتلى يخشى اطماع ابن عباد التى كان يعرف تمام المعرفة ان وراءها البرزالى ، لهذا فقد توجه الى قرمونة وانتزعها عنوة من يد محمد بن عبد الله البرزالى صاحبها ، فلجأ محمد البرزالى بطبيعة الحال الى اشبيلية ليستنجد بابن عباد الذى ادرك الخطر الذى يتهدده من جانب المعتلى ، فقد كان المعتلى قد بدأ يشن الغارات المتوالية على مملكة اشبيلية ، عسى ان يتمكن من خلع ابن عباد من مملكة اشبيلية ، عسى ان يتمكن من خلع ابن عباد من مملكة اشبيلية ليضمها الى املاكه ، وعندئذ لجأ ابن عباد الى التوسل بالدعوة الهشامية التى سبق الاشارة اليها ، وايده فى ذلك رؤساء الطائفة الاندلسية ، رغم وضوح اختلاق قصة العثور على هشام المزعوم (١٠٠)

---

(٩٩) يقول ابن بسام «وكان ابن عبد الله بقرمونة قطب رحى الفتنة، كثيرا ما يحرض القاضى ابن عباد على الخروج الى بلد ابن الافطس الىقرطبةفيعما الجهات كلها تدويخا،كلما آبا منجهة صارا الى سواها ، حتى اثرا اثارا قبيحة ، فارتفع طمع وزراء قرطبة المدبرين لها منه لانه كان لا يوافقهم على دعوة اموى لفرط شروده عن الجماعة ، وانما كان مذهبه طمس رسم الخلافة من معانيها بقرطبة ، وتصيرها اسوة اشبيلية فى اسنادها الى رئيس من اهلها ، وطرد قريش عن سلطانها ، ابطالا للامامة ورسوخا فى الخارجية ودفعا لامر الله ، فقطع سبل قرطبة وشد حصرها، فتمسك الوزراء بحبل بعض البرابر من بنى برزيل بجهة شذونة ، وكانوا على قديم الايام جمرة زناتة بأسا وحراسة واعتضدوا بهم مدة ، واعتضد أيضا ابن الافطس بطائفة اخرى منهم ، فكان فى كل بلد جملة منها سالت عن أهل البلاد سيول بها ، وخلطوا الشر بين رؤسائها ...» (انظر ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الثانى ، المجلد الاول ، ص ٢١) .

(١٠٠) ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص١٥٤، وفى ذلك يقول ابن الخطيب =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتنديد بعض مفكرى الاندلس به (١٠١) ، ثم عزم ابن عباد على القضاء على

= «فذكر أن هشاما فر من الفتنة ورفض الملك، وكتم امره واستقر فى قرية من قرى اشبيلية يؤذن فى مسجدها ويعمره ، ويتقوت من العمل فى الحلفاء ، فخرج اليه القاضى محمد بن اسماعيل هذا وولده وجميع خاصته وعبيده ، ومعه اثواب الخلفاء وملابسهم وزيهم ومراكبهم ، ولم يشعر الرجل ، وهو خارج المسجد من القرية ، يعمل بيده فى حلفاء ، اذا بالقوم قد غشوه وأحاطوا به ، وترجل القاضى وابنه ومن معهما ، وقبلوا الارض بين يديه ، فبهت الرجل لما عاين وجعل يقول : لست بالذى تعنون ولا بالذى تطلبون » وهم لا يردون عليه شيئا سوى التضرع والرغبة الى ان اقاموه من مكانه ، وجردوه من خلقانه ، والبسوه الكسوة الخلافية ، ووضعوا القلانس على رأسه واركبوه ، ومشى القاضى وجميع من معه امامه ، وكان الرجل أشبه الناس بهشام ، ودخلوا به المدينة وصائح ينادى « يا أهل اشبيلية اشكروا الله على ما أنعم به عليكم ، فهذا مولاكم قد صرف الله الخلافة من قرطبة الى بلدكم ... » ، ويقول ابن عذارى « ومن اشهر اخبار ابن عباد انه نظر فى شأن من بقى يومئذ من فتيان بنى مروان فسقط اليه خبر المدعى المشبه بهشام بن الحكم ، وكان قد تحدث انه افلت من يدى سليمان قاهره وانه غاب ببلادالمشرق مدته الطويلة ثمعاد الى الاندلس، فاثر ذلك فىقلوب الناس لمقدمات سلفتفىالشك فى موتهاذ كان سليمان قاتله قد ترك ابداءه للناس حسبما فعلته حزمة الملوك قبل فيمن خلعوه ، اما استخفافا من سليمان يومئذ بمن ملك نواحيهم بالقهر » (انظر ابن عذارى ، البيان ، جـ ٣ ، ص ١٩٧) (لمزيد من التفاصيل عن هذه القصة انظر عنان ، الطوائف ، ص ٣٧) .

(١٠١) ندد الفيلسوف ابن حزم بقصة هذا الخليفة المزعوم ووصفها بأنها « اخلوقة لم يقع فى الدهر مثلها » (انظر ابن حزم ، نقط العروس ، المنشور بمجلة كلية الاداب ، ديسمبر ١٩٥١ ، ص ٨٣) وقد علق محمد عبد الله عنان على تعليق ابن حزم هذا بقوله «انها لفضيحة لم يقع فى العالم الى يومنا هذا مثلها»، أن يقوم اربعة من رجال فى مسافة ثلاثة ايام فى مثلها ، كلهم يتسمى بامرة امير المؤمنين ، ويخطب لهم فى زمن واحد ، وهم خلف الحصرى باشبيلية على انه هشام بن الحكم ، ومحمد بن القاسم بن حمود بالجزيرة ، ومحمد بن ادريس بن على بن حمود ببيشتر » (انظر محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف، ص ٣٨).

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يحيى المعتلى فارسل جيشا تمكن به من استرداد مدينة قرمونة بعد ان قتل انصاره من الاندلسيين يحيى المعتلى ، وارسلت راسه الى اشبيلية فى المحرم عام٤٢٧هـ (١٠٣٥م) ٠ ولكن تمادى الاندلسيين فى قتل البربر اثار عليهم محمد بن عبد الله البرزالى حليف ابن عباد ، فاستاء لذلك، وبدت عصبيته لقومه ، وكلم ابن عباد فى رفع السيف عنهم فاستجاب لـه (١٠٢) ٠

ثم ما لبث الخلاف ان دب بين الحليفين ابن عباد والبرزالى ، واستولى ابن عباد على قرمونة ، ومن بعدها استجة الواقعة فى شرقها ثم اشونة التى تقع جنوبى استجة ، فاستغاث البرزالى بزملائه من زعماء البربر ، فاغاثه ادريس المتأيد صاحب مالقة وباديس بن حبوس صاحب غرناطة ،ودارت موقعة حاسمة بين البربر والاشبيليين فىأول المحرم ٤٣١ هـ (أواخر ١٠٣٩م) انتهت بهزيمة الاشبيليين ومقتل أميرهم اسماعيل بن عباد انتقاما منه لاقدامه على قتل خليفتهم يحيى المعتلى من قبل ، وسنرى ان رؤساء البربر يجمعون فى سنة ٤٣٩هـ (١٠٤٧م) على البيعة لمحمد بن القاسم بن حمود الحسنى ويقدموه للخلافة ، وهم اسحاق بن محمد بن عبد الله البرزالى صاحب قرمونة ، ومحمد بن نوح الدمرى صاحبمورور ،وعبدون ابنخزرون صاحب اركش،وباديس بن حبوس صاحب غرناطة واستجة وغيرها وزحفوا بقواتهم الى اشبيلية وحاصروها ، وانضم اليهم المظفر بن الافطس (١٠٣) ، وعندئذ يتحول بربر قرمونة ضد المعتضد بن عباد،ويصبح اسحقبن عبد اللهالبرزالى حليفا للمظفر بن الافطس (١٠٤) ، وسط كل هذه الصراعات كان على المنصور بن الافطس ان يدعم اركان دولتـه ويقويها حماية لهـا من اطماع ابن عباد ، كما كان عليه ايضا أن يظاهر الدويلات الصغـيرة المستقلة بالغرب ويتحالف معها ضد التوسع العبادى ٠

---

(١٠٢) ابن عذارى ، البيان ، جـ ٣ ، ص ١٨٩ ٠
(١٠٣) ابن عذارى ، البيان ، جـ ٣ ، ص ٢٣٠ ٠
(١٠٤) المصدر السابق ، ص ٢٣٥ ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

شغل المنصور بن الافطس بتنظيم شؤون بلاده، فاهتم باعداد جيش قوى ، وتحصين حاضرته لتكون بمأمن من هجمات بنى عباد أو غيرهم من ملوك الطوائف خاصة بعد وفاة ابى القاسم محمد بن عباد فى نهاية جمادى الاولى سنة ٤٣٣هـ (يناير ١٠٤٢م) ، فقد كان ولده ابو عمرو عباد بن محمد بن اسماعيل الملقب بالمعتضد (٤٣٣ - ٤٦١هـ) قاسيا وعنيفا بحيث لقب بقطب رحى الفتنة (١٠٥) ، واذا كان المعتضد بن عباد قد افتتح عهده بسفك دماء زعماء اشبيلية القدامى ، أصحاب جده القاضى ابن عباد (١٠٦) ، فان هذا العنف والقسوة اللذين اصطنعهما اصبحا ديدنه (١٠٧) ،وسيصبحان سلاحا يشهره على خصومه البربر بهدف توسيع رقعة مملكته ، لا سيما على حساب الامارات الصغيرة التى استقلت فى الغرب ، وهذا يقتضى منا ان نتحدث عن أهم هذه الامارات ، وفى ضوء سياسة ابن عباد العدوانية تجاه هذه الامارات الصغيرة نستطيع ان نتبين سياسة المنصور بن الافطس الودية نحو هذه الامارات

---

(١٠٥) ابن الابار ، الحلة السيراء ، جـ ٢ ، ص ٣٩ - ٤٠ ، ويصفه ابن الابار بقوله « وتسمى اولا بفخر الدولة ثم بالمعتضد ، قطب رحى الفتنة ، ومنتهى غاية المحنة من رجل لم يثبت له قائم ولا حصيد ، ولا سلم عليه قريب ولا بعيد ، جبار ابرم الامر وهو متناقض ،واسد فرس الطلى وهو رابض ،متهور تتحاماه الدهاة وجبار لا تأمنه الكماة ، متعسف أهتدى ، ومنبت قطع فما ابقى ، ثار والناس حرب،وكل شيء عليه ألب فكفى اقرانه وهم غير واحد ... » (انظر كذلك ابن بسام الذى اعتمد عليه ابن الابار فى وصفه للمعتضد ابن عباد ، الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ، القسم الثانى ، المجلد الاول ، ص ٢٤) .

(١٠٦) قتل المعتضد حبيب وزير ابيه والفقيه ابا عبد الله الزبيدى ، وابا محمد عبد الله بن مريم ختى لا يقوم اخذ من أصحاب العصبيات فى اشبيلية . (انظر ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الثانى ، المجلد الاول ، ص ٢٤) .

(١٠٧) من مظاهر قسوته ، وولعه بسفك دماء اعدائه انه اتخذ بباب قصره حديقة تطلع كل وقت ثمرا من رؤوس اعدائه ، مقرطسة الاذان برقاع اسمائهم ، ومنها رأس محمد بن عبدالله البرزالى حليفه السابق ورؤوس الحجاب ابن خزرون وابن نوح ، ورأس امامهم الخليفة الحمودى يحيى بن على بن حمود الحسنى (ابن عذارى ، البيان ، جـ ٣ ، ص ٢٠٦) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لا سيما فى السنوات الاربعة الاخيرة من حكمه اى فى الفترة من ٤٣٣هـ (١٠٤١ م) (التى خلف فيها أبو عمرو عباد اباه القاضى ابا القاسم محمد بن اسماعيل بن عباد فى امارة اشبيلية) الى عام ٤٣٧هـ (١٠٤٥م) التى تسجل تاريخ وفاة المنصور .

وأولى هذه الامارات امارة لبلة Niebla التى استقل بها فى سنة ٤١٤هـ (١٠٢٣م) تاج الدولة ابو العباس أحمد بن يحيى اليحصبى اللبلى (١٠٨) ، وبايعه اهلها وأهل نواحيها المجاورة مثل ولبة Huelva وجبل العيون Gibraléon ، وكان قد اشتهر بحبه للاصلاح وميله الى الاحسان الى رعيته ، وقد ازدهرت الامارة فى عهده وسادها الرخاء الى ان توفى عام ٤٣٣هـ (١٠٤١م)دون عقب،وكان قد أوصى الى اخيه محمد وعهد اليه ، ولهذا فقد خلفه اخوه عز الدولة ابو عبد اللهمحمد بنيحيى اليحصبى (١٠٩) ، وكان محمود السيرة محسنا ، فأحبه الناس ، وساد الامان فى بلده ، وارتبط بعلاقات ودية مع جيرانه لا سيما مع

---

(١٠٨) ابن الابار ، الحلة السيراء ، جـ ٢ ، ص ١٨٥ ، ابن عذارى ، البيان ، جـ٣ ، ص ٢٩٩ .

(١٠٩) ابن عذارى ، جـ ٣ ، ص ٣٠٠ ، ويسوق ابن عذارى فى موضع آخر رواية تناقض الرواية التى أوردها فى الصفحة سالفةالذكر ويتفق فى ذلك مع ابن الابار ، يقول ابن عذارى: (وفى سنةثلاث وثلاثين واربعمائة) قام بمدينة لبلة يحيى بن أحمد اليحصبى أثر هلاك ابيه بعد ما كان تقلدها ابوه منذ عشرين سنة ، فلم تزل فى يد يحيى هذا الى سنة ثلاث واربعين واربعمائه»(ابن عذارى ، البيان ، جـ٣ ، ص ١٩٣) ، وانظر بن الابار، الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص ١٨٥) .
وواضح ان الرواية الاولى التى ذكر فيها وفاة ابى العباس أحمد دون ان يعقب هى أولى بالثقة لانها تتسم بالدقة كما انها اكثر تفصيلا من الرواية الاخرى ، وبينما يذهب ابن عذارى الى القول بأن ابن عباد ظل يضيق على عز الدولة حتى دفعه فى سنة ٤٤٣هـ (١٠٥١م) الى اعتزال الامارة والرحيل الى قرطبة وان ابا نصر فتح بن خلف (وهو ابن اخى عز الدولة) قد خلفه فى الامارة ، (ابن عذارى ، البيان ، ص ٣٠١) ،
ويذكر ابن الخطيب أن ابا نصر المذكور كان اخا لعز الدولة (ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ٢١٠) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المنصور عبد الله بن الافطس اقوى ملوك الغرب والذى كان يسعى الى كسب قلوبهم تمهيدا لتكوين جبهة موحدة من امراء الغرب تستطيع ان تصمد امام مطامع بنى عباد .

واستقام حال هذه الامارة فى ظل عز الدولة محمد الى ان تولى ابو عمرو عباد بن عباد ملك اشبيلية ، وبدأ ينفذ سياسته التوسعية على حساب جيرانه ، فأخذ يعيث فسادا فى أراضى لبلة ويخرب قراها ويحرق مزارعها ، ولم يلبث ان افصح عن نواياه (١١٠) ، فى عهد المظفر محمد بن الافطس ، وأدى ذلك الى ازدياد حدة الصراع بين المظفر بن الافطس وبين المعتضد بن عباد ، لاسيما بعد أن ضم ابن عباد امارة لبلة سنة ٤٤٥هـ (١٠٥٣م) الى ملكه ، وانتقل صاحبها الى قرطبة (١١١) ،وكان حليفا للمظفر بن الافطس ووالده المنصور من قبله .

وهناك امارة ولبة وشلطيش التى استقل بهما ابو زيد عبد العزيز البكرى فى سنة ٤٠٣هـ (١٠١٢م) ، وكان يتمتع برضى أهل امارته عليه وحبهم له (١١٢) ، ثم احتال عليه المعتضد فانتزع منه ملكه بنفس الطريقة التى استولى بها على لبلة .

وحاول البكرى ان يسترضيه بالتنازل له عن ثغر ولبة ، ولكن المعتضد ابى الا ان يسلمه جزيرة شلطيش كذلك ، فآثر البكرى السلامة لنفسه ، وسلم له شلطيش (١١٣) ، واقام البقية الباقية من حياته فى

---

(١١٠) محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص ٢١ .

(١١١) ومن الغريب ان يبعث اليه المعتضد وهو المعتدى عليه ، خيلا تصحبه الى مأمنه بقرطبة (ابن عذارى ، البيان ، جـ ٣ ، ص ٢٤١) .

(١١٢) ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ٢١٠ .

(١١٣) ابن الابار ، الحلة السيراء ، جـ ٢ ، ص ١٨٤ ، وابن عذارى ، البيان المغرب ، جـ ٣ ص ٢٤٠ وما يليها ، محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص ٤٣ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قرطبة . وفى نفس الوقت اخذ المعتضد بن عباد يتطلع الى امارة شنتمرية الغرب ، ومازال يضيق على صاحبها ابى عبد الله محمد بن سعيد بن هارون حتى تنازل له عنها سنة ٤٤٣هـ (١١٤) (١٠٥١م) .

هذه الحوادث كانت تمضى امام عينى المنصور وهو لا يحرك ساكنا . واذا كانت وفاة المنصور المبكرة لم تتح له ان يشهد سقوط هذه الامارات فى يد المعتضد ، مما دعاه الى التزام سياسة حيادية تجاه جيرانه ، فانولده المظفر عاصر سقوط هذه الامارات ، وآله أن يتعرض اصحاب هذه الامارات للنفى وان تتسع دولة خصمه ابن عباد بحيث تصبح ملاصقة لاراضيه ، فبادر بالتحرك ، وعندئذ تبدأ مرحلة ثانية من الصراع بين بطليوس واشبيليه (١١٥) .

لم يكتف ابن عباد بما استولى عليه من امارات الغرب ، بل تطلع الى امارة شلب وباجه التى كانت أهم امارات الغرب شأنا بعد بطليوس، اما باجه فقد كانت محورا للصراع بين المنصور بن الافطس وبين القاضى ابى القاسم بن عباد ، وانتهى الامر ايامها بهزيمة جيش بنى الافطس ووقوع ولده فى اسر ابن برزال بقرمونة ، واما شلب فقد استقل بها عيسى بن محمد بن مزين وظل يتولاها حتى وفاته فى عام ٤٣٢ هـ

---

(١١٤) ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، وهو فى ذلك يقول «اسمه محمد بن سعيد بن هارون ، يكنى ابا عبد الله، بويع له بشنتمرية الغرب سنة ثلاث وثلاثين واربعمائة ، وكانت ايامه فى سياسته واحسانه وشهامته وعدالته أحسن ايام الى ان ضايقه المعتضد بن عباد بحروب وقتل ، وقتال ، فكانت بينهما وقائعونوازل وامره يضعفوامر المعتضد يقوى،فلما رأى انه لا يقاومه ولا له به طاقة خطب سلمه على ان يخلع له نفسه ويخرج بمن معه الى اشبيلية ، فقبل منه ، فتخلى له عن البلد وذلك فى سنة ثلاث واربعين واربعمائة ... » وذكر ابن الابار فى الحلة السيراء ان المعتضد اخرجه منها فى سنة ٤٤٤ هـ (جـ ٢ ، ص ١٨) .

(١١٥) Albarran, Op. Cit., P. 280.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(١٠٤٠م) ، فخلفه ابنـه محمد بن عيسى الملقب بعميد الـدولة ، وهو الذى تنازل لابن عباد عن باجه اتقاء لشره ، واكتفى بحكم شلب .

وجاء دور امارة مرتلة التى انتزى بها ابن طيفور ، فقد تمكن ابن عباد من الاستيلاء عليها فى سنة ٤٣٦هـ (١٠٤٤م) . ولم تقف اطماع ابن عباد عند الاستيلاء على امارات الغرب ، فقد تطلع أيضا الى السيطرة على الامارات البربرية المتناثرة شرقى الوادى الكبير وابرزها امارة بنى برزال فى قرمونة ، وكان بنو برزال كما سبق ان أوضحنا قد تعاونوا مع القاضى ابى القاسم بن عباد فى حروبه ضد المنصور بن الافطس .

ومنها امارة بنى يفرن وزعيمهم ابو هلال بن أبى قرة اليفرنى صاحب رندة الذى كان من اخلص اصدقاء المعتضد بن عباد ، وامارة بنى دمر فى مورور ، وامارة بنى خزرون فى شذونة وأركش .

نجح المعتضـد فى الاستيلاء على جميع هـذه الامارات وضمها الى مملكته ، ونجح زمن المظفر بن الافطس فى التخلص من ثلاثة من امراء زناته هم الحاجب محمد بن نوح بن أبى يزيد الدمرى (١١٦) ، صاحب مورور Moron ، وعبدون بن خزرون امير بنى يرنيان وصاحب أركش ، وابـو نور هـلال بن ابـى قـرة (١١٧) اليفرنـى صـاحب تاكرنـا Tacorona ورندة Ronda حليفه وصديقه ، سجنهم فى قصره فى رجب عام ٤٤٥هـ (١٠٥٣م) ولم يزالوا فى حبسـه الى ان ماتوا الا ابا نور الذى افرج عنه .

وذكر ابن عذارى ان ابن عباد بعد ان اعتقل الامراء الثلاثة مدة امر بهم فأخرجوا من سجنهم ، وصرف عليهم جميع ما أخذه لهم ، ثم صنع لامرائهم طعاما وادخلوا عليه فأكرمهم « وأمر بتطييب الحمام لهم وسار

---

(١١٦) دمر بربر يسكنون الجبل المصاقب لقابس ، وكانوا اباضية .
(١١٧) ابن عذارى ، البيان ، ج ٣ ، ص ٢٩٥ ، ٣١٣ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عبيده اليه معهم ، وكانوا ثلاثة امراء ابو نـور وابن نوح وابن خزرون ، فلما دخلوا الحمام وجلسوا بازاء الحوض ، خرج العبيد عنهم وقد أعدوا الجيار والاجر فبنى عليهم على دفة بيت الحمام وامر السخان ان يكثـر الوقد ، فالتهف الحمام ، فقاموا من موضعهم يرومون الخروج ، فلـم يجدوا مخرجا ،فكان آخر العهد بهم » (١١٨) .

وهكذا تتجلى صورة الاوضاع السياسية لبلاد الغرب فى الفترة التى تولى فيها المنصور عبد الله بن الافطس امارة بطليوس ، ومما لا شـك فيه ان الصورة تؤكد موقف المنصـور السلبى تجاه السـياسة التوسعية التى انتهجها المعتضـد ، وان كان هذا الموقف كان قناعا زائفـا ، يخفى وراءه حالة التوتر التى كان يعيشها المنصور الذى انطوى على نفسـه لتحصين بلاده وتجهيز قواته لعمل عسكرى وشيك ، ربما دخل فى طور التنفيذ لو أن العمر طال بالمنصور ، ولكنه سيتحقق فى عهد ولده المظفر الذى تقترن ولايته بتحرك عسكرى وسياسى مع جيرانه واسع النطاق على النحو الذى سنفصله فيما بعد ، وتوفى المنصور فى ١٩ جمادى الاخرة من سنة ٤٣٧هـ (١٠٤٥م) وهذا التـاريخ مسجل على شاهد قبـره الذى نطالع فيه النص التالى :

(بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا قبر المنصور عبد الله بن محمد بن مسلمة رحمه الله ورحم من دعا له برحمته، مات ليلة الثلاثاء لاحدى عشرة ليلة بقيت لجمادى الاخرة سنة سبع وثلاثين واربع مائة) (١١٩).

---

(١١٨) المصدر السابق ، البيان ، جـ ٣ ، ص ٢٧١ .

(١١٩) Lévi-Provençal, Inscriptions arabes d'Espagne (texte), Paris, 1931, P. 55.

ومن الجدير بالذكـر ان هذا التاريخ المسـجل فى النقش يجعل وفاته فى ١٩ جمادى الاخرة بينما ورد فى ابـن عذارى فى ١٩ جمادى الاولى . (انظـر ابن عذارى ، المصـدر السابق ، ص ٢٣٥) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد ضاع الشاهد ، ولكن النقش نشره كوديره وسـافدرا وامادور دى لوس ريوس وخوسيه رامون ميليدا ٠

كمـا عثر على لوحـة من الرخام (٧٠ر × ١٣ر م) اثنـاء هدم كنيسةقلعة رباح ببطليوس ونقلت الى متحفالاثار ببطليوس،وقد نقش فى تلك اللوحة العبارة التالية بالخط الكوفى (هذا قبر المنصور ،رحمه الله مات سنة سبع وثلثين « واربع مائة ») ٠

Ramón Melida (J.) Cátalogo monumental de España, Badajoz, texte; P. 73,74 - Lévi-Provençal, Inscriptions Arabes d'Espagne : texte; Paris, 1931, P. 55.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(٣)

بطليوس فى عهد المظفر محمد بن عبد الله بن الافطس

أ - حروبه مع المعتضد بن عباد :

خلف محمد اباه عبد الله المنصور بن الافطس فى حكم مملكة بطليوس ، وكما قلد ابوه الحاجب محمد بن ابى عامر فى لقبه فتلقب بالمنصور ، تلقب ولده محمد بلقب عبد الملك بن محمد بن ابى عامر ، وهو المظفر .

واستقامت اموره وازدهرت بطليوس فى عهده ، وكان المظفر من اشجع الفرسان واكثرهم خبرة بفنون القتال (١) ، لا سيما وقد صقلته تجربة الأسر عندما كان يقاتل فى مقدمة جيوش ابيه المنصور قوات القاضى ابن عباد صاحب اشبيلية وحليفه البرزالى ، ومن الامور الغريبة التى جعلت للمظفر محمد بن الافطس مكانة كبيرة بين سائر ملوك عصره انه كان شاعرا وعالما واديبا (٢) ، بل انه فاق كل ملوك عصره فى نبوغه الادبى (٣) ، وفى عهده ازدهرت مملكة بطليوس ازدهارا لم تشهده من قبل فى كافة مظاهر الحياة ادبية ومادية حتى ان مملكة بطليوس اصبحت تضاهى على ايامه مملكتى اشبيلية وطليطله (٤) .

وكان قد شهد اباه المنصور المؤسس الحقيقى لمملكة بطليوس يمضى اياما فى ارساء قواعدها وترسيخ دعائمها ، كما تشرب مشاعر ابيه نحو

---

(١) ابن عذارى ، البيان ، جـ ٣ ، ص ٢٣٦ ، محمد عبدالله عنان ، دول الطوائف ، ص ٨٤ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٢٣٦ .
(٣) المقرى ، نفح الطيب ، جـ ٦ ، ص ٢٠٩ ، وكان المظفر حقا اديب ملوك عصره بلا منازع وينسب اليه الكتاب الرائع المعروف بالمظفرى وسنتحدث عن هذا الكتاب عند تعرضنا للحديث عن ميوله العملية فى نفس هذا الفصل .
(٤) ابن عذارى ، البيان ، جـ ٣ ، ص ٢٣٧ ، يقول ابن عذارى « واقام هذا الرجل ملكا عظيما بهذا الثغر الجوفى ضاهى فيه مصاقبة ابن عباد ، وابن ذى النون» .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

خصومه العباديين ، ولذلك فقد التزم نفس سياسة ابيه حيالهم ، لاسيما بعد ان تكشفت اطماع عميدهم المعتضد فى امارات غرب الاندلس وأولها امارة لبلة التى كانت اول اهدافه لقربها من اشبيلية حاضرته ، وكانت لبلة فى هذه الفترة تحت حكم اميرها عز الدولة ابى عبد الله محمد بن يحيى اليحصبى ، حليف المنصور ابن الافطس وولده وخليفته المظفر محمد . ولم يكن المظفر محمد غافلا عن سياسة ابن عباد التوسعية ، وشراهته واطماعه التى لا حدود لها والتى قد تدفعه الى الاقدام على مهاجمة مملكته بطليوس . ولهذا السبب فقد اصطنع الحذر والاحتراز ، وحرص على رصد كل تحركات المعتضد بن عباد واحصائها ، ومنذ اللحظة الاولى أدرك مايستهدفه المعتضد من ضغوطه على جاره ابى عبد الله محمد بن يحيى اليحصبى صاحب لبلة ، فقد حاول المعتضد ان يرهقه بمطالبه ، ثم بدأ يوجه الى بلاده الغارات الخفيفة ، التى لم تلبث ان تحولت فجأة الى هجوم خاطف عنيف شنته حشوده الكثيفة عام ٤٣٩ هـ (١٠٤٧م) على لبلة ، ولم يكن فى وسع ابن يحيى اليحصبى سوى الاستجارة بصاحبه المظفر صاحب بطليوس ، ولم يتردد المظفر فى اجارته وأعد حملة قادها بنفسه الى لبلة ، وفى ذلك يقول ابن بسام نقلا عن ابن حيان «وأول ما ظهر من تفاسد عباد والمظفر ان ابن يحيى صاحب لبلة عند هجوم عباد عليه استجار بالمظفر بن الافطس ، فأجاره وانزعج له ، ووصل يده وعطل ثغره ، وجمع جيشه واقبل الى لبلة ناصرا لابن يحيى مضيعا لمن خلفه ، يوقد نار فتنة ، كان فى غنى عنها حتى نزل بنفسه على ابن يحيى ، ودافع ابن عباد عنه ، وحرك فى ذلك من حلفائه البزابرة جماعة ، فسارعوا اليه غير ناظرين فى عاقبة امرهم ، وتقدمها فى تحريك يعسوبهم محمد بن القاسم (٥) ، فانتظم به امرهم ، وتقدم

---

(٥) يقصد به محمد بن القاسم بن حمود الحسنى ، بويع بالخلافة فى سنة ٤٣٩ هـ (١٠٤٧م)وتلقب بالمهدى ، وخطب له فى قرمونة ومورور واركش وغرناطة ، وتوفى محمد بن القاسم فى ٤٤٠ هـ (١٠٤٨م) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بهم الى اشبيلية ، ورحاهم تدور على قريعهم باديس بن حبوس مدرهم فى الحلبى ، ومفزعهم فى النائبة ، يسلمون لرأيه ويزحمون بركنه ، وجهد جهده فى صرفهم ، وأرسل ثقات رسله الى عامتهم ، الا ما كان من الدائلين منهم عباد داعية المروانية ، ومحمد بن ادريس ، صاحب مالقة دائل الحمودية فانه تنكبها بعادا من الظنة ، اذ كان هو وجماعة قرطبة متوقفين عن كل دعوة ، فلما وصلت رسله اليهم مازادهم الالجاجا ، ولم يزل ابن جهور يضرب لهم الامثال ويخوفهم من سوء العاقبة والمثال ، حتى صار فيهم كمؤمن ال فرعون وعظا وتذكرة ، يجد منهم الاطواد الراسية ، ويرقى الحيات المتصامة ، واستن القوم فى ميدان الغى . فلما صح عند ابن عباد خروجه للبلة بجيشه دفعا عن ابن يحيى منتظرا لخلطائه ، جرد خيلا ، ضربت على بلد ابن الافطس وغارت وانجدت، وفعلت فعلات نكأت القلوب ، وقرفت الندوب ، ثم نهض ابن عباد بنفسه الى لبلة للقائه ، فجرت بينهما على بابها وقعة عظيمة ، صعبة ، استهما فيها النصر فى قام واحد ، شق الابلمة ، وكانت الدائرة أولا على ابن الافطس...» . (٦)ونستنتج من هذا النص أن المظفر بن الافطس بعد أن لبى نداء صاحبه ، صاحب لبلة سنة ٤٣٩هـ (١٠٤٧م) ، خرج بنفسه على رأس جيش كبير تاركا مملكته بطليوس للاخطار الداخلية والخارجية ،ملقيا بنفسه فى مشاكل كان فى غنى عنها ،ومبالغة من المظفر فى الحرص على سلامة لبلة ، حرك حلفاءه البربر ، فبادرت جماعات منهم اليه بدافع من العصبية البربرية ، وقد أعمتهم عداوتهم لابن عباد عن النظر فى عاقبة أمرهم ، ويبدو أن اتفاقا تم بينهم على أن يتجهوا الى اشبيلية لمحاصرتها ، بينما يمضى المظفر الى لبلة ليدفع ابن عباد عنها، وبذلك يضغطون على ابن عباد ، ويرغمونه على رفع الحصار عن لبلة والعودة الى اشبيلية لمدافعة البربر عنها .

---

(٦) ابن بسام : الذخيرة ، القسم الثانى ، المجلد الأول ، ص ٣٤ ، ابن عذارى ، البيان ، جـ٣ ، ص ٢١٠ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كان ذلك هو مخطط المظفر مع حلفائه البربر . فاجتمع أمراء البربر وهم اسحاق بن محمد بن عبد الله البرزالى ، صاحب قرمونة، ومحمد بن نوح الدمرى صاحب مورور ، وعبدون بن خزرون صاحب أركش ، وكبيرهم باديس بن حبوس صاحب غرناطة واعمالها واستجة مع امامهم المهدى محمد بن القاسم بن حمود الحسنى صاحب الجزيرة الخضراء الذى بايعوه اماما وخطبوا له على منابر بلادهم (٧) ، ولكن البربر اخلوا بالاتفاق ، فقد تركز اهتمامهم نحو كبيرهم باديس بن حبوس ، فاتجهوا اليه ، ليأخذوا برأيه ويطلبوا مشورته . فلما علم الوزير ابن جهور (٩) بنواياهم اخذ يخوفهم من سوء العاقبة وحاول ان

---

(٧) ابن عذارى ، البيان ، جـ ٣ ، ص ٢٣٠ .

(٨) يقول ابن الابار نقلا عن ابن بسام أن مالقة كانت تندرج تحت سلطة باديس بن حبوس صاحب غرناطة رغما عن اهلها الذين كانوا يأنفون من حكم البربر ويتمنون أن يصيروا الى حكم المعتضد بن عباد ، وانتهزوا فرصة ابتعاد باديس من غرناطة وبدأوا يراسلون المعتضد بن عباد ، فأرسل اليهم ولديه جابرا ومحمد (الذى سيخلفه ويتلقب بالمعتمد) واللذين وفقا فى ضم مالقة باستثناء قصبة المدينة التى تحصن فيها جماعة من جنده السود الذين قاوموا هذا الهجوم،وطلبوا نجدة أميرهم، فلما وصلت امداداته،صدت جيوش ابن عباد،ففرا هاربين الى رندة فاعتصما بها (انظر ابن الابار ، الحلة السيراء ، جـ ٢ ، ص ٥٦) .

(٩) هو ابو الحزم جهور بن محمد بن جهور بن عبيد الله ، وجده ابو الحزم جهور يرجع نسبه الى ابى امية عبد الغافر بن ابى عبده من وزراء عبد الرحمن بن معاوية وكان من حجاب هشام الرضا بن عبد الرحمن الداخل ، واستمر هؤلاء الجهاورة يتعاقبون على المناصب العليا من حجابة ووزارة وقيادة وكتابة الى ان وقعت الفتنة العظمى بالاندلس وانتهى الامر بان تمكن جهور بن محمد بن جهور من الاستيلاء على زمام الامور ، ويؤكد ابن الابار براعته ورفعة قدره وعفته وتواضعه ، فقد استطاع ان يلم شعث قرطبة وان يحفظها .ويؤكد الحميدى ان ابن جهور استطاع حماية قرطبة وصيانتها وازداد رخاء السكان فى عهده لعدالته وقد خلف جهور ابنه ابى الوليد محمد الى أن قبض المعتمد بن عباد عليه (انظر ابن الابار، الحلة السيراء =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يصرفهم عن قصدهم فأرسل اليهم بعض ثقات رسله لحملهم على القفول الى بلادهم ، ولكنهم ضربوا بنصائحه عرض الحائط ولم يزدهم النصح الا عنادا ، ولم يجد رسل ابن جهور من البربر من استجاب الى العقل والفطنة الا اثنين هما عباد ، وكان داعيا من دعاة المروانية ، ومحمد بن ادريس صاحب مالقة ، لم يتورطا فى هذا الامر ، ومع ذلك فقد انتهى رؤساء البربر الى الاختلاف ، فانصرفوا مع خليفتهم المهدى، ولم يحققوا ما اتفقوا عليه (١٠) . وفى تلك الاثناء بلغ ابن عباد ان المظفر قادم الى لبلة لانقاذ حليفه ، فاراد ان يوقع بابن الافطس فى نفس المأزق الذى حاول هو ان يوقعه فيه ، فارسل جماعات من فرسانة للاغارة على مملكة بطليوس فى غيبة صاحبها المظفر ، فعاثت فسادا فى نواحى بطليوس ، وكان ابن عباد يتوقع ان يهاب ابن الافطس مواجهته وبلده تتعرض لهذه الغارة ، وعندئذ يبادر ابن الافطس بالعودة اليها ، ولكن ابن الافطس لم يتحرك منموقعة بلبلة ، فزحف اليه ابن عباد بنفسه واشتبك الملكان ابن عباد وابن الافطس فى موقعة عنيفة دارت على بابها تبادلا فيها النصر والهزيمة ، فدارت الدائرة أولا على المظفر بن الافطس ، « فولى الدبر، وخاض واديها دون مخاضة وفيها قتل من رجاله عدد كثير »(١١) ولكنه لم يلبث انتظم صفوفه من جديد ، وحطت على قوات ابن عباد ، فاوقعت بها واصابوا نفرا من عسكره ، ثم تفرق العسكران .

والظاهر ان المظفر لم يقنع بهذا الانتصار الهزيل على ابن عباد ، وكان مايزال يسعى الى تاليب زعماء البربر عليه ، وفى هذه الاثناء كان باديس بن حبوس قد اجتمع بحلفائه البرابرة ، وخرج معهم فى حشود

= جـ٢ ، ص ٢٤ - عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة ، جـ ١ ، ص ١٣٢ وما بعدها) .

(١٠) ابن عذارى ، البيان ، جـ ٣ ص ٢٣٠ .

(١١) ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الثانى ، المجلد الاول ، ص ٣٤ ، ابن عذارى ، البيان ، جـ ٣ ، ص ٢١١ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ضخمة نحو اشبيلية ، ونزلوا عليها وهناك وافاهم ابن الافطس (١٢) وعاثوا فى نظر اشبيلية «وانقطعت السبل جملة وكثر القتل والهرج والسلب وامسى الناس فى مثل عصر الجاهلية » (١٣) فساءت أحوال المنطقة كلها وتسببت هذه الغارات فى قتل أعداد كبيرة من أهل اشبيلية ونواحيها .

ويبدو ان ابن يحيى صاحب لبلة أحس بتقريع الضمير اذ انه باستجارته بالمظفر تسبب فى كل هذه الحروب من الجانبين وما ترتب عليها من قتل وسفك دماء الابرياء من الجانبين ، فقر عزمه على انهاء الصراع طويل الامد بينه وبين المعتضد ، فآثر ان يواليه ويوادعه ، ولكن المظفر ابن الافطس الذى كان قد ضحى بالكثير من رجاله وماله فى سبيل انقاذ لبلةاعتبر هذه الموادعة بين صاحب لبلة والمعتضد نوعا من الخيانة والغدر له ، فانقلب الود القائم بين المظفر وابن يحيى الى عداء،ويبدو ان يحيى احتجز مالا كان قد اودعه ابن الافطس عنده ايام كان متورطا فى حرب المعتضد ، فلم يتردد ابن الافطس فى الاغارة على لبله بخيله فاستغاث ابن يحيى بالمعتضد ، فبادر لنجدته بنفسه ، واقبل بجموع كثيفة من فرسان اشبيلية (١٤) ، واشتبكت مع خياله المظفر فى احدى المواقع (١٥) ، وحاول ابن جهور التوسط بينهما عن طريق رسله بامل

---

(١٢) ابن عذارى ، المصدر السابق ص ٢٣٠ .
(١٣) ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الثانى ، المجلد الاول ، ص٣٤، ابن عذارى ، البيان ج ٣ ، ص ٢١١ .
(١٤) ذكر ابن بسام ان المعتضد ارسل الى ابن يحيى خيلا منتقاة .
(١٥) ابن عذارى ، البيان ج ٣ ، ص ٢٣٥ ، وفى هذه المعركة انهزم فرسان ابن الافطس وقتل منهم مائة وخمسون فارسا احتزت رؤوسهم ورؤوس خيولهم ،ويرجع السبب فىهذه الهزيمةالتى منى بها ابن الافطس الى ان ابن عباد كان قد نصب كمينا لفرسان ابن الافطس ، فلما تظاهر فرسان ابن عباد بالهزيمة وطاردتهم فرسآن ابن الافطس وكانوا فى ضعف عددهم ، اذا بعباد المعتضد يخرج من كمينه ، فولى فرسان ابن الافطس =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التوفيق بينهما ، فكانت رسله تلقى اللوم فى ذلك على المظفـــر لمكابرته واصراره على القطيعة (١٦) وعلى اثر ذلك جمع ابن عباد خيل حلفائه، وقدم عليها ولدهاسـماعيل مع وزيره ابن سـلام ، فاتجهت نحو يابـرة Evora واضطر ابن الافطس الى الاستعانة هو الاخر بحليفه البربرى اسحاق بن عبد الله البرزالى صاحب قرمونة ، فوجه اليه ولده العز ، والتقى الجيشانبدون اهبة ولا تعبئة عند يابرة فىسنة ٤٤٢هـ (١٠٥٠م) فانهزمت خيالة ابن الافطس واستأصلهم القتل ، وكان العز بن اســحق من بين القتلى فاحتزت رأسه وارسلت الى اشبيلية مع رأس أحد أعمـام المظفر هوعبيد اللهالحراز،واضطر المظفر الى اللجوء اليىابرة بعدان قتل من رجاله ما يزيد على ثلاثة الاف (١٧) ٠

ومن الجدير بالذكر أن المعتضد بن عباد ظـل يواصل حربه ضـد مملكة ابنالافطس طوال شهور سنة ٤٤٢هـ (١٠٥٠م) فكان يغـير على بلاده ، ويقتطع منها بعض الحصون الى عمله ، وتسببت غارته فى تدمير كثير من المنشآت وتخريب العمران ، وافساد الغلات والمزارع الامر الذى ترتب عليه تعرض رعية ابن الافطس للمجاعة ، وعجز ابن الافطس عن مواجهة قوات ابن عباد ، وعن مدافعته ، بعد ان استنفذت الحرب بينه وبين ابن عبـاد كل امكاناته ، وافنت حماته ٠ ويذكر ابن بســام أنه « اعتصم ببلده بطليوس ولم يخرج منها فارسا واحدا ، وجعل يشكو به الى حلفائه ، فلا يجد ظهيرا ولا نصيرا » (١٨) ٠

= الادبار ، وركبتهم سيوف ابن عباد ، فكانت مذبحة شنيعة قتل فيها افضل خيالة ابن الافطس وابطـال رجاله (ابن بســام ، القسم الاول ، المجلد الاول ، ص ٣٨٧ ، ص ٣٨٨) ٠

(١٦) ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الثانى ، المجلد الاول ص ٣٥ ، ابن عذارى ، البيان ، ج ٣ ص ٢١١ ٠

(١٧) ابن عذارى ، ج ٣ ، ص ٢٣٥ ٠

(١٨) ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الثانى ، المجلد الاول ، ص ٣٥، ابن عذارى ، البيان ، ج ٣ ص ٢١١ ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومن الجدير بالذكر انه للمـرة الاولى تقدم قوات ابن عبـاد على التغلغل داخل مملكة بطليوس وانتزاع عدد من حصونها .

ففى المرة التى أرسل المعتضد فيها بعض جنده للاغارة على ارض ابن الافطس اثناء غيابه فى لبلة ، كان هدف ابن عباد لايعدو مجـرد ابعاد ابن الافطس عن لبلة وارغامه على العودة الى بلاده التى تعرضـت لهجوم الاشبيليين ، وبذلك يتفرغ ابن عبـاد لمحاربة صاحب لبـلة على ما يشتهى ، ولكنـه قصد فى هذه المرة توجيـه ضرباته الى مملكـة ابن الافطس ،وانتزاع ماشاء من حصونها ليضمه الى مملكته ، وقد نجح ابن عباد فيما ذهب اليـه وضم عددا من الحصـون البطليوسية ، وبـادر بشحنها برجاله .

واعتقد أن عجز ابن الافطس ، لم يكن عن ضعف ، وان كسرته على ايدى عسكر ابن عباد ، لا ترجع الى جبن أو خور ، فقد كان المظفـر بشهادة مؤرخى عصره فارسا مقداما ومحاربا جسورا (١٩) .

وأرجح أن هناك عوامل اخرى أدت الى تغلب المعتضد عليه ، فمن المعروف ان المأمون يحيى بن اسماعيل بن ذى النون صاحب طليطلة ، وكان حليفا للمعتضد ابن عباد ، اسـتجاب للدعوة الهاشامية التى دعاه اليها المعتضد طمعا فى ان يستعين به ضد خصمه سليمان بن هود . فلما توفى سليمان هذا فى سنة ٤٣٨ هـ (١٠٤٦م) (٢٠) «جعل يطلب جاره

---

(١٩) يقول عنه ابن عذارى «كان شاعرا اديبا لبيبا وبطـلا شجاعا (ابن عذارى ، جـ ٣ ، ص ٣٦) .

(٢٠) يرى الاستاذ محمـد عبد الله عنان ان الحـرب بين طليطلة وبطليوس لم تبـدأ الا بعد الصلح الذى انعقـد بين اشبيلية وبطليوس فى عام ٤٤٣هـ (١٠٥١ م) ، وفى ذلك يقو ل« وقـد أغار المأمـون مرارا على أراضى ابن الافطس ووقعـت بينهما معارك محلية كثيرة ، ولم نعثر على تاريخ هذه المعارك بطريقة قاطعة ، ولكن الظاهر أنها وقعت بعد عقد الصلح بين ابن عباد وابن الافطس اعنى بعد سنة ٤٤٣هـ » (عنان ، دول الطوائف، ص ٨٤ ، ص ٩٦) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يطلب جاره ابن الافطس صاحب بطليوس ، فجرت له معه حروب كثيرة (٢١)٠واعتقد أن المظفر كان يحارب فى جبهتين فىآن واحد،وفى مواجهة خصمين عنيدين منأكبر ملوكالطوائفالمأمون والمعتضد،واعتقد أيضا أنه اشترك مع ابن عباد فى معركة يابرة سنة ٤٤٢هـ (١٠٥٠م) فرسان من حلفائه استنتاجا من قول ابنعذارى :«ثم ان عبادا اثر ذلك جمع خيل حلفائه وقود عليها ابنه اسماعيل٠٠» (٢٢)) ٠ويغلب على الظن أن عسكر المأمون اشتركوا مع المعتضد فى هذه المعركة فى حين تخلى حلفاء ابن الافطس عنه ولم يشترك معه فى المعركة سوى حليف واحد هو اسحق بن عبد الله البرزالى صاحب قرمونة الذى أمده بقوة من الفرسان بقيادة ولده العز انضموا الى فلول ابن الافطس ، جمعهم « من بقايا جيشه من كل بلد » (٢٣) ، كما « اخرج كل من قدر على ركوب دابة من البياض ببلده وحشد من رجال البوادى بعمله خلقا كثيرا واقبل بجمعه هذا المنخوب ليدفع خيل ابن عباد عن بلده يابره ٠٠ فالتقى الفريقان من غير نزول ولا تعبئة فاختلطوا واجتلدوا مليا ، فحقق العباديون الضراب وتابعوا الشدات ، فحاد البرابر عنه ، اصحاب اسحاق ، وانهزم ابن الافطس » (٢٤) ٠

ونستخلص من ذلك ان السبب فىهزيمة ابن الافطس يرجعالىأن ابن الافطس حشد قوة غير منظمة من اغمار لا خبرة لهم بقتال ، جمعهم من البوادى وان حلفاءه البربر خذلوه فى الموقعة الفاصلة وفروا عند اللقاء ، واذرع العباديون فيمن كان مع المظفر ، وقد تجاوز عدد القتلى ثلاثة آلاف قتيل، بحيث ظلت بطليوس مدة خالية الدكاكين والاسواق٠

ومما لاشك فيه أن انفراد المظفر ابن الافطس باصدار قرارات

---

(٢١) ابن عذارى ، البيان ، جـ ٣ ، ص ٢٨٢ ، ٢٨٣ ٠
(٢٢) المصدر السابق ، ص ٢٣٥ ٠
(٢٣) المصدر السابق ص ٢٣٥ ٠
(٢٤) ابن بسام ، الذخيرة ، قسم ١ ، مجلد ١ ، ص ٣٨٧ ، ٣٨٨ ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

القتال دون استشارة حلفائه البربر كان من العوامل التى ادت الى تعرضه للهزيمة .

فقد نصحه عسكر قرمونة بعدم تعريض عسكره لعدوه الكاسر ، وكانوا قد ادركوا قوة جيش اشبيلية ، وارتفاع مستوى كفايته العسكرية منذ انتصارهم السابق على قوات ابن الافطس ولكن كل هذه النصائح لم تجد امام اندفاع ابن الافطس (٢٥) .

وقد نظم ابن زيدون قصيدة يهنىء فيها المعتضد بن عباد بانتصار ابنه اسماعيل على ابن الافطس وقتله لولد اسحاق بن عبد الله فى تلك الحرب وهذه بعض أبيات منها :

ليهن الهدى انجاح سعيك فى العدا
وان راح صنع الله نحوك او غدا

وبشراك دنيا غضة العهد طلقة
كما ابتسم النوار عن أدمع الندا

دعوت فقال النصر لبيك ماثلا
ولم تك كالداعى يجاوبه الصدى

وأحمدت عقبى الصبر فى درك المنى
كما بلغ السارى الصباح فاحمدا

ولما اعتمدت الله كنت مؤهلا
لديه بأن تحمى وتكفى وتعضدا (٢٦)

---

(٢٥) يعبر ابن بسام عن ذلك بقوله « وقد كان برابرة حليفه اسحق فى عسكره قالوا له : لاتلتهم فلست تعرف قدر من زحف نحوك ونحن رأيناهم وسمعنا بجمعهم باشبيلية فلم يسمع منهم ومضى » . ابن بسام ، الذخيرة ، المجلد الاول من القسم الاول ص ٣٨٨ .

(٢٦) انظر ابن بسام ، القسم الاول ، المجلد الاول ، ص ٣٨٥ ، ٣٨٦ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهكذا اسفرت موقعة يابرة عن هزيمة مروعة لجيش ابن الافطس قتل فيها ما يزيد على ثلاثة آلاف من رجاله ، من بينهم عبيدالله بن الخراز عم المظفر (٢٧) والى يابرة ، كما قتل العز ابن صاحب قرمونة اسحاق بن عبد الله البرزالى ، وكعادة بنى عباد احتزت قواتهم رأس القائدين القتيلين العز والخراز وتم ارسالهما الى اشبيلية ليحتفظ المعتضد بهما مع مجموعة رؤوس اعدائه الذين انتصر عليهم ، فقد كان يحتفظ بهذه الرؤوس فى جوالق مغلقة ، عثر عليها المرابطون عند افتتاحهم لاشبيلية فظنوا ان بها مالا وذخيرة ، فلما امر الامير سير بن ابى بكر المرابطى بفتح الجوالق لم يجد فيها لا مالا ولا سلاحا ، كما كان يعتقد ، وانما وجد فيها رؤوس اعداء ابن عباد فعجب لهذا الامر ، وامر ان يرد كل رأس الى أهلها لكى يدفنوه (٢٨) .

ومما لاشك فيه أن هذه الهزيمة أثرت تأثيرا مباشرا على عمران بطليوس نفسها ، ويذكر المؤرخون انها خلت من رجالها الى حد ان حوانيت بطليوس واسواقها ظلت خالية مدة طويلة لكثرة من قتل من ابنائها وزهرة شبابها فى معركة يابرة بحيث لم يتبق من رجالها سوى الشيوخ والكهول (٢٩) .

واستمرت الحرب سجالا بين الفريقين بقية شهور هذا العام

---

(٢٧) عبيد الله الخراز صاحب يابرة هو ابن عم المظفر محمد بن الافطس عند ابن بسام ، وعم المظفر عند ابن عذارى ، وقد اورد الاستاذ محمد عبد الله عنان فى كتابه « دول الطوائف » ص ١٨٤ ان ابن الافطس حين فر الى يابرة بعد هزيمته اختبأ هناك فى كنف صاحبها عبيد الله الخراز ، ولكن هذا الاستنتاج الذى قام به الاستاذ عنان غير موفق لان كلا من ابن بسام ، وابن عذارى يجمعان على ان عبيد الله الخراز صاحب يابرة كان قد قتل فى المعركة واحتزت رأسه الى ابن عباد ، وذلك قبل فرار ابن الافطس وتحصنه بيابرة .

(٢٨) ابن عذارى ، البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ .

(٢٩) ابن بسام ، الذخيرة ، قسم أ ، مجلد ١ ص ٣٨٨ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٤٤٢هـ (١٠٥٠م) استطاع المعتضد خلالها ان يوقع بقوات ابن الافطس اكثر من مرة ، وان يعيث فى اراضيه كما شاء دون ان يتصدى له ابن الافطس ، وان ينتزع من مملكة بطليوس عددا من الحصون، فلما قضى المعتضد وطره من تاديب المظفر ، قفل عائدا الى حاضرته فى شوال من هذا العام ، وعندئذ تظاهر المظفر بالتماسك امام رعيته واظهر انه لم يحفل بهذه الهزائم التى تلقاها من خصمه حتى لا تسقط اسطورته أمام ملوك عصره وربمااراد من ذلك ان يطمس معالم هذه الهزيمة بما يروجه من شعارات زائفة قد يستقر بعضها فى أذهان الناس . فأرسل رسولا من قبله الى قرطبة يلتمس شراء « وصيفات ملهيات ، يأنس بهن ، نافيا بذلك الشماتة عن نفسه ، ولم تكن له عادة بمثله فنقب له رسوله عن ذلك وكن قد عدمن بقرطبة يومئذ ، فوجد له صبيتين ملهيتين عند بعض التجار لا طائل فيهما ، فاشتراهما له . واقام رسوله يلتمس الخروج بهما فلم يستطع لقطع خيل المعتضد جميع الطرق ، فأقام مدة بقرطبة الى أن شيع بخيل كثيفة ، ومضى بهما وأولو النهى يعجبون مما شهر به نفسه من البطالة ، أيام الحروب المحرمة لاظهار النساء على فحول الرجال العاقدة الآزرة ، وعلى ما كان يدعيه لنفسه من الادب والمعرفة . وينكر ابن حيان من المظفر هذا المسلك اذ كان يعلم عزوف المظفر عن اللهو ، وقد تعجب من تصرفه ، فلما بحث فى الأمر تبين له أن المظفر كان يمتثل ما فعله المعتضد بعد انتصاراته العديدة على المظفر ، فقد كان من الطبيعى ان يلهو المعتضد بعد معاركه مع المظفر وان يحتفل بانتصاراته على خصمه ، فاستدعى قينة كانت لوزيره عبد الرحيم،بعد وفاته لما اشتهر عنها من حذق فى صناعتها ، فأرسلت اليه ، فلما علم المظفر بذلك لم يتردد فى تقليده فى اظهار الفراغ واللهو والمرح وطلب الملهيات حتى يوهم معاصريه بأن الهزائم التى تلقاها لم تؤثر فيه،وأنها لم تفت فى عضده مع انه كان أبعد ملوك عصره عن اللهو وأكثرهم اهتماما بالعلم (٣٠) ، وقد شاع عنه ذلك فى سائر بلاد الاندلس .

---

(٣٠) ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الثانى ، المجلد الاول ، ص٣٦ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

واستمرت العلاقات العدائية قائمة بين مملكتى اشبيلية وبطليوس بقية عام ٤٤٢هـ (١٠٥٠م) تبادل خلالها الجانبان القطيعة ، وتبـاريا فى الغى الى أن تمكن ابن جهور أمير قرطبة بعد جهود مضنية من التوفيـق بينهما فى ربيع الأول سنة ٤٤٣هـ وتم الصلح ، وسكنت الحرب ،فتفرغ المعتضد لمحاربة الامراء الاصاغر بالغرب امثـال ابن يحيى وابن هارون وابن مزين والبكرى ، وتمكن من ضم بلادهم الى عمله (٣٢) ٠

اما ابن الافطس فقد عكف على اصلاح ما افسدته الحرب من عمران بلده ، واعادة تنظيم قواته وتجهيزه لآلاته وعدده ، ولم يتم الصلح بين بطليوس واشبيلية بصورة نهائية الا فى سنة ٤٤٤ هـ (١٠٥٢م) وفى ذلك يقول ابن عذارى « وفى سنة اربع واربعين واربعمائة كانت المهـادنة بين المعتضد بن عباد والمظفر بن الافطس » (٣٣) ٠

ماكاد المعتضد يحيد المظفر بالصلح الذى قبله الاخير بصفة مبدئية حتى تنفس المعتضد الصـعداء ، وشرع من جديد فى سـياسته التوسعية على حساب امراء الغرب الضـعاف (٣٤) ، فبدا بلبلة فاخـذ يضـيق الخناق عليها،وأرغم اميرها عز الدولة بن يحيى فى سنة ٤٤٣هـ(١٠٥١م) على التنازل عن امارتها لابن اخيه ناصر الدولة ابى نصر فتح اليحصبى، بينما انتقل هوباهله الى قرطبه واستقر بها فى حماية الوزير ابن جهور بعد ان منحه المعتضد بالله ابن عبـاد من الخبول العـدد الكافى لتوصيله واهله الى قرطبه فى أمان ٠

---

(٣١) سعى ابن جهور صاحب قرطبـة الى التوسط بين المعتضـد والمظفر فكان يبعث الرسل والكتب والمظفر فى كل مرة يتظاهر بعدم قبوله للصلح تكبرا وترفعا (ابن بسام ، المصدر السابق ص ٣٦) وفى النهاية قبل المظفر الخطـوط الرئيسية لاتفاقية الصلح ٠

(٣٢) ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الثانى ، المجلد الاول ص ٣٦ ٠

(٣٣) ابن عذارى ، البيان ، جـ ٣ ص ٢٤٢ ٠

(٣٤) ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الثانى ، المجلد الاول ص ٣٦ ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اما ناصر الدولة فقد عمل على موادعة المعتضد وشراء سلمه على مال يؤديه اليه كل عام ، ولم يشأ المعتضد ان يغير من هذه السياسة السلمية المؤقتة ويكشف عن حقيقة اطماعه فى امارات الغرب الا بعد أن وقع مع المظفر هدنة يتوقف فيها القتال بين المملكتين ،وتمذلك فى٤٤٤هـ (١٠٥٢م) ، وبذلك اصبح الطريق ممهدا امام المعتضد لتحقيق اهدافه البعيدة ، فنقضاتفاقه مع ناصر الدولة متعللا بأعذار واهية وما أسهل ما يختلق الملك القوى الأعذار عند الضرورة ليبرر اعتداءاته على المستضعفين من ذوى السلطان ، وسرعان ما نصب المعتضد على ناصر الدولة الحرب ، وجرت بين الجانبين معارك وحروب راحت فيها أرواح بريئة وترتب عليها تخريبودمار وسلب ونهب،وتبادلالجانبان الغارات الى ان استنفذت الحرب جهود ناصر الدولة وضاقت الحال ، فاستسلم لمصيره وسلم بلده للمعتضد ، ولحق بعمه فى قرطبه سنة ٤٤٥هـ (١٠٥٣م) (٣٥) . ولم يكن استسلام ناصر الدولة عن ضعف وهزيمة فقد قاوم خصمه ببسالة وعزم ، وبذل قصارى جهده للصمود والنضال ، ولكنه لم يستطع ان يطاول خصما عاتيا متفوقا عليه ولهذا جنح الى السلم ، حقنا لدماء قومه ، وآثر التنازل عن ملكه لصاحب الكفة الراجحة . وتوفى ناصر الدولة بعد عام من اقامته بقرطبة .

وكان المعتضد بالله ابن عباد يضغط فى الوقت الذى كان يقاتل فيه ناصر الدولة ، على عبد العزيز البكرى صاحب ولبة وشلطيش واعلن عليه الحرب ، وشن عليه الغارات ، وعاث فسادا فى بلاده ، وحاربه بلا رحمة ولا هوادة .

ولم يستطع البكرى الصمود طويلا ، وآثر خطب سلمه ، ولم يجد سبيلا لانقاذ بلده سوى مفاوضه ابن عباد فى تسليم ولبة على أن يترك له جزيرةليحكمها ، ووافقه ابن عباد على ذلك متظاهرا بقناعته بثغر ولبة .

---

(٣٥) ابن عذارى ، البيان ، جـ ٣ ، ص ٣٠١ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وما كاد البكرى يركب سفنه الى جزيـرة شلطيش حتى حاصره فى وسط الماء فلم يجد البكرى وسيلة لانقـاذ نفسه وولده سـوى التسليم بالامر الواقع والتنازل عن شلطيش واللحاق بقرطبة ، بعد ان باع لـه سفنه واثقاله بعشرة آلاف مثقـال من الذهب ، وتم ذلك فى عام ٤٤٣هـ (١٠٥١ م) (٣٦) .

وفى نفس هذا العام انتزع ابن عبـاد امارة شنتمرية الغـرب من صاحبها محمد بن سعيد بن هارون بعد ان ضايقه المعتضد بن عبـاد بغاراته ومعاركه التى استنزفت قوته وارغمته فى النهاية الى طلب سلمه على ان يخلع له نفسه ويخرج ومن معه الى اشبيلية فوافق المعتضد على على ذلك ورحل ابن هارون الى اشبيلية ولم يلبث ان توفى بها بعد فترة قصيرة من وصوله (٣٧) .

وبهذا يكون ابن عباد قـد ضم الى ملكه من المدن لبـلة وشلب وشنتمرية الغرب وولبة وشلطيش وباجه فى اقل من عشرين عاما واصبحت مملكة بنى عباد بذلك تشمل سائر الأراضى الممتدة من ضـفاف الوادى الكبـير شرقا حتى سـواحل المحيـط الأطلسى الغربيـة والجنـوبية غربـا (٣٨) .

---

(٣٦) المصدر السابق ، ص ٢٤١ ، ٢٢٩ ، محمد عبد الله عنـان ، دول الطوائف ، ص ٤٢ .

(٣٧) ابن عذارى ، البيان ، جـ ٣ ص ٢٩٨ - ٢٩٩ .

(٣٨) هذا ولم يقنع ابن عباد بهذا التوسع الكبير فى اتجاه الغرب وانما كان يطمع فى الاستيلاء على الامارات البربرية الصغيرة القائمة فى شرقى الوادى الكبير جنـوبى الاندلس أو على الأقـل كان يسعى للقضاء عليها ضمانا لسلامة مملكته وتأمينـا لجناحه فى هذه الناحية وكانت هذه الامارات تنحصر فى أربعة : امارة بنى يفرن فى رندة ، وامارة بنى دمر فى مورور ،وامارة بنى خزرون فى شذونه واركش وامارة بنى برزال فى قرمونة . وقد استولى ابن عباد على اركش وشذونة فى عام ٤٥٨ هـ (١٠٦٦ م) بعـد ان قتل زعيمها محمد بن خزرون أثناء دفاعه عن امارته .اما =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ب - حروبه مع المأمون بن ذى النـون :

ذكرنا فيما سبق أن المظفر تعرض أثناء صراعه مع المعتضد العبادى لمضايقات المأمون بن ذى النون (٣٩) صاحب طليطلة الذى لم يتردد فى الاعتداء على اراضيه ، ودارت بين الملكين معارك واشتباكات لا نعرف تفاصيلها ولا تواريخها على وجه الدقه ، ولا الزمن الذى استغرقته .

= بالنسبة لمورور مقر بنى دمر والتى تولى حكمها عمـاد الدولة مناد بن محمد بن نوح بعد مقتل ابيه فقد وقعت فى يد ابن عباد عام ٤٥٨هـ بعد ان استسلم اميرها ورحل الى اشـبيلية ليعيش فيها بقية حيـاته (الى ان توفى عام ٤٦٨هـ/١٠٧٥م)اما رندة فقد اختلف امرها بعض الشىء فهى لم تقع فى يد المعتضد بعـد قتال وحروب وانما استسلم اهلها لأمير اشبيليه بعد ان تبينـوا حقيقة امورهم،فاميرهم العادل ابو نصر فتوحكان قد اغتيلعلى يد ابن يعقوب صاحبه لصالح ابن عباد .

واما قرمونة فقد آلت بعد وفـاة اميرها محمد بن عبـد الله البرزالى عام ٤٣٤هـ (١٠٤٢ م) الى ابنه عزيز المستظهر الذى اذعن للتسليم الى ابن عباد بعد ان اغار على اراضيه وهاجمه عدة مرات وكان ذلك عام ٤٥٩ هـ (١٠٦٦ م) . وكان المعتضد ابن عباد قد تمكن من انتزاع الجـزيرة الخضراء من يد اميرها القاسم بن محمد بن حمود فى سنة ٤٦٦ هـ (١٠٥٤ م) (لمزيد من التفاصيل حول سقوط الامارات البربرية فى يد المعتضد ابن عباد انظر ابن عذارى ، البيـان ص ٢٠٨ ، ٢١٢ ، ٣١٣ ، ص ٢٩٤ - ٢٩٦ ، محمد عبـد الله عنان ، دول الطـوائف ص ٤٥ - ٤٨) .

(٣٩) يرجع بنو ذى النون الى أصول بربرية ، فهم من قبيـلة هوارة (ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ص ٤٦٤ ، ٤٦٥) الذين كانوا يخدمون الدولة العامرية ، وكان اسم جدهم الذين ينسبون اليه هوزنون ، وقد ذكره ابن الخطيب فى اعمال الاعلام ص١٧٦ على هذه الصورة ، غير أن مؤرخى ملوك الطوائف كابن حيان وابن بسام وابن عذارى كان يسـمونهم بنى ذى النون وهـو تعريب اسم جدهم زنون البـربرى (٢٧٤ هـ - ٨٨٨ م) وكان أول ظهورهم فى أيام الدولة الاموية حيث كان جدهم الاعلى زنون بن سليمان بن طوريل حاكما لحصن اقليش منذ أيـام الامير محمد بن عبد الرحمن،ورغم ذلك فابن الخطيب يرى أن هؤلاء القوم لم يكن لهم رياسة ولا نبـاهة الا فى دولة المنصور محمد بن أبى عامر ، ففى ايامها تقدموا واشتهروا وقادوا =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومن المعروف ان مملكة طليطلة كانت من اهم دويلات الطوائف ولا ترجع اهميتها الى اتساع رقعتها فحسب وانما الى موقعها الاستراتيجى كمنطقة ثغرية مصاقبة لمملكة قشتالة، ولهذا عرفت بالثغر الأوسط ، واعتبرت لذلك حاجزا اسلاميا ضد اعتداءات القشتاليين ، وكانت هذه المملكة تمتد شرقى مملكة بطليوس من قورية وترجالة نحو الشمال الشرقى حتى قلعة ايوب وشنتمرية الشرق الواقعتين الى الجنوب الغربى من مملكة بنى هود فى الثغر الأعلى ، والى الجنوب الغربى حتى حدود مملكة قرطبة عند مدينتى المعدن Almaden والمدور Almodovar وكان من أهم اعمالها مدينة سالم Medinaceli ووادى الحجارة Guadalajara وقونكة Cuenca ووبذة Ubeda واقليش Uclés ومورة Moura وطلبيرة Talavera وترجالة Trujillo .

وقد تولى يحيى بن اسماعيل بن ذى النون حكم طليطلة خلفا لوالده وتلقب بالمأمون ،واتسعت بذلك حدود مملكة طليطلة فى عهده اتساعا

= الجيوش واستقروا بكورة شنتبرية . ولما اساء والى طليطلة عبد الرحمن بن متيوه وابنه عبد الملك من بعده السيرة مع أهل طليطلة عزلوه وارسلوا الى ابن زنون فوجه اليهم من شنتبرية ابنه اسماعيل بن عبد الرحمن بن زنون وكان ذلك عام ٤٢٧ هـ (١٠٣٦ م) فاستولى اسماعيل على ملك طليطلة ونواحيها واحسن السيرة مع اهلها وليس معنى هذا ان بنى ذى النون لم يظهروا قبل ذلك ، فقد ظهر بعضهم قبل هذا التاريخ بنحو قرن من الزمان ، فكان منهم مطرف بن اسماعيل بن عامر بن ذى النون الذى تولى على وبذة وحصون شنت برية وقراها . ثم ظهر عبد الرحمن بن مطرف فيما بعد ثم اسماعيل حفيد المطرف ، وبعد ان تولى اسماعيل بن ذى النون حكم طليطلة وأعمالها ، تلقب بالظافر ، وامتدت رياسته شرقا حتى قونكه وجنجالة وامتاز بالعلم وبالعقل وبالدهاء ، ولكن لم يطل عهده فى الملك أكثر من بضعه أعوام اذ توفى فى سنة ٤٣٥هـ (١٠٤٣م) وخلفه ولده يحيى المامون (انظر ابن الخطيب اعمال الاعلام ص ١٧٦ ، ابن عذارى البيان ، جـ ٣ ، ص ٢٧٦ ، محمد الله عنان دول الطوائف ص ٩٧) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كبيرا وترامت شرقا حتى بلنسيه وأصبحت من أهم دويلات الطوائف، وأعظمها رقعة وأكثرها ثراء اقتصاديا ٠

ولقد كان عهد المأمون على عدله وحسن سيرته مليئا بالحـــروب والمعارك بينه وبين الممالك الاخرى،فقد خاض العديد من الحروبضد مملكة بنى هودبسرقسطة والثغر الاعلى، وضد مملكة بنى عباد باشبيلية، هذا بخلاف حربه مع المظفـر بن الافطس ملك بطليوس موضـــوع هذا الفصل من الدراسة ٠ ويذكر البران Albarran ويؤيده فى ذلك محمد عبد الله عنان أن يحيى المأمون لم يبـدأ صراعه الحربى مع المظفر بـن الافطس الا بعد الصلح الذى تم بين المعتضد وابن الافطس (٤٠) ٠ وهو ما سبق أن أشرنا اليه ، وقد نوهنا من قبل برأى آخر يستند فيـه على نص لابن عذارى أورده أيضا ابن الخطيب جاء فيه أن الفتنة بين ابن هود وابن ذى النون استغرقت الفترة من سنة ٤٣٥هـ (١٠٤٣م) الى آخر سنة٤٣٨هـ/١٠٤٦م وانقطعت بموت سليمان بن هود فىالسنة المذكورة، فلما تنفس مخنق بن ذىالنون بموت سليمان المذكور رجع يطلب جاره ابن الافطس صاحب بطليوس ، فجرت له معه حروب كثيرة (٤١) ٠

وقد سجلنا فى رأينا الذى ذكرناه بهذا الشأن أن المظفر بن الافطس انهزم فى معركة يابرة سنة ٤٤٢هـ (١٠٥٠ م) لعوامل متعددة رجحنـــا من بينها انضواء المأمون بن ذى النون للمعتضد بالله بن عباد واشتراكه معه فى تلك المعارك التى انتصر فيها المعتضد على المظفر ، ونعتقد مـن خلال النص الذى اورده كل من ابن عذارى ، وابن الخطيب ان الصـراع بين المأمون والمظفر مر بمرحلتين : مرحلة الاشتباكات الأولى وتبـدأ فى الفترة من سنة ٤٣٨ هـ (١٠٤٦ م) التى توفى فيها المستعين بالله بـن

---

(٤٠) محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص ٩٩ ٠
Albarran, Op. Cit., P. 269.

(٤١) ابن عذارى ، البيان ، جـ ٣ ، ص ٢٨٢ ، ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ١٧٨ ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والمعاقل (٤٤) . «وكان سليمان المستعين صاحب سرقسطة قد هزم يحيى المأمون فى وادى الحجارة وطليرة (٤٥) .

ثم ظاهر سليمان بن هود فرذلند الاول بن غرسية وردمير بن شانجة وبعث الى فرذلند بأموال جمة وهدايا نفيسة وطلب منه مهاجمة بلاد المأمون بن ذى النون ،فخرج فرذلند بقواتكثيفة تقدم بها نحو طليطلة (٤٦) . ويذكر ابن الخطيب ان الحرب بين سرقسطة وطليطلة

---

(٤٥) وكان ابن هود جار طليطلة من الناحية الشمالية الشرقية،وكان مجال الصراع بين المملكتين هو سلسلة المدن والقلاع الحصينة التى تمتد بين الثغر الاعلى وبين مملكة طليطلة ابتداء من قلعة أيوب حتى وادى الحجارة . أما مدينة وادى الحجارة فقد كان اهلها يميلون الى الانضمام الى سليمان بن هود رغم تبعيتهم للمأمون بن ذى النون ، وكان المستعين يشجعهم على ثورتهم ضد يحيى المأمون بان يبث فيها رسله واعوانه لينشروا دعوته ويثيروا الشغب فيها ، وانتهى تدبيره بان ارسلولده أحمد بن هود للاستيلاء عليها . ودارت المعارك بين ابن هود والمأمون بن ذى النون الذى اسرع بنفسه الى وادى الحجارة لانقاذها من يد أحمد بن هود ، ولكن الغلبة كانت لابن هود الذى استمر فى مطاردته للمأمون بن ذى النون ، فتراجع المأمون خائفا حتى مدينة طليرة ، فحاصره احمد بن هود ، وظل يضيق عليه وأرسل لوالده المستعين يخبره بانتصاراته على المأمون ، ولكن والده نصحه بأن يترك المأمون ويرفع عنه الحصار ، فعاد ابن هود الى سرقسطة مرة ثانية ، وبهذا يكون المأمون قد انقذه الله من ورطة كبرى وهزيمة شنعاء (ابن عذارى ، البيان ج ٣ ص ٢٧٧، ٢٧٨ ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ص ١٧٧ - ١٧٨ ، محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ص ٩٩ .
Albaran, Op. Cit., P. 269.)

(٤٦) بعد ان هزم المأمون بن ذى النون فى طليرة أو وادى الحجارة أمام ابن هود لجأ المأمون الى اسوأ طريق ممكن ان يلجأ اليه حاكم مسلم فى حربه مع آخر مثله ، فقد لجأ المأمون الى فرذلند الاول ملك قشتالة يطلب مساعدته فى مقابل ان يعترف بسيادته عليه وان يدفع له الجزية ، وكان طبيعيا ان يستجيب فرذلند الاول لطلبه اذ وجد فى هذه المساعدة فرصة مواتية ليضعف من شأن ملوك الطوائف بالاندلس ، فعاث فى اراضى ابن هود فسادا ،وكما أوضحت عبارة كل من ابن عذارى وابن =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هود حتى عام ٤٤٣هـ (١٠٥١م) الذى تم فيه الصلح المبدئى بين المعتضد والمظفر ، وهذه المرحلة تتسم باشتراك المأمون رمزيا فى المعارك التى خاضها المعتضد مع المظفر بن الافطس .

أما المرحلة الثانية فتبدأ من سنة ٤٤٣هـ (١٠٥٥م) ، التى توقف فيها القتال بين المعتضد بن عباد والمظفر بن الافطس حتى سنة ٤٤٧هـ (١٠٥٥م) (٤٢) ، وهذه المرحلة هى مرحلة الصدام المسلح والمعارك الطاحنة . وقد سبقت هاتين المرحلتين مرحلة تمهيدية تميزت بتدهور العلاقات بين الدولتين وقيام بعض مناوشات تخللتها غارات شنها المأمون على بلاد ابن الافطس ، ونستدل على وجود هذه المرحلة التمهيدية من عبارة ابن الخطيب «رجع الى مطالبة جاره ابن الافطس » .

والرجوع الى المطالبة يعنى وجود حالة من الخلاف أو المناوشات انقطعت فترة من الزمن ثم عادت من جديد ، وهذا امر طبيعى اذ لا يمكن ان تنشب حرب بين فريقين دون ان يسبقها مرحلة تمهيدية من النزاع المسلح ، ولا يعقل ان تنشب الحرب دون أية مقدمات سابقة . وقد توصلنا الى تحديد فترة الصراع الحربى بين المأمون والمظفر من ٤٤٣ هـ الى ٤٤٧ هـ (١٠٥١ — ١٠٥٥ م) استنتاجا من النصوص التاريخية . فقد توقفت الحرب بين المأمون بن ذى النون وبين المستعين ابن هود بوفاة الاخير عام ٤٣٨هـ (١٠٤٦م) (٤٣) . ويبدو ان المأمون ابن ذى النون قد افاد من العون الذى قدمه له فردلند الاول بن شانجة ابن غرسية ملك قشتالة الذى دمر حقول سرقسطة ولم يدع ما يقتاته الطائر ، وخرب البلاد ، وأهلك العباد ، وفتح عدة من الحصون

---

(٤٢) ابن عذارى ، البيان ، جـ ٣ ، ص ٢٨٣ ، محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ص ١٠١ .
Albarran, el solar de los Aftasies, P. 269, 270.

(٤٣) ابن عذارى ، البيان ، جـ ٣ ، ص ٢٨٢ .

(٤٤) المصدر السابق ، ص ٢٧٨ ، ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ١٧٨ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

دامت ثلاث سنوات ويوضح الاستاذ البران Albarran ان بدء العداء بين ابن عباد وبين المأمون بن ذى النون يسجل نهاية الحروب بين بطليوس وطليطلة . أما السبب فى الصراع الذى نشب بين المأمون والمعتضد فمرجعه التنافس على ضم قرطبة ، وقد حاول المعتضد فى سنة ٤٥٠هـ (١٠٥٨م) النزول بمدينة الزهراء ، وانه انهض نحوها ولده اسماعيل ، فعصاه اسماعيل ، فسعى المعتضد الى قتله فى نفس هذه السنة (٤٧) ٤٥٠هـ (١٠٥٨م) .

ثم حرض المعتضد عبد الملك بن محمد بن جهور على قتل ابن السقا ابراهيم مدبر الدولة الجهورية ليخلو له الجو فيستولى عليها ونجح عبد الملك فى تنفيذ الجريمة فى سنة ٤٥٥ هـ ، ويؤكد بريتواى فيفيز

= الخطيب مدى الخراب الذى أحدثته هذه الحملة النصرانية ، كل ذلك وابن هود ممتنع فى حصونه ، مجتنب للاشتباك مع المعتدين ، وانتهز المأمون هذه الفرصة ، فأغار هو الآخر على أراضى ابن هود ، هذا الى جانب قيام المأمون فى ذات الوقت بتقوية أواصر صداقته مع المعتضد ابن عباد الذى اشترط عليه أن يعترف بالدعوة الهشامية التى تزعمها ابن عباد والتى كان المأمون قد رفضها منذ البداية ، ولكن انشغال ابن عباد بحربه مع المظفر ابن الافطس لم يفد المأمون كثيرا . وفى نفس الوقت فان ابن هود مالبث ان انحدر الى نفس مستوى المأمون ،فقد ارسل الى فردلند من الهدايا والاموال الكثيرة ، ما جعله يستجيب لطلبه فى مهاجمة اراضى طليطلة حتى وادى الحجارة وقلعة النهر ، فغضب المأمون ، وحالف هو الآخر غرسية ملك نبرة اخى فردلند ملك قشتالة ، فهاجم غرسية اراضى ابن هود فيما بين تطيلة ووشقة ،وافتتح قلعة قلهرة ٤٣٧هـ (١٠٤٥م) ثم قام فرناندو ملك قشتالة مرة أخرى بالاغارة على احواز طليطلة المتأخمة له ، فهرع المأمون الى مدينة سالم للدفاع عنها ، فانتهز حلفاء ابن هود النصارى هذه الفرصة واغاروا على طليطلة انظر : ابن عذارى ، البيان جـ٣ ، ص ٢٧٨ ، ابن الخطيب ص ١٧٨ .
وانظر أيضا محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ص ١٠٠

(٤٧) ابن عذارى ، البيان جـ ٣ ، ص ٣٤٨
Prieto y Vives; Op. Cit., pp. 45-46.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Prieto y Vives (٤٨) من خلال النقش التاريخى المسجل على احدى العملات أن أول محاولة قام بها المأمون لضم قرطبة حدثت سنة ٥٤٦هـ (١٠٦٩م) فقد انتهز فرصة وفاة المعتضد فى ذلك العام وزحف بجيوشه نحو قرطبة واستولى على حصن المدور، ثم حاصر قرطبة نفسها فاضطر عبد الملك بن محمد بن جهور الى الاستعانة بحليفه المعتمد بن عباد، فأمده المعتمد بكتيبة قوامها ٣٠٠ فارس واتبعها بفرقة من الفرسان قوامها الف فارس بقيادة خلف بن نجاح ومحمد بن مرتين (٤٩) . وكان المعتمد قد طلب منهما التحايل على دخول قرطبة والاستيلاء عليها اذ كانت منتهى امله ، فنزلت قوات المعتمد بالربض الشرقى (٤) ، واقامت أياما تحمى حماه ، فاضطر المأمون الى الانسحاب الى طليطلة .

ثم انتهز القائد ابن مرتين فرصة تراجع ابن ذى النون، وقبض على عبد الملك بن جهور واخوته وسائر أهل بيته . وهكذا انتظمت قرطبة فى سلك دولة ابن عباد فولى عليها ابنه سراج الدولة عباد الملقب بالظافر بالله الى ان وثب به صنيعة لابن ذى النون يقال له حكم بن عكاشة (٥٠)، واستشهد الظافر بالله بن المعتمد اثناء مدافعته للمتآمرين . وبهذه الصورة استطاع المأمون بن ذى النون السيطرة على قرطبة فأقيمت فيها الدعوة الذنونية (٥١) ،وقدم ابن ذى النون الى قرطبة للاحتفال بذلك الحادث الكبير ، فوصلها فى ٢٥ جمادى الآخرة سنة ٤٦٧هـ (١٠٧٥م) ، واقام نحو خمسة اشهر لم يلبث أن مات مسموما فى ١٨ ذى القعدة من نفس السنة . وعلى الفور انتهز اهل قرطبة هذه الفرصة ، وبحكم كراهيتهم

---

(٤٨) ابن عذارى ، البيان ، جـ ٣ ص ٢٦٧ ، ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ص ١٥٤ ، وانظر عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة ، جـ١ ص ١٣٦ .

(٤٩) ابن بسام ، الذخيرة ، مجلد ٢ ، قسم ١ ص ١٢٥ - ابن عذارى ، البيان ص ٢٥٧ ، ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ص ١٥٠ .

(٥٠) المصدر السابق (ابن الخطيب) ، ص ١٥٨ .

(٥١) نفسه ص ١٥٨ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

للبربر خاطبوا المعتمد فى الحضور اليهم ، فلم يتردد فى القدوم اليها فى جموع كثيفة طالبا بثار ابنه عباد (الظافر بالله) ، فدخلها فى ٢٧ منذى القعدة وحاول حكم بن عكاشة الهرب ، ولكنه قتل وجىء به الى قرطبة فصلب مع كلب (٥٢) .

ونعود الى حديثنا عن المصادمات الحربية بين المأمون بن ذى النون والمظفر بن الأفطس،ونعتقد ان هذه المصادمات العنيفة وقعت قبلعام ٤٥٠ هـ (١٠٥٨م) الذى تبدأ فيه حملات فرذلند الاول ملك قشتالة على اراضى مملكة بنى الافطس ومملكة بنى ذى النون ، ففى هذه السنة شغل كل من المأمون صاحب طليطلة والمظفر صاحب بطليوس بمواجهة اعتداءات قشتالة على اراضيهما ، كما شغل المعتضد بمحاربة بنى افرن فى رندة وبنى حمود فى الجزيرة بالاضافة الى سعيه لضم قرطبة .

فى سنة ٤٥٠ هـ (١٠٥٨ م) بدأ فردلند يوجه حملاته على مملكة بنى هودبعدانتصاره على المستعين فى برلانجا Berlanga وغرماج San Esteban de Gormazفى الوقت الذى كانت قواته تواصل تقدمها فى الاجزاء الشمالية من مملكة المظفر والمأمون كان فى شغل شاغل فى هذه الفترة عن عدائهما بالمشاكل التى واجهت كل منهما ، فالمظفر كان مشغولا بمحاولة جيوش فردلند الاول التى كانت تضايق القلاع الواقعة شمال نهر منديق ، والثانى كان مشغولا بدوره بمدافعة قوات قشتالة التى هاجمت بعض قلاع مملكته .

ومن المؤسف حقا ان تغفل المصادر العربية تأريخ بداية الحرب بين طليطلة وبطليوس ، ومادام الامر كذلك فنحن لا نستطيع ان نضع تاريخا محددا لبداية الحرب ، وكل ما نستطيع ان نفعله هو مجرد التحديد الافتراضى للفترة التى دارت فيها هذه الحرب . وبالاضافة الى ذلك فنحن

---

(٥٢) ابن الابار ، الحلة السيراء ، جـ ٢ ص ١٧٧ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لانعرف المسرح الذى دارت عليه العمليات الحربية بين الجانبين ، وربما وقعت فى المناطق المحصورة بين وادى تاجه ووادیانه غربى ترجلة أو الى مسافة تبعد عنها بعض الشىء الى الجنوب حيث يمكن الوصول الى هذه المنطقة عبر مسالك ميسورة • ونرجح أن الصراع الحربى بين الجانبين لم يعد اشتباكات محصورة أو غارات غير ذى خطر بحيث لم تؤد الى سقوط مدن ، لأن ذلك من شأنه ان يسجل فى صفحات التاريخ •

وايا ماكان الامر فان نزاع ابن الافطس مع المأمون بن ذى النون لم يتعد على الارجح بعض الاشتباكات الحربية ، ويمكننا اعتباره مجرد نزاع محلى يختلف كل الاختلاف عن الحروب التى كانت تشنها مملكتا قشتالة وليون على دولة بنى الافطس او حتى الوقائع التى دارت مع المعتضد بن عباد عند يابره او حتى عند باجة •

جـ - صراع المظفر بن الافطس مع ملك قشتالة وليون :

لم يكد المظفر محمد بن الافطس ينعم بالراحة بعد حروبه المتواصلة مع خصميه العتيدين المعتضد بن عباد والمأمون بن ذى النون حتى تعرض لموجة جديدة من الصراعات لم يحسب لها حسابا ، وكان أعداؤه فى هذه المره جيرانه الشماليون واعنى بهم القشتاليين (٥٣) • ومن الجدير بالذكر أن الغزو القشتالى لمملكة بطليوس فى عهد المظفر جاء فى اعقاب اتحاد مملكتى ليون وقشتاله ، وذلك على اثر انتصار فردلند الاول على برموده الثالث Vermudo III فى موقعة تامارون Tamaron فى سنة ٤٢٩هـ (١٠٣٧م) ، وانتصاره أيضا على غرسية ملك نبرة Garcia فى أتابويركا Atapuerca فى عام ٤٤٦هـ (١٠٥٤م) وهو انتصار استكمل على اثره توسعه الاقلمى ، وجاء اعتداء فردلند الاول على أراضى مملكة بطليوس فى ظروف غير مواتية بالنسبة لهذه المملكة ، اذ كانت قد استنفذت قواها فى حروب داميه مع مملكتى

---

(٥٣) Maunel Albarran, el Solar de los Aftasies, P. 34.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اشـبيلية وطليطلة على النحـو الذى رأينـاه من قبل (٥٤) . ذلك ان الانتصارات التى احرزها فردلند كانت مبررا لشروعه على الفور فى سلسلة من الحملات تكللت بالنجاح ، كان هدفها الرئيسى نقل الحدود الى مواقع كان الفونسو الثالث Alfonso III (٢٥٢ - ٢٩٧ هـ) (٨٦٦ - ٩٠٩م) واردون الثانى Ordoño II (٣٠١ - ٣١٢هـ) (٩١٤ - ٩٢٤م)(٥٥) ، قد وصلا اليها. وقبل ان نتحدث عن الغزو القشتالى الليونى لاراضى مملكة بطليوس تجدر الاشارة الى امر هام يتعلق بالمنطقـة الثغرية التى نفـذت منها القوات القشتالية الى اعماق مملكة بطليوس . فقد كان يسكن هذه المنطقة جماعات مستعربة انحازت بطبيعة الحال الى جانب الغـازين ، وهيئوا لهم المجال للسيطرة على الحصون المتناثرة فى المنطقة ، ومنهـا

---

(٥٤) كانت الحرب بين اهل اشبيلية وبطليوس مريرة وقاسية ، تركت آثارها العميقة والسيئة فى نفوس أهل بطليوس الذين فوجئوا بموجة جـديدة من الغـارات وجهت هذه المرة من الحـدود الشمالية ، فقـد جاء الغزو القشـتالى فى نفس عام ٤٤٧ هـ (١٠٥٥م) الذى توقفت فيـه المعارك مع طليطـلة ودمر هذا الغزو القشتالى الحدود الشمالية ، واتخذ شكل هجوم عات لم تستطع الحاميات الاسلامية له دفعـا ، كما ان المظفر لم يكـن متأهبا لدفع هذا الغزو ،فلم يقو على مدافعة القشتاليين لادراكه عقم المقاومة وعدم جدواها لا سيما وان القوى المسيحية كانت متعطشة للغاية فى تلك الفترة التاريخية بدافع دينى واقتصادى وقومى فى آن واحد لتنشيط حركة الاسـتيراد التى توقفت الى حين فى عصر الاسـتبداد العامرى .

(٥٥) تعمـق الفونسو الثـالث فى سنة ٢٦٨هـ / ٨٨١ م فى الاراضى الاسلامية : فقد خرج من غليسية فى تلك السنة نحو قلمـرية Coimbra مقر سعدون السرنباقى ، وحاصرها ، ثم استولى عليها ، وأسره ، ثم أمر بقتله ، ثم تقدم منها الى ماردة وعبـر واديانه ،وتغلب على قوات ابن مروان الجليقى على مسافة تبعد نحو عشرة أميال فيما وراء الوادى ،وعاد الفونسو الى أبيط يجر وراءه غنائم ثقيله .
وراجع الملحق (١) Aguado Bleye, Op. Cit., P. 483.
اما اردون الثانى فقد اجتاح فى سنة ٣٠٢هـ / ٩١٤م اراضى ماردة واستولى على حصن الحنش بعد ان ذبحت قواته الحامية المسلحة (راجع الملحق رقم ١) .

حصن سان خوستو San Justo ، وطرنكة Taronca ، ومدينة بيزيو وليق Lamego ، ومدينة قلمرية ومنيه Miño (Minho حاليا) الحصينة ومدينة جوفيا Jouveia ، ومدينة سان مرتين دى مورس San Martin de Mouros . كل تلك الحصون والمدن المسورة تشير الى أن المنطقة الثغرية كانت تشتمل على مراكز دفاعية هامه ، ومع ذلك فان الحدود البطليوسية لم تلتزم بخط ثغرى يمكن ان يشكله مجرد وادى دويره ، فقد كانت غارات ملوك قشتاله وليون تجتاح هذه المنطقة بين الحين والحين ، مثل ذلك غزوة الفونسو الخامس النبيل (٣٩٠ - ٤١٨هـ) (٩٩٩ - ١٠٢٧ م) على اراضى الغرب الاندلسى وحصاره لبيزيو فى سنة ٤١٨هـ (١٠٢٧ م) حيث لقى مصرعه (٥٦) تحت اسوار هذه المدينة التى كان يسعى الى ضمها الى املاكه الليونية ، كما أن السيطرة الليونية اتسعت فيما يقرب من سنة ٤١٠ هـ (١٠١٩ م) بحيث امتدت من بالفه Paiva حتى منت ميور أو فيلهو Montemor O-Velho بما فى ذلك الشريط الساحلى ، بمعنى ان الحدود بين المسلمين والليونيين لم تعد تقتصر فى هذه المنطقة على خط وادى دويره وانما اصبح هناك جيبا أو ثغرة اقامها الليونيون فى داخل الاراضى الاسلامية تشكل اسفينا يهبط من وادى دويرة ويمتد جنوبا بحيث يحيط بمواقع هامة ستصبح هدفا للهجوم القشتالى الليونى المقبل . ومع ذلك فان فردلند الاول لم يفكر فى استغلال هذا الجيب ، فقد تقدم بقوة نحو هدفه الرئيسى ، ففى سنة ٤٤٧ هـ (١٠٥٥م) خيم فى المنطقة الواقعة شمالى بيزيو Viseo ، ثم شرع فى هجومه . وتذكر مدونة راهب سيلوس Silense انه تمكن من السيطرة أولا على بيزيو ثم زحف بعد ذلك الى لميق حيث تصدت له قوات من البربر قدموا من لجدانية وباطقة ، وبدأت الحملة فى الصيف ، ولم تسقط لميق فى يده الا فى ٢٩ من نوفمبر (٤٤٩ هـ) من سنة ١٠٥٧م (٥٧) ، واستمرت حملة

---

(٥٦) Aguado Bleye, Op. Cit., P. 49;

(٥٧) Florez, España Sagrada, t. XIV, P. 163.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فردلنـــد عامى (٤٤٩ ـ ٤٥٠ هـ) (١٠٥٧ ـ ١٠٥٨ م) ،ولكن مدونة دون‌بلايو تزودنا برواية اكثر منطقيـة اذ تذكر ان الملك المسيحى استولى على لميق ثم على بيزيو واخيرا على قلمرية بالاضافة الى مدن اخرى كثيرة ومنها سنا Senna

«Iste belland a cepit Lamego, Viseo, Coimbrom, senam alias multas civitates(٥٨) »

ويعـــلق البـــران عـلى هـذه الروايـة بقـــوله : ان هـذه المسيرة فى الواقع تتفق تماما مع استراتيجية الارض ومع المواقـع الممتدة من الشمال الى الجنوب ،فان لميق وهى مدينة قديمة ومركز اسقفى منـذ القرن السادس الميلادى تقع على الضفة اليمنى من نهر بلسيماو Balsemão احد روافـد دويره ، وعندما يصـل هذا النهر الى المدينة يخضع مجـراه لطبيعة جبال سيرادى بولو التى تشكل حاجزا امام الوادى من جهة الغرب ويقوم الحصن على ارتفاع ٦٠٠ م (٥٩) ٠

حاصرت قوات فردلند الموقع وشرعوا فى فتح ثغرة فى اسوار القلعة، وعلى الرغم من مناعتها الا انها سقطت سريعا،ثم نصبت قوات فردلند امام اسوار لميق ابراجا وآلات للحصـار ، وبفضل ذلك امكنهـا السيطرة على المدينة فى سنة ٤٤٩ هـ (٢٧ من نوفمبر من سنة ١٠٥٧ م) ، وهلك من سكان‌لميق عدد كبير كما اسرالقشتاليون والليونيون‌عددا آخر كبلوهم بالأغلال ، واستخدموهم فى اقامة منشآت دينية مسيحية كالكنائس بينمـا امر الملك بذبح عدد من هؤلاء الاسرى (٦٠) ٠

وتبع سقوط لميق وقوع عـدد من الحصون والقلاع القـريبة فى ايدى

---

(٥٨) Cronicon Don Pelayo, en España Sagrada, t. XIV, P. 471.

(٥٩) Albarran, Op. Cit., P. 109.

(٦٠) Primera crónica general de España, editada por Ramoón Menendez-Pidal, II, Madrid, 1977, P. 486.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

القشتاليين ثم تابع فردلند زحفه نحو الجنوب وفقا لما ورد فى مدونة دون بلايو ،ثم حل الشتاء وتوقف الزحف،فلما أقبل الربيع تمكن من الاستيلاء على بيزيو ، وكانت هذه المدينة قديما مفترقا للطرق الرومانية ، كما كانت تشغل موقعا استراتيجيا فى الطريق الطبيعى الى قلمرية ، ويقوم حصن بيزيو المذكور على اساس حصن قديم (٦١) ، وفى (٤٥٠ هـ) ٢٣ يوليو سنة١٠٥٨ م تمكنت القوات القشتالية الليونية من اقتحام المدينة الحصينة، وتذكر مدونة الفونسو العاشر انه كان بداخل اسوار بيزيو تركزت فرق من رماة السهام Ballesteros لم تستطع ان توقف تقدم القوات الليونية القشتالية الذين استخدموا التروس والدروع (٦٢) . ولم تمض ايام قليلة تخللتها اشتباكات عنيفة حتى تمكن فردلند من اقتحام بيزيو والاستيلاء عليها ، وفيما بين افتتاح لميـــق وبيزيو حتى الهجوم على قلمريه تمكـن فردلند الاول من الاستيلاء على عدد من الحصون سبق ان اشرنا اليهـا لتطهير المنطقة من أى مقاومة اسلامية .وتذكر مدونة راهب سيلوس ان من بين هذه الحصون التى سقطت بعد لميق حصن سان خوستو وطروكه الواقع جنوبى لميق وبيزيو ، وسان مرتين الواقع الى الغرب منها (٦٣) .

وفى سنة ٤٥٤ هـ (١٠٦٣م) تقدم الملك فرذلند على راس قواته الى ماردة ثم ارسل قواته من هناك للاغـــارة على أراضى مملكة اشـــبيلية ، واضطر كل من المتوكل على اللـــه بن الافطس والمعتمد بن عبـــاد الى تجديد دفع الاتاوة له ، ثم اشتط فردلند فى طلبه من ابن عباد ، اذ طلب

---

(٦١) Albarran, Op. Cit., P. 110.

(٦٢) Primera Cronica general de España. P. 486.
وانظر ما اورده راهب سلوس عن البران
Albarran, P. 110.

(٦٣) لم يحاول ابن الافطس مقاومة هذا الغـزو أو حتى الدفاع عـن هذه المدن والحصون فقد تركها جميعا لمصيرها التعس ، ويعلل الاستاذ عنان ذلك بان ابن الافطس ادرك عدم جدوى المقاومة، فآثر ترك هذه الحصون للغزاه (محمد عبد الله عنـان ، دول الطوائف ص ٨٥) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

منه ان يسلمه رفات القديسة سانتا خوستا ، ولما تعذر على اسقفى ليون واسترقة ، رسوليه الى المعتمد ، العثور على هذه الرفات حملا رفات القديس ايسيدورو San Isidoro ، فاودعت فى احتفال مهيب اقيم يوم ٢١ ديسمبر ١٠٦٣م (٤٥٦هـ) فى كنيسة سان خوان الملاصقة للمدفن الملكى الذى كان يجهزه فردلند وفقا للفن الرومانسكى (٦٤) .

وتبع هذا التاريخ هجوم جرىء شنه الملك فردلند على مدينة شنترين اهم قواعد الغرب فى مملكة بطليوس استهدف منه النيل من عمق هذه المملكة ، وفرض اتاوة على ملكها الذى امتنع عن أدائها ، وخبر هذا الفتح الكبير لم يرد فى المصادر المسيحية وانما ردده ابن عذارى المراكشى فى البيان ، يقول ابن عذارى « ولم يزل امر العدو يقوى ويظهر على ملوك ثغور الأندلس الى ان خرج الطاغية فرذلند بن شانجه ملك الجلالقة بارض الاندلس بجيوشه النصرانية الى ثغر المسلمين بارض الجوف قاصدا وضم محمد بن الافطس لما منعه الاتاوة من بين جميع امراء الثغور ، فعاث فى بلاد المسلمين ، وفتح حصونا كثيرة ، وكانت خيله تزيد على عشرة آلاف فارس معهم من الرجال اكثر من مثليهم ، واتصل خلال ذلك بالامير ابن الافطس ان عدو الله جرد من خيله سرية ثقيلة ، أمرهم بقصد مدينة شنترين ، اذ كانت مدينة شنترين افضل ذلك الثغر ، فقضى الله أن لحق بشنترين اميرهم المظفر بن الافطس قبل أن يأتيهم عدو الله ، وقد كان خامرهم الجزع ، فقالوا لأميرهم : لقد هممنا ان نستسلم للعدو ، ولو لم تاتنا لضعفنا عن دفاعه ، وقصد هذا القومس لعنه الله الى شنترين للوجهة التى وجهه لها اميره فردلند أمير الجلالقة ، فارسل ابن الافطس اليه ليجتمع معه فيكلمه فى امره ، فالتقيا فى الماء بنهر شنترين ، ابن الافطس فى زورق والعلج راكب فرسه فى الماء الى صدر فرسه ، وتكلما طويلا فيما عرضه من السلم والاتاوة فامتنع المظفر من ذلك الى ان وافقه بعد جهد ومشقة على خمسة آلاف دينار يؤديها اليه فى كل عام من أول هذه الهدنة ،

(٦٤) Luis Suarez, Historia de España : Edad Media, P. 173.
Aguado Bleye, Manual da la historia de España, P. 582.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولم يزل عدوالله فرذلند يقوى والمسلمون يضعفون بغرم الجزيه للنصارى الى أن نزل اللعين على مدينة قلمرية» (٦٥) ويتبين لنا من هذا النص ان فرذلندوجه ضد شنترين عددا ضخما من الفرسان يبلغ عشرة آلاف فارس ومن المشاة الرجالة ما يتجاوز مثليهم أى ضعفيهم (٢٠ الفا) وكانت شنترين أهم مدن الغرب ومفتاح بلاد الثغر الجوفى ، ولم يستطع المظفر الذى طحنته النوائب الا أن يقف مكتوف اليدين امام الحرب التى تدور فى اراضيه الشمالية ، ولكنه آثر مقابلة الملك الليونى والتفاوض معه بشأن الاتاوة ، وقد انكر عليه بادىء ذى بدء دفعها ، ولكنه اضطر الى الاذعان لمشيئته امام التهديد ، وقبل الصلح بشرط ان يدفع خمسة آلاف دينارا سنويا ، وفى تلك الآونة دارت بخلد فرذلند فكرة استرداد الاندلس وتحرير اسبانيا نهائيا من السيطرة الاسلامية ، وكانت لاتزال فى يده منطقة بيزيو وليق عندما ظهر على مسرح الاحداث شخصية رجل مستعرب جرىء هو القومس سيسنندو دافيدث Si·nando Davidez (ششنند) (٦٦) الذى اتخذه الملك مستشارا له فيما يتعلق بفتح قلمرية ، وهو الذى اقترح على فرذلند افتتاح هذه المدينة .

---

(٦٥) ابن عذارى ، البيان المغرب ، جـ٣ ص ٢٣٨ .

(٦٦) يصفه ابن بسام فى الذخيرة بقوله «شر (اذ فونش السادس) العتيد وشيطانه المريد ، وهامانه الذى اوقد له على الطين ، وعلمه الدفع بالشك فى صدر اليقين ، احد اعلاج ابن عباد - كان - من رجل متوقد جمرة الذكاء ، بعيد المذهب بين الجراة والنكراء ، سفر بين المعتضد والطاغية فرذلند ، فعقد وحل ونهض ، حمل من ذلك واستقل ، ثم خاف المعتضد على نفسه ، فنزع به عرق اللوم الى المقر المذموم واستقرت قدمه بجليقية ، فاضطلع بالدروب والثغور ، وغلب على سائر السياسة والتدبير » . وهو الذى نصح الفونسو السادس بعد استيلائه على طليطلة بالابقاء على أهلها المسلمين وعدم تعميرها بعناصر مسيحية مستوردة ، وان يخفض جناحه لاهلها وعدم التعرض لجامعهم (انظر ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الرابع ، المجلد الاول ص ١٦١ ، ١٦٩) ويذكر منندث بيدال انه كان مستعربا من بلدة تنتوجال الواقعة غربى شنترين ، اسرة عباد المعتضد ملك اشبيليه فى احدى غزواته لهذه البلاد ثم اختص به فى السلم وفى الحرب ، ثم انتقل الى خدمة فرذلند الاول ، =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كانت عملية قلمرية هى الثمرة التى انتهت اليها الحملة القشتاليونية التى استمرت تسع سنوات ، وبفضل السيطرة عليها أمكن لفرذ لنـــد التحكم فى الموقف اذ كان موقعها الاستراتيجى يتيح له وضع قـواته على ضفاف منديق مقيما بذلك حدودا جديدة بينه وبين المسلمين . وتقع مدينة قلمرية عند انحناءة النهر فى منعطف حاد ، وينفتح السهل المحيط بها بفضل هذا الانحناء متخذا شكل مروحه تمتد على مسافة تبلغ نحـو ثلاثين كيلو مترا . وكانت قلمرية محاطة بسور منيع لا يرام ، وكانت أبوابها الثلاثة فى غاية الوثاقة والمناعة .

وكان سقوط لميق وبيزيو وغـيرهما من الحصون الشمالية لمملكـــة بطليوس قد أسال لعاب فرذلند وحركه لفتح الطريق نحو قلمرية ، وقـد ساعد على ذلك تحريض ششنند له بالاضافة الى رهبان بلده لورفاو Lorvão الذين قدموا له العون فى تحقيق هذا الهـــدف ، وفى عام ٤٥٦هـ (١٠٦٤م) سقطت قلمرية فى يد فرذلند الاول بعد حصار دام ستة شهور ، وكان واليها انذاك من قبل ابن الافطس رجلا يسمى رانده اتفق سرا مع فرذلند على أن يخرج هو وأهله من المدينة آمنا الى معسكر المسيحيين ويترك لهم المدينة ، ولما تبين لاهل قلمرية فى صبيحة اليـــوم التالى خيانة واليهم طلبوا من فرذلند الامان فلم يجبهم اليه ، فصمدوا الى ان نفذت اقواتهم فى الوقت الذى جد العدو فى قتالهم ، فاستسلموا ،

= فعمل سفيرا بينه وبين ملوك الاسلام . وتذكر الوثيقة الصادرة فى ٤٧٨هـ (٢٩ مايو سنة ١٠٨٥م) انه هو الذى نصح فرذلند الاول بفتح قلمرية عام ٤٥٧هـ (١٠٦٤م) . وهنـاك وثائق عديدة تؤكد ان ششنند هو الذى أوحـى الى فرذلنـد الاول بفتح قلمرية ، وتنصيب باطرنه Paterno اسقفا مستعربا (انظر

Emilio Garcia Gómez, R. Menendez-Pidal, el conde mozárabe Sisnando Davidez y la politica de Alfonso VI con los Taifas, al-Andalus, Vol. XII, fasc. 1, 1947; 27-41.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ودخل عسكر فرذلند قلمرية عنوة ، وقتلوا رجالها ، وسبوا نساءها واطفالها ، فكان لحادثة سقوط قلمرية أسوأ الاثر فى نفس المظفر.ومن العجيب ان يعود واليها الخائن رانده الى بطليوس يطلب عفو مولاه، فوبخه على فعلته الشنعاء ، ثم امر بضرب عنقه (٦٧) .

وقصة فتح فرذلند للمدينة تثير الاسى فى النفس ، ويشير المؤرخون الى انه بينما كان الصليبيون الفرنجة يتجهون نحو بربشتر لفتحها Borbastro كان فرذلند يحج بشانت ياقب ويتضرع امام صورة القديس ياقب يسأله النصرة فى حملته الجديدة على قلمرية. وظل يصلى هناك ثلاثة ايام (٦٩) ،

---

(٦٧) ابن عذارى ، البيان ، جـ٣ ص ٢٣٨ ، ٢٣٩ - ابن الخطيب، اعمال الاعلام ص ٢١٣ ، طبعة الرباط .

(٦٨) ترتب على مصرع ردميره الاول ملك ارغون امام اسوار جراوس Graus فى سنة ٤٥٦هـ (١٠٦٣ م) نتيجة لتدخل قشتالة ، ان بادر البابا الكسندر الثانى بالدعوة الى حملة صليبية تألفت من فرسان من الفرنجة من جنوبى فرنسا بقيادة وليم دى بواتييه دوق اقطانية Aquitania ومن قوات ايطالية تغلب فيها العناصر النورمندية بقيادة البارون روبرت كريسبن ، واشترك فى هذه الحملة الصليبية ايضا ارمنقد الثالث Armengol III دى اورخيل قومس برشلونة الذى كانت له مصالح فى المنطقة التى تقرر ان تكون هدف هذه الحملة . فاستسلمت مدينة بربشتر أول أهداف المشتركين فى الحملة فى ٤٥٦ هـ (اغسطس ١٠٦٤ م) ولكن الفرنجة لم يحترموا الشروط الواردة فى معاهدة التسليم ، ثم رحل الصليبيون الفرنجة عنها بعد ان ملئوا ايديهم من غنائمها، ولكن انسحابهم ادى الى ضعف الدفاع عنها امام حصار المقتدر بالله بن هود صاحب سرقسطة الذى قدم لاسترجاعها ومعه قوات اشبيلية قوامها فرقة من الخيالة .

وقد لقى ارمنقد الثالث مصرعه فى احدى المعارك ، وتمكن المسلمون من استعادتها فى ابريل سنة ١٠٦٥ بعد ان قتلوا الحامية المسيحية (راجع Luis Suarez, Op. Cit., P. 175.

ولمزيد من التفاصيل عن استيلاء الفرنجه على بربشتر راجع ابن عذارى جـ ٣ ص ٢٢٥ - ٢٢٧) .

(٦٩) Cronica general de España, PP. 487-488.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثم خرج بجيوش كثيفة نحو قلمرية ، وأحكم الحصار حولها ، واستخدم فى الحصار ابراجا خشبية وكباشا وآلات متعددة، وظل فترة طويلة يحاصر المدينة الى ان عدمت لديه الاقوات ونفذت الميرة ، وعندئذ تدخل رهبان دير لورفاوالذين قدموا لهالغلالوالخضروات والحوا علىالملك انيواصل حصر المدينة وفتح ثغرة فى سورها ، فاستسلم المسلمون ، وخرجوا منها بعد ان طلبوا الامان مقابل تسليمهم ، ولكن بعض المسلمين انفوا من التسليم وآثروا انيواصلوا القتال،وعندئذ ركز فرذلند هجوما شاملاعلى المدينة انتهى بفتحها نهائيا فى ٩ يوليو ، وفى اليوم الحادى عشر من هذا الشهر دخل فرذلند قلمرية فى موكب مهيب . ثم سلم ولايتها الى القومس المستعرب ششنند مكافاة له على خدماته له ونصائحه،واشترطفىمعاهدة التسليم ان ينسحب المسلمون الى الضفة اليسرى من نهر منديق التى كانت تمثل الحدود القديمة (٧٠) . وظل يحكمها الى ان توفى فرذلند فانتقل ششنند الى خدمة الفونسو السادس، واسهم معه فى فتح طليطلة. وتوفى هذا المستعرب الخبيث فى عام ٤٨٤ هـ / ١٠٩١ م .

ولم تقتصر عمليات فرذلند الاولفىاراضى مملكة بطليوس علىفتح قلمرية ، فابن الخطيب يذكر انه واصل زحفه فى الغرب ، ولولا وفاته المبكرة ، لكان هذا الطاغية قد تسبب فى مزيد من الاضرار بالمسلمين .

---

(٧٠) Manuel Albarran, el Solar de los Aftasies, P. 121.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

د ـ المظفـر بين ملوك الطوائف :

استطاع المظفر محمد بن الافطس بفضل ما أوتى من مواهب خلاقة فى الفكر والسياسة والأدب (٧١) ان يرفـع من مكانـة دولة الافطس بين دويلات الطوائف سياسيا وعلميا وحضاريا ، بحيث أصبحت دولتـه ندا لمملكة بنى عبـاد اصحاب اشبيلية ومملكـة بنى ذى النون اصـحاب طليطلة (٧٢) . وعلى الرغم من ميول المظفر العلمية والأدبيـة فقد كان

---

(٧١) كان المظفر باجماع مؤرخى الاندلس اديب ملوك عصره بغـير مدافع ولا منازع (ابن بسام ،الذخيرة فىمحاسن أهلالجزيرة، قسم ٢ ، مجـلد ٢ ص ٦٤٠ ، المقرى ، نفـح الطيب ج ٦ ص ٢٠٩) الف كتابا ضخما فى عداد الموسوعات الكبرى من خمسين مجلدا، يحتوى على الاخبار والسير والتاريخ والاداب المتخيرة والطرف المستملحة والنكت البديعـة والغرائب الملوكية ، ولـم يكن يصلح لكبره الا لخزائن الملوك ، سماه بالتذكرة ، واشتهر بكتاب المظفر أو المظفرى ، ويعتبره ابن حزم فى رسـالته التى رد بها على ابن الربيب القيروانى فى مصاف كتب التـاريخ ، ويضاهيه بكتاب المتين لابن حيان ، ويذكر انه يتضمن تاريخـا على السنين وفنون آداب كثيرة .

(انظر المقـرى ، نفح الطيب ، جـ ٤ ص ١٧٢ ـ وفيمـا يتعلق بالمظفرى انظر ابن بسام ، الذخيرة ، قسم ٢ مجـلد ٢ ص ٦٤٠ ، ٦٤١ ـ ابن عـذارى ، البيان المغـرب ، جـ ٣ ص ٢٣٦) وقـد اعتمد ابن عذارى فى كتابه البيـان على نصوص اقتبسها من المظفرى ، فكان من بين مصادره التى نص عليها (انظـر ابن عذارى ، البيـان جـ ٣ ص ١١٦) اما من حيث شجاعته وفروسيته فقد شهد ابن عذارى انه كان بطلا شجاعا (ابن عذارى ، جـ ٣ ص ٢٣٦) وقد رايناه فى الحروب بطـلا لا يهاب القتال ، ففى سـنة ٤٢٥ هـ (١٠٣٣ م) فتكت قـواته بعسكر ابن عباد فتكا لم يسمع بمثله وفر ابن عباد بنفسه ولاذ بالاشبونة (ابن عذارى ، جـ ٣ ص ٢٠١) وكان شريفا فى حربه مع المعتضد فلم يستعن على خصمه باى قوة نصرانية كما فعل ابن هود مثلا مع المأمون بن ذى النون أو كما فعل هذا الاخـير مع ابن هود ، ومن حيث الادب كان ناقدا للشعر ينكره على قائله فى زمانه الا ما كان فى مستوى شـعر المتنبى والمعـرى (ابن بسام ، الذخيرة ، قسم ٢ ، مجلد ٢ ص ٦٤١) .

(٧٢) يعبر ابن عذارى عن ذلك بقوله «واقام هذا الرجل (يقصد =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سياسيا قديرا ،استطاع ان يواجه المعتضد بالله بن عباد ويقارعه سنين طويلة ، كما تصدى بشجاعة لاطماع المأمون يحيى بن اسماعيل بن ذى النون فى أراضيه ،رغم ماكان يعانيه من مشكلات تمخضت عن الحروب الضارية بينه وبين المعتضد . ومع ان هذه الحروب عصفت بدولته ، واستنفذت طاقته ، فانها لم تطح بهيبته ، فظل شامخ الرأس ، مرفوع الهامة ، لم تضعف له قناة ، فلم يستسلم للظروف المستجدة ، وأنف من صلح أساسه الاستسلام ولم يستجب لوساطة ابن جهور صاحب قرطبة الا بعد تردد طويل ومكاتبات امتد أمدها ، وكان اثناء تعرضه لمحن الحرب ونوائبها ،وبعد كسرته فى يابرة يتجلد ويتماسك ويتظاهر بالقوة حفاظا على هيبته ومنعا لشماتة خصومه وغرمائه ، فارسل فى طلب مغنيتين ملهيتين من قرطبة حتى يشيع بين ملوك عصره ان هذه الهزيمة لم تفت فى عضده ، وأنها رغم عنفها لم تقض على اسطورته .

ولم يكن المظفر ضعيفا خوارا عندما امتنع عن مواجهة حشود فرذلند والتصدى لقواته الكثيفة ولكنه كان واقعيا فلم يشأ أن يلج طريقا محفوفا بالمخاطر والاهوال يغامر فيه بأراضيه وملكه ، اذ كان على يقين بان وادى دويرة لم يعد يصلح حدا فاصلا بينه وبين مملكة ليون ، ولهذا اكتفى للدفاع عن هذا الثغر بعدد من الحصون المنيعة التى تعوق من تقدم الليونيين فى عمق بلاده ، ونقل الدفاع عن الثغر الجوفى الى ما وراء نهر منديق الذى

= المظفر)ملكا عظيما بهذا الثغر الجوفى ضاهى فيه مصاقبه ابن ذى النون » .
(ابن عذارى جـ ٣ ص ٢٣٧) وذكر ابن خلدون: «استفحل ملكه وكان من أعاظم ملوك الطوائف » (ابن خلدون ، كتاب العبر جـ ٤ ص ٣٤٤) . وفى قوة شكيمته ومضاء عزمه وندبته للمعتضد بالله يقول ابن بسام « بدأ المعتضد بغرب الاندلس وبها عدة رؤساء وجماعة خلفاء ، فكانوا دخان ناره وزبد تياره الا ما كان من ثبوت قدم قريعه المظفر بن الأفطس ، فانه نازعه لبوسها وعاطاه الى آخر أيامه كؤوسها » (ابن بسام، قسم ٢، مجلد ١ ، ص ٣٣) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تقع على ضفتهاليمنى مدينة قلمرية ، وعند مصبه مدينة منت ميور . وعندما حطمت جيوش فرذلند خط الدفاع الاول فى لميق وبيزيو ، وبدأت فى مهاجمة الخط الثانى الذى يمثله نهر منديق وحاصرت قلمرية ، استغرق فتحها ستة شهور ، تعرضت فيها قواته لمقاومة عاتية رغم عظم الامكانات الهجومية لدى فرذلند الذى لم يتغلب على قلمرية الا بفضل خيانة راندة والى قلمرية من جهة،وبفضل المساعدات التى كان يتلقاها من رهبان دير لورفاو بلا حساب ، وبفضل نصائح مشيره الماكر القومس ششنند .

واذا ما قارنا بين شخصية المظفر وبين شخصية المعتضد كبير ملوك الطوائف نجد الاول يتصف بالشهامة والمروءة والسماحة واباء النفس، وهى صفات رفعت صاحبها الى امجاد الشهرة ، وكانت باعثا على بناء اسطورة المظفر . فعندما استجار الامير ابن يحيى صاحب لبلة بالمظفر لم يتردد على الفور فى اجارته « وانزعج له ، ووصل يده ، وعطل ثغره وجمع جيشه ، واقبل اليه بلبلة ناصرا له مضيعا لمن خلفه (٧٣) .

وكان المظفر أبى النفس،فعندما عزم عبد الله البرزالى علىاطلاق سراح محمد المظفر بن المنصور بن الافطس من معتقله بقرمونة فى سنة ٤٢١ هـ ، وعرض عليه ابن عبد الله ان يجتاز على القاضى ابن عباد ليشكره فى المن عليه بفكه » ابى من ذلك وقال : « مقامى فى اسرك اشرف عندى منتحملمنته على » (٧٤) . ومن الامثلة الدالة على ذلك ايضا انه بعد تغلب المعتضد عليه فى واقعة يابرة ، وقتل من رجاله ما يزيد على ثلاثة آلاف مقاتل ، عمد الى نفى الشماته عن نفسه ، فارسل الى قرطبة يلتمس شراء وصائفملهيات يأنس بهن ، ويعلق ابن حيان على ذلك بقوله

---

(٧٣) ابن بسام،الذخيرة ، قسم٢ ، مجلد ١ ص ٣٣ ، ابن عذارى، البيان ج ٣ ص ٢٠٩ .

(٧٤) ابن بسام ، قسم ٢، مجلد ١ ، ص ٢٢ ـ ابن عذارى ،البيان ج ٣ ص ٢٠٣ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

«وبحثت فيهذه الاعجوبة، وما الذى حمله على هذا الافن،فاذا بهناغى كاشحه المعتضد المرتاح بعد الظفر لاجتلاب قينة عبد الرحيم الوزير من قرطبة اثر وفاته يومئذ ... فتقيله المظفر فى اظهار الفراغ وطلب الملهيات وقد علم العالم انه لفى شغل عنهن » (٧٥) .

أما المعتضد فكان على حد قوله ابن حيان «أسد الملوك، وشهاب الفتنة وراحض العار ومدرك الاوتار ، وذو الانباء البديعة والحوادث الشنيعة والوقائع المبيرة،وقضىنحبه يوم السبت الثانىمنجمادىالآخرة سنة احدى وستين ، ودفن عشى يوم الاحد بعده تغمد الله خطاياه ، فلقد حمل عليه على مر الايام فى باب فرط القسوة وتجاوز الحدود،والابلاغ فىالمثله،والأخذ بالظنة ،والاخفار للذمة ،حكايات بشعة لم يبدفىاكثرها للعالم بصدقها دليل يقوم عليها ، فالقول ينساغ فىذكرها ، ومهما برىء من مغبتها فلم يبرأ من فظاعة السطوة ، وشدة القسوة ، وسوء الاتهام على الطاعة ، سجايا من جبلة لم يحاسن فيها ذوى رحم واشجة»(٧٦) . وقال عنه ابن بسام « قطب رحى الفتنة ، ومنتهى غاية المحنة ، من رجل ابرم الامور وهو متناقض،وأسد فرس الطلىوهو رابض،متهور تتحاماه الدهاة وجبار لا تأمنه الكماة ، متعسف اهتدى ، ومنبت قطع فما ابقى » (٧٧) .

عرف بالخسة والغدر وعدم احترام المواثيق ، ومن امثلة ذلك انه بعد ان تخلى له ابو زيد عبد العزيز البكرى عن مدينة ولبة Huelva اكتفاء بجزيرة شلطيش وافقه المعتضد ، فلما خرج البكرى فى سفنه وماله الى جزيرة شلطيش نكث المعتضد بعهده له وقطع عليه الطريق اليها ،

---

(٧٥) نفس المصدر ، ص ٢١٢ ، ابن بسام ، قسم ٢ ، مجلد ١ ، ص ٣٦ .
(٧٦) ابن بسام ، الذخيرة ، قسم ٢ مجلد ١ ص ٢٤ .
(٧٧) المصدر السابق ، ص ٢٤ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وحاصره فى وسط البحر وارغمه على التخلى عن هذه الجزيرة (٧٨) . كذلك غدر بحليفه أبى عبد الله محمد بن عبد الله البرزالى صاحب قرمونة (٧٩) ،كما غدر بكثير من جيرانه الحجاب ، ومن الأمثلة الدالة على قسوتهولعه بسفكالدماء حديقة الموت التىاتخذ ثمراتها منرؤوس خصومه السياسيين امثال ابن عبد اللهالبرزالى وابن خزرون وابننوح ويحيى بن على بن حمود ، وقد عثر على رأس يحيى عند دخول المرابطين اشبيلية فطلبته حفيدته سبيعه من زوجها الامير سير بن ابى بكر ، فدفنته فى المسجد الذىقتل فيه عبد العزيز بن موسى بن نصير برابطة باب عنبر من اشبيلية (٨٠) . ومن هذه الأمثلة أيضا اقدامه على قتل ابنه وولى عهده اسماعيل بيديه فى سنة ٤٤٩هـ (١٠٥٧م) ، وقتله أيضا للوزير الذى تواطأ معه عليه (٨١) . وكان على حد قول ابن حيان كلفا بالنساء فقد ذكروا أنه خلف من صنوف السريات منهن خاصة نحوا من سبعين جارية الى حرمه الحظية لديه الفذة فى حلائله بنت مجاهد العامرى صاحب دانية والجزر الشرقية ، وقد انجب من البنين نحو العشرين وانجب من الاناث مثل هذا العدد (٨٢) .

اما المأمون يحيى بن اسماعيل بن ذى النون،ثالث ملوكالطوائف العظام فكان جاهلا بأمور السياسة ، عاطلا من المبادىء والقيم ، لا هم له الا البحث عن متع النفس وشهواتها ، فمن امثلة جهله بأمور السياسة

---

(٧٨) ابن بسام ، الذخيرة ، قسم ٣ ، مجلد ١ ص ٢٣٤ - ابن عذارى ، جـ ٣ ص ٢٤١ .
(٧٩) ابن عذارى ، البيان ، جـ ٣ ص ٢٠٦ .
(٨٠) ابن بسام ، قسم ٢ ، مجلد ١،ص ٢٧ ، ابن عذارى،البيان، جـ ٣ ص ١٩٩ .
(٨١) ابن عذارى ، جـ٣ ، ص ٢٤٤ .
(٨٢) ابن بسام ، الذخيرة ، قسم ٢ ، مجلد ١ ص ٢٩ ، ابن عذارى، جـ ٣ ص ١٩٩ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ان المعتضد بالله استغفله وغـدر به عندما طلب منه ان يتنـــازل له عن قرمونه فيعوضه عنها بقرطبة ، وكانت قرطبة على حـــد قول ابن بســام « مضمــار خيله ، ومدرج ســيله ، وحديــث نفســه ، وهم يومــه وامسه » (٨٣) .

فلما أخلىلهقرمونة لم يف المعتضد له بشيء مما وعده به ، فغضب المأمون ، ودلف الى قرطبــة بجموع كثيفـــة من عسكره فى سنة ٤٦٢ هـ (١٠٦٩ م) ولكن عبد الملك بن جهور بادر بالاستنجاد بالمعتمد بن عباد صاحب اشبيلية الذى أسرع بارسال قوة منفرسانه نزلوا بالربض الشرقى، فاضطر المأمون الى القفــول الى طليطلة بخفى حنين . وحــدث فى سنة ٤٦٧ هـ (١٠٧٤م) أن خاطبه ابن عكاشة فى القدوم الى قرطبة فلم يتردد فى القدوم اليها، وهناك بايعه أهلها واقام بها خمسة أشهر ثم توفى مسموما فى ١٨ ذى القعدة سنة ٤٦٧ هـ (١٠٧٤م) وحمل الى طليطلة حيث دفن.

أما عن سفهه وتجرده من القيم والمبادىء وهى صفات ورثها عـــن ابيه اسماعيل (٨٤) ، فنستدل عليه من استعانته بغرسية Garcia ملك نبرة فىمهاجمة أراضى جاره سليمان بن هود،فابرز أموالهوذخائره، ووجه معظمها الى غرسية فى الوقت الذى استعان فيه ابن هود بفرذلند الاول ملك ليون ، ليهاجم مملكة طليطلة ، وقد تسبب المأمون بتعاونه مع مملكة نبرة اضطرابا عنيفا فىمملكته،نتيجة للغارات التىوجهها فرذلند

---

(٨٣) ابن بسام ، الذخيرة ، قسم ٢ مجلد ٢ ، ص ٦١٠ .
(٨٤) ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ص ١٥٨ .
(٨٥) كان ابوه اسماعيل على حد قول ابن حيان « من البخل بالمال والكلفه بالامساك والتقتير فى الانفاق بمنزلة لم يكن عليها أحد من ملوك عصره ، لم يرغب فى صنيعة ولا سارع الى حسنة ولا جاد بمعروف » . وذكر ايضا انه لما نوظر فى شــأن التأمير لبنى أميه قال قولته المشهورة التى حفظها الناس عنه « واللــه لو نازعنى سلطانى هذا الصديق لقاتلته ولما سلمت له ، فكيف اسلم سلطانى لمن يدعى اليه من بنى أمية،ممن لايوجب الله =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على بلاده الى حد ان طليطلة الحاضرة غصت بمن قصدها من المهاجرين والمتضررين الوافدين من انحاء مملكة بنى ذى النون فى الوقت الذى كان ملكهم يحيى المأمون غائبا عنهم بجيشه فى مدينة سالم Medinaceli . « مقيم بها لئلا يدخلها ابن هود » (٨٦) فلما ضجت رعيته اليه وطالبته بانقاذ الموقف ،جاء فى جموعه ولم يصنع شيئا وخام عن لقاء فرذلند ، واضطربت أحوال الناس بطليطلة خلال ذلك وغلت، فلما عاين الاهالى سلبية ملكهم ،واضطراب احوالهم وتدهور أوضاعهم، أرسلوا وفدا منهم الىفرذلند المظاهر لابنهود «ليعقدوا معه صلحا على بلدهم طليطلة وما حولها على مال يؤدونه اليه ويرحل عنهم » (٨٧) ، فلم يقبل منهم الصلح .

أما عدم اكتراثه بشؤون بلده وانصرافه عن الاصلاح الى ملذات النفس فيثبته استغراقه فى حياة اللهو والترف ، وما أكثر الامثلة الدالة عليه :

يروى ابن حيان انه لما مات أبوه الظافر اسماعيل دخل عليه بعض اعيان الدولة لايام يسيرة من وفاة أبيه ، وكان متربعا فى ايوان كبير قد ملأه بنقر الفضة بحيث لم يعد هناك فراغ يزيد على مجلسه قالوا: «فأمرنا بالدنو ، فبعد لأى ما خلسنا اليه لكثرة ما كان من ذلك بين يديه ،وقد امتلأت صدورنا عجبا ، وتقيدت الحاظنا فما تجد متقلبا لهذا الاتفاق كيف وقع ، ولهذا السحت من أين جمع ، فأخذ يفيل رأى أبيه فى اختزانه ،

= طاعتهم » (ابن بسام قسم ٤ ، مجلد ١ ، ص ١٤٣) .
وقد اخطأ الدكتور حسين مؤنس اذ نسب هذا القول الى المتوكل بن الافطس. راجع مقاله بمجلة اكتوبر فى ابريل ١٩٨٤، وردى عليه بعنوان « للحقيقة والتاريخ يادكتور مؤنس » عدد ٤٠٠ ، يونيو ١٩٨٤ (٢٤ يونيو) ص ٤٨ ، ٤٩ .

(٨٦) ابن عذارى ، البيان ، ج ٣ ، ص ٢٨١ .

(٨٧) ابن عذارى ، البيان ، ج٣ ، ص ٢٨٢ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويعرض بجمود كان فى بنانه ، ونحن نقول : لعله قد أنف لضياع ثغوره ، وتشعث أموره ، وانتشار الشرك بازائه وظهوره ، وكأنه فهم ما نحير وعلم الى أين نشير ، فأظلم ما بيننا وبينهوازور ازورارة أنكر بها أثـــره وعينه ، وقال : منحق مثل هذا أن يصرف فىمثل ضروب الحلية الرائقة الآنية المؤانقة » (٨٩) .

ومن هذه الامثلة أنه أخذ فى بناء مجلسه المكرم ، عهد به الى عريف من مهرةعرفاء البناء ، ولكنه كان متهاونا بجميـــع أموره . واتفـــق ان ضربت خيل فرذلند ملك ليون على مملكة بطليوس واستباحت قواتـه حريمها ، ومحت رسومها ، وجاءت أنباء هذه الاعتداءات الليونية على أراضى المظفر بن الافطس الى ابن مثنى وزير المأمون ، فجلس حزينا مطرقا ، وبينما كا ن على تلك الحالة من الاطراق والوجوم اذ وردت رسل المأمون فى طلبه ، توالت عليه زمرة بعد أخـرى ، فأسرع بالمثول اليـه ، فوجده قد استشاط حنقا ، فظن أن ذلك الضيق انما تسبب فيه ما وصله من أخبار اعتداءات النصارى على بلاد المظفر بن الافطس وماترتب عليها من اخفار الذمم وانتهاك الحرم، فأخذ ابن مثنى « يبسطه ويقبضـه ، تارة يسليه وتارة يحرضه ، وطورا يقول له : فيك الخلف مما فات ، ومرة يقول : قد آن لك أن تنكر علىالطاغية هذا الافتيات» .فلما ادركالمأمون مايرميه بكلامه ،اعرض عنه ، ثم شكا له تأخر عريف بنيانه عن اتمام بناء القصر ، وافضى اليـــه بما تسبب فيه العـــريف فى التنغيص للذمـــة ، والاستخفاف بامرته ، والتصغير لشأنه ، فعجب ابن مثنى من اغترار ابن ذى النون وجهـله (٩٠) .

ونخلص من هذه الدراسة المقارنة بين تلك الشخصيات الثلاث بـان المظفر كان عالما جليلا ورجل مبادىء وصاحب مثل ، تجرد من صـفات

---

(٨٩) ابن بسام ، قسم ٤ ، مجلد ١ ، ص ١٤٥ - ١٤٦ .
(٩٠) ابن بسام ، الذخيرة ، قسم ٤ ، مجلد ١ ص ١٤٨ وما يليها.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فهرس موضـوعات الجـــزء الأول

مـــــن

التـــاريخ السياسى لبطليوس الاســـلامية

(من بدايـــة انشائها حتى بداية عهد المتوكل ابن الأفطس)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الخسة والغدر التىاتسم بهما المعتضد،والجهالةوالسفه التى اتصفبهما المأمون ، أكسبه حبه للمعرفة والعلم فضائل جمة ألهته عن شهوات النفس وحببت فيه العفة والرحمة والسماحه ، وهى صفات لم تكن تتوفر فى كل من قريعيه ،فالمعتضد كان سفاحا مولعا بسفك الدماء ، قاسيا غليظ القلب ، واما المأمون بن ذى النون فكان غفلا من النباهة والذكاء، سطحيا ومظهريا مولعا بالالقاب وكان همه ان يقول الناس عنه انه ضم قرطبة الى ملكه ، أواقام قصرا لم يبن لملك مثله .

ويفضل ما اتصف به المظفر من صفات مثالية اعتبر بحق من خيرة ملوك الطوائف ، واكثرهم سخاء فى المكارم والفضائل ، واعظمهم اثرا فى تاريخ الاسلام فى الاندلس .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فهرس موضوعات الجزء الأول

اهداء المؤلفة .. .. أ
تقديم الأستاذ الدكتور محمود على مكى .. .. ز
تقديم الأستاذ الدكتور جوزيف نسيم يوسف .. .. ف

المقدمة

أولا - موضوع الرسالة ١
ثانيا - دراسة نقدية لأهم المصادر والمراجع ١٥

الدراسة التمهيدية

١ - الحقائق التاريخية عن الموقع القديم لبطليوس
والآراء المختلفة حول الاسم ١٣٧
٢ - الوضع الجغرافى لبطليوس المدينة ، وأهم المراكز
العمرانية لبطليوس الاقليم ١٦١
١ - الجبال ١٧٣
٢ - الأنهار ١٧٤
٣ - الفحص (فحص بلاطة ، فحص البلوط) ١٧٧
٤ - الطرق الرومانية القديمة ١٨٠
٥ - أهم حصون اقليم بطليوس ١٨١
٦ - الحصون الموزعة بين وادى تاجة ووادياته ١٩٠
٧ - أهم مدن اقليم بطليوس ١٩٥

الباب الأول

بطليوس فى ظل بنى مروان الجليقى

الفصل الأول

بطليوس فى عهد مؤسسها عبد الرحمن بن مروان الجليقى

١ - تتابع الثورات فى ماردة وبداية ظهور عبد الرحمن بن .. ..
مروان الجليقى ٢٢٣

٢ - ثورة عبد الرحمن بن مروان الجليقى وتأسيس بطليوس ٢٤٣
المرحلة الأولى ٢٤٣
المرحلة الثانية ٢٤٦
المرحلة الثالثة ٢٥٧
المرحلة الرابعة ٢٦٨
٣ - تمصير بطليوس ٢٨٣

الفصل الثانى

بطليوس فى عهد خلفاء عبد الرحمن بن مروان

١ - السنوات الأربعة الأخيرة من عهد عبد الرحمن الجليقى .. ٢٨٩
٢ - بطليوس فى عهد عبد الله بن محمد حفيد ابن الجليقى .. ٢٩٥
أ - بطليوس فى مرحلة الانتقال بين رئاسة عبد الرحمن
الجليقى وحفيده عبد الله ٢٩٥
ب - موقف بطليوس من حركة ابن القط ٢٩٨
ج - بطليوس فى ظل السنوات الثلاثة الأولى من عهد
عبد الرحمن الناصر ٣٠٥
د - الأخطار التى أحاطت ببطليوس منذ عام ٣٠٢هـ
حتى مصرع عبد الله ابن الجليقى سنة ٣١١هـ .. ٣١٩
٣ - سقوط دولة بنى الجليقى فى بطليوس سنة ٣١٨هـ ٣٢٨
أ - استرجاع الناصر لبطليوس ٣٢٨
ب - بطليوس فى ظل الخلافة الأموية ٣٣٥

الباب الثانى

مملكة بلطيوس فى عهد دويلات الطوائف

الفصل الثالث

بطليوس فى عصر المنصور بن الأفطس وولده المظفر

١ - بطليوس قاعدة غرب الأندلس فى عصر دويلات الطوائف .. ٣٤٧

٢ - المنصور أبو محمد عبد الله بن محمد بن مسلمة .. ..
ابـن الأفطس ٣٦٩

أ - بداية الصراع بين أبى محمد عبد الله بن محمد ..
ابن الأفطس وبين ابن عباد فى اشبيلية ٣٦٩

ب - الأوضاع السياسية فى الغرب فى عهد المنصور ابن
الأفطس ٣٧٨

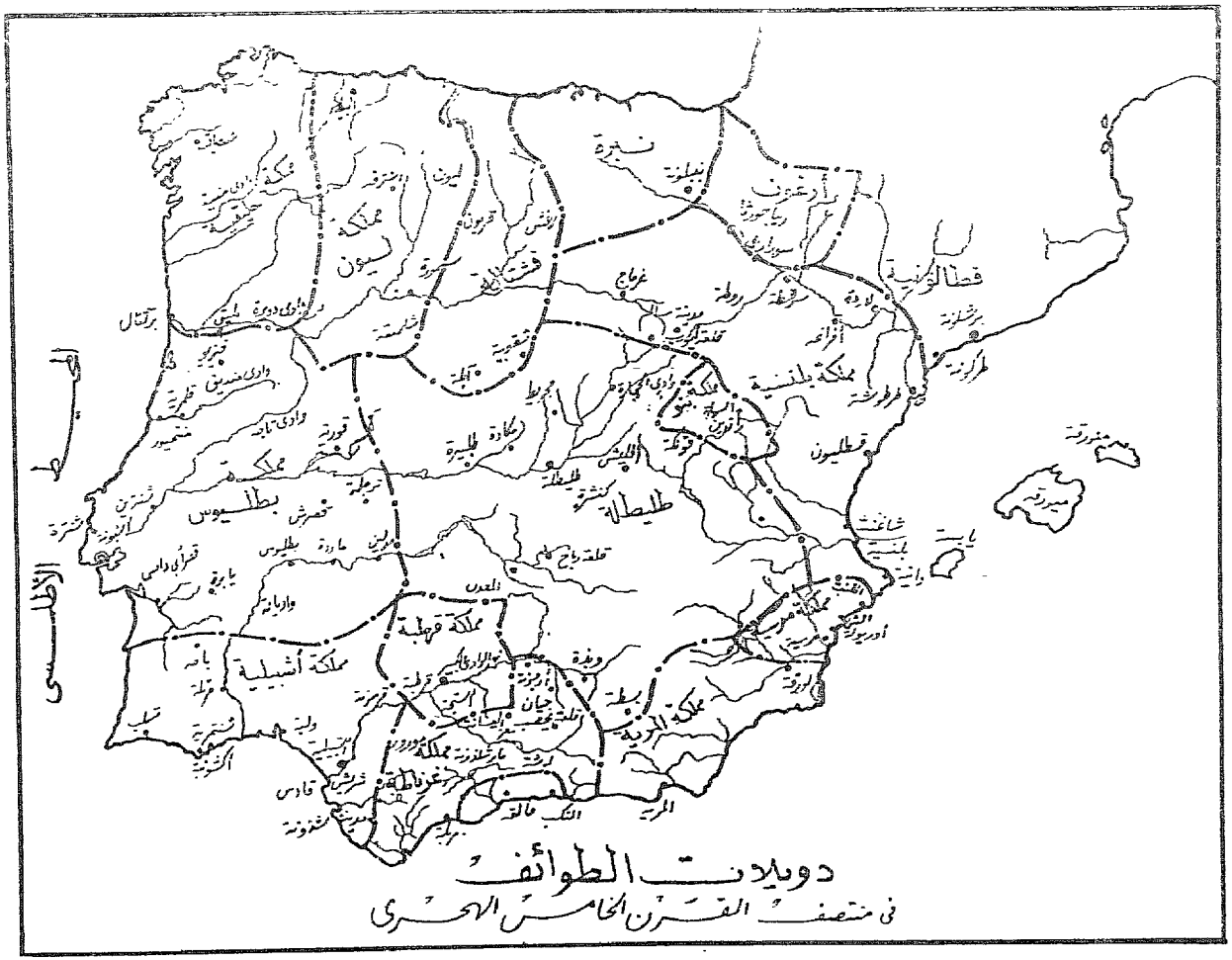
٣ - بطليوس فى عهد المظفر محمد بن عبد الله ابن الأفطس .. ٣٩٣
أ - حروبه مع المعتضد بن عبـاد ٣٩٣
ب - حروبه مع المأمون بن ذى النون ٤٠٨
ج - صراع المظفر ابن الأفطس مع ملك تشتالة وليون .. ٤١٦
د - المظفر بين ملوك الطوائف ٤٢٦

(تم الجزء الأول بعون الله ويليـه الجزء الثانى)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رقم الايداع ٨٩/٤١١١

ترقيم دولى : ٥ ـ ٠٥٠ ـ ١٥٤ ـ ٩٧٧



دويلات الطوائف

في منتصف القرن الخامس الهجري

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

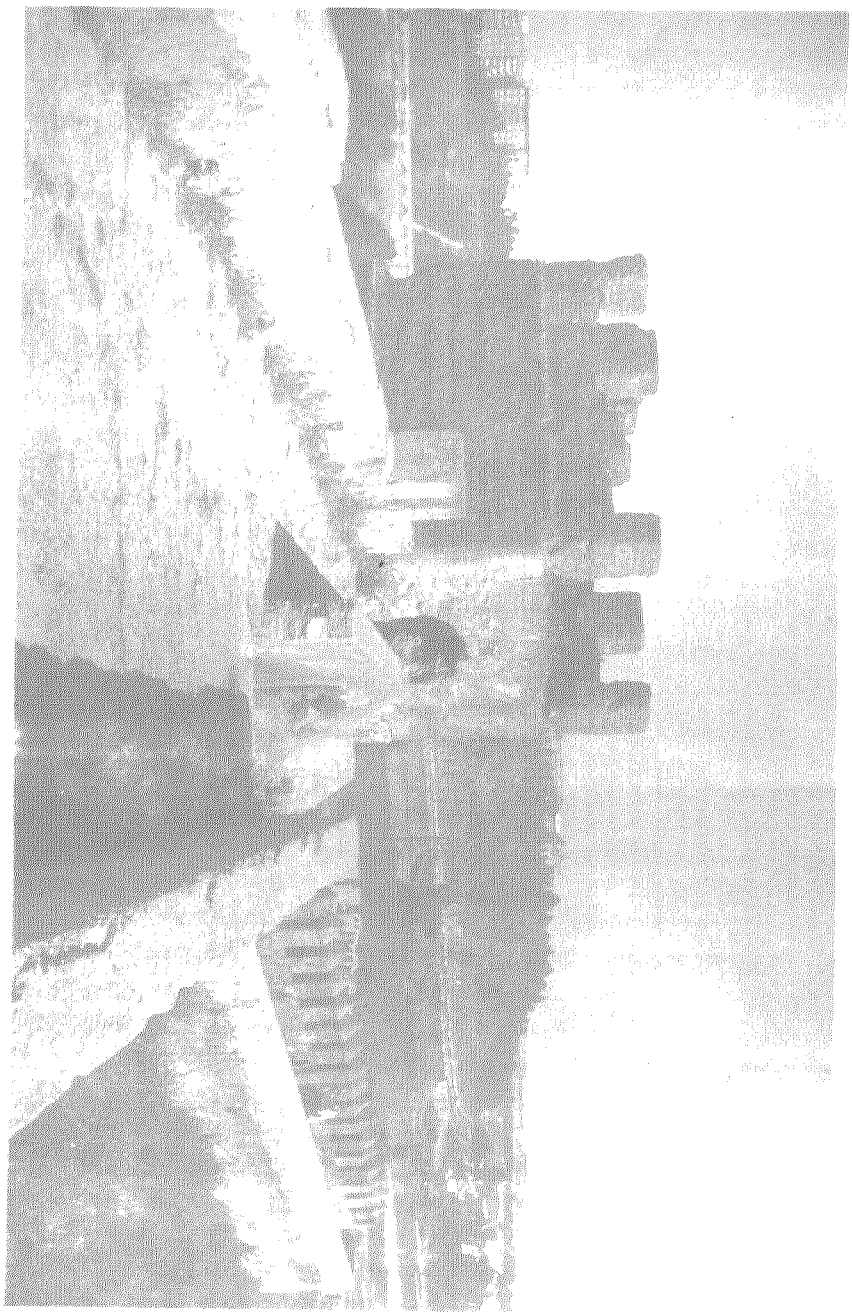


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Bibliotheca Alexandrina
مكتبة الإسكندرية
0298518

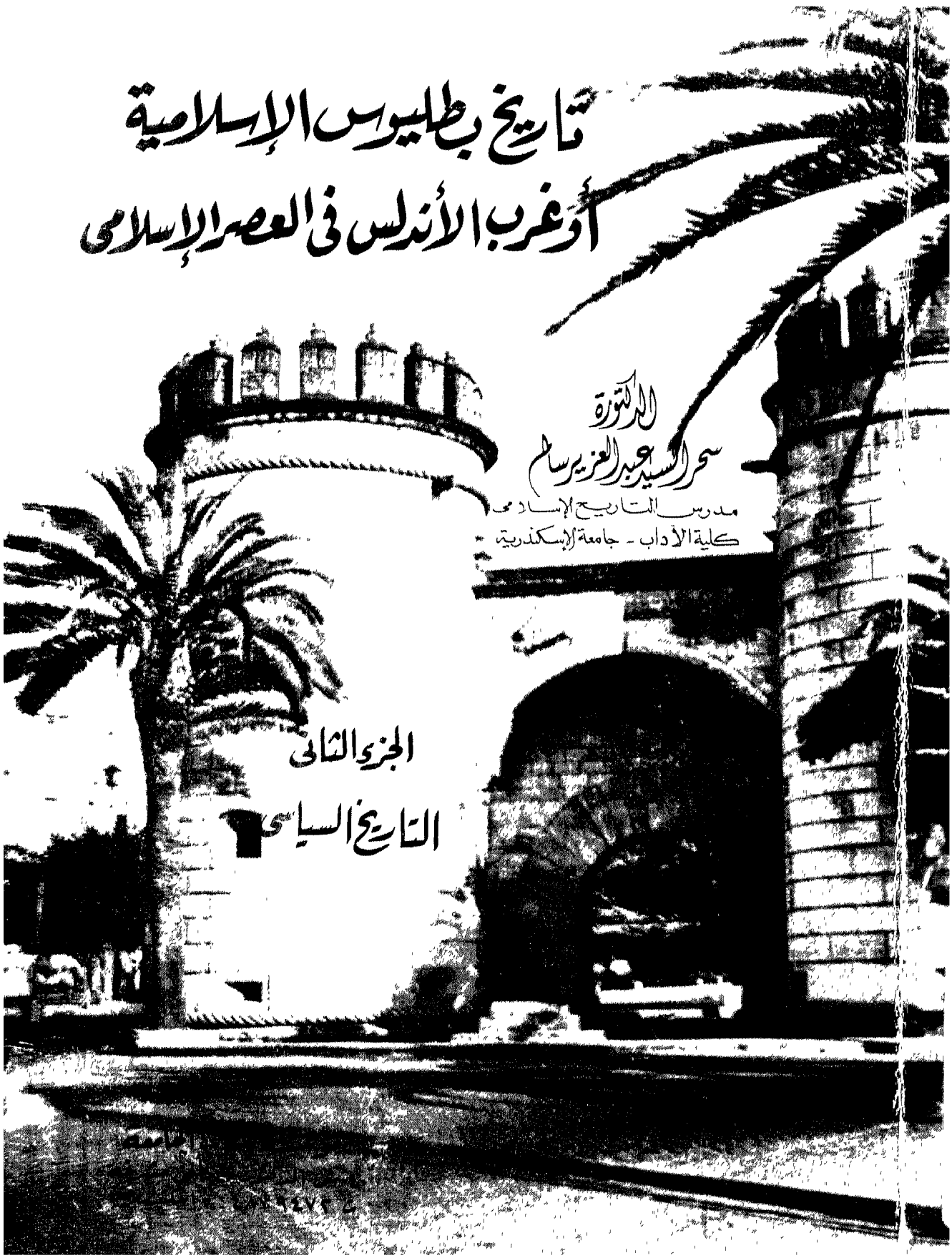
غلاف
مطبعة الاعتصام
ELEMTSAM PRESS

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تاريخ بطليوس الإسلامية
أو غرب الأندلس في العصر الإسلامي

الدكتورة
سحر السيد عبد العزيز سالم
مدرس التاريخ الإسلامي
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

الجزء الثاني
التاريخ السياسي



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تاريخ بطليوس الإسلامية
أو غرب الأندلس في العصر الإسلامي

الدكتورة
سحر السيد عبد العزيز سالم
مدرس التاريخ الإسلامي
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

الجزء الثاني
التاريخ السياسي

مؤسسة شباب الجامعة
٤٠ ش الدكتور مصطفى مشرفة
ت ٤٨٣٩٤٧٢ - اسكندرية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون

صدق الله العظيم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مقـــدمـة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد : فقد توقفنا فى الجزء الاول من التاريخ السياسى لبطليوس الاسلامية عند نهاية دراستنا لعصر المظفر محمد بن الافطس ومكانته بين ملوك عصره ، وكنا نأمل أن نتم طباعة الجزء الثانى من الدراسة على أثر صدور القسم الاول منها ، ولكن ظروفا غير موانية حالت آنذاك دون تحقيق ذلك ، ونحمد الله تعالى أن وفقنا فى اكمال طباعته بداية بما توقفنا عنده ، وهو عصر المتوكل على الله عمر بن الافطس (٤٦٠هـ ـ ٤٨٨هـ) حتى نهاية العصر الاسلامى لبطليوس ، أى حتى سقوطها فى أيدى اللبونيين سنة ٦٢٧ هـ ، وبهذا نكون قد استوفينا دراستنا للموضوع كله .

لقد حفل عصر المتوكل على الله ابن الافطس بكثير من الحوادث التاريخية الخطيرة ، أبرزها تعرض دويلات الطوائف فى الاندلس لخطر السقوط أمام الدفع السريع لحركة الاسترداد المسيحى La Reconquista فى أعقاب سقوط مملكة طليطلة سنة ٤٧٨هـ فى يد الفونسو السادس ملك قشتالة الذى تزعم هذه الحركة وفتح فاه لالتهام بقية الدويلات الاسلامية ، وتطلع للسيطرة بعد طليطلة على كل من مملكتى بطليوس وأشبيلية تمهيدا للقضاء على دويلات الطوائف الاخرى والاطاحة بالاسلام فى الاندلس . وكان سقوط طليطلة نذيرا بالمصير السيىء الذى ينتظر ملوك الطوائف الامر الذى دفعهم الى الاستنصار بيوسف بن تاشفين أمير دولة المرابطين الفتية ، وتضافرت قوى المسلمين للتصدى لاسبانيا المسيحية ، التى تزعمها الفونسو السادس ، وجاء انتصار المسلمين على قوى المسيحيين فى الزلاقة ٤٧٩هـ مخيبا لآمال الفونسو السادس الذى كان قد نصب نفسه بطلا لحركة الاسترداد .

وفى عصر دولتى المرابطين والموحدين تحولت بطليوس الى ثغر للجهاد ضد قوى النصرانية فى شمال الاندلس ويمثلها الليونيون

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والقشتاليون، وفى غرب الاندلس ويمثلها البرتغاليون ، فى الوقت الذى تضافرت فيه هذه القوى للقضاء على الاسلام فى الاندلس ، وشهدت بطليوس فى عصر المرابطين صداما عسكريا ضاريا مع القشتاليين فى موقعة الزلاقة الثانية سنة ٥٢٨هـ حيث دارت معركة عنيفة انتهت بانتصار تاشفين بن على بن يوسف على جيوش القشتاليين ٠

ان تاريخ بطليوس فى الواقع هو تاريخ للاسلام فى غرب الاندلس كله ، ولهذا فان سقوط بطليوس فى أيدى الليونيين سنة ٦٣٠هـ يسجل فى حقيقة الامر سقوط غرب الاندلس كله ٠

وبعد فأرجو ان اكون قد انتهجت فى دراستى لهذا التاريخ سبيل الصواب ، واوضحت حقائق كانت مطموسة فى هذا التاريخ ، وحققت الهدف الرئيسى من هذه الدراسة ، وأبرزت الدور الهام الذى اضطلعت به بطليوس الاسلامية مدينة ، وامارة ، وثغرا متقدما فى الغرب الاندلسى ، واسأل الله التوفيق ٠

الاسكندرية فى ٦ مايو ١٩٩١م

دكتورة سحر السيد عبد العزيز سالم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصـل الرابـــع

بطليوس فى عصر المتوكل على الله ابن الافطس

١ ـ مرحلة الانتقال من المظفر الى المتوكل

٢ ـ المرحلة الاولى من عصر المتوكل (٤٧٢هـ ـ ٤٧٣هـ)

٣ ـ المرحلة الثانية من عصر المتوكل (٤٧٣هـ ـ ٤٧٩هـ)

٤ ـ اطماع الفونسو السادس فى مملكتى بطليوس واشبيلية

٥ ـ هزيمة الفونسو السادس فى الزلاقة من بطليوس

٦ ـ تحقيق موقع الزلاقة من اراضى بطليوس (ساجراخاس)

٧ ـ نهاية بنى الافطس أصحاب بطليوس

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصـــل الرابـــع

بطليوس فى عصر المتوكل بن الافطـــس

(١)

مرحلة الانتقـــال من المظفر الى المتوكـل

توفى المظفر بن الافطس فى سنة ٤٦٠هـ (١٠٦٧م) فى قول ابن الابـــار (١) ولكـــن بريتو اى فيفس Antonio Prieto Y Vives يؤكد استنادا الى درهم يحمـــل اســـم يحيى المنصـــور ، ابن المظفر وخليفته ، مؤرخ فى سنة ٤٥٦هـ (١٠٦٣م) ان المظفـــر توفى فى سنة ٤٥٦هـ (١٠٦٣م) وان ولده يحيى المنصور هو الذى خلفه فى هـــذا التاريخ ، ولم يلبث يحيى أن توفى بدوره فى سنه ٤٦٠هـ (١٠٦٧م) ، فانفرد اخوه الثانى عمر المتوكل بالحكم (٢) . ويأخذ الدكتور حسين مؤنس بهذا الراى (٣) ، بينما يحدد الاستاذ محمد عبد الله عنـــان تاريخ وفاة المظفر بسنة ٤٦١هـ (١٠٦٨م) (٤) ، ونحن نميل الى ترجيح التاريخ الاول سنة ٤٦٠هـ (١٠٦٧م) لسنة الوفاة ونعتقد أن المظفـــر اعتزل الحياة السياسية فى سنة ٤٥٦هـ (١٠٦٣م) فى أعقاب ســـقوط مدينة قلمرية فى يد فرذلند الاول ملك قشتالة وليون ، تاركا حكم مملكة بطليوس الى ابنه يحيى الذى تلقب بالمنصور (٥) . ونستند فى هـــذا

---

(١) ابن الابار ، الحلة السيراء جـ٢ ص ٩٧

(٢) Prieto y Vives (Antonio), los Reyes de Taifas, Madrid 1927, P 67. ويستند فى رايه على ثلاثة دراهم نقش على أحدها اسم الحاجب يحيى وعلى درهم آخر اسم المنصور يحيى ، وتحمـــل سنوات ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧هـ (١٠٦٣ ، ١٠٦٤ ، ١٠٦٥م) . أما دراهـــم المتوكل فتحمل سنوات ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٥هـ (١٠٦٧ ، ١٠٦٨ ، ١٠٧٢م) واستنادا الى هذه التواريخ يؤكـــد أن سنة ٤٦٠هـ (١٠٦٧م) تسجل تاريخ وفاة يحيى المنصور ، ثم أصبحت تحدد خطئا تاريخ وفاة ابيه المظفر (Prieto y Vives, op. cit. P. 137)

(٣) ابن الابار ، المصدر السابق ، هامش ٢ .

(٤) محمد عبد الله عنان ، عصر الطوائف ص ٨٦ .

(٥) يؤكد ذلك القول ، قول ابن الابار « وكانت وفاة المظفر سنة ستين

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الراى على حقيقتين : الاولى تاريخ سنة ٤٥٦هـ (١٠٦٣م) الدى يحمله نقش درهم من الفضة ضرب باسم الحاجب يحيى (١) ، وتاريخ سنة ٤٥٧هـ (١٠٦٤م) الذى يحمله نقش درهم ضرب باسم « موفق بالله المنصور يحيى (٢) .

والثانية صمت المصادر العربية عن ذكر اسم المظفر منذ سقوط قلمرية حتى سنة ٤٦٠هـ (١٠٦٧م) ،ونرجح ايضا ان يكون النزاع القائم بين المنصور يحيى الذى خلف اباه المظفر على مملكة بطليوس وبين اخيه عمر والى يابرة قد بدا فى سنة ٤٦٠هـ (١٠٦٧م) ، ولكنه اشتد ووصل ذروته فى سنة ٤٦١هـ (١٠٦٨م) استنادا الى رواية ابن حيان التى اوردها ابن بسام فى الذخيرة وجاء فيها « وقد ذكر ابن حيان بعض ما كان شجر بين المتوكل واخيه فى ذلك الاوان فقال : « وفى صدر سنة احدى وستين نشا من تلقاء ثغر غربى الاندلس المثغور عارض هم ضاعف الاشفاق ، واكد التوقع بانكشاف فى خبر الاختلاف الواقع بين اميريه : يحيى وعمر ابنى المظفر بن الافطس (٣) » . ومما يعزز راينا فى ان يحيى انفرد بالملك دون اخيه وتلقب بالمنصور ، وبالحاجب موفق بالله المنصور يحيى ، بينما تولى اخوه عمر (المتوكل) حكم يابرة ان ابن بسام يروى انه قدح فى المتوكل ايام سلطانه بيابرة بمجلس المنصور يحيى أخيه ، فكتب عمر اليه يدفع عن نفسه ما اتهم به ، ونستدل من صوغ الرسالة واسلوبها انها موجهة من امير الى امير اعلى فى المكانة او ملك ، او من اخ اصغر الى اخ اكبر ، فمنها قوله « ... غير انه جرى فى ناديك - لازال معمورا بمعاليك - اننى ابيع الاحرار والحرائر ، واستصغر المعاصى والكبائر ، والله نزهنى عن هذا وابعدنى

=

واربعمائة ، فولى بعده ابنه يحيى بطليوس وتسمى بالمنصور (ابن الابار ، الحلة السيراء ، حـ ٢ ، ص ٩٧)

(١) Prieto Y Vives, op. cit. P. 223

(٢) 4) Ibid, P. 223

(٣) ابن بسام ، الذخيرة ، قسم ٢ مجلد ٢ ، ص ٦٥٠ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عنه ، فلا قدرة لبشر ان ينيطه بى ، ويدنينى منه (١) » .ثم اتى ببعض ابيات من الشعر فذكر منها :

فما بالهم لا انعم الله بالهم ... ينيطون بى ذما وقد علموا فضلى
يسيئون فى القول جهلا وضلة ... وانى لارجو ان يسؤهم فعلى
طغام لئام او كرام بزعمهم ... سواسية ما اشبه الحول بالقبل
لئن كان حقا ما اذاعوا فلاخطت ... الى غاية العلياء من بعدها رجلى
ولم الق اضباقى بوجه طلاقة ... ولم امنح العافين فى زمن المحل
وكيف وراحى درس كل غريبة ... وورد التقى شمى وحرب العدا نقلى

الى قوله :

فيا ايها الساقى اخاه على النوى ... كؤوس الفلى مهلا رويدك بالعل
لنطفىء نارا اضرمت فى نفوسنا ... فمثلى لايقلى ومثلك لا يقلى
الست الذى اصفاك قدما وداده ... والقى البك الامر فى الكثر والقل
وصيرك الذخر الغبيط لدهره ... ومن لى ذخرا غيرك اليوم لامن لى
وقد كنت تشكينى اذا جئت شاكيا ... فقل لى لمن اشكو صنيعك بى قل لى (٢)

واذا كان النزاع بين الاخوين قد اشتد فى صدر سنة ٤٦١هـ (١٠٦٨م) حسبما اورده ابن حيان المؤرخ الثقة ، فمن الواضح اذن ان يكون يحيى المنصور حيا فى هذا التاريخ ، وعلى هذا الاساس لايمكن الاخذ برأى بريتو اى فيفس ، والارجح فى راينا ان يكون النزاع قد بدأ بين الاخوين فى سنة ٤٦٠هـ (١٠٦٧م) بعد وفاة ابيهما المظفر ، وربما ظهرت بوادره فى حياة المظفر ، ثم اشتد وعظم فى سنة ٤٦١هـ (١٠٦٨م) بعد قيام المتوكل عمر بالثورة على اخيه المنصور يحيى ، وترتب على هذا النزاع اقدام المتوكل على سك عملات باسمه ، وهذا

---

(١) ابن بسام ، الذخيرة ، قسم ٢ ، مجلد ٢ ، ص ٦٤٨ ، ٦٤٩ .
(٢) ابن بسام ، الذخيرة ، قسم ٢ ، مجلد ٢ ، ص ٦٤٩ .

يفسر العثور على دراهم باسم المتوكل ضربت فى سنة ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٥هـ (١٠٦٧ ، ١٠٦٨ ، ١٠٧٢م) . ونميل الى الظن بأن يحيى المنصور توفى فى نفس عام ٤٦١هـ (١٠٦٨م) فخلا الجو لعمر المتوكل الذى انفرد بمملكة بطليوس ، وحصلت له جميع بلاد ابيه ، واحتل حاضره بطليوس ، وجعل ابنه العباس فى يابورة » (١) .

وفى رأينا أن المظفر لم يمتثل ما فعله جاره ابو الوليد محمد بن جهور صاحب قرطبة الذى قسم الرئاسة بين ولديه (٢) ، وانما آثر أن يسند امور الدولة كلها الى ولده يحيى الذى تلقب بالمنصور ، بينما ترك ولاية يابرة لابنه عمر ، وعلى هذا الاساس لم يكن ثمة تقسيم فى الرئاسة بين الاخوين يحيى وعمر (٣) ، على نحو ماحدث فى قرطبة ، واستمر الوضع على هذه الصورة طوال حياة المظفر ، وان كانت هناك بعض السحب اخذت تظهر فى الافق وتفسد ما بين الاخوين الى أن توفى المظفر فى سنة ٤٦٠هـ (١٠٦٧م) ، وانفرد يحيى بامر بطليوس ، وعندئذ بدأ النزاع بينهما ، والخلافات بين الاخوة من الامور الشائعة فى حوادث العصور الوسطى الاسلامية والمسيحية على السواء ، ولم يلبث هذا النزاع ان استفحل فى سنة ٤٦١هـ (١٠٦٨م) (٤) ، بحيث أصبح لكل من الاخوين مطبلون ومزمرون فى الداخل والخارج ، وظهر الأمر فى لحظة ما ، وكأنه نزاع على مناطق نفوذ بين الاخوين او كما لو أن تفسيما فى المملكة البطليوسية قد وقع بالفعل ، وهذا ما يمكن

---

(١) ابن بسام ، الذخيرة ، قسم ٢ ، مجلد ٢ ، ص ٦٥١

(٢) قسم ابو الوليد رئاسة قرطبة بين ولديه عبد الرحمن وعبد الملك فأخذ كل منهما يستميل طائفة من الجند ، ويصطنع لنفسه من الرعية انصارا ، ولم تلبث العلاقات ان توترت بين الاخوين ، واصبح كل منهما يتربص بالآخر ، وكان ذلك من العوامل الرئيسية التى اطاحت بدولة بنى جهور (راجع د. السيد عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة الاموية بالاندلس ، جـ ١ ، ص ١٣٣) .

(٣) Manuel Albarran, el solar de los Aftasies, P. 35

(٤) ابن بسام ، الذخيرة ، قسم ٢ ، مجلد ٢ ، ص ٦٥٠ - ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ١٨٤ .

ان يتبادر الى الذهن اذا قرأنا العبارة التالية لابن حيان « واكد التوقع بانعكاف سير الاختلاف الواقع بين اميريه ، يحيى وعمر ابنى المظفر ابن الافطس» (١) ، او عبارة ابن الخطيب :«ولما توفى المظفر رحمه الله ولى الامر بعده ولداه عمر ويحى (٢) » .

استغل الفونش السادس بن فرذلند Alfonso VI ملك قشتالة ولبون هذه الفرصة ، وسعى الى اشعال نار الفتنة والتخريب بينهما تثاية فى المسلمين ، فبدأ يطالب يحيى صاحب بطليوس وخليفة المظفر بزيادة الاتاوة السنوية التى كان يدفعها ابوه المظفر بوساطة المامون بن ذى النون ، فلاذ يحيى بالمامون وطلب مساندته على نحو ما كان يحدث فى عهد ابيه ، بينما مال عمر المتوكل الى المعتمد بن عباد ، ولم يلبث النزاع بين الاخوين ان تحول الى فتنة عارمة اصطلت بها الاندلس ، وعانت من ويلاتها الرعية ، واصابت اهل المملكة البطليوسية بلظاها .

وكان الفونسو السادس ، كما سنوضح فى ذيل الرسالة ، طامعا فى ان يكون المحتل الذى سيتم على يديه تحرير كل بلاد الاندلس من المسلمين، ولهذا السبب تلقب فى سنة ٤٦٩هـ (١٠٧٧م) بلقب امبراطور كل اسبانيا Emperador de toda España (٣) .

وما كادت تصله الانباء بالخلاف الناشب بين ولدى المظفر حتى

---

(١) ابن بسام ، الذخيرة ، قسم ٢ ، مجلد ٢ ، ص ٦٥٠
(٢) ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ١٨٤
(٣) Aguado Bleye, Manual de Historia de España, p 509
الكردبوس فى كتاب الاكتفاء فى اخبار الخلفاء ان [illegible] انتحاء الحمايرة ، وانزل نفسه منازل القياصرة ، « وبالغ فى الاعجاب بما احتقر به كل ماش على التراب ، وتسمى بالامبراطور ، وهو بلغتهم امير المؤمنين ، وجعل يكتب فى كتبه الصادرة عنه (بعد استيلائه على طليطلة) من الانبراطور ذى الملتين » (تاريخ الاندلس لابن الكردبوس ، تحقيق الدكتور احمد مختار العبادى ، مدريد ١٩٧١ م ، ٨٨ ، ٨٩) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عمد الى استغلاله وتوسعته للغاية ليكسب من ورائه مكاسب سياسية تسهل له مهمته فى توسيع مملكته على حساب اراضى بطليوس . فبدأ يضغط على المنصور يحيى بن الافطس صاحب بطليوس كما راينا ، ويطلب منه ان يزيد فى مقدار الجزية (١) التى كان يدفعها ابوه المظفر، فلما اعتذر يحيى بعدم قدرته على تدبير ذلك القدر من المال ، انتهز الفونسو فرصة الظروف السيئة التى تمر بها البلاد الافطسية من اضطرابات عنيفة الى جانب ما لمسه من ضعف يحيى المنصور ، واخذ يشن سلسلة من الهجمات على مملكة بطليوس (٢) ، فاصاب عددا من الحصون والمدن . وفى هذه الاثناء كان يحيى المنصور قد استعان بالمأمون ابن ذى النون صاحب طليطلة ، بينما استعان المتوكل بالمعتمد بن عباد، وحاول الاخوان امام الوضع المتفجر فى البلاد ان يعقدا فيما بينهما هدنة لمواجهة الضربات القاسية التى وجهها اليهما اذفونش (الفونسو السادس) ، ولكن الهدنة كانت رمادا على دخن ، فسرعان ما اشعلت السعايات بين الاخوين نار العداء بينهما ، فتجددت الفتنة ، واحتدمت نيران الحرب ، بعد ان خبت فترة من الوقت ، الى ان انقذ الله هذه المملكة التعسة بوفاة المنصور ، فوضعت حدا لهذه الحرب الاهلية .

واذا اردنا ان نقوم عصر يحيى المنصور بن المظفر من الوجهة السياسية يتبين لنا انه عصر الاضطرابات والفوضى وعدم الاستقرار فى تاريخ مملكة بطليوس ، لعدة اعتبارات ، نذكر من اهمها الصراع الذى

---

(١) هى الاتاوة التى كان المظفر بن الافطس قد اضطر الى دفعها لفرذلند الاول حين عقد معه الهدنة فى وادى تاجه على مقربة من شنترين ، وقد بلغ قدرها خمسة آلاف دينار (ابن عذارى ، البيان ، جـ٣ ، ص ٢٣٨) وكان المأمون بن ذى النون كما هو موضح فى نص ابن حيان قد تدخل عند فرذلند لصالح ابن الافطس ليقبل منه هذه الهدنة فى مقابل الاتاوة المذكورة على ان يرحل بجيوشه عن شنترين ، وكان المأمون قد سبق ان قدم الهدايا والاموال لفرذلند الاول طمعا فى ان يساعده فى حربه ضد المعتمد بالله بن هود صاحب سرقسطة .

(٢) Luis Suarez, Historia de España : Edad Media, P. 183.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قام بين المنصور وبين اخيه المتوكل بعد أن نجح هذا الاخير فى زعزعة سلطانه السياسى منذ اللحظة الاولى ، وبطبيعة الحال لنا أن نتصور حالة الفوضى والضياع التى عاشها الشعب البطليوسى وقد تمزقت وحدة الدولة بين الاخوين المتصارعين فى البلاد . ومنها عيث الفونسو السادس . السادس ملك قشتالة وليون فى البلاد .

اما من حيث الحياة الثقافية فى مملكة بطليوس فنلاحظ انها بلغت فى ايام المظفر محمد حدا كبيرامن التالق والازدهار ، سيستمر فى عهد ابنه المتوكل عمر ان لم يكن سيزداد قوة وتالقا الى حد الانبهار .

وكل ذلك لايحمل سوى معنى واحدا هو ان الاضطراب السياسى الذى شمل البلاد فى عهد يحيى المنصور لم يكن له صدى عميق فى الحياة الثقافية المزدهرة ، او أنه لم ينجح فى اخمادها ولو لفترة قصيرة ، بالتاكيد لقصر فترة حكم يحيى المنصور ، بالاضافة الى الميول الادبية الواضحة فى شخصية المتوكل الذى تولى امارة بطليوس بعد وفاته . هذا التفكك السياسى المؤقت لم يستطع ان يؤثر فى مجرى الحياة العلمية والثقافية تاثيرًا ذا فعالية .

صحيح ان سنوات الاضطراب الداخلى سببت خروج عدد من الكتاب والادباء من مملكة بطليوس هروبا من شبح الحرب الاهلية ، ومنهم على سبيل المثال الشاعر الكاتب الوزير ابو محمد عبد المجيد بن عبدون اليابرى الذى خرج من بطليوس فى عهد المنصور يحيى مستوحشا منه ، ولحق باشبيلية ، ومن هناك كتب الى الوزير ابى بكر بن زيدون بهذه الابيات :

لك الخير من مثرى اليدين من العلا اذ تربت ايدى النوى والتطول
بما كان بين الماضيين من الذى اليه استنادى او عليه معولى
ولم تتمسك بالمؤيد لى يد وهد زهفت رجلى عن المتوكل (١)

(١) ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الثانى ، المجلد الثانى ، ص ٧١٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كذلك وجه بعض الابيات الى بنى سعيد بن القبطورنة حين خرج منها مستوحشا نقرأ منها :

خلائى وفى قرب الصدور ... ظبا تقضى على قمم الدهور
وقد ضمت جوانحنا قلوبا ... ابت غير القصور او القبور
اذا الكرماء نامت فوق ضيم ... فما فضل الكبير على الصغير
فقبل ابى الدنية قيس عبس ... ولم يصغى الى قول المشير
ودلهنى فراق بنى سعيد ... فما ادرى قبيلا من دبير (١)

فلما ظفر المتوكل بحكم المملكة بعد وفاة اخيه المنصور ، عاد الى حضره المتوكل ببطليوس وانشده قائلا :

خصمت الظبا عنكم على انها لد ... بقرع له فى كل بارقة رعد
بزرق بما خلف الضلوع بصيرة ... على انها مما بكت حدق رمد
تركت لمن هز الاسنة رايه ... وقلت لغيرى الخفض والعيشة الرغد (٢)

الا ان ذلك لم يؤثر تأثيرا عميقا على الحياة الادبية ببطليوس وان كنا لانستطيع ان نبرىء المنصور من مسؤولية الشلل الوقتى الذى اصاب الحياة الثقافية فى بطليوس فى تلك الفترة القصيرة ، **وهذا امر طبيعى** ، ولكن التأثر بالحوادث السياسية جاء طفيفا للغاية ، ربما كان من العسير التحقق منه ، فقد ذاعت قصائد ابى عبد الله محمد بن البين الشاعر البطليوسى (٣) فى احد وزراء المنصور يحيى بن المظفر واسمه ابو الاصبغ بن المنخر ، وكان قد وصله عليها بمائة مثقال (٤) .

---

(١) ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الثانى ، المجلد الثانى ، ص ٧١١
(٢) المصدر السابق ، ص ٧١٠ .
(٣) هو احد الشعراء العظام بمملكة بنى الافطس بحضرة بطليوس وفيه يقول ابن بسام : «احد الشعراء المجيدين ، كان بحضرة بطليوس ، مستظرف الالفاظ والمعانى وكان يميل الى طريقة محمد بن هانىء» (ابن بسام ، الذخيرة ، قسم ٢ ، مجلد ٢ ، ص ٧٩٩) ولمزيد من الدراسة ارجع الى ابن سعيد الاندلسى « رايات المبرزين وغايات المميزين » تحقيق د. النعمان عبد المتعال القاضى ، القاهرة ، ١٩٧٣ ، ص ٦٠ - المغرب فى حلى المغرب ، مجلد ١ ، ص ٣٧٠) .
(٤) ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الثانى ، المجلد الثانى ، ص ٧٩٩

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(٢)

المرحلة الاولى من عصر المتوكل

لم يرد فى المصادر العربية ما يشير الى تاريخ معين لوفاة المنصور يحيى ، ولكننا نرجح أن تكون وفاته قد حدثت فى أواخر سنة ٤٦١هـ (١٠٦٨م) أو صدر سنة ٤٦٢هـ .(١) (١٠٦٩م) ، وبوفاته خمدت نيران الحرب الاهلية ، وبادر عمر المتوكل باحتلال بطليوس حاضرة المملكة الافطسية ، وقلد ولده العباس (٢) ولاية يابرة التى كان يتولاها هو ، اى المتوكل من قبل (٣) .

ومن اشهر الجوادث السياسية التى جرت فى عهد المتوكل حادثة دخول طليطلة فى فلك دولة بنى الافطس ، وانتقال المتوكل اليها فى سنة

---

(١) ذكر الاستاذ محمد عبد الله عنان ان يحيى المنصور توفى فجاة فى سنة ٤٦٤هـ (١٠٧٢م) ولا ادرى علام استند سيادته فيما ذهب اليه ، اذ ان المصادر العربية لم تنص على تاريخ وفاته (انظر عبد الله عنان ،عصر الطوائف ص٨٧) . ويؤيد الاستاذ عنان فى هذا التاريخ الدكتور عبد الرحمن على الحجى فى كتابه التاريخ الاندلسى ، بيروت ١٩٧٦ ، ص ٣٩٧) .

(٢) كان للمتوكل عمر بن الافطس من الابناء اربعة : العباس والفضل وسعد والمنصور ، اما العباس والفضل فقد قتلهما المرابطون عقب دخولهم بطليوس فى سنة ٤٨٧هـ (١٠٩٤م) واتبعوهما بابيهما ، واما سعد فقد سجنه المرابطون بعد غلبتهم على ابيه المتوكل ، وقتلهم اياه وابنيه العباس والفضل : واما المنصور فقد فر من بطليوس وتحصن بحصن شانجش الواقع على مقربة من حدود قشتالة . وقد عرف العباس والفضل بالطيبة ، وعرف المنصور بالدهاء ، وكان كثير النصح لابيه ، اما سعد فلا نعرف عنه سوى انه سجن فترة طويلة فى سجن المثمة (ابن الابار ،الحلة السيراء ، جـ٢ ،ص ١٠٤) ، ومن الامثلة الدالة على طيبة العباس ماورواه ابن بسام فى الذخيرة عن تهاونه فى الاحتفاظ بطلحة بن عبيد الله فى يابرة بعد ان اوصاه ابوه المتوكل بالتحفظ عليه ، الامر الذى اثار غضب ابيه (راجع التفاصيل ، فى ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الثانى ، المجلد الثانى ، ص ٦٥١) .

(٣) ابن الابار ، الحلة السيراء ، جـ٢ ص ٩٨ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٤٧٢هـ ، ومقامه بها نحوا من عشرة اشهر (١) . حدث ذلك كله بعد احداث خطيرة مرت بها مملكة طليطلة ، وكان لها اكبر الاثر فى مستقبل مملكة بطليوس .

كان يحكم طليطلة انذاك اميرها القادر بالله يحيى بن ذى النون حفيد المأمون يحيى (٢) . وكان المأمون قبل وفاته ،قد قسم اعمال الادارة فى دولته بين وزيريه ابى سعيد بن الفرج ، وابن الحديدى ، فجعل تدبير الاجناد والنظر فى طبقات القواد الى سائر الشئون السلطانية والاعمال الديوانية الى ابى سعيد بن الفرج ، اما بقية الاصدار والايراد والنظر لجماهير الناس والراى والمشورة الى الفقيه ابى بكر بن الحديدى ، وكان قد نصح حفيده ان يشد على ابن الحديدى كلتا يديه ، ولايفتات بأمر من الامور عليه (٣) ، واخذ المواثيق الغليظة على ابن الحديدى (٤) ان يشد ازر حفيده ، ويعمل على تثبيت امره .

وكان هذا الحفيد يحيى مضعفا كثير الحيلة ، خبيث الفكرة ، يصاحبه مرض بمعدته قلما ينعش به ، واغرته طائفة السوء الغالبة على

---

(١) ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الرابع ، المجلد الاول ، ص ١٥١ .
(٢) كان هشام بن المأمون بن ذى النون قد توفى فى حياة ابيه ، وقيل انه حكم بضعة اشهر ، ثم مات وهو قول لايعتد به (انظر ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ١٧١) .
(٣) ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الرابع ، المجلد الاول ص ١٥١ .
(٤) هو يحيى بن سعيد بن احمد بن يحيى بن الحديدى من اهل طليطلة ، وكان متقنا فصيحا فطنا مقدما فى الشورى (انظر ابن بشكوال ، الصلة ٦٢٣) وفيه يقول ابن بسام « رجل كان له قدم واقدام ، وعنده قاضى وابرام » ، وكان قد ساند المأمون بن ذى النون ، وحفظ له ملكه من الضياع ايام كان غائبا فى بلنسية ، ولهذا كان المأمون يراعى لابن الحديدى ، فوضع فى حياته زمامه بيده ، واستخلفه بعد وفاته على بلده وولده » (ابن بسام ، قسم ٤ ، مجلد ١ ، ص ١٥١) . وفيه يقول ابن عذارى : « وكان اكبر اهل طليطلة رجلا يسمى ابا بكر بن الحديدى ، وكان شيخها والمنظور اليه من اهل العلم والعقل والدهاء وحسن النظر فى صلاح البلد ، وكانت العامة تعضده وتقوم دونه » (ابن عذارى ، البيان ، ج٣ ص ٢٧٧) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

امره بابن الحديدى ، فعجل بنكبته ، «وكان جده قد سكن ملكه ، وقرر أسبابه بسجن الطائفة من اهل طليطلة حثات الشرور ، واسباب الفتن باشارة ابن الحديدى ، فتنوسوا بالمطبق ، واطرد الخير بفقدهم » (١) .

ولم يلبث القادر بالله ان وقع تحت تاثير العبيد والموالى ، استغلوا فيه ضعف الشخصية وقلة الحنكة السياسية (٢) ، فاخذوا يوغرون صدره على وزيره ابن الحديدى ، « جماع امره وفطنة تاييده ونصره» ، ويصورونه للقادر على انه القيد الذى يحد من انطلاقه ويعوق من مد سلطانه (٣) .

كان هؤلاء الحاقدون قد قبض عليهم من قبل فى ايام المامون بن ذى النون بايعاز من ابن الحديدى خشية ان ينقلبوا على المامون ، ويثيروا حوله الفتن والاضطرابات ، فحقدوا على ابن الحديدى كل الحقد ، وكان اعظم خطأ وقع فيه القادر انه اطلق سراحهم من سجن وبذة Ubeda ، وادخلهم طليطلة سرا من بعض مداخله الخفية فى ١٠ المحرم سنة ٤٦٨هـ (١٠٧٦م) ، واستعان بالقاضى ابن المشاط لاستدراج

---

(١) ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ١٧٩ ـ عبد الله عنان ، مواقف حاسمة فى تاريخ الاسلام ، القاهرة ، ١٩٦٢ ص ٢٧٠ .

(٢) وفى ذلك يقول ابن الكردبوس : « فقام بالامر بعد اسماعيل بن ذى النون حفيده يحيى وتلقب بالقادر ، وكان ضعيف المنة ، قليل المعرفة ، ربى فى احجار النساء والدايات ، ونشأ بين الخصيان والغانيات ، فملك امره العبيد ، وحكم عليه كل خصى ومولود ، كل يدبر ملكه ، على ارادته ، وينفرد بوزارته ، فطمع فى بلاده الرؤساء ، واحتقره القرناء والغرباء » . (ابن الكردبوس، ص ٧٩) .

(٣) يعبر منندث بيدال عن ذلك بقوله : «ولم يكد يتوارى جثمان المامون فى جامع طليطلة حتى دفن معه مجد طليطلة ، وتلاشت قوتها ، تلك الدولة القوية التى طالما ظهرت فى عصر الطوائف بمظهر الدولة الكبرى ، وشهدت فترات من الازدهار الحضارى لم تشهدها من قبل (انظر
Menendez - pidal, la España del Cid, t.I.P. 262).

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ابن الحديدى الى القصر ، ثم اطلقهم عليه ، فقتلوه فى حضرته ، وبداخل قصره ، ونهبوا دوره .

بعد هذه الجريمة الشنعاء توهم القادر انه تخلص من نير ابن الحديدى ومن نفوذه ، فلم يكد يتخلص منه حتى ادرك ان النير الحقيقى هو وقوعه فريسة سهلة لينة فى يد هذه الجماعة الاثمة الغادرة ، خصوم جده القدامى ، الذين كانوا لايزالوا يحقدون على الجد ، وتمثلوا المأمون فى صورة حفيده القادر ، فبدأوا يعيثون فسادا فى كافة انحاء مملكة طليطلة ليثيروا الناس على حكم بنى ذى النون ، ونجحوا فى تحقيق هدفهم الدنىء .فبدات اعراض الثورة تشتعل فى النواحى .

يضاف الى هذا طمع جيرانه من ملوك الطوائف فى بلده ، فكان اول من طمع فيه المعتمد بن عباد الذى كان عدوا لجده ، وكذلك ابن هود صاحب سرقسطة الذى لم يكن قد نسى بعد الحروب القديمة التى شنها جده المأمون على أراضيه ، فعزم على ان يذيق القادر من نفس الكأس التى اذاقه منها المأمون من قبل ، فاستعان ضده بقوى اسبانيا المسيحية ، وتمكن من الاستيلاء على شنتبرية Santaver **الواقعة** شمالى طليطلة . ثم واجه القادر بالله ثورة عاتية قام بها ابو بكر بن عبد العزيز ببلنسية ، خلع فيها طاعة بنى ذى النون ، ونادى بنفسه اميرا مستقلا ، ثم تحالف مع ابن هود بعد أن خطب ابنته ، وفى نفس الوقت كادت كارثة ثالثة تحل بالقادر حيث ان شانجة راميرث ملك ارغون كاد أن يستولى على قونكة Cuenca احدى مدن مملكة طليطلة ، لولا أن افتداها اهلها بمبلغ كبير من المال (١) . وفى هذه الاثناء سير القادر جيشه ، لمقاتلة ابن هود من جهة وراميرث من جهة اخرى ، ولكن جنده تحت امرة الفتى البشير انصرفوا دون قتال .

---

(١) ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ١٨٠ ، محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص ٩٠ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فلم يجد القادر بدا من التماس عون الفونسو السادس ملك قشتالة الذى انتهز هذه الفرصة فأخذ يعدد شروطه ومطالبه ، وكان من بين الشروط أن يسلم له القادر بعض الحصون الطليطلية الواقعة على الحدود ، وتم تسليم هذه الحصون ، وهى حصون سرتـه Zorita وقنتوريـة Canturia وقنالش (١) Canales . وهكذا تجردت مملكة طليطلة من حصونها الامامية فى الوقت الذى كان اعداء القادر يحفرون له قبره فى الداخل ، ونجحوا فى اشعال نيران الثورة فى طليطلة عام ٤٧٢هـ (١٠٧٩م) ، وحاولوا اثناءها ان يغتالوه وينالوا منه ، ففر من المدينة ولاذ باحد حصونه الشرقية وهو حصن وبذة ..

أصبحت طليطلة بعد هذه الاحداث بدون أمير ، الامر الذى اشاع فيها الاضطراب والفوضى ، فتشاور اعيانها فيمن يحكمهم من بين ملوك الطوائف ، واستقر رايهم على دعوة المتوكل عمر بن الافطس بعد ان رغبهم فيه ابو محمد يوسف بن القلاس البطليوسى (٢) ، وكانت لـه

---

(١) 1) R. Menendez Pidal, la España del cit, Vol. P. 263
ومن الجدير بالذكر ان الاستاذ عنان كتب اسم مدينتين منهما محرفتين فكتب سرته Zorita على انها سرية ، وقنتورية Canturia فى صورة قثوريـة (انظر محمد عبد الله عنان ، عصر الطوائف ص ١٠٦) وفى ذلك يقول ابن بسام « وفغر الطاغية اذفونش ابن فرذلند فمه على ثغوره المثغورة ، فجعل لوقته يطويها طى السجل للكتاب ، وينهض فيها نهضة الشيب فى الشباب ، وابن ذى النون يلقمه افلاذ كبده ، ويرجمه بسبده ولبده واذفونش لعنه الله لايقنع منه بصيد العنقاء ، ولابيض الانوف بل يكلفه احضار الابلق العقوق ، ويسومه درك الشمس ويطلبه برد أمس ، فلما أكل الانفاق ثبج ماله ، واخذ الخناق يكظم احتياله ، واحس العدو المشاق بذلك من حاله ، سما الى معاقله المنيعة ، وذرى أملاكه الرفيعة ، عدد الانام ، ودروب الاسلام ، فما راهنه منها عليه غلق ، ومارام أخذه من يديه لم يدركه حتى مزق » (ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الرابع ، مجلد ١ ، ص ١٥٦) .

(٢) كان ابن القلاس البطليوسى رجلا داهية ، نبهت الفتنة القائمة بطليطلة على قدره ، فعرض عليهم بصاحبه المتوكل ، « واعرب لهم عن لين مكسره ، وضيق مسافة نظره ، واشتغاله باللذات عن اكثره » ، فرحبوا بقدومه اليهم (ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الرابع ، مجلد ١ ، ص ١٥٩) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عندهم مكانة مرموقة ، فاستجابوا لرأيه ، وأتاه سفيرهم فى بطليوس بدعوة اهل طليطلة له ، فرفض المتوكل فى بداية الامر ما عرضوه عليه، ولكنه استجاب لمطلبهم فى نهاية الامر وهو كاره ، فانتقل الى طليطلة، واخذ يحكمها ويدبر أمورها لمدة عشرة أشهر ، وفى هذه الاثناء كتب القادر بالله ، وقد ثاب اليه رشده ، الى الفونسو السادس يذكره بصداقة جده المامون له ، وايوائه اياه ، فلم يتردد الفونسو فى سماع شكواه واقبل معه الى طليطلة ليعيده الى عرشه ، وعندئذ قرر المتوكل ابن الافطس ان يغادرها ، ، بعد أن حصل من اسلاب ابن ذى النون وذخائره على قسط وافر (١) تاركا طليطلة بين ناب الطاغية اذفونش وظفره (٢) .

ولنا ملاحظة حول هذا الموضوع ، فالنص الذى اعتمدنا عليه فى تاريخنا لهذه الاحداث هو نص ابن الخطيب الذى اختصره من رواية ابن حيان الواردة فى الذخيرة ، ويدور حول انتقال عمر بن الافطس من بطليوس حاضرته الى طليطلة حاضرة ابن ذى النون ، وفيه نطالع النص التالى « ولحق القادر ببعض حصونه ، واقام اهل طليطلة بعده ايّاما كالسائمة المهملة ليس عليهم أمير ، ولافيهم بالصواب مشير ، الى ان جنحوا الى المظفر بن الافطس من ملوك الطوائف على بعد داره، وانتزاح اقطاره ، فجاءهم متثاقلا كما قال المؤرخ : كودنا ساموه خصل سباق، فدخل طليطلة عام ٤٧٢هـ ..» (٣) .

وفى هذا النص يشير ابن الخطيب الى أن اهل طليطلة استنجدوا بالمظفر ابن الافطس وهو خطأ واضح،فالمظفر كان قد تولى منذ اثنتى عشر سنة وفقا لما اشرنا اليه ، وقد اكد ابن الخطيب نفسه ذلك فى موضع آخر من كتابه فقال « ولما توفى المظفر - رحمه الله - ولى الامر بعده

---

(١) ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ص ١٨٠ ، محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص ٩٠ .
(٢) ابن الكردبوس ، نصان جديدان ، ص ٨٣ .
(٣) ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص ١٨٠ .

ولداه عمر ويحيى ، وفى سنة ٤٦١هـ عظم بينهما الخلاف (١)» توفى هذه العبارة ما يؤكد أن وفاة المظفر حدثت قبل عام ٤٦١هـ/١٠٦٨م (١) وواضح أن ابن الخطيب كان يقصد المتوكل عمر بن المظفر فى حديثه عن جنوح أهل طليطلة الى ابن الافطس وليس المظفر كما ورد خطئا فى النص .

وقد يتبادر الى الاذهان سؤال فى غاية الاهمية ، وهو لماذا فكر أهل طليطلة فى الاستعانة بالمتوكل ابن الافطس ليحكم بلادهم دون سائر ملوك الطوائف «رغم بعد داره وانتزاح اقطاره » (٢) ؟ لماذا وضعوا أملهم فى انقاذ بلدهم فى شخص المتوكل عمر بن الافطس صاحب بطليوس بالذات ؟

يرد مانويل البران Albarran على هذا التساؤل بأن دعوتهم للمتوكل لم تتم دون تدبير من احد الموالين له فى طليطلة ، واسمه ابو محمد يوسف بن القلاس (٣) وهو ماسبق أن ذكرناه ايضا نقلا عن ابن بسام (٤) . ويعتقد البران ايضا وهو فى ذلك يجارى الاستاذ منندث بيدال (٥) ان من بين الاسباب التى دعت المتوكل الى الاستجابة لدعوة أهل طليطلة ان الضربة التى وجهها اليه الفونسو ملك قشتالة باستيلائه على قورية (٦) دفعته الى التفكير فى التحصن فى طليطلة التى تشغل

---

(١) ابن الخطيب ، المصدر السابق ، ص ١٨٤ .
(٢) المصدر السابق ، ص ١٨٠
(٣) Albarran, El solar, op. cit. p. 272
(٤) ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الرابع ، مجلد ٢ ، ص ٥٩٩ ومابعدها .
(٥) R. Menendez - Pidal, La España del cid, Vol, I, P 264 ,265
(٦) قورية Coria من اهم مدن الثغر الادنى فى غرب الاندلس ، تقع على مقربة من قنطرة السيف ، ولها سور منيع (الحميرى ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٦٤) ومن المعروف ان الفونسو السادس كان قد كتب الى المتوكل يطالبه بتقديم الاتاوة التى كان يدفعها ابوه المظفر ثم اخوه المنصور يحيى ويتهدده بشر العواقب اذا امتنع عن دفعها ، فرد عليه المتوكل ردا شجاعا ينم عن ابائه =

موقعا اكثر استراتيجية من بطليوس فى استطاعته التصدى لهجوم واسع النطاق يمكن ان يشنه الفونسو السادس ، كما أن اسوارها اكثر حصانة

=

ورباطة جاشه جاء فيه « وقد وصل الينا من عظيم الروم كتاب مدع فى المقادير واحكام العزيز القدير يرعد ويبرق ، ويجمع تارة ثم يفرق ويهدد بجنوده الوافرة ، وأحواله المتضافرة ، ولو علم ان لله جنودا اعز بهم ملة الاسلام ، واظهر بهم دين نبينا محمد عليه السلام «اذلة على المؤمنين ، اعزة على الكافرين ، يجاهدون فى سبيل الله ولايخافون لومة لائم ، بالتقوى يعرفون وبالتوبة يتضرعون وينصرون ، .... واما تعبيرك للمسلمين فيما وهن من احوالهم ، وظهر من اختلالهم منا للذنوب المركوبة ، والفرقة المكتوبة ، ولو اتفقت كلمتنا مع سائرنا من الاملاك لعلمت اى صاب اذقناك ، كما كانت اباؤك مع ابائنا تتجرعه ، فلم تزل تذيقها من الحمام وضروب الآلام ماتراه وتسمعه ، واداء المال تتوزعه وبالامس كانت قطيعة المنصور على سلفك (يقصد برمودة الثانى ملك ليون) اهداء ابنته اليه مع الذخائر التى كانت تفد فى كل عام عليه .

اما نحن ، وان قلت اعدادنا ، وعدم من المخلوقين استمدادنا ، فما بيننا وبينك بحر نخوضه ، ولا صعب فروضه ، الا سيوفا تشهد بحدتها رقاب قومك ، وجلادا تبصره فى ليلك ولديك ... » (كتاب الحلل الموشية ، ص ٣٦ — ٣٧) كان ذلك الرد القوى دافعا للهجوم الذى شنه الفونسو على اراضى المتوكل وانتهى باستيلائه على قورية فى سبتمبر ١٠٧٩م (٤٧٢هـ) وكان ذلك اول فتح قام به المسيحيون لضفاف تاجة

Menendez - Pidal, la España del Cid, t. I,P. 264 - Luis Suarez historia de España, p. 188.

ويذكر الاستاذ عنان انها سقطت عام ٤٧٣هـ (١٠٨٠م) وقد اشار المتوكل فى رسالته التى وجهها مع القاضى ابى الوليد الباجى الى يوسف بن تاشفين الى النازلة فى مدينة قورية « وانها مؤذنة للجزيرة بالخلاء ومن فيها من المسلمين بالجلاء » (راجع كتاب الحلل الموشية ، ص ٣٥) . كذلك عهد المتوكل الى ابى الوليد الباجى قاضى بطليوس بالتطوف على ملوك الطوائف يدعوهم الى التوحيد ، وفى ذلك يقول ابن الابار : « ولما عظم عيث الطاغية اذفونش بن فرذلند وتطاول الى الثغور ولم يقنع بضرائب المال ، انتدب للتطوف على اولئك الرؤساء القاضى ابو الوليد الباجى يندبهم الى لم الشعث ومدافعة العدو ، ويطوف عليهم واحدا واحدا ، وكلهم يصغى الى وعظه » (ابن الابار ، الحلة السيراء ، حـ٢ ، ص ٩٨) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من اسوار بطليوس التى كانت تغمرها مياه وادى آنة . وايا ما كان الامر فانه من المؤكد فيه كما يرى البران ان الامير الافطسى قد دخل طليطلة فى يونيو عام ٤٧٣هـ (١٠٨٠م) ، وعلى هذا النحو اصبح المتوكل يحكم اكبر دويلتين من دويلات الطوائف من حيث عظم المساحة والاتساع وان كانتا مهددتين فى اكثر مناطقهما حيوية ..

ولعل هذا الراى الذى أدلى به البران صحيح فيما يختص برغبة المتوكل فى الاستيلاء على طليطلة لاسباب استراتيجية لها علاقة بالدفاع عن مملكته ضد هجوم الفونسو السادس ، وربما لم يتبين البران ان هذه الرغبة كانت مستقرة فى نفوس بنى الافطس منذ زمن أسبق من زمن المتوكل ، فهذه الامنية ترجع الى ايام المظفر ابن الافطس الذى وافق على زواج ابنته من القادر بالله حفيد المامون يحيى بن ذى النون (١) ، رغم الخلافات السابقة القائمة بينهما ، ولعل هذه الزيجة كانت ترمى الى تحقيق ذلك الهدف السياسى الذى تحقق للمتوكل عمر فيما بعد .

ولكن تمسك البران بالرجوع الى المصادر القشتالية فيما يختص بتلك المرحلة الهامة من حكم عمر المتوكل دون الرجوع الى المصادر العربية أوقعه فى خطأ تاريخى ، فالبران يؤكد ان دخول عمر المتوكل الى طليطلة تم فى يونيو عام ١٠٨٠م (أواخر ٤٧٣هـ) أى بعد سقوط قورية الافطسية فى يد الفونسو السادس بعام ، بحيث استطاع خلال هذا العام التفكير فى الحل الذى يستطيع به ان يحمى بقية اجزاء مملكته الشاسعة التى اصبح يتهددها الفونسو السادس بعد استيلائه على قورية ، ولهذا السبب لم يجد امامه حلا سوى ان يدعى له فى طليطلة عن طريق

---

(١) ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ١٨٠ وفى ذلك يقول « الى ان ثار بحفيد ابن دنون تلك الطائفة التى اخرجها من الاعتقال وصاحوا به ، وسعوا فى هلاكه ، فافلت من بعض الابواب المعدة للضرائر لايملك شيئا الا نفسه ، وزعموا ان زوجة بنت المظفر وابنته منها تبعتاه يومئذ راجلتين ازيد من فرسخين الى ان ركبتا ، ولحق ببعض حصونه ... » .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ابن القلاس ، ونجح فى خطته على نحو تجاوز كل تقدير ، وارسل اليه اهل طليطلة يدعونه للامارة عليهم ، غير ان هذا التاريخ الذى اورده الاستاذ البران ليؤرخ به دخول المتوكل طليطلة غير صحيح ، ولايتفق مع ما اوردته المصادر العربية ، فابن بسام يذكر نقلا عن ابن حيان ان المتوكل دخلها عقب سنة ٤٧٢هـ ، ويتابعه فى ذلك ابن الخطيب ، وهذا التاريخ فى الواقع اكثر اتفاقا مع سياق الاحداث ، فقد اندلعت الثورة فى طليطلة فى عام ٤٧٢هـ، فبادر اهلها بالاستنجاد سريعا بصاحب بطليوس ليصل اليهم قبل ان يقدم اعداء الاسلام على الاستيلاء عليها . وبذلك يكون دخول المتوكل الى طليطلة قد حدث بعد سقوط قورية بفترة قصيرة لا تزيد على شهر ، وربما يفسر لنا ذلك تثاقل المتوكل بن الافطس فى الاستجابة لدعوة اهل طليطلة لتولى امارة بلدهم ؛ فقد كان كارها لهذا الامر « الى ان جنحوا الى المظفر بن الافطس من ملوك الطوائف على بعد داره ،وانتزاح اقطاره ، فجاءهم متثاقلا » (١) .

قبل المتوكل ان يتولى امر دولة بنى ذى النون بطليطلة مكرها ، ولكنه قبله على اى حال ، ومضى الى طليطلة متثاقلا ، فقد كانت النازلة بسقوط قورية فى يد الفونسو السادس من العنف بحيث دفعت به الى تبنى فكرة توحيد الاندلس ، ولم شعثها بالاضافة الى الاستنصار بيوسف ابن تاشفين امير المرابطين فى المغرب ، فانتقاله الى طليطلة ربما كان مناورة سياسية بارعة لتحويل نظر الفونسو السادس عن الغرب المهدد بالسقوط بعد انهيار قورية التى كانت تعد خط الدفاع الرئيسى عن مملكة بطليوس ، ومفتاح الغرب كله الى طليطلة التى كانت منتهى امل الفونسو السادس ، وفى نفس الوقت لم يكن المتوكل يزهد فى ربط دولته بدولة بنى ذى النون فى وحدة سياسية امام خطر الاسترداد الجاثم ، وخلال ذلك يمكنه ان يخاطب ملوك الطوائف الآخرين عن طريق القاضى ابى الوليد الباجى .

---

(١) ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ١٨٠ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولم يكن المتوكل بن الافطس غافلا عن حقيقة اهداف الفونسو السادس الذى كان يحلم بالسيطرة على طليطلة حاضرة دولة القوط ، والمدينة الملكية التى يمكن أن تنطلق منها فكرة التسلط الاستعمارى الذي ينبض بين يديه ، بالاضافة الى أمله الاعظم فى تحرير الاندلس من الحكم الاسلامى ، وقد أثار ذلك مخاوف المتوكل ، فلو أن الفونسو تمكن من السيطرة على طليطلة ، وهو أمر أصبح ميسورا بعد فرار القادر بالله ، وما سببه ذلك من شيوع الفوضى والاضطراب فى سائر انحائها ، لاستطاع بكل سهولة ان يسيطر على مملكته البطليوسية ، وهذا فيما أرى كان عاملا ثالثا دفعه الى ركوب الصعاب وترك حاضرته بطليوس لحماية طليطلة ، ولو ظاهريا من خطر السيطرة القشتالية .

وفى تلك الاثناء كاتب القادر بن ذى النون الفونسو السادس ملك قشتالة من مدينة قونكة (١) التى كان قد انتقل اليها بعد رحيله من حصن وبذة ، وفى هذه المكاتبات أخذ القادر يذكر الفونسو بالود القديم الذى كان قائما بينه وبين جده المأمون ، وأخذ يطالبه بحق هذا الود أن يمد يد المعونة له ، ولاقت هذه الاستغاثة قبولا حسنا من الفونسو السادس ، فلم يتردد فى مساندته لاسترجاع ملكه ، ويعبر ابن الخطيب عن ذلك بقوله : « ولما استقر حفيد ابن دنون بمأمنه بعد الخروج من طليطلة راسل اذفونش ملك قشتالة ، يذكره سالف عهده ، اذ كان قد اضطر الى اللحاق بابن دنون جده ولجأ اليه لما غلبه اخواه على الملك ، فأجاره الى أن عاد اليه أمره ، فلبى دعواه ، وسمع شكواه ،واقبل معه الى طليطلة (٢) ... » .

ويذهب ابن بسام الى التقبيح من سلوك المتوكل اثناء اقامته بطليطلة ، فيذكر انه عكف على حياة الحفلات والشعر فى قصر المأمون بن

---

(١) ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ١٨١ .
(٢) ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص ١٨١

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ذى النون (١) ، وانه كان بها « طليح جفان ، طريح أكواب ودنـان ، مكبا على قمش ما نحته المحنة ، وتجافت عن انتهابه الفتنة ، من فرش فخم ، وسرادق ضخم ، وآنية وكتب ، وصعد من آلة الملك وصبب » (٢)

فلما بلغ المتوكل قرب وصول القادر بالله الى طليطلة ملأ يديه من كل ما استطاعت الوصول اليه من ذخائر واموال ارسلهـا تباعـا الى بطليوس ، ثم فر من طليطلة مبادرا الى حاضرته ، ويقال أن الفونسو

---

(١) يصف ابن حيان مجلسه المكرم (نقلا عن ابن جابر) بقوله «وكنت ممن اذهلته فتنة ذلك المجلس ، واغرب ما قيد لحظى من بهـى زخرفه الذى كاد يحبس عينى عن الترقى عنـه الى ما فوقه ، ازاره الرائع الدائر بأسه حيث دار ، وهو متخذ من رفيع المرمر الابيض المسنون ، الزارية صفحاته بالعاج فى صدق الملاسة ونصاعة التلوين ، قد خرمت فى جثمانه صور البهائم واطيار واشجار ذات ثمار ، وقد تعلق كثير من تلك التماثيل المصورة بما يليها مـن أفنان أشجار واشكال الثمر ، ما بين جاد وعابث ، وتعلق بعضها بعضا بين ملاعب ومثاقف ، ترنو الى من تاملها بالحاظ عاطف ، كانها مقبلة عليه ، او مشيرة اليه ، وكل صورة منها منفردة عـن صاحبتها ، متميزة من شكلها ، تكاد تقيد البصر عن التعلى الى ما فوقها ، قد فصل هذا الازار عما فوقـه كتاب نقش عريض التقدير ، مخرم محفور ، دائر بالمجلس الجليل من داخله ، قـد خطه المنقار ابين من خط التزوير ، قائم الحروف ، بديع الشكل ، مستبين على البعد ، مرقوم كله باشعار حسان قـد تخيرت مـن أماديح مخترعه المأمون ، وفوق هذا الكتاب الفاصل فى هذا المجلس بحور منتظمة من الزجاج الملون الملبس بالذهب الابريز ، وقـد أجريت فيه اشكال حيوان واطيار ، وصور انعام واشجار ، تذهل الالباب ، وتقيد الابصار (ابن بسام ، الذخيرة المجلـد الاول ، القسم الثانى ، ص ١٣٣ ، وما يليها) . وحكى ابن بدرون فى شرح العبدونية ان المأمون يحيى بن ذى النون صاحب طليطلة بنى بها قصرا تانق فى بنائه وانفق فيه مالا كثيرا ، وصنع فيـه بحيرة ، وبنى فى وسطها قبة ، وسيق الماء الى راس القبة على تدبير أحكمه المهندسون ، فكان الماء ينزل من أعلى القبة حوالتيها محيطا بها متصلا بعضه ببعض ، فكانت القبة فى غلالة من مـاء سكب لايفتر ، والمأمون بن ذى النون قاعد فيها لايمسه من الماء شىء ، ولو شاء ان يوقد فيها الشمع لفعل » (المقرى ، نفـح الطيب ، جـ٦ ، ص ٨٥) .

(٢) ابن بسام الذخيرة قسم ٤ ، مجلد ١ ، ص ١٦٠ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حاصر طليطلة والمتوكل مقيم بها بعد ، فلما ادرك عجزه عن مواجهة قوات الفونسو عمد الى الخروج منها فارا (١) ، وذلك فى نهاية عام ٤٧٣هـ (ابريل من عام ١٠٨٠م) بعد عشرة اشهر من وصوله اليها .

وهكذا عاد عمر المتوكل الى بطليوس تاركا طليطلة وراءه تحت رحمة الفونسو السادس وعسكره الذين نكلوا باهالى طليطلة اشد التنكيل فقد ظل يحاصر طليطلة الى ان كان يوم عيد الاضحى عام ٤٧٤ هـ (١٠٨١م) ، وفى هذا اليوم خرج اهل طليطلة لمقاتلة القادر بالله فى عددهم وعديدهم ، وزحفوا اليه بكل اسلحتهم ، ولكنهم لم يتوصلوا الى اى نتيجة ، فتراموا الى الفونسو يشكون اليه ابن ذى النون ويستصرخونه عليه ، فتصدى لهم واظهر انه يؤيده ويناصره ، فتفرقوا بكل سبيل . وتمكن الفونسو من اعادة القادر بالله الى ملكه . ثم انتهج الفونسو سياسة تهدف الى الاستيلاء على طليطلة وانتزاعها من ايدى اهلها ، فهاجم نواحيها ينتسف مرافقها ويحرق مزارعها (٢) ، ولما اشتد البلاء على اهل طليطلة ، وفدحت فيهم البأساء واتى على اكثرهم القتل والجلاء ، نزل الفونسو بالمنية التى كان يعتز بها ، فاتخذ عروشها مرابط لافراسه ، وايواناتها ملاعب لاراذله ، اما اهل طليطلة فقد اخذوا يستصرخون من حولهم وكانهم يضربون فى حديد بارد ، فلما يئسوا مكنوا الفونسو من بلدهم .

ويذكر الاستاذ عنان ان القادر بن ذى النون استنجد بجيرانه من ملوك الطوائف المسلمين ، فلم يساعده منهم سوى المتوكل عمر بن الافطس (٣) الذى خرج بجموع عسكره لمدافعة جند قشتالة ، ولكن

---

(١) ابن الخطيب اعمال الاعلام ، ص ١٨١ ، محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ص ١٠٩ .
(٢) ابن بسام ، الذخيرة ، قسم ٤ ، مجلد ١ ، ص ١٦٠ .
(٣) محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص ٩٠ ، يوسف اشباخ ، تاريخ الاندلس ص ٥٧ ، وقد اورد اشباخ بخصوص هذا الخبر العبارة التالية « ومن ثم فانه لم يستطيع انجاد طليطلة من بين =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفونسو السادس لم يشأ ان يقحم نفسه فى معارك خاسرة ، فآثر الانسحاب حتى يوفر جنده وطاقته للخطة الحاسمة . ولا ادرى من اين اتى الاستاذ عنان بهذا الخبر ، فالمصادر العربية لاتشير الى محاولة قام بها المتوكل للدفاع عن طليطلة ، ولهذا فالخبر الذى اورده الاستاذ عنان لا اساس له ، اذا اخذنا فى الاعتبار ان المتوكل فر من طليطلة عندما بلغه وصول القادر بالله فى حماية الفونسو السادس وقواته ، ولا يعقل ان يعود اليها من جديد لمواجهة الفونسو ثم يشتبك ويعود من حيث اتى .

= الامراء المسلمين سوى امير بطليوس يحيى بن الافطس الملقب بالمنصور ، فجمع قواته وسار الى لقاء الفونسو ، وكان الفونسو قد اشخن عندئذ فى ولاية طليطلة حتى صيرها قفرا بلقعا ، ولم يكن يبغى بهذا العيث والتخريب سوى تجريد القلاع من كل وسيلة للحصول على القوت ، ومن ثم فانه لما شعر باقتراب المنصور ارتد ادراجه ، فعاد المنصور بجيشه من حيث اتى ، ولم يمض سوى قليل حتى توفى مبكيا عليه من شعبه (٤٧٤هـ / ١٠٨٢م) فخلفه اخوه ابو محمد عمر بن محمد المتوكل .. » وواضح من هذه العبارة ان اشباخ قد التبس عليه الامر فخلط بين المتوكل عمر بن الافطس وبين يحيى المنصور الذى كان قد توفى منذ عام ٤٦١هـ (١٠٦٨م) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(٣)

المرحلة الثانية من عصر المتوكل

فى منتصف المحرم سنة ٤٧٨هـ (١٠٨٥م) دخل الفونسو السادس مدينة طليطلة (١) واستولى عليها ، وبذلك تحقق اول اهدافه فى ضم اراضيها الى مملكته ، وقد ترتب على سقوط طليطلة نتائج خطيرة للغاية ، فقد احدث سقوط طليطلة فى ايدى القشتاليين دويا هائلا فى الاندلس ، وقرعت نواقيس الخطر تنذر ملوك الطوائف بسوء المصير ، فأحسوا بضعفهم ، وايقنوا بنهايتهم الوشيكة ، والمحتومة ، وعبر شعراء الاندلس عن هذه الحقيقة المرة باشعارهم ، من ذلك قول الشاعر عبد الله بن فرج اليحصبى المعروف بابن الغسال :

يا اهل اندلس حثوا مطيكم ... فما المقام بها الا من الغلط
الثوب ينسل من اطرافه وارى ... ثوب الجزيرة منسولا من الوسط
ونحن بين عدو لا يفارقنا ... كيف الحياة مع الحيات فى سفط

وقال آخر :

يا اهل اندلس ردوا المعار فما ... فى العرف عارية الا مردات
الم تروا بيدق الكفار فرزته ... وشاهنا آخر الابيات شهمات (٢)

---

(١) النويرى (شهاب الدين) نهاية الارب ، جـ٢٢ ، نسخة خطية مصورة محفوظة بمكتبة كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، لوحة ٤٧ . وذكر النويرى أنه استولى عليها بعد ان حاصرها سبع سنين (انظر المقرى ، نفح الطيب ، جـ٦ ، ص٨٤ ، وراجع ايضا الحميرى ص ١٣٥ ـ ابن خلدون ، جـ٤ ، ص ٣٤٨) ، ويحدد ابن علقمة تاريخ استيلاء الفونسو على طليطلة فى يوم الاربعاء لعشر خلون من المحرم سنة ٤٧٨ (١٠٨٥م) بينما يحدده ابن خلكان بيوم الثلاثاء مستهل صفر سنة ٤٧٨هـ (١٠٨٥م) المقرى ، نفح الطيب ، جـ٦ ، ص ٨٥ .

(٢) المقرى ، نفح الطيب ، جـ٦ ، ص ٨٤ ، وراجع ايضا ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، جـ٤ ، ص ١٦٨ .

كانت طليطلة تعنى الكثير بالنسبة لالفونسو ، فقد اعتبرها قرارة الملك وسويداء الاندلس ونقطة الانطلاق نحو استرداد كل اراضى شبه جزيرة ايبريا ، كذلك كانت تعنى الكثير بالنسبة للمسلمين ، فقد كانت رمز بقائهم فى تراب الاندلس ، وسقوطها غير المتوقع اثار هلعهم (١) ، وادركوا انها البداية للنهاية ، وقد تحققت بالفعل مخاوفهم ، فاستغل خطر الفونسو السادس بعد ان ذاق حلاوة الانتصار على المسلمين ، وعزم على فتح الاندلس كلها ، وعرض عليه رعيته ان يلبس التاج ، ويعيد عادة اسلافه القوط ، فارجأ ذلك حتى يستولى على دار المسلمين بقرطبة (٢) . ولم يلبث ان شمخ بأنفه ، « ورأى ان زمام الاندلس قد حصل فى كفه ، فشن غاراته على جميع اعمالها حتى فاز باستخلاص جميع اقطار ابن ذى النون واستئصالها ، وذلك ثمانون منبرا سوى البنيات (اى المدن الصغرى) والقرى المعمورات ، وجاز من وادى الحجارة الى طليرة Talavera La Reina وفحص اللج واعمال شنتمرية كلها Albarracin. فلم يكن بالجزيرة من يلقى اقل كلب من كلابه ... وانتحى الفنش انتحاء الجبابرة ، وانزل نفسه منازل القياصرة ، وداخله من الاعجاب ما احتقر به كل ما شيء على التراب ، وتسمى بالانبراطور وهو بلغتهم امير المؤمنين وجعل يكتب فى كتبه الصادرة عنه : من الانبراطور ذى الملتين ، واقسم لارسال (الى لؤلؤد) الرؤساء « انه لايترك فى الجزيرة من الثوار احدا ، ولا يبقى لهم ملتحدا سوى من اكتنفته رعايتى وشملت عنايتى » (٣) .

---

(١) يقول صاحب الحلل الموشية «كان الطاغية اذفنش فى سنة ثمان وسبعين واربعمائة قد غلب على طليطلة واستولى على اعمالها ، وحازها لنفسه ، وكثر الروع على الاندلس واشتد الخوف ، وتطرق لبلاد المعتمد على الله بن عباد ، ولما ملك اذفنش اعمال طليطلة طمع فى الاستيلاء على الجزيرة كلها ، وهابت الملوك امره لكون طليطلة نقطة دائرتها (الحلل الموشية ، ص ٣٨)

(٢) ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ٢٤٤ .

(٣) تاريخ الاندلس لابن الكردبوس ، تحقيق د . احمد مختار العبادى ، مدريد ، ١٩٧١ ، ص ٨٧ - ٨٩ .

كان لتلك الاحداث المفجعة اثرها العميق على المتوكل عمر بن الأفطس فقد ادرك هول الكارثة التى حلت بالاسلام فى الاندلس ، وعز عليه أن يقف مكتوف اليدين الى ان يحل دوره ، ورأى ضرورة التحرك السريع لانقاذ الموقف الاسلامى المتدهور .

وقد اثار الدكتور عبد الرحمن الحجى قضية للمناقشة حول دعوة القاضى العلامة الفقيه ابى الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن ايوب المعروف بالباجى (١) بلاد الاندلس الى توحيد الصف وجمع الكلمة ، فقد تساءل الدكتور الحجى هل قام الباجى بدعوته هذه لوحدة الاندلس من تلقاء نفسه ام بتكليف رسمي من المتوكل ابن الافطس ؟ ومتى بدأت هذه الدعوة ، وكم من الزمن استغرقت ؟

ويذهب الدكتور الحجى بعد قراءته لعدد من النصوص الى ان الباجى قد قام بهذه الدعوة فى بادىء الامر من تلقاء نفسه ، وكان ذلك عقب عودته من رحلته الى المشرق الاسلامى التى استغرقت ثلاثة عشر عاما (٤٢٦ ـ ٤٤٠هـ) (٢) (١٠٣٤ ـ ١٠٤٨م) ، واعتمد فى ذلك الرأى على نصوص استمدها من المقرى (نفح الطيب ، جـ٢ ، ص

---

(١) ابو الوليد الباجى (ت ٤٧٤هـ) (١٠٨١م) فقيه كبير ، شهير ولد ببطليوس فى النصف من ذى القعدة ٤٠٣هـ (١٠١٢م) ونشأ بها وتولى التدريس والقضاء فى كثير من بلاد المشرق الاسلامى ، وله العديد من المصنفات والاشعار التى جمعها ابنه ابو القاسم . وقد قام ابو الوليد الباجى بمناقشة ابن حزم فى جزيرة ميورقة ، واقام فى سرقسطة عدة سنوات اثناء حكم المقتدر احمد بن هود ، هذا الى جانب توليه الرد على رسالة راهب فرنسى ، فند فيها مزاعم هذا الراهب ودعاه الى اعتناق الاسلام (انظر ابن بسام ، الذخيرة ، قسم ٢ ، جـ١ ، ص ٩٤ ، وابن خاقان ، الفتح ص ١٩٦ ، ابن الابار التكملة جـ١ ص ٣٩١ ، جـ١ ، المقرى ، نفح الطيب ، جـ٢ ، ص ٢٧٢) .

(٢) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، جـ٢ ، طبعة احسان عباس ، ترجمة ٢٧٥ ، ص ٤٠٨ ـ النباهى المالقى ، تاريخ قضاة الاندلس ص ٩٥ ، المقرى نفح الطيب ، جـ٢ ، ص ٢٧٢ .

٢٧٣) وعلى نصوص لابن بسام ، (الذخيرة ، قسم ٢ ، مجلد ١) تشير الى ان الباجى كان كثير التنقل والطواف بين ملوك الطوائف يصحبهم ويرسل بينهم (١) وكان ذلك من الاسباب التى دعت المتوكل ابن الافطس الى ان يعهد اليه رسميا بالقيام بهذه الدعوة ، وانتهى الدكتور الحجى الى ان الباجى كان قد بدأ دعوته هذه من تلقاء نفسه عقب رجوعه من المشرق بعد احداث سرقسطة ، وعلى الاخص بعد حادثة بربشتر عام ٤٥٦هـ (١٠٦٣م) . وعندما ادرك ابن الافطس الجهود الموفقة التى بذلها الباجى لتوحيد الصف الاسلامى فى الاندلس وتصديه لجمع شمل المسلمين امام الموجة الاسبانية الشرسة التى كانت تهدد وجود المسلمين فى الاندلس ، لم يتردد فى الافادة من تلك الجهود ، وعزم على دعمه وتاييده ، ولم يكن ابو الوليد الباجى وحده الذى تطوع من بين علماء الاندلس لهذا الهدف ، فقد شاركه فى الدعوة الى جمع كلمة المسلمين عدد من العلماء منهم ابو عمر بن عبد البر الذى كان يتولى قضاء الاشبونة وشنترين فى عهد المظفر ابن الافطس ، فقد انتقل من قرطبة متجولا فى بلاد غرب الاندلس ، ثم انتقل الى شرق الاندلس ، وتردد ما بين بلنسية ودانية وشاطبة ، يدعو الى التوحيد ونبذ

---

(١) يقول ابن بسام فى ذلك انه نازعه وهو بالشرق الى مسقط راسه ومنبت غرسه من ارض الاندلس ، فورد وعشب بلادها ناب وظفر ، وصوب عهادها دم هدر ، ومالها لا عين ولا اثر ، وملوكها اضداد ، واهواء اهلها ضغائن واحقاد ، وعزائمهم فى الارض فساد وافساد ، فاسف على ما ضيعه ، وندم لو اجدى عليه ذلك او نفعه ، على انه لاول قدومه رفع صوته بالاحتساب ومشى بين ملوك اهل الجزيرة بصلة ما انبت من تلك الاسباب ، فقام مقام مؤمن آل فرعون لو صادف اسماعا واعية ، بل نفخ فى عظام ناخرة ، وعكف على اطلال داثرة ، بيد انه كلما وفد على ملك منهم فى ظاهر امره لقيه بالترحيب واجزل حظه بالتانس والتقريب ، وهو فى الباطن يستجهل نزعته ، ويستقل طلعته ، وما كان افطس الفقيه رحمه الله بامورهم ، واعلمه بتدبيرهم ، لكنه كان يرجو حالا تثوب ، ومذنبا يتوب ... » (ابن بسام ، قسم ٢ ، مجلد ١ ، ص ٩٥ - ٩٦) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٤٥٠هـ) (١٠٥٨م) الذى قام بمحاولة لازالة الخلافات بين ملوك الخلاف (١) .

ومنهم ابو حفص عمر بن حسن الهوزنى (٣٩٢هـ - ٤٦٠هـ) (١٠٠١ - ١٠٦٧م) ، وهو من اهل اشبيلية ،كتب الى المعتضد بن عباد عقب نكبة بريشتر ٤٥٦هـ (٢) (١٠٦٣م) رسالة يحثه فيها على الجهاد (٣) .

ومنهم ابو المعالى ادريس بن يحيى بن يوسف الواعظ الاشبيلى ، وكان يجول هو الآخر فى البلاد يعظ الناس ويذكرهم (٤) ، وابو بكر محمد بن احمد بن محمد بن حسن بن اسحاق القرطبى(ت. نحو عام

---

(١) الحجى ، التاريخ الاندلسى ، ص ٣٤٧ . وله رسالة فى ذكر الجهاد واستنفار كواف البلاد بعد سقوط بربشتر فى سنة ٤٥٦هـ (١٠٦٣م) اوردها ابن بسام (الذخيرة ، قسم ٣ ، مجلد ١ ، ص ١٧٣) .

(٢) لمزيد من المعلومات عن سقوط بريشتر ، ارجع الى ابن بسام ، الذخيرة ، قسم٣، جـ١ ص ١٧٩ - ١٨٩ ، ابن عذارى ، البيان ، جـ٣ ، ط. ليفى بروفنسال ، ص ٢٢٥ - ٢٢٨ ، الحميرى ، صفة جزيرة الاندلس من كتاب الروض المعطار ، ص ٤٠ ، المقرى نفح الطيب ، جـ٦ ، ص ١٩١ - ١٩٨ ، محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ص ٢٦٤ ، وما يليها - عبد الرحمن الحجى ، التاريخ الاندلسى ، ص ٣٥٩ - ٣٦١ .

(٣) استفتح رسالته الى المعتضد يستحثه على التصدى للعدو فيقول :
عباد جل الرزء والقوم هجع . . على حالة من مثلها يتوقع
فلق كتابى من فراغك ساعة . . وان طال فالموصوف للطول موضع
اذا لم ابث الداعرب دوائه . . اضعت واهل للملام المضيع
وفى فصل منها « وكتابى على حالة يشيب لشهودها مفرق الوليد ، كما تغبر لورود وجه الصعيد ، بدؤها ينسف الطريف والتالد ، ويستاصل الوليد والوالد ، تذر النساء ايامى ، والاطفال يتامى ، فلا ايمة اذا لم تبق انثى ولا يتيم ، والاطفال فى قيد الاسرى ... كان الجميع (يقصد جميع المسلمين فى الاندلس) فى رقدة اهل الكهف ، او على وهدها دق من الصرف والكشف ، من اين لنا دفعهم بالكفاية وكيف ، ولم يختط اليهم الخوف ونساجلهم السيف» (ابن بسام ، الذخيرة ، قسم ٢ مجلد ١ ، ص ٨٤) .

(٤) ابن الابار ، التكملة لكتاب الصلة ، جـ١ ، ترجمة رقم ٥١٩ ، وراجع الحجى ، المرجع السابق ، ص ٣٤٨ .

الطوائف (١) .

وفى نفس الوقت الذى كان المتوكل عمر بن الافطس يعانى فيه من تقدم حركة الاسترداد داخل مملكته كان المعتمد على الله بن عباد يتعرض لنفس الموقف ، الا ان وضعه كان اقل خطورة بكثير من وضع ابن الافطس الذى كان الضحية التالية لالفونسو السادس منذ ان استولى على مملكة بنى ذى النون بطليطلة (٤٧٨هـ / ١٠٨٥م) .

ومن المعروف ان الفونسو السادس كتب الى المعتمد بن عباد على نحو ماكتب لابن الافطس «يطلب منه تسليم اعماله الى رسله وعماله ، واشتط عليه فى الطلب ، واظهر له السرور بالغلب ، فمما خاطبه به :

« من الكنبيطور ذى الملتين ، الملك المفضل ، الاذفنش بن شانجة الى المعتمد بالله سدد الله آراءه وبصره مقاصد الرشاد ، سلام عليك ، من مشيد ملك شرفته القنا ، ونبتت فى ربعه المنى ، فاعتز اعتزاز الرمح بحامله ، والسيف بساعد حامله ، وقد ابصرتم ما نزل بطليطلة واقطارها ، وما صار باهلها حين حصارها ، فاسلمتم اخوانكم ، وعطلتم بالدعة زمانكم ، والحذر من ايقظ باله ، قبل الوقوع فى الحبالة ، ولولا عهد سلف بيننا نحفظ ذمامه ، ونسعى بنور الوفاء امامه ، لنهض بنا نحوكم ناهض العزم ورائده ، ووصل رسول الغزو وارده ، لكن الانذار ، يقطع الاعذار ، ولايعجل الا من يخاف الفوات فيما يرومه ، او يخشى الغلبة على مايسومه ، وقد حملنا الرسالة اليكم القومط البرهانس وعنده من التسديد الذى يلقى به امثالك ، والعقل الذى يدبر به بلادك ورجالك (٢) ... » .

وقد رد عليه المعتمد بن عباد ردا يماثل رد المتوكل بن الافطس على الفونسو ان لم يكن انكى واشد (٣) .

---

(١) راجع التفاصيل فى عبد الرحمن الحجى ، المرجع السابق ، ص ٣٤٩ .
(٢) الحلل الموشية ، ص ٣٨ - ٣٩ .
(٣) المصدر السابق ، ص ٤٠ .

(٤)

اطماع الفونسو السادس فى مملكتى بطليوس واشبيليـــة

كان الفونسو السادس قد استولى على قورية من الاطراف الشمالية لمملكة بطليوس كما سبق ان ذكرنا فى عام ٤٧٣هـ (١٠٨٠م) ، وانفتح الطريق امامه ممهدا للسيطرة على اهم قواعدها ، وتبين للمتوكل بن الافطس خطورة الوضع ، وكان عليه ان يبادر بالتحرك ، فدعوة ابى الوليد الباجى لراب الصدع ولم شعث ملوك الطوائف لم تثمر ، بل ساءت الاوضاع عندما تفككت عرى الروابط بين هؤلاء الملوك إمام الخطر المسيحى الجاثم ، وساد الصلات بينهم جو من التحاسد والتغاير ، وادرك المتوكل ان الركون الى امل المصالحة لن يجده شيئا ، وآثر ان يخاطب امير دولة المرابطين الفتية فى المغرب .

ويؤكد صاحب الحلل الموشية ان عمر المتوكل كان اول ملوك الطوائف ، فى الاستنجاد بيوسف بن تاشفين امير المرابطين ، فقد كتب اليه حين كلب العدو على بلاده يستصرخه ، ويوضح له سوء المصير الذى ينتظر ملوك الطوائف بالاندلس ، ويوضح لنا صاحب الحلل ان هذه الرسالة الاولى التى ارسلها ابن الافطس وجهت فى ٤٧٤هـ (١٠٨١م) اى قبل سقوط طليطلة بأربع سنوات (١) ، اثر رجوع وفد اندلسى من عند امير المرابطين بالمغرب كانوا قد وفدوا اليه يشكون اليه حالهم ، وما حل بهم من اعدائهم ، فوعدهم بامدادهم واعانتهم ، ثم صرفهم .

وكانت هذه الرسالة وهى من انشاء الوزير الكاتب ابو عبد الله محمد بن أيمن (٢) ، تحمل معانى الالم والحسرة على اثر سقوط

---

(١) الحلل الموشية ، ص ٣٣ ـ ٣٤ .

(٢) ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الثانى ، المجلد الثانى ، ص ٦٥٣ ، وفى ذلك يقول ابن بسام ، « ولما اشتد يومئذ كلب الروم بهذا الاقليم على ما تقضيه شهادة المنثور والمنظوم بلسان =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قورية ٤٧٢هـ فى يد الاعداء ، وجاء من فقراتها ما يلى : « لما كان نور الهدى ايدك الله دليلك ، وسبيل الخير سبيلك ، ووضحت فى الصلاح معالمك ، ووقفت على الجهاد عزائمك ، وصح العلم بأنك لدولة الاسلام اعز ناصر ، وعلى غزو الشرك اقدر قادر ، وجب أن تستدعى ، لما اعضل الداء ،وتستغاث فيما احاط بالجزيرة من البلاء .

فقد كانت طوائف العدو تطيف بها عند افراط تسلطها واعتدائها ، وشدة ظلمها واستشرائها ، تلاطف بالاحتيال ، وتستنزل بالاموال ، ويخرج لها من كل ذخيرة ، وتسترضى بكل خطيرة ، ولم يزل دابها التشطط والعناد ، ودأبنا الاذعان والانقياد ، حتى نفذ الطارف والتلاد ، واتى على الظاهر والباطن النفاذ ، وايقنوا الآن بضعف المنن ، وقويت اطماعهم فى افتتاح المدن ، واضرمت فى كل جهة نارهم ، ورويت من دماء المسلمين اسنتهم وشغارهم ، ومن اخطاه القتل منهم ، فانما هم ايديهم اسارى وسبايا ، يمتحنونهم بأنواع المحن والبلايا ....

الا ناصر لهذا الدين المهتضم ، الا حاميا لما استبيح من حمى الحرم ؟ وانا لله على ما لحق عبيده من ثكل ، وعزة من ذل ، فانها الرزية التى ليس فيها عزاء ، والبلية التى ليس مثلها بلاء.

ومن قبل هذا ما كنت خاطبتك ، اعزك الله بالنازلة فى مدينة قورية اعادها الله للاسلام ، وانها مؤذنة للجزيرة بالخلاء ، ولمن فيها من المسلمين بالجلاء ، ثم مازال ذلك التخاذل والتدابر يتزايد حتى تخلطت القضية ، وتضاعفت البلية ، وتحصلت بيد العدو مدينة سريه (١)

= من اندرج ذكره فى هذا الديوان من كل زعيم استصرخ ملوك الطوائف بافقنا أمير المسلمين وناصر الدين ابا يعقوب يوسف بن تاشفين ، رحمه الله ، وقد القوا بأيديهم ، فكتب ابو عبد الله بهذه الرسالة عن صاحبه واراها كانت ثالثة المفاتحة او ثانية المداخلة ... » .

(١) سريه ، من مدن قشتالة القديمة وكانت من بين مدائن الثغر الاعلى ولهذا فقد مثل سقوطها ضربة خطيرة فى قلب الاندلس .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وعليها قلاع ، تجاوزت حد القلاع فى التحصن والامتناع ، وهى من المدينة كنقطة الدائرة ، تدركها من جميع الجهات دائرة بنواحيها ، ويستوى فى فىء الارض بها قاصيها ودانيها ، وما هو الا نفس خافق ، ورمق زاهق ، استولى عليه عدو مشرك وطاغية منافق ، ان لم تدركوها بجماعتكم عجالا ، وتبادروا ركبانا ورجالا (١) ... » .

ولما بلغ هذا الكتاب امير المرابطين يوسف بن تاشفين كتب اليه يعده بالجواز والانجاد ، وارسال المدد والعتاد .

كذلك يؤكد صاحب الحلل الموشية أن المتوكل عمر بن الافطس كان قد وصلته قبل ذلك رسالة من الفونسو السادس يهدده فيها ويطالبه تسليم بلاده قبل سقوط طليطلة ٤٧٨هـ (١٠٨٥م) ، وقد رد عليه المتوكل ردا عنيفا ، وفند كل ما اثبته الفونسو فى رسالته من طعن للمسلمين ،وعلى اثر ذلك بادر المتوكل بمكاتبة امير المرابطين ، يوسف بن تاشفين (٢) ، بعكس ما يراه الاستاذ محمد عبد الله عنان الذى يذكر ان « الفونسو السادس بعد استيلائه على طليطلة فى صفر ٤٧٨هـ (١٠٨٥م) تصور أنه صار قادرا على تحدى دول الطوائف جميعا والقضاء عليها واحدة بعد الاخرى ، وكان من اثر ذلك ان ارسل الى المتوكل يطلب اليه تسليم بعض قلاعه وحصونه ، وان يؤدى له الجزية ويتوعده بشر العواقب اذا رفض ، ولم يك ثمة شك فى خطورة هذا الوعيد بعد ان سقطت طليطلة حصن الاندلس على نهر التاجة ، وعبر النصارى على هذا النهر لاول مرة ، ومع ذلك ابى المتوكل ان يستجيب الى الوعيد ، ورد على ملك

---

(١) ابن بسام الذخيرة ، القسم الثانى ، المجلد الثانى ، ص ٦٥٣ - ٦٥٥ ، الحلل الموشية لمؤلف مجهول ، ص ٣٥ .

(٢) الحلل الموشية ، ص ٣٦ . ويقول صاحب الحلل الموشية « وانه لما بلغ هذا الخطاب لامير المسلمين ، يوسف بن تاشفين ، كتب اليه يعده بالجواز والامداد على العدو . وقد كان المتوكل على الله بن الافطس وصله كتاب من عند عدو الاسلام المواجه الى بلاده ومن الجواب يفهم مقصده والجواب عليه » .

قشتالة برسالة قوية حازمة تفيض شجاعة وإباء ونبلاء (١) ... » .

ثم اورد الاستاذ عنان نص رسالة المتوكل كما اوردها صاحب الحلل ، ومما يسترعى الانتباه ان المصدر الرئيسى الذى اعتمد عليه الاستاذ عنان هو نفسه المصدر الذى اعتمدنا عليه فى اثبات ان رسالة الفونسو السادس الى عمر المتوكل ارسلت اليه قبل سقوط طليطلة عام ٤٧٨هـ (١٠٨٥م) وهو كتاب الحلل الموشية ، فقد اكد صاحبه بوضوح تام وصول الوفد الاندلسى الى يوسف بن تاشفين فى سنة ٤٧٤هـ (١٠٨١م) يدعوه الى مساعدة المسلمين فى الاندلس ، ويحثه على انقاذ الاسلام فى هذا البلد ، ثم ذكر المصدر فى نهاية هذا الخبر « وكان ممن كتب اليه بذلك المتوكل على الله بن الافطس » بمعنى ان رسالة المتوكل بن الافطس وصلت الى يوسف بن تاشفين قبل مجىء هذا الوفد الاندلسى عام ٤٧٤هـ (١٠٨١م) وبالتالى قبل سقوط طليطلة فى سنة ٤٧٨هـ ، ويضيف صاحب الحلل الموشية فى نهاية حديثه عن خطاب المتوكل هذا « وقد كان المتوكل على الله ابن الافطس وصله كتاب من عند عدو الاسلام المواجه الى بلاده » اى ان المتوكل كتب الى امير المرابطين اثر وصول رسالة الفونسو اليه ، وواضح ان كل هذه الحوادث وقعت قبل سقوط مدينة طليطلة فى سنة ٤٧٨هـ (١٠٨٥م) بدليل ان سطور الرسالة التى رد فيها ابن الافطس على الفونسو السادس لاتتضمن اية اشارة عن سقوط طليطلة ، وعلى هذا الاساس يتضح لنا ان الفونسو السادس كان يطمع فى مملكة بطليوس فى نفس الوقت الذى كان يفكر فيه فى الاستيلاء على طليطلة ، ولعله بادر بالاستيلاء على طليطلة بسبب الظروف السيئة والاحوال المضطربة التى كانت تعانيها مملكة بنى ذى النون فى تلك الآونة ، فقد كان القادر بالله قد فر الى وبذة ، ومنها الى قونكة اثر ثورة اهل طليطلة عليه فى عام ٤٧٢هـ (١٠٧٩م) مما أتاح الفرصة لالفونسو السادس للوثوب عليها ، ثم جاءت استعانة القادر

---

(١) محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص ٩٠ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بالله بن ذى النون به مبررا وذريعة لتحقيق أطماعه فى استعادة عاصمة عرش أجداده القدامى ، وكان الفادر بالله قد كتب اليه من وبذة «يذكره سالف عهده اذ كان قد اضطر الى اللحاق بابن ذنون جده ولجأ اليه لما غلبه اخواه على الملك، فأجاره الى ان عاد اليه أمره ، فلبى دعواه ، وسمع شكواه ، واقبل معه الى طليطلة ، وقد عاقده على أن يخلى بينه وبين المدينة اذا أبلغه أمله من دخولها ، فنازلها وشد حصارها الى أن بلغ الجهد من اهلها مبلغه ، وعجزوا عن الصبر ، وتبرأوا من المسكة ، واعذروا فى الدفاع ، الى أن أعيد حفيد ابن ذنون الى طليطلة على شروط للنصارى لايطاق حملها ، فدخلها والطاغية بين يديه يتبجح بيده عنده ، واستقر بها شر استقرار ، واقتضاه الطاغية الوعد ، وسلبه الله النصر والسعد ، وهلكت الذمم ، واستؤصلت الرحم ، ونفذ عقاب الله فى أهلها جاحدى الحقوق ، ومتعودى العقوق ، ومقيمى أسواق الشقاق والنفاق ، والمثل السائر فى الآفاق ، ولم تطل مدته شطر السنة حتى ملك الطاغية طليطلة » (١) .

ونستنتج من هذا النص التاريخى أن الفونسو السادس عندما شرع فى مساعدة القادر بالله صاحب طليطلة كانت قد اختمرت فى ذهنه فكرة استيلائه عليها قبل بطليوس ، اذ كانت مملكة طليطلة اكبر دويلات الطوائف مساحة ، واكثرها ثراء ، فكأنما أراد بمساعدته للقادر أن يتحكم فيه بعد ذلك ، ليتمكن عن طريقه من احتلال المملكة ، ويورد لنا الاستاذ عنان بعض الروايات القشتالية التى تشير صراحة الى أن القادر حينما استعان بالفونسو لاسترجاع طليطلة كان قد تعهد له بأن يحكمها باسمه ، وأن يسلمها له متى شاء ، فى مقابل أن يعاونه الفونسو فى الاستيلاء على بلنسية ليستقر بها (٢) .

وقد اغفل الاستاذ عنان نص ابن بسام الذى وضح فيه كل الوضوح

---

(١) ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ١٨١ .
(٢) محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص ١٠٩ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الاتفاق الذى تم بين القادر بالله وبين اذفونش بن فرذلند الذى «فغر فمه على ثغوره، فجعل لوقته يطويها طى السجل للكتاب ، وينهض فيها نهضة الشيب فى الشباب ، وابن ذى النون يلقمه افلاذ كبده ويرجمه بسبده ولبده ، واذفونش لعنه الله لايقنع منه بصيد العنقاء ولا بيض الانوق ، بل يكلفه بأحضار الابلق العقوق ، ويسومه درك الشمس ويطلبه برد امس . فلما اكل الانفاق شبح ماله ، واخذ الخناق بكظم احتياله، واحس العدو المشاق بذلك من حاله ، سما الى معاقله المنيعة ، وذرى املاكه الرفيعة ، عدد الانام ، ودروب الاسلام ، فما راهنه عنها عليه غلق ، وما رام اخذه من يديه لم يدركه حتى فرق » . ويضيف ابن بسام « واخذ ابن ذى النون اهل طليطلة لحين استقراره فيها بفك تلك المعاقل، واداء ما كان ضمن لاذفونش من الاموال الجلائل ، فضرب مدبرهم بمقبلهم ، وولى آخرهم كبر اولهم ، حتى طمع فقيرهم فى غنيهم ، واجترا ضعيفهم على قويهم .... ، وانكدر اذفونش على طليطلة ينتسف مرافقها ، ويقعد لجالية اهلها ثناياها ومضايقها ، يأسر ويقتل ، ويحرق ويمثل ، وسما السعر ، وتفاقم الامر ، وانكرت الموارد والمصادر ، وبلغت القلوب الحناجر » .

كانت خطة الفونسو مضايقة اهل طليطلة وارهابهم ، بهدف ارغامهم على تسليم بلدهم ، وكان قد اتفق مع القادر بالله ان يتخلى له القادر عنها فى الباطن بينما يوهم الناس فى الظاهر انه يؤدى له من الاموال ما يفى بما قدمه له من عون ليرغمهم فى النهاية على الاستسلام له . يقول ابن بسام « وكان عاقده ابن ذى النون انه اذا ضرح قذاها ، واماط اذاها ، واقتضى دينها ، خلى بينه وبينها ، هذا ما اضمر ، فأما الذى اظهر فانه وعده اداء جملة من المال لاتفى به مدة الاقبال ولا ارخاء الحال (١) ... » .

---

(١) ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الرابع ، المجلد الاول ، ص ١٦٢ ، ومايليها .

وهكذا وطن الفونسو العزم على البدء بطليطلة اذ لم يكن يهدف من وراء مساعدته لابن ذى النون سوى « عرصة الدار وام الاوطار » . وعلى هذا النحو اضطر اهل طليطلة الى ان يخلو بينه وبين بلدهم ، كل هذا يؤكد ان الفونسو كان يفكر طوال سنوات لاتقل عن اربع فى الاستيلاء على مملكة بنى ذى النون ، ومع ذلك فان هذا لاينفى وجود رغبة عارمة لديه للاستيلاء على مملكة بطليوس فى بداية امره بدليل اغاراته المتواصلة على بعض ثغورها (١) ، واستيلائه على قورية فى عام ٤٧٢هـ (١٠٧٩م) وعلى بعض المدن الهامة الاخرى فى مملكة بنى الافطس مثل شنترة (٢) .

ونستدل على راينا بدليل آخر ، هو احساس المتوكل عمر بن الافطس بالخطر المحدق به وبمملكته ، وعجزه عن رد هذا الخطر ، واستنجاده بامير المرابطين ، وذلك كله قبل سقوط مملكة طليطلة فى يد الفونسو السادس (٣) بنحو خمس سنوات ، ولذلك فقد كان المتوكل كما تؤكد الكثير من المصادر اول من استغاث بامير المرابطين (٤) ،ورسالته هذه التى اوردناها فى الصفحات السابقة ، كانت اول رسالة كتبها واحد من ملوك الطوائف فى الاندلس الى ابن تاشفين يستنجد به ، ويدعوه

---

(١) Albarran, El solar de los Aftasiés p. 272.

(٢) ابن الابار ، الحلة السيراء ، جـ٢ ، حاشية رقم ١ ، ص ٩٩ . وقد علق د. حسين مؤنس بهذه المناسبة بقوله ان الفونسو السادس قد استولى على قلمرية وشنتره وغيرها من البلاد حتى اصبح هدفه بطليوس نفسها ، والحقيقة ان الفونسو السادس لم يكن هو الذى استولى على قلمرية وانما استولى عليها فرناندو الاول فى عام ٤٥٦هـ (١٠٦٤م) كما سبق أن اوضحنا ، وكان ذلك فى عهد المظفر ابن الافطس وليس فى عهد ولده المتوكل عمر بن الافطس (فى سقوط قلمرية انظر ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ،ص ١٨٤ ؛ ابن عذارى ، البيان ، جـ١ ، ص ٢٥٣ ؛ محمد عبد الله عنان، دول الطوائف ، ص ٨٦) . «Abbarran, Op. Cit., P. 201.

(٣) الحلل الموشية ، ص ٣٣ .

(٤) ابن الابار ، الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص ٩٩ - الحلل الموشية ، ص ٣٣ .

الى الجواز الى الاندلس. ولو ان الفونسو كان يركز اطماعه في تلك الآونة تجاه طليطلة وحدها لكان اولى باميرها القادر ان يبادر بالاستصراخ بابن تاشفين ، وان كان من الصعب عليه ان يفعل لانه كان متواطئا مع الفونسو السادس طمعا في الاستقرار ببلنسيه ، ولو ان الفونسو كان يركز انظاره على طليطلة وحدها ، لكان اهل طليطلة قد بعثوا وفدا منهم الى امير المرابطين يستنجدون به (١) ، ولكن حتى لحظة رجوع القادر بالله الى مملكته طليطلة (٤٧٣هـ) (١٠٨٠م) كان الفونسو لايزال يضرب ذات اليمين وذات اليسار في مملكة بني الافطس ، وقد نجح في انتزاع قورية في سنة ٤٧٢هـ واستمر يهاجم اراضيها طوال ذلك العام وما يليه ، وارسل الى اميرها يهدده عسى ان يضعفه نفسيا ويرهبه ، ولكنه لم يجد من المتوكل الا كل اعتداد بنفسه ، وثقة في دينه ، واستهانة بتهديده له ، فلما يئس من محاولته معه لم يشأ ان يضيع فرصة الاستيلاء على مملكة طليطلة التي اصبح اميرها

---

(١) اكتفى اهل طليطلة باستصراخ ملوك الطوائف ، ولكن هؤلاء تقاعسوا عن انجادهم ، بل تراموا الى الفونسو ، ولاذوا له بالجزيات والهدايا والمال ، وتجرعوا من اهانات الفونسو لرسلهم الملح الاجاج ، ويعبر ابن بسام عن ذلك بقوله « وطفق اهل طليطلة يستصرخون من حولهم ، ويعملون في ذلك فعلهم وقولهم ، فيعكفون على طلل بائد ، ويضربون في حديد بارد ... » .
ولما مثل وفد اهل طليطلة امام الفونسو يطلبون منه ان يرحل عن بلادهم ، قال لهم : « الى متى تتخادعون ، وباى شيء تطمعون ؟ قالوا : بنا بغية ولنا في فلان وفلان امنية ، وسموا له بعض ملوك الطوائف ، فصفق بيديه وتهافت حتى فحص برجليه ، ثم قال : اين رسل ابن عباد ؟ فجيء بهم يرفلون في ثياب الخناعة ، وينبسون بالسنة السمع والطاعة ، فقال لهم : منذ كم تحومون على » ؟ وترومون الوصول الى ؟ ومتى عهدكم بفلان ، وابن ما جئتم به لا كنتم ولا كان ؟ فجاءوا بجملة ميرة ، واحضروا بين يديه كل ذخيرة خطيرة . ثم مازاد على ان ركل ذلك برجله ، وامر بانتهابه كله ، ولم يبق ملك من ملوك الطوائف الا احضر يومئذ رسله ، وكانت حاله حال من كان قبله ، وجعل اعلاجه يدفعون في ظهورهم ، واهل طليطلة يعجبون من ذل مقامهم ومصيرهم » ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الرابع ، المجلد الاول ، ص ١٦٦ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مطية له ، ودمية يحركها بين يديه ، لذلك حول انظاره شطر المملكة الطليطلية . واذا طالعنا تفاصيل سقوط مملكة طليطلة فى ايدى القشتاليين نحس لاول وهلة بتخاذل سائر ملوك الطوائف عن نجدة اهلها باستثناء المتوكل على الله بن الافطس ملك بطليوس فهو الملك الوحيد الذى حاول مساندة طليطلة فى محنتها . فالى جانب تشجيعه لقاضيه الجليل ابى الوليد الباجى قبيل سقوط طليطلة مباشرة ليطوف بمختلف ذويلات الطوائف مستهدفا استنهاض الهمم ، واثارة حماس هؤلاء الملوك الضعاف للجهاد ، والوقوف صفا واحدا امام هذا الملك الطاغية العاتى (١) ، فانه تقدم بكل شجاعة اثناء حصار الفونسو السادس لطليطلة لانجاد هذه المملكة المتهالكة ، وسير ابنه الفضل بن الافطس والى ماردة فى قوة كبيرة من حيرة قواته فى محاولة مستميتة لرد هذا العدو الغاشم عن طليطلة ، ورغم فشله فى ردهم لكثرتهم وتفوقهم عددا وعدة ، ورغم الخسائر الجسيمة التى لحقت به ، ورغم الاعداد الهائلة من جنده الذين استشهدوا فى ميدان القتال اثناء التحامهم بالعدو القشتالى فى معارك دامية ، رغم كل ذلك سجل التاريخ هذا الموقف البطولى لذلك الملك الافطسى الشجاع خاصة وان هذه المعونة العسكرية بطليطلة لم تكن المعونة الاولى ، وانما سبقتها مثلها عام ٤٧٠هـ (٢) (١٠٧٨م) .

واذا قارنا هذا الموقف البطولى لعمر المتوكل ملك بطليوس بالموقف المخزى الذى وقفه غيره من ملوك الطوائف فسنجد ان معظم ملوك الطوائف كانوا قد فقدوا الحمية والغيرة والحماس ، واصيبوا بحالة من الذعر واليأس ، الامر الذى جعلهم يبادرون بالخضوع لتهديدات الفونسو السادس ، ويوادعونه بالجزيات درءا لشره وحمابة لعروشهم ، فالمعتمد

---

(١) ابن الابار ، الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص ٩٨ .
(٢) ليفى بروفنسال ، الاسلام فى المغرب والاندلس ، ص ١٤٤ ، محمد عبد الله عنان دول الطوائف ، ص ١١٠ (ولا ادرى على اى مصدر اعتمد كل من ليفى والاستاذ عنان فى سوق هذا الخبر .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بن عباد ملك اشبيليه اهم واقوى دويلات الطوائف ، هذا الملك الشهير، تقاعس عن نجدة اهل طليطلة بل انه لم يتورع عن محالفة الفونسو السادس ضد طليطلة ، وهذا التحالف له جذور عميقة ترجع الى ايام والده المعتضد بالله بن عباد الذى لم يكن يتردد فى تقديم الجزية لفرناندو ملك قشتالة منذسنة ٤٥٥هـ (١٠٦٣م) (١) . وبعد وفاته قام ابنه المعتمد بتأدية نفس الجزية ، وكان يمثل الفونسو السادس الى المعتمد بن عباد لتسلم هذه الجزية الفارس الشهير رودريجو دياث دى بيفار الملقب بالسيد الكمبيادور او الكنبيطور كما تسميه المصادر العربية (٢) ، هذا

---

(١) محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص ٧٢ ، وراجع الملحق الاول .

(٢) السيد كنبيطور : اقترن اسم السيد الكنبيطور بمغامراته فى بلنسية وفتحه لها ، وحكمه لها اعواما قبل وفاته وهو يدافع عنها ضد المرابطين ويرجع السيد الى اصل قشتالى ، واسمه الحقيقى رودريجو دياث دى بيفار ولقبه El Cid ، وشهرته الكنبيطور اى المحارب . وقد ولد السيد فى برغش Burgos فيما يقرب من عام ٤٣٦هـ (١٠٤٣م) ، وما نعرفه عن حياته يختلط بين الحقيقة والروايات الاسطورية ، ويرتبط بدء ظهوره بالخلافات التى نشبت عقب وفاه فرناندو الاول ملك قشتالة وليون فى اواخر سنة ١٠٦٥م بين ابنائه ، ولم يتردد السيد انذاك فى الانضمام الى شانجة ، واشترك مع قوات حليفة احمد بن سليمان بن هود صاحب سرقسطة فى محاربة ردميره ملك ارغون ٤٦١هـ (١٠٦٨م) . وقد نال السيد مكانة كبيرة فى التاريخ القشتالى ، فهو بطل اسبانيا القومى ، وكان وقوف السيد فى بداية حياته الى جانب شانجة ضد الفونسو قد اثار حنق الفونسو السادس عليه ، فلم ينس له قط هذا الموقف ، وهذا الذى ادى الى ابعاده عن بلاطه وعن سائر اراضيه فى عام ٤٧٤هـ (١٠٨١م) . وهنا بدات الاساطير تحكى عن هذا الكنبيطور الذى خرج يجرى وراء رزقه دون وضع اى اعتبار للدين او القومية ، فكان يساند المسلمين تارة ، وتارة اخرى يساند الامراء النصارى . وقد وجد السيد مجالا له فى هذه الفترة من عصر الطوائف لانها كانت تمتلىء بالثورات والحروب التى وجد فيها الكمبيطور مجاله وحياته (لمزيد من التفاصيل عن السيد وعن علاقته بالمستعين صاحب سرقسطة وعن استيلائه على بلنسية انظر ابن عذارى ، البيان ، جـ٤ ، ص ٣١ - ٤١ ابن بسام، الذخيرة ، قسم ٣ ، مجلد ١ ، ص ٩٥ . =

الى جانب ان صداقة شخصية كبيرة كانت تجمع بين المعتمد والفونسو بعد ان دافع هذا الملك عنه ضد اعتداءات ملك غرناطة على اراضى اشبيلية .

ويورد الاستاذ محمد عبد الله عنان بعض الروايات القشتالية التى تشير الى رحلة ابن عمار (١) وزير المعتمد ابن عباد الى ليون حيث تفاوض على مقدار الجزية وما سوف يتم انفاقه ، وانتهى الاتفاق

= Menendez - Pidal, la España del Cid, 2 vols. Madrid, 1947 - Huici Miranda, Historia musulmana de Valencia y su region, t. II, Valencia, 1970.

ليفى بروفنسال : الاسلام فى المغرب والاندلس ، ترجمة د. السيد عبد العزيز سالم ، القاهرة ١٩٥٨ ، محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص ٢٣١ — ٢٥٣) .

(١) **ابن عمار** : هو ابو بكر محمد بن عمار الحسين بن عمار المهرى أصله من قرية شنبوش من ارباض شلب ،ولد عام ٤٢٢هـ(١٠٣١م) من اسرة بسيطة متواضعة ، ودرس فى قرطبة على يد اعظم شيوخها ونبغ فى الشعر والادب ، ثم انتقل الى اشبيلية أيام المعتضد بن عباد ، ثم مدح المعتضد ، فجعله من بين شعرائه وأمنائه ثم اتصل ابن عمار بالمعتمد بن عباد ، وكان ايامها حاكما لشلب ، وتوثقت أواصر المحبة بينهما ، وحين اصبح المعتمد ملكا على اشبلية أصبح وزيره واثيره بل وسفيره فى سفاراته الهامة لملوك النصارى . ثم تزوج المعتمد بن عباد من السيدة اعتماد الرميكية التى اخذت تدس له الدسائس ، وقد غدرت به هذه السيدة حين اثارت عليه زوجها المعتمد خاصة وانه نسبت اليه مجموعة من الابيات هجا فيها المعتمد وزوجته الرميكية ومن الابيات التى هجا فيها الرميكية :

تخيرتها من بنات الهجين رميكية ما تساوى عقالا
فجاءت بكل قصير العذار ليتم النجادين عمسا وخالا
قصار القدود ولكنهم اقاموا عليها قرونا طوالا

وكان ابن عمار قد حاول ان يستقل بمرسية بعد ان استردها لحساب سيده مما اغضب المعتمد عليه ، وزادت هذه الابيات من غضبه ، وكانت كل من اعتماد الرميكية والشاعر ابن زيدون يحيكان له المؤامرات التى انتهت بمقتل ابن عمار بيد سيده المعتمد بن عباد لتكون مأساة ذلك العصر وتلك المملكة (انظر ابن خاقان ، قلائد العقيان ، ص ٩٨ ، ابن عبد الواحد المراكشى ، المعجب ، ص ٦٧ — ٦٨ ، ابن الخطيب اعمال الاعلام ، ص ١٨١ ، محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص ٦٤ — ٦٩)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على ان يساعد الفونسو السادس ملك قشتالة المعتمد بن عباد فى كافة حروبه ضد اى عدو له من ملوك الطوائف المسلمين فى مقابل الجزية السنوية التى يؤديها له ابن عباد ، هذا الى جانب تسليم جبل الشارات (سيرامورينا) لالفونسو وزواجه من زايدة (١) كنة المعتمد بن عباد، ولكن الامور لم تتم وفقا لما كان يشتهيه المعتمد بن عباد ، ففى عام ٤٧٥هـ (١٠٨٢م) ارسل الفونسو السادس سفارته المعتادة الى المعتمد لتلقى الجزية السنوية ، فوصل اليه رسول الفونسو ومعه اليهودى ابن شالب ، فقد كان الفونسو قد اقصى السيد الكنبيطور ونفاه من بلاده ونزل الوفد القشتالى خارج اشبيلية ، فسير اليهم المعتمد المال المعلوم مع بعض اشياخ اشبيلية واعيانها من بينهم الوزير ابو بكر ابن زيدون ، فلما قدموا له المال العين والسبائك ، رفض اليهودى ان يتسلمها ربما لانه ظن انها من عيار اقل من المتفق عليه ، واصر الا يتلقى من الذهب الا مكان مضجرا اى خالصا ، ويبدو انه تلفظ بالفاظ مهينة للمسلمين ، فبلغ ذلك المعتمد فغضب غضبا شديدا ، وارسل نفرا من عبيده وبعض جنده وامرهم ان يقتلوا اليهودى ابن شالب ويأسروا من كان برفقته

---

(١) زايدة المسلمة : تشير جميع الروايات الاسبانية النصرانية الى ان زايدة المسلمة هذه هى ابنة المعتمد بن عباد التى قدمها لالفونسو السادس مع الجزية لتكون حظية له وان هذه الابنة كانت بارعة الجمال ، ولذلك فقد كانت من مغريات تحالف ابن عباد مع الفونسو ، وقد قام الاستاذ محمد عبد الله عنان بمناقشة هذه القضية واثبت اعتمادا على نصين احدهما لابن عذارى والآخر للونشريشى ان زائدة كانت زوجة للفتح بن المعتمد الملقب بالمامون الذى كان حاكما لقرطبة ، مؤيدا بذلك راى ليفى بروفنسال الذى نسره فى سنة ١٩٣٤ وحين هاجم المرابطون المدينة هربت زايدة تأولادها بعد ان رات زوجها يقتل امام عينيها ، فكرهت المرابطين ولجأت حينئذ الى بلاط الملك الفونسو السادس حيث تنصرت وتسمت بايزابيل فتزوجها الملك ، وماتت اثناء ولادتها لشانجة ابنها وولى عهد قشتالة الذى سيقتل فى واقعة اقليش (٥٠١هـ / ١١٠٨م) (ليفى بروفنسال ، الاسلام فى المغرب والاندلس ، ص ١٥١ - ١٦٤ ، محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص ٣٤٥ - ٣٤٩) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من النصارى (١) ، فكان ذلك الحادث سببا فى فساد الصلح بين المعتمد وبين الفونسو (٢) ، فقد اقسم ايمانا مغلظة على الانتقام من ابن عباد ، فحشد لذلك جيشا كثيفا من الجلالقة والقشتاليين والبكشنس اجتاح مملكة ابن عباد ، وعاث فسادا فى احواز باجة ولبلة ، اما هو فقد هاجم شرف اشبيلية واخذ يدمر ويحرق ويخرب كل ما كان فى طريقه ، ولم يتردد فى حصار اشبيلية ذاتها لمدة ثلاثة ايام ، مخربا ما حولها والمدن التى تقع فى نواحيها ، وهنا تبين لابن عباد مدى الخطأ الذى وقع فيه بتحالفه مع الفونسو على رفاقه ملوك الطوائف ، وادرك المصير السيء الذى ينتظره وينتظر الاسلام فى الاندلس ، وربما كان ذلك سببا فى مبادرته بالاتصال بيوسف بن تاشفين والاستنصار به عليه . وجاء سقوط طليطلة فى يد الفونسو السادس نذيرا لملوك الطوائف ، فتوالت رسلهم على ابن تاشفين يلتمسون منه العون والانجاد ، فوعدهم بالنصرة وارجأ تسيير قواته حتى ينتهى تماما من برغواطة .

اما الفونسو فقد أسكره استيلاؤه على طليطلة ، فعربد فى اراضى الاسلام ، وراح يهدد ملوك المسلمين الواحد بعد الآخر ، فكتب الى المعتمد ابن عباد رسالة يطالبه فيها بتسليم أعماله ، ويحذره من مخالفته له ،

---

(١) الحلل الموشية ، ص ٤٢ .

(٢) يعلل الحميرى سبب توتر العلاقات بين المعتمد والفونسو بأن المعتمد اشتغل عن أداء الاتاوة التى اعتاد أداءها فى فترة معينة من السنة الى الفونسو بغزو ابن صمادح صاحب المرية ، فتأخر عن ادائها فى وقتها ، فاستشاط الفونسو غضبا وتشطط ، فطلب بعض الحصون زيادة على الاتاوة « وامعن فى التجنى فسال فى دخول امرأته القمطيجة الى جامع قرطبة لتلد فيه من حمل كان بها حيث اشار اليه بذلك القسيسون والاساقفة لمكان كنيسة كانت فى الجانب الغربى منه معظمه عندهم ، عمل المسلمون عليها الجامع الاعظم وسفر بذلك بينهما يهودى وكان وزيرا لابن فرذلند .. فأغلظ له اليهودى فى القول وشافهه بما لم يحتمله ، فأخذ ابن عباد محبرة كانت بين يديه ، فأنزلها على راس اليهودى فألقى دماغه فى حلقه ، وأمر به فصلب منكوسا بقرطبة » .
(الحميرى ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ٨٤) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويضرب له المثل بما حدث فى طليطلة ، ورد عليه المعتمد ردا قويا فند فيه اقوال الفونسو ، وسخر فيه من تهديداته ، والظاهر ان المعتمد لم يكن ليستطيع الرد على الفونسو بمثل هذه القوة لو لم يكن واثقا كل الثقة فى العون الخارجى الممثل فى دولة المرابطين فى المغرب ، وكان قد كتب الى يوسف بن تاشفين رسالة فى غرة جمادى الاولى سنة ٤٧٨هـ يستصرخه فيها على الفونسو ويدعوه الى الجواز الى الاندلس للجهاد واحياء شريعة الاسلام ، ثم اعقب ذلك بزيارة سريعة الى المغرب بعد ان استوثق من صدق نوايا ابن تاشفين فى مساعدته (١) ، ولهذا فاننى اعتقد انه وجه رسالته الى الفونسو بعد زيارته لابن تاشفين ووثوقه من نصرته له .

ولما بلغ الفونسو اعتزام يوسف بن تاشفين الجواز الى الاندلس لنصرة ملوك الطوائف ، وتبين له تجرؤ المعتمد بن عباد والمتوكل بن الافطس عليه بعث من بلدة طريف رسالة الى يوسف بن تاشفين يتحداه فيها ، وجاء فيها « فلا خفاء على ذى عينين انك امير المسلمين ، بل الملة المسلمة كما انا امير الملة النصرانية ، ولم يخف عليك ما عليه رؤساكم بالاندلس من التخاذل والتواكل ، والاهمال للرعية ، والاخلاد الى الراحة وانا اسومهم الخسف فاخرب الديار ، واهتك الاستار ، واقتل الشبان ، واأسر الولدان (٢) ... » .

وطلب من يوسف بن تاشفين اما ان يجوز الى الاندلس ليقاتله ، واما ان يرسل اليه المراكب ليجوز هو اليه ، فان غلبه ابن تاشفين كان له ملك المغرب والاندلس ، وان انتصر الفونسو عليه ، فان ذلك يكفل للفونسو الانفراد بحكم الاندلس ، فلما وصل كتاب الفونسو الى ابن تاشفين اكتفى بأن كتب على ظهر الرسالة « من امير المسلمين يوسف

---

(١) ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ٤٥ ، المغرب الكبير ، ص ٧٢١ .

(٢) الحلل الموشية ، لمؤلف مجهول ، ص ٤١ — ٤٤ .

ابن تاشفين الى اذفونش ، أما بعد ، فان الجواب ما تراه بعينك لا ما تسمعه بأذنك والسلام على من اتبع الهدى» . ثم سجل بيت ابى الطيب المتنبى :

ولا الكتب الا المشرفية والقنا ولا رسل الا الخميس العرمرم (١)

وعلى الرغم من ان نص الرسالة يوحى بالتلفيق ، الا أن ليفى بروفنسال وغرسية غومث واوليفر أسين نشروا رسالة كتبها يوسف بن تاشفين الى الناصر تميم بن المعز بن باديس يذكر فيها هزيمته لالفونسو السادس بالزلاقة تتضمن هذه الحقيقة (٢) .

وعلى أية حال لقد سبق ابن الافطس المعتمد فى مكاتبة يوسف ابن تاشفين سنة ٤٧٤هـ اى قبل سقوط طليطلة بثمان سنوات ، ويتمثل ذلك فى الرسالة التى نسخها له ابن أيمن (٣) . بل ان المتوكل عمر بن الافطس لم يكتف برسالة واحدة فقد سبقت تلك الرسالة التى جئنا بنصها رسالتين اخريين من نسخ ابن أيمن ،كذلك يقول عنها ابن بسام «لما اشتد كلب الروم بهذا الاقليم على ما تقتضيه شهادة المنثور والمنظوم بلسان من اندرج ذكره فى هذا الديوان من كل زعيم استضرخ ملوك الطوائف بافقنا امير المسلمين ، وناصر الدين ابا يعقوب يوسف بن تاشفين ، رحمة الله ، وقد القوا بايديهم ، فكتب ابو عبد الله بهذه الرسالة عن صاحبه ، واراها كانت ثالثة المفاتحة او ثانية المداخلة» (٤) .

وما كاد ابن عباد يعود الى حاضرته عقب زيارته لابن تاشفين (٥)

---

(١) ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ٢٤٠ ، الحلل ، ص ٤٣ .

(٢) Lévi - Provençal, Garcia Gomez, Oliver Asin, Novedades sobre la batalla llamada al - Zallaaa, al - Andalus, Vol. XV, 1950, P. 112.
وراجع السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ص ٧٢٣

(٣) ابن بسام ، الذخيرة ، جـ٢ ، المجلد الثانى ، ص ٦٥٣

(٤) المصدر السابق ، ص ٦٥٣

(٥) النويرى ، نهاية الارب ، جـ٢٢ ، لوحة ٥٤ .

حتى اخذ يتاهب للمعركة المقبلة . ، ويعلق ابن الكردبوس على تلك الاحداث بقوله : « ولما تيقن كل من بثار وراس ، ولاسيما رؤساء غرب الاندلس كابن عباد وابن الافطس مذهب الفنش فيهم ، وانه لا يقنع منهم بجزية ولاهدية ، راوا ان الرجوع الى الحق احق ، فاستصرخوا بالمرابطين ، واستنصروا بامير المسلمين يوسف بن تاشفين على ان ينخرطوا فى سلكه ويدخلوا تحت ملكه ، وفتحوا له بابا الى الجهاد كانوا قد سدوه ، فاجابهم الى ما رغبوه ، ولم يخالفهم فيما طلبوه ، اذ كان راغبا فى جهاد المشركين ، والذب عن حريم المسلمين ، فاستيقظ طلب النصر من منامه ، وتطلع بدر التاييد من خلال غمامه » (١) .

واول من فكر جديا فى الاستعانة بقوى المرابطين الامير تميم بن بلقين ، امير مالقة ضد اخيه الامير عبد الله صاحب غرناطة (٢) . ولكن هذا الهدف الذي من اجله اراد تميم الاستنجاد بالمرابطين لم يكن بقصد الجهاد والذب عن الاسلام فى حين يعتبر المتوكل بن الافطس اول من فكر من ملوك الطوائف فى الاستعانة بالمرابطين ضد قوى المسيحية فى اسبانيا ، وتبعه فى ذلك المعتمد بن عباد ، ومما لاشك فيه ان المعتمد ابن عباد باعتباره اعظم ملوك الطوائف قدرا واشدهم بأسا واكثرهم هيبة ، تحمس تحمسا شديدا لفكرة الاستعانة بالمرابطين ، ولم يلبث ان تزعمها بعد ان وجد تجاوبا من جاريه المتوكل على الله صاحب مملكة بطليوس والامير عبد الله بن بلقين صاحب مملكة غرناطة ، وعمد بالاتفاق مع صاحبيه الى تحريك كل من القليعى قاضى غرناطة وابى اسحق بن مقانا قاضى بطليوس الى الاجتماع بابى بكر عبيد الله بن ادهم قاضى قرطبة فى مقره باشبيلية (٣) . وتم الاجتماع بحضور الوزير ابن زيدون ، وفيه تقرر ارسال سفارة مشتركة منهم الى يوسف بن

---

(١) ابن الكردبوس ، نصان جديدان ، ص ٨٩ — ٩٠
(٢) مذكرات الامير عبد الله الزيرى ، ص ١٠٢ — ١٠٦
(٣) ابن الابار ، الحلة السراء ، جـ٢ ، ص ٩٨ ، ٩٩ — الحميرى ، الروض المعطار ، ص ٨٣

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تاشفين ، وكان ذلك أول احتكاك على المستوى الرسمى بين ملوك الطوائف وبين أمير المرابطين ، ثم أعقبت ذلك زيارة المعتمد بن عباد ليوسف بن تاشفين فى المغرب (١) ، وتنازله له عن الجزيرة الخضراء للمجاز الى الاندلس ، وقد رسخت هذه الزيارة الصلات بين ملوك الطوائف يمثلهم ابن عباد وبين يوسف بن تاشفين .

---

(١) ذكر ابن الابار أن المعتمد بن عباد عبر البحر بنفسه مع جماعة من الزعماء للالتقاء بيوسف بن تاشفين ، وتأييدا لهذا الخبر يذكر ابن الابار أن أبا عبيد الله البكرى الجغرافى الشاعر قال فى المعتمد بعض الاشعار عند اجازته البحر مستجيرا بابن تاشفين . (ابن الابار ، الحلة السيراء ، ج٢ ، ص ١٨٦) .

(٥)

هزيمة الفونسو السادس فى الزلاقة من ارض بطليـوس

١ ـ مقـدمات المعركـة :

اشرنا فيما سبق الى ان ابن عباد تبين له بعـد طـول محالفته لالفونسو السادس ان هذا الملك المسيحى كان يتخذ من تحالفه معـه قناعا زائفا يخفى حقيقة نواياه فى انتزاع اراضى المسلمين ، وتوحيد اسبانيا تحت لوائه ، فقد اخذ يحقق اهدافه بعيدة المدى ، الهدف بعد الآخر ، فبعد ان جرد مملكة ابن ذى النون من حصونها المانعة ، انفرد بطليطلة نفسها واستولى عليها ، وبدأ ينفذ نفس السياسة مع المعتمد ابن عباد ، الذى تنبه بعد غفلته الى حقيقة ما يسعى اليـه الفونسو السادس ، وآثر ان يكون تابعا لامير مسلم ، وان كان بدويا جلفا على ملك مسيحى (١) .

وكان ذلك بداية لاتصالاته المكثفة بابن تاشفين على النحو الذى اشرنا اليه (٢) ،وهى اتصالات انتهت بعزم ابن تاشفين على الجـواز

---

(١) يذكر الامير عبد الله الزيرى أن « الفونش » سأل المعتمد وكـان قد عقد معه محالفات كثيرة ان يتخلى له عن معاقل « كان الموت عنده اولى من اعطائها ، فوجست نفسه منه بالجملة ورام كسره بطوائف المرابطين » (ص ١٠٢)

(٢) بدأت هذه الاتصالات بمكاتبات وانتهت فى اواخر عـام ٤٧٨هـ (١٠٨٥م) بزيارة قام بها المعتمد الى ابن تاشفين قيل فى موضع من طنجة يعرف ببليطة على بعد ثلاثة مراحل من سبتة (ابن ابى زرع ، روض القرطاس ، ص ٩٣) . ويذكر ابن الخطيب أن المعتمد جاز اليه فى سنة ٤٧٨هـ (١٠٨٥م) بأسطـول الاندلس جوازا فخما ، واختار لمصاحبته فى سفره الخواص والاعيان بعد أن استخلف على اشبيلية ولده الرشيد (ابن الخطيب ، اعمـال الاعلام ، ص ٢٤٦) ويجعل المراكشى تاريخ هذه الزيارة فى سنة ٤٧٩هـ (١٠٨٦م) (عبد الواحد المراكشى ، المعجب ،ص٣) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الى الاندلس بعد أن خصص المعتمد لقواته مدينة الجزيرة الخضراء (١) لتكون قاعدة لهم ، فنزلتها قوة من الفرسان بقيادة داود بن عائشة .

ولما اطمئن ابن تاشفين الى صدق نوايا المعتمد تجاهه ، اذكان يخشى ان يكون متفقا مع حليفه الفونسو السادس على كسره (٢) ، امر قواته بالعبور الى الاندلس ،فعبرت أعداد لاتعدولاتحصى الى الجزيرة الخضراء. ويسوق ابن ابى زرع رواية عن عبور ابن تاشفين الى الاندلس جاء فيها: « فلما كمل جواز الجيوش واستوفت عساكر المجاهدين بساحل الخضراء جاز هو فى اثرهم فىجيش عظيم من قواد المرابطين ،وانجادهم وصلحائهم، فلما ركب السفينة واستقر على ظهرها رفع يديه ودعا الله تعالى وقال فى دعائه « اللهم ان كنت تعلم ان فى جوازى هذا خيرا وصلاحا للمسلمين فسهل على جواز هذا البحر ، وان كان غير ذلك فصعبه على حتى لا اجوزه ، فسهل الله عليه الجواز فى أسرع ما يكون ، فكان يوم الخميس عند الزوال بنصف ربيع الاول المبارك سنة تسع وسبعين واربعمائه (٣)، ونزل بالخضراء فصلى بها صلاة الظهر من يومه ذلك ، فالتقاه بها المعتمد فى جميع أمراء الاندلس (٤) ... » .

ثم بدأ فى تحصين الجزيرة الخضراء واصلاح أسوارها وابراجها قبل ان يمضى فى حشوده الى اشبيليه (٥) .

وفى تلك الاثناء كان الفونسو السادس يحاصر سرقسطة ، فلما علم بجواز امير المرابطين الى الاندلس « أسقط فى يده وانحلت عزائمه (٦) .. » .

---

(١) عبد الله الزيرى ، التبيان ، ص ١٠٢ ، وما يليها .
(٢) المصدر السابق ، ص ١٠٢ ، ص ١٠٣
(٣) الموافق ٣٠ يونيو ١٠٨٦ م
(٤) ابن ابى زرع ، روض القرطاس ، ص ٩٣
(٥) الحلل الموشية ، ص ٥١ .
(٦) ابن ابى زرع ، روض القرطاس ، ص ٩٤

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكان الفونسو قد عزم عزما صادقا على الاستيلاء على سرقسطة بعد أن سقطت طليطلة فى قبضته ، فبادر باحكام الحصار حولها فى صفر سنة ٤٧٨هـ (مايو ١٠٨٥م) ، واقسم الا يرفع حصاره عنها حتى تسقط فى يده او يهلك دونها (١) . وكان صاحب سرقسطة انذاك هو أحمد المستعين (٢) بن هود ، الذى سرعان ما ادرك مدى خطورة

---

(١) ابن الكردبوس ، تاريخ الاندلس ، تحقيق د. مختار العبادى ، ص ٩١ .

R. Menendez - Pidal, La España del Cid, t. I, P. 300 - A. Huici Miranda, la invasion de los Almorávides y la batalla de zallaca, Hespéris, t. XL, Paris, 1953, P. 32.

(٢) احمد المستعين بالله بن هود ، هو ولد يوسف المؤتمن بن هود ويعرف بالمستعين الاصغر ، وشهد فى بداية عهده (٤٧٨هـ / ١٠٨٥م) هجوم الفونسو السادس على سرقسطة وحصاره لها ، وما كاد يتخلص من مشكلة الحصار الفشتالى عند نزول المرابطين الاندلس حتى زج نفسه فى سلسلة من المغامرات للظفر ببلنسية ، كلفته التحالف تارة مع « السيد الكمبيطور » وتارة مع برنجير كونت برشلونة ، ولم تسفر هذه المغامرات الا عن فشل ذريع لخططه ، اذ تمكن السيد الكمبيطور من السيطرة على بلنسية . ثم تعرضت سرقسطة فى عهده ايضا لاطماع شانجة راميرث ملك ارغون الذى استولى على منتشون فى ٤٨١هـ (١٠٨٩م) واقام امام وشقة ثانية قواعد مملكة بنى هود حصنا منيعا تمهيدا للاستيلاء عليها ، ثم حاصرها شانجة راميرث ٤٨٧ هـ (١٠٩٤م) ، وتابع بطره الاول ولده حصار وشقة التى سقطت بعد معركة طويلة عرفت بالكرازة ، دارت بين جيوش المستعين تؤيده قوات الفونسو السادس وبين بطره الاول فى أواخر ذى القعدة سنة ٤٨٩هـ (١٠٩٥هـ) وانتهت بهزيمة المسلمين ومقتل قائد قوات الفونسو السادس وسقوط وشقة فى أيدى نصارى ارغون ، واصبحت عاصمة لهم .

وكان المستعين بالله اثناء الحصار قد ارسل الى يوسف بن تاشفين امير المرابطين يستنجد به ، فاستقبل ابن تاشفين رسوله استقبالا حسنا ، ورد على المستعين ردا طيبا . واستشهد المستعين فى رجب سنة ٥٠٣هـ (يناير سنة ١١١٠ م) فى معركة دارت بينه وبين الفونسو المحارب (ابن ردمير) ملك ارغون بالقرب من حصن ارنيط (انظر ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ١٧٣ ، الحلل الموشية ، ص ٦٩ — ٧٠ ، ابن خلدون ، العبر ، المجلد الرابع ، ص ٣٥٢

Menendez - Pidal, la España del Cid, t. I, P. 301.

محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص ٢٨٩) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الموقف، فبذل قصارى جهده للتصدى لهجوم الفونسو ورد عدوانه ، كما عرض عليه اموالا طائلة عسى أن يقبلها لقاء فك حصاره عن سرقسطة ورحيله عنها ، ولكن الفونسو ، وكان مصمما على انتزاع المدينة عنوة من يد بنى هود ، رفض أن يرفع الحصار ، وأصر على أن يستولى عليها مع الاموال المقدمة (١) ، وبدأ يشيع انه فى حالة سقوط سرقسطة فى يده فسوف يحكم بالعدل بين ابنائها ، ووعد اهلها بانه لن يفرض عليهم من الضرائب الا ما جاءت به شريعة المسلمين (٢) .

وظل الفونسو يحكم الحصار على سرقسطة الى أن وصلته الانباء بقدوم المرابطين ، فحاول حينئذ خداع المستعين ظنا منه أن المستعين لم يكن على علم بجواز ابن تاشفين ، فبعث اليه من يبلغه باستعداده لقبول الجزية التى سبق أن عرضها امير سرقسطة ، ولكن المستعين بن هود ، وكان قد اطمأن جانبه بقرب مجىء اللمتونيين ، ابى ان يدفع اليه درهما خشية أن يتقوى به ويستعين (٣) ، وعندئذ اضطر الفونسو الى رفع الحصار عن سرقسطة ،وقفل عائدا الى بلاده لمواجهة خطر المرابطين الداهم ، فبعث الى ابن ردمير (الفونسو المحارب) Sancho Ramirez والى البرهانس Alvar Hañez ، وكان ابن ردمير يحاصر مدينة طرطوشة ، اما البرهاس فكان يحاصر بلنسية ،فبادرا بموافاته بجيوشهما ، ولحقا به ، وكذلك بعث الى بلد قشتالة Castilla وجليقية Galicia وبيونة Bayona ، فأتته من قوات الروم حشود لاتحصى ، فلما

---

(١) Huici Miranda, op. cit. P. 33.

(٢) ذكر ابن الكردبوس ان الفنش « جعل لكل من دان له من الاسلام البر والرعاية واخذ نفسه بالعدل فيهم والامان ، والرفق فى اليسر والاعلان ، ووعدهم الا يلزمهم غير ما توجبه السنة الاسلامية ، وانه يحملهم فى سائر ذلك على الحرية . وقد كان قد تحقق انه فرق على ضعفاء اهل طليطلة مائة الف دينار ليستعينوا بها على الزراعة والاعتمار ، فاستدل اهل طليطلة على صدق مقاله ، وتحقق فعاله » (انظر ابن الكردبوس ، تاريخ الاندلس ، ص ٩١) .

(٣) ابن الكردبوس ، نفس المصدر ، ص ٩٢ . وانظر
Menendez - Pidal, op. cit. P. 331.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تجمعت لديه هذه القوى شرع فى التحرك للقاء يوسف بن تاشفين وجيوش المسلمين (١) .

وذكر الحميرى انه استنفر جميع اهل بلاده وما يليها وما وراءها، فاجتمع له من الجلالقة والافرنجة وما يليهم مالا يحصى عدده (٢) .

ولا نشك فى ان المعركة التى كان يقودها الفونسو السادس ومن تابش اليه من الجلالقة والافرنجة والرومية ، كانت حربا صليبية واضحة المعالم فقد كان الفونسو قد دعا قومه وجيرانه من الافرنجة الى هذه المعركة ، ويذكر الحميرى أن القسيسيين والرهبان والاساقفة شاركوا فى المعركة، «ورفعوا صلبانهم ونشروا اناجيلهم» (٣) ، فالمعركة كانت معركة مصير بين بقاء الاسلام فى الاندلس او انتصار كفة المسيحية .

ويذكر الحميرى ان المعتمد بن عباد اوفد ولده عبد الله لاستقبال يوسف بن تاشفين عند جوازه الى الجزيرة الخضراء ، واستقبل اهل الجزيرة المرابطين استقبالا حافلا ، فاقاموا لهم الاسمطة ، وزودوهم

---

(١) ابن الكردبوس ، ص ٩٢ ، ابن ابى زرع ، روض القرطاس ، ص ٩٤ ، عبد الواحد المراكشى ، المعجب ، ص ١٣٢ ،
Huici Miranda, op. cit. P. 35.
وتبالغ مدونة لوزيتانو المسيحية فى ذكر من توافد من الممالك المسيحية الى الفونسو السادس، فتذكر انه تقاطرت عليه سيول من الفرنجة ومن بلاد الالب
«Ubi unanimites convenerunt cum rege nostro christiani a partibus Alpes, multique Francorum in adjutorium ei affuerunt» انظر
Franc. Henrique Florez, España sagrada, t XIV, chronicon lustanum, P. 405, AEra 1125.
وراجع Menendez - pidal, la España del Cid, t. I, P. 331.
وعن وفود القوات الافرنجية (الفرنسيين) يذكر الفونسو العاشر انه انضم الى قوات الفونسو قوة كبيرة من الفرنسيين
Primera Crónica general de España, P. 577

(٢) الحميرى ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ٨٨
(٣) الحميرى ، المصدر السابق ، ص ٨٨

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بالاقوات والضيافات (١) .

وفى تلك الاثناء ، كان يوسف بن تاشفين قد انتهى من تحصين الجزيرة الخضراء (٢) ، وبدات جشوده تتجه نحو اشبيلية قوة بعد قوة.ويذكر المؤرخون أن ابن عباد تلقاه على مقربة من اشبيلية على بعد مرحلة من الجزيرة فى مائة فارس (٣) ووجوه اهل رجاله ، فالتقيا منفردين ، وتصافحا وتعانقا فى محبة واخاء . ويصف صاحب الحلل الموشية مادار بينهما فى هذا اللقاء بقوله « فسلم عليه ، وهم ابن عباد بتقبيل يديه » ، فبادر لمعانقته وسأله عن حاله وانبسط معه فى الحديث ، وهنأه ابن عباد بالسلامة ، ولحقت ضيافات ابن عباد ، فعمت جميع المحلة على حال كبرها (٤) .... « ثم ركب ابن عباد واستعرض العساكر اللمتونية وأخذ يدور بمحلتها ، فألفى أمامه جندا أقوياء ، تتفجر فى وجوههم الحمية والحماسة ، فاطمأن قلبه ، وهدأت نفسه ، وأيقن بنصر من الله قريب ، وحمد الله وسجد له » ، وعفر وجهه فى التراب تواضعا لله سبحانه وتعالى (٥) .

وبعد هذا اللقاء العاطفى عاد يوسف الى محلته ، وعاد ابن عباد الى معسكره ، فبات الجميع تلك الليلة ، وفى اليوم التالى ارتحلوا جميعا الى اشبيلية ، وهناك اقاموا ثلاثة أيام انتقلوا بعدها الى بطليوس (٦) .

---

(١) الحميرى ، نفس المصدر ، ص ٨٧ .
(٢) الحلل الموشية ، ص ٥١ ، يقول صاحب الحلل الموشية بهذا الصدد « ولما احتل يوسف بن تاشفين بالجزيرة شرع فى بناء أسوارها ، ورم ماتشعث من ابراجها ، وحفر الحفير عليها ، وشحنها بالاطعمة والاسلحة ، ورتب فيها عسكرا انتقاه من نخبة رجاله ».
(٣) الحميرى ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ٨٧ ، الحلل الموشية ، ص ٥١ .
(٤) الحلل الموشية ، ص ٥١ وما يليها .
(٥) المصدر السابق ، ص ٥٢ .
(٦) نفس المرجع ، ص ٥١ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكان ابن تاشفين أثناء اقامته فى اشبيلية ، قد أرسل الى جميع ملوك الطوائف بالاندلس (١) ، يستنفرهم للجهاد ويدعوهم لقتال العدو ، فبادر جميعهم بالاستجابة لدعوته ، واخرجوا مالديهم ، واقبلوا من كل صقع من اصقاع الاندلس صابرين ومجاهدين (٢) ، باستثناء المعتصم بالله ابو يحيى محمد بن معن بن صمادح ، صاحب المرية الذى اعتذر بضعفه وكبر سنه وانشغاله بحصار العدو لحصن لبيط (٣) ، ولكنه كان فى حقيقة الامر متخوفا من نوايا المرابطين ، وكان يشك فى انتصارهم على الفونسو السادس « فبقى متربصا ليرى كيفية الامر ، ومخرجه مع الروم » (٤) ، واكتفى بارسال ابنه معز الدولة ليعتذر عن غياب أبيه ..

ويتفق صاحب الحلل الموشية ، والامير عبد الله الزيرى على موقف ابن صمادح المتخاذل تجاه يوسف بن تاشفين ، وان كان ابن ابى زرع وهو مشكوك فى روايته قد أورد فى روض القرطاس نصا يفهم منه أن ابن صمادح صاحب المرية قد خرج بنفسه للقتال مع المرابطين ، فيذكر أسماء من شارك فى موقعة الزلاقة من ملوك الطوائف مع ابن تاشفين فيقول : « وتقدم ايضا المعتمد بن عباد امام ابن عائشة مع امراء الاندلس وجيوشهم ، منهم ابن صمادح صاحب المرية ، وابن حبوس (٥) صاحب

---

(١) عبد الله الزيرى ، التبيان ، ص ١٠٤ ، الحلل الموشية ، ص ٥٢ ، وقد ادركه الامير عبد الله الزيرى بقواته عند جريشه Jerez de los Caballeros وهو فى طريقه الى بطليوس (Huici Miranda, op., cit, p. 40).
كذلك ادركه المتوكل ابن الافطس فى عسكره ببطليوس ، (مذكرات الامير عبد الله الزيرى ، ص ١٠٤ ، (كما لحقه تميم صاحب مالقة . (الحلل الموشية ، ص ٥٢) .

(٢) الحميرى ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ٨٨

(٣) الحلل الموشية ، ص ٥٢

(٤) عبد الله الزيرى ، التبيان ، ص ١٠٤

(٥) المقصود به الامير عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبوس بن زيرى الصنهاجى .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

غرناطة وان مسلمة صاحب الثغر الاعلى (١) ،وابن ذى النون (٢) ، وابن الافطس ، وبنوعزون (٣) ..» .

ولكن يبدو أن ابن ابى زرع كان يقصد معز الدولة بن صمادح الابن وليس الاب محمد بن معن بن صمادح الذى كان موقفه واضحا كل الوضوح فى الحلل الموشية الى جانب مذكرات أحد أمراء الطوائف وهو الامير عبد الله الزيرى الذى شارك مشاركة فعلية فى المعركة .

وتجمع المصادر العربية على أن المتوكل عمر بن الافطس كان من بين المشتركين فى معركة المصير فى الاندلس ، فقد تأهب للجهاد ، واسرع للقاء يوسف بن تاشفين ، ووطن العزم على الموت فى هذه المعركة الفاصلة (٤) ، وقد خرج ليلقى ابن تاشفين على ثلاثة مراحل من بطليوس « احتفل لهم بالتضييف والعلف والقرى الواسع » (٥) . وكان المتوكل خلال الفترة التى شغل فيها المعتمد بدعوة المرابطين الى الاندلس يحصن ثغوره ،ويسد عورات مدنه ، ويرمم ما هى من أسوارها ، ومع ذلك فلم يكن بمنأى عن الاحداث ، فقد ظل متابعا لكل ما يطرأ على الموقف ، وتحول عداؤه القديم لبنى عباد الى تحالف من أجل انقاذ الاسلام فى

---

(١) يذكر صاحب الروض القرطاس هذا الاسم خطئا ،فبنو مسلمة هم بنو الافطس أصحاب بطليوس ، والافطس اسم الشهرة ، أما أصحاب الثغر الاعلى فهم بنو هود الجذاميون .

(٢) لم يكن ابن ذى النون ، ويقصد به القادر بالله ، مشاركا للملوك الطوائف فى هذه المعركة ، فقد كانت طليطلة قاعدته قد سقطت قبل ذلك بعام فى حين رحل هو الى بلنسية ، فى رفقة البرهانس القائد القشتالى فدخلها بدون قتال ، وكان مكروها من رعاياه ، ثم اضطر البرهانس الى ترك بلنسية للاشتراك مع ملكه الفونسو السادس فى معركة الزلاقة ، وانتهز المنذر صاحب لاردة ، هذه الفرصة فهاجم القادر الذى استنجد فى نفس الوقت بملك قشتالة وملك سرقسطة .

(٣) ابن ابى زرع ، روض القرطاس ، ص ٩٤ .

(٤) مذكرات الامير عبد الله الزيرى ، ص ١٠٤

(٥) الحلل الموشية ، ص ٥٣ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الاندلس ، وكان هو والامير عبد الله بن بلقين صاحب غرناطة والمعتمد ابن عباد يؤلفون حلفا ثلاثيا يمثل دول الطوائف ضد الفونسو السادس ، وقد رايناه اول من بدأ بمخاطبة يوسف بن تاشفين يستحثه لانقاذ اهل الاندلس ، ويؤكد ابن بسام انه كتب اليه رسالتين اخريين نسخهما وزيره الكاتب ابن ايمن (١) .

واقام ابن تاشفين فى جيوشه ببطليوس عدة أيام حتى بلغتهم الانباء بوصول الفونسو السادس ملك قشتالة ، بعد ان رفع حصاره عن سرقسطة واتجه بحشوده الكثيفة التى تقاطرت اليه من سائر اسبانيا وجنوبى فرنسا وايطاليا (٢) نحو بطليوس ، يروم الملاقاة ويحدوه الامل فى قهر المرابطين .

ويبدو أن حشود المسلمين تجمعت بازاء مدينة بطليوس ، لم تبعد عنها كثيرا ، ويعبر الامير عبد الله الزيرى عن ذلك فى مذكراته بقوله « ونحن بازاء المدينة متربصون ان كانت لنا ، فيها ونعمت ، وان لم تكن : كانت وراءنا حرزا ومعقلا نأوى اليها ، وامير المسلمين يدبر هذا الامر بحسن رايه ويلتوى ، عسى ان تقع الملاقاة بتلك الناحية دون ان يحوج الى التوغل فى بلادهم » (٣) .

---

(١) ابن بسام ، الذخيرة ، المجلد الثانى ، القسم الثانى ، ص ٦٥٤ وما يليها .

(٢) Menendez - Pidal, op. cit. P 334 . وذكر ابن الكردبوس ان الفونسو كتب الى جميع النصارى « معلما بجواز المرابطين ، فوافاه اهل قشتالة فى عدد لا يحصى ، واقلع قائده البرهانس عن بلنسية فلحق به ،واقبلت عليه العساكر من اقصى الرومية حتى ملأوا البطاح والافضية فاعجب بنفسه ، وقد وثق بكثرة من اجتمع اليه من ابناء جنسه واقسم انه لا يقوم له طالب لا يغلبه مغالب .... وانفصل عن طليطلة بجيوشه التى ضاقت بها البطاح ،ولم يضحبها نصر ولانجاح ،كانها الليل الدامس ، والبحر الطامس ، قد لبسوا الدروع الضافية ، وتقلدوا السيوف الماضية ، وتقلسوا بالحديد ، وتقدموا بباس شديد ، طبولهم القرون ، والويتهم كانها السحاب الجون » (ابن الكردبوس ، المصدر السابق ، ص ٩٢) .

(٣) مذكرات عبد الله الزيرى ، ص ١٠٥ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وما ان اقتربت حشود الفونسو من تجمعات المسلمين حتى بادر بارسال رسالة الى يوسف بن تاشفين عن طريق المتوكل بن الافطس (١) يقول له فيها : « هاانا قد اقبلت اريد ملاقاتك وانت تتربص وتختبىء لاهل المدينة (٢) » . فاما وصلت رسالته هذه الى يوسف بن تاشفين عن طريق عمر المتوكل لم يكن امام امير المرابطين سوى ان ينتقل اليه ليقترب بجيشه من جيش العدو ، وانتهى الامر بأن تواعد معه على اليوم الذى يبدأ فيه القتال (٣) .

ويورد صاحب الحلل الموشية رواية تفسر السبب فى الكتاب الذى ارسله الفونسو الى المتوكل ليبلغه بدوره الى ابن تاشفين وفيه يطلب منه تحديد يوم اللقاء للمعركة الفاصلة ، جاء فيها ان يوسف بن تاشفين حين اقترب من بطليوس ، ارسل وهو قريب من فحص الزلاقة «كتابا على مقتضى السنة » خير فيه الفونسو السادس بين ثلاثة : الدخول فى الاسلام أو الجزية او القتال ، وختم خطابه بقوله « وقد بلغننا يا اذفنش انك دعوت الى الاجتماع بك ، وتمنيت أن تكون لك فلك تعبر البحر

---

(١) بينما يذكر الحميرى أن الفونسو كتب الى يوسف بن تاشفين عن طريق ابن عباد ، يقول الحميرى « وبعث ابن فردلند الى ابن عباد ان صاحبكم يوسف قد تعنى من بلاده ، وخاض البحور وانا اكفيه العناءفيما بقى ،ولا اكلفكم تعبا ، امضى اليكم والقاكم فى بلادكم رفقا بكم وتوفيرا عليكم » يقصد ان يدعو الى المضى الى المرابطين لمحاربتهم فى بلادهم (الحميرى ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ٨٨)

(٢) عبد الله الزيرى ، التبيان ، ص ١٠٥ .

(٣) ذكر صاحب الحلل الموشية انه لما احتلت عساكر المسلمين بظاهر بطليوس واحتل اذفونش بفحص الزلاقة على اربعة فراسخ من بطليوس كتب الى امير المسلمين مكرا منه يقول « ان غدا يوم الجمعة ولانحب مقاتلتكم فيه لانه عيدكم ، وبعده السبت يوم عيد اليهود ، وهم كثيرون فى محلتنا ونحن نفتقر اليهم،وبعده الاحد عيدنا،فنحترم هذه الاعياد ويكون اللقاء يوم الاثنين ، فقال امير المسلمين « اتركوا اللعين وما احب» (ص ٥٧) .
ولا نستبعد من الفونسو هذا التصرف المخادع ، ولا من ابن تاشفين موافقته على اليوم الذى حدده الفونسو للقاء ، فقد كان يوسف متلهفا على الجهاد واثقا بنصر الله .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عليها الينا، فقد اجتزناه اليك وجمع الله فى هذه العرصة بيننا وبينك وسترى عاقبة دعائك « وما دعاء الكافرين الا فى ضلال » (١) .

فلما وصلت هذه الرسالة الى الفونسو السادس ، اشتد غضبه ، وقرر الايبرح مكانه، واصطنع الحيلة فى استدراج ابن تاشفين اليه ويفاجاه بالهجوم بدلا من أن يمضى هو اليه ،وقد احتمى بمدينة بطليوس،فاذا ما انتصر النصارى تمكن الفونسو من قتله بسهولة ، وختم كلامه بأن بينهما هذا البسيط المتسع وكان يقصد به فحص الزلاقة (٢) .

ونفهم من رواية صاحب الحلل أن الرسالة التى أرسلها يوسف بن تاشفين الى الفونسو السادس عند اقترابه من بطليوس يخيره فيها بين الاسلام او الجزية او الحرب انما كتبها وهو فى طريقه من اشبيلية الى بطليوس اى قبل ان يمضى الى فحص الزلاقة ، وهو امر نستبعده ، فلا يعقل أن يوجه ابن تاشفين هذه الرسالة قبل أن يعبىء قواته للقتال فى أرض المعركة ، ثم أن الفونسو لم يكن قد وصل بعد الى موقعه من الزلاقة .ويسوق صاحب روض القرطاس رواية اقرب الى رواية صاحب الحلل،فيذكر أن قوات المسلمين نزلت بمدينة طرطوشة فاقاموا بها ثلاثة أيام وكتب منها يوسف بن تاشفين كتابا الى الفنش يدعوه فيه الى الجزية او الحرب او الاسلام ، فلما وصل كتابه الى الفنش ادركته الانفة وداخله الكبر، وقال للرسول : قل للامير لاتتعب نفسك انا أصل اليك .فارتحل يوسف وارتحل الفنش حتى نزل بالقرب من بطليوس ، ونزل يوسف بموضع يعرف بالزلاقة من احواز بطليوس (٣) ... » .

ونستنتج من ذلك أن ابن تاشفين وجه رسالته الى الفونسو بعد رحيله من بطليوس فى طريقة الى أرض المعركة بعد اقامته فى بطليوس

---

(١) الحلل الموشية ، ص ٥٣
(٢) المصدر السابق ، ص ٥٤
(٣) ابن ابى زرع ، روض القرطاس ، ص ٩٤ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

واثناء خروجه منها لتحديد موقع المعركة . ومع ذلك فنحن نشك فى انه كتب اليه من طرطوشة الوارد ذكرها فى روض القرطاس لوقوعها فى اقصى الشمال الشرقى من بلاد الاندلس ، والارجح انه كتب اليه عندما كان معسكرا بقواته بازاء بطليوس اى قبل ان يتفق مع الفونسو على موعد القتال وهو ما يؤكده الحميرى اذ يقول «فاناخوا بظاهرها،وخرج اليهم المتوكل عمر بن محمد فلقيهم بما يجب من الاقوات والضيافات ، وبذل مجهوده ... ثم كتب يوسف الى ابن فرذلند يدعوه الى الاسلام او الجزية او ياذن بحربه ، فامتلأ غيظا وعتا وطغا ([1]) ....

ويمكننا من خلال مذكرات الامير عبد الله الزيرى ان نربط سلسلة الاحداث ببعضها البعض ، فالامير عبد الله الزيرى يؤكد ان الفونسو ارسل الى ابن تاشفين اثناء اقامته فى بطليوس ذاتها رسالة عن طريق ابن الافطس سبق ان اوردناها يقول « ها انا قد اقبلت اريد ملاقاتك ، وانت تتربص وتختبىء لاصل المدينة » ([2]) .

ويؤكد الامير الزيرى انه عقب رسالة الفونسو هذه لم يكن امام ابن تاشفين سوى ان ينتقل خارج بطليوس ليكون على مقربة منه . وفى ذلك يقول الامير عبد الله الزيرى « فلم يكن بد ان ينتقل اليه ليكون الجيش على مقربة منه ،وتواعدا اللقاء فى يوم سمياه ([3]) ...» .

ومن سياق الكلام يتبين لنا انه على اثر رسالة الفونسو للمرابطين وهم فى بطليوس امر ابن تاشفين بالانتقال خارج المدينة فى مكان المعركة الذى حدده كل من الحميرى ([4]) وابن الكردبوس ([5]) وصاحب الحلل

---

(١) الحميرى ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ٩٠
(٢) مذكرات الامير عبد الله الزيرى ، ص ١٠٥
(٣) المصدر السابق ، ص ١٠٥
(٤) الحميرى ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ٨٧ ـ ٩٣
(٥) ابن الكردبوس ، نصان جديدان ، تحقيق د. مختار العبادى ، ص ٩٣ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الموشية (١) بفحص الزلاقة الذى دارت فيه المعركة ، ونستنتج من هذه النصوص المختلفة الحقائق التالية :

١ - انه لايمكن بأى حال من الاحوال أن يكون ابن تاشفين قد انتقل من بطليوس الى طرطوشة كما ذكر ابن ابى زرع واقام بها مدة ثلاثة ايام أرسل خلالها رسالته الى الفونسو السادس،ثم عاد ابن تاشفين مرة ثانية الى فحص الزلاقة ليكون قريبا من الفنش الذى كان قريبا من بطليوس ، فطرطوشة تبعد عن بلنسية بنحو مائة ميل وعشرين ميلا (٢) ، وهى فى اقصى الشمال الشرقى من الاندلس ومن المحال ان ينتقل جيش بأكمله من غرب الاندلس الى شرقه مرتين ذهابا وايابا فى فترة وجيزة قدرها بضعة ايام ، هذا الى جانب انه لم يكن هناك اى مبرر لذهابه الى مدينة طرطوشة . وحتى لو افترضنا أن ابن ابى زرع قد اختلط عليه الامر وان ذهاب ابن تاشفين الى طرطوشة واقامته بها مدة ثلاثة ايام كان عقب جوازه للاندلس واقامته بالجزيرة الخضراء مباشرة فان هذا الافتراض لايتمشى مع المنطق ولا مع تسلسل الاحداث ولا مع ما ذكرته المصادر العربية فى هذا الصدد ، فجميع المصادر اجمعت على أن ابن عباد قد أرسل ابنه عبد الله لاستقبال أمير المرابطين فى الجزيرة الخضراء بعد أن اخلاها له ابنه الراضى،ثم توجه ابن تاشفين بعد أن انتهى من تحصينه للجزيرة الخضراء الى اشبيلية حيث استقبله المعتمد بن عباد فى منتصف الطريق ، يضاف الى هذا أن طرطوشة تبعد كثيرا عن الجزيرة الخضراء وعن بطليوس .

وبهذا لم يتبق أمامنا الا أن نرفض ذهاب ابن تاشفين بقواته الى طرطوشة اللهم الا اذا كان قد توجه على رأس جزء من قواته اليها فى الفترة ما بين انتقاله من الجزيرة الخضراء ، وبين تحديده لتاريخ وموقع

---

(١) الحلل الموشية ، ص ٥٣
(٢) الحميرى ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٢٤

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المعركة مع الفونسو السادس لفك حصار ابن ردمير (شانجة راميرث) ملك ارغون عنها وكان يحاصرها فى ذلك الوقت ، ولكن لم يحدد أى مصدر من المصادر المعاصرة هذا بوضوح او حتى باشارة بسيطة ، هذا الى جانب ان الفونسو السادس كان كما سبق ان اوضحنا قد طلب من ابن ردمير (شانجة راميرث) ان يهرع لنجدته ، وحشد كل قوات المسيحية ضد المرابطين (١) ، وبهذا يتضح لنا ان حصار شانجة راميرث لطرطوشة قد انتهى بمجرد جواز امير المرابطين الى الاندلس • ونعتقد ان صاحب روض القرطاس انما كان يقصد بطرطوشة مدينة جريشة او شريشة Jerez de Los Caballeros ، فاسمها اقرب فى رسمه الى طرطوشة ، ومع ذلك فاننا نستبعد ذلك لان جريشة تقع الى الجنوب الشرقى من بطليوس على مسافة تبعد عنها بما لايقل عن ٧٠ كيلو مترا ولاعجب فى هذه الاخطاء التى يقع فيها صاحب روض القرطاس •

٢ — فيما يتعلق برواية صاحب الحلل الموشية ، فقد سبق أن استبعدنا قوله بان رسالة ابن تاشفين لالفونسو وجهت اثناء سيره من اشبيلية الى بطليوس ، وان كنا نعتقد أن هذه الرسالة أرسلت من فحص الزلاقة بعد خروج جيوش المسلمين من بطليوس فى طريقهم الى ارض المعركة استعدادا للقتال وليس قبل وصولهم الى بطليوس كما ذكر صاحب الحلل •

٣ — وفقا لرواية الحميرى ، فسر الفونسو السادس لاصحابه السبب فى اصراره على التحرك للقاء المرابطين ، ورفض مجيئهم اليه لكى يحاربوه بانه كان يخشى فى حالة اذا ما حاربه المرابطون فى عقر داره وعلى ابواب مملكته ، ثم دارت عليه الدوائر ، وهزم فى هذه الواقعة ان يكتسح المرابطون بلاده ويستولوا على عرشه • وكما اوضح لهم كيف

---

(١) محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص ٣٢٢

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

انه يخطط للاستيلاء على كافة أراضى المسلمين عند انتصاره هو عليهم وهو يقاتلهم فى أراضيهم وفى قلب ممالكهم (١) .

ب - القوات المسيحية والقوات الاسلامية امام بطليوس

ولقد تعددت الروايات بشأن تقدير عدد قوات المسلمين والنصارى غير ان جميع المصادر تجمع على ان عدد المسلمين كان أقل من عدد النصارى (٢) ، فصاحب الحلل الموشية يذكر ان عدة جيش النصارى بلغت ثمانين الف فارس يلبسون الدروع ، بينما كان عسكر المسلمين يناهز خمسين الف فارس : ٢٤ الفا من فرسان الاندلس ما بين مدرع ولابس ومثلها أو اكثر منها مرابطون واهل العدوة (٣) .

ويذكر الحميرى ان المختارين من اجناده بلغوا على أقل تقدير اربعين الف دارع (٤) ، كما يذكر أن عدة المسلمين كانت أقل من عدة المسيحيين (٥) ، وذكر ابن الكردبوس فى تاريخه انه كان قد خرج للقاء المسلمين فى ستين الف فارس (٦) ، اما صاحب روض القرطاس فقد بالغ فى ذكر عدد قوات الفونسو ، فذكر أن عدد الروم فيما نقل ثمانين الف فارس ومائتى الف راجل وانهم قتلوا جميعا ولم ينج منهم الا الفنش فى مائة فارس (٧) ويجعل عبد الواحد المراكشى عدد قوات المسلمين عشرين الفا من المتطوعة والمرتزقة (٨) .

---

(١) الحميرى ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ٨٨
(٢) الحلل الموشية ، ص ٥٦ ، الحميرى ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ٨٨ ، محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص ٣٢٢ .
(٣) الحلل الموشية ، ص ٥٦
(٤) الحميرى ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ٨٨
(٥) المصدر السابق ، ص ٨٨
(٦) ابن الكردبوس ، ص ٩٤ Huici Miranda, op. cit, P. 47
(٧) ابن ابى زرع ، روض القرطاس ، ص ٩٦
(٨) عبد الواحد المراكشى ، المعجب ، ص ١٣٣

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

انتقل يوسف بن تاشفين بعد ذلك الى موقع الزلاقة « من احواز بطليوس (١) ...»، ويقول صاحب الحلل الموشية فى ذلك انه « لما احتلت عساكر المسلمين بظاهر بطليوس واحتل اذفنش بفحص الزلاقة على اربعة فراسخ من بطليوس (٢) ...»، انقسم جيش المسلمين الى قسمين، القوات الاندلسية ، والقوات المرابطية ، فقد تقدم المعتمد بن عباد وامراء الاندلس فنزلوا بجهة غير الجهة التى نزل بها ابن تاشفين والمرابطون ، ويغلب على الظن ان جيوش اهل الاندلس ، وكان يتولى قيادتها من ملوك الطوائف المعتمد بن عباد والمتوكل بن الافطس ، وعبد الله وتميم ولدى بلقين (٣) ، اختبأت خلف ربوة حاجزة ربما للاحتماء وراء هذا المانع او لتعمية رجال الفونسو عن تقدير عددها الحقيقى،وليس كما يزعمصاحب روض القرطاس (٤) . وهذا يعنى بصراحة وجود تموجات فى ارض المعركة كانت تحمى قوات المسلمين ، وهو ما اشار اليه يوسف بن تاشفين فى خطابه الذى ارسله الى تميم بن المعز ابن باديس بالمهدية يصف فيه انتصاره الساحق على جيوش النصارى ، وفيه يقول « واستشهد الكل بحمد الله ، وصاروا الى رضوان الله ، ونحن فى ذلك كله غافلون ، حتى ورد علينا وارد ، وقصد الينا قاصد، **فخرجنا من وراء الشعب** كقطع اللهب بجميع من معنا (٥) ... » وتصف مدونة الفونسو العاشر المعروفة بتاريخ اسبانيا العام ، معسكر

---

(١) ابن ابى زرع ، روض القرطاس ، ص ٩٤

(٢) الحلل الموشية ، ص ٥٧ ، ويجعل ابن الكردبوس المسافة ثلاثة اميال (ابن الكردبوس ، ص ٩٣)

(٣) ذكر صاحب الحلل أن ملوك الطوائف بالاندلس اتفقوا على أن يكون المعتمد ابن عباد فى قلب المقدمة والمتوكل بن الافطس فى ميمنتها واهل شرق الاندلس فى ميسرتها وسائر اهل الاندلس فى الساقة ، والمرابطون واهل العدوة كمائن متفرقة تخرج من كل جهة عند اللقاء (ص ٥٩)

(٤) ابن ابى زرع ، روض القرطاس ، ص ٩٤

(٥) محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ملحق ١ ، ص ٤٤٩

يوسف بن تاشفين الذى تحصن وراء خندق اقامه حوله Que estavan bien cercadas de carcaua (١)

وربما كان الفونسو العاشر يعنى بهذا الخندق ما ذكره ابن الكردبوس بقوله « نزل بين جبلين » (٢) ، وكان يفصل بين المسلمين والمسيحيين رافد لواديانه يسمى اليوم جيريرو Guerrero (٣) . ويعزو كل من مانويل البران Manuel Albarran (٤) ومننـدث بيدال Menendez - Pidal (٥) توفيق المسلمين فى المعركة الى ذكاء يوسف ابن تاشفين الحاد الذى جعله يحسن استغلال طبوغرافية الموقع لتنفيذ مخططه ، وان كان اويثى ميراندا Huici Miranda (٦) يرى ان ما اوردته المصادر العربية عن اختباء جيوش المسلمين خلف وهدة لايعدو قصة مختلقة تماما لانه حين زار ساحة الزلاقة لم يجد شيئا من هذه التموجات الارضية ، هذا الى جانب اعتماده على الحميرى فى تعريفه للزلاقة بانها « بطحاء (٨) اى انها منطقة مسطحة ، وكذلك يعتمد على مذكرات الامير عبد الله الزيرى الذى لايذكر شيئا بخصوص هذا الموضوع .

وقد اتيحت لنا الفرصة لزيارة موقع المعركة اى ساحة الزلاقة ، فرأينا سهلا ممتدا لا اثر فيه لاية مرتفعات ، ولكن هذا لايمنع من وجود بعض الوهاد او المرتفعات على ايام المرابطين ، وقد تكون هذه الوهدة قد تعرضت لبعض العوامل الطبيعية التى ازالتها اليوم او سوتها مع سائر المنطقة المسطحة .

---

(١) Primera Cronica general de España, ed, R Menendez Pidal, t. II, P. 558,

(٢) ابن الكردبوس ، ص ٩٣

(٣) Menendez pidal, la España del Cid, p. 333.

(٤) Albarran, el solar de los Afiasies, P. 237-238.

(٥) Menendez - pidal, la España del Cid, t. P. 333.

Huici Miranda, op. cit., p. 48.

(٦) الحميرى ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ٨٣

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ورغم أن أويشى لم ير هذه المرتفعات على سهل الزلاقة ، فانه لايوجد شاهد أو دليل افضل من المصـــادر التى ذكـرت وجـوده واكدته ،وربما يكون الشىء الوحيد الذى لانستطيع أن نثبته معرفة عدد المرتفعات الصغيرة التى كانت ترتفع على سطح الفحص ، وأى من هذه المرتفعات استخدمه يوسف لاخفاء كمينه ؟

وهنا أتساءل اذا كان Huici يتشكك فيما ذكر من لجوء ابن تاشفين الى هذه الحيلة بحجة أن يوسف لم يسبق له أن زار هذه المنطقة من قبل ، فكيف له أن يتكهن بوجود هذه المرتفعات لو كانت حقـا موجودة ؟ ويرى البران Albarran ان الاجابة على ذلك أمر فى غاية السهولة ولايحتاج الى معرفة سابقة بالموضع ، فبمجرد ملاحظة وجود التموجات الطبيعية أوحى اليه بضـرورة استغـلالها للاستتارة خلفها (١) .

أقام المسلمون فى مواقعهم مدة ثلاثة أيام والرسل تجىء وتذهب بينهم وبين العدو الذى لم يكن يفصله عنهم سوى «نهر بطليوس » وهو نهر حاجز يشرب منه هؤلاء وهؤلاء (٢) ،وكان الفونسو كما ذكرنا قد اتفق مع ابن تاشفين على أن يبدأ القتال يوم الاثنين .

ولكن المعتمد بن عباد وكان على دراية كبرى بكل حيل الفونسو السادس داخله الشك فى نوايا الفونسو ، فنصح يوسف بن تاشفين بألا يثق فى أقواله فهذه خديعة منه يريد بها الايقاع بالمسلمين ، كما أمر عساكره بأن يظلوا على أهبة الاستعداد طوال يوم الجمعة (٣) ؛ وتختلـف الآراء حول هذا الموضوع وهو أمر طبيعى بالنسبة لجميـع الاحـداث

---

(١) Albarran, op. cit, P. 239.

(٢) ابن ابى زرع ، روض القرطاس ، ص ٩٤

(٣) المصدر السابق ، ص ٩٤ ، عبد الواحد المراكشى ، المعجب ، ص ص ١٣٤ ، الحميرى ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ٩١ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الهامة،فقد أورد الحميرى رواية تبدو مختلفة وان كنا سنوردها هنا لتوضيح مدى اهتمام المسلمين بهذه الواقعة وأثر هذه المعركة فى تغيير مسار التاريخ الاسلامى فى الاندلس الى حد أن المصادر العربية لم تكف عن احاطتها بجو اسطورى غامض . يقول الحميرى « وبات الناس ليلتهم على أهبة واحتراس ، بجميع المحلات ، خائفين من كيد العدو ، وبعد مضى جزء من الليل انتبه الفقيه الناسك ابو العباس احمد بن رميلة القرطبى ، وكان فى محلة ابن عباد ، فرحا ، مسرورا ، يقول انه راى النبى ﷺ فبشره بالفتح والشهادة فى صبيحة غد وتأهب ودعا ودهن راسه وتطيب، وانتهى ذلك الى ابن عباد ، فبعث الى يوسف فخبره بها تحقيقا لما توقعه من غدر ابن فرذلند ، فحذروا اجمعين ،ولم ينفع ابن فرذلند ما حاوله من غدر (١) .

وذكر عبد الله بن بلقين فى مذكراته ان عسكر الفونسو فاجأ المسلمين « وهم على غير اعداد ، وكان مختلسا ، انما له ما الفى فى تلك الساعة، والقى سمه فى الرجل ، ومات منهم خلائق ممن لم يكن يقدر على نفسه (٢) » .

وفى رواية صاحب الحلل الموشية ان الفونسو استعد للغدر بالمسلمين يوم الجمعه بدلا من الاثنين ، وهو اليوم الذى اتفق عليه مع ابن تاشفين على القتال ،«ليأخذهم على حين غفلة ،غدرا منه ، وارتقى فى ربوة مع جماعة زعماء قومه ليبصر اعداد جيوشه ، فاعجبه ما راى من كثرتهم ولمعان دروعهم ... فلما اعلم ابن عباد بقدوم الطاغية عليه ، بادر الركوب على غير تعبئة ولا أهبة ، وغشيتهم خيل العدو كالسيل ، وعمتهم كقطع الليل (٣) ... » .

---

(١) الحميرى ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ٩٠ - ٩١
(٢) مذكرات الامير عبد الله الزيرى ، ص ١٠٥
(٣) الحلل الموشية ، ص ٥٩

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى رواية عبد الواحد المراكشى أن الفونسو السادس وابن تاشفين اتفقا على أن يبدا الاشتباك يوم الاثنين ، « وقصد - لعنه الله - مخادعة المسلمين واغتيالهم ، فلم يتم له ما قصد ، فلما كان يوم الجمعه تأهب المسلمون لصلاة الجمعة ، ولا امارة عندهم للقتال ، وبنى يوسف بن تاشفين الامر على أن الملوك لاتغدر ، فخرج هو وأصحابه فى ثياب الزينة للصلاة ، فأما المعتمد فانه أخذ بالحزم ، فركب هو وأصحابه شاكى السلاح،وقال لامير المسلمين : صل فى أصحابك ، فهذا يوم ماتطيب نفسى فيه وها أنا من ورائكم ، وما أظن هذا الخنزير الا وقد أضمر الفتك بالمسلمين،فانفذ يوسف وأصحابه فى الصلاة ، فلما عقدوا الركعة الاولى ثارت فى وجوههم الخيل من جهة النصارى وحمل الاذفنش - لعنه الله - فى أصحابه يظن انه قد انتهز الفرصة ، واذا المعتمد وأصحابه من وراء الناس،فأغنى ذلك اليوم ، غناء لم يشهد لاحد من قبله (١) ..»

وأورد صاحب روض القرطاس نص رسالة موجهة من يوسف بن تاشفين الى بلاد العدوة جاء فى فقرة منها « فان العدو لعنه الله لما قربنا من حماه ، وتواقفنا بازائه ، بلغناه الدعوة وخيرناه بين الاسلام والجزية والحرب ،فاختار الحرب ، فوقع الاتفاق بيننا وبينه على الملاقاة فى يوم الاثنين الخامس عشر لرجب ... فافترقنا على ذلك ، وأضمر اللعين خلاف ما شرطناه وعلناه أنهم أهل خدع ونقض عهود ، فأخذنا أهبة الحرب لهم وجعلنا عليهم العيون ليرفعوا الينا أحوالهم ، فأتتنا الانباء فى سحر يوم الجمعة من رجب المذكور أن العدو قد قصد بجيوشه نحو المسلمين (٢) ... »

من كل ما تقدم يتضح لنا أن الفونسو اصطنع الحيلة والدهاء فى حمل المسلمين على التواعد على القتال يوم الاثنين ، ولكن المعتمد تشكك

---

(١) عبد الواحد المراكشى ، المعجب ، ص ١٣٤
(٢) ابن ابى زرع ، روض القرطاس ، ص ٩٧

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فى الامر لما كان يعهده فى الفونسو من مكر وغدر ، وتأهب من يوم الخميس لخوض المعركة.فلما اقبل الليل من يوم الخميس العاشر من رجب عام ٤٧٩هـ (١٠٨٦م) اخذ المعتمد بن عباد يعبىء جيشه ويصف صفوفه استعدادا للمعركة،وجعل عيونه يسهرون لمراقبة جيش العدو ويوافوه باخبارهم فى حالة تحركهم تجاه معسكر المسلمين ، واستمر على استنفاره حتى فجر يوم الجمعة،وبينما كان المعتمد بن عباد يؤدى الركعة الاخيرة من صلاة الصبح ، دخل عليه رجاله المراقبون للعدو فى عجلة من أمرهم وابلغوه بغدر العدو بالمسلمين وزحفهم نحوهم « بأمم كالجراد المنتشر » (١) .

فقد سمعوا ضوضاء الجيوش،وصليل الاسلحة ،وبعد لحظات بسيطة لحق بهذه المجموعة من طلائع ابن عباد ، مجموعة اخرى من عيونه ، وكانوا قد استرقوا السمع بداخل معسكرات الفونسو السادس ، فسمعوه يأمر قواته بالهجوم على الجناح الذى يقوده ابن عباد لانه هو الوحيد فى اعتقاد النصارى الذى يفهم فى أصول الجهاد والحرب ، وانه وحده أدرى بالطبيعة الجغرافية للبلاد ، فاذا تمكن النصارى من هزيمته يسهل عليهم بعد ذلك التغلب على ابن تاشفين ، وكان الفونسو السادس يستهين بابن عباد ويظن ان بامكانه القضاء عليه بكل بساطة ويسر ، فارسل ابن عباد كاتبه ابا بكر بن القصيرة الى يوسف بن تاشفين يبلغه بهجوم العدو ويستحثه على الجهاد فجاءه ابن تاشفين يطمئنه بأنه وراءه يحميه ويدافع عنه (٢) .

وكان جيش المرابطين ينقسم الى قسمين :

القسم الاول : كان يضم فرسان البربر على مختلف قبائلهم ويتولى

---

(١) ابن ابى زرع ، نفس المصدر ، ص ٩٤ .
(٢) الحميرى ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ٩١

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قيادته داوود بن عائشة وكان « لا نظير له فى الحزم والعزم والنجدة » (١) .

القسم الثانى : وينكل الجيش الاحتياطى كان يقوده يوسف بن تاشفين بنفسه وقد استبقى ابن تاشفين معه أفضل جنده من لمتونه وصنهاجه (٢) ومصمودة وزناتة وغمارة مع الحرس الزنجى الاسود الخاص بالامير المرابطى شخصيا (٣) .

أما قوات الفونسو فكان يقود مقدمتها القائد القشتالى البرهانس وكان معظمها من جنود أرغون والمتطوعة (٤) . أما معظم جيشه فقد كان بقيادته شخصيا . وقبل أن نبدأ فى سرد تفاصيل واقعة الزلاقة يجدر بنا أن نذكر الطريق الذى سلكه كل من جيش المرابطين وجيش النصارى للوصول الى ساحة القتال فى فحص الزلاقة ، وهو سهل يمتد فى الاراضى الواقعة الى الشمال الشرقى من حاضرة بنى الافطس .

فمن المعروف أن امير المرابطين كان قد اتجه مع جيوش اشبيلية نحو بطليوس لان ذلك كان الموقع الاستراتيجى الذى يجب على الفريقين المتنازعين من حيث المنهج التكتيكى البحث عنه ، مع الاخذ بعين الاعتبار أولية تقديم العون للمتوكل عمر بن الافطس على غيره من ملوك الطوائف باعتباره أكثر هؤلاء الملوك تعرضا للخطر القشتالى ، لاسيما بعد أن قضى الفونسو على مملكة طليطلة . أما القول بأن يوسف لم تكن لديه النية فى ضياع وقت طويل للوصول الى بطليوس ، وان هذه المدينة كانت الهدف الرئيسى لحملته التالية كما يذكر البران (٥) فقول

---

(١) ابن أبى زرع ، روض القرطاس ، ص ٩٤ - ٩٥
(٢) محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص ٣٢٢
(٣) ابن ابى زرع ، روض القرطاس ، ص ٤٩٦ Albarran, op. cit., p. 135.
(٤) صاحب الحلل الموشية ، ص ٧٢
(٥) Albarran, op. cit, P. 210.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نرفضه تماما لان يوسف بن تاشفين فى جوازه الثانى قد جاز الى الاندلس لفك الحصار عن حصن لييط ، وفى جوازه الثالث الذى حدث فى اوائل سنة ٤٨٣هـ (١٠٩٠م) استهدف منه الاطاحة بملوك الطوائف بدءا بالامير عبد الله بن بلقين ولو أنه كان يريد بطليوس كما يعتقد البران بحجة انه قد اختار أن يذهب الى بطليوس قبل حربه مع الفونسو وان يستقر بظاهرها لاطماعه الشخصية فيها ، لكان قد سارع بالاستيلاء عليها فى جوازه الثانى أو حتى بعد جوازه الثالث الى الاندلس بدلا من توجهه الى غرناطة فى الجواز الثانى وخلعه لملكها ثم نفيه الى ارض المغرب ، واصداره الامر لقائده الاكبر سير بن أبى بكر بمحاصرة ابن عباد فى اشبيلية ونفيه باغمات بينما ترك أمر ابن الافطس لسنوات أربعة مضت من وقعة الزلاقة (١) .

ولقد سلك المرابطون اقصر الطرق الى بطليوس وهو الطريق الذى يمر عبر سيرا مورينا بدءا بفريجينال ومرورا بشريشة وهى التى اطلق عليها العرب اسم جريشة (٢) Jerez de lo; caballeros وباركاروتا Barcarrota ثم لابويره la Albuera واخيرا وصل الى بطليوس ، هذا الطريق هو نفس الطريق الذى يسلكه المسافر اليوم من اشبيلية الى مرطليوس (٣) .

وقبل أن نبدأ فى سرد تفاصيل معركة الزلاقة ينبغى ان اوضح امرا هاما وهو ان اختيار امير المرابطين يوسف بن تاشفين لبطليوس على وجه الخصوص دون غيرها من المناطق الثغرية الاخرى ، لتكون ميدان قتاله ضد العدو ، تم نتيجة ادراكه التام من خلال الرسائل العديدة التى سبق لابن الافطس ان ارسلها له ، بان هذه المملكة الغنية بخيراتها ، اصبحت عرضة للخطر المسيحى عقب استيلاء الفونسو على مملكة

---

(١) صاحب الحلل الموشية ، ص ٧٢

(٢) مذكرات الامير عبد الله الزيرى ، ص ١٠٤

(٣) تقع باركاروتا على بعد ٢٧ ك٠م ٠ الى الشمال من جريشه و٤٧ ك٠م الى الجنوب من بطليوس ٠ اما لابويره وهى مشتقة من العربية « البحيرة » فتقع فى منتصف الطريق بين باركاروتا (٢٣ كم) وبطليوس (٢٤م) ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

طليطلة مما يؤكد وجهة نظرنا التى سبق ان أوضحناها وهى ان الفونسو السادس كان يطمع فى بطليوس بنفس قدر طعمه فى مملكة طليطلة ،وانه لو كانت لمملكة بطليوس نفس الظروف السياسية المضطربة التى اقترنت بمملكة طليطلة لكان قد استفتح بها حروبه ضد المسلمين . ونستدل على راينا بما ورد فى رسالة يوسف بن تاشفين الى الناصر تميم بن المعز بن باديس فى المهدية ، وفيها يشير الى خروجه من بطليوس فى طريقه للقاء الفونسو وجاء فيها : « فجمعنا عساكرنا وسرنا اليه (أى الى الفونسو) وصرنا قفل قورية عن بلاد المسلمين ، صرف الله فسمع بنا ، وقصدنا قصدنا ، وورد وردنا واحتل بفنائها منتظرا لنا » .

ونستنتج من ذلك النص أن ابن تاشفين عزم على الخروج من بطليوس نحو قورية ولكن الفونسو عجل بالمجىء الى بطليوس للقائه، وواضح من النص أن اهتمام يوسف ابن تاشفين كان موجها الى مملكة بنى الافطس .

ولقد انتظر يوسف بن تاشفين فى بطليوس عدة أيام لاراحة قواته من جهة ، ولكى يترك للملك المسيحى فرصة التوغل فى اراضى المسلمين من جهة اخرى ، أى أن انتظاره هذا كان ضربا من الايقاع به فى شباك المسلمين ،واستمر فى ذلك الى أن تأكد له أن الفونسو قد اقترب اكثر فاكثر من معسكر المسلمين . هذه الخطة تؤكد أن اللقاء قد جرى فى اراضى قريبة للغاية من العاصمة بطليوس ، وهذا سيساعدنا على تحديد موقع الزلاقة فى يومنا هذا كما سنوضحه فى الصفحات التالية ، ومما لاشك فيه أن نزول ابن تاشفين بظاهر بطليوس يعبر عن ذكاء واضح اذ انه باتخاذه ارض المعركة فى ظاهر بطليوس سيضمن لنفسه ولجيشه ملجأ امينا لهم فى حالة الهزيمة امام العدو والشىء الغريب الذى اورده الامير عبد الله الزيرى أن يوسف بن تاشفين أصابه التياث ويعتقد البران أن هذا الخوف يصيب عادة كبار السن من الخوف أو

القلق (١) لاسيما فى المواقف الحاسمة وقد أشار عبد الواحد المراكشى الى ذلك بقوله « ولما تراءى الجمعان من المسلمين والنصارى ، رأى يوسف امرا عظيما هالهم من كثرة عدد وجوده سلاح وخيل وظهور قوة قتال للمعتمد : ماكنت أظن هذا الخنزير لعنه الله يبلغ هذا الحد » (٢) ... اما الطريق الذى سلكه الفونسو السادس ليصل بقواته الضخمة الى ساحة القتال ، فقد قام أوليفر أسين Asin بدراسته وان كان البران يرفض نتائج دراسة أسين Asin ويرى أن الجغرافية الطبيعة هى التى تتحكم فى مسيرة الجيوش ، لذا فقد وضع خطا آخر لسير الفونسو غير الذى اقترحه أسين (٣) . ومن يتبع الخريطة الجغرافية يتبين له من المنطقى ان يكون الفونسو السادس قد هبط من قورية التى كان قد استولى عليها فى عام ٤٧٢هـ (سبتمبر ١٠٧٩م) نحو الجنوب سالكا الطريق المؤدى الى العمق الاسلامى حيث قوات المسلمين . وكان على الفونسو لكى ينحدر من قورية أن يسلك الطريق الى القنطرة المؤدى الى الجنوب ، وكان طريقا معروفا ومسلوكا .

ولكننا لانستطيع أن نحدد على وجه اليقين هل سلكه الملك الليونى مع قواته أم لا ، حيث أن القنطرة فى ذلك الوقت كانت تابعة للمسلمين، وليس لدينا من المصادر العربية او النصرانية ما يشير الى انها سقطت فى يد الملك المسيحى الفونسو السادس او من قبل فى يد ابيه فردلند (فرناندو الاول) .

ولذلك نرجح أن يكون الفونسو ورجاله قد سلكوا قطاعا من الجادة الرومانية التى كانت تربط بين بودوا القديمة وهى القرية التى كانت تقوم فى موضع مدينة بطليوس او قريبا منها Budua وسبتم آراس

---

(١) مذكرات الامير عبد الله الزيرى ، ص ١٠٥ .
(٢) عبد الواحد المراكشى ، المعجب ، ص ١٣٣
(٣) Albarran, op. cit, p. 213

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Septum Aras التى تقـــع بالقـــرب مـــن حصـــن كركر Albuquerque وهذا القطاع من الجادة يحف بمجرى خيفـــورا Gevora وينتهـــى ببطليوس والسهول ، وكانت هذه الجادة تربط بطليوس بالشمال وكان المسلمون يستخدمونها فى اسفارهم الى قورية ، بمعنى أن الفونسو سلك الطرق القديمة لكى يصل الى سهول بطليوس من الشمال ، وكان عليه أن يعبر سلاسل جبال سان بدرو التى تعترض طريقه ، ويهبط منهـــا فيتجه المرابطون نحوها للقائه ، وفى هذه الحالة يكون الفونسو السادس قد اصبح قريبا للغاية من بطليوس .

واذا دققنا فى تاريخ المعركة فسنجد أن الاشتباك قد تم فى فصـــل الخريف ، وهو فصل معتدل بالنسبة لاقليم استراما دورا ، أيامه طويله ، اما النهر الذى كان يفصل بين المتحاربين وهو نهر جاريرو ، فقد كان ما يزال آنذاك شحيح المياه فهو لا يمتلىء بالماء الا فى مواسم السيول ، وظاهرة وجود شريعة أو نهر كحاجز طبيعى كانت تؤخذ فى الاعتبـــار دائما فى التكتيك العسكرى فى العصور الوسطى خاصة فى المعارك التـــى كانت تدور بين المسلمين والمسيحيين ، ويؤيد هذا الاتجاه ابيات مـــن الشعر نظمها الشاعر ابو بكر الصيرفى من شعراء القرن السادس الهجرى يدعو فيها المرابطين أن يفصل بينهم وبين النصارى نهر عند الشروع فى القتال ، لايتخطونه (١) .

ونطالع فى هذه القصيدة الابيات التى تعبر عن سياسة المسلمين فى الحروب :

خندق عليـــك اذا ضربـــت محلـــة سيـــان تتبـــع ظاهـــرا أو تتبـــع
وتوق مـــن كـــذب الطلائـــع انـــه لا رأى للكـــذاب فيمـــا يصنـــع
فاذا احترســـت بذاك لم يك للعدى فى فرصـــة أو فى انتهـــاز مطمـــع

---

(١) Henri Péres, la poesie andalouse, P. 355.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لا تبقين النهر خلفك عندما تلقى العدو فأمره متوقع
اجعل مناجزة العدو عشية ووراءك الصدف الذى هو امنع (١)

ويعتقد البران اعتقادا راسخا ان يوسف بن تاشفين استعرض قواته امام الفونسو السادس لتخويفه وبث الذعر فى نفوس قواته ، واعتمد البران فى رايه هذا على نص الحميرى ، الذى قال فيه « فلما صلوا الصبح ، ركب الجميع ، واشار ابن عباد على يوسف بالتقدم الى اشبيلية ففعل ، ورأى الناس من عزة سلطانه ما سرهم ، ولم يبق من ملوك الطوائف بالاندلس الا من بادر واعان وخرج (٢) ... » .

ولكننا لانرى ما يراه البران ، فاذا امعنا النظر فى هذا النص يتبين أولا ان هذا الاستعراض الذى ذكره البران (٣) لم يكن فى ظاهر مدينة بطليوس أو فى فحص الزلاقة ميدان القتال كما ذكر البران ، وانما حدث اثناء خروج الجيش من الجزيرة الخضراء الى اشبيلية ونص الحميرى صريح لايحتاج الى تفسير فى تحديد ذلك ، وثانيا ان هذا العرض لم يكن يهدف تخويف العدو أو بث الذعر فى نفسه فالعدو كان مايزال بعيدا عن عيون المسلمين ، وانما كان يهدف بث روح الطمأنينة فى نفوس مسلمى الاندلس واعادة ثقتهم فى احراز النصر ليواجهوا العدو باقدام ثابتة ونفوس مجبورة ، واذا كان هناك ثمة عرض عسكرى امر به يوسف بن تاشفين فهو العرض الذى اجراه عند موضع يعرف بالرقة .

فقد أورد عبد الواحد المراكشى نصا يثبت ان امير المرابطين قام بعرض عسكرى قبل الوصول الى بطليوس ولبس بعد وصوله اليها وامام العدو كما يرى البران ، يقول المراكشى « ثم ان يوسف المذكور استعرض جنده على حصن الرقة ، فراى منهم ما يسره ، فقال للمعتمد على

---

(٢) الحلل الموشية ، ص ١٢٦ ، وما يليها
(٢) الحميرى ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ٨٧
(٣) Albarran, el solar, op. cit, p. 226.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الله : هلم ماجئنا له من الجهاد ، وقصد العدو (١) .. » . ولانعرف على وجه التحديد اين يقع حصن الرقة هذا ، فلم يات ذكره فى الروض المعطار للحميرى ، ولا فى نزهة المشتاق للادريسى ، ولكن كل مانستطيع ان نؤكده هو ان هذا الحصن يقع فى الطريق الى بطليوس على مسافة بعيدة منها بدليل ان ابن تاشفين بعد استعراضه لجنده فى هذا الحصن ، طلب من المعتمد الاسراع فى لقاء العدو وتحقيق الهدف الرئيسى الذى من اجله جاز الى الاندلس .

واورد صاحب روض القرطاس ما يشير الى قيام ابن عباد بتعبئة كتائبه يوم الخميس العاشر من رجب استعدادا للقتال،والنص كما يلى « فلما جاء الليل من يوم الخميس العاشر لرجب المذكور عبأ ابن عباد كتائبه وصف جيوشه واستعد للقتال » (٢) .

ونستنتج من رسالة الفونسو السادس الى ابن تاشفين التى طلب منه فيها ان يكون يوم الاشتباك بينهما هو الاثنين لان الجمعه عيد المسلمين والسبت عيد اليهود والاحد عيد النصارى ، ان جماعة كبيرة من اليهود شاركوا فى الحرب الى جانب الفونسو . ويشير اما دور دى لوس ريوس (٣) فى بحثه عن التاريخ الاجتماعى والاقتصادى لليهود الى ايثار الفونسو السادس لاصحابه اليهود الذين حاربوا معه بشجاعة فى الزلاقة وانه كان يميزهم بعمائمهم السوداء والصفراء ، وكان من نتيجة ذلك المعاملة الكريمة التى عومل بها اليهود فى « كتاب قوانين المدن فى دولة ليون » .

واستخدم المرابطون الجمال ، وقد ارعب وجودها خيول المسيحيين

---

(١) عبد الواحد المراكشى ، المعجب ، ص ١٣٢

(٢) ابن ابى زرع ، روض القرطاس ، ص ٩٤

(٣) Amador de los Rios, Historia social y económica de los Judios, P 104 - 105.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فنفرت عند رؤيتها وعند سماع رغائها (١) . وبينما يؤيد منندث بيدال (٢) ذلك نجد البران يعارض بحجة أن الجمل لايصلح للقتال وانما لنقل المتاع ، والمسلمون كانوا يحاربون على الخيل ، ويستطرد البران عرض رأيه قائلا « ثم أن هذه الجمال حتى لو افترض انها شاركت فى القتال ، فانها لم تكن لترهب قوات الفونسو أو تنفر منها الخيول لانها كانت معروفة فى اسبانيا ، ففى عصر الامارة الاموية حمل جسد المنذر من ببشتر الى قرطبة على جمل ، وفى القرن العاشر وصلت الى مدينة الزهراء قافلة من ١٣٠ جملا أرسلت من المغرب (٣) ،واستخدم المنصور بن ابى عامر فى حملته الاخيرة (٣٩٣هـ) (١٠٠٢م) جيشا من الجمال لحمل أدوات القتال، كما وصف ابن جاخ الشاعر البطليوسى جملا فى قصيدته الوداع (٤) .

ونضيف الى هذه الامثلة التى ساقها الاستاذ البران مثلا آخر لنقش يمثل جملا نحتت صورته نحتا بسيطا فى أحد الجوانب الخارجية لحوض صغير من الرخام مزين بالزخارف البارزة من جوانبه الداخلية وتمثل صور بط يصيد سمكا (٥) .

ومع ذلك فاننا نميل الى الاعتقاد بأن يوسف بن تاشفين استخدم

---

(١) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، تحقيق احسان عباس ، بيروت جـ٧ ص ١١٦ ، يقول ابن خلكان « وأمر (يوسف بن تاشفين) بعبور الجمال ، فعبر منها ما أغص الجزيرة ، وارتفع رغاؤها الى السماء ، ولم يكن أهل الجزيرة رأواقط جملا ولا كانت خيلهم قد رأت صورها ولا سمعت أصواتها ، وكانت تذعر منها وتقلق ، وكان ليوسف بن تاشفين فى عبورها راى مصيب كان يحدق بها معسكره وكان يحضرها الحرب ، فكانت خيل الفرنج تحجم عنها » .

(٢) Menendez - pidal, Espana del cid, op. cit, p. 335

(٣) Levi - Provençal, op. cit., v IV, P 201.

(٤) Albarran, el solar, op. cit., p. 231.

(٥) جومث مورينو ، الفن الاسلامى فى اسبانيا ، ترجمة د. لطفى عبد البديع ، ود. السيد عبد العزيز سالم ، ص ٢٢٤ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الجمال بكثرة فى موقعة الزلاقة وان وجود الجمال فى حد ذاته لخدمة أجناده فى القتال واجابة نجابته فى مهاجمة الاعداء ، كان ثورة فى الفن التكتيكى الحربى عند المرابطين فى أرض الاندلس .

ومن حيث الاسلحة استخدم المرابطون درق اللمط وسيوف الهند ومزاريق الزان (١) .

جـ - تفاصيل المعركة :

حدث ما توقعه ابن عباد ، فقد هاجم الفونسو قوات المسلمين يوم الجمعة الثانى عشر من شهر رجب من سنة ٤٧٩ هـ الموافق ٢٣ أكتوبر سنة ١٠٨٦م على حين غفلة (٢) ، وبدأ القتال بهجوم مقدمة القشتاليين

---

(١) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، جـ٧ ، ص ١١٨

(٢) تختلف الروايات الاسلامية بشأن تحديد تاريخ معركة الزلاقة ، فابن الاثير يذكر أن الزلاقة وقعت فى أوائل شهر رمضان ٤٧٩هـ (١٠٨٦م) (ابن الاثير ، الكامل ، جـ ١٠ ، ص ٥٣) وعبد الواحد المراكشى يذكر انها كانت يوم الجمعة الثالث عشر من شهر رمضان الكائن فى سنة ٤٨٠هـ (١٠٨٧م) (انظر المعجب ، ص ١٣٥) أما ابن أبى زرع وصاحب الحلل الموشية فقد أجمعا على انها دارت يوم الجمعة ١٢ رجب من سنة ٤٧٩هـ (١٠٨٦م) (انظر الحلل الموشية ، ص ٥٩ ، ابن ابى زرع ، روض القرطاس ، ص ٩٦) وهذا التاريخ هو الذى أخذ به الاستاذ محمد عبد الله عنان (دول الطوائف ، ص ٣٢٣) - ونأخذ به نحن حيث أن يوسف بن تاشفين قد حدده وذكره صراحة فى رسالته الرسمية التى أرسلها الى الناصر لدين الله تميم بن المعز بن باديس بالمهدية ، فهو يقول له « وبنينا على لقاية يوم الخميس لاحدى عشر ليلة خلت لرجب سنة تسع وسبعين واربعمائة ، فلما كان يوم الجمعة ثانية ورد علينا بكتايب قد ملأت الآفاق ... » (انظر محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص ٤٤٨) وهذا التاريخ ١٢ رجب سنة ٤٧٩هـ يوافق الثالث والعشرين من شهر أكتوبر العجمى كما يذكر ابن أبى زرع فى روض القرطاس،ص ٩٨ من =

والارغونيين على مقدمة القوات الاندلسية بقيادة القائد البرهانس . أما جانب الدفاع الاسلامى / الاندلسى ، فكان يقوده ابن عباد ، وكان هذا الهجوم من العنف والقوة بحيث ارتدت القوات الاندلسية جميعها الى بطليوس ماعدا قوات المعتمد ، وذلك يعنى ان عمر المتوكل بن الافطس تراجع مع قواته (١) التى كانت تشكل الميمنة فى المقدمة الاسلامية الى حاضرته محتميا بها من ضربات العدو ، كذلك تراجعت معه قوات الميسرة ، ويمثلها عسكر شرق الاندلس (٢) .

اما ابن عباد فقد كان له دور بطولى فى هذه المرحلة الاولى من واقعة الزلاقة ، فقد استمات فى القتال ، وتلقى الطعنات الى حد انه اثخن بالجراح العديدة (٣) اما جنده فقد استشهد منهم اعداد كبيرة ،

= سنة ١٠٨٦م ، وذلك هو نفس التاريخ الذى تضعه الرواية الاسبانية باستثناء مدونة الفونسو Huici Miranda, op. cit, p. 65.

العاشر فقد حدد الفونسو العاشر فى مدونته عن تاريخ اسبانيا العام التاريخ الذى دارت فيه المعركة بيوم الجمعة الموافق اول نوفمبر Esta batalla fue fecha, assi como cuenta la estoria, viernes primero dia de noviembre (Cronica general de España p. 558).

(٢) نستدل على ذلك من قول ابن الابار فى الحلة السيراء « ونكل المتوكل يومئذ وغيره من الرؤساء وكان فيه للمعتمد ظهور مشهور» (الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص ١٠١) .

(٣) الحلل الموشية ، ص ٥٩ .

(٣) ابن الكردبوس ، ص ٩٤ ، الحميرى ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ٩٢ ، ويقول الحميرى فى ذلك « وصبر ابن عباد صبرا لم يعهد مثله لاحد ، واستبطأ يوسف وهو يلاحظ طريقة وغضبة الحرب ، واشتد البلاء وابطأ البصحراويون ، وساءت ظنون أصحابه ، وانكشف بعضهم وفيهم ابنه عبد الله ، واثخن ابن عباد جراحات وضرب على راسه ضربة فلقت هامته حتى وصلت الى صدغيه ، وجرحت يمنى يديه ، وطعن فى احد جانبيه وعقرت تحته ثلاثة افراس ، كلما هلك واحد ، قدم له آخر ، وهو يقاسى حياض الموت ، ويضرب يمينا وشمالا ، وتذكر فى تلك الحالة ابنا له صغيرا كان مغرما به ، تركه باشبيلية عليلا ، اسمه العلاء وكنيته ابو هاشم» =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولم يكتف العدو الغادر بهذا الهجوم العنيف الذى تراجع له المسلمون وانما تتبع الكثير منهم فلول المسلمين فى المناطق المجاورة لارض المعركة وتلفت ابن عباد حوله فالفى معظم جيوش الاندلس قد فر من ساحة القتال الى بطليوس ، وثبت وحده وسط عسكره واجناده وابلى بلاء حسنا ولكنه صبر رغم الخسائر الفادحة التى تعرض لها جيشه ، وكان أول من وافاه من قادة المرابطين داود ابن عائشة ، فخفف عنه عبء القتال وانتظم به شمل ابن عباد . وفى نفس الوقت انحطت قوات يوسف ابن تاشفين بقيادة سير بن أبى بكر على مؤخرة جيوش الفونسو، واقتحمت محلته واضرمتها نارا ، واهتزت ساحة المعركة بطبولهم ، فارتاعت لها قلوب عسكر المسيحيين وسقط فى أيديهم ، فالووا اعنتهم وتراجعوا ، فانحصروا بين قوات المرابطين فى المؤخرة وقوات ابن عباد واستمر القتال ، ولم تلبث صفوف العدو ان انهارت واذرع المسلمون فيهم بالسيوف ثم دارت الدائرة على جيش الفونسو فمزقه المرابطون شر ممزق ، وسحقوه سحقا ، وتداعى الاجناد والحشم والعبيد للنزال ، كما عادت فلول الاندلسيين بعد سماعهم بأخبار النصر فكانت الهزيمة النكراء التى منى بها الفونسو السادس وحلفاؤه وتمكن أحد الغلمان السود من طعن الفونسو بخنجره ففر امامه مع فئة قليلة من رجاله ، فاقتفى المسلمون اثرهم وركبوهم بالسيف ، وتمكن الفونسو من التسلل اثناء الليل فى ثلاث مائة فارس من رجاله (١) ، ولحق بطليطلة مهزوما (٢) .

= (، وانظر مذكرات الامير عبد الله الزيرى ، ص ١٠٥ — ١٠٦ ، ابن ابى زرع، روض القرطاس ، ص ٩٥ ، عبد الواحد المراكشى ، المعجب ، ص ١٣٤ ، الحلل الموشية ، ص ٥٦) .

(١) ابن الكردبوس ، ص ٩٤ ، ويجعل صاحب روض القرطاس عدد الناجين معه خمسمائة فارس (ص ٩٦) ويعطى الحميرى نفس الرقم ، وذكر صاحب الحلل الموشية أنه لم يفلت معه من اصحاب سوى اربعمائة (الحلل ، ص ٦٢) .
أما عبد الواحد المراكشى فيبالغ فى تقدير عدد الناجين ، فيقلل من عددهم تعظيما للنصر ويجعلهم تسعة (المعجب ، ص ١٣٤) =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومما لاشك فيه أن يوسف بن تاشفين كان يستهدف ايهام الفونسو بأن الهجرم الذى شنه على قوات ابن عباد الاندلسيين كان موجها أيضا الى جيوش المرابطين ، فاذا ما ركز الفونسو هجومه على ابن عباد تحركت جيوش ابن تاشفين المتوارية وراء الربوة لتضرب مؤخرة جيوش الفونسو وبذلك يجعل قوات الفونسو بين شقى رحى وبطوقها تطويقا شاملا فيبيدها ابادة تامة وهو ما تحقق له فى النهاية .

وخطة يوسف على هذا النحو تعبر عن مدى الذكاء والمهارة الحربية التى كانت تتوفر لدى هذا القائد الصحراوى ، فقد تقدم وسط قواته الاحتياطية من لمتونة وصنهاجة قاصدا المعسكر المسيحى نفسه فهاجمه بكل عنف وشدة ، وكان من حسن طالع الامير المرابطى أن كانت القوة المسيحية التى تتولى حراسة هذا المعسكر محدودة العدد ،فاثخن فيهم من الخلف وسحقها تماما . ثم أطلق يوسف بن تاشفين مفاجأته الاخيرة حين دفع بحرسه الاسود ، وكان عددهم يصل الى اربعة آلاف مقاتل الى قلب المعركة ، وقد تمكن احد هؤلاء الفرسان السود من طعن الملك الفونسو فى فخذه طعنة انهارت لها البقية الباقية من قواته فلاذت بالفرار.

= والارجح أن عدد الذين افلتوا مع الفونسو السادس من سيوف المسلمين بلغ ١٥٠٠ استنادا الى الرسالة التى بعث بها يوسف بن تاشفين الى بلاد العدوة (انظر نص الرسالة فى روض القرطاس ، ص ٩٧) .

(٢) لمزيد من التفاصيل عن معركة الزلاقة ارجع الى ابن الابار ، الحلة السيراء ، جـ٢ ص ١٠٠ ، ١٠١ ، مذكرات الامير عبد الله الزيرى ، ص ١٠٤ - ١٠٦ ، ابن خلكان ،وفيات الاعيان ، جـ٧ ، ص ١١٣ - ١٢١ ، عبد الواحد المراكشى ، المعجب ص ١٣٢ - ١٣٥ ، ابن ابى زرع ، روض القرطاس ، ص ٩٤ - ٩٧ ، الحلل الموشية ص ٥٩ - ٦٦ ، الحميرى ، صفة جزيرة الاندلس فى كتاب الروض المعطار ، ص ٨٣ - ٩٥ وراجع أيضا .

A. Huici Miranda, La invasión de Los Almravides y La batalla de Zalaca, Hesperis, t. XI, P. 171 - 76 & P. R. Menendez Pidal La España del Cid, Vol, pp. 328 - 339.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ورغم اجماع كافة المصادر العربية على الدور البطولى الذى قام به المرابطون فى واقعة الزلاقة الا ان ابن الكردبوس قد أورد ما يتعارض مع ماجاء فىتلك المصادر ، فابن الكردبوس يبرز مدى الشجاعة والفروسية التى ابداها المعتمد بن عباد دون سائر ملوك الطوائف فى بدء المعركة « ووقف لهم المعتمد كالاسد الورد ، وناطحهم مناطحة الاقران وثبت ثبوت راسخات الرعان حتى اثخن بالجراح ، وتبع الروم فل المسلمين ، ثمانية عشر ميلا فى تلك البطاح يقتلون ويأسرون وينتهبون (١) » ثم يصور ابن تاشفين على انه لم يكن بالبسالة والوفاء الذى أوضحته المصادر الاخرى فيذكر انه عندما علم بالهزيمة النكراء التى منى بها مسلمو الاندلس فى بادىء الامر قال « اتركوهم قليلا للفناء فكلا الفريقين من الاعداء ، فلما تحقق ان اكثرهم قد اسر وقتل رأى انه قد آن ان يفترس العدو اذ قد تباعد عن محلته وتحمل ، وقصد بجيشه محلة العدو فتغلبها واستأصلها وانتهبها وقتل فيها نحو عشرة آلاف راجل وفارس وما منهم الا بطل مداعى ، ومضى على وجهه فىأثر الفنش وقد تفرق له فى اتباع الاسلام اكثر الجيش ، فوضعوا السيوف فى ظهورهم ، والارسل فى نحورهم ، فانهزموا وولوا مدبرين (٢) .... » .

وهذه الرواية التى أوردها ابن الكردبوس تتناقض تناقضا تاما مع غيرها من الروايات الموثوق بها والتى ساقها مؤرخون معاصرون للمعركة امثال الامير عبد الله الزيرى ، ويبدو ان ابن الكردبوس قد اختلط عليه الامر ، فهناك خلاف من نوع آخر ، وقع بين ابن تاشفين وبين المعتمد ابن عباد بعد انتصار المسلمين فى الزلاقة ، فالمعتمد كان يرى الاستمرار فى مطاردة العدو اثناء انسحابه مفلولا ، اما يوسف بن تاشفين فكان يرى الكف عن مطاردته حتى تعود فلول المسلمين التى ولت الادبار بعد

---

(١) ابن الكردبوس ، نصان جديدان ، تحقيق د. مختار العبادى ، ص ٩٤ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٩٤ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الهجوم الذى شنه الفونسو السادس على جيوش الاندلسيين ، وقال انصار ابن عباد «لم يخف على يوسف أن ابن عباد أصاب وجه الصواب والرأى فى معالجته ، ولكنه خاف ان يهلك العدو الذى من الجلـه استدعاه فيقع الاستغناء عنه وقالت شيع يوسف : انما اراد ابن عباد قطع حبال يوسف من العود الى جزيرة الاندلس . وقال آخرون : كلا الرجلين اسهر حسوا فى ارتغاء ، وان كان ابن عباد احرى بالصواب (١) .»

ويرى اويثى ميراندا Huici Miranda ان الانتصار الذى احرزه المسلمون فى واقعة الزلاقة انما يدينون به للفرسان المغربة (٢) وعلى نقيض ذلك نجد منندث بيدال يشير الى أن الامر يتعلق بتخطيط عسكرى جديد يكفى لارباك الروح القتالية عند عسكر المسيحيين ، فقد عمد المرابطون الى القتال فى صفوف متراصة متناسقة ، ولم يكن الفرسان المسيحيون على علم بهذا الاسلوب القتالى ، اذ كانوا قد اعتادوا على القتال الفردى ، ويعزو أسباب الهزيمة الى دور الطبول اللمتونية التى سمعت لاول مرة فى اسبانيا فى هذه الموقعة مما ادى الى ارباك جيوش الفونسو السادس (٣) .

واذا حاولنا تقدير الخسائر التى لحقت بكل من الفريقين يتبين لنا أن خسائر الجانب المسيحى فاقت الى حد كبير خسائر المسلمين ، فكما سبق أن رأينا من نص ابن ابى زرع انه لم ينج من الجيش النصرانى سوى خمسمائة فارس او اقل ، هم الذين تراجعوا متقهقرين مع ملكهم الفونسو السادس عقب اصابته فى الواقعة ، وقد تتابعوا فرارهم مع فلوله

---

(١) الحميرى ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ٩٣ ، الحلل الموشية ، ص ٦١ .

(٢) Huici Miranda, La invasion de los almoravides y la batalla de Zalaca, p. 70 - Albarran, el solar, op cit., p. 133.

(٣) R. Menendez - Pidal, la España del Cid, pp. 335 - 339.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولم يتوقفوا الا عند قورية ، ولما كان معظمهم مثخنين بالجراح فقد مات معظمهم فى الطريق ولم يصل الى طليطلة مع ملكهم سوى مائة (١) .

وهذا نفس ما ذكره ابن تاشفين فى خطابه الرسمى الذى ارسله الى بلاد المغرب عقب واقعة الزلاقة ، فهو يقول « وتسلل الفنش تحت الظلام فارا لايهدى ولا ينام ومات من الخمسمائة فارس الذين كانوا معه بالطريق اربعمائة فلم يدخل طليطلة الا فى مائة فارس (٢) ...» .

ويرى صاحب الحلل الموشية ان خسائر النصارى من القتلى بلغت نحو ثلاثمائة الف ، اما من نجا من هؤلاء الاعداء ، « لم يفلت منهم اكثر من اصحاب غرسية الذى اعتزل عن القتال ، وهو نحو اربعمائة افلتوا مع الطاغية (٣) ... » .

ويذكر ابن ابى زرع ان عدد من استشهد من المسلمين قد بلغ فى هذه الموقعة نحو الثلاثة آلاف رجل وان امير المرابطين قد امر بقطع رءوس القتلى من الروم فتقطعت وجمعت بين يديه « كامثال الجبل وبعث منها الى اشبيلية عشرة آلاف راس ، والى قرطبة كذلك والى بلنسية مثلها والى سرقسطة ومرسية مثلها وبعث الى بلاد المغرب اربعين الف راس فقسمت على مدن العدوة ليراها الناس فيشكروا الله على ما منحهم من النصر والخير العظيم (٤) .... » .

ويقدر ابن ابى زرع عدد النصارى الذين اشتركوا فى المعركة بنحو ثمانين الف فارس ومائتى الف راجل قتلوا جميعا ولم ينج منهم سوى

---

(١) ابن ابى زرع ، روض القرطاس ، ص ٩٦ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٩٦ ، محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ملحق ٢ ، ص ٤٥١ .
(٣) الحلل الموشية ، ص ٦٢
(٤) ابن ابى زرع ، روض القرطاس ، ص ٩٦ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المائة الذين وصلوا مع ملكهم الى طليطلة (١) . اما صاحب الحلل الموشية فيرى أن عدد الرؤوس التى اجتمعت لابن عباد بلغت اربعة وعشرين الف فارس (٢) .

ويرى الاستاذ محمد عبد الله عنان (٣) انه لابد وان تكون خسائر المسلمين اعلى بكثير مما ذكرته المصادر العربية فليس من المنطقى ان تقتصر على ثلاثة آلاف خاصة وان أهل الاندلس فوجئوا بهجوم قوات الفونسو عليهم فخرجوا للقتال من غير تعبئة فانهزموا وولى معظمهم الادبار الى بطليوس وثبت المعتمد بن عباد فى اصحابه الى ان وافتهم قوات ابن عائشة . وواضح أن الارقام التى أوردها ابن ابى زرع مغالى فيها للغاية من حيث تقدير القوة المسيحية ومن حيث عدد القتلى منهم .

واذا اردنا بعد سردنا لاهم احداث تلك المعركة ان نقيم اهم المصادر التى تناولت هذه المعركة فسوف نجد ان النصوص المتأخرة وفيرة فى هذا الصدد لاسيما من الجانب الاسلامى ، اما النصوص المعاصرة للموقعة فشحيحة وتقتصر على النصوص العربية واهم هذه النصوص المعاصرة بلا شك ما احتوته مذكرات ملك غرناطة عبد الله بن بلقين ابن باديس الزيرى ، ولقد شهد هذا الملك الزيرى موقعة الزلاقة ، ولهذا فان رواياته لها اهمية خاصة ، وقيمة كبرى كما أن تحليله للاحداث وما وراءها عميق ورائع يعبر عن حقيقة الاوضاع ، ويتميز بالصدق فى التفاصيل الواردة .

وهناك نص آخر معاصر اذا ما استبعدنا الشكوك فى صحته ، ذلك هو الرسالة التى كتبها يوسف بن تاشفين الى امير بنى زيرى بافريقية يبلغه فيها بهزيمة الفونسو السادس ، هذه الرسالة وثيقة رسمية صحيحة،

---

(١) المصدر السابق ، ص ٩٦ .
(٢) الحلل الموشية ، ص ٦٣ .
(٣) محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص ٣٢٨ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عثر عليها بين المخطوطات العربية المحفوظة فى مكتبة الاسكوريال اكتشفها الدكتور العراقى صلاح الدين عبد الرحمن خالص ، وقد نشر ليفى بروفنسال وغرسية جومث النص العربى لهذه الوثيقة بالاضافة الى الترجمة والتعليق (١) .

ولكن اويثى ميراندا Huici Miranda تشكك ووضع تحفظات على صحة هذه الوثيقة ، فذكر أن الرسالة لاتسجل الرواية الرسمية عن المعركة (٢) ، ويرى البران Albarran ان هذه الرسالة لاتتضمن حقا اسم الكاتب الذى كتبها فى ديوان يوسف بن تاشفين ، ولا تاريخ الرسالة ولا حتى موضع المعركة وهى ظروف لاحظها المترجمان والمعلقان عليها فى المقال سالف الذكر ، ولكن رغم ذلك فان اغفال أى من هذه الامور لاينهض دليلا على التشكك فى صدقها تماما ، فان صياغتها تتفق وتخضع للاسلوب الشائع عند كتاب الاندلس فى تلك الفترة (٣) . كذلك تشكك كارلوس كيروس فيما بعد فى هذه الرسالة اذ اعتبرها غير رسمية وغير موثوق فى أنها صدرت من ديوان يوسف (٤) . ونحن لانميل الى الاخذ بهذه الآراء التى تتشكك فى صحة الوثيقة فمهما كان مؤلف هذه الوثيقة فلا ينبغى ان نشك فى انه كان مطلعا على جلية الامر ، فهو يؤكد حقائق معروفة ويزودنا بأخرى ليس مشكوكا فيها ، وسواء أكانت الوثيقة قد صدرت من ديوان يوسف أم لم تصدر منه ذاته فانه يتعين علينا أن نقبل

---

(١) راجع : E. Lévi - Provençal, Garcia Gomez, Oliver, Novedades sobre la batalla llamada de la zallaca, 1086 en «al Andulus t, XV, 1950, pp. 114 - 124. Huci miranda, op. cit., p. 71.

(٢) ويعلل طعنه فى صحتها بأنها لاتتضمن اسم الكاتب الذى نسخها ولا التاريخ الذى كتبت فيه ، ولا الموضع الذى وقع فيه الاشتباك .

(٣) Albarran, el solar de los Affasies, p 139.

(٤) Carlos quiros, los almoravides, en archivo del instituto de estudios Africanso, Madrid, no 32, 1955 p. 21 - 22.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

النص لنستخرج منه مادة علمية وتفاصيل تضعنا على الاثر الصحيح لدراسة كاملة وحكم صادق على المعركة ، ولاينبغى أن نغفل مثل هذه الرسالة اذ لابد من اعتبارها مستندا معاصرا له قيمته ووزنه التاريخى .

ومن المصادر التاريخية المتأخرة :

١ - ابو مروان عبد الملك بن الكردبوس التوزرى صاحب كتاب الاكتفاء الذى عاش فى اواخر القرن السادس الهجرى وكتبه فى حدود عام ٥٧٠هـ (١١٧٠م) والكتاب مخصص للتاريخ العالمى وفيه يظهر جانب كبير من ادب الاساطير يتجلى بصورة واضحة فى مجال وقعة الزلاقة ولما كان المؤلف مغربيا فقد طغى فى الكتاب تحيزه للمرابطين وتحامله الشديد على اهل الاندلس ، ويصور ملوك الطوائف بالوان قاتمة فيتهمهم بالجبن ، والخور ويوصمهم بالفساد (١) .

٢ - الحلل الموشية ، يرجع بعض الباحثين المحدثين ان مصنف هذا الكتاب - وكان يظن حتى عهد قريب انه مجهول الاسم وان كان بعض مؤرخى المغرب ينسبونه الى اديب مالقى يدعى ابا عبد الله محمد بن ابى المعالى بن السماك العاملى (٢) . هو محمد بن ابى العلاء محمد بن سماك العاملى المتوفى فى النصف الثانى

---

(١) A. Huici Miranda, La invasion de los Almoravides y la batalla de Zalaca, pp. 46 et sq.

(٢) أرجع الى : أحمد مختار العبادى ، دراسة حول كتاب الحلل الموشية فى ذكر الاخبار المراكشية ، مجلة تطوان ، العدد ٥ ، لسنة ١٩٦٠ ، ص ١٣٩ - ١٥٨ ، محمود على مكى مقدمة كتاب الزهرات المنثورة فى نكث الاخبار المأثورة ، لابن سماك العاملى ، تحقيق د. محمود مكى ص ٤١ ، هامش ٢ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من القرن الثامن الهجرى (١) . والكتاب تاريخ مفصل يتضمن تاريخ دولة المرابطين وصدر من دولة الموحدين حتى نهاية عبد المؤمن بن على ، ثم عرض سريع لهذه الدولة حتى نهايتها ثم سرد لاسماء سلاطين بنى مرين حتى سنة ٧٨٣هـ (١٣٨١م) والكتاب صنف فى عام ٨٧٢هـ (١٣٨١م) ، ويهمنا من مادته الخطابين اللذين وجههما المتوكل ابن الافطس صاحب بطليوس الى الفونسو السادس والى يوسف ابن تاشفين ، الاول يرفض فيه دفع الاتاوة ، والثانى يلتمس عون الامير المرابطى ويبلغه بسقوط قورية (انظر ملحق ٢) هذا بالاضافة الى التفاصيل الدقيقة لمعركة الزلاقة .

٣ - عبد الواحد المراكشى ، صاحب كتاب « المعجب فى تلخيص أخبار المغرب » الفه فى سنة ٦٢١هـ (١٢٢٤م) ، أما وصفه للمعركة فهو يتسم بالبساطة اذ سجله فى الشرق الاسلامى بعيدا عن ضغوط الموحدين ، ويخلو هذا الوصف من الاسلوب الدعائى الخيالى ، ونظرا لقلة ما كان لديه من مصادر ، فقد التبس عليه الامر فى تواريخ الزلاقة وحصار اليط (٢) .

٤ - ابن عبد المنعم الحميرى ، صفة جزيرة الاندلس من كتاب الروض المعطار فى خبر الاقطار ، كتبه فى أواخر القرن التاسع الهجرى، ووصف تحت مادة الزلاقة كل تفاصيل المعركة ، وقد نقده اويثى ميراندا Huici Miranda نقدا علميا مطولا وفيه سجل كثيرا مما تواتر من قبل من أخبار وهمية مختلقة عن المعركة (٣) ولكن نص الحميرى

---

(١) من هؤلاء الباحثين الدكتورة ماريا خيسوس روبيرا فى بحثها القيم عن « حول مؤلف محتمل لكتاب الحلل الموشية » .

Maria Jesus Rubiera, sur un possible auteur de la chronique intiulée Al-hulal al Mnuwsiyya fi - Dikr al Ajbar al Marrakusiyya. on el II coloquio hispano tunecino madrid, p. 143 - 146.

(٢) Huici, Miranda, op. cit, p. 48.

(٣) Huici, Miranda, op. cit, p. 49 - 52.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على الرغم من ذلك موضوعى الى حد كبير وفيه حقائق على جانب كبير من الاهميـة .

٥ ـ ابن عذارى المراكشى ، كتب فى أواخر القرن السابع ، ولـم يصل لنا ما كتبه ابن عذارى عن موقعة الزلاقة ، ولكن تعليقه عليها عند حديثه عن موقعة الارك فيه شىء من التفصيل ، فقد ذكر كيف تعمـد يوسف بن تاشفين ترك المعتمد بن عباد هو واهل الاندلس يحاربون وحدهم طوال الليل حتى ضحى النهار الى أن اتى القتل على المسلمين ولم يتحرك لنجدتهم الا بعد ان أرسل اليه المعتمد كاتبه ابا بكـر بن القصيرة ، كما قدر عدد قوات الفونسو السادس تقـديرا اقرب الـى الحقيقة فجعل عدته ستين الفا بين فارس وراجل ، وحدد عدد الناجين مع الفونسو بثلاثة عشر فارسا (١) ، ولكن الناسخ للمخطوط يخطىء فى ذكر سنه المعركة فيذكر سنة ٤٧٧هـ (١٠٨٤م) بـدلا مـن ٤٧٩هـ (١٠٨٦م) وقد صحح المحققون للبيان هذا الرقم .

٦ ـ ابن ابى زرع من الثلث الاول من القرن الثامن ، أورد وصفا مطولا عن الموقعة ، وقد انتقد اوبثى ميراندا روايته نقدا شديدا ، ويذكر أن كتاب روض القرطاس يعتبر من بين جميع المصـادر التاريخيـة الاسلامية ، اقلها قبولا للثقة ، ويتفق كل من أويثى ميراندا ودوزى (٢) على أن روايته لاتوحى اطلاقا بالثقة ، فأرقام عدد المقاتلين ، وعـدد القتلى من الجانبين غير معقولة كما أن وصفه للمعركة لا يمت بصلـة الى الحقيقة .

اما المصادر القشتالية فعلى نقيض الوثائق التاريخية العربيـة ،

---

(١) ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الثـالث ، تحقيـق أويثى ميراندا ، ومحمد بن تاويت ومحمد ابراهيم الكتانى ، تطوان ١٩٦٣ ، ص ١٩٦ .

(٢) Huici Miranda, op. cit., p. 54.

تبدو فقيرة ولايوجد مصدر منها معاصر للموقعة فكل المدونات التاريخية التى تعرضت لها متأخرة عن تاريخ الموقعة وكلها باستثناء مدونة لوزيتانو زهيدة لاقيمة لها ، وبعض هذه الوثائق كتب فى القرن ١٣م ، وتتزامن فى ذلك مع نظائرها العربية المتأخرة التى اشرنا اليها . ولقد زودتنا الحوليات الطليطلية Annales Toledanos بما يلى « وتقاتل الملك دون الفونسو مع المسلمين فى الزجالة Zagalla (١) » بينما اشارت مدونة برغش Cronicon Burgense فقط الى الذهاب الى بطليوس فى حين تشير مدونة دون بلايو الى اشتباك الفريقين فى الزلاقة حيث تقاتل الفونسو فى Sacralias مع الملك يوسف (٢).

اما مدونة لوزيتانو فقد أطنبت فى وصف المعركة ، ويذكر اويثى ان الوصف الذى ورد فيها يشابه كثيرا الوصف الخيالى الذى شاركهم فيه مؤرخو العرب لاسيما صاحب الحلل الموشية . وقد جاء فى هذه المدونة « واشتبك الملك دون الفونسو فى معركة عنيفة مع ملك العرب يوسف امام مدينة بطليوس فى الموضع المسمى ساكرالياس Sacralias حيث اشترك مع ملكنا جميع المسيحيين من مناطق الالب وكثير من الافرنجة جاءوا لنصرته ، ولكن بسبب معارضة الشيطان ، سرى رعب شديد فى نفوس كثير من رجالنا وولى الادبار الوف كثيرة منهم دون ان يطاردهم احد . ودخل الملك وهو يجهل فرارهم بكل ثقة فى المعركة التى حضرها جميع المسلمين من كل اسبانيا مدججين بالسلاح ، وكان يوسف بن تاشفين قد أمر بأن يعبر معه الوف كثيرة من البربر من الجانب الاخر من الزقاق ، وقاتل الملك دون الفونسو ، ومعه من بقى منهم حتى الليل ولم يستطع احدهم ان يقاوم هجومه ، ولكن المسلمين وقد احكموا صفوفهم ، قتلوا عددا كبيرا من النصارى ، واثناء ذلك غزا

---

(١) Ibid, p. 59 - Albarran, el solar de Los Aftasies, op. cit., p. 185.

(٢) Florez, Chronicon de don Pelayo, p. 473 «Fecit litem in campo in Sacralias cum rege juceph.»

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الملك الحصن وخطوط المسلمين ، وهو يقتلهم ويشتتهم ويدفعهم من جانب الى آخر حتى وصل الى المحلة التى نصبت فيها خيمة الملك يوسف وقد طوقت بسياج ضخم ، وعندما هاجمها الملك بحماس ، والح عليها بالقتال جاءه واحد من عسكره ، وافضى اليه قائلا « اعلم يامولاى الملك انه اثناء قيامك بالقتال هنا ، فان كمائن من المسلمين غزت مخيمك »، وعندما سمع الملك ذلك ، واخذ بنصائح اتباعه ترك ملك المسلمين ، ورحل عن محلته ، ثم اتى متعجلا مع ذلك مع من كان برفقته ضد لمسلمين الذين كانوا قد اغاروا على معسكره ، وقتلوا كثيرا منهم ،وحملهم على الفرار عن هذا المعسكر ، ولكن قتل من المسيحيين هناك عدد كبير، ومن بقى ناجيا ، انضم الى الملك . ولما كان الفونسو قد طعن برمح فقد أحس بالعطش بسبب نزيف الدم الذى تسبب فيه الجرح ، فسقوه نبيذا بدل الماء لعدم توافره فى معسكرهم واذ اصيب باغماءه عاد مع رفاقه الى قورية ، وعاد المسلمون أيضا ، كل الى موقعه » (١) ...

وتذكر المدونة العامة الاولى رواية مشابهة لرواية مدونة لوزيتانو، فتشير باختصار الى مبادرة الفونسو بترك حصاره لسرقسطة ، وارساله فى طلب البرهانس ببلنسية وسيره الى امير المرابطين ، والاشتباك مع المسلمين فى موضع قريب من بطليوس يسمونه بالعربية زلاقة Zallaqua وباللغة القشتالية يسمونه ساكر الياس ، ويؤكد أن الفونسو قد اصيب بطعنة رمح ، وحمل اتباع الملك ملكهم الى قورية (٢) .

---

(١) Florez, España sagrada, Chronicon Lusitano, p. 405 - 406 Huici Miranda, la invasión de los Almorávides y la batalla de Zalaca, p. 59.

(٢) Primera Cronica General

(٦)

تحقيق موقع الزلاقة من اراضى بطليوس (ساجرا خاس) Sagrajas

هناك خلاف كبير لدى بعض المؤرخين حول تحديد موضع الزلاقة الامر الذى يدعو الى التساؤل ، هل الزلاقة هى موضع الزجالة الحالى Azagala ام المسمى حاليا Sagrajas

ولقد وردت اشارة فى مدونة برغش Cronicon Burgense وهى Fuit la de Badajoz « اى ان الموقعة دارت عند بطليوس » ان من درس طبوغرافية بطليوس ، وعلى الاخص القسم الشمالى منها يمكن ان يدرك ان واديانه يصل طاميا فياضا متبعا مجراه حتى يصل الى بطليوس ، وعندما يصل الى هذه المرحلة ينثنى برفق نحو الغرب ليواصل مجراه حيث يلتقى برافد الكايا Caya (على الحدود البرتغالية الحالية) ثم يمضى الى الجنوب ، ويلتقى برافده نهر خيفورا Gevora عموديا عليه عند انحداره من الشمال مع بعض الانحراف نحو الشرق ويتحدد نهر خيفورا Gevora مع نهرى ثاباتون Zapaton والبراجنة Albarragena اللذين يرتبطان ارتباطا وثيقا بارض المعركة . ويوازى نهر خيفورا وعلى مسافة تبعد نحو ٢ك٠م نهر جيريرو Guerrero الذى يلتحم مع احد فرعى واديانه (١) على مسافة قدرها ٧ك٠م من نقطة التقائه بنهر خيفورا ، الى الشمال الشرقى من بطليوس ، وتبدو المنطقة الفسيحة التى تخترقها هذه الروافد على شكل فحص رائع ، يمتد فيه سهل من جهة نهر الخيفورا يسمى ساجرا خاس يبعد عن بطليوس بنحو ٧ك٠م ، ويبلغ ارتفاع هذا السهل عن سائر الاراضى المحيطة به بما يقل بعض الشىء عن مائتى

---

(١) يؤلف واديانه فيما بين نقطة التقائه بنهر خيفورا ونهر جيريرو جزيرة بين فرعيه تسمى جزيرة رومو Romo

متر (١) فوق سطح البحر ، ويبرز فى هذا السهل ، على بعد اربعة عشرة ك٠م من بطليوس ؛ تل يسمى كاربونيراس Carboneras ، يفوق ارتفاعه ارتفاع سهل ساجراخاس Sagrajas بنحو ٥٠ مترا ، ولكنه ينشطر الى شقوق واضحة ويمكن تمييز تل كاربونيراس هذا تماما عن المسطح الافقى للمنطقة ، واذا تتبعنا هذا الخط الى اليسار حيث تبدأ الحدود الحالية مع البرتغال نجد تلا آخر يأخذ فى الارتفاع يسمى ليفيانا Liviana ، يقع على بعد ١٢ ك٠م من بطليوس ويمكننا تمييزه بوضوح على مقربة من الضفة اليمنى من خيفورا ويبلغ ارتفاع هذا التل نفس ارتفاع تل كاربونيراس ٠

وما زال الموضع يحتفظ اجمالا بكل مظاهره الطبيعية ، وان كان قد تحول الى اراضى مزروعة تعتبر جزءا مما يسمى بالفحوص السفلى «Vegas bajas» (٢) ٠

أما غابة البلوط القديمة التى كانت تكسو الموقع فقد تناقصت اليوم ، وما زالت اشجارها الكثيفة التى كانت تصل منذ عهد قريب الى ضفاف واديانه هى العالية على الصورة العامة للمنطقة ، وهى صورة يمكن أن نتاملها من اعلى بقايا اسوار مدينة بطليوس الاسلامية (٣) ٠

أما السهل فقد أصبح يتخذ شكل مثلث راسه يمكن ان تشغله مدينة بطليوس نفسها وتنفرج زاوية الراس من المدينة ، وتنبسط نحو الشمال الغربى فى اتجاه معاكس فى حين تحف بواديانه من الشرق ، حيث ما تزال ترى فى الجهة الشرقية المتجهة نحو ماردة تحصينات قديمة ٠

ويتالف فحص واديانه من سهول فيضية ، وكذلك فحص نهر

---

(١) Huici Miranda, op. cit. p. 61.

(٢) Albarran, el Selar, op. cit., p. 189.

(٣) Huici Miranda, op. cit., p. 62.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

خيفورا ، وان كانت نسبها اقل . اما بقية الاراضى فطينية باستثناء مناطق كلسية بجوار بطليوس تتيح وجود جرفين مرتفعين تقوم على احدهما القصبة ، وتواجه المرتفع الآخر المسمى بقمة سان كريستوبال حيث ينفتح باب فسيح يسمى باب النخيل يمر منه واديانه .

واذا ارتقينا ببصرنا الى خط الافق نجد ان السهول تتوقف عند خط ازرق يمثل سلاسل الجبال . وبحذاء نهر آنة يخترق الفحص اجزاء قديمة من الجادة الرومانية القادمة من ماردة ، والى الشمال الشرقى من هذا الموضع تتفرع الجادة الى فرعين نحو الغرب حيث تقوم قرية بودوا Budua التى تعرف اليوم باسم Botoa ، وكانت فيما مضى تابعة لبطليوس .

وبهذا الوصف نكون قد اوضحنا اهم النقاط عن المواضع التى سنعالجها فيما يتعلق بواقعة الزلاقة المشهورة .

وهناك ثلاثة مناطق خالية او مناطق قضاء محددة تماما دارت حولها المناقشات ، واحدى هذه المناطق كانت تعرف عند المسلمين بالزلاقة ، واول هذه المناطق التى تحدثت عنها المصادر العربية ، بطحاء بطليوس الفسيحة الممتدة بحذاء واديانه وتتسع لمجرى نهر خيفورا ، وهى التى تعرف اليوم باسم Sagrajas ، والثانية ارض خزان اخيلا حتى حصن الزجالة وهو حصن قائم على قمم مرتفعة يبعد عن بطليوس بنحو ٦٠ ك٠م (١) وتجتمع اودانه روافد ثلاثة هى البراجنة ، وسان فوسترى وثاباتون ، ولعل تشابه الزجانة مع الزلاقة فى النطق كان من الاسباب التى دعت الى القول بأن المعركة دارت فى ٤٧٩هـ (١٠٨٦م)

---

(١) J. Oliver Asin, el lugar de la batalla de Zalaca - Sacralias, al - Andalus, vol XV, 1950, p. 135 - Huici Miranda, op. cit. p. 62.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بين المرابطين والنصارى ، فى الفحص الممتد حول الحصن ، والثالثة هى المروج الفسيحة الممتدة الى الشمال .

والزلاقة اسم يطلقه جميع مؤرخى العرب على الموقعة الشهيرة التى دارت بين مسلمى الاندلس والمرابطين وبين قوات الفونسو السادس ، ويعناه فيما يبدو المناطق التى يفيض فيها النهر ويغطس ، وتغطى مياهه اراضى هذا الفحص فى زمن السيول ، وهو معنى مجازى باعتبار ان الزلاقة الموضع الذى لايمكن الثبوت عليه من شدة زلقه .(١) . وربما كان للاسم علاقة ما بكلمة « زلالق » كما يعتقد اوليفر آسين (٢) وهى الاسوار المائلة التى تتخذ فى التحصينات الدفاعية لاسيما على الانهار مثل سور الشبيلية القبلى من جهة الوادى ما بين باب مقارنة وباب قرطبة الذى اقيمت له زلالق فى عهد أبى يوسف يعقوب بن عبد المؤمن ٥٦٧هـ (١١٧١م) بعد أن تأثر هذا السور قبل ذلك بسيل جارف ، وفى ذلك يقول ابن صاحب الصلاة : « وابتنى الزلالق لابواب اشبيلية من جهة الوادى احتياطا من السيل الخارج عليها » (٣) .

ويرى الاستاذ البران أن الاسم ربما اشتق من كلمة « سهلة » بمعنى الارض السهلة المنبسطة استنادا الى أن خيمينث دى رادا اوردها فى حولياته فى صورة مقطعين Zalla - Quae ، الاول ينطق زلا ، وهو نطق اقرب الى سهلة ، والمقطع الثانى ويعنى « التى » زائد ، وهذا التفسير فى راينا غير مقبول لان معنى زلاقة فى هذه الحالة يصبح

---

(١) ياقوت ، معجم البلدان ، مادة زلاقة .

(٢) Jaime oliver Asin, el lugar de la batalla de Zalaca - Sacralias, al - Andalus, vol XV, Fasc. I, 1950, p 147.

(٣) ابن صاحب الصلاة ، تاريخ المن بالامامة على المستضعفين ، تحقيق د. عبد الهادى التازى ، بيروت ١٩٦٤ ، ص ٢٣٥ ، وراجع السيد عبد العزيز سالم ، اضواء على مشكلة تاريخ بناء اسوار اشبيلية ، مجلة المعهد المصرى بمدريد ، مجلد ١٨ ، ١٩٧٥ ، ص ١٤٨ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« السهلة التى » (١) .

أما المصادر المسيحية فتتحدث عن ساكرا لياس Sacralias بصور متعددة ، ولكن بعضها يشير الى الاسم العربى زلاقة كما ورد فى مدونة خيمينث دى رادا (٢) .

ومن المعتقد أن الاسم العربى « زلاقة » كان معروفا فى القرن الثالث عشر الميلادى أى فى نفس الوقت الذى كتب فيه المؤرخون المسيحيون أخبار هذه الموقعة ، ولكنهم فضلوا عليه بدافع من الشعور القومى استعمال الاسم المستعرب ثم عمموه من خلال التقريب اللاتينى ، ولامجال للمناقشة فى أن الزلاقة تعادل ساكر الياس ، ويؤيد ذلك ما روته المدونة العامة الاولى التى كتبت فى القرن الثالث عشر الميلادى بقولها « التى يقال عنها بالعربية زلاقة ، وباللغة القشتالية ساكر الياس ... »

«Un lugar corca de Badajoz a que dizien en arauigo zalläque et en el lenguage de castiella dizenle sacralia ».

وبقى علينا أن نتعرف على موقع الزلاقة من الوجهة الجغرافية ، ولايبعدو هذا الموضع أن يكون سهلا يمتد بالقرب من بطليوس ، ويمكننا أن نشاهده من الشرفة الكبرى بقصبة بطليوس التى يرى الناظر منها كل المناطق الشمالية ، وعلينا أن نطرح من تفكيرنا من البداية كل الافكار القائلة باتجاهات اخرى غير الجهة الشمالية التى قدمت منها جيوش الفونسو السادس .

ولكن علينا أيضا أن نقرر أولا بأن الوثائق المعاصرة لم تتحدث عن

---

(١) Albarran, op. cit. p. 195 - Oliver Asin, la invasión de los Almorávides y la batalla de Zalaca, p. 140.

Albarran, op. cit., p. 194.

(٢) Primera Crónica General de España, edi por Menendez - Pidal, p. 557.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هذا الاسم ولكنه ورد فى المصادر المتأخرة التى توسعت فيها المعرفة الجغرافية ، فالحميرى فى الروض المعطار ، الذى اعتمد فيه على الادريسى والبكرى يعرف الزلاقة بقوله « بطحاء الزلاقة من اقليم بطليوس من غرب الاندلس فيها كانت الوقيعة الشهيرة للمسلمين على الطاغية عظيم الجلالقة اذفونش ابن فرذلند » (١) .

اما الادريسى فقد اغفل الاشارة اطلاقا الى الزلاقة ، واما الحلل الموشية فقد اشار اليه بقوله : « ولما احتله عساكر المسلمين بظاهر بطليوس ، واحتل اذفنش بفحص الزلاقة على اربعة فراسخ من بطليوس ، كتب الى امير المسلمين مكرا منه (٢) ... » .

ويفسر أوليفر آسين فقرة الحلل بالمفهوم الجغرافى الواسع الذى يشير اليه المؤلف مجهول الاسم ، وفيه يتحدث عن فحص الزلاقة على انه منطقة او اقليم فسيح يمكن ان يضم مساحة كبيرة فى الجزء الذى يشغله اليوم المرج المذكور شأنه فى ذلك شان فحص البلوط .

ولابد قبل البحث فى تحديد الموضع توضيح اسم الزلاقة (٣) ، على نحو اكثر تحديدا ، فليس هناك جغرافى عربى واحد تحدث عن تقسيم اقليمى بهذا الاسم ، لالرازى قبل القرن الحادى عشر الميلادى ، ولا واحد من الجغرافيين المتأخرين ، أمثال الادريسى ، ولا حتى ياقوت الذى يعرف الزلاقة بأنها « ارض بالاندلس بقرب قرطبة كانت عندها وقعة فى أيام أمير المسلمين يوسف ابن تاشفين مع الاذفنش » (٤) . ومن المعروف أن ياقوت فى أوصاف اخرى للمواضع بحرص دائما على توضيح اذا ما كان الموضع المذكور منطقة ام اقليم ام حصن .

---

(١) الحميرى ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ٨٣
(٢) الحلل الموشية ، ص ٥٧
(٣) Oliver Asin, el lugar de la batalla de Zalaca, p. 144.
(٤) ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، مادة زلاقة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والمشكلة القائمة اليوم هى التحديد الجغرافى لمنطقة الزلاقة ، وهل الزلاقة هى نفس الزجاله التى ورد ذكرها فى بعض المصادر المسيحية ، وما زالت تطلق على حصن يقع على بعد ستين ك٠م شمالى بطليوس ؟

ولقد تعرفت منذ عامين على حصن الزجالة ، وقمت بزيارته خلال رحلتى الى بطليوس ونواحيها ، ولاشك فى ان موقعه ومناطقه المجاورة اثرية ، فقد تم العثور باعلى السلاسل الجبلية التى لاتبعد عنه سوى عدة كيلو مترات على مذبح رومانى ، ويحتاج الامر الى اجراء حفريات فى نفس مستوى الارض التى يرتفع عليها الحصن ٠ ومن الجدير بالذكر ان بالامكان تمييز اجزاء اثرية فى الجانب الشمالى من أسوار الحصن تثبت ان الموضع كان ماهولا فى عصور سابقة ، ومعنى ذلك ان الموقع استراتيجى منذ القدم ، ولم يلبث هذا الموقع ان اصبح فى القرن الثالث عشر الميلادى قرية تابعة لمدينة بطليوس ٠

ومن انصار الراى القائل بأن اسم الزجالة هو مجرد تحريف طرأ فى القرن الثالث عشر على اسم الزلاقة بمعنى أن الاسم الاصلى وهو الزلاقة تم تعرضه لتحريف لغوى فتحول بذلك الى الزجالة ، كل من مارتينث اى مارتينث واوليفر آسين (١) ، وهما يعتقدان ان حصن الزجالة الحالى هو نفسه الزلاقة التى ذكرها المؤرخون المسلمون ، وتفسير

---

(١) وانضم اليهما امبروسيو اويثى ميراندا فى مقاله عن الزلاقة (Huici, op. cit. p. 75.) ، ولكنه يتحفظ فى قبوله لراى اوليفر آسين فى نهاية مقاله فيقول « وعلى اى حال فلفظ الزجالة على الرغم من بنائه العربى وتشابهه الواضح مع الزلاقة ، لايمكن قبوله مرادفا للزلاقة ما دمنا لانملك مادة جديدة نعتمد عليها فى حسم الموضوع ، وعلينا اعتبار أن الزلاقة هى موضع مفقود ، لم يرد ذكره سوى فى المصادر القديمة ، ولم يترك اثرا فى اللغة الشعبية عند اهل غرب الاندلس » . (Huici Miranda, op. cit. p.76)

هذا التحريف على حد زعمهما يرجع الى سهولة نطق القاف العربية بالجيم الاسبانية ، والاقتصار على اللام بدون تشديد يرجع الى قرب المنطقة من البرتغال حيث ينطق كذلك .

هذا التفسير أخذ به اوليفر آسين واويثى ميراندا وان كان اويثى ميراندا Huici Miranda قد انتهى بأن الزلاقة هى اسم موضع مفقود لا يوجد له اثر فى اللغة الشعبية عند اهل غرب الاندلس .

اما البران ونحن نميل الى الاخذ برايه فهو ممن يرفضون الراى القائل بأن الزلاقة هى الزجالة ، فهو يرفض تفسير اوليفر آسين الذى يحل اللفظة القشتالية الزجالة محل الكلمة العربية الزلاقة . فالبران يعتقد ان راى اوليفر آسين غير صحيح على اساس ان اقرب لفظ الى الزجالة هو لفظ زغل ... وهذا اللفظ لم يشتق من زلاقة (١) . ولقد حاول آسين ان يتجنب وجود اية صلة بين اللفظة زجالة ولفظة زغل العربية بمعنى شاب حدث قوى ونشط حتى يدعم رايه السابق (٢) .

ويرى البران إن المرة الاولى التى ورد فيها اسم الزجالة Azagala حدث فى وثيقة تاريخية من القرن الثالث عشر وهى الفترة التى كتبت فيها المدونات المسيحية ، ولما كانت هذه الوثيقة تشير صراحة الى الزجالة فاننا نستنتج نفس الراى الذى استنتجه البران وهو ان الموضع وقتئذ فى القرن الثالث عشر الميلادى كان يعرف فى تلك الحقبة بهذا الاسم الحالى ، وعلى هذا الاساس لاتكون الزجالة تحريفا للزلاقة حدث فيما بعد القرن ١٣ .

وأول وثيقة جاء فيها ذكر الزجالة كحصن ومنطقة صريحا وواضحا

---

(١) Albarran, op. cit. p. 200

(٢) J. Oliver Asin, el lugar de la batalla de Zalaca - Sacralias; p. 141.

يرجع تاريخها الى عام ٦٢٧هـ (١٢٢٩م) ، وهناك وثيقة اخرى يرجع تاريخها الى ٦٥١هـ (١٢٥٣م) ورد فيها اسم الزجالة .

ثم بدأ الاسم يتردد وروده فى وثائق عديدة (١) . والزجالة فى هذه الوثائق هى اسم موضع أو قرية ، كانت تابعة لبطليوس ثم ضمت فيما بعد الى بلدة كركر Albuquerque ، وحول مسجدها بعد الاسترداد إلى كنيسة ، وكان هذا المسجد مايزال قائما حتى القرن الخامس عشر الميلادى .

لهذا كله لانوافق الرأى القائل بأن ذلك السهل الذى دارت فيه واقعة الزلاقة الشهيرة هو سهل الزجالة حيث يقوم حصن الزجالة .

فالزلاقة العربية هى ذاتها ساكر الياس Sacralias التى وردت فى المدونات المسيحية وهى ذاتها سجراخاس Sagrajas التى تردد ذكرها فى المراجع الاسبانية الحديثة . أما عن تحويل سكرالياس الى سجراخاس الحالية ، فلا يشكل مشكلة على الاطلاق فى اعتقاد الاستاذ أوليفر آسين والاستاذ اليران ، فاسم Sacralias لفظ مستعرب يدل على موضع خاص بالمستعربين ، كأن يكون أرضا مجاورة لكنيسة أو موضع مقدس من اللفظة اللاتينية sacraria وتحولت بمرور الزمن الى Sagrajas (٢) .

ومن الجدير بالكر أن نفس الاستاذ البران Albarran كان قد ادلى قبل ذلك بسنوات برأى أكد فيه ان موقعة الزلاقة دارت بجوار حصن الزجالة (١) ، وعلى وجه التحديد الى الشمال من هذا الحصن وفى السهول المتموجة التى تشغل اليوم مروج وادى La Jarron

---

(١) Albarran, op. cit. p. 201.

(٢) J. Oliver Asin, op. cit, p. 148 - Albarran, op. cit., p. 201.

(٣) Manuel Torron Albarrán, la sierra de tornada, Badajoz, 1955, pp. 57 - 65.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولكن هذا المؤلف سرعان ماعدل عن رايه حين وجد ان المسافة ما بين هذا الموقع وبطليوس تصل الى ٦٠ك ٠م ، وهذا يتعارض مع ما ذكرته المصادر الاسلامية التى حددت موقع المعركة بصراحة ، ثم ان هذا البعد لساحة المعركة يتعارض مع امكانية وصول امدادات من بطليوس فى نفس اليوم ، ومن المنطقى ان تكون الموقعة قد دارت فى موقع اكثر قربا من بطليوس ، كذلك رفض البران رايا اخر كان قد سبق ان ساقه وهو ان المنطقة الجنوبية من حصن الزجالة هى المنطقة التى دارت فيها المعركة ، ولكن سرعان ما غير رايه حيث ان هذه المنطقة الجنوبية من الزجالة لاتصلح سوى لكمين ، بينما اكدت المصادر العربية والاسبانية ان موقعة الزلاقة دارت فى منطقة مفتوحة ٠

اما الراى الثالث القائل بأن الزلاقة قد تكون السهول الفسيحة الممتدة نحو الشمال فنرفضه لان جميع المصادر الاسلامية حددت على وجه التقريب المسافة بين ارض المعركة ومدينة بطليوس ، وهذا فى حد ذاته يكفى لاعلان رفضنا لهذا الراى لبعد هذه السهول عن بطليوس ٠

وعلى اية حال فقد انتهت مهمة المرابطين عند انتصارهم فى الزلاقة فلم يشا يوسف بن تاشفين ان يتتبع فلول النصارى ، وسرعان ما تفرق الجيش الاسلامى ، فعاد كل ملك من ملوك الطوائف الى مملكته ، فعاد ابن الافطس الى بطليوس ، وعاد ابن عباد الى اشبيلية ، وعبد الله الزيرى الى غرناطة بعد ان اطمأنت نفوسهم بهذا الانتصار الذى كسر به المرابطون شوكة الفونسو السادس ولو الى حين ٠ اما يوسف بن تاشفين فقد عجل بالقفول الى المغرب بعد ان تكدر لوفاة ابنه ابى بكر ولى عهده ، وكان قد تركه مريضا بسبتة (١) ، وان كان الامير عبد الله الزيرى لا يشير الى شىء من ذلك ، ويعلل عودته السريعة الى المغرب ، بضيقه من اختلاف كلمة ملوك الطوائف ، وتظاهره بعدم رغبته التدخل

---

(١) ابن ابى زرع ، روض القرطاس ، ص ٩٨

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فى شؤونهم ، يعبر عن ذلك فى مذكراته بقوله « واخذ امير المسلمين فى الانصراف الى بلاده وهو قد اطلع عيانا وسماعا من اختلاف كلمتنا ، مالم ير وجها لبقائنا فى الجزيرة . وانس الجميع ، ولم يتربص فى البلاد الا يوحش سلاطينها مما يتوقعونه من انحياش رعيتهم اليه ، فكل من شكا اليه ذلك الوقت من رعية يقول له « لم نات لهذا والسلاطين اعلم بما يصنعون فى بلادهم » (١) .

وهكذا لم يتمخض تدخل المرابطين فى الاندلس وانتصارهم فى الزلاقة على قوى المسيحية عن شىء ذى قيمة ، فلم يستفد المسلمون من من هذا الانتصار فى استرجاع طليطلة او قورية ، بل لم يحاولوا مجرد محاصرة احدى المدينتين (٢) .

عاد يوسف الى المغرب بعد ان اكتفى بترك قوة من ثلاثة آلاف من المرابطين فى خدمة المعتمد .

ويرى الاستاذ محمد عبد الله عنان « ان لقاء الاسلام والمسيحية فى سهول الزلاقة انما هو صفحة من سيرة الحروب الصليبية التى كانت اسبانيا أول مهاد لها والتى اضطرمت بعد ذلك بقليل فى المشرق ، فى الوقت الذى كانت تضطرم فيه فى اسبانية » (٣) فانتصار الزلاقة كان يعنى اكثر من هزيمة ملك مسلم لملك مسيحى ، فهذا الانتصار قد جعل الغرب المسيحى يتوجس خيفة (٤) من غلبة الروح الدينية عند المرابطين ، فها هو الاسلام ، يهدد من جديد الغرب المسيحى ، وتتقدم موجاته ما كان قد انحسر من ملك المسلمين بعد وفاة المنصور بن ابى عامر وابنه المظفر عبد الملك ، وليس ادل على صدق ما ذكرناه من تتبع تصرف الفونسو السادس عقب الموقعة ، فتصرفه يؤكد هذا المعنى

---

(١) مذكرات الامير عبد الله الزيرى ، ص ١٠٧

(٢) R. Menendez - pidal, la España del Cid, p. 339.

(٣) محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص ٣٢٩

(٤) مذكرات الامير عبد الله الزيرى ، ص ١٠٨

الصليبى ، فكما تضامن المرابطون فى المغرب مع مسلمى الاندلس ، بدأ الفونسو يبعث رسله وكتبه الى ملوك المسيحية فى اسبانيا وفيما وراء البرانيس ، يدعوهم الى نجدته وقد استجابت ملكيات وامارات فرنسا الفرنجية لصيحات الفونسو السادس ، وبادر Eudes Borel أوديوس دوق بورجونيا ، صهر الفونسو السادس فى بداية سنة ٤٨٠هـ (١٠٨٧م) بارسال جيشه بقيادته ، وقيادة اخيه انريكى Enrique . كما لبى نداءه عدد من أمراء فرنسا الجنوبية ، وعلى راسهم ريمون دى سان جيل (الصنجيلى) Rimond de saint Gilles كونت طولوشه وفى رفقته عدد كبير من محاربى لانجدوك وبروفانس وعدد من فرسان ليموسين Limosin وبواتو Poitou ونورماندى Normandie . ولما راى الفونسو السادس انه لم يعد لوجود هذه الامدادات التى وصلت متاخرة، ضرورة فقد شكر الوافدين وامرهم بالقفول . ولكن الفرنسيين رفضوا العودة الى بلادهم ، فوضعوا انفسهم فى خدمة ابن ردمير (شانجة رامیرث) (١) .

أما يوسف بن تاشفين ، فقد عاد الى المغرب . ويعلق المستشرق الاسبانى كوديره فى كتابه عن (ظهور دولة المرابطين وسقوطها فى الاندلس) على موقف يوسف بن تاشفين بقوله « كان من حسن الطالع بالنسبة للنصارى أن يوسف الذى حاز النصر فى الزلاقة ، تلقى عقب انتصاره نبأ وفاة ولده ، الامير ابى بكر سير ، فاضطر الى العودة الى مراكش تاركا فكرة مطاردة الجيش المنهزم وجنى الثمرة التى يمكن ان تجنى من مثل هذا النصر العظيم ، وهى الاستيلاء على طليطلة ، وهى فكرة كانت تبدو طبيعية ، ولكنها لم تكن قد استقرت بعد فى ذهنه بصورة عملية وذلك على الرغم مما يزعمه مؤرخو العرب من انه لولا موت ابنه لما غادر الاندلس بهذه السرعة » (٢) .

---

(١) R. Menendez - Pidal, op. cit. p. 340.

(٢) F. Codera, Decadencia y desaparición de los Almorávides en España, Zaragoza, 1899, p. 243.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(٧١)

نهايـة بنى الافطس اصحـاب بطليوس

١ ـ الجفوة بين ابن تاشفين وملوك الطوائف :

بعد أن عاد ابن تاشفين الى مراكش ، اضطربت احوال مـلوك الطوائف بالاندلس اضطرابا شديدا ، وقبـل ان نبـدأ فى سرد تلك الظروف السيئة التى ادت فى نهاية الامر الى سيطرة المرابطين الكاملـة على الاندلس تجدر الاشارة الى أن مصير هؤلاء الملوك اصبح بعد واقعة الزلاقة مشتركا ، فالخطر المرابطى لم يعد يتهدد مملكة واحدة ، وانما يتهدد الاندلس كلها ، تماما كما كان الخطر المسيحى يتهددهم جميعا ، وكان سقوط اية مملكة فى يد أحد العدوين يعنى سقوط جميـع ممالك الطوائف ، الواحدة تلو الاخرى .

ويعتقد ان هؤلاء الملوك اخذوا بعد عودتهم الى بلادهم يشعرون بالخطر ، يحيط بهم ، وان كانوا لا يدركون تمام الادراك مصدر هـذا الخطر فهل هو خطر المرابطين ؟ أم هو الخطر المسيحى ؟ وحتى لو انهم ايقنوا بحقيقة هذا الخطر لما استطاعوا ان يفعلوا ازاءه شيئا ، فقد كانوا جميعا فى مرحلة من الاضطراب والشعور بالضياع ، ففى الوقت الذى كان يخشى فيه ملوك الطوائف العدو المسيحى ، ويتوجسون منه ويستضرخون أهل العدوة لنصرتهم ، والتصدى له ، كان عدد منهم ، بل كبارهم أمثـال ابن الافطس ، وعبد الله الزيرى ، يلتجأون الى الملك المسيحى الفونسو السادس ، ويسعون الى خطبـوده ومواادعته .

وفى نفس الوقت اسرع كل من ابن عباد وابن الافطس لاستقبال ابن تاشفين عندما جاز الى الاندلس جوازه الثانى مرجين به ، مقدمين لـه انفس الهدايا .

لقد بلغ ملوك الطوائف فى تلك الفترة درجة كبيرة من التخبـط والاضطراب ظهر اثرها فى سياساتهم المرتبكة وكل ما نود ان نوضحه انه

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ربما كانت سياسة واحد من هؤلاء الملوك السبب الرئيسى فيما حل بباقى دويلات الطوائف الاخرى من مصائب ٠

فبعد ان عاد ابن تاشفين الى بلاده ، عاد اهل الاندلس يستصرخونه وعادت الوفود الاندلسية الى التردد على المغرب ، وفى هذه المرة تنوعت الوفود القادمة من الاندلس ، فقد « وفدت على امير المسلمين ، يوسف ابن تاشفين بحضرة مراكش جملة من وجوه الاندلس من اهل بلنسية (١) ، ومرسية (٢) ٠

---

(١) بلنسية Valencia ، من مدن شرق الاندلس ، كانت فى تلك الآونة من قواعد الاندلس ، واهم ثغوره ، عرفت بانها مدينة التراب لخصوبة ارضها ، وكان لها سور منيع احكمه المنصور واشتهرت برخائها الاقتصادى ورواج تجارتها ، فعنها يقول الحميرى «والسفن تدخل نهرها ، وسورها مبنى بالحجر والطوابى ، ولها اربعة ابواب (وعند العذرى خمسة) وهى من امصار الاندلس ، الموصوفه ، وحواضرها المقدمة ، ولاهلها احسن زى ٠٠٠) وقد ظهر العنصر الصقلبى واضحا فى زمن الطوائف فى مملكة بلنسية ، هذا الى جانب الدور الكبير الذى لعبه السيد الكمبيادور فى تاريخ هذه المملكة (الحميرى ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ٤٧ ، الحلل الموشية هامش ٣٣ ، ص ٦٧ ، العذرى ، ص ١٧ ، ١٨ ٠
R. Menendez Pidal, la España del Cid, op. cit. P. 593 - 604.
محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص ٢١٦ - ٢٥٢ - راجع رسالة الماجستير المقدمة من السيد كمال ابو مصطفى عن بلنسية ، تحت عنوان : تاريخ مدينة بلنسية الاسلامية من الفتح العربى حتى نهاية عصر المرابطين ، ونوقشت بكلية آداب الاسكندرية فى ١٩٨١

(٢) مرسية Murcia ، مدينة على نهر شقورة ، كانت قاعدة كورة تدمير ، بنيت على عهد الامير عبد الرحمن الاوسط سنة ٢١٠هـ (٨٧٥م) وقد ازدهرت مرسية ازدهارا كبيرا فى عهده ، واشتهرت مرسية بمسجدها الجامع ، وكان لها من الحمامات والاسواق العامرة الكثير ، وقد عرفت مرسية بثروتها وثرائها الاقتصادى فهى « رخيصة الفواكة كثيرة الشجر والاعناب واصناف الثمار بها معادن فضة عزيزة متصلة المادة ،وكانت تصنع بها البسط الرفيعة الشريف =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولورقة (١) ، وبسطة (٢) ، فشكوا اليه ما عاناه اهل بلنسية من الكنبيطور ، وكان من ملوك الروم قد لازم حصارها سبع سنين حتى دخلها ، وشكوا له ما حل باهل مرسية وأعمال لورقة وبسطة من شأن ليبيط ، وهو حصن حصين على رأس جبل شاهق بينه وبين لورقة نصف يوم ، يملكه العدو ، وكانت سراياه تغير شرقا وغربا ، اذ كان فى موسطة بلاد المسلمين ، فلم يزل وجوه الاندلس من تلك البلاد ،

= أرجع الى العذرى المعروف بابن الدلائى ، نصوص عن الاندلس من كتاب ترصيع الاخبار وتنويع الاثار ، تحقيق د. عبد العزيز الاهوانى ، مدريد ١٩٦٥ ، ص ٦ ، الحميرى ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ٦٧ ـ الحلل الموشية ، ص ٦٧ هامش ٣٤ ، وراجع كذلك السيد عبد العزيز سالم ، مدينة مرسية موطن ابى العباس المرسى ، مجلة جمعية الآثار بالاسكندرية
Salem, Historia de Murcia muculmana, articulo publicado por la Univ. del Cairo en memoria del defunto profesor Abdel Aziz al Ahwani.

وراجع كذلك رسالة الماجستير المقدمة من السيد عزت قاسم ونوقشت فى مايو ١٩٨٤ بقسم التاريخ بعنوان « تاريخ مدينة مرسية الاسلامية منذ تأسيسها حتى استيلاء المرابطين عليها » .

(١) لورقة Lorca ، من بلاد تدمير فهى احدى المعاقل السبعة التى عاهد عليها تدمير ،تبعد عن مرسية نحو أربعين ميلا ، مقامة على ظهر جبل ، واشتهرت بتوافر المعادن (انظر الحميرى ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٧٠ ، الحلل الموشية ص ٣٥) ولورقة باللاتينية تعنى « الزرع الخصيب » . وهذا الاسم يناسب هذه المدينة تماما لانها من المدن الخصيبة التى لها نهر يجرى الى الشرق منها مما تسبب فى رواجها وازدهارها فى المجال الاقتصادى. ويفسر بعض العلماء اسمها بالدرع الحصين .

(٢) بسطة Baza ، مدينة بالاندلس ، تقع بالقرب من وادى آش، امتازت بحسن موضعها ، وحصانتها وبرواجها الاقتصادى ، فهى « عامرة ، آهلة ، حصينة ، ذات أسواق ، وبها تجارات وفعلة بضروب الصناعات ... وشجر التوت فيها كثير وعلى قدر ذلك غلة الحرير والزيتون ، وسائر الثمار بها على مثل ذلك من الكثرة وارضها ، غداة كثيرة الربيع ... » .

يترددون اليه بالشكوى حتى وعد بالنجواز اليهم اذا تمكن الفصل (١) » ..

ومن هذا النص يتبين لنا ان شرق الاندلس ، كان مصدر الصريخ في هذه المرة ، فشئون هذا الاقليم كان قد سادها الاضطراب من جراء تدخل قشتالة في شئون مملكة بلنسية عن طريق صنيعهم القادر بن ذى النون من جهة وعن طريق السيد الكنبيطور من جهة اخرى . هذا الى جانب الاعتداءات المستمرة التي كان يشنها النصارى على بلاد المسلمين من حصن لييط Aledo (٢) خاصة على اراضى المعتمد بن عباد

= واشتهرت بسطة بانتاج الكحل الاسود من جبل يعرف بالجبل الاسود . وتبعد بسطة عن غرناطة بنحو ١٢٥ كم ، وعن مدينة وادى آش بنحو ٤٨ كم .
(انظر الحميرى ، الروض المعطار ، ص ٤٥ ، الحلل الموشية ، ص ٦٧) .

(١) الحلل الموشية ، ص ٦٧ .

(٢) حصن لييط Aledo او اليط : بعد سقوط طليطلة فى يد الفونسو السادس بادر هذا الملك بارسال قائده الشهير غرسية خيمينث الى اراضى شرق الاندلس للاغارة عليها ، فاجتاحت قواته هذه المنطقة وعلى وجه التحديد المنطقة الواقعة بين لورقة ومرسية ، ونكاية فى المسلمين وامعانا فى مضايقتهم قاموا ببناء حصن فى هذه المنطقة الواقعة بين لورقة ومرسية فى مكان يسمى لييط يقع على مقربة من لورقة وبهذا اصبح هذا الحصن المنيع ، قاعدة للنصارى يهاجمون منها الاراضى الاسلامية فى مرسية والمرية ، مما دفع الاهالى الى مراسلة أمير المرابطين ، يوسف بن تاشفين طلبا فى النجدة والغوث وقد كان المعتمد ابن عباد وصاحب السيادة الشرعية على مرسية ولورقة ، فكان بطبيعة الحال اكثر ملوك الطوائف انزعاجا من هذه الضربات المتتالية التى كان يوجهها اليه النصارى مما دفعه الى العبور بنفسه الى المغرب ليلقى يوسف بن تاشفين بوادى سبو ليشرح له الظروف القاسية التى يعانى منها ، فوعده يوسف ابن تاشفين بأن يجيبه على مطلبه بالعبور الى الاندلس ، وكان ابن تاشفين فى ذلك الوقت قد تلقى العديد من الرسائل والمكاتبات من أهل الاندلس كما سبق أن أوضحت وجميعها تلح عليه راجية الغوث ، لوضع حد لهجمات النصارى وضرباتهم ، وللاستيلاء على =

فى مرسية ولورقة (١) انتقاما منه لاستدعائه المرابطين الذين الحقوا بالنصارى الهزيمة المروعة فى واقعة الزلاقة .

« ولما رتب اشغاله ومهد احواله وكمل من ذلك مراده ، اتصل به قدوم امير المسلمين ، وجوازه البحر ، واستقراره بالجزيرة الخضراء ، فتلقاه ابن عباد على عادته بما يقدر عليه من الكرامات والمبرة ، وانفذ امير المسلمين كتبه لملوك الأندلس يستدعيهم للجهاد معه ، والموعد حصن

= هذا الحصن المنيع لييط ، ولهذا فقد كان جواز ابن تاشفين الثانى عام ٤٨١هـ (١٠٨٨م) بهدف النظر فى أمر حصن لييط وقد زرت حصن اليط او لييط المذكور Aledo ويقع قريبا من مرسية على هضبة شديدة الارتفاع تشرف على الطرق المؤدية الى مرسية والمرية ولورقة ويتحكم فى هذه الطرق . والحصن لايعدو برجا مربع الشكل شديد الضخامة قيل انه كان يتسع لالف فارس واثنى عشر الف راجل (الحلل الموشية ، ص ٦٩) وعلى الرغم من اجتماع المسلمين على حصار الحصن المذكور فقد ظهر لهم من حصانته ومنعته ما أياسهم عنه . (انظر ابن ابى زرع ، روض القرطاس، ص ٩٨ ، الحلل الموشية ، ص ٦٧ ، محمد عبد الله عنان ، ص ٣٣٤ ،

(M. pidal, op. cit. p. 361

(١) كان المعتمد يستهدف من وراء استدعائه لامير المرابطين يوسف بن تاشفين اغتنام فرصةوجوده لتحقيق اكبر قدر ممكنمنالاهداف ،فهو يريد ضرب اكثر من هدف بحجر واحد ، فلو ان المرابطين تمكنوا من الاستيلاء على حصن لييط فانه يتخلص اولا من عيث النصارى ويسترد سلطانه الحقيقى على مرسية ثانية ، فقد كانت يومئذ تحت حكم ابن رشيق ، وكان ابن عباد قد توجه مع عسكر المرابطين الذين تركهم ابن تاشفين رهن اشارته فسار الى لورقة وحاصرها ولكنها امتنعت عليه ، فتركها الى مرسية وحاصرها ، ولكن ابن رشيق تمكن من ان يكسب ود قوات المرابطين وان يقنعهم بان يتركوه فى سلام ، فعاد ابن عباد وهو يعانى من خيبة الامل الى اشبيلية .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لبيط » (١) .

كان يوسف يتمنى لو انه تمكن من الاستيلاء على حصن لبيط ، ورغم آلات الحصار الضخمة التى استخدمها المرابطون لاستنزال حامية الحصن الا انه امتنع على ابن تاشفين « وشن يوسف الغارات على بلاد الروم ، كل يوم فدام الحصار على لبيط اربعة اشهر لايفتر عنه القتال ليلا ولا نهارا ... » (٢) .

وجاء استنجاد ابن عباد بامير المرابطين نذير شؤم على ملوك الطوائف ، فأثناء حصاره للبيط ادرك مدى الضعف الذى انتهى اليه امر هؤلاء الملوك ، واتضحت له الخلافات العميقة التى كانت قائمة بين هؤلاء جميعا : فالخلاف والوقعية كانا سائدين بين الاخوين الزيريين ، الامير عبد الله بن بلقين صاحب غرناطة واخيه الامير تميم صاحب مالقة بحيث اخذ كل منهما يشكو الآخر لابن تاشفين ويوقع به ويتهمه باغتصاب حقوقه ، هذا الى جانب الخلاف الذى كان قائما بين ابن عباد والمعتصم ابن صمادح كل منهما يتهم الآخر بمختلف التهم امام ابن تاشفين ، وبالغ ابن عباد فى شكاياته ، فقد ابدى ضيقه بابن رشيق وسخطه عليه ، واتهمه بانتزاع ولاية مرسية منه ، اثار كل ذلك اشمئزاز ابن تاشفين من هؤلاء الملوك الذين تهافتوا لتحكيمه فيما شجر بينهم من خلافات ، واستغرقوا فى منازعاتهم الشخصية ، ناسين القضية الرئيسية وهى الدفاع عن الاسلام فى الاندلس واستاء ابن تاشفين من استغراقهم فى مشاحناتهم الامر الذى

---

(١) الحلل الموشية ، ص ٦٨ .

(٢) ابن ابى زرع ، روض القرطاس ، ص ٩٩ ، ولكن صاحب الحلل الموشية يرى ان الحصار دام شهرا واحدا ، وفى ذلك يقول «وجاءهم من مرسية النجارون والبناءون والحدادون ، واضطربت المحلة محدقة بحصن لبيط ، وكان بداخله من الروم الف فارس واثنا عشر الف راجل ، واتصلت الحروب ، وكثر الوارد ، وتمادى القتال على الحصن ليلا ونهارا مدة شهر ، وكل امير من امراء الاندلس يقاتل فى يوم بخيله ورجله ... » .
(انظر الحلل الموشية ، ص ٦٩)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

دعاه الى التفكير جديا فى اسقاطهم عن عروشهم الواحد تلو الآخر ، فقد سعى ابن عباد للاطاحة بابن رشيق بأن اتهمه لدى امير المرابطين بانه يتعاون مع الحامية المسيحية فى الخفاء ضد المسلمين ، واقنعه بأن ابن رشيق هو السبب الذى اخر سقوط حصن لييط فى ايديهم حتى ذلك الحين واحتار ابن تاشفين فى امر ابن رشيق ، ولكنه انحاز فى النهاية الى ان عباد . ويروى عبد الله الزيرى ذلك فى مذكراته فيقول « اعمل فى ذلك عقله ودبره برايه وقال ماتنبغى لنا مفاسدة ابن عباد من أجل ابن رشيق لاحتياجنا اليه فيما نحن بسبيله ، ونحن لم نأمن امر الرومى والاوكد علينا فى هذا الوقت مداراة ابن عباد حتى ترينا الامور وجوهها ، فتعسف على ابن رشيق فى الذى اظهر من الخلاف على صاحبه ... » (١) .

ثم انه استفتى فى امر ابن عباد وابن رشيق الفقهاء ، فحكموا على ابن رشيق « فأمر يوسف بن تاشفين بالقبض عليه ، واسلامه فى يد ابن عباد ، ونهاه عن قتله ، فثقفه ابن عباد ، فهرب للحين اصحاب ابن رشيق وقرابته وجميع محلته الى مرسية وانتزوا بها .... » (٢) .

ومن النص السابق يمكننا أن نتبين الاثر السيء الذى ترتب على هذا الحادث ، وصداه على ما تلى ذلك من احداث ، فان قادة مرسية ، وكان معظمهم من اقارب ابن رشيق ورجاله ، انسحبوا من الميدان ، فاختل التوازن فى المعسكر ، وانتهى الامر بانسحاب امير المرابطين حين علم بقدوم الفونسو السادس الى الحصن لعدم كفاية قواته (٣) .

وكان لهذا الاخفاق فى افتتاح الحصن اكبر الاثر فى نفس ابن

---

(١) مذكرات الامير عبد الله الزيرى ، ص ١١١
(٢) الحلل الموشية ، ص ٧٠ ، محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص ٣٣٦ .
(٣) ابن ابى زرع ، روض القرطاس ، ص ٩٩ ، الحلل الموشية ، ص ٧٠ ، ابن الخطيب أعمال الاعلام ، ص ٢٤٧ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تاشفين ، فقد عاد يوسف الى المغرب (١) وهو ناقم على مواقف ملوك الطوائف المخزية ، عاد الى المغرب بعد أن ترك جيشا قوامه اربعة آلاف جندى تحت امرة داود بن عائشة فى مرسية وبلنسية ، وعزم فى قرارة نفسه عزما قاطعا على وضع حد لهذه الاوضاع المؤسفة والاطاحة بعروش ملوك الطوائف لوهنهم الشديد أمام العدو فى معركة قد تصبح حاسمة بالنسبة لمصير الاسلام فى الاندلس وانشغالهم عن الجهاد بأطماعهم الشخصية وخلافاتهم المتواصلة ، واستهتارهم بما تتعرض له البلاد من أخطار حرب صليبية لا مجال للشك فيها . ومن هذا المنطلق : الغيرة على الاسلام ، والرغبة فى توحيد الصف الاسلامى ، أعد يوسف ابن تاشفين للجواز الثالث الى ارض الاندلس عدته فى أوائل عام ٤٨٣هـ (١٠٩٠م) ، ولم يكن جوازه هذه المرة الا لاسقاط ملوك الطوائف اللاهين عن الجهاد بما اختلقوه من خلافات ، المستغرقين فى متع الحياة الرخيصة داخل قصورهم الاسطورية ، الغافلين عن مسؤوليات شعوبهم بشهوات النفس والترف ومتاع الدنيا .

وأيا كانت الدوافع التى حركت ابن تاشفين (٢) على الجواز الى

---

(١) بعد أن رجع يوسف بن تاشفين الى المغرب جاء الفونسو السادس الى حصن ليبط فأخلاه بعد أن وجد بداخله مائة فارس نصرانى مع الف راجل مما جعله يتأكد من عدم جدوى الدفاع عنه ، فقرر تقويض أسواره وابراجه ، وتم ذلك فى عام ٤٨٢هـ (١٠٨٩م) واحتل ابن عباد اطلال هذا الحصن بعد أن غادره الفونسو السادس بمن فيه من النصارى (انظر ابن ابى زرع ، روض القرطاس ، ص ٩٩ ، الحلل الموشية ص ٧٠ ، محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص ٣٣٦) .

٢) هناك العديد من الدوافع التى دفعت يوسف بن تاشفين الى العبور للاندلس فمنها العامل الدفاعى والاستراتيجى الذى ساقه الاستاذ عنان ، ففى اعتقاده أن يوسف بن تاشفين ادرك منذ ان جاز الى الاندلس فى المرة الاولى أن مثل هؤلاء الملوك الاندلسيين المترفين المنعمين لايمكن لهم أن يتصدوا لحركة الركنكستا التى نشطت فى =

الاندلس فقد قدم هذه المرة وهو يتلمس الاعذار لتبرير ما سيقدم عليه ،

= عهدهم نشاطا لم تشهده الاندلس من قبل ، فاثارت غيرته على الاسلام ، حماسة الدينى ، فان سقوط الاندلس فى ايدى المسيحيين يعنى سقوط جناح المغرب الدفاعى فى الشمال ، ولذلك بادر بالدفاع عن الاندلس ، لانه فى حمايته له حماية للمغرب الاسلامى ، (انظر محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص ٣٣٩) .
ويأتى عبد الواحد المراكشى بدافع هام هو طمعه فى الاستيلاء على الاندلس لما تنعم به من ثراء ، فحين رجع الى مراكش قال لاصحابه « كنت اظن اننى ملكت شيئا فلما رايت تلك البلاد صغرت فى عينى مملكتى ، فكيف الحيلة فى تحصيلها ؟) وبالتالى فان هذه الرواية توضح لنا بصراحة تامة ووضوح مدى اطماع ابن تاشفين فى الاندلس ورغبته الشخصية فى الاستيلاء على تلك الاراضى الغنية (انظر عبد الواحد المراكشى ، المعجب ، ص ١٣٨) وقد ذكر ابن الخطيب رواية تشابه رواية عبد الواحد المراكشى وفيها ما يؤكد طمعه فى السيطرة على الاندلس ، جاء فيها « ولما استوثق ليوسف بن تاشفين بسعيه امر الجهاد ، وراقه حسن ما بالاندلس من البلاد ، واغرى بملوك الطوائف ، وقررت لديه مساومتهم ازمع على خلعهم ...) (انظر ابن الخطيب اعمال الاعلام ، ص ١٦٣ وكذلك المقرى ، نفح الطيب ، جـ٢ ، ص ٥٢٣) . ومن الدوافع ايضا دافع نفسى هو كراهته للحياة التى كان يحياها ملوك الطوائف كما سبق أن عبر عنه الامير عبد الله الزيرى ، فيوسف ابن تاشفين حين شهد الخلافات الشديدة بين امراء الطوائف وملوكها ، طمع فى الاستيلاء على بلادهم وممتلكاتهم «واخذ امير المسلمين فى الانصراف الى بلاده ، وهو قد اطلع عيانا وسماعا من اختلاف كلمتنا ، مالم يروجها لبقائنا فى الجزيرة ... » (انظر مذكرات الامير عبد الله الزيرى ص ١٠٧) ولم يتخذ امير المسلمين هذا القرار الخطير فجأة ، وانما لجأ الى مشاورة الفقهاء فى المغرب والاندلس فى ذلك الامر ، وقد افتى له العديد من الفقهاء امثال الامام الغزالى وابى بكر الطرطوشى بجواز خلعه لملوك الطوائف ، وايدوه فيما اتخذه من اجراءات بعد ان بدأ امراء الطوائف فى الاندلس فى الاتصال بالفونسو السادس ومماليكه وامداده بالاموال والهدايا ، وقد كان هذا التصرف باعثا جديدا لدى ابن تاشفين لغزو الاندلس والاستيلاء عليه (انظر ابن ابى زرع ، روض القرطاس ، ص ٩٨ ، ٩٩ ، ابن خلدون ، جـ٢ ، ص ١٨٧ ١٨٨) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فتظاهر بانه ما قدم الا للجهاد وكان هدفه مدينة طليطلة ، مقر الفونسو ، وكانت غاية امانيه ان يعيدها الى الاسلام ولكن ملوك الطوائف لم يقدموا له هذه المرة العون اللازم ، فاثار ذلك عليهم ابن تاشفين ، فقد استاء من موقفهم حياله ، فكان ذلك مبررا مباشرا لموقفه العدائى منهم « فنوى الشر لهم » (١) ، ولم يعقه هذا التقاعس عن قيامه بحصار طليطلة « والفتش بها ، وهتكها ، وقطع اثمارها » وخرب احوازها ، وقتل وسبا ، ولم يأته أحد من امراء الاندلس ولم يعرج عليه فغاظه ذلك » (٢) .

ويورد عبد الواحد المراكشى خبرا هاما وهو ان ابن تاشفين عندما كان بالعدوة اشار عليه اصحابه ان يراسل الطوائف بستاذنهم فى ارسال مجموعة من رجاله يرغبون بالرباط بالاندلس « ومجاهدة العدو والكون ببعض الحصون المضاقبة للروم الى ان يموتوا : ففعلوا ، وكتبوا الى المعتمد بذلك ، فاذن لهم بعد ان وافقه على ذلك ابن الافطس المتوكل صاحب الثغور ، وانما اراد يوسف واصحابه بذلك ان يكرن قوم من شيعتهم مبثوثين بالجزيرة فى بلادها ، فاذا كان امر من فيام بدعوتهم او اظهار لملكتهم وجدوا فى كل بلد لهم اعوانا ... » (٣) .

وبالاضافة الى ان هذا النص قد اثبت بما لايدع مجالا للشك فى ان رصد العيون للتجسس كان امرا شائعا ومألوفا فى العصر الاسلامى ، فانه سلط الاضواء كذلك على الدور الهام الذى لعبه عمر المتوكل بن الافطس فى هذه الفترة الحرجة من تاريخ الاندلس . ويوضح لنا هذا النص كذلك ان المعتمد بن عباد لم يوافق على رسالة ابن تاشفين وعلى طلبه الا بعد ان استشار ابن الافطس ، فوافقه على ذلك ، ويحمل هذا

---

(١) ابن ابى زرع ، روض القرطاس ، ص ٩٩
(٢) المصدر السابق ، ص ٩٩
(٣) عبد الواحد المراكشى ، المعجب ، ص ١٣٩

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

السلوك من جانب المعتمد على الاعتقاد بأن ابن الافطس ، وابن عباد كانا يشكلان فى تلك الفترة محورا أندلسيا هاما ، وسنرى فيما بعد انهما سيتوجهان معا الى ابن تاشفين فى غرناطة بعد استيلائه عليها ، وانهما سيتصلان سرا بالفونسو السادس ملك قشتالة بهدف أن يتعاون معهما ضد المرابطين ، فسياستهما كانت موحدة ومشتركة مما يدل على خطورة هذا الحلف الذى الفه هذان الملكان ، ضد أمير المسلمين يوسف ابن تاشفين ، واذا كان ابن عباد قد اتهم فى فترة ما بممالأة الفونسو السادس ، وتخليه له عن قلاعه وحصونه ، واذعانه لمشيئته فى دفع الجزية ، وموافقته له على تزويج ابنته زايدة المسلمة (١) منه ، فان هذا الاتهام كان له مايبرره وهو موقفه العدائى المخزى من المرابطين وتحالفه مع الفونسو السادس ضدهم ، وقد ظهرت آثار هذا التحالف عندما أرسل ابن عباد الى الفونسو السادس يستغيث به عندما علم بحصار المرابطين له فى اشبيلية « فبعث اليه الفنش قائده القومس فى جيش من عشرين الف فارس واربعين الف راجل .... » (٢) .

ونعتقد ان هذا القول مبالغ فيه للغاية ، ولو ان الفونسو امده حقا بهذه الاعداد الضخمة من الرجال لما كان المرابطون قد افلحوا فى اقتحام اشبيلية واسقاط المعتمد بن عباد ، واعتقد ان هذا الخبر مختلق مدسوس على المعتمد ، شأنه شأن كثير من الاخبار التى يسوقها صاحب روض القرطاس .

أما بالنسبة لابن الافطس فقد كان جزاء اتصاله بالفونسو السادس وتحالفه معه ، وتنازله له عن شنترة وشنترين واشبونة ، لقاء مساعدته

---

(١) وكنا قد اوضحنا كذب هذا الافتراء على ابن عباد وان زايدة انما كانت زوجة ابنه الفتح بن عباد صاحب قرطبة وكنة المعتمد بن عباد .

(٢) ابن ابى زرع ، روض القرطاس ، ص ١٠٠

له ضد المرابطين ان قتل هو وولدان له بعد فتح المرابطين لبطليوس كما سنوضح فى الصفحات التالية ، وانما اردنا ان نؤكد تلك الحقيقة الهامة ، وهى ان المتوكل بن الافطس اصبح فى تلك المرحلة التاريخية الاخيرة من عصر الطوائف ، هو والمعتمد ابن عباد نجمين ساطعين فى سماء السياسة الاندلسية يمثلان فى ذلك ملوك الطوائف المناهضين فى الاندلس للوجود المرابطى ، وايا ما كان الامر ، فقد اقام يوسف بن تاشفين بعض الوقت محاصرا لطليطلة ، ولكنه ادرك استحالة افتتاحها وحده لقوة دفاع الفونسو السادس وابن ردمير عنها ، اذ كانا يتوليان مسؤولية الدفاع عنها انذاك ، ولذلك فقد غادرها ابن تاشفين الى غرناطة (١)

---

(١) كان عبد الله الزيرى قد جهر بالاعراض والتغير على ابن تاشفين ، وفى ذلك يقول صاحب الحلل الموشية « ولما تبين لهم تغيره عليهم واعراضه عنهم ، نظر كل منهم لنفسه ، بغاية عزمه ، فاول من جهر بذلك وتظاهر به ، وجد فيه ، المظفر عبد الله بن بلقين بن باديس ، واتصلت انباؤه بيوسف بن تاشفين ، فاشتد غضبه وزاد حرجه عليه ... » (الحلل الموشية ، ص ٧١) هذا وكان عبد الله الزيرى قد عقد معاهدة مع الفونسو السادس تعهد فيها بدفع الجزية فى مقابل الا يعترض الفونسو له بلدا ، ولا يغدر به بعد هذه المعاهدة (انظر مذكرات عبد الله الزيرى ، ص ١٢٥) وشرع عبد الله الزيرى فى تحصين بلاده لمواجهة يوسف بن تاشفين ، كما بدأ بالفعل فى نقل امواله ومتاعه الى قصبة المنكب لمناعتها وحصانتها .

وكان الفونسو السادس قد اكد لعبد الله الزيرى وقوفه الى جانبه ومساعدته له ، وفى تلك الاثناء كان مؤمل احد موالى باديس جد الامير عبد الله الزيرى قد وشى به لدى ابن تاشفين بالاضافة الى اقدام فقهاء غرناطة على اصدار فتوى بخلع عبد الله الزيرى من غرناطة ، واخيه تميم من مالقة بسبب الخروج عن احكام الدين والشرع ، فحاصر ابن تاشفين غرناطة ، وعرض على عبد الله الامان فى النفس والاهل دون المال ، فاستمهله عبد الله فترة من الوقت بحجة تقليب الامر ، واتخاذ قرار حاسم فى ذلك رغم الحاح اصحابه وامه عليه بقبول امان امير المرابطين ، اذ كان ينتظر قدوم الفونسو السادس لانجاده ، فلما اقترب ابن تاشفين من المدينة ، =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لمواجهة صاحبها عبد الله الزيرى الذى قرر البدء باسقاطه ، فقد استقر فى ذهن يوسف ان ملوك الطوائف عقدوا مع ملك قشتالة اتفاقات سرية يتعهدون فيها بالامتناع عن بذل العون للمرابطين ، ومن المعتقد أن ابن تاشفين بدأ بتنفيذ سياسته تجاه ملوك الطوائف بدويلة غرناطة اصغر دويلات الطوائف شأنا واقلها قوة ، ولم تلبث غرناطة أن سقطت فى يده (١) .

= واشتد الهياج بها ، وافق الامير عبد الله على أمان ابن تاشفين الذى بادر بضبط امواله المكدسة التى ورثها عن جده باديس ، ولم يلبث ان اصدر ابن تاشفين امره بنفيه واهله الى اغمات حيث عاشوا موضع تكريم ورعاية حتى وفاته (انظر فى ذلك ، مذكرات الامير عبد الله الزيرى ، من ص ١٦٢ الى ص ١٧٢ ، ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ٢٣٥ ، خاصة فى وصفه لكيفية استسلام الامير عبد الله لابن تاشفين ، ابن ابى زرع ، روض القرطاس ، ص ٩٩ - ١٠٠ ، الحلل الموشية ص ٧١ ، محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص ٣٤١ ، ٣٤٢) .

(١) بلغ يوسف بن تاشفين وهو بمراكش بعد عودته من حصاره الفاشل لحصن لييط أن الامير عبد الله الزيرى صاحب غرناطة اتفق مع البرهانس وكيل الفونسو السادس فى جهات غرناطة والمرية وتعاقد معه على نصرته نظير ثلاثين الف دينار ، كما ثبت ان ابن رشيق تعاون مع النصارى اثناء حصار المسلمين لحصن لييط ، اذ كان يقويهم ويعينهم ، خوفا مما قد يحل عليه بفقدهم ، (مذكرات الامير عبد الله الزيرى ، ص ١٧٥) لذلك عزم ابن تاشفين على استئصال شأفة ملوك الطوائف وخلعهم عن عروشهم مبررا لذلك بانه لاينبغى لهم اى للمرابطين « قتال الروم ، ويتركوا وراءهم الاعداء ممن يؤسى عليهم معهم » (مذكرات الامير عبد الله الزيرى ، ص ١٧٥) .
فلما جاز الى الاندلس للمرة الثالثة فى سنة ٤٨٣هـ (١٠٩٠م) ، وكان قد عزم على الاطاحة بعروش ملوك الطوائف ، بدأ بنكبة عبد الله الزيرى ، فعزله عن عرشه ونفاه الى مكناسة (الحلل الموشية ، ص ٧١) ثم أردفه بأخيه تميم .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ب - خلع المعتمد بن عباد عن مملكته اشبيلية ونفيه

وكان يوسف بن تاشفين قد وعد المعتمد بن عباد بغرناطة قبل قدومه اليها بأن يسلمها اليه لانه ادرى أكثر من غيره من ملوك الطوائف، بمصالح المسلمين ، ويذكرون فى ذلك انه قال له « انا رجل مغربى ، وليس قدمنى اخذ مال ولا بلاد ، وقد ترى ما رفع على صاحب غرناطة، ونتوقع عليها من الرومى ، وليس غرضى أكثر من تخليصها ، فاذا صارت فى يدى ولا يمكننى امساكها لبين بلاد الاندلس من العدوة وضعتها عند ذلك فى يدك فتكون اعلم بما تصنع بها ،واقعد لمايصلح للمسلمين ..»(١)

وكان على ابن عباد وصاحبه ابن الافطس أن يبادرا من قبيل التظاهر والمجاملة بتهنئة ابن تاشفين بعد دخوله غرناطة ، فلما التقيا به « لم يقبل عليهما ، واعرض عنهما وانصرفا عنه الى بلادهما ، وادرك ابن عباد الندم على استدعاء يوسف بن تاشفين الى الاندلس ، وقال لحليفه المتوكل ابن الافطس : والله لابد له ان يسقينا من الكاس التى سقى بها عبد الله بن بلقين ... » (٢) .

هذا ويسوق الامير عبد الله الزيرى فى مذكراته رواية اخرى يوضح فيها كيف ان الحليفين ابن عباد وابن الافطس ، استشعرا الخطر المرابطى عند مقابلتهما لابن تاشفين فيقول « وان المعتمد بن عباد ، لما ابصر بدخول الامير غرناطة واستنجز وعده ، فلم يلتفت ، ورأى ثقافها بالمرابطين واخراج من فيهامن الحشم ، وكل من طمع بالبقاء على حاله ، جزع جزعا شديدا ، وخاف ان يثنى به ، اذ رأى الامير مذهبه

---

(١) مذكرات الامير عبد الله الزيرى ، ص ١٦٤ - ٦٥ .
(٢) الحلل الموشية ، ص ٧٢ ، ومرة أخرى يؤكد صاحب الحلل الموشية قيام حلف اندلسى يجمع بين ابن الافطس وابن عباد ، فاستخدام صاحب الحلل الموشية لكلمة « حليفه ابن الافطس » يؤكد الراى الذى ذكرناه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فى البلاد واستصراخه ، ولم يمكن للامير ان يأخذه بغير ذنب فيقبح ذكره ، واشار اليه المرابطون بثقافه ، فأبى حتى يلوح قبله ذنب يؤخذ به . ثم انه بعد أن نهض واتبعه قرور ، يقول له « الامير يحتاج الى تذكارك بعض الامراء » ، فأبى ، ومضى لوجهته فارا بنفسه ، واطوى المراحل حتى وصل قرطبة ، وقال له فى طريقه الى ابن الافطس « انج بنفسك فقد ترى ما حل بصاحب غرناطة ، وغدا بنا » (١) .

ومن هنا ادرك الحليفان الحقيقة المروعة ، وعلما بأن نهايتهما اصبحت محتومة ، فعاد كل منهما الى بلده يحصنها ، ويعتزم الدفاع عنها حتى الرمق الاخير . اما عن ابن الافطس فقد عاد لبلاده مضطربا حائرا ، واختلط عليه الامر اذ كان لايعرف كيف يتصرف أمام هذا الخطر المرابطى المائل ، وتصمت المصادر العربية عن ذكر اى تفاصيل عن هذه الفترة الدقيقة من عهده ، وكل ما يمكننا ان نتصوره أنه استمر على اتصال بحليفه ابن عباد،وفى الوقت الذى رأى كل منهما ضرورة معاودة الاتصال بالفونسو السادس عدو الامس للاحتماء به والاستعانة بقواته ضد المرابطين ، رأى ابن الافطس أن يمسك بالعصا من وسطها ، فبدأ سلسلة من الاتصالات الودية بالامير سير بن أبى بكر ، كان لها أثر كبير

---

(١) مذكرات الامير عبد الله الزيرى ، ص ١٦٩ ، وتؤكد هذه الرواية ان ابن الافطس وابن عباد قد ربطتهما روابط الخوف والتوجس من نوايا امير المرابطين مما قربهما وزادهما تعلقا وصداقة ، وتؤكد هذه الرواية أيضا ان تلك الزيارة التى قاما بها لابن تاشفين فى غرناطة كانت نذيرا لهما بنوايا ابن تاشفين حيالهما.
ومن الجدير بالذكر أن اسم قرور ، ورد فى نص الامير عبد الله ، وقرور هذا هو فى حقيقة الامر جرور الحشمى الذى ورد اسمه فى الحلل الموشية ص ٧٣ ، باسم « جؤذر الحشمى » وتصويبها « جرور » « الحشمى » وهو كما سنشير اليه فيما بعد القائد الذى ولاه يوسف بن تاشفين على احد جيوشه ليحاصر يزيد الراضى فى رنده ، ورغم ان يزيد سوف يسلم له رنده فى مقابل حصوله على الامان الا ان جرور يقدم على قتله .

فى الابقاء على عرشه الى حين ، فبعد سقوط مملكة اشبيلية فى ايدى المرابطين كان للعلاقة الطيبة التى ربطت بينه وبين سير بن ابى بكر الفضل الاعظم فى حماية دولته طوال ثلاث سنوات من السقوط الى ان تاكد للمرابطين خيانة المتوكل لهم واتصاله بالفونسو السادس (١) .

وكان ابن الافطس شديد الاهتمام بتطور العلاقات بين ابن عباد ، الضحية التالية لابن تاشفين ، والمرابطين ، وقد تبين له هذا الامر منذ أن دعا يوسف بن تاشفين المعتمد بن عباد للحضور اليه ، فامتنع ، ثم عاد فطلب منه اتباع احكام الشرع ، والغاء المكوس الجائرة ، ولكنه لم يستجب الى طلبه (٢) . ولاشك أن ابن عباد كان على يقين من أن ابن تاشفين يبغى استذلاله والتقليل من شأنه ، وربما اراد أن يتخذ أى مبرر للانقضاض على بلاده واسقاطه عن عرشه .

ولم يلبث ابن تاشفين أن قفل عائدا الى المغرب فى شهر رمضان ٤٨٣هـ (١٠٩٠م) بعد أن اطمأن الى احتلاله لغرناطة تاركا على الاندلس قائده سير بن ابى بكر ويرى ابن أبى زرع أن ابن تاشفين اكتفى بترك قائده سير فى الاندلس مطمئنا بذلك الى حسن ادارته وكفايته ، فانه لم يأمره بفتح أى حاضرة أخرى من حواضر دويلات الطوائف ، ويعبر عن ذلك بقوله « وقدم على الاندلس قائده سير بن أبى بكر نحو اشبيلية ، وهو يظن أن ابن عباد اذا سمع به يخرج اليه ويتلقاه على بعد بالضيافات ، فلم يفعل ، وتحصن منه ، ولم يضيفه ، ولم يلتفت اليه ، فراسله سير بن أبى بكر أن يسلم اليه ويدخل فى طاعته ، فامتنع المعتمد من ذلك ، فأخذ سير فى احصاره وقتاله وبعث قائده بطى الى جيان فحاصرها حتى دخلها صلحا ... » (٣) .

---

(١) محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص ٣٦٨ .
(٢) ابن ابى زرع ، روض القرطاس ، ص ١٠٠ - مذكرات الامير عبد الله الزيرى ، ص ١٦٩ .
(٣) ابن أبى زرع ، روض القرطاس ، ص ١٠٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اما صاحب الحلل الموشية فيؤكد ان ابن تاشفين كان قد قدم « ابن عمه الامير سير بن ابى بكر على عسكر وأمره بمحاصرة ابن عباد باشبيلية واوعز اليه انه اذا فرغ من شأنه يتقدم لبلاد المتوكل ابن الافطس ، لشبونة ، وشنترين ، وغير ذلك مما كان بيده » (١) . كما ارسل ابن تاشفين قائده ابن الحاج لفتح قرطبة حيث كان بها الفتح بن عباد الملقب بالمأمون زوج زايدة المشهورة كنة المعتمد بن عباد وأم ولد الفونسو السادس فيما بعد (٢) .

كذلك سير قائده أبا زكريا بن واسينو على راس جيش ثالث لمحاصرة المعتصم بن محمد بن معن بن صمادح بالمرية ، وجيشا رابعا بقيادة جؤذر الحشمى على عسكر رابع ، وأمره بمنازلة يزيد الراضى بن المعتمد بن عباد والى رندة (٣) .

---

(١) الحلل الموشية ، ص ٧٢ ، وانظر ايضا ابن الكردبوس ، تحقيق د. مختار العبادى ص ١٠٦ .

(٢) عندما افتتح المرابطون قرطبة ، واستشهد المأمون ولد المعتمد ووزيراه ابن زيدون وأبو بكر بمداخله من أهل قرطبة (مذكرات الامير عبد الله الزيرى ، ص ١٧٠) امتلأ قلب زايدة زوجة المأمون بالحقد على قتلة زوجها وسجانى أبيه فيما بعد ، والظاهر ان حقدها على المرابطين دفعها الى الاقدام على ارتكاب خطأ فاحش فقد فرت من الاندلس وأولادها ، والتجأت الى طليطلة ، واصبحت زوجة غير شرعية لالفونسو السادس ملك قشتالة بعد أن ارتدت عن الاسلام ، واعتنقت المسيحية حتى تستحثه على محاربة المرابطين ، وقد انجبت منه ولدها الامير شانجة الذى قتل فى موقعة الاقماط السبعة المعروفة باقليش (٥٠١هـ) (١١٠٧م) (الونشريشى ، اسنى المتاجر فى بيان احكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر ، تحقيق د. حسين مؤنس ، صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمدريد سنة ١٩٥٧ ، ص ١٨٩ ، وانظر ايضا التفاصيل فى الاسلام فى المغرب والاندلس تاليف ليفى بروفنسال وترجمة السيد عبد العزيز سالم ، ص ١٦٢) .

(٣) الحلل الموشية ، ص ٧٢ ، ٧٣ ؛ محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص ٣٤٣ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأياما كان الامر (١) ، فان سير بن ابى بكر وباقى القادة الذين ارسلوا لفتح مملكة اشبيلية والمناطق التابعة لها ، قد نجحوا فى تنفيذ ما كلفهم به أميرهم ، وتمكن سير بن ابى بكر بعد طول مقاومة من فتح اشبيلية والاستيلاء عليها (٢) ، وتمكن المرابطون من اقتحام اشبيلية من جهة باب الفرج ، واستولوا على القصر ، وقبضوا على المعتمد بن عباد ، وساقوه اسيرا الى اغمات فى صحبة زوجته الرميكية وبناته ، وهناك انتابه شعور بالحزن والاسى عبر عنهما بقصائد تقطر الما الى ان توفى فى اغمات سنة ٤٨٨هـ (١٠٩٥م) وتم العثور على قبره الذى دفن فيه (٣) .

---

(١) نحن اميل الى الاخذ برأى صاحب الحلل الموشية فلا يمكن لقائد مهما كانت مكانته ان يتحرك لفتح مملكة كبيرة مثل مملكة اشبيلية دون ان يتلقى تعليمات سيده ، الامر الذى يدعونا الى ان نرجح أن ابن تاشفين هو الذى أمر سير بن ابى بكر بفتح تلك الممالك قبل عبوره الى المغرب .

(٢) سقطت مملكة اشبيلية فى ايدى المرابطين بعد مقاومة عنيفة من جانب المعتمد ، وقد بدأ سير بن ابى بكر هجومه على هذه المملكة باستيلائه على طريف اقصى ثغور اشبيلية الجنوبية (انظر عبد الواحد المراكشى المعجب ، ص ١٣٩) ثم توجه الى اشبيلية نفسها ، بينما كانت سائر الجيوش الاخرى التى ارسلها ابن تاشفين تتخذ طريقها الى جهاتها المختلفة : قرطبة ورندة والمرية (انظر ابن ابى زرع ، روض القرطاس ، ص ١٠٠) . وقد دافع ابن عباد عن بلاده دفاع الابطال ، وظل محاصرا داخل مدينته عدة اشهر ، وفى احدى المعارك مع المرابطين خرج يدافع فيها عن مدينته وليس عليه سوى غلالة رقيقة تشف عن بدنه ، وقد أصيب فى هذه المعركة بطعنات قاتلة ، وذكروا انه استنجد بالفونسو السادس فبادر بارسال جيش لنجدته ، ولكنه انهزم امام المرابطين (انظر عبد الواحد المراكشى ، المعجب ص ١٤٠ ، ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ١٦٣) .

(٣) راجع مقال :

Emilio Garcia Gómez, un supuesto sepulcro de Mu'tamid : do Sevilla en Agmat, al-Andalus, vol. XVIII, Fasc. 2, 1953, pp. 402 - 411.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جـ - نهاية المتوكل على الله وسقوط دولة بنى الافطس

ذكرنا من قبل ان ابن الافطس ادرك حين رأى الخطر المرابطى باشبيلية ان دوره هو الآخر اصبح وشيكا ، ولذلك بدأ يتودد الى الامير القائد سير بن ابى بكر ، ومن الغريب ان هذه السياسة تكللت بالنجاح واثمرت بدليل انه وفق فعلا فى حماية دولته من السقوط فى ايدى المرابطين مدة ثلاث سنوات . ويبدو ان سير بن ابى بكر ارسل احد اعوانه من المرابطين الى بطليوس ، وهو ابن الاحسن السجلماسى الذى كان قد أرسل من قبل يوسف بن تاشفين الى المعتمد بن عباد قبل جوازه الاول مع عبد الملك القاضى لتمهيد الامور لامير المسلمين ليقيم مع المتوكل ابن الافطس فيكون بمثابة رقيب عليه ، ويطلع على احوال البلاد ، ويحصى عليه كل تحركاته . ويؤكد الامير عبد الله الزيرى ذلك فى مذكراته فهو يقول « وبقى ابن الافطس يتخدم أمره ، وكان يدارى ابن الاحسن وينفعل له فى كل ما أراد طمعا منه فى البقاء لحينه ... » (١) .

وقد بدا ابن الاحسن فى الايام الاخيرة لابن الافطس يتدخل فى امور المملكة البطليوسية ويتشدد مع المتوكل مما جعل الاخير يتوجس خيفة من المرابطين لاسيما بعد توتر العلاقات بينه وبين الامير سير بن ابى بكر (٢) ، الامر الذى دعاه الى أن يلجأ فى نهاية الامر الى الفونسو السادس . ويورد اشباخ فى كتابه « تاريخ الاندلس فى عهد المرابطين والموحدين » خبرا غاية فى الاهمية ، فهو يذكر انه بعد أن ترك يوسف بن تاشفين قائده سير بن ابى بكر فى الاندلس ورجع الى المغرب ، توجه سير بن ابى بكر مع امير بطليوس الى وسط البرتغال الحالية مما يلى نهر تاجة

= وعن ابن عباد ومصيره التعس انظر ، ابن خاقان ، قلائد العقيان ، ص ٢١ - ٣١ ص ١٣٨ - ١٤٦ ، المقرى ، نفح الطيب ، جـ٦ ، ص ١٠ ، ١٣ ، جـ٥ ، ص ٣٧٩ .

(١) مذكرات الامير عبد الله الزيرى ، ص ١٧٢

(٢) محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص ٣٧٢ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وانخنا فى هذه الانجاد تخريبا ونهبا واسرا فى سكانها (١) . ونحن نميل الى الاخذ بهذا الخبر ، فابن الافطس قد لجأ فى فترة ما بعد سقوط اشبيلية فى أيدى المرابطين الى التودد الى الامير سير بن ابى بكر كما أسلفنا القول ، وربما كانت مشاركة ابن الافطس لسير بن ابى بكر فى بعض المعارك جزءا من سياسته لكسب قلوب المرابطين وصرف انظارهم عن بلاده . وقدم المتوكل عمر لالفونسو نظير مساعدته له ، ثلاثة مدن من اهم مدن مملكة بطليوس هى شنترة واشبونة وشنترين (٢) ، وفى ذات الوقت كان المتوكل « يخاطب الامير باظهار الطاعة والمشاركة فى امر الرومى ، ويخاطب الفونس ليستعين به على ملمة دهته من المرابطين ... » (٣) .

فلما رأى اهل بطليوس ما فعله بهم عمر بن الافطس ، بدأت بوادر الثورة فى الاشتعال داخل المدينة ، ولعل هذا الوضع يذكرنا بما حل بابن عباد حليف عمر المتوكل ، فقد اشتعلت الثورة فى مملكة اشبيلية ضد ابن عباد اثناء حصار المرابطين لها بتحريض بعض الخونة ، وهكذا كانت الاحداث فى هاتين المملكتين متشابهة الى حد كبير فيما يخص هذه الفترة الحرجة على وجه التحديد ، فقد انزعج الناس فى بطليوس حين سلم عمر المتوكل شنترين وشنترة واشبونة لالفونسو السادس ثمنا لمساعدته له ، فأرسلوا الى المرابطين فى اوائل عام ٤٨٨هـ (١٠٩٥م) يستدعونهم، فقدموا بجيش يتقدمه سير بن ابى بكر ، وفى تلك الاثناء استصرخ المتوكل ابن الافطس حليفه الفونسو السادس واقام منتظرا وصول امداداته ، ولكن انتظاره طال بلا نتيجة (٤) . وحين علم اهل بطليوس بوصول

---

(١) يوسف اشباخ ، تاريخ الاندلس ، فى عهد المرابطين والموحدين ، ترجمة عبد الله عنان ، ص ٨٩ .

(٢) ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ١٨٦ .

(٣) مذكرات الامير عبد الله الزيرى ، ص ١٧٢

(٤) Menendez - Pidal, la España del Cid, p. 504.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جيش المرابطين الى مدينتهم فتحوا أبواب بطليوس للمرابطين فدخلوها، واقتحموا قلب المدينة متجهين الى قصبة بطليوس حيث امتنع المتوكل عمر ، ومن المعروف أن قصر المتوكل عمر كان قريبا من القصبة وكانت تحيط بقصره وبالقصبة أسوار المدينة بأبراجها البرانية (١) .

ويمكن تفسير عدم تمكن ابن الافطس من الفرار من باب الغدر قبل وصول جيش المرابطين بأن وصولهم كان مفاجئا وسريعا بحيث فوجىء ابن الافطس بهم فأسقط فى يده . ومن المحتمل أن يكون الفونسو السادس قد وعد ابن الافطس بالقدوم لمساعدته ، ولهذا فقد ظل ابن الافطس منتظرا فى قلعته على أمل وصول هذا الحليف ، ولكن بدون جدوى ، حتى فات الاوان ، فتم القبض عليه حيث كان مختبئا .

ويرى اشباخ أن المتوكل ابن الافطس دافع عن بلاده دفاع الابطال شانه فى ذلك شان ابن عباد ، ويأخذ بذلك الرأى الكثير من المؤرخين الاسبان امثال فرناندو فالدث الذى يؤكد انه لولا قتال عمر بن الافطس واولاده بشجاعة فائقة ضد المرابطين ، ولولا استنجادهم بقوى المسيحية، لما تعرضوا لغضب سير بن ابى بكر وجنده المرابطين بحيث انتهى مصيره بالقتل ، فابن الافطس يعد الملك الوحيد من بين ملوك الطوائف الذى

---

(١) قمنا مرتين بزيارة بطليوس ودراسة تخطيطها العمرانى ونظامها الدفاعى الممثل فى أسوار المدينة والقصبة ، ومن بينها برج اسبنتابروس الذى يشبه برج الذهب باشبيلية ، كما اشتركت مع بعثة جامعة مدريد ، قسم الآثار فى الحفريات الاثرية التى أجروها برئاسة الدكتور فرناندو بالدث داخل القصبة وفى الربض ، واطلعنا على أحدث الاكتشافات التى توصل اليها سيادته ، وتتمثل فى باب صغير لايعدو نقبة أو خوخة فى السور القبلى لبطليوس كانت تصل بين قصر المتوكل ، والقصبة ، وقد سماه الدكتور فالدث « بباب الغدر » وفى نقطة انفتاح هذا الباب اقيم برج برانى ، ربما تم بناؤه زمن المتوكل تقية لباب الغدر وتمويها للناظرين ، وكان المتوكل يستخدمه فى أوقات الخطر .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قتل على ايدى المرابطين ، ولم يكن هذا بسبب تحالفه سرا مع الفونسو السادس ، فيكون قتله عقابا له على خيانته ، فمن الثابت فى جميع المصادر العربية ان ابن عباد قد اتصل هو الآخر بالفونسو السادس كما اتصل ابن رشيق من قبل وكذلك عبد الله الزيرى ٠

اذن فلم يكن تعاون ابن الافطس مع الفونسو هو المبرر الوحيد لقتله ، واعتقد ان هناك اسبابا أخرى تضافرت مع ذلك العامل لتبرير قتله ، لعل من اهمها المقاومة الشديدة التى ابداها المتوكل بن الافطس ، وان كان ابن عباد قد تصدى قبله للمرابطين ولم يقتل ٠ ويرى اشباخ انه بينما كان داوود بن عائشة يفتتح شرقى الاندلس ، كان سير بن ابى بكر يقتحم منطقة الغرب Algarve ، وقد بدأ باستيلائه على شلب ويابرة بعد مقاومة تكاد لا تذكر ، ثم ظهر بعد ذلك فى مروج بطليوس التى كانت ماتزال تحتفظ بعظام النصارى الذين قتلوا على ايدى المسلمين فى واقعة الزلاقة ، وقد خرج اليه عندئذ ملك بطليوس عمر بن الافطس واولاده يقاتلون ببسالة نادرة على راس جيشهم ، ولكنهم انهزموا امام المرابطين ٠ ويؤكد اشباخ أن السبب الرئيسى فى هزيمة ابن الافطس وغضب المرابطين عليه غضبا شديدا هو الشعور العدائى الشديد الذى كان يحمله جمهور بطليوس لبنى الافطس بسبب تسليمهم المدن الثلاثة للعدو المسيحى ، يضاف الى ذلك أن اهالى بطليوس ، كانوا يؤثرون اسقاط الحكم الافطسى لان نفقات البلاط البطليوسى ، وان كانت تساعد فى نمو التجارة الا انها كانت تزيد فى المكوس زيادة كبيرة ، هذا الى جانب انتشار نبوءة فى تلك الآونة بين أهل الاندلس خاصة فى هذا الجزء الغربى كما يذكر اشباخ خلاصتها أن الامراء الاندلسيين سوف يقهرون على يد فاتح من المغرب ، ومن ثم فقد انحاز اهل بطليوس الى المرابطين مؤثرين الا يناهضوا القدر بمعركة خاسرة (١) ٠ ولعل اتفاق ابن الافطس مع

---

(١) يوسف اشباخ ، تاريخ الاندلس ، فى عهد المرابطين والموحدين ، ص ١٠٠ ، ١٠١ ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سير بن ابى بكر وتعاونه معه ثم خيانته له واتصاله بالفونسو السادس بعد ان كان سير قد تركه يحكم مع ابن الاحسن لمدة ثلاث سنوات ، اغضب سير وجعله يصمم على نكبته .

وقد ادت هذه الاسباب مجتمعة الى تحامل المرابطين عليه الى حد انهم قتلوه هو وولديه صبرا ، اما العامل الرئيسى والمباشر فيتمثل فى تسليمه ثلاث من اهم مدن مملكته الى الفونسو السادس . وبعد ان تغلب المرابطون على قوة المتوكل ، تراجع الى بطليوس وتحصن بقصبتها المنيعة ، ولكن الاحداث تتابعت سريعا ، بحيث انه لم يتمكن من الهروب عبر باب الغدر ، ويبدو انه انخدع بامان منحة المرابطون له ووعد قطعوه على انفسهم بانهم سينقلونه هو وولديه الى اشبيلية ليعيشوا هناك (١) . ولكن بدخول المرابطين القصبة اسرعوا بالقبض على المتوكل « وعلى بنيه وعبيده واستخراج ما كان له من مال وذخيرة (٢) » بعد ان عذبوه لكشف مخابئها ، فقد كانت كل اموال بنى الافطس مدفونة فى القصبة بعد ذلك امر سير بنقل عمر المتوكل ابن الافطس مع ولديه الفضل وعباس الى اشبيلية ، وبالفعل سار الامراء الثلاثة مع حراسهم فى طريق اشبيلية ، ولكن ما كاد المتوكل يغادر المدينة مع ولديه ليحتلها سير بن ابى بكر وقواته حتى ارسل سير سرية من فرسان المرابطين وراءهم « وفى اثناء الطريق لما بعد من بطليوس ، انزل وأمر بالتأهب للموت ، فسأل ان يقدم ابناه قبله ليحتسبهما فكان ذلك ، وقتل الجميع صبرا وذلك فى اخريات سنة ٤٨٨هـ » ويؤكد ابن خاقان فى قلائد العقيان ان المتوكل « رغب فى تقديم ولديه بين يديه ليحتسبهما عند ربه ، ويكتسبهما حسنة تمحو بعض ذنبه (٣) » . ويشهد قاتل الفضل ابن الافطس والعباس اخيه بانهما كانا فى غاية الجلد مما حير قاتليهما من المرابطين ، وان

---

(١) اشباخ ، تاريخ الاندلس فى عهد المرابطين والموحدين ، ص ١٠١
(٢) ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ١٨٦
(٣) ابن خاقان ، قلائد العقيان ، ص ٣٨ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المتوكل عمر بن الافطس كان مثالا للاب الحنون ، الذى تجيش نفسه بالعاطفة الابوية الخالصة فما ان رأى ولديه يقتلان أمامه حتى قام « عند صرعتهما مختبلا من لوعتهما ليصلى ، وقد افرط فى ملامه وتشطط فى كلامه واختلط افتتاحه بسلامه » (١) .

ولكن المرابطين لم يمهلوه حتى ينتهى من صلاته فبادروه بأسنتهم فى الصلاة « وناهشوه مناهشة الطير لقتيل الفلاه ، حتى خرلا لسجود ، واستقلى لغير هجود .... » (٢) ثم ترك المرابطون هؤلاء القتلى الثلاثة فى الفلاه دون أن يدفنوهم ، فصارت أجسادهم غذاء للسباع ، ودماؤهم طعاما للنسور . وقد رثاهم ابن خاقان بقوله « فرويت الارض من دمائهم ، وتعطلت المنابر من أسمائهم ، وعاد صبح ملكهم عاتما ، واقامت النجوم عليهم ماتما ، فخروا على الثرى بدورا ، وسعروا بالجوى صدورا ، وغدوا صرعى تسفى عليهم الشمال ، وتنتفى منهم الآمال ، مجدلين على وجه الارض ، معفرين الى يوم النشور والعرض ، قد توسدوا التراب بدل الارائك ، وتضرجوا بالدماء بعد التضمخ بالمسك الصائك .... » (٣)

وكان للمتوكل بن الافطس ولد آخر هو المنصور ، كان قد أرسله بكثير من الذخائر الى حصن شانجش بالقرب من حدود قشتالة ، فلما علم ما حل بوالده واخويه « وجه الى اذفونش باهله وماله ، ودخل - زعموا - فى دينه ، وصدر معه الى بلاده بعد ان ثقف الحصن برجاله ، وانتهى أمر بنى الافطس » (٤) .

وكان المنصور داهية بالامور وغاية فى الذكاء ، وقد حذر والده من ابن الاحسن ، فقد استطاع ان يتبين أهداف ابن الاحسن منذ مجيئه الى

---

(١) ابن خاقان ، قلائد العقيان ، ص ٣٨
(٢) المصدر السابق ، ص ٣٨
(٣) نفسه ، ص ٣٧ .
(٤) ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص ٢٨٦

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بطليوس « وقد رأى طريقة ابن الاحسن وسعيه على ابيه وهو رجل سجلماسى فقيه ، متصرف فى امور الامير ، استوطن بطليوس ، واكتسب فيها مالا ، يرى أن كونه فى الثغر ، لما ينفع المسلمين ، وهو يعمل فى خلع صاحبها ٠٠٠٠ » (١) كما كان دائم النصح لوالده عمر المتوكل لاسيما ما يتعلق بسياسته مع ابن الاحسن هذا ، فقد كان المتوكل متبعا لهوى هذا الرجل السجلماسى « لو سأله روحه مالا يحل عليه ، عمل به متوقعا لشره ، وكل شىء يحذره الانسان ويكرهه بقلبه ، ولا يكون عليه بالخيار ، فهو متورط لا محالة فيه ، فان المدارة فيه مما لاتنفع ٠٠٠٠ » (٢) ٠ « فنصح الابن اباه بألا يحاول استمالة هذا الرجل الذى يمثل سلطان المرابطين ، وقال له « فلن تبلغ مرضاته الا بالانخلاع له ووضع البلد فى يديه وتقنع بأن تكون متحريا ، متخليا عن الرياسة ، فعاجل ذلك تجد عنده الامان » (٣) فان قبل ذلك فسوف يجد الراحة من الخطر المرابطى ، وكان الولد يعرف اباه فان المتوكل كان يرفض تسليم أموره الى ابن الاحسن والى المرابطين ، لذا فقد استطرد المنصور فى النصح بأن طلب منه ان يفر الى الفونسو السادس يلتجأ اليه تاركا بطليوس ؛ ولكن المتوكل اباه ، رفض نصيحة ولده المنصور وسفه رأيه ، فلما رأى الابن ذلك نجا بماله وأهله ، واخذ لنفسه بالرأى الذى اشار به على ابيه ، وبقى الشيخ لحينه حتى نفذ أمر الله فيه ٠٠٠٠ » (٤) ٠

وهكذا نرى أن الروايات الواردة فى المصادر العربية اختلفت فى شأن المنصور الثانى بن عمر المتوكل بن الافطس ، فمنها ما يؤكد أن والده هو الذى قام بارساله الى حصن شانجش بماله وذخيرته (٥) ، ومنها

---

(١) مذكرات الامير عبد الله الزيرى ، ص ١٧٢
(٢) مذكرات الامير عبد الله الزيرى ، ص ١٧٢
(٣) نفس المصدر ، ص ١٧٢
(٤) نفسه ، ص ١٧٢
(٥) ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ١٨٦

ما يذكر أن المنصور هو الذى فر من تلقاء نفسه الى الفونسو السادس تاركا بطليوس خلفه لادراكه وتيقنه بخطورة ابن الاحسن والمرابطين (١) .

وايا ما كان الامر فقد انضم المنصور مع جيوش النصارى ، وشاركهم فى حرب المرابطين ، وفى ذلك يقول الامير عبد الله الزيرى « ثم صار ابنه المنصور فى جملة الروم حنقا لما جرى على ابيه ، يطلب الثار ويتطرق معهم بلاد المسلمين » (٢) .

ويرى الامير عبد الله الزيرى أن الذى دل الامير سير بن أبى بكر على طريقة الهجوم على مملكة بطليوس هو ابن رشيق الذى كان له عليه من الايادى الكثير من قبل فى لبيط ، هذا من جهة ، ومن جهة ثانية لانه اندلسى عالم ببواطن وخفايا الامور والفتن ، وقد كان ابن رشيق فى اسر جرور الهاشمى ، فاطلق سراحه على ان يقوم بارشاد المرابطين على الكيفية التى يفتحون بها بطليوس وقد كان لابن رشيق دور كبير فى تاليب الناس فى بطليوس وثورتهم على بنى الافطس « فلما وصل . تخدم امر بطليوس بكل وجه من المداخلة لاهل البلد ومن معه فى القصبة من الحرس وغيرهم حتى وقع الاتفاق على أن يطرقها ليلا ويفتحون له الباب فكان من ذلك ما حاولوه .... » (٣) .

وقد اذكت محنة بنى الافطس كما اذكت محنة بنى عباد من قبل

---

(١) مذكرات الامير عبد الله الزيرى ، ص ١٧٣

(٢) المصدر السابق ، ص ١٧٤ ، هذا وقد ذكر ابن عذارى ان المنصور فارق أرض النصرانية فى صفر عام ٥٠٥هـ (١١١١م) ونزل باشبلية ومن هناك نقل الى المغرب ليمثل فى حضرة أمير المسلمين على بن يوسف حيث قربه اليه وادناه منه ورفع منزلته ، واصبحت له مكانة رفيعة فى دولة المرابطين (راجع ابن عذارى البيان ، جـ٤ ، ص ٥٦) .

(٣) مذكرات الامير عبد الله الزيرى ، ص ١٧٤

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فجيعة الشعر الاندلسى ، فقام شاعر يابرة العظيم أبو محمد عبد المجيد ابن عبدون الذى كان وزيرا للمتوكل بن الافطس بكتابة مرثيته الشهيرة التى مطلعها :

الدهر بفجع بعد العير بالاثر فما البكـاء على الاشـــباح والصـــور

انهاك انهاك لا آلوك موعظة عن نومة بين ناب الليث والظفـر (١)

---

(١) انظر باقى القصيدة فى ابن خاقان ، القلائد ، ص ٣٩ - ٤٠ ، ومن الغريب ان يسفه الدكتور حسين مؤنس صاحب القصيدة ويزعم انها مع شهرة هذه المرثية واجماع المصادر العربية على أعتبارها من أروع ما قيل فى الرثاء أبرد مع الثلج . (راجع ردى على د. مؤنس فى مجلة أكتوبر ١٩٨٤) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

البـــــاب الثـــالث

بطليوس منذ دخولهـا في فلك دولـة المرابطـين عـام ٤٨٨هـ (١٠٩٥م) حتى سقوطها في أيـدى الليونيـين عـام ٦٢٧هـ (١٢٣٠م »

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصـــل الخامس

بطليوس فى عصر دولتى المرابطـين والموحـدين

(١) بطليوس فى عهد على بن يوسف

(٢) الثورة فى غرب الاندلس وانهيار سلطان المرابطين

(٣) بطليوس فى عهد عبد المؤمن بن على وابنه يوسف

(٤) بطليوس فى عهد الخليفة أبى يوسف يعقوب المنصور

(٥) بطليوس فى عهد خلفـاء المنصور

(٦) سقوط بطليوس فى أيدى الليونيين سنة ٦٢٧هـ (١٢٣٠م)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الخامس

بطليوس فى عصر دولتى المرابطين والموحدين

(١)

بطليوس فى عهد على بن يوسف

أ - نشاط عسكر المرابطين فى الغرب :

بعد سقوط بطليوس فى ايدى المرابطين ، تصمت المصادر العربية عن ذكرها فى الفترة الباقية من عهد يوسف بن تاشفين ، وكل ما استطعنا ان نستنتجه من خلال دراستنا لعصر يوسف أن بطليوس أصبحت احدى القواعد المرابطية الرئيسية فى غرب الاندلس : ففى ذى الحجة من سنة ٤٩٦هـ (١١٠٢م) جمع يوسف بن تاشفين فى قرطبة أمراء المرابطين واشياخهم وفقهاءهم لعقد البيعة لابنه على ، فقد كان يوسف قد جاز الى الاندلس للمرة الرابعة فى أواخر هذا العام ٤٩٦هـ (١١٠٢م) لاستئناف الجهاد ضد القشتاليين ، وقد تم لابن تاشفين ما أراد ، ووفق فى اخذ بيعة اهل الاندلس بولاية العهد لابنه على ، وكان من شروطهم ان ينشىء ابن تاشفين فى الاندلس جيشا مرابطيا عدته سبعة عشر الف فارس ، يخصص منهم سبعة الاف فى اشبيلية ، وأربعة الاف فى شرق الاندلس والف بقرطبة ، والف بغرناطة ، والباقون يتم توزيعهم على الثغور (١) .

ولما كانت بطليوس ثغرا من اهم ثغور الاسلام فى الاندلس بحكم مجاورته لدولتين مسيحيتين تزعمتا حركة الاسترداد ، ونعنى بهما مملكتى قشتالة وليون ، ثم ان بطليوس كانت مسرحا لاهم مواقع المرابطين ، ففى احوازها دارت موقعة الزلاقة المشهورة ، وفى فحصها ايضا دارت موقعة أخرى فى عهد على بن يوسف انتصر فيها المسلمون ، ونعتقد أنها اتخذت فى عصر المرابطين قاعدة حربية لقواتهم فى الغرب ، بحكم موقعها

---

(١) الحلل الموشية ، ص ٨٠ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الاستراتيجى الهام ، كانوا يحرصون على شحنها بقواتهم المحاربة فى مواجهة العدو (١) .

ثم توفى يوسف بن تاشفين فى يوم الاثنين مستهل شهر المحرم سنة خمسمائة ٥٠٠هـ (٢) (٢ سبتمبر سنة ١١٠٦م) فى مراكش ، وخلفه على امارة المرابطين ابنه ابو الحسن على الذى كان يوسف قد اختاره لولاية العهد من دون ابنائه جميعا ، وبالذات ابنه ابى طاهر تميم الذى يكبر ولى العهد فى العمر (٣) . وكان قد عقد البيعة له فى الاندلس سنة ٤٩٦هـ (١١٠٢م) وحضرها بقرطبة عبد الملك بن المستعين بن هود ، وكتب العقد الكاتب ابو بكر بن القصيرة (٤) .

وقد تعرض على بن يوسف فى بداية امارته لثورة محلية تزعمها يحيى بن ابى بكر ، وهو ابن اخى على بن يوسف فى فاس ، فبادر على بالتوجه اليها على راس قواته ، فلما راى يحيى قدوم عمه اليه فى فاس، فر منها الى تلمسان حيث احتمى بحاكمها الامير مزدلى الذى شفع له

---

(١) محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص ٣٧٢ .

(٢) يخطىء عبد الواحد المراكشى فى تاريخ وفاته فيجعله سنه ٤٩٣هـ (١٠٩٩م) بدلا من ٥٠٠هـ (١١٠٦م) (راجع عبد الواحد المراكشى ، المعجب ، ص ١٧٠) .

(٣) الحلل الموشية ، ص ٧٧. والظاهر ان يوسف كان يفضله على سائر بنيه ، لما كان يفضلهم باتزان تفكيره وحسن تدبيره ، رغم كونه اصغر من اخيه تميم سنا ، وفى ذلك يقول احد شعراء الاندلس معبرا عن فضائله :

وان كان فى الاسنان يحسب ثانيا *** على ففى العلياء يحسب اولا
كذلكم الايدى سواء بنانها *** وتختص فيهن الخناصر بالجلا

(الحلل الموشية ، ص ٧٨) .

(٤) ابن عذارى ، البيان ، جـ٣ ، ص ٤٣ ، وورد فى الحلل ان الذى كتب نص البيعة الوزير الفقيه ابو محمد بن عبد الغفور ، وقد سجل صاحب الحلل نص العهد كاملا (راجع الحلل الموشية ، ص ٧٨ ، ٧٩) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عند على بن يوسف ، وانتهى الامر بان عفا الامير على عنه ، فجاء الى مراكش ليعيش بها ثم عاد من جديد يسعى لثورة جديدة ، فأمر عمه الامير على بن يوسف بالقبض عليه ونفيه الى الجزيرة الخضراء حيث اعتقل الى ان توفى (١) .

ثم جاز جوازه الاول الى الاندلس فى منتصف عام ٥٠٠هـ (١١٠٧م) (٢) ليبايعه زعماء الاندلس وفقهاؤها وقضاتها وشعراؤها ، وادباؤها ، وفى ذات الوقت كان على بن يوسف يرغب فى تعديل بعض النظم الادارية فى الاندلس ، فقام بعزل اخيه ابى طاهر تميم عن ولاية المغرب ، وولاه على غرناطة بالاندلس ، ونصبه قائدا اعلى للجيوش المرابطية فيما وراء البحر . ووضع على ولاية المغرب ابا عبد الله محمد بن الحاج ، ولم يلبث ان عزله عن منصبه هذا بعد ستة اشهر ، وولاه على بلنسية وشرقى الاندلس . اما قرطبة فقد جعل على ولايتها ابا عبد الله محمد بن ابى بكر اللمتونى (٣) . ثم قفل عائدا الى المغرب ، ومن هناك ارسل الى اخيه تميم قائد الجيوش المرابطية فى الاندلس يأمره ببدء الجهاد ضد النصارى فى الاندلس ، بينما تخلف على بن يوسف فى المغرب ، ولم ينتقل الى الاندلس للمرة الثانية الا فى عام ٥٠٣هـ (١١١٠م) (٤) . ويرجع السبب فى صدور الامر من مراكش الى قادة المرابطين بالاندلس بالجهاد الى اقدام الفونسو السادس على مهاجمة احواز اشبيلية وعيثه فسادا فيها بمجرد سماعه بنبأ وفاة يوسف بن تاشفين عام ٥٠٠هـ (١١٠٦م) ، فخرج سير بن ابى بكر ، حاكم اشبيلية ، ومعه قوات غرناطة بقيادة ابى عبد الله بن الحاج لمطاردة القشتاليين ، ثم اتجهت قوات المسلمين لمهاجمة وغزو النصارى فى عقر دارهم ، وانضمت

---

(١) ابن ابى زرع ، روض القرطاس ، ص ١٠٣ .
(٢) الحلل الموشية ، ص ٨٥
(٣) ابن عذارى ، البيان ، جـ٤ ، ص ٤٩ - ٥٠ .
(٤) الحلل الموشية ، ص ٨٥ .

اليهم فى تلك الاثناء حشود من مرسية بقيادة ابى عبد الله محمد بن عائشة ، وقوات من بلنسية بقيادة محمد بن فاطمة ، واتجهوا جميعا الى اقليش أحصن معاقل كورة شنتبرية (١) ، التى سرعان ما سقطت فى ايدى المرابطين فى اليوم التالى وهو يوم الخميس ١٥ شوال (٢٨ مايو) والتجأ النصارى الى قصبة اقليش العليا ، فامتنعوا بها فى انتظار مساعدة مواطنيهم بينما حاصرتهم قوات المرابطين مجتمعة ، وكان الفونسو السادس فى تلك الآونة ، قد هدمه المرض ، واعياه الضعف والوهن ، فأرسل حملة قوية بقيادة ولى عهده شانجة ومؤدبه غرسية اردونيث Garcia Ordoñez ، ويعرف بالفم المعوج ، والبار هانس ، ولا يهمنا فى هذا المجال الحديث عن تفاصيل موقعة اقليش ، وكل ما يهمنا ان نعرفه

---

(١) اقليش Uclés ، لقد قام اويثى ميراندا بكتابة بحث مفصل عن هذه الموقعة فى كتابه سالف الذكر ، ثم ترجم ذلك البحث الى العربية ونشر تحت عنوان « وقعة اقليش ومصرع الامير شانجة » ، صدر فى مجلة تطوان سنة ١٩٥٧ (العدد الثانى ، ص ١١٥ - ١٣٠) وقد اعتمد اويثى ميراندا فى هذا البحث على نص ابن القطان (نظم الجمان ، ص ٥ - ١٠) وعلى رسالة تميم التى وجهها الى أخيه على يبشره بهذا الفتح ، وعلى نص مخطوط من كتاب البيان المغرب (مخطوط تامجروت) ، وقد عرف الحميرى اقليش بقوله « مدينة لها حصن فى ثغر الاندلس وهى قاعدة كورة شنتبرية ، وهى محدثة بناها الفتح بن موسى بن ذى النون ، وفيها كانت ثورته وظهوره فى سنة ١٦٠هـ ، ثم اختار اقليش دارا وقرارا فبناها ومدنها ، وهى على نهر منبعث من عين عالية على راس المدينة فيعم جمبعها ، ومنه ماء حمامها ، ومن العجائب ، البلاط الاوسط من مسجد جامع اقليش ، فان طول كل جائزة من جوائزه مائة شبر » (انظر الحميرى ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ٢٨) . ويرفض الاستاذ محمد عبد الله عنان راى الحميرى القائل بان من بناها كان الفتح بن موسى بن ذى النون لان ثورة الفتح حدثت فى مستهل عهد الناصر بعد سنة ٣٠٠هـ (٩١٢م) (انظر محمد عبد الله عنان ، عصر المرابطين ، ص ٦١) . ويرفض الدكتور محمود مكى راى عنان ويؤكد استنادا الى المقتبس ان الفتح هو الذى ابتنى حصن اقليش (ابن حيان ، المقتبس ، ص ١٧) .

أن انتصار المرابطين على أعدائهم النصارى فى تلك الموقعة كان عظيما ، وهو انتصار يذكرنا ببوم الزلاقة ، وتعرف هذه الواقعة فى الروايات النصرانية باسم « موقعة القوامس السبعة » نسبة الى سبعة قوامس ، كانوا فى حاشية ولى عهد قشتالة شانجة (١) ابن الفونسو السادس من زوجته زايدة المسلمة ، وعندما سقط شانجة الصغير صريعا ومعه مؤدبه غرسية اردونيث ، حاول هؤلاء القوامس السبعة الفرار الى حصن بلشون Belinchon القريب ، ولكن جماعة من فرسان المرابطين تمكنوا من اللحاق بهم وابادتهم عن آخرهم (٢) ..

ثم جاز على بن يوسف للمرة الثانية ، وكان ذلك عام ٥٠٣هـ (١١٠٩م) « برسم الجهاد ، ونصر الملة ، واعزاز الكلمة » (٣) . وبدأ سلسلة حروبه للجهاد بطليطلة حيث نزلوا على بابها . واخذت

---

(١) شانجة Sancho ، كان يبلغ من العمر فى تلك المعركة نحو خمسة عشر عاما ويذكر ابن أبى زرع فى (روض القرطاس ، ص ١٠٤) أن زوجة الفونسو هى التى أشارت عليه أن يرسل ولده شانجة على رأس الجيوش حين علمت بأن تميم بن يوسف بن تاشفين هو قائد الجيوش الاسلامية « فيكون مقابلا لتميم لان تميم ابن ملك المسلمين ، وشانجة ابن ملك الروم » وكان شانجة هو ابن الفونسو السادس من زوجته المسلمة زايدة . وواضح أن رواية روض القرطاس خيالية ، فلم يكن تميم ابنا لعلى بن يوسف وانما أخاه ، ثم ان الفونسو كان يجتاز السنة الاخيرة من عمره وقد أصابه المرض والوهن .

(٢) انظر الروايات المختلفة فى : ابن أبى زرع ، روض القرطاس ، ص ١٠٤ ، ابن القطان ، نظم الجمان ، تحقيق د. محمود على مكى ، تطوان ، ص ٥ — ٦ .

Huici Miranda, Las Grandes batallas de la reconquista, p. 118-119 - Primera Cronica General de España, (Ed. M. Pidal) parte II, p. 554 - 556.

(٣) الحلل الموشية ، ص ٨٥

جيوش المرابطين تعيث فسادا فى نواحى طليطلة ، ثم استولوا على طلبيرة (١) Talavera وقنالش Canales ومجريط Madrid ووادى الحجارة Guadalajara ، وبعدها عادوا الى طليطلة فحاصروها . ولكن على بن يوسف لم يتمكن من افتتاحها بعد أن طال حصار المرابطين لها ، وتفشى بينهم الوباء ، فعاد الى مراكش . وعلى الرغم من رحيله الى المغرب ، فقد واصل المرابطون غزوهم لبلاد النصارى ، واشتد عيثهم فى أراضيهم ، وفى نفس الوقت الذى كانت فيه جيوش المرابطين تحت أسوار طليطلة ، كان سير بن ابى بكر يتجه بقواته صوب البرتغال فى الغرب (٢) ، وكانت مملكة مسيحية ناشئة ، امرها هنرى البرجونى زوج تيريسا بنت الفونسو السادس غير الشرعية . وكانت قاعدة هذه المملكة البرتغالية الصغيرة مدينة قلمرية Coimbra التى كانت قد سقطت فى ايدى الليونيين ايام المظفر ابن الافطس فى سنة ٤٥٦هـ (١٠٦٣م) وكانت تضم بعض ولايات الغرب التى كانت تابعة لمملكة بنى الافطس من قبل ، وكنا قد ذكرنا ان المتوكل عمر بن الافطس كان قد تنازل لالفونسو السادس عن اشبونة Lisboa وشنترين Santarem وشنترة Cintra

وفى خروج سير بن ابى بكر نحو الغرب يقول ابن ابى زرع : « وفى سنة اربع وخمس مائة فتح الامير سير بن أبى بكر سنترين (شنترين) ، وبطليوس ، وبرتقال وبافورة (يقصد يابرة Evora) والاشبونة وجميع بلاد الغرب ، وذلك فى شهر ذى القعدة منها » (٣) .

---

(١) عن غزوة طلبيرة ، انظر : ابن القطان ، قطعة من نظم الجمان ، ص ١٤ .

(٢) ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ١٨٦ .

(٣) ابن ابى زرع ، روض القرطاس ، ص ١٠٥

ويؤكد هذا النص الوارد بالمتن ان سقوط يابرة تم على يدى سير =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويتشكك الاستاذ محمد عبد الله عنان فى صحة هذا النص ، لان بطليوس كانت ماتزال فى حوزة المرابطين منذ ان دخلوها عنوة فى سنة ٤٨٨هـ (١٠٩٥م) .

ولو ان شكوك الاستاذ عنان كانت فى موضعها ، فان ظهور اسم بطليوس فى هذا النص ينهض دليلا على ان بطليوس كانت منطلقا لغزوات المرابطين فى غرب الاندلس وقاعدة عسكرية لهم : منها كانوا يخرجون لقتال العدو ، واليها يعودون بعد تحقيق اهدافهم . ونخلص من ذلك بأن الاستاذ عنان يرى ان وجود اسم بطليوس بين اسماء المدن التى استولى عليها سير بن ابى بكر فى هذه السنة (٥٠٤هـ) (١١١٠م) رغم بقائها فى ايدى المرابطين منذ سنة ٤٨٨هـ (١٠٩٥م) هو مجرد تحريف فى نص ابن ابى زرع ، ونعتقد ان ما اراد ان يعنيه من هذا النص ان سير بن ابى بكر امير اشبيلية خرج الى بطليوس قاعدة المرابطين فى الغرب والثغر الجوفى للاندلس ، ومنها زحف الى يابرة التى كانت قد سقطت بالفعل فى ايدى القشتاليين منذ فترة طويلة ، ثم اتجه بعد سقوط يابرة فى ايدى قواته الى الاشبونة وضاحيتها شنترة ، ونجح فى استردادهما : فهما المدينتان اللتان كان عمر المتوكل ابن الافطس قد سلمهما مع شنترين الى الفونسو السادس لقاء مساعداته له ضد المرابطين .

وبالرجوع الى كتاب تاريخ بطليوس الاسلامية للمؤرخ الاسبانى مارتينث اى مارتينث Martinez y Martinez نجد تحليلا آخر - يستند فيه على الرواية المسيحية - يلقى مزيدا من الضوء على نص ابن ابى زرع سالف الذكر الذى تشكك الاستاذ عنان فى صحته ؛ ورجح ان

بن ابى بكر فى عام ٥٠٤هـ (١١١٠م) اثناء حملته القوية التى قادها ضد بلاد النصارى ، وليس فى عام ٤٨٨هـ (١٠٩٥م) كما يزعم اشباخ .

يكون هذا المؤرخ قد وقع فى خطأ التحريف . وقد بدأ مارتينث بعرض الخلفية السياسية لهذه الفترة الدقيقة فى تاريخ الغرب الاندلسى ، فبعد مصرع الامير شانجة ابن الفونسو السادس من زايدة المسلمة ، فى موقعة اقليش Uclés ، انهار والده — الفونسو السادس — الذى كان قد شاخ وهرم ، ولم يعد بقوى حتى على الخروج ، ولم يلبث ان توفى فى عام ٥٠٢ (١١٠٩م) . وخلفته على العرش ابنته الكبرى دونيا اراكة Urraca وكانت زوجة لريمون البورجونى لفترة زمنية محدودة ، بينما تزوجت ابنته الاخرى تيريسا Teresa من هنرى البورجونى الذى قدم مع ريمون من فرنسا (١) . كل هذا تم فى نفس العام الذى جاز فيه على بن يوسف جوازه الثانى الى الاندلس برسم الجهاد ، والذى تمكن خلاله من الاستيلاء على طلبيرة ، وحصار حصون اقليم طليطلة (٢) . وكان الفونسو السادس قد سلم الاشبونة وشنترين وشنترة الى صهره ريمون البورجونى بعد ان انتزعها من عمر المنوكل ابن الافطس (٣) ، ثم آلت بعد وفاة ريمون هذا الى هنرى البورجونى الذى ما كاد يبلغه نبأ وفاة حميه الملك الفونسو السادس حتى اعتبر نفسه مستقلا بالبرتغال ، وانتهز فرصة الاضطرابات العنيفة التى وقعت فى مملكة قشتالة ولون عقب اعتلاء دونيا أراكة العرش من جهة ، واغفال المرابطين الدفاع عن المنطقة البرتغالية نتيجة تركيزهم الحربى على طليطلة ونواحيها ، وبادر بتوجيه بعض الحملات على بلاد المسلمين فى الغرب ، وتمكن فى تلك الحملات من الاستيلاء على بابرة وبطليوس بقوة السلاح (٤) . وعندئذ الفى سير من

---

(١) Martinez y Martinez, Historia de Badajoz, pp. 183, 184.

(٢) Codera, Decadencia y desaparición de los Almorávides en España, p. 11 233.

(٣) Martinez y Martinez, op. cit., p. 184.

(٤) Ibid, p. 184.

ابى بكر نفسه مضطرا الى توجيه حملة مرابطية الى الغرب لوضع حد لتطلعات هنرى البورجونى واندفاعاته الخطيرة ، وقاد سير هذه الحملة بنفسه ، ويمكن فى هذه السنة من استرجاع بطليوس ويابرة والاشبونة وشنترة وشنترين ، وبهذا يكون ما ورد فى نص ابن ابى زرع صحيحا ، وبمكننا ان نتقبله بعد ان اتضح لنا ان هنرى هذا — صاحب قلمرية — استطاع فيما بين اواخر عام ٥٠٢هـ (١١٠٨م) وبداية عام ٥٠٣هـ (١١٠٩م) انتزاع بطليوس ويابرة من ايدى المرابطين .

ويرجح مارتينث سقوط قلعتى قورية Coria والبلدة Albelda فى يد سير بن ابى بكر فى حملته لاسترداد بطليوس ويابرة الوارد خبرهما فى نص ابن زرع . وكانت قورية قد سقطت فى يد الفونسو السادس فى عام ٤٧٢هـ (١٠٧٩م) كما سبق ان ذكرنا ، ومن الجدير بالذكر ان المدونة المسيحية التى اعتمد عليها مارتينث فى ذلك ، وورد فيها هذا الخبر عن سقوط القلعتين المشار اليهما ، وهى مدونة الامبراطور الفونسو (Cronicon Adefonsi Imper.) لم تذكر سوى أن عددا من النصارى سلموا قورية للمسلمين وأن المرابطين استولوا على البلدة ثم شحنوا المدينتين بعسكر من الرجالة والفرسان الذين كانوا يغيرون يوميا على كل استرا مادورا حتى نهر دويره . وقد عمل مارتينث على توضيح ما ورد فى هذه المدونة من وجهة نظره ، فذكر أن تسليم قورية للمسلمين انما تم بسبب خيانة ، ولهذا لا يمكن أن نعتبره فتحا عسكريا بمعنى الكلمة . ولهذا السبب فانه يذكر فى كتابه « انها سلمت بفضل سفلة من القوم يسمونهم مسيحيين ولبسوا كذلك » (١) . وبطبيعة الحال فان هذا الاسلوب الذى يتحدث به مارتينث ان دل على شىء فانما يدل على تعصب

---

(١) Martinez y Martinez, op. cit., p. 184.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بعض مؤرخى الغرب الاوروبى عند تعرضهم لانتصارات المسلمين ، وهدفهم هو تجريد الاسلام من امجاده وبطولات ابنائه .

اتجه سير بن ابى بكر بعد ذلك الى شنترين ، وقد وصلتنا تفاصيل استيلائه على هذه المدينة فى الرسالة (١) التى كتبها له وزيره الاجل ابو محمد عبد المجيد بن عبدون - وكان يكتب للمرابطين بعد سقوط دولة بنى الافطس - الى على بن يوسف امير المرابطين ، وقد ابرز سير فى هذه الرسالة اهمية مدينة شنترين ومدى حصانة قلعتها ، وفى ذلك يقول : « وكانت قلعة شنترين - ادام الله امر امير المسلمين - من احصن المعاقل للمشركين ، واثبت المعاقل على المسلمين ، فلم نزل بسعيك الذى اقتفيناه ، وهديك الذى اكتفيناه ، نخضد شوكتها ، وننحت اثلتها ، ونتناولها عللا بعد نهل ... وهذه القلعة التى انتهينا الى قرارها ، واستولينا على اقطارها ، ارحب المدن امدا للعبون ، واخصبها بلدا فى السنين ، لايربمها الخصب ولا بتخطاها ، ولا برومها الجدب ولايتعاطاها ، فروعها فوق الثربا شامخة ، وعروقها تحت الثرى راسخة ... فامكننا الله تعالى من ذروتها ، وانزل ركابها لنا عن صهونها (٢) » . ويوضح سير فى هذه الرسالة مدى اهمية شنترين من الوجهة الاقتصادية ، ويشيد بخصوبة تربتها . ويبدو ان سير لم يتمكن من افتتاح مدينة قلمرية فى حملته السابقة على الغرب فى سنة ٥٠٣هـ (١١٠٩م) بل ان الاستاذ عنان يرفض الاخذ برواية ابن ابى زرع التى تؤكد ان سير بن ابى بكر افتتح بطليوس وبرتقال (٣) ، وقد اوضحنا سبب رفضه لهذه الرواية لاسيما

---

(١) انظر نص الرسالة فى : عبد الواحد المراكشى ، المعجب فى تلخيص اخبار المغرب ، ص ١٦٦ ، ١٦٧ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٦٦ ، ١٦٧ .

(٣) ابن ابى زرع ، روض القرطاس ، ص ١٠٥ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ما يتعلق بفتح بطليوس . اما برتقال ، فيستبعد قيام المرابطين بافتتاحها ويعبر عن ذلك بقوله : « وبرتقال وهى بعنى فى الجغرافية الاندلسية ثغر بورتو Porto فهى تقع فى اقصى شمال البرتغال ، وفى شمال قلمرية ، ومن ثم فان المرابطين لم يصلوا فى زحفهم اليها ولم يفتتحوها » (٢) . وايا ما كان الامر فقد جاز على بن يوسف الى الاندلس للمرة الثالثة لهذا السبب فى عام ٥١١هـ (١١١٧م) وتقدم على رأس قواته بهدف فتح مدينة قلمرية قاعدة مملكة البرتغال الناشئة ، « ودوخ بلاد الشرك بجيوش لا تحصى ، وكان اثره بها عظيما » (٣) . ويورد ابن عذارى اخبار هذه الغزوة ببعض التفصيل ، فيذكر ان الامير على بن يوسف تحرك من مراكش وجاز الزقاق فى الايام الاخيرة من شهر المحرم من عام ٥١١هـ (١١١٧م) ، واتجه بقواته الى مدينة اشبيلية حيث اقام فترة وجيزة الى ان انتظمت قواته ، واستوفت ترتيب صفوفها ، « وتاهبت العساكر الاندلسية ، ولحقت من قرطبة لمة من الفقهاء والعلماء ، ولفيف من المجاهدين الزعماء ، خيلا ورجلا ، وتاهب فقهاء اشبيلبه ومجاهدوها ، واستوفت مطوعة غرناطة ومرتبوها ..» (٣) ثم تحرك على بن يوسف مع كل هذه القوات من اشبيلية الى قلمرية ، واسندت قيادة جيوش المرابطين الى قائدين من اعظم قادة المرابطين وافدرهم على القتال : احدهما عبد الله ابن فاطمة ، والآخر المنصور ابن المتوكل بن الافطس الذى كان قد حظى بعفو الامير بعد رجوعه الى الحق واظهار توبته ، ودخل فى خدمة المرابطين ، فعلت مكانته ، وارتفعت منزلته الى حد أن على بن يوسف جعله احد قادته الموثوق بهم،

---

(١) محمد عبد الله عنان ، عصر المرابطين ، ص ٧٠ .

(٢) ابن سماك ، كتاب الحلل الموشية ، ص ٨٦ .

(٣) ابن عذارى ، البيان المغرب ، جـ٤ ، (ط. احسان عباس) ص ٦٤ .

وأسند اليه قيادة قوة من جيش المرابطين الموجهه لغزو قلمرية (١) .

حاصرت قوات المرابطين مدينه قلمرية مدة عشرين يوما ، وضيقت عليها ، ولكنها لم تتمكن من فتحها ، فانصرفت بعد ذلك الى اشبيلية ، وان كان كل من ابن فاطمة وابن الافطس قد تمكنا من التوغل فى بلاد الاعداء ، وفى ذلك يقول ابن عذارى : « ومشى عبد الله ابن فاطمة وابن الافطس فقابلا اروما فى بلاد الروم ، ثم وردا الى اشبيلية ... » (٢) مثقلين بالغنائم العظيمة ، وعدد كبير من الاسرى . ويؤكد صاحب الحلل الموشية سقوط قلمرية فى يد على بن يوسف فى هذه الغزوة (٣) ، وكذلك يؤكده ابن أبى زرع فى روض القرطاس ، وقد اخطأ فى اسم قلمريه فجعله سنبرية ، كما اخطأ فى تحديد تاريخ جواز على بن يوسف فجعله عام ٥١٣هـ (١١١٩م) بدلا من ٥١١هـ (١١١٧م) ، فيقول ابن أبى زرع : « فجاز معه خلق كثير من المرابطين والمطوعة من العرب ، وربانه ، والمصامدة ، وسائر قبائل البربر .. ثم ارتحل الى مدينة سنبرية فنزل عليها حتى فتحها عنوة .. » (٤) ، ولكن برجوعنا الى نص ابن عذارى سالف الذكر والى المصادر المسيحية الاسبانية يتضح لنا أن على بن يوسف لم يتمكن من فتح قلمرية ، (٥) ومع ذلك فربما يكون قد افتتحها وفقا لرواية ابن أبى زرع وصاحب الحلل الموشية ولكنه لم يحتفظ بها لمدة طويلة أو احتفظ بها لايام قلائل ، ثم انصرف بعدها الى اشبيلية .

---

(١) ابن عذارى ، البيان المغرب ، جـ٤ ، ص ٦٤ .
(٢) نفس المصدر ، ص ٦٤ .
(٣) الحلل الموشية ، ص ٨٦ .
(٤) ابن أبى زرع ، روض القرطاس ، ص ١٠٦
(٥) ابن عذارى ، البيان ، جـ٤ ، ص ٦٤ .

ويمكننا تفسير سبب اخفاقه فى الاستيلاء عليها ببعد هذه عن بلاد المسلمين ووقوعها فى قلب بلاد البرتغال.(١) .

عاد على بن يوسف الى مراكش بعد هذه الاحداث ، حيث اقام نحوا من اربعة اعوام ، ثم جاز الى الاندلس للمرة الرابعة فى عام ٥١٥هـ (١١٢١م) بهدف النظر فى الفتنة القرطبية على الحكم المرابطى . وتصمت جميع المصادر العربية عن اخبار بطليوس فى هذه الفترة ، باستثناء فترة ولاية الامير تاشفين بن على بن يوسف على الاندلس(٢) التى اصبح لبطليوس خلالها شأن كبير .

ب - نشاط تاشفين بن على بن يوسف الحربى فى احواز بطليوس والغرب:

فى عام ٥٢٠هـ (١١٢٦م) قام الامير تاشفين بن على بغزو طلبطلة « فدخل حصنا من حصونها بالسيف ، وهنك احوارها وفيها ، اعنى سنة عشرين المذكورة ، هزم الامير تاشفين النصارى بفحص القصاب وقتلهم قتلا ذريعا ، وفتح ثلاثين حصنا من حصون بلاد الغرب ، وكتب

---

(١) محمد عبد الله عنان ، عصر المرابطين ، ص ٨١ .

(٢) هناك اختلاف كبير فى المصادر العربية حول السنة التى تولى فيها تاشفين امور الاندلس : فابن ابى زرع يذكر انه تولى الاندلس فى عام ٥٢٠هـ (١١٢٦م) عقب وفاة عمه ابى الطاهر تميم (روض القرطاس ، ص ١٠٦) ، اما ابن الخطيب فيذكر ان ذلك حدث فى اواخر عام ٥٢٢هـ (١١٢٨م) واوائل عام ٥٢٣هـ (انظر الاحاطة فى اخبار غرناطة ، القاهرة ١٩٧٣ جـ١ ص ٤٤٦) . اما ابن خلدون فيجعل توليه شئون الاندلس فى عام ٥٢٦هـ (١١٣١م) (ابن خلدون ، كتاب العبر ، جـ٦ ، ص ١٨٦) ويؤكد ابن عذارى ان تاشفين تولى شؤون الاندلس فى عام ٥٢٢هـ (١١٢٨م) (البيان المغرب ، جـ٤ ، ص ٧٩) . ونحن نميل الى الاخذ بذلك التاريخ الاخير استنادا الى خبر ساقه ابن عذارى عرضا ذكر فيه ان على بن يوسف ولى تاشفين الاندلس فى نفس عام ٥٢٢ هـ الذى عقد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بالفتح الى ابيه ... » (١) . ونستنتج من هذا النص أن غرب الاندلس كانت مجالا لغزوات الامير تاشفين منذ حلوله بالاندلس ، وفى نفس الوقت نستدل من النص على أن بطليوس التى كانت من مراكز عرب الاندلس ، قد تعرضت بالتالى للخطر القشتالى والبرتغالى أو كانت مهددة بالغزو من حين لآخر ، فكانت أحوازها مجالا للصراع المرابطى / القشتالى ، ولهذا نستنتج أن بطليوس فى هذه الفترة من حكم على بن يوسف لم تكن فى وضع حربى آمن ، فهى شانها شان بلاد غرب الاندلس ، كانت منطقة مد وجزر بحكم كونها ثغرا . ويؤكد هذا الاستنتاج الاحداث النالية التى تعرضت لها بلاد غرب الاندلس ، فى عهد على بن يوسف وابنه تاشفين ففى عام ٥٢٢هـ (١١٢٨م) قام القشتاليون بغزو منطقة الغرب ، ووصلوا بقواتهم حتى مدينة قلعة رباح ، ففام تاشفين بقتالهم ، فارتدوا خائبين ، الى قشتالة مرة ثانية (٢) .

=

فيه لسير بن على بولاية العهد . (ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ٧٨) . يضاف الى ذلك أن تاشفين كان موجودا فى الاندلس فى تلك السنة ، فقد اشتبك فيها بالقشتاليين على مقربة من قلعة رباح (انظر محمد عبد الله عنان ، عصر المرابطين ، ص ١٣٢) وعلى اى الحالات فاننا نرى راى الاستاذ عنان الذى يذهب الى أن تاشفين عبر الى الاندلس منذ عام ٥٢٠هـ (١١٢٦م) كما ذكره ابن أبى زرع فى روض القرطاس (ص ١٠٧) ، وانه غزا فى اراضى طليطلة فى هذا العام ، ثم سار الى غرب الاندلس فيما بعد ، وقاتل المسيحيين فى منطقة تعرف بفحص الضباب وانتصر عليهم ، وربما يكون فحص الضاب المذكور هو نفس فحص الزلاقة الذى ورد ذكره فى الحلل الموشية على أنه كان مسرحا للقتال بين قوات تاشفين وبين قوات المسيحيين ، ولم يحدد صاحب الحلل تاريخ هذه المعركة (الحلل ، ص ١٢٢) .

(١) ابن أبى زرع ، روض القرطاس ، ص ١٠٧ .

(٢) محمد عبد الله عنان ، عصر المرابطين ، ص ١٣٣ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى عام ٥٢٥هـ (١١٣٠م / ١١٣١م) اغار القشتاليون على حصن ارنيط ، الواقع فى الثغر الاعلى ، فتوجه اليهم المرابطون ، وتمكنوا من وضع حد لهذه الاغارات التى كانت تعيث فسادا فى اراضى المسلمين (١) ويوضح لنا هذا الغزو القشتالى لحصن ارنيط (٢) ، ان النصارى كانوا يركزون غاراتهم على المناطق الثغرية مما يؤكد لدينا ضرورة تعرض بطليوس احدى الفواعد الثغرية الهامة فى غرب الاندلس للخطر المسيحى فى تلك الآونة شانها شان سائر مناطق الثغور .

وفى منتصف رجب عام ٥٢٦هـ (أول يونيو ١١٣٢م) اغارت الجيوش القشتالية بقيادة القومس رودريحو جنثالث Rodrigo González قائد جيوش طليطلة والغرب على اشبيلية منحدرين الى الشرف ، وقد قتل فى هذه الغارة عدد كبير من المسلمين (٣) ، فلما علم الامير تاشفين بهذا الخطر القشتالى الذى كان قد اقترب من اشبيلية ذاتها وتسبب فى قتل اعداد كبيرة من المسلمين ، خرج على راس قواته تجاه اشبيلية ، واشتبك مع خيل النصارى وطاردهم « ثم رجع النصارى دمرهم الله تعالى الى بلادهم بعد نهابة عظيمة فى الملثمين ... » (٤) .

---

(١) ابن عذارى ، البيان ، جـ٤ ، ص ٨٤ .

(٢) حصن ارنيط عرفه الحميرى بقوله « مدينة بالاندلس ، اولية ، بينها وبين تطيلة ثلاثون ميلا ، وحواليها بطاح طيبة المزارع ، وهى قلعة عظيمة منيعة من أجل القلاع ، وفيها بئر عذبة ... وهذه القلعة مطلة على ارض العدو وبينها وبين تطيلة ثلاثون ميلا .. » (انظر الحميرى ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٤) .

(٣) راجع التفاصيل فى
A. Huici Miranda, Contribución al estudio de la dinastia almorávide; el gobierno de Täsfin ben Ali Ben Yusuf, en el - Andalus, p. 612.

(٤) ابن القطان ، نظم الجمان ، ص ١٩٧ ، وانظر هامش ٤ ، ص ١٩٨ وهامش ١ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتشير المصادر العربية الى أن قوات النصارى هاجمت بابرة فى نفس عام ٥٢٦هـ (١١٣١ - ١١٣٢م) ، فتصدى لها تاشفين وهو بعد وال على غرناطة وخرج معه ابن فنونه والى قرطبه الى العرب Algarve حيث التقى بالقوات الفشنالية التى هاجمت بابرة وأحوار بطليوس « فالتقوا معهم ، فهزموهم النصارى ، وقتلوهم وانقذوا الغنيمة » (١) .

ويسوق صاحب الحلل رواية مختلفة عن غزوة تاشفين هذه جاء فيها ان الامير ناشفين اتصل به ان عظماء « الروم وزعمائهم تألف لهم جيش يحتوى على الاف من امجاد رجالهم ومشاهير ابطالهم ، وقصدوا ناحية بطليوس ، فجاسوا خلالها ، ودوخوا ارضها ، فزحف اليهم ، ونلاقى معهم بمفربة الزلاقة ، فلما تراءى الجمعان اضطرب المحلتان ، وتراكبت المراكب ، فاتحذت مصافها ، ولزمت الرجال مراكزهم فكان فى القلب مع الامير تاشفين المرابطون واصحاب الطاعات ، تتقدمهم البنود البيض الباسقات المكتوبة بالآيات ، وفى الجانبين كفاة الدولة وحماة الدعوة من ابطال الاندلس ، تتقدمهم حمر الرايات ، بالصور الهائلات ، وفى الجناحين اهل الثغور وذوو الجلادة والصبر ، وفى المقدمة مشاهير زناتة ، ولفيف الحشم اهل العزائم الماضية والبصائر الثابتة بالرايات المطبقة والاعلام المنيفة ، فالتقى الجمعان ، واشتد الضرب والطعان ، فولى الكفرة الادبار ، وأمعنوا فى الفرار ، فتبعهم المسلمون ، يقتلون ويأسرون ، وصدر تاشفين الى قرطبة عزيزا ظافرا » (٢) .

اما ابن الخطيب فيذكر ان خبر هزيمة المسلمين فى اشبيلية واستشهاد عدد كبير منهم سنة ٥٢٦هـ (١١٣٢م) ، بلغ الامير تاشفين « فطوى

---

(١) ابن الفطان ، نظم الجمان ، ص ١٩٨ .
(٢) الحلل الموشية ، ص ١٢١ ، ١٢٢ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المراحل ، ودخل اشبيلية ، وقد اسرها ، واستؤصلت باديتها ، وكثر بها التأديب والتنكيل فاتخذ اعقاب العدو ، وقد قصد ناحية بطليوس وباجة ويابرة فى الف عديدة من اجاد الرجال ومشهور الابطال ، فراش جولا عهدا بالروع ، فطفر بما لا يحصيه احد ولا يفع عليه عدد ، وانثنى على رسل اسقل السيقة ، وافضى به الاعداد الى فلاة بقرب الزلاقة ، وهو المهيع الذى يضطر العدو اليه ، ولم يكن الا كلا ولا ، حتى اقبلت الطلائع منذرة باقتال العدو ، والغنيمة فى يده قد ملأت الارض ، فلما تراءى الجمعان ، واضطربت المحلات ورتبت المراكب فاتخذت مصافها ...»(١) .

وواضح ان نص الحلل مقتبس من نص ابن الخطيب .

وبينما يجعل ابن الخطيب هذه الغزوة سنة ٥٢٦هـ (١١٣٢م) يحددها صاحب الحلل بسنة ٥٢٨هـ (٢) (١١٣٣م) اما ابن عذارى ، فيؤرخ لخروج تاشفين على راس فواته الى بطليوس سنة ٥٢٨هـ (١١٣٣م) (٣) .

ويكتفى ابن الفطان بذكر تلك الاحداث بين تاشفين وبين القشتاليين فى اخبار ذلك العام ، وقد اخذ الاستاذ محمد عبد الله عنان بروايته هذه ، فهو يرى ان تاشفين بعد هزيمته للقشتاليين فى تابرة وانقاذه الغنائم والاسرى لبث حتى عام ٥٢٨هـ (١١٣٣م) الى ان تجددت الحروب بينه وبين القشتاليين فى منطقة الغرب وقد اخذ فى تحديده لتاريخ المعركة برواية صاحب الحلل الموشية .

---

(١) ابن الخطيب ، الاحاطة فى اخبار غرناطة ، تحقيق الاستاذ عنان ، جـ١ ، ص ٤٥٢ . وهذا النص ملىء بالتحريف والتشويه .

(٢) الحلل الموشية ، ص ١٢٢ .

(٣) ابن عذارى ، البيان ، جـ٤ ، ص ٨٨ .

واذا رجعنا الى حوليات الفونسو السابع Cronica de Alfonso VII فسنجد أن قائد الجيوش المسيحية رودريجو جونثالث كان مكلفا بفتال المسلمين فى كل منطقة عرب الاندلس Extremadura عام ٥٢٦هـ (١١٣٢م) كما أن الحوليات الطليطلية Anales Toledanas تؤكد ذلك ، وتوضح أن انتصار رودريجو فى معاركه مع والى اشبيلية عمر بن الحاج وقتله له فى معركة Azareda قد شجع باقى النصارى على الاستمرار فى مهاجمة أراضى المسلمين ، وقد شرحت حوليات الفونسو السابع ذلك ، فان مجموعة من قادة شلمنقة Salamanca بادروا بمهاجمة بطليوس عندما بلغهم انتصارات رودريجو جونثالث على قوات اشبيلية فلما علم تاشفين بن على توجه الى لقاء جند شلمنقة ، والتحم الطرفان فى معركة ضاربة تمزقت فيها القوات المسيحية ، وانتصر تاشفين ، وعاد بعد ذلك الى قرطبة مظفرا (١) .

وبينما يأخذ أستاذنا الدكتور محمود على مكى بالتاريخ الذى حدده ابن الخطيب لهذه المعركة ، فيميل الى تاريخ المعركة بسنة ٥٢٦هـ (١١٣٢م) (٢) ، نميل نحن بدورنا الى الاخذ برأى الاستاذ محمد عبد الله عنان الذى يرجح سنة ٥٢٨هـ (١١٣٣ م) تاريخا للمعركة التى خاضها تاشفين .

فلم يكن انتصار تاشفين فى قتاله مع النصارى عند بطليوس انتقاما

---

(١) ابن القطان ، نظم الجمان ، حاشية ١ ، ٢ ، ص ١٩٨ - ١٩٩ وانظر ايضا :

Huici Miranda, Gobierno de Tasfin Ben Ali en al - Andalus, P. 612, 613.

(٢) انظر تحقيق د. محمود على مكى لنظم الجمان ، حاشية رقم ٢ ، ص ١٩٨ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لما حدث فى اشبيلية واحوازها ، اذا اخذنا فى الاعتبار أن قوات الجيش المسيحى الذى تصدى له ناشفين فى بطليوس كانت تتألف من بضعة آلاف ، وهو عدد كبير لا يستقيم مع طروف الحالة الاولى التى تفترض خروج تاشفين فى مطاردة جيوش الاعداء حتى بطليوس ، والمنطقى الا يتجاوز عددهم بضعة مئات خاصة بعد أن اشتبكت قواتهم مع قوات تاشفين ، وانهزمت فى احواز اشبيلية وباجة ، وقتل منها عدد كبير .

فمن المنطقى أن يكون غزو تاشفين للنصارى وهزيمته لهم فى بطليوس قد حدثت فى عام ٥٢٨هـ (١١٣٣م - ١١٣٤) وليس فى عـــام ٥٢٦هـ (١١٣٢م) .

اما عن الاسباب التى ادت الى خروج تاشفين للغزو فى سنة ٥٢٨هـ (١١٣٣م) فهى اعتداء ملك قشتالة على أراضى بطليوس فى تلك السنة ، وعبث قواته فى نواحيها ، فبادر تاشفين بالخروج عندما بلغه ان الفونسو السابع (الفونسو ريموندس) المعروف بالسليطن ، قد حشد جيشا « يحتوى على آلاف من زعمائهم ومشهورى ابطالهـم وقصـدوا ناحيـة بطليوس ، وباجـة ويابرة » (١) .

فشنوا الغـارة عـلى اجـــوار بطليوس فجاسـوا خـلالهـا ودوخـوا ارضهـا (٢) « واستحوذوا جميـع ما الفوا بها ، وانتهوا الى مواضـع كانت لاتروع بعدو لبعدهـا ومنعتهـا وتعذر الوصـول اليهـا ، فجاسوا

---

(١) ابن عذارى ، البيان ، جـ٤ ، ص ٨٨ ، وانظر كذلك الحلل الموشية ، ص ١٢٢ .

(٢) الحلل الموشية ، المصدر السابق ، ص ١٢٢ .

خلالها ، ودوخوا أرضها ، واخترقوا طولها وعرضها ... » (٢) .

فاجتمع لتاشفين من الحشود فى اشبيلية ضعف ما كانت عليه قوات قشتالة ، وخرج من اشبيلية متجها للقاء اعدائه ، واستعان فى سيره بجماعة من الادلاء يطلعونه على كل ذروة وثنية ، حتى يتمكن من اللحاق بهم سريعا ، وفى ذلك يقول ابن عذارى « فثنى الامير تاشفين الاعنة ، وأمر الادلة أن ينجشموا به كل ذروة وثنية ، رجاء فى لحاقهم ، فافضى الاغذاذ به الى فداس بقرب زلاقة ، موضع المعترك الذى اوقع فيه جنده بالطاغية اذ فونش بن فردلند » (٣) .

وقد وصف كل من ابن عذارى وصاحب الحلل الموشية الجيش المرابطى ، ومن خلال وصفهما يتضح لنا أن الجيش الاسلامى قد نظم مثلما تنظم يوم الزلاقة ، فقد كان الامير تاشفين يحتل القلب مع وجوه المرابطين ، وقد رفعوا « البنود البيض الباسقات المكتوبة بالآيات » (١) وفى الجانبين اصطفت جيوش وحماة الدعوة من ابطال الاندلس ، وعليهم الرايات الحمراء « قد رسمت عليها الصور الهائلات » ، أما أهل الثغور فقد احتلوا الجناحين ، « وذوو الحلالة والصبر وفى المقدمة مشاهير زناتة ولفيف الحشم أهل العزائم الماضية ، والبصائر الثابتة ، بالرايات الطيفة ، والاعلام المنيفة .....» (٣) .

---

(٣) ابن عذارى ، البيان ، جـ٤ ، ص ٨٨ ، وقارن ابن الخطيب ، الاحاطة ، جـ١ ، ص ٤٥٢ .

(٣) ابن عذارى ، البيان ، جـ٤ ص ٨٨ .

(١) صاحب الحلل الموشية ، ص ١٢٢ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٢٢ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وسرعان ما اشتعل القتال بين الطرفين ، وانهزم القشتاليون ، وولوا الادبار فتتبعهم فوات المرابطين اثناء فرارهم ، تقتل وتأسر ، وبعد انتصار ناشفين فى هذه المعركة عاد مظفرا الى قرطبة ، ومنها قفل عائدا الى غرناطة فى جمادى الاولى من سنة ثمان وعشرين وخمسمائة (٣) (سنة ٥٢٨هـ / ١١٢٣م) .

وقد انشده الشعراء القصائد الطويلة التى تصف شجاعته وانتصاره على العدو (١) .

ولم تكن هزيمة القشتاليين على يد ناشفين فى احواز بطليوس آخر

---

(٣) ابن عذارى ، البيان ، جـ ٤ ، ص ٨٩ ، الحلل الموشية ، ص ١٢٢ ، محمد عبد الله عنان ، عصر المرابطين ، ص ١٣٨ .

(١) تنافس الشعراء فى وصف هزيمة تاشفين للقشتاليين ، منها قصيدة طويلة أورد ابن عذارى نبذة منها :

اما ونبض الهند عنك خصوم
فالروم تبذل ما ظباك تروم

يمضى سيوفك فى العدى وبردها
عن نفسه حث الكلام رحيم

دار جعلت بيونها قطبا لها
ابدا على قمم الملوك تحوم

وكانما الفرسان قد عرفت بها
فطغت وغاصت ارؤس وجسوم

جاسب خلال ديارهم وحماتها
فى كل واد بالفرار تهيم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هزائمهم على يديه . واما منوا بهزيمة اخرى اشد واعظم اثرا فى جبل الفصر (٢) ، ففى سنه ٥٣٠هـ (١١٣٥م) عاد النصارى الى حشد كل قواتهم واكتسحوا تلك المنطقة من ارض الاندلس ، فلما علم تاشفين بامر هجومهم على الفصر كان له موقف مشرف ، ففد جمع زعماء المرابطين وقال لهم « الدوله لنا ، فاما نركها او حماينها ، لا يتعذر منا احد الى لقاء عدونا ، فاذا نحن استشهدنا ، فالامر لمن شاء الله بعد ... » (٣) . ثم انه جمع عرب الاندلس ، وحثهم على القتال الى حد انهم طلبوا منه ان يلقى بهم فى ميدان القتال وحدهم ووعدوه بالنصر ، كما استدعى زنانة الذين عزموا على القتال الاكيد طالبين اما النصر واما الشهاده ، فخرج بهذه الحشود للجهاد الى جبل الفصر حيث تحصن النصارى وهناك « انى على حلهم القتل ، وافلت النذر وامتلأت ايدى المسلمين من دوابهم واسلحتهم ، وفكت الاغلال عن الاسارى ... » (١) وعاد تاشفين بعد ذلك الى قرطبة منتصرا مظفرا .

واستمر الخطر المسيحى يهدد منطقة الغرب باكملها ، فقد خاض تاشفين موقعة اخرى فى بداية عام ٥٢٩هـ (١١٣٤م) مع جيوش فشالة

---

(٢) انظر ابن عذارى ، البيان ، جـ ٤ ، ص ٨٩ .

(٣) ابن عذارى ، البيان ، جـ ٤ ، ص ٩٤ ، الحلل الموشية ، ص ١٢٣ .

(١) يقصد بها مدينة قصر ابى دانس ، وهى مدينه بالاندلس ، عرفها بقوله «بينها وبين شلب اربعة مراحل ، وهى مدينة حسنة متوسطة على ضفة نهر كبير ، وهو نهر تصعد فيه السفن السفربة ، وفيما استدار بها من ارض كلها شجر الصنوبر ، وبها الانشاء الكثير ، وهى خصيبة كثيرة الالبان ، والسمن والعسل واللحم ، وبين القصر والبحر ، عشرون ميلا» (انظر الحميرى ، صفة جزيرة الاندلس ص ١٦١) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فى موضع يسمى بالبكار Albacar ويقع شمالى قرطبة ، وتفصيل ذلك ان فوة كبيرة من فرسان فشنالة ، قدمت من الغرب واكتسحت اراضى المسلمين ، فنجهز ناشفين للقتال وانضمت اليه قوات اشبيلية ، ثم خرج فى اثر القشناليين لقاتلتهم ،فنزل بفواته فى البكار ، ففاجأة القشتاليون بالهجوم ، ولكنه تصدى لهم فى قوة من انجاد فرسانه عدتهم الفان ، اردفوا عددهم من الرجالة ، واشتد القتال ونفرت الدواب ، وقطعت مقاودها وقيودها ، فوقعت على الاخبية ، ففر الناس ، وقصد العدو ، فضرب خباء تاشفين ، ولكنه ثبت فحاطه رجال من اهل الاندلس وفوة من كماة المرابطين ، حموه ودافعوا عنه ، وكادت الهزيمة تحل بالمسلمين لولا ان محاربا من المسلمين طعن قومس الجيش الفشتالى برمحه فاضطربت صفوف العدو ، وبادر بالرحيل الى الغرب ، ولكن تاشفين ركب فى الصباح فى اثرهم حتى وصل الى حصن قشرش ، (او قصرش) من حصون المسلمين ، واصطر تاشفين الى القفول عائدا الى قرطبة (٢) .

ونستدل من هذه الحروب التى خاضها تاشفين على ان بطليوس كانت قاعدة عسكرية للمرابطين فى الغرب ، وانها تعرضت لغارات قشتالية متتابعة .

وينفرد ابن القطان ، بخبر اورد فيه ان الفونسو السابع ملك قشتالة المعروف بالسليطين ، حرج فى عام ٥٢٧هـ (١١٣٢م) لغزو اشبلية والغرب ، واشترك معه فى هذه الغزوة سيف الدولة ابن هود ، فانبسطت خيله فى نواحى اشبيلية ، وهاجمت مدينة شريش فدخلوها ، واستباحوها

---

(٢) راجع التفاصيل فى ابن عذارى ، البيان ، جـ ٤ ، ص ٩٠ ، ٩١ .
ابن القطان ، قطعة من كتاب نظم الجمان ، ص ٢١٥ ، ٢١٦ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقتلوا عددا كبيرا من اهلها ، ثم رجعوا الى بلادهم (١) .

وكان رد فعل ناشفين على هذه الغارة الوحشية ان خرج بقواته عازما الى الغرب فى سنة ٥٢٧هـ (١١٣٣م) ، فنزل بعسكره على حصن انطاطة Idanha - a - Vella (٢) ويقع بالغرب من قنطره السيف

---

(١) ابن القطان ، نظم الجمان ، ص ٢٠٠ ، ابن عذارى ، البيان، جـ ٤، ص ٨٨ ، ومن الملاحظ ان ابن القطان هو المؤرخ الوحيد الذى ذكر اشتراك ابن هود مع القشتاليين فى تلك العزوة المسهبة على اشبيلية وعلى شريش، وابن هودالمقصود هنا هواحمد المستنصر بن عمادالدولة عبد الملك بن المستعين احمدبن المؤتمن يوسف بن المقتدر احمد بن سليمان بن أحمد بن هود ، أى انه ينتمى الى سلالة بنى هود ملوك سرفسطة فى عهد الطوائف ، وقد وضح لنا الدكتور محمود على مكى أن ابن هود كان صاحب قلعة روطة Rueda من عمل تطيلة Tudela ، ولكنه لم يتمكن من الاستقرار بها ، فسلمها للنصارى ، واشترك فى الفتن التى اثيرت على المرابطين فى الاندلس فاستولى على قرطبة اثناء ثورة ابن قسى فى الغرب ، ثم ملك جيان وقتل عام ٥٤٠هـ (١١٤٥م) (انظر ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ١٧٢) .

(٢) يرجح الاستاذ اوليى ميراندا فى مقاله عن (روض القرطاس والمرابطين) بمجلة Hespéris ١٩٦٠ وكذلك فى مقالة عن حكومة تاشفين بن على فى الاندلس ، المنشور فى العدد المخصص لليفى بروفنسال (ص ٦١٣) أن المقصود بهذا الموضع مدينة Idanha - a - Vella البرتغالية القريبة من الحدود الاسبانية فى منطقة Castell - Branco أى على بعد ١٥٠كم من ماردة، وقد جعل ابن الخطيب (الاحاطة، جـ١، ص ٤٥١) هذه العزوة فى عام ٥٢٨هـ (١١٣٤م) وليس عام ٥٢٧هـ (١١٣٣م) كما يذكر ابن القطان (انظر نظم الجمان ، ص ٢٠١ ، حاشية ١) ويوافقه على ذلك ابن ابى زرع فى روض القرطاس ، ص ١٠٧ (انظر التفاصيل فى ابن القطان ، ص ٢٠١ ، تعليق الدكتور مكى ، هامش ١) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فافتتحها وهدم الحصن (١) . ويذكر ابن أبى زرع أن تاشفين قام بغزوته المذكورة سنة ٥٢٨هـ (١١٣٤م) فغزا « قنطرة محمود ودخلها بالسيف » (٢) . وهنا يظهر خلاف بين نص ابن القطان ونص ابن أبى زرع فيما يتعلق بهدف الغزوة ، فالاول يذكر المكان الذى غزاه تاشفين على انه حصن انطاطة القريبة للغاية من قنطرة السيف ، والثانى يسمى الموضع قنطرة محمود ، وكلا الموضعين يقع فى منطقة الغرب ، فقنطرة السيف حصن بينه وبين ماردة مسافة بسيطة قدرها الحميرى بيومين (٣) اما قنطرة محمود ، فقد ذكر الادريسى أن هناك مكان يعرف بقنيطرة محمود يقع على ضفاف نهر تاجه بين القنطرة ، وشنترين (٤) . ويميل الاستاذ الدكتور محمود على مكى الى الاخذ برواية روض القرطاس ، وان كان لم يظهر هذا الميل صريحا ولكنه واضح ضمنا .

وعلى اى وجه فما يهمنا من ذلك هو استنتاج الحالة التى كان عليها الغرب الاندلسى فى تلك الفترة من الحكم المرابطى ، وبالتالى يمكننا تخيل وضع بطليوس الذى كان مضطربا بلا شك نتيجة لهذه الغزوات القشتالية التى يعقبها ردود فعل مرابطية بقيادة الامير تاشفين .

وتنتهى الغزوات المرابطية عند هذا الحد وفقا لما ورد فى الروايات المسيحية وان كان ابن أبى زرع قد ذكر فى حوادث سنة ٥٣٠هـ (١١٣٥م) ان الامير تاشفين هزم جموع الروم بفحص عطية ، وانه اهلك منهم خلقا كثيرا (١) ، وأنه دخل فى ٥٣١هـ (١١٣٦م) مدينة كركر Albuquerque بالسيف ، ولكنه لم يجد بها سكانا .

---

(١) ابن القطان ، نظم الجمان ، ص ٢٠١ .
(٢) ابن أبى زرع ، روض القرطاس ، ص ١٠٧ .
(٣) الحميرى ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٦٤ .
(٤) الادريسى ، نزهة المشتاق ، ص ١٨٩ .
(١) ابن أبى زرع ، روض القرطاس ، ص ١٠٧ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ونود أن نوضح أن الهدف الرئيسى الذى استهدفناه من وراء تتبعنا لحملات تاشفين هو التوصل الى حقيقة الاوضاع السياسية والعسكرية لبطليوس خلال الحكم المرابطى ، حيث ان المصادر العربية لم تسعفنا بمادة كافية ، ولم تزودنا بأخبار عنها الا فى مواضع قليلة ومحدودة ، وقد أتاحت دراستنا لظروف المناطق المحيطة بها والقريبة منها فرصة التوصل الى حقيقة هامة وهى أن بطليوس تعرضت لكثير من الاخطار المسيحية شأن جاراتها ، وأن توجيه الحملات الاسلامية الموجهة للغرب ، كان له أعظم الاثر فى تعرض سلامها للخطر ، وأصاب أحوالها بالاضطراب والخلل الامر الذى أشعر أهلها بعجز المرابطين عن الدفاع عنهم ، مما ترتب عليه ثورة الغرب العارمة على الحكم المرابطى .

(٢)

الثورة فى غرب الاندلس وانهيار سلطان المرابطين

١ - اسباب ثورة الغرب على المرابطين :

ظل الامير تاشفين بن على بن يوسف اميرا وقائدا اعلى للجيوش المرابطية فى الاندلس حتى عام ٥٣١هـ (١١٣٦ - ١١٣٧م) (١) او بداية عام ٥٣٠هـ (١١٣٥ - ١١٣٦م) عندما استدعاه ابوه على بن يوسف الى المغرب فلم يتردد فى العبور الى العدوة فى هذه السنة ، يجر وراءه عددا كبيرا من اسرى غزوته الاخيرة الى اشكونية (٢) ، فاحسن والده استقباله رغم مرضه الشديد الذى كان يعانيه منذ عام ٥٣٠هـ (١١٣٥ - ١١٣٦م) « وكان على بن يوسف اعتل فى السنة الفارطة ، وارتبك فى مرضه حتى ارجف به ، فساءت الظنون وتمكن الجزع ببلاد الاندلس ... » (٣) .

وفى عام ٥٣٣هـ (١١٣٨ - ١١٣٩م) توفى الامير ابو محمد سير ابن على بن يوسف وولى عهده ، فاصدر على بن يوسف عندئذ مرسوم ولاية عهده لولده الامير تاشفين واخذ له البيعة بذلك (٤)

ويعلل الاستاذ محمد عبد الله عنان السرعة التي تم بها ، استدعاء تاشفين من الاندلس الى المغرب بما حل بالمرابطين فى المغرب من ظروف خطيرة ، فقد كان المهدى محمد بن تومرت قد ظهر فى تلك الآونة بدعوة

---

(١) محمد عبد الله عنان ، عصر المرابطين ، ص ١٤٦ .
(٢) ابن ابى زرع ، روض القرطاس ، ص ١٠٧ ويقصد باشكونية مدينة اكشونبة احدى مدن غرب الاندلس .
(٣) ابن عذارى ، البيان ، جـ ٤ ، ص ٩٦ .
(٤) ابن القطان ، نظم الجمان ، ص ٢٤٤ . ولاختيار تاشفين لولاية عهد على بن يوسف ، ومقتل ابنه سير قصة فصلتها المصادر العربية (انظر ابن عذارى ، البيان ، جـ ٤ ، ص ٩٧ - ابن القطان ، نظم الجمان ، ص ٢٤٥)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

دينية جديدة أسفرت عن قيام دولة الموحدين فى تينملل وتهديدها للمرابطين فى مراكش (٤) .

---

(٤) فى بداية عام ٥١٥هـ (١١٢١ - ١١٢٢م) توجه ابن تومرت الى اغمات، وبدأ يعلن دعوته ببطلان دعوة على بن يوسف ، وخلع طاعته ، ثم قصد بلاد السوس حيث جبال المصامدة ، ثم طاف بمسفيوة وهنتاتة وايكلين ، واستمر يبث هذه الدعوة بين القبائل والناس يفدون اليه سراعا ، يؤمنون به ، ويدعوته . وفى ذلك الوقت اشتعلت الفتنة فى قرطبة عام ٥١٥هـ (١١٢١م - ١١٢٢م) فأسرع على بن يوسف للنظر فى أمر البلاد ، ولكنه لم يمكث بالاندلس طويلا لوصول أخبار ابن تومرت اليه ، فعاد الى المغرب وبعث الى قتاله والى السوس أبا بكر ابن محمد اللمتونى ، ولكن ما كاد اللقاء يتم بين الفريقين حتى هزم المرابطون شر هزيمة ، وطاردهم الموحدون حتى مدينة مراكش ، وبذلك سجل الموحدون اول انتصار لهم عام ٥١٦هـ (أغسطس ١١٢٣م) ، وازداد عدد الموحدين ، والتقوا بالجيش المرابطى مرة ثانية فانهزم المرابطون امام الموحدين دون قتال، فجهز على بن يوسف جيشا ثالثا بقيادة سير بن مزدلى اللمتونى ، ولكن هذا الجيش لم يكن مصيره افضل مما سبقه ، فانهزم المرابطون أمام الموحدين للمرة الثالثة وشغل محمد بن تومرت فيما بين عامى ٥١٦هـ و ٥١٨هـ (١١٢٢م و ١١٢٤م) فى نشر مذهبه الموحدى فى منطقة السوس كلها ، ثم غادر مقره فى جبل ايجليز الى تينملل التى كانت حينئذ محلة صغيرة تقع فوق ربوة عالية فى سفح جبل درن ، واخذ يؤسس فيها حصنا ومسجدا جامعا ، واحاطها بسور ، ثم دارت فى العامين التاليين ٥١٩هـ (١١٢٥م) و ٥٢٠هـ (١١٢٦م) عدة مواقع بين المرابطين والموحدين نكبد خلالها المرابطون العديد من الهزائم. ففى عام ٥٢٠هـ (١١٢٦م) ، التقى الفريقان على مقربة من جبل كيك ، فانهزم المرابطون هزيمة نكراء ، وطاردهم الموحدون حتى جبل وريكة الى ان وصل الموحدون الى أسوار مراكش ، وبدأ ابن تومرت بعد هذا الانتصار فى رسم خطة للاستيلاء على مراكش واسقاط الدولة المرابطية، وانتهى الامر بأن حاصر الموحدون مراكش مدة اربعين يوما ، وتخللت فترة الحصار معارك دامية بين الطرفين ، انهزم فيها المرابطون بالفرب من باب دكالة .

وكان يقود الجيوش المرابطية الشيخ ابو محمد وانودين بن سير، وبدأ القتال ، وانتصر المرابطون فى هذه المعركة الهامة فى جمادى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويمكننا ان نتصور رد فعل الصراع الموحدى - المرابطى فى المغرب على الاندلس ، فقد انتهز الاندلسيون انشغال الدولة المرابطية بالخطر الموحدى ، وفجروا ثورة اندلسية عارمة ضد المرابطين ، ولابد ان ندرك تمام الادراك ان هذه الثورة الاندلسية العارمة لم تكن رد فعل لحركة ابن تومرت فى المغرب فحسب وانما نبعت من واقع الشعور بالعصبية الاندلسية ضد البربر ، فقد كانت الفتنة البربرية التى تسببت فى سقوط الخلافة الاموية فى الاندلس ماتزال ماثلة فى اذهانهم ، وهى الفتنة المشئومة التى يسميها ابن حيان شيخ مؤرخى الاندلس « بالفتنة البربرية التى شنعاء المدلهمة المفرقة للجماعة ، الهادمة للملكة المؤثلة » (١) .

وكانت انتصارات المرابطين فى افليش سنة ٥٠١هـ (١١٠٧ - ١١٠٨م) ، وافراغه سنة ٥٢٨هـ (١١٣٣ - ١١٣٤م) قد انست اهل الاندلس الى حين عصبيتهم الاندلسية ، الى ان بدات غارات القشتاليين على غرب الاندلس ووسطها واستيلائهم على مواضع هامة من الغرب ، فكانت الثورة التى اندلعت فى قرطبة سنة ٥١٥هـ (١١٢١م) التعبير الاول عن شعورهم بالاستياء . ونعتقد ان تعرض الغرب الاندلسى للاعتداءات المتواصلة من جانب القشتاليين والليونيين ورد المرابطين على هذه الهجمات قد سبب الكثير من الضيق لاهالى الغرب الذين افتقدوا الامن والسلام ، فحتى عام ٥٣٣هـ (١١٣٨ - ١١٣٩م) ، هاجم

= الاولى من سنة ٥٣٤هـ (١١٣٠م) ، ولم ينج من الموحدين سوى فلول بسيطة .
(انظر الحلل الموشية ، ص ١٣٠ - ١٤٢ ، ابن عذارى ، البيان ، جـ ٤ ، ص ٩٦ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ابن القطان ، نظم الجمان ، ص ٢٣ - ٩٧ ، عبد الواحد المراكشى ، المعجب ، ص ١٠٢ - ١٠٣ ، ابن ابى زرع ، روض القرطاس ، ص ١١٠ - ١٣٣ ، ابن خلدون ، العبر ، جـ ٢ ، ص ٢٢٩ ، محمد عبد الله عنان ، عصر المرابطين ، ص ١٥٦ - ١٩٠) .

(١) ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الاول ، المجلد الثانى ، ص ٥٧٦ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفشتاليون بلاد الغرب ، فقام عسكر شنترين ويابرة برد هؤلاء المعتدين « فكانت للمسلمين جولة ، ثم كر المسلمون عليهم فانهزم النصارى ، دمرهم الله تعالى ، وقتلوا منهم خلقا كثيرا واسروا منهم جملة ، واحتوى المسلمون على اسلابهم وانهابهم » (١) .

ونستدل من كل ما سبق على الحالة المضطربة التى عاشها الغرب الاندلسى فى تلك الآونة ، وهذه الحالة المضطربة الى جانب بعده وتطرفه عن سلطان الحكومة المركزية ، شجعت العناصر المعارضة للمرابطين على التحفز والوثوب ، واتفق ذلك مع نفس الوقت الذى تغلب فيه الموحدون على الجيوش المرابطية بقيادة الامير تاشفين بن على الذى لقى مصرعه فى موقعة وهران فى رمضان سنة ٥٣٩هـ (١١٤٤م) ، فكانت ثورة الغرب العارمة .

ب - ثورة ابن قسى فى غرب الاندلس :

قدر أن يكون أول رؤساء الثورة فى الاندلس ، رجل من غرب الاندلس ، من شلب ، يسمى ابو القاسم احمد بن الحسين بن قسى ، من المرجح انه يرجع الى أصل مسيحى ، وقد عمل فى بدء حياته ، فى الاعمال المخزنية ، كما يذكر ابن الابار ، اى الاعمال الحكومية ، ثم آمن فجأة بالمبادىء الصوفية وتنسك ، او تظاهر به ، فذكروا انه « باع ماله ، وتصدق بثمنه وساح فى البلاد » (٢) ، ثم بدأ يؤلف العديد من الكتب الصوفية اهمها كتاب ، « خلع النعلين » (٣) ، وانتقل الى المرية احد المراكز الهامة للتصوف فى الاندلس ، حيث التقى بأبى العباس بن العريف

---

(١) ابن القطان ، نظم الجمان ، ص ٢٤٤ .
(٢) ابن الأبار ، الحلة السيراء ، جـ ٢ ، ص ١٩٧ .
(٣) ابن الخطيب اعمال الاعلام ، ص ٢٤٩ ، محمد عبد الله عنان ، عصر المرابطين ، ص ٣٠٧ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

شيخ الصوفية وعميدهم فى الاندلس فى تلك الآونة (١) واستاذ اساتذة ابن عربى ، ودرس على يديه ، ثم عاد الى شلب مرة ثانية حيث « اقبل على قراءة كتب ابى حامد الغزالى فى الظاهر ، وهو يستجلب اهل هذا الشأن ، محرضا على الفتنة وداعيا الى الثورة فى الباطن » (٢) ، هذا بخلاف ما قراه من كتب الصوفية والباطنية حتى ذاع امره هو واتباعه الذين سموا بالمريدين فى شلب وميرتلة ولبلة (٣) وبطليوس وكل اعمال غرب الاندلس ، ولعلنا نتبين من خلال قراءتنا لنص ابن الابار ان ابن قسى كان يتخذ من النصوف ستارا لافكاره الاستقلالية واطماعه وطموحاته ، فقد ادعى الهداية وتسمى بالامام (٤) ، وبالمهدى (٥) ، بينما هو يدعو للثورة فى حقيقة الامر . وبدات الوفود والجماعات تتوافد عليه وتعلن

---

(١) ابن العريف هو ابو العباس احمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله ابن العريف الصنهاجى (٤٨١ - ٥٣٦هـ) (١٠٨٨ - ١١٤١م) وسمى والده بالعريف لانه كان صاحب حرس الليل ، وعريف القوم ، القائم بأمره . ثم رحل والده الى المرية ، حيث ولد له ابنه ابو العباس احمد ، وقد اتجه ابو العباس احمد منذ نعومة اظفاره الى العلم والادب ودراسة الفقه ، ولما كانت المرية ، مركز الصوفية فى الاندلس فى ذلك الوقت فقد اقبل ابو العباس على دراسته فنبغ فيه ، واصبحت له طائفة من الاتباع والمريدين ، وسرعان ما نشب الخلاف بين الفقهاء من اتباع على بن يوسف وبينه هو واتباعه ، وكان القاضى ابن الاسود على راس من نزعم معارضة ابن العريف ، وحدث ان استدعاه على ابن يوسف مع زميليه ابو بكر محمد بن الحسين الميورقى وابو الحكم ابن براجان ، ولم يجد ابن العريف الا كل لطف من امير المسلمين ، وتوفى ابن العريف بعد تلك الحادثة بمراكش (انظر ابن الأبار ، الحلة السيراء ، جـ ٢ ، حاشية ٢ ، ص ١٩٧ ، ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ٢٤٩ ، راجع السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ مدينة المرية الاسلامية ، ص ١٨٤) .

(٢) ابن الأبار ، الحلة السيراء ، جـ ٢ ، ص ١٩٧ .

(٣) ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ٢٤٩ .

(٤) ابن الأبار ، الحلة السيراء ، جـ ٢ ، ص ١٩٧ .

(٥) ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ٢٤٩ .

تأييدها التام له ، ومن هؤلاء ، ابو محمد سيدراى بن وزير ، وابن عفان فارس من يابرة ، ومحمد بن المنذر من اهل شلب ، وعبد الله بن أبى حبيب « وامثالهم من أعيان ذلك الصقع الغربى » (١) .

ولم تكن حكومة المرابطين غافلة عن هذا النشاط الخفى الذى يمارسه ابن قسى ، لذا بادرت بالقبض على بعض اصحابه ، فهرب ابن قسى الى ميرتله فى قرية تعرف بالجوزة حيث تعرف على رجل سيكون أحد أقرب أصدقائه اليه ، هو محمد بن يحيى الشلطيشى المعروف بابن القابلة الذى أطلق عليه المصطفى لاختياره له .

وبدأ ابن قسى ثورته فى عام ٥٣٩هـ (١١٤٤م) ، باصدار اوامره لاتباعه بالاستيلاء على قلعة ميرتله ، فجمع ابن القابلة سبعين رجلا من المريدين ، « وكان قائد حصن ميرتله قد واعد رجلا من اهلها على الاتيان اليه فى الليل برشوة على حال استتار من اهل الحصن » (٢) .

ونجح المريدون فى الاستيلاء على ميرتلة ، وتم ذلك ليلة الخميس الثانى عشر من صفر ٥٣٩هـ (١١٤٤م) ، ثم دخلها ابن قسى فى غرة ربيع الاول وسط التهليل والتكبير « فصعد الى قصبتها واحتل بقصرها ، وشرع فى مخاطبة أعيان البلاد ... فاستجاب له كثير منهم وأولهم اهل يابرة ، ثم اهل شلب ، واتسع على المرابطين خرق لم يرقعوه ، وهجم عليهم حادث طالما توقعوه ... » (٣) .

ومن هذا النص يتضح أن كلا من يابرة وشلب قد نزعتا سلطان المرابطين أسوة بابن قسى ، وقد كانت يابرة حينئذ تحت رئاسة سيدراى ابن وزير ، أما شلب فقد كانت تحت رئاسة محمد بن عمر بن المنذر .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٤٩ .
(٢) ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ٢٥٠ .
(٣) ابن الأبار ، الحلة السيراء ، جـ ٢ ص ١٩٩ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكان ابن قسى فى تلك الاثناء يحاول الاتصال بالموحدين عقب انتصارهم فى موقعة وهران سنة ٥٣٩هـ (١١٤٤م) ، ولكن عبد المؤمن ابن على لم يعره اهتماما لان ابن قسى كان فى رسالته اليه قد لقب نفسه بالمهدى ، مما جعل عبد المؤمن ينفر من هذه اللهجة المتعالية التى خاطبه بها ابن قسى .

وايا ما كان الامر فان ابن قسى ولى قبل انتقاله الى ميرتله محمدا ابن عمر بن المنذر على شلب ، وكان محمد هذا قد انتزع حصن مرجيق الواقع فى شرق شلب من المرابطين مقتديا فى ذلك بما فعله ابن قسى فى ميرتلة .

اما باجة فقد كانت بعد فى حوزة المرابطين ، فلما علموا بثوة ابن المنذر بشلب طلبوا من اهل باجة الامان ، ثم رحلوا منها الى اشبيلية ، فأسرع ابن المنذر اليها مباشرة عقب خروج المرابطين ومعه مجموعة من جند يابرة بقيادة احمد بن وزير شقيق سيدراى فافتتحها ،واشترك معه فى فتحها خاله عبد الله بن الصميل . وبعد سقوط باجه فى يد ابن المنذر وابن وزير اتصلا بابن قسى ، وبايعاه بالطاعة فى ربيع الاول سنة ٥٣٩هـ (١١٤٤م) ، وعندئذ منح ابن قسى باجة لابن وزبر ، وشلب لابن المنذر .

اما بطليوس فقد كانت تابعة لابن قسى (١) ، شانها فى ذلك شان ميرتله من ولايات الغرب طوال عام ٥٣٩هـ (١١٤٤م) ، ولم يلبث ابو محمد سيدراى بن وزبر ان انتزعها هى وميرتلة من يد ابن قسى بسبب خلاف نشب بينه وبين ابن قسى مرجعه محاولة سيدراى الاستيلاء على قرطبة لصالح ابن قسى اثناء غيبة ابن المنذر فى حروبه ، فغدر ابن قسى بسيدراى وخلعه عن باجة ويابرة وقبض عليه ، ثم عاد فاطلق سراحه ، ورده الى ولايته ، وعندئذ كره سيدراى صديق الامس وتخوف منه ،

---

(١) ابن الأبار ، الحلة السيراء ، جـ ٢ ، ص ٢٧٢ ، حاشية رقم ١ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وحاول ابن قسى ان يتفاهم معه ، ولكن دون جدوى ، فبعث ابن قسى ابن المنذر لمحاربة سيدراى ، فانهزم ابن المنذر امام سيدراى ووقع فى أسره ، ثم زحف سيدراى الى شلب فاستولى عليها (١) ، وانتهى به الامر الى انتزاع ميرتلة وبطليوس من يد ابن قسي كما سبق ان ذكرنا ، واسند ولاية بطليوس واعمالها الى خاله عبد الله بن الصميل .

أما ابن المنذر فصاحب الفضل الاعظم فى نجاح ثورة ابن قسى ، وساعده الايمن قبل ان يقع فى اسر سيدراى ، ومحمد بن عمر بن المنذر هذا ينتمى الى احدى الاسرات المولدة العريقة فى شلب،وكان نابغة «تميز بالمعارف الادبية والفقهية وولى خطة الشوريببلده ثم تزهد وانزوى» (٢) وكان قد استولى مع قواته على كل من ولبة ولبلة لصالح ابن قسى بعد ان كان ابن قسى قد جدد له عهده على ما بيده من البلاد وسماه العزيز بالله ، وبعد هذا الانتصار تملك الغرور ابن المنذر فخرج من لبلة مستهدفا الاستيلاء على اشبيلية ، ونجح فى الاستيلاء على حصن القصر Aznalcazar (٣) وطبلاطة Tablada (٤) من مشارف اشبيلية الغربية ، ولكن ابن غانية قائد المرابطين تصدى له وأوقع به الهزيمة فى

---

(٢) ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ٢٥١ ، محمد عبد الله عنان ، عصر المرابطين ، ص ٣١٠ ، عبد الله علام ، الدولة الموحدية ، ص ١٥٠ - ١٥١ .

(٣) ابن الابار ، الحلة السيراء ، جـ ٢ ، ص ٢٠٢ .

(٤) حصن القصر من الحصون المشهورة باقليم الشرف باشبيلية ، واشتهر فى هذا الموضع الوادى المعروف بوادى الطلحوهو نهر فى نهاية الحسن (ابن سعيد ، المغرب فى حلى المغرب ، جـ ١ ، ص ٢٩٦) .

(٤) طبلاطه ، محلة بينها وبين اشبيلية عشرون ميلا ، وبفحصها جرت معركتان الاولى مع النورمان فى عهد عبد الرحمن الاوسط ، والثانية مع البرتغاليين فى سنة ٦٢٢هـ (١٢٢٥م) عندما فتكوا بالمسلمين ، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة (راجع التفاصيل فى الحميرى ، صفة جزيرة الاندلس ص ١٢٨ ، ١٢٩) .

طريانة Triana (١) ، ففر الى لبلة ، ثم تركها الى شلب تاركا أحد اعوانه وهو يوسف البطروجى بلبلة يدافع عنها بسبب حصار ابن غانية لها . وعندما قام ابن حمدين (٢) بثورته فى قرطبة ظن ابن قسى انه من الممكن التدخل فى شئونها أثناء الثورة ، فأمر ابن المنذر بالتوجه اليها ولكن اهل قرطبة كانوا قد طردوا ابن حمدين حليفهم وجاءوا بابن هود لبتولى زعامتهم ، فارتد ابن المنذر الى الغرب .

فى تلك الاثناء كان الخلاف قد دب بين سيدراى بن وزير وبين ابن قسى ، فدفع ابن قسى بابن المنذر فى حرب ضارية مع سيدراى أسفرت عن كارثة لكل من ابن قسى وابن المنذر وضاعت شلب ، وميرتله ، وبطليوس من املاك ابن قسى من جهة ، ووقع ابن المنذر فى قبضة سيدراى من جهة اخرى . ثم ارتاى سيدراى بن وزير ان يمعن فى معاقبة ابن المنذر ،

---

(١) طريانة ، مدينة ممتدة على ضفة الوادى الكبير فى مقابلة مدينة اشبيلية وتعتبر من ارباضها ، وكانت مسورة من جهة الصحراء ، واستوفت طريانة كل مقومات المدن من حمامات واسواق ضخمة . وكانت بيوتها المطلة على النهر تبيض بالكلس حتى لا تنبو العين عنها (ابن سعيد ، المغرب فى حلى المغرب ، جـ ١ ص ٢٩٣) .

(٢) هو الفقيه ابو جعفر حمدبن بن محمد بن على بن محمد بن عبد العزيز بن حمدين ، التغلبى القرطبى ، من اهل بيت رئاسة ، ولى قضاء الجماعة بقرطبة فى شعبان سنة ٥٢٩هـ (١١٣٤م) ثم صرف عنه سنة ٥٣٢هـ (١١٣٧م) وعاد الى توليته سنة ٥٣٦هـ (١١٤١م) الى ان اعلن ثورته فى سنة ٥٣٩هـ (١١٤٤م) على حكم المرابطين استجابة لثورة ابن قسى فى غرب الاندلس وتسمى بأمير المسلمين المنصور بالله، ودعى له على منبر جامع قرطبة ، ثم خلع ، ثم رد ، ثم خرج الى العدوة حيث اقام فترة من الوقت عاد بعدها فاستقر به المطاف بمالقة وظل مقيما بها الى ان توفى سنة ٥٤٨هـ (١١٥٣م) وقيل سنة ٥٤٣هـ (١١٤٨م) (بغية الملتمس فى تاريخ رجال الاندلس ، مجريط ، ١٨٨٤ ، ترجمة رقم ٦٨٥ ، ص ٢٦١ ، ابن الأبار ، الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص ٢٠٤ - ٢١١ ، وارجع الى ابن القطان ، نظم الجمان ، ص ٢١٧ ، هامش ٢ ،ابن الخطيب ،اعمال الاعلام ،ص٢٥٢، ٢٥٣) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فارسل سيدراى الى خاله عبد الله بن الصميل يأمره « بأن يسير الى باجة ويستخرج ابن المنذر من سجنه ويسمل عينيه ، ففعل ذلك ، واقام فى معتقله الى أن فتح الموحدون اعزهم الله باجة ، وسائر بلاد الغرب ، فانقذه الله على أيديهم وعاد الى شلب ... » (١) اما بالنسبة لثورة قرطبة فقد تزعمها القاضى حمدين بن محمد بن على بن حمدين ، وولاه اهل قرطبة عليهم عند قيامهم بالثورة على واليهم المرابطى ، وفى ذلك يقول ابن الخطيب ، « ثارت العامة بوالى البلد الرئيسى ابى عمر اللمتونى ، وخلعوا دعوة الملثمين ، واتفقوا على مبايعة القاضى أبى جعفر بن حمدين مبايعة الخاصة والعامة بالمسجد الجامع من قرطبة ، خامس رمضان من سنة ٥٣٩هـ (١١٤٤م) المذكورة ، وسكن قصر الخلافة ..» (٢)

وتسمى بأمير المسلمين ، وناصر الدين (٣) ، وتلقب بالمنصور بالله ، ولا يهمنا من أحداث ثورة قرطبة الا توضيح العلاقة التى كانت تربط بين بطليوس وقرطبة فى تلك الفترة او بمعنى أصح توضيح الدور الذى قام به عبد الله بن الصميل والى بطليوس لتأييد ابن حمدين زعيم الثوار بقرطبة ، فقد كان هناك من بين ثوار قرطبة من كان يتعصب ضد البربر ويأنف من التبعية لهم ، فسعوا الى استدعاء سيف الدولة المستنصر بالله ابى جعفر أحمد بن عبد الملك بن هود لانه من وجهة نظرهم ، خير ممثل للزعامة الاندلسية العريقة ، على حد تعبير الاستاذ محمد عبد الله عنان (٤) ، فلما اقبل ابن هود الى قرطبة ، أدبر ابن حمدين عنها ، ولاذ بحصن فرنحولش Hornachuclos المنيع (٥) الواقع شمال غربى

---

(١) ابن الأبار ، الحلة السيراء ، جـ ٢ ، ص ٢٠٧ .
(٢) ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص ٢٥٣ .
(٣) المصدر السابق ، ص ٢٥٣ .
(٤) محمد عبد الله عنان ، عصر المرابطين ، ص ٣١٣ .
(٥) فرنجولش ، مدينة تقع على مقربة من حصن المدور Almodovar من نواحى قرطبة ، اشتهرت بكثرة كرومها واشجارها ، وتوفر معدن الذهب والفضة فى موضع منها يعرف بالمرج (الحميرى ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٤٣) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قرطبة ، حيث اقام اياما معدودة ، ثار خلالها اهل قرطبة على سيف الدولة ابن هود ، فهاجموا قصره وقتلوا وزيره ابن الشماخ ، فهرب ابن هود ، وعاد ابن حمدين الى قرطبة ، ومارس سلطاته هناك مدة شهور دون خلالها الدواوين ، ورسم الخطط ، وجند الاجناد ، وبعث الى انصاره فى المناطق الاخرى يطلب مبايعتهم له فبايعه ابو الغمر ابن عزون صاحب شريش ، وابو جعفر بن ابى جعفر صاحب مرسية ، غير أن ولايته لم تستمر اكثر من ١١ شهرا اذ تمكن محمد بن غانية من التغلب على قواته فى موقعة دارت فى احواز بطليوس ، فر ابن حمدين على اثرها الى بطليوس ، واقام فى كنف حليفه القديم عبد الله بن الصميل . ويبدو ان الصراع الذى كان قائما بين ابن قسى من جهة وبين سيدراى والصميل من جهة اخرى لم يؤثر على حسن العلاقات بين ابن حمدين والصميل والى بطليوس ، فاجاره مدة غادر بعدها بطليوس الى حصن اندوجر Andujar الواقع شرقى قرطبة (١) .

ولا يعنينا من امر ثورة قرطبة ما طرا عليها من تطورات (٢) ، ولكن يهمنا ان نعرف ان ابن حمدين زعيم قرطبة المعزول عبر الى المغرب عام ٥٤١هـ (١١٤٦م) واستحث عبد المؤمن بن على اول خلفاء الموحدين ، وهو يحاصر مراكش على التدخل فى شئون الاندلس بحجة الظروف الاليمة التى كانت تمر بها البلاد فى تلك الآونة ، وتدخل القشتاليين فى شئون قرطبة ، ولم يكن ابن حمدين اول من وفد على عبد المؤمن بن على بل سبقه ابو الغمر بن السائب بن عزون المنتزى بشريش واركش

---

(١) ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ٢٥٣ .

(٢) لمزيد من التفاصيل عن باقى احداث ثورة قرطبة ، خاصة عند قدوم الفونسو السابع اليها انظر ابن غالب الاندلسى ، قطعة من فرحة الأنفس ، تحقيق د.لطفى عبد البديع ، ص ١٤٨ ، محمد عبد الله عنان ، عصر المرابطين ، ص ٣١٤ ، السيد عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة ، ج ١ ، ص ١٤٨ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ورنده (١) ، وابن قسى بعد انقلاب سيدراى بن وزير عليه واقدامه على انتزاع شلب وميرتلة وبطليوس من مناطق نفوذه بالعرب ، كذلك وفد على عبد المؤمن وفد اشبيلى كبير ، يستنهضون عبد المؤمن لانقاذ الاندلس ويبايعونه . ولم يتردد عبد المؤمن بن على فى الاستجابة الى طلب هذه الوفود ، فارسل قوات من قبله الى الاندلس ، للنظر فى شانه .

واول البلاد التى افتتحها الموحدون هى شريش ، افتتحها الموحدون صلحا عام ٥٣٩هـ (١١٤٤م) فى قول (٢) وفى تاريخ لاحق فى قول آخر (٣) ، فقد خرج حاكمها ابو عمران موسى بن سعيد الذى ينتمى الى بنى غانية الى الموحدين واعلن طاعته لهم ، وفى ذلك يقول ابن ابى زرع » فكان اول بلد فتحوه من الاندلس ، مدينة شريش فتحوها صلحا ، وكان بها قائدها ابو القمر من بنى غانية فى ثلاث مائة فارس ، من المرابطين ، فخرج بمن معه فتلقى الموحدين وبايعهم لعبد المؤمن ، فدخل فى طاعته ، فكان الموحدون يسمونهم السابقين الاولين (٤) » . وتبع افتتاح شريش ، فتح طريف ، والجزيرة الخضراء .

وفى عام ٥٤١هـ (١١٤٦م) قام عبد المؤمن بارسال جيش تحت قيادة براز بن محمد المسوفى لفتح شلب وانتزاعها من سيدراى بن وزير وارجاعها الى ابن قسى صاحبها الاول ، ثم بادر عبد المؤمن بامداد هذا الجيش بجيش آخر بقيادة موسى بن سعيد ثم بجيش ثالث بقيادة عمر بن صالح الصنهاجى . وقبل ان يستولى الموحدون على شلب تمكنوا من

---

(١) Codera (Francisco), Decadencia y Desaparición de los Almorávides en España, Zaragoza, 1899, P. 159.

عبد الله علام ، الدلة الموحدية ص ١٨١ ، ١٨٤ .

(٢) ابن ابى زرع ، روض القرطاس ، ص ١٢٢ .

(٣) ابن الابار ، الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص ٢٠٠ ، ابن خلدون ، العبر ، جـ ٦ ، ص ٢٣٣ .

(٤) ابن ابى زرع ، روض القرطاس ، ص ١٢٢ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الاستيلاء على ميرتلة حاضرة ابن قسى ، ومنها اتجهوا الى شلب فأسقطوها ثم الى باجه ومنها الى بطليوس ، وكانت كل من مدينتى باجة وبطليوس تحت حكم ابن وزير وان كانت بطليوس خاضعة لخاله عبد الله بن الصمبل الذى كان يحكمها من قبله ، ولم يكن أمام ابن وزير سوى بذل الطاعة لجيوش الموحدين . فدخلت قواتهم بطليوس وأخرجوا محمد بن عمر بن المنذر من سجنه ، كما سبق أن أوضحنا ، ولم يتردد هذا فى السير الى شلب (١) ليستقر جنبا الى جنب مع حليفه السابق ابن قسى .

جـ - قيـــام الثورات على الموحدين فى الغـرب :

وما أن تمت للموحدين السيطرة على معظـم قواعـد الغـرب حتى اتجهوا الى اشبيلية لفتحها بعد أن انضمت اليهم قوات الغرب بزعامة احمد بن قسى وسيدراى بن وزير ، ويوسف البطروجى ، كل يرأس جنده وانتهى الامر بقتل عبد الله بن العربى الثائر فى اشبيلية ولد القاضى أبى بكر بن العربى زعيم فقهاء المدينة ، وكان ذلك فى شـعبان من ٥٤١هـ (يناير ١١٤٧م) .

ثم ولى اشبيلية كل من عبد العزيز وعيسى اخوى المهدى بن تومرت ، ولكنهما ، اساءا التصرف فى اشبيلية ، فأوقعا الظلم بأهلها ونهبا الاموال مما دفع يوسف البطروجى ، صاحب لبلة على الثورة على الموحدين ، ففر من اشبيلية الى لبلة ، وجدد الثورة هناك ناقضا عهـده للموحدين ، فتحالف مع من كان فى لبلة من بقايا المرابطين ، وكانت هذه الثورة مثل ثورات اخرى نشبت فى غرب الاندلس فى ذلك الوقت ، فقد ثار سـكان طبلاطه ، وحصن القصر ، ثم ثار ابن قسى فى شلب وابن ميمون فى قادس وثار ابن الحجام والى بطليوس ، ويذكر ابن الخطيب فى اعمال الاعلام أن ابن الحجام الثائر هذا هو محمد بن على بن الحجام ، وليس عبـد

---

(١) ابن الأبار ، الحلة السيراء ، جـ ٢ ، ص ٢٠٧ .

الله بن الصميل الذى كان حاكما لها عندما دخلها الموحدون (١) ، كما يذكره ابن خلدون (٢) باعتباره من بين الزعماء الذين خلعوا طاعة الموحدين ، ويورد ابن خلدون عنه بعض التفاصيل فيذكر انه حينما عبر يوسف بن سليمان بعساكر الموحدين لمقاتلة ثوار الغرب ، عاد ابن الحجام ، (وكان قد سماه بابن الحاج) (٣) للطاعة وارسل هدية قيمة ، الى عبد المؤمن بن علىّ ، كان لها أكبر الاثر فى نفسه . ويعلق الاستاذ محمد عبد الله عنان على ذلك بأنه لايعرف متى ولا تحت أية ظروف تمكن ابن الحجام من حكم بطليوس بدلا من ابن الصميل .

ولقد استطعنا عن طريق استقرائنا للروايات المختلفة ان نحصر المدة التى قفز فيها ابن الحجام الى حكم بطليوس وهى مدة تتراوح فيما بين سبعة شهور وعام هجرى ، فابن الصميل كان على حكم بطليوس ، حين تمكن ابن حمدين من الفرار اليه فى عام ٥٤٠هـ (١١٤٥ — ١١٤٦م) كما جاء فى رواية ابن الخطيب (٤) ، واستمر ابن الصميل يتولى بطليوس حتى تم للموحدين فتحها بعد شهر المحرم ٥٤١هـ (١١٤٦ — ١١٤٧م) لان عبور الموحدين الى الاندلس حدث فى المحرم من ذلك العام (٥) .

أما ثورة ابن الحجام فقد نشبت بعد سقوط اشبيلية فى أيدى الموحدين فى شعبان ٥٤١هـ (١١٤٧م) . ويؤكد كل من ليفى بروفنسال (٦) والاستاذ محمد عبد الله عنان ان ثورة ابن الحجام حدثت فى نفس الوقت الذى قام فيه الماسى بثورته ضد الموحدين فى المغرب اى فى عام ٥٤٢هـ

---

(١) ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ٢٤٨ .
(٢) ابن خلدون ، العبر ، جـ٦ ، ص ٢٣٤ — ٢٣٥ .
(٣) ابن خلدون ، العبر ، جـ ٦ ، ص ٢٣٤ ، ٢٣٥ .
(٤) ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ٢٥٣ .
(٥) محمد عبد الله عنان ، عصر المرابطين ، ص ٣٢٧ .
(٦) Lévi - Provençal, mscriptions arabes d'Espagne, t. I, Leyde, 1931, p. 56, 57.

(١١٤٨م) (١) ، وبهذا يقع صعود ابن الحجام الى حكم بطليوس في المدة ما بين المحرم ٥٤١هـ (١١٤٧م) وما بعد شعبان ٥٤١هـ .

وربما فكر الموحدون بعد استيلائهم على بطليوس في اقصاء حاكمها الاول عنها ، وربما كان ابن الحجام في هذه الآونة يشكل أحد المنافسين لابن الصميل ، فبدأ يتقرب الى القادة الجدد بحيث نجح في اقناعهم كحاكم موال لهم في بطليوس .

ويعلق كوديرة في معرض حديثه عن ابن الحجام ، (ويسميه ملك بطليوس) بقوله « ان وجه الغرابة فيما يذكره ابن الخطيب في سياق حديثه عن الثوار الاندلسيين الذين شقوا عصا الطاعة على المرابطين واعلنوا استقلالهم في مواقعهم عنهم ، أنه أورد اسم محمد بن على الحجام ، وهو شخصية لم تصلنا عنها الا اخبار قليلة ، ولم يكن ابن الحجام هذا من الشخصيات التي لمعت في الفترات الاولى من الثورة على المرابطين ، وهذا ما يدعونا الى الاعتقاد بانه لم يظهر فجأة اذ ورد ذكر سيد آخر على بطليوس وهو سيدراى بن وزير . اما عن محمد بن على ابن الحجام كما يسميه ابن الخطيب فلم أجد عنه أي ذكر الى أن اشتعلت نار الثورة الاولى التي قام بها رؤساء الاندلس ضد الموحدين بعد أن تمكن ابن عانية من انتزاع الجزيرة من الموحدين . عندئذ انضم محمد بن الحجام كما يسميه ابن خلدون الى الحركة الثورية في بطليوس (٢) .

كذلك يذكر كوديرة أن ابن الحجام أعتبر في فترة ما ، ملكا مستقلا على بطليوس بدليل الدنانير التي ضربت في بطليوس سنة ٥٤٣هـ (١١٤٨ - ١١٤٩م) وتحمل اسمه ، وقد رجع كوديرة فيما يختص بأمر هذه الدنانير الى A.Prieto y Vives ، وهذه العملات كانت تحتفظ تماما بطابع العملات المرابطية .

---

(١) محمد عبد الله عنان ، عصر المرابطين ، ص ٣٢٩ .

(٢) Codera (F), Decadencia y desaparición, Op. Cit., P. 160 - 161.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومن الجدير بالذكر ان ليفى بروفنسال أورد فى كتابه عن النقوش الكتابية العربية فى اسبانيا نقشا محفورا على لوح من الرخام ٤٦ × ٢٨سم يشير الى ان خروج المرابطين عن بطليوس لم ينم بدون سفك دماء ، ففى شهر رمضان سنة ٥٣٩هـ (١١٤٤م) اشتعلت الثورات كما سبق أن ذكرنا فى الاندلس كله ، ويسمى ليفي بروفنسال هذه الفترة بعصر الطوائف الثانى ، فثوار الاندلس يبررون قيامهم بالثورة على المرابطين باطلاق نفس الشعارات الدينية التى اطلقها الموحدون ، وهذا يفسر لقب الشهيد الذى سجله كاتب النقش على المتوفى ، فالمرابطون وهم مجسمون ، كان ينظر اليهم على انهم مارقون ، لذلك فان قتلهم فى نظر هؤلاء الثوار يعد جهادا والقتل على أيديهم يعتبر استشهادا (١) .

ونطالع فى النقش النص التالى :

(بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا قبر الشهيد المقتول ظلما ، رحمه الله عبيد الله بن محمد بن احمد الماردى ـ ابن المقتول ـ قتلوه الملثمين يوم خروجهم وذلك يوم الاحد يوم تسعة وعشرين من رمضان المعظم عام تسعة وثلاثين وخمس مائة) (٢) .

وايا ما كان الامر فقد قامت الثورة فى مدن الغرب على الموحدين بعد فترة قصيرة من الدعوة لهم فى هذه المدن بحيث لم يبق فى الغرب على ولائه لهم سوى ابن عزون ، صاحب شريش ، وولده ، فاغتنم ابن غانية القائد المرابطى الذى كان قد ظهر فى الاحداث السابقة تلك الفرصة وأرسل قوة مرابطية تمكنت من السيطرة على الجزيرة الخضراء ، فلما علم أهل سبتة بذلك الامر ثاروا وخلعوا والبهم يوسف بن مخلوف التينملل وتزعمهم فى ذلك القاضى عياض السبتى .

---

(١) Lévi - Provençal., op. cit., p. 57.

(٢) Ibid, p. 56.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكانت امور اشبيلية قد بلغت حدا كبيرا من السوء بحيث أن عبد المؤمن بن على حين علم باحوال الاندلس الغربى واشبيلية ، بادر بارسال جيش من الموحدين بقيادة يوسف بن سليمان الذى تمكن من اخمساد الثورات ، فقد زحف بفواته بادىء ذى بدء الى لبلة ، وقضى على البطروجى ، رأس الثورة هناك ، ثم توجه الى طليطلة التى اخضعها ثم اتبعها بحصن القصر ومنها الى طبيرة التى اعلن حاكمها الطاعة . وبدأ ثوار الغرب يعودون من جديد الى الطاعة ومنهم محمد بن على ابن الحجام صاحب بطليوس ، وعلى بن عيسى بن ميمون صاحب شنتمرية الغرب وقادس .

اما ابن الحجام فقد بادر بارسال مجموعة من الهدايا الفخمة الى الخليفة عبد المؤمن بن على الذى قبلها بسرور بالغ ، وبهذه الهدايا تكون بطليوس قد انضوت تماما فى فلك دولة الموحدين (١) .

اما ابن قسى حاكم بطليوس السابق فقد انتهى أمره نهاية حزينة ، ففى ٥٤٥ هـ (١١٥٠م) دعا عبد المؤمن بن على وفود الاندلس للعبور الى المغرب للقائه فى مدينة سلا ، فسار اليه كل زعماء الغرب وفى مقدمتهم سيدراى بن وزير وابن الحجام صاحب بطليوس ، جميعهم ساروا اليه باستثناء ابن قسى صاحب ميرتلة وشلب .

وكان ابن قسى فى الواقع أول من ثار على السلطان المرابطى ، وأعلن تاييده وطاعته للموحدين ، وهو أول من اشعل الثورة ليس فى غرب الاندلس فحسب وانما فى الاندلس كله ، الا انه لم يلبث ان نكث بعد ثورة اشبيلية ، فخرج عن طاعة الموحدين وظل متمردا عليهم ، فلما ألفى نفسه وحيدا بعد ان قدم جميع رؤساء الغرب فروض الطاعة للموحدين لجأ الى ملوك اسبانيا المسيحية ، ولم يجد امامه سوى مملكة البرتغال الناشئة

---

(١) Codera, Decadencia y Desaparición, P. 162.

فى ذلك الوقت ، ولم يتردد الفونسو انريكيث او ابن الريق (١) ، صاحب قلمرية (٢) فى الترحيب به وتقديم العون له «فاظهر اجابته الى مراده ، وبعث اليه بفرس وسلاح ...» (٣) . فلما راى ، اهل شلب موقف ابن قسى هذا غضبوا ، وتزعمهم حينئذ ابن المنذر ، صديق ابن قسى السابق وحليفه القديم ، وصمموا على التخلص من ابن قسى ، فاعدوا للحسين ولد ابن قسى نزهة لابعاده عن قصر والده ، (٤) ، وتمكنوا عن طريق الحيلة من دخول قصر والده المسمى بقصر الشراجب ، (٥) « فاتى بعضهم برجل مكتوف ، كأنه قبض عليه من الدابرة والاشرار ، واستاذنوا على مقدم الحرس ، فعندما دخل الى البلد يستاذن فى امره ، اقتحمت الطائفة الحصن ... » (٦) ، وقتلوا ابن قسى ، واحتزوا راسه ورفعوها على الرمح الذى سبق أن أهداه له الفونسو انريكيث ملك البرتغال ، وجلس ابن المنذر الاعمى مكان ابن قسى ، واعلن طاعته وولاءه للموحدين ، وكان ذلك فى جمادى الاولى من عام ٥٤٦هـ (١١٥١م) (٧) ، وبهذا تكون ثورة الغرب على المرابطين قد انتهت بسقوط دويلاتهم على ايدى الموحدين .

وهناك ملاحظة هامة للغاية ، وهى أن معظم ثوار غرب الاندلس كانوا من الشعراء والادباء الموهوبين ، فابن قسى على سبيل المثال كان عالما ، ممن تفقهوا فى علم الكلام والتصوف الى جانب قوة شعره ، وقد أورد ابن الابار ، فى الحلة السيراء نماذج عديدة من هذا الشعر (٨) .

---

(١) ابن الأبار ، الحلة السيراء ، جـ ٢ ، ص ٢٠٠ .
(٢) ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ٢٥١ .
(٣) ابن الأبار ، الحلة السيراء ، جـ ٢ ، ص ٢٠٠ .
(٤) ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ٢٥١ .
(٥) ابن الأبار ، الحلة السيراء ، جـ ٢ ، ص ٢٠٠ .
(٦) ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ٢٥٢ .
(٧) ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ٢٥٢ .
(٨) ابن الأبار ، الحلة السيراء ، جـ ٢ ، ص ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أما ابن المنذر فقد سيطر على شلب بعد مقتل ابن قسى ، ولكن الموحدين توجسوا منه وخافوا أن يعاود الثورة « فخيف منه أن يثور ثالثة ، فنقل الى اشبيلية بعد أن خلعه ابن وزير ومالك شلب دونه » (١) . وقد أورد هذا الخبر ابن صاحب الصلاة فى كتابه «ثورة المريدين» ، وهذا الكتاب لم يصل الينا وانما عرفناه من خلال رواية ابن الابار فى كتابه «الحلة السيراء» ، فقام الموحدون بنقله الى اشبيلية ليقيم بها تحت مراقبتهم ، ولكنه «أجاز البحر الى سلا فتوفى بها سنة ثمان وخمسمائة ... » (٢) .

وابن المنذر هذا كان هو الآخر من الشعراء الكبار وله عدد من القصائد التى أوردها ابن الابار كذلك فى الحلة السيراء (٣) . وقد فسر الاستاذ محمد عبد الله عنان هذه الظاهرة بقوله : ان المرابطين اثناء حكمهم للاندلس قد تمكنوا من اسقاط كافة الزعامات العسكرية والملكيات الطائفية ، اما الزعامات الفكرية ، فلم يتمكن المرابطون من التخلص منها وخاصة نفوذ الفقهاء ، فكان سلطان الادباء والشعراء والفقهاء (والقضاة فى شرق الاندلس) قويا للغاية مما متحهم الفرصة للتزعم على حساب المرابطين . هذا ، ويقول مارتينث اى مارتينث « لقد نعمت طبقة رجال الدين والفقهاء فى عهد المرابطين ، فقد كان أمراء المرابطين أنذاك على درجة كبيرة من الورع ، كما كانوا لجهلهم بالعلوم يحرصون على أن يستلهموا سياستهم بمشورة الطبقة « الكهنوتية » ، ولهذا فان الشعراء والفلاسفة وسائر أفراد الطبقة المستنيرة من الشعب بدأوا يضيقون لذلك ، وتاقوا الى البلاطات الصغيرة فى عهد ملوك الطوائف ..» (٤) وكلام مارتينث فى حد ذاته منطقى وقوى الا أن تعبيره عن الفقهاء المسلمين بالطبقة الكهنوتية فخاطىء للغاية ، فلا توجد طبقات كهنوتية أو رجال

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٠٧ .

(٢) ابن الأبار ، الحلة السيراء ، جـ ٢ ، ص ٢٠٨ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٢٠٨ ، ٢٠٩ .

(٤) Martinezy Matinez, Historia de Badajoz, op. cit., p. 182.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

دين فى الاسلام ، ورغم ان فقهاء الاندلس فى عصر المرابطين كانت لهم مكانتهم الدينية ، الا انهم لم يشكلوا اى طبقة متميزة ، يضاف الى هذا ان معظم كتاب عصر الطوائف وشعرائهم عملوا لدى المرابطين ابتداء من عبد الرحمن بن اسباط الذى يرجع اصله الى مدينة المرية ، وابى بكر ابن القصيرة ، وابى بكر بن عبد العزيز بن القبطرنة ، وابن عبدون من شعراء بنى الافطس فى عصر الطوائف .

واذا كان اهل بطليوس هم الذين استدعوا المرابطين لتخليصهم من حكم بنى الافطس ، فانما حدث ذلك عندما ناكدوا فقط من خيانة المتوكل عمر بن الافطس لدينه ، فقد استعان بالفونسو السادس ضد المرابطين ، وتنازل له عن كل من اشبونة وشنترين وشنترة كما سبق ان ذكرنا .

ولم يكن هذا يعنى ان اهل الغرب وفى مقدمتهم معظم اهل بطليوس قد زهدوا فى حياة الترف والنعيم التى كانوا يحيونها زمن الطوائف ، فبعد ان سيطر المرابطون على الاندلس ، وتبين الاندلسيون تقشفهم وجفاوتهم ، وظهرت لهم بداوتهم وخشونتهم وبعدهم عن مظاهر الترف التى كانوا ينعمون بها فى ظل ملوك الطوائف ، اندى الناس يدا وارقهم مشاعر واجزلهم عطاء ، ضاقوا ذرعا بالحكم المرابطى وافتقدوا ايام ملوكهم فى عصر الطوائف ، فاشعل الغرب ثورته التى كانت فاتحة الثورات فى الاندلس كله ، واستدعوا الموحدين ، عسى ان يخلصوهم من غلظ الملثمين وجفوتهم .

حقيقة ان اهل الاندلس بوجه عام والغرب وبطليوس بالذات على وجه الخصوص لم يعترضوا على سلوكيات المرابطين فى الفترة الاولى من حكمهم ، اذ كانوا لايزالوا فى بداية هذا العهد تحت تأثير انتصار الزلاقة ، الذى احيا الامل فى نفوسهم واعاد لهم الاطمئنان والامن والسلام ، فلم تعد الطرق والمسالك محفوفة بالاخطار الناجمة عن قطاع الطرق (١) ، كما

---

(١) Martinezy Martinez, Historia del Reino de Badajoz, Op. Cit. p. 181.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أن المسيحيين لم يعودوا يلزمونهم بدفع الاتاوات ، وعلى هذا النحو تحسن الوضع الاقتصادى ، فالخبز كان يباع بأقل ثمن او بثمن أكثر انخفاضا مما كان عليه زمن ملوك الطوائف .

ولكن الامر تغير فى النصف الثانى من العهد المرابطى ، فقد افتقدت بلاد الغرب وموسطة الاندلس الامان بسبب اقدام مملكة قشتالة وليون على شن الغارات المتواصلة وكثر عيثهم فى البلاد ، الامر الذى ادى بالتالى الى خروج عسكر المرابطين لتأديبهم ، مما ترتب عليه تعرض بلاد الغرب الى الاضطراب الداخلى والخراب والتدمير ، وقد ساعد ذلك ، على زيادة سخط الاهالى على المرابطين الذين عجزوا أمام جماهير الاندلس عن مدافعة القشتاليين ، وتسببوا فيما أصاب بلادهم من أضرار ودمار .

ويورد الادريسى وصفا لعمران مدينة بطليوس زمن المرابطين فيقول « ومدينة بطليوس مدينة جليلة فى بسيط الارض ، وعليها سور منيع وكان لها ربض كبير أكبر من المدينة فى سرقيها ، فخلا بالفتن ... » (١) . ونستخلص من هذا الوصف أن ربض بطليوس الذى كان يقع فى شرق المدينة تعرض للفتن والثورات فى عهد المرابطين ، ولم يشر الادريسى الى أسباب تلك الفتن التى ادت بالربض الى الزوال ، ولم يرد فى المصادر العربية اى اشارة عن قيام ثورة او فتنة فى ذلك الربض ، ولهذا فيمكننا أن نتصور احتمالين ، الاول ، أن تكون تلك الفتن التى ذكرها الادريسى قد قامت فى أيام ابن قسى بعد أن دخلت كل من ميرتلة وبطليوس تحت نفوذه ، فيكون أهل بطليوس قد ناروا على المرابطين ، مؤيدين لابن قسى وذلك فى عام ٥٣٩هـ (١١٤٤م) والثانى أن تكون تلك الفتن قد وقعت فى عهد ابن الحجام ضد الحكم المرابطى أيضا وفى تلك الحالة تكون الثورة البطليوسية قد قامت فى أواخر عام ٥٤١هـ (١١٤٦ - ١١٤٧م) وأوائل عام ٥٤٢هـ (١١٤٧م) .

---

(١) الادريسى ، صفة المغرب وارض السودان ومصر والاندلس،ص ١٨١.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبالرجوع الى النقش الذى أشار اليه ليفى بروفنسال ، والذى سبق أن تحدثنا عنه ، نجد ان الشهيدين ، البطليوسيين قد قتلا على ايدى المرابطين فى عام ٥٣٩هـ (١١٤٤م) كما ورد فى النقش ، ولهذا فاننا نرجح أن الفتن التى قامت فى الربض ، والتى تحدث عنها الادريسى ، قد وقعت فى عام ٥٣٩هـ (١١٤٤م) أى أثناء ثورة ابن قسى على الحكم المرابطى ، بعد استيلائه على ميرتلة وبطليوس .

ويؤكد رأينا هذا النتائج التى توصل اليها العالم الاثرى فرناندو فالدث Fernando Valdez أخيرا من ان هذا الجزء من مدينة بطليوس ، واعنى به الربض لم يكن جبانة كما اعتقد البعض عقب اكتشاف النقش المكتوب على شاهدى مقبرة الشهيدين البطليوسيين ، وانما كان يقوم به رباط خصصه اهله لقتال الملثمين الذين كانوا فى اعتقاد اهل الاندلس كفرة وجب قتالهم والجهاد ضدهم .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(٣)

بطليوس فى عهد عبد المؤمن بن على وابنه يوسف

١ - نشاط حركة الاسترداد البرتغالى فى الغرب :

اشرنا فيما سبق الى ان سقوط بطليوس فى ايدى الموحدين حدث فى حدود عام ٥٤٥هـ (١١٥٠م) ، اى فى عهد الخليفة عبد المؤمن بن على (١) ، الذى عزم على الخروج فى ١٠ ربيع الاول عام ٥٥٨هـ (١٩

---

(١) اختلفت الآراء حول خلافة عبد المؤمن بن على على الموحدين ، فمن الآراء من ينسب الى المهدى بن تومرت ترشيح عبد المؤمن بن على للخلافة الموحدية قبيل وفاة بن تومرت بقليل، مثل راى ابن القطان، ومنها ما يؤكد أن عبد المؤمن بن على بويع بخلافة الموحدين فى سنة ٥٢٤هـ ، (١١٢٩م) ، بيعة خاصة وذلك عقب وفاة المهدى مباشرة ، وأن البيعة العامة له لم تتم الا فى عام ٥٢٧هـ (١١٣٢م) . على اننا نأخذ برواية البيذق التى تؤكد أن ابن تومرت توفى فى الاربعاء او الخميس الخامس والعشرين من رمضان عام ٥٢٤هـ (١١٢٩م) فبويع عبد المؤمن بن على فى « السبت الاقرب من هذا التاريخ» ، وأن هذه البيعة استمرت ثلاثة أيام متوالية ، وتقترب رواية ابن أبى زرع من رواية البيذق ، فهو يذكر أن بيعة عبد المؤمن بن على تمت يوم الخميس الرابع عشر من رمضان عام ٥٢٤هـ (١١٢٩م) وهى البيعة الصغرى او الخاصة أما البيعة العامة فيذكر انها تمت فى عشرين ربيع الأول من سنة ٥٢٦هـ (١١٣١م) .

وهناك من المؤرخين من يأخذ بالراى القائل بأن ابن تومرت اوصى بخلافة عبد المؤمن بن على قبيل وفاته ، ومنهم عبد الواحد المراكشى . ويرى الاستاذ محمد عبد الله عنان أن عبد المؤمن قد تلقى بيعته قبيل وفاة ابن تومرت ، وأنه قد كتم نبأ وفاة المهدى حتى يتخلص من خلافات القبائل وتنافسهم على الخلافة وأن الموحدين حين راوا بداية اضطرام فتنة القبائل خوفا على الخلافة وحرصا عليها بادروا بمبايعة عبد المؤمن بن على الذى كان أكثر الناس التصاقا بابن تومرت . ويرجع أصل عبد المؤمن بن على الى قبيلة كومية وهى بطن من بطون زناتة ،سواء من جهة الام او الاب ،فهو بربرى أصيل، =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فبراير ١١٦٣م) بنية الجواز الى الاندلس للقيام بغزوة أندلسية كبيرة للغاية (١) ، فنزل برباط الفتح ، ثم استدعى الحاضرين ليستطلع آراءهم فى الخطوات التالية ، وكان من بين الحاضرين ابو محمد سيدراى بن وزير الذى كان قد أوضح للخليفة الظروف السيئة التى تمر بها الاندلس ، فدولة البرتغال الناشئة فى ظل الفونسو انريكيث لاتتوقف عن ضرب الجزء الغربى من الاندلس بلا هوادة ، لذلك فقد اقترح ابن وزير على عبد المؤمن بن على أن يوجه جيوسه وجهات أربعة « تكون جهة ابن الرنك بقلمرية (٢) اولا ، وجهة البيوج (٣) ، بالسبطاط (٤) ثانية ،

=

ولما كان خليفة المهدى على الموحدين فلابد أن يكون له نسب عربى ، ولذلك فان المصادر العربية مثل المعجب لعبد الواحد المراكشى تذكر أنه من ولد سليم بن منصور بن قيس بن عيلان بن مضر ، فجده من العرب ، وقد نزل الى تلمسان ، هاربا من بعض الفتن بالاندلس فانتسب الى البربر بحكم الجوار والحلف ، هذا الى جانب أن هناك من أرجع نسبه الى آل البيت عن طريق أمه (انظر عبد الواحد المراكشى ، المعجب ، ص ١٩٦ ـ ص ١٩٧ ، أبو بكر على الصنهاجى المكنى بالبيذق ، أخبار المهدى بن تومرت ، تقديم وتحقيق عبد الحميد حاجيات ، الجزائر ١٩٧٥ ، ص ٧٦ ، ابن أبى زرع ، روض القرطاس ، ص ١٢١ ، ابن القطان ، نظم الجمان ، ص ١٦٨ ، محمد عبد الله عنان ، عصر المرابطين ، ص ٢٢٢) .

(١) ابن صاحب الصلاة ، المن بالامامة ، ص ٢٢٠ ـ ابن عذارى ، البيان ، القسم الثالث ، تحقيق أويشى ميراندا ، ص ٥٥ .

(٢) يسميه عبد الواحد المراكشى ابن الريق ، ويقصد بصاحب قلمرية ملك البرتغال لان قلمرية كانت حاضرة هذه الدولة الناشئة (عبد الواحد المراكشى ، المعجب ، ص ٢٥٧) .

(٣) البيوج ، هو فرناندو ملك ليون Fernando II والبيوج لقبه ، وهو لفظ محرف من الاسبانية el Baboso أى الذى يفرز كثيرا من اللعاب ، وكان يطلق على الحمقى من الناس ، وربما أطلق عليه لما عرف عنه من سرعة الغضب (راجع ابن صاحب الصلاة ، تاريخ المن بالامامة ، ص ٢١٩ ، هامش ٣) .

(٤) السبطاط تعنى Ciudad أى مدينة ، ويقصد بها مدينة Ciudad Rodrigo وتقع شرقى قلمرية وغربى أبلة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وجهة اذفونس (١) بطليطلة ثالثة وجهة برشلونة رابعة ... » (٢) .

فوافقه الحاضرون ، ومن هذا النص يتضح لنا أن عبد المؤمن بن على كان ينوى فى تلك الآونة أن يسير أولا الى مملكة البرتغال الناشئة لمقاتلة ملكها الفونسو انريكث ، ثم الى ليون لمحاربة صاحبها فرناندو الثانى المعروف بالببوج ، ابن الفونسو السابع ريموندیس ، وبعد ذلك يتوجه الى قشتالة ، وكان ملكها فى ذلك الوقت الفونسو الثامن ، الذى كان طفلا تحت الوصاية ، ثم يغزو بعد ذلك مملكة ارغون وبرشلونة وملكها الفونسو الثانى (٣) ، وهذا يعنى أن مملكة البرتغال كانت أكثر هذه الممالك خطرا على الاسلام فى تلك الآونة ، فقد كان الفونسو انريكث غاية فى الذكاء ، وقمة فى حرصه على انتهاز كل الفرص ، ففى الوقت الذى كانت فيه الاندلس تضطرب وتموج بالفتن وخاصة اقليم الغرب الذى افتتح الطريق الى الثورة على الحكم المرابطى ، نجد الفونسو انريكث يتأهب لاغتنام أى فرصة تسنح له للسيطرة على الاشبونة ، وكانت آنذاك احدى القواعد الاسلامية الكبرى فى الغرب واعظم مراكز الموحدين لشن الغارات على أراضى البرتغال ، فموقعها فى قلب البرتغال ، كان يشكل خطورة على هذه المملكة الناشئة ،لذا ، فقد حاول الفونسو انريكث ، أن يقضى على تلك القاعدة الهامة ، ولما لم يكن لديه من الجنوش والقوات مايكفيه ، لاداء هذه المهمة الجبارة ، فانه استعان ، بحملة صليبية تتألف من عدد كبير من الانجليز والالمان والفلمنك ، كانت فى طريقها الى الشرق لاحكام الحصار حول مدينة الاشبونة ، وكان ذلك فى أواخر عام ٥٤١هـ (١١٤٧م) واستمر حصار الاشبونة مدة طويلة للغاية امتدت الى عدة شهور ، ولكن حصانة الاشبونة ، حال دون سقوطها سريعا فى أيدى البرتغاليين وحلفائهم

---

(١) هو الفونسو الثامن ملك قشتالة ويلقب بالملك الصغير el rey chico

(٢) عبد الملك بن صاحب الصلاة ، تاريخ المن بالامامة على المستضعفين ، الرباط ، ١٩٦٣ ، ص ٢٢٠ .

(٣) محمد عبد الله عنان ، عصر المرابطين ، ص ٣٩٤ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الصليبيين اذ كان يحوطها سور ، وتقوم بها قصبة منيعة ، وكان بابها الغربى فى غاية الاحكام ، فقد عقدت عليه حنايا فوق حنايا على عمد من رخام مثبتة على حجارة من رخام ، وكان لها باب غربى آخر ، يعرف بباب الخوخة ، يشرف على سرح فسيح ، يشقه جدول ماء يصب فى البحر ، ولها باب قبلى يسمى باب البحر تدخل أمواج البحر فيه عند مده ، وترتفع فى سوره ثلاث قبم ، وباب شرقى يعرف بباب الحمة .. وباب شرقى أيضا ، يعرف بباب المقبرة . وقد دافع سكان الاشبونة عن مدينتهم خير دفاع ، ورغم شدة الحصار وامتداد أمده ، ورغم وجود الكثير من النقمات التى أنشأها العدو فى أسوار المدينة ، واصل أهلها صمودهم ، واستماتوا فى الدفاع ، ولكن دون جدوى ، فقد ضاعف البرتغاليون من ضرباتهم لاسيما بعد أن أخبرهم ملكهم الفونسو انريكث بأن المدينة غنية بالاموال والحلى والكنوز ، وانتهى الامر بأن اقتحم البرتغاليون المدينة من باب الحمة أو بابها الشرقى ، وأذرع النصارى فى المدينة نهبا وقتلا ، فقد كان بالمدينة من النعم والثروات ما فاق خيالهم وتصورهم ، وبطبيعة الحال فان أول خطوة بادر الملك البرتغالى فى اتخاذها تحويل المسجد الجامع بالاشبونة الى كنيسة وتنصيب أسقف للاشبونة ، وهو الاسقف جابرتو ، وتم ذلك فى جمادى الاولى من عام ٥٤٢هـ (٢١ أكتوبر سنة ١١٤٧م) (١) .

ولم يكتف الفونسو انريكث بهذا الفتح العظيم ، فقد تمكن من الاستيلاء كذلك على مدينة شنترين والمناطق المحيطة بها ، ولهذا أصبحت مملكة البرتغال ، تشكل خطرا داهما على وجود الموحدين فى الاندلس (٢)

---

(١) محمد عبد الله عنان ، عصر الموحدين ، ص ٢٥ .

(٢) ويذكر الفونسو العاشر فى المدونة الأولى العامة لاسبانيا « أن هذا الملك دون الفونسو انتزع من المسلمين مدينة شنترين وشنترة والاشبونة ، وبابرة والحنش ، ومواضع أخرى كانت قريبة من أراضى المسيحية . ولقد استولى الفونسو على كل ذلك من ايدى المسلمين

خاصة وقد استولى الفونسو انريكث على قصر ابى دانس سنة ٥٥٥ هـ (١١٦٠م) بعد مضى شهرين فقط من محاصرته لها برا وبحرا ، ولم تات اواخر سنة ٥٥٧هـ (١١٦٢م) حتى كان نصارى شنترين قد تمكنوا من غزو مدينة باجة والاستيلاء عليها ، ومكثوا بها مدة اربعة اشهر ، عاثوا خلالها فسادا فى ساحتها ، وهدموا اسوارها ، ثم رحلوا عنها (١) .

كانت بطليوس اثناء هذه السنوات المنصرمة على دخول الموحدين الاندلس مدينة مهددة بغزو وشيك من قبل مملكة البرتغال التى كانت تركز ضرباتها على اقليم الغرب . وكانت بطليوس حاضرة الغرب وقاعدة الثغر الجوفى منتهى أمل ملك البرتغال ، لذلك يمكننا ان نتخيل مدى العذاب الذى كان يشعر به اهلها فى كل مرة تصلهم فيها انباء اقتحام الجيوش البرتغالية لاراضى الغرب وسقوط بعض مدنه ، خاصة اذا علمنا ان بطليوس فى تلك المرحلة بالذات كانت تعانى من اضطراب سياسى كبير عقب استشهاد صاحبها محمد بن على الحجام اثناء قتاله مع قوات الثائر ابن مردنيش وصهره ابن همشك وحليفهما مدار الاقرع ، المعروف فى المصادر العربية بالغلج الذميم (٢) . وعلى اثر ذلك تعرضت لهجوم غادر

=

بفضل جهوده ، وبفضل اسلحته ، وكانت هذه المدن قد اخليت من سكانها منذ عهود مضت فاعاد تعميرها من جديد وتحصينها باسوار منيعة ، تحميها من هجمات المسلمين .. » .

«Este rey don Alffonsso, gano de moros a sacta Aren, Sintria, Vlixbona, Euora, Alanquer, et muchos otros logares que fueron et son a por de la tierra et de Cristianismo. Et esto gano este rey don Alffonsso de moros, por su esfuerço et Fuerça de armas, et maguer que las çibdades et las publas dichas aulan yazido yermas et desertidas de luengo tiempo ya, poblolas el de nueuo et affortalesiolas de muros por que se pudiesen tener bien contra moros...» (Primera Cronica General de España, P. 652).

(١) ابن صاحب الصلاة ، تاريخ المن بالامامة ، ص ٣٧٣ .

(٢) هو حفيد البرهانس Alvar Fañez واسمه Alvar Rodriguez (انظر ابن صاحب الصلاة ، تاريخ المن بالامامة ، ص ١٩١ ، وهامش

=

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

شنه عليها الفونسو انريكث ملك البرتغال فى اول ربيع الثانى عام ٥٥٦هـ (٣٠ مايو ١١٦١م) ، ونستند فى هذا على نقش كتابى مسجل على شاهد قبر الفقيه ابى القاسم خلف الذى استشهد بشرقى جامع بطليوس على ايدى النصارى عندما فاجأ العدو بطليوس بهجومه الغادر . والشاهد لايعدو لوحة من الرخام (٥١ × ٣٢ سم) عثر عليها فى مدينة بطلبوس فى عام ١٨٧٧م ونطالع فيها النص التالى : (بسمله . كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام ، هذا قبر الشيخ الفقيه ابى القاسم خلف بن حسن بن فرجون البكرى نور الله ضريحه وقدس روحه . استشهد بشرقى جامع بطليوس حين غدر العدو لها فى صبيحة يوم الخميس اول يوم من ربيع الآخر عام ستة وخمسين وخمسمائة) (١) . ويؤكد ابن ابى زرع تلك الحقيقة عندما يذكر ان عددا من الموحدين بقيادة ابى محمد عبد الله بن ابى حفص قدموا من قرطبة وفتحوا حصن اطرنكش من احواز بطليوس ، وقتلوا من به من النصارى . ويبدو ان هذا الحصن كان قد سقط مع بطليوس فى عام ٥٥٦هـ (١١٦٠ - ١١٦١م) عندما تعرضت للهجوم البرتغالى ، ثم تمكن الموحدون من استرداد بطليوس فى نفس السنة ، بقول ابن ابى زرع : « وفى هذه السنة ملك الموحدون بطليوس وباجة ويابرة وحصن القصر ، فولى عليها عبد المؤمن محمد بن على الحاج » (٢) .

ثم تجمعت قوات ابن مردنيش ومن تابش معه من حلفائه الثوار وابرزهم صهره ابن همشك وحليفهما مدار الاقرع فى اشبيلية ، فخرج اليهم السيد ابو يعقوب يوسف فى انصاره من امراء غرب الاندلس وفيهم ابن وزير وابن الحجام ، ودار القتال عنيفا وشديدا بين الطرفين ، وانتهى

= رقم ١) وقد سماه ابن ابى زرع فى روض القرطاس بالاقرع ، اما ابن عذارى فيكتفى بتسميته قائد الروم . (انظر البيذق ، اخبار المهدى بن تومرت ، حاشية ٣ ، ص ١٤٨) .

(١) Lévi - Provençal, Inscriptions Arabes d'Espagne, t.I, PP. 59-60

(٢) ابن ابى زرع ، روض القرطاس ، ص ١٣١ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بهزيمة الامير ابى يعقوب يوسف ومقتل اتباعه ، وفى ذلك يقول البيذق : « ومات فى تلك الهزيمة محمد بن عمر الصنهاجى ، ويحيى بن أبى بكر بن الجد ، وعمر بن ميمون الهرغى ، وولد وسنار ، وابن على صاحب بطليوس ، وابن الغمر ، وعين الزجاج وابن وزير » (١) ويذكر الاستاذ عنان أن البيذق وحده هو الذى انفرد بالاشارة الى هذه الوقعة ، ولكنه لم يحدد لها تاريخا ثابتا أو يوما بعينه ، أما الاستاذ عبد الحميد حاجيات ، محقق كتاب البيذق ، فيحدد تاريخها بعام ٥٥٧هـ (١١٦١م) ، وذلك بعد استرجاع ابى سعيد لمدينة قرمونه ، وقبل استيلاء ابن همشك وابن مردنيش على غرناطة (٢) . غير ان كوديره يؤكد أن ابن الحجام استشهد بنظر اشبيلية فى سنة ٥٥٣هـ (١١٥٨م) (وليس فى عام ٥٥٧هـ كما يذكر د. حاجيات) فى نفس الوقت الذى استشهد فيه ابو الغمر بن عزون (٣) .

وبرجوعنا الى البيان المغرب لابن عذارى نجده يورد خبرا عن وقعة تسمى زغبولة دارت فى عام ٥٥٢هـ (١١٥٧م) وأسفرت عن استشهاد ابن الحجام ، وفيما يلى نص ابن عذارى : « وفى سنة اثنين وخمسين وخمسمائة كانت وقعة زغبولة على مقربة من اشبيلية على السيد أبى يعقوب يوسف ابن الخليفة ، وذلك أن النصارى اهلكهم الله غنموا نظر اشبيلية ، فأمر السيد ابو يعقوب بوصول ميمون بن حمدون الوالى على شلب والبلاد التى كانت بيد ابن وزير ، ويستعجل بعسكر الغرب ، فوصل اليه ، فاستعجل السيد الى حربهم ومقارعتهم ، وبرز اليهم بعسكر اشبيلية ، فلقى النصارى بحصن زغبولة ، فدارت الحرب بين الكفرة والمسلمين ، فمال الناس واجفلوا من مواقفهم ، وانهزموا عن السيد بجمعهم ، واستشهد فى المعركة ابن عزون ، ومحمد بن على الحجام ،

---

(١) البيذق ، اخبار المهدى بن تومرت ، ص ١٤٨ .
(٢) نفس المصدر السابق ، ص ١٤٨ ، حاشية ٦ .
(٣) Codera, Decadencia y desaparición, p. 162.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبجملة من اشياخ الموحدين ... وفر ابن وزير بجواد معار من احد قراباته» (١) .

وبمقارنة نص البيذق بنص ابن عذارى نجد ان كليهما يتفق على ان ابن الحجام لقى مصرعه فى هذه المعركة التى خاضها ضد النصرانية فى اشبيلية وان الذى كان يتولى قيادتهم فيها السيد ابو يعقوب يوسف ، اما وجه الخلاف بينهما فيتلخص فى النقاط التالية :

١ ـ لم يذكر البيذق تاريخ هذه المعركة ولم يحددها زمنيا وان كان الاستاذ حاجيات محقق النص قد حدد التاريخ بسنة ٥٥٧هـ (١١٦١ ـ ١١٦٢م) .

٢ ـ ذكر البيذق ان هذه المعركة دارت بين الموحدين وبين اعدائهم من ثوار شرق الاندلس وهم ابن مردنيش وابن همشك وانصارهما من النصارى بقيادة مدار الاقرع ، بينما يؤكد ابن عذارى ان المعركة دارت بين الموحدين وبين النصارى المهاجمين لاشبيلية .

٣ ـ ذكر البيذق ان ابن وزير لقى مصرعه مع جملة من استشهد فى هذه المعركة .

لذلك كله نميل الى الاخذ برواية ابن عذارى حيث انه اكثر ثقة كما ان روايته اكثر تمشيا مع مجرى الاحداث المقبلة . فابن وزير لم يقتل فى تلك المعركة بدليل ان اسمه سيتكرر فى السنوات المقبلة ، حيث سيكون له شأن كبير فى احداث كثيرة قادمة ، وهذا يتفق مع ما ذكره ابن عذارى ، وبهذا يكون نص ابن عذارى اكثر دقة واولى بالثقة .

ومع ذلك فاننا نعتقد ان النص الوارد فى البيذق عن اشتراك ثوار

---

(١) ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الثالث ، ص ٣٨ .

شرق الاندلس فى مهاجمة الموحدين يتفق مع رواية ابن صاحب الصلاة الذى يؤرخ ذلك الحادث بسنة ٥٥٧هـ ، (١١٦١ — ١١٦٢م) ، ولكن ابن صاحب الصلاة وهو مصدر ثقة يؤكد أن المعركة دارت فى الموضع المعروف بمرج الرقاد Majorrocal ويقع على بعد نحو أربعة أميال من غرناطة ، وأن قائد الجيش الموحدى الذى قتل هو الشهيد أبو محمد عبد الله بن أبى حفص (١) . وعلى هذا الاساس يصبح المقصود بابن على صاحب بطليوس الوارد اسمه بين القتلى عند البيذق هو محمد بن على الحاج الذى كان عبد المؤمن قد ولاه على بطليوس بعد أن استردها الموحدون . وبمقتل ابن الحجام فى عام ٥٥٢هـ (١١٥٧ — ١١٥٨م) وتعرض باجة لهجوم نصارى شنترين ، وتعرض بطليوس نفسها لاحتلال البرتغاليين فى سنة ٥٥٦هـ (١١٦٠ — ١١٦١م) لفترة قصيرة ، ثم استشهاد واليها محمد بن على الحاج فى سنة ٥٥٧هـ نكون قد أوضحنا بعض الشىء الصورة القاتمة التى كانت عليها بطليوس فى تلك الآونة . فلم تكن حاضرة الغرب وأهم قواعده فحسب ، وانما كانت من أهم مراكز المناطق الثغرية فى الاندلس بأسره ، وأكثر مدن الغرب تعرضا للسقوط .

ولم يمهل الموت عبد المؤمن بن على لتأمين بلاد الغرب ، وتحرير شنترين ، فقد مرض مرض الموت بعد أيام قليلة من حلوله برباط الفتح ، « ولما تمادى المرض ، أمر أمير المؤمنين رضى الله عنه باسقاط محمد الذى كان ولى العهد من الخطبة يوم الجمعة الثانى من جمادى الآخرة من العام المؤرخ » (٢) ، لانه علم بأن ابنه محمدا يقبل على شرب الخمر مما يجعله يخرج مخمورا أمام الناس ، فيرتكب من الاعمال ما يشينه ويشين اباه ، وفى ذلك يقول صاحب المعجب : « فأبى تمام هذا الامر لمحمد هذا ما كان عليه من أمور لاتصلح معها الخلافة من ادمان شرب الخمر ، واختلال الرأى ، وكثرة الطيش ، وجبن النفس . ويقال انه

---

(١) ابن صاحب الصلاة ، تاريخ المن بالامامة ، ص ١٩٢ .
(٢) ابن صاحب الصلاة ، تاريخ المن بالامامة ، ص ٢٢١ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مع هذا كان به ضرب من الجذام ، فالله أعلم » (١) . وقد طلب عبد المؤمن من ولده ابى حفص أن يبذل قصارى جهده لاخذ البيعة لاخيه الاصغر ابى يعقوب ، ثم ما لبث أن تمكن المرض من عبد المؤمن بن على ، فتوفى ليلة الجمعة العاشر من جمادى الآخرة سنة ٥٥٨هـ (١٥ مايو سنة ١١٦٣م) (٢) .

وبويع للامير ابى يعقوب يوسف فى مدينة سلا ، ثم رحل الى مراكش حيث نزل بدار الخلافة ، وولى اخاه أبا حفص الشئون السلطانية والحجابة (٣) .

ب - الصراع بين البرتغاليين والليونيين حول بطليوس :

فى خلافة أبى يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بدأت مملكة البرتغال سلسلة جديدة من الغزوات المنظمة على بلاد غرب الاندلس ، وكان الملك الفونسو انريكث قد استعان بفارس مغامر شجاع لايبالى باى مبادىء او قيم فى سبيل تحقيق مآربه ، هذا الفارس هو خيرالدو سيمبا فور Geraldo Sem Pavor اى خيرالدو الشجاع ، وتطلق عليه المصادر العربية كالبيان المغرب والمن بالامامة وكتاب العبر اسم « العلج جرانده الجليقى » . وحياة خيرالدو تذكرنا الى حد كبير بحياة السيد الكنبيطور ، ذلك الفارس المرتزق المغامر الذى كان يعمل فى خدمة المسيحيين والمسلمين على السواء ، فقد كان خيرالدو على حد تعبير الاستاذ عنان (٤) ، قاطع طريق او رئيس عصابة للسلب والنهب ، وجد مجالا خصبا لنشاطه فى الظروف التى كانت سائدة انذاك فى بلاد الغرب الاندلسية » ولذلك فان البرتغاليين يطلقون عليه اسم « السيد البرتغالى »

---

(١) عبد الواحد المراكشى ، المعجب ، ص ٢٣٦ .
(٢) محمد عبد الله عنان ، عصر المرابطين ، ص ٣٩٤ .
(٣) ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الثالث ، ص ٥٩ - ابن صاحب الصلاة ، كتاب المن بالامامة ، ص ٢٣٢ .
(٤) محمد عبد الله عنان ، عصر الموحدين ، ص ٢٦ .

لتشابه اعماله مع اعمال السيد الكنبيطور : فجرانده اكتسح اراضى الاسلام فى الغرب ، وعاث فسادا ونهبا وقتلا ، والسيد الكنبيطور اجتاح بلنسية وطغى وبغى واحرق قاضيها ، وكلاهما كان يشجعه ملك مسيحى ، فالفونسو السادس كان وراء اعمال السيد التخريبية ، والفونسو انريكث كان وراء جرانده يساعده ويمده بالاموال والمؤن والرجال لقتال المسلمين

وفى ذلك يقول ابن عذارى : « كان هذا الكلب جرانده صاحب جراة ، فلما عاين ابن الرنك نجدته وتيقظه لغدر البلاد والحصون اعانه على ذلك برجاله ، وسلطه على المسلمين » (١) . كذلك كان راى ابن صاحب الصلاة فيه اذ يقول : « وكان ادفونش بن الرنك (Alfonso Enriquez) الغادر الجليقى ، صاحب قلمرية لعنه الله ، قد عاين من نجدة هذا الكلب جراندة وتيقظه لغدر البلاد والحصون ما اعانه على ذلك برجاله ، وسلطه على المسلمين فى الثغور باوجاله » (٢) . وقد وصف لنا كل من ابن صاحب الصلاة وابن عذارى وابن خلدون الطريقة التى كان يستولى بها جرانده على مدن غرب الاندلس ، فكان هذا المغامر البرتغالى ينتقى اشد الايام برودة وظلاما لينفذ فيها خططه العسكرية القائمة على الغدر والتسلل فى الخفاء ، فكان قد اعد آلات من السلالم المتخذة من العيدان الطويلة لتساعده على تسلق اسوار المدن ، فاذا ما تمكن رجاله من ارتقاء السور الى ذروته ، نزلوا الى باب المدينة ، وهاجموا حاميتها ، وفتحوا الباب لعسكر البرتغاليين الذين كانوا يصيحون بلغتهم البرتغالية صيحات مخيفة قوية عند اقتحامهم المدن الاسلامية تمهيدا للاستيلاء عليها واستباحتها ، « فغدر جرانده العلج المذكور - لعنه الله - اولا من غدراته مدينة ترجالة (Trujillo) سنة ستين (٥٦٠هـ / ١١٦٤م) ثم مدينة يابرة (Evora) فى ذى القعدة من السنة ، وباعها من النصارى ، ثم غدر مدينة قاصرش (Caceres) فى صفر سنة احدى وستين ، ثم غدر حصن منتانجش (Montanchez) فى جمادى الآخرة من السنة ، ثم غدر

---

(١) ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الثالث ، ص ٧٨ .

(٢) ابن صاحب الصلاة ، تاريخ المن بالامامة ، ص ٣٧٣ .

حصن جلمانية (Jurumenha) على مقربة من بطليوس ، وسكنه بجملته الذميمة يفاتن بطليوس ، ويؤذى المسلمين فيها حتى مكن سيف الخليفة منه » (١) . ونستنتج من هذا النص ان نفوذ جراندة بلغ حدا كبيرا ، فقد استولى على ترجاله ويابره فى عام ٥٦٠هـ ، الاولى فى جمادى الاولى من هذا العام ، والثانية فى ذى القعدة منه (٢) ، كما تمكن من الاستيلاء على قاصرش فى صفر سنة ٥٦١هـ (١١٦٦م) ، ثم استولى على حصن منتانجش فى جمادى الثانية من عام ٥٦١هـ (١١٦٦م) ، وكذلك على جلمانية وحصن شيربه Serpa الواقع جنوبى بطليوس (٣) . وكانت كل تلك المدن والحصون فى نظر جراندة وابن الرنك (الفونسو انريكث بمثابة القنطرة التى يعبرون عليها الى بطليوس ، اهم قواعد المغرب فى الاندلس ، فكانت بطليوس الهدف الرئيسى الذى يهدفون اليه . وقد عبر ابن عذارى عن هذه الرغبة بوضوح فى نصه السابق ، كما عبر عنه ابن صاحب الصلاة بقوله : « ثم غدر حصن جلمانية على مقربة من بطليوس واسكنه بجملته الذميمة يفاتن منه بطليوس ، يؤذى المسلمين فيها ، حتى مكن الله سيف امير المؤمنين بن امير المؤمنين منه على ماأذكره بعد هذا فى موضع ذكره ، ثم غدر مدينة بطليوس » (٤) . ولهذا السبب تم ارسال حملة موحدية كبيرة قوامها خمس مائة فارس الى بطليوس فى سنة ٥٦٠هـ (١١٦٤ — ١١٦٥م) لحماية ضيفتها ، « ويسر الله لهم غزو شرذمة ذميمة كبيرة من النصارى أهل شنترين ، أعادها الله ، وهزموهم وغنموهم ، واستأصلوهم قتلا وسبيا ، فكان ذلك عنوان الفتح لما يذكر بعد فى هذه الغزوة ...» (٥) .

ندب أبو يعقوب يوسف فى أواخر سنة ٥٦٣هـ (١١٦٨م) أخاه

---

(١) ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الثالث ، ص ٧٨ ، ٧٩
(٢) ابن صاحب الصلاة ، تاريخ المن بالامامة ، ص ٣٧٣ .
(٣) ابن صاحب الصلاة ، نفس المصدر السابق ، ص ٣٧٤ .
(٤) نفس المصدر ، ص ٣٧٤ .
(٥) نفسه ، ص ٢٧٠ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ابا اسحاق ابراهيم ليكون واليا على قرطبة التى كانت بدون وال منذ ان تركها واليها السابق السيد ابو سعيد عائدا الى مراكش ، وكان عبور ابى اسحاق فاتحة خير للجهاد ضد مملكة البرتغال الناشئة على حساب اراضى غرب الاندلس .

ثم وقع فى أواخر عام ٥٦٣هـ (١١٦٧م) حادث كان له بالغ الاثر - كما سيتضح فيما بعد - فى سياسة مملكة البرتغال تجاه بطليوس ، فقد وفد فرناندو (وهو فرنانده رودريجث Fernando Rodriguez صاحب ترجالة) صهر فرناندو البيوج ملك ليون (وهو فرناندو الثانى الملقب بالسليطن) وزوج اخته بنت الفونسو السابع ريموندس ، وفد مع اخوته الى اشبيلية « راغبا ان يكون خديما لامير المؤمنين بن امير المؤمنين - ايدهم الله - منابذا لشيعته الكافرين ، فاستأذن له الموحدون الذين باشبيلية حضرة امير المؤمنين بمراكش ... (١) » . وقد احسن الخليفة ابو يعقوب استقباله بعد ان اذن له بالقدوم اليه بأصحابه واخوته ، واقام فرناندو رودريجث هناك مدة خمسة شهور ، نعم خلالها بجزيل العطاء ، وبالغ الحفاوة ، مما اثر فى نفسه كل التأثير الى حد انه « كاد ان يسلم ، وعاهد الله فى نصح الامر بالخدمة المجدة واستسلم ، وضمن عن نفسه عن ثغور بلاد الموحدين ، وأن يكون ردءا لهم ، حليفا للمسلمين (٢) » ، ثم عاد « فرنانده رايس النصرانى » ، كما يسميه ابن صاحب الصلاة الى بلاده بعد ان أمر الخليفة ابو يعقوب بأن يشمله الموحدون بكل الرعاية .

وقد ترتب على هذه الزيارة التى قام بها فرنانده رايس (رودريجث) ان تم عقد هدنة بين فرنانده الثانى البيوج ملك ليون وصهر فرنانده

---

(١) ابن صاحب الصلاة ، تاريخ المن بالامامة ، ص ٣٦٩ .

(٢) ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص ٣٧١ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رودريجث وبين ابى يعقوب يوسف خليفة الموحدين ، وتعهد فرناندة الثانى بأن يكون مع الموحدين عونا لهم بعسكره على أعدائهم ٠

واذا اردنا ان نلم بكافة الخلفيات لهذا الوضع السياسى ، فيجب ان نوضح ان العلاقة التى كانت تربط بين ملك ليون فرناندة الثانى وبين ملك البرتغال الفونسو انريكث ، كانت متوترة للغاية ، رغم أواصر القرابة والمصاهرة التى كانت تربط بينهما ، ففرناندة الثانى ملك ليون كان متزوجا من اراكه Urraca بنت ملك البرتغال ، ولكن فرناندة الثانى كان دائم الطمع فى أراضى مملكة البرتغال الناشئة ، الى جانب حسده لملكها الفونسو انريكث لما أحرزه من انتصارات عديدة على الموحدين فى بلاد غرب الاندلس ٠ ثم ان فرناندة الثانى كان يدرك الاهداف البعيدة من وراء هجمات الفونسو انريكث على غرب الاندلس ، وهى الاستيلاء على مدينة بطليوس التى كان ينظر اليها ملك ليون على انها ستصبح من خاصة ممتلكاته فى حالة اذا ما استردها من ايدى المسلمين ، ولذلك فقد عمد الى تحصين مدينة السبطاط المسماة بثيوداد رودريجو (١) Ciudad Rodrigo لتكون قاعدة له يغير منها على مملكة البرتغال ٠

وكان أول مظاهر التحالف الذى تم بين دولة الموحدين ومملكة ليون قيام الموحدين بتزويد فرناندة الثانى بقوة كبيرة من عسكر المسلمين لقتال القمط نونة (نونيو بيريث دى لارا) حاكم طليطلة (٢) ٠ وقد

---

(١) عرفت مدينة Ciudad Rodrigo بالقشتالية القديمة بـ Cibdad ومنها حرفت التسمية العربية السبطاط ، فقد كانت اغلب المصادر العربية تلقب ملك ليون بصاحب السبطاط ، واحيانا بصاحب السبطاط وآبلة ولبون وسمورة ٠

(٢) انجب الفونسو السابع ريموندس من البنين كلا من شانجه الثالث اكبر أولاده وكان ملكا على طليطلة ، وفرناندة الثانى الذى ولى مملكة ليون وعرفته المصادر العربية بالببوج ، اما شانجة الثالث =

اشترك مجموعة كبيرة من كبار قادة الموحدين فى القتال الى جانب ملك ليون ضد خصومه ، ومن هؤلاء القادة ابو العلاء بن عزون ، والحافظ ابو على عمر بن تمصيلت ، وقد حاربوا معه حتى فصلوا حدود اشتوريش ، ثم عادوا وقد كسبوا صداقة هذا الملك الذى تعهد بمساعدة الموحدين ضد اعدائهم ، وكان ذلك الوعد هو الذى حمى مدينة بطليوس من بطش البرتغاليين فى حملتهم سنة ٥٦٤هـ (١١٦٨م) .

= ملك طليطلة فقد كان رشح للحكم أثناء حياته ولده الطفل الصغير ، وبدلا من أن يسند نيابة الحكم لفرناندو الثانى ملك ليون وعم الطفل ، أسندها لاحد أفراد أسرة كاسترو ، مما أثار حفيظة أسرة دى لارا التى التجأت الى فرناندو الثانى ليقوم بحماية ابن أخيه (الطفل) من آل كاسترو . ولم يتردد فرناندو الثانى فى احتلال معظم قشتالة ، واعلن الوصاية على ابن أخيه فى سنة ٥٥٤هـ (١١٥٩م) . ولكن الامور لم تستقر بينه وبين أسرة لارا ؛ وبعد سلسلة من المفاوضات التى تلتها حروب ، نشبت حرب جديدة قتل فيها المانريش دى لارا سنة ٥٦٠هـ (١١٦٤م) مما دفع أخاه القمط نونة الى اعلان نفسه وصيا على عرش قشتالة ، واستولى بقواته عنوة على طليطلة الحاضرة مناديا بالملك الطفل ، فاضطر فرناندو الثانى الى الالتجاء الى الموحدين لمحاربة نونة (انظر ابن صاحب الصلاة ، تاريخ المن بالامامة ، ص ٣٧٠ ، هامش ٥ ـ يوسف اشباخ ، تاريخ الاندلس ، ترجمة الاستاذ محمد عبد الله عنان ص ٣٧١) . ويعبر ابن صاحب الصلاة عن ذلك بقوله : « وذكر انه كان بينه (أى بين فرناندو الثانى ملك ليون) وبين القمط نونة ظئر ابن أخيه أذفونش الصغير صاحب طليطلة ـ خربها الله ـ فتنة ملتحمة على منازعة ملكهم ، وأكد الرغبة مع صلحه فى عسكر من عساكر الموحدين ، أعزهم الله ، يبعث به اليه الى مدينته بالسبطاط ليقاتل بهم نونة القمط المنازع له عن ابن أخيه فى بلاده ، فامر له امير المؤمنين ـ رضى الله عنه ـ بعسكر اشبيلية ، فمشى عليه مقدما الشيخ الناصح الموحد ابو العلاء بن عزون ، والحافظ ابو على بن تمصيلت ، و الحافظ ابو عمران موسى بن حمو ، ووصلوا اليه بالعسكر المؤيد الى بلاده ، وقاتلوا أعداءه ببلاد قشتيلة ، ووصلوا الى اقصى نظره ببلده أشتريش ، وغزوا من حاربه ، وسالموا من سالمه ، واقاموا عنده فى هذه الغزوة خمسة أشهر ، ثم انصرفوا عنه سالمين ماجورين ، وقد اغتبط بنصرهم ، وارتبط للصلح الذى ربطه بأمرهم .. » (انظر ابن صاحب الصلاة ، تاريخ المن بالامامة ، ص ٣٧٠ ، ٣٧١) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جـ - سقوط بطليوس فى أيدى البرتغاليين سنة ٥٦٤هـ واستنقاذها على أيدى الليونيين فى نفس السنة :

سبق ان ذكرنا أن الفونسو انريكث اصبح قريبا من بطليوس اذ استطاع عن طريق حليفه الفارس المغامر جرانده الجليقى (خير الدو سمبافور) ان يستولى على معظم قواعد الغرب الاسلامية المحيطة ببطليوس ، بل ان استيلاءه على حصن جلمانية اصبح يعرض بطليوس للخطر . وكان الفونسو انريكث قد وضع خطته للاستيلاء على بطليوس وقد رأيناه يحاول الاستيلاء عليها فى سنة ٥٥٦هـ (١١٦٠ - ١١٦١م) ، ويشير الاستاذ عنان الى الاوضاع الداخلية فى بطليوس بانه لا يعرف الظروف التى كانت عليها بطليوس فى تلك السنة ، وانه ليس متأكدا اذا ما كان ابن الحجام مايزال يتولاها ام ان واليا آخر قد اسندت اليه ولايتها (١) .

والحقيقة ، كما سبق ان أوضحنا ، ان بطليوس كان يتولاها منذ ان استردها الموحدون وال يقال له محمد بن على الحاج ، الذى استشهد فى سنة ٥٧٧هـ (١١٦١م) وظلت بطليوس غاية الفونسو انريكث ، ومنتهى أمله ، بعد أن فشل فى الاحتفاظ بها لفترة طويلة ، وآثر أن ينتظر الى فرصة مواتية تمكنه من الظفر بها .

وجاءت اللحظة التى كان ينتظرها الفونسو انريكث بعد ان نجح فى الاستيلاء على ترجاله ويابرة سنة ٥٦٠هـ ، وقاصرش فى صفر سنة ٥٦١هـ ، وحصن منتانجش فى جمادى الاولى سنة ٥٦١هـ ، وحصن شيربه فى نفس الشهر ، وحصن جلمانية الواقع على مقربة من بطليوس فى تاريخ لاحق ، وكان قد مضى على استيلائه على الاشبونة وشنترين نحو

---

(١) محمد عبد الله عنان ، عصر الموحدين ، ص ٣٦ ، ٣٧ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عشرين عاما ، فبدا له ان مهمته قد أصبحت سهلة ميسورة ، وان الامور قد تهيأت تماما لتنفيذ خطته . وكان يتولى بطليوس فى تلك الاثناء واليها الجديد ابو على عمر بن تمصيلت (١) » الذى ولى امرها بعد مقتل ابن على الحاج . وما كاد ابن تمصيلت يعاين عظم جيوش جرانده الجليفى وهى مقبلة على بطليوس فى سنة ٥٦٤هـ (١١٦٨م) بهدف الاستيلاء عليها ، حتى بادر بالامتناع بقصبتها الحصينة ، وارسل يستنجد بالموحدين ، موضحا لهم الوضع الحرج الذى تجتازه المدينة ، خاصة بعد وصول الملك الفونسو انريكث بنفسه على رأس قواته ، واشتراكه مع جرانده فى التضييق على الموحدين فى القصبة ، واقتحام بعض قواته للمدينة نفسها .

وكان الخليفة الموحدى ابو يعقوب يوسف على علم كامل بخطورة الموقف فى غرب الاندلس منذ ان بلغه سقوط ترجالة وقاصرش وجلمانية فى يد الملك البرتغالى ، ولذلك فقد قرر ارسال جيوشه الى غرب الاندلس لوضع حد لهذا العيث فى تلك المنطقة الثغرية الحساسة من بلاد غرب الاندلس ، « وقصد العمل فى ذلك بنية الجهاد لله عز وجل ، واشفاقا على المسلمين ، ودفاعا عن الدين ، حين راى العدو قد فغر فاه فما ،

---

(١) ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الثالث ، ص ٨٠ . وكان ابو على بن تمصيلت من بين الحفاظ الذين اصطحبهم ابو عبد الله بن ابى ابراهيم بن الشيخ ابى ابراهيم صاحب المهدى بن تومرت الى اشبيلية حين عين واليا عليها ، وكان يصحب ابن تمصيلت من الحفاظ : عبد الله بن يعقوب ، ويعيش الجدميوى ، وابو العيش من اهل كومية ، ومحمد بن عمران وابن تيقشليت ، وكان ابن تمصيلت هذا من كبار قادة الموحدين ، وقد ظل يتنقل بين الاندلس والحضرة العلية فى خدمة الدولة ، ثم نصب واليا على بطليوس بعد عام ٥٦١هـ (١١٦٦م) وظل واليا عليها حتى اقدم الفونسو انريكث على محاصرته ومن معه من الموحدين داخل القصبة . ثم تفلد ولاية باجة فى سنة ٥٧٠هـ بعد ان تولى الموحدون ترميمها ، وكان ابن تمصيلت احد القادة الذين شاركوا فى مقاتلة القمط نونة (دى لارا) تاييدا لفرناندو الثانى كما سبق أن أوضحنا (انظر : ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الثالث ، ص ٧٩) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

واسال دموع اهلها دما ، فنظر عسكر ضخم ، مبارك شهم ، اختاره من الموحدين ، ووجهه صحبة الشيخ المرحوم ابى حفص عمر بن يحيى الى قرطبة تقدمة منه لما امله فى نفسه من جواز الموحدين معه ... وتيمن اهل الاندلس بوصوله وحلاله ...» (١) ، وقد كان العامل الرئيسى الذى دفع خليفة الموحدين الى الاهتمام بغرب الاندلس وصول خبر هجوم البرتغاليين على بطليوس وحصارهم لابن تمصيلت ومن معه من الموحدين فى القصبة (٢) . ويسوق ابن صاحب الصلاة رواية على لسان ابى محمد سيدراى بن وزير فى نبربر تدخل فوات الموحدين ، جاء فيها : « كان السبب فى تعجيل حركة الشيخ المرحوم ابى حفص الى الاندلس بالعسكر المبارك من حضرة مراكش وصول الخبر بغدر اللعين جرانده الجليفى بطليوس ، وتملك ابن الرنك الغادر صاحب قلمرية لها ، وحصر الموحدين الذين فيها قصبتها مع حافظهم ابى على عمر بن تمصيلت ، وذلك فى شهر رجب الفرد من عام اربعة وستين وخمس مائة المؤرخ به (ابريل ١١٦٩) وانهم فى ضيقة من الحصار ، وتحت اجل من الكفار » «(٣) . ويذكر ابن عذارى ان الخليفة ابا يعقوب يوسف امر بضرب الطبول والخروج من مراكش الى الاندلس بمجرد ان علم بحصار البرتغاليين لبطليوس ووالبها ورجاله من الموحدين ، ويعبر عن ذلك بقوله : « وركب من فوره ، فخرج من مراكش ونزل وادى تنسيفت عازما على الغزو الى الاندلس ، فأقام به ثلاثة ايام على هذه النية ، فاجتمع راى الموحدين ان يتقدم ابو حفص المذكور بالعسكر » (٤) . ويستطرد ابن عذارى قائلا ان الخليفة « خاطب اهل الاندلس برسالة كريمة من انشاء ابى الحسن ابن عباش شرح فيها الاحوال المعربة عن الآمال ، فكان ابو حفص على

---

(١) ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الثالث ، ص ٧٩ ، وقارن : ابن صاحب الصلاة ، تاريخ المن بالامامة ، ص ٣٧٤ .

(٢) ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ٧٩ .

(٣) ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص ٣٧٥ .

(٤) ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الثالث ، ص ٨٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ما ذكرناه ، وكانت حركته فى شهر ربيع الآخر من سنة أربع وستين ،وهو تاريخ الكتب المذكور » (١) . ومن هذا النص يتضح ان ابا حفص قد عبر الى الاندلس بعد تلفيه هذه الرسالة اى فى ربيع الآخر سنة ٥٦٤هـ (١١٦٨ - ١١٦٩م) وهذا يعنى ان هذا الجيش الموحدى قد اعد للعبور الى الاندلس ، وانه قد جاز بالفعل قبل الهجوم البرتغالى على بطليوس بنحو ثلاثة شهور . ويعلل الاستاذ محمد عبد الله عنان ذلك بقوله : « ليكون طليعة لحركة الجهاد الكبرى ، ويطمئن اهل الاندلس بوصوله ، وانه فوجىء بحوادث بطليوس اثناء وجوده باشبيلية » (٢) . ويورد ابن صاحب الصلاة (٣) نص رسالة الخليفة الموحدى ، الى اهل الاندلس ، كاملة ، ويؤكد ان انصراف الجيوش الموحدين من المغرب وعبورها الى الاندلس قد تم فى شهر ربيع الآخر من عام ٥٦٤هـ (١١٦٩م) ، وبهذا يتاكد لدينا ان الموحدين قد عبروا الى الاندلس فى هذا التاريخ بناء على الامر الصادر من الخليفة يوسف الذى اراد ان يتفرغ للاهتمام بالاندلس بعد ان قضى على الفتن التى كانت تؤرقه فى المغرب ، وقد استقرت هذه القوات الموحدية بقيادة الشيخ ابى حفص فى اشبيلية ، ولم تتحرك من اشبيلية الى بطليوس الا بعد ما يقرب من ثلاثة شهور .

غير ان تسلسل الاحداث لا يستقيم بهذه الصورة ، فكيف يستولى ملك البرتغال على مدينة بطليوس ويحاصر قصبتها فى شهر رجب سنة ٥٦٤هـ (١١٦٩م) ، ثم يبلغ الخليفة خبر غدر البرتغاليين ببطليوس فى وقت كان مشغولا فيه ببعض الفتن ، فيتباطأ فى توجيه النجدة الى ان يقضى على الفتن ثم يرسل جيشا من المصامدة يجوز الى الاندلس فى ربيع الآخر سنة ٥٦٤هـ اى قبل شهر رجب الذى حوصرت فيه قصبة بطليوس بنحو ثلاثة اشهر ؟ فكيف يصل الى علمه واقعة حدثت بعد

---

(١) ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ٨٠ .

(٢) محمد عبد الله عنان ، عصر الموحدين ، ص ٣٤ .

(٣) راجع نص الرسالة فى كتاب تاريخ المن بالامامة ، ص ٣٧٧ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وصول قواته الى الاندلس بثلاثة اشهر ؟ ونعتقد ان هناك ثمة خطأ فى تاريخ الحصار البرتغالى لقصبة بطليوس ، ونرجح ان يكون التاريخ الصحيح هو شهر رجب من سنة ٥٦٣هـ (١١٦٧ - ١١٦٨م) بدلا من سنة ٥٦٤هـ (١١٦٩م) ، وبهذا يمكن تفسير وصول الحملة التى أرسلها خليفة الموحدين الى الاندلس متأخرة ، بسبب الفتن التى شغلته عن الجهاد فى الاندلس ، ويؤكد رأينا هذا قول ابن صاحب الصلاة : « وكان من يمن هذا العسكر المبارك (الذى ارسله الخليفة) انه لما وصل اشبيلية سالما صحبة الشيخ المرحوم ابى حفص بينما هو عازم على الحركة لغوث المسلمين ودفاع العدو الغادر ابن الرنك - لعنه الله - عن غلبته على مدينة بطليوس وحمايته للموحدين المحصورين بقصبتها ، وهو قد أعد واستعد لذلك .. » (١) . ونستدل من هذا النص على ان بطليوس كانت قد احتلت بالفعل وان قوات البرتغاليين كانت تحاصر بطليوس منذ فترة طويلة .

وعلى الرغم من احكام الحصار البرتغالى حول قصبة بطليوس ، فقد كان فى وسع ابن تمصيلت المتنع بالقصبة الصمود أمام حصار طويل الامد ، بسبب حصانة القصبة وصعوبة اقتحامها ، وكان يحدوه الامل فى ان تصله نجدات من اشبيلية فى وقت قريب . ومن الغريب ان النجدة التى كان يترقبها ابن تمصلت وصلت بالفعل ، ولكن ليس من ابناء ملته وجنسه وانما من ملك ليون ، وفى ذلك يقول ابن عذارى : « اذا البشير قد وصل معلما بأن البوج بن اذفونش المعروف بالسليطن صاحب مدينة السبطاط وآبلة ولبون وسمورة قد وصل بخيله ورجاله حاميا للمسلمين ، ودافعا لضيقة الكافرين عن مدينة بطليوس طاعة منه الى الخليفة » (٢) .

---

(١) ابن صاحب الصلاة ، تاريخ المن بالامامة ، ص ٣٨٠ .

(٢) ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الثالث ، ص ٨٠ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقبل أن نسترسل فى وصف بقية الاحداث ، علينا أن نفسر موقف فرناندە الثانى ملك ليون من البرتغاليين الذين كانوا يحاصرون بطليوس، ولقد سبق أن أوضحنا أن تنافسا شديدا بين الملكين فرناندە الثانى الليونى والفونسو انريكث البرتغالى كان قائما بينهما بسبب تمسك فرناندە الثانى بدعوى سيادته على المملكة البرتغالية الناشئة بحجة وراثته لها عن والده القيصر الفونسو السابع ريموندس ، وبطبيعة الحال رفض الفونسو انريكث هذه الدعوى من قبل ملك ليون ، وعزم على التصدى لاطماع فرناندە فى بلاده ، لذلك فقد بادر بالهجوم على مدينة رودريجو (السبطاط) التى كان فرناندە الثانى قد انشأها لتكون منطلقا لشن غاراته على البرتغال . ودارت بالفعل معركة عنيفة بين الجانبين ، أسفرت عن هزيمة البرتغاليين ووقوع عدد كبير منهم فى أسر الليونيين . وجاء رد الفعل البرتغالى سريعا ، فقد شن الفونسو انريكث هجوما ساحقا على أراضى مملكة ليون ، واستولى فى ٥٦٢هـ (١١٦٧م) على مدينة توى Tuy ثم على مدينتى لمبا وترونيو ، ووضع فيها حاميات برتغالية ، وبرر سلوكه ازاء مملكة ليون بأن تلك المدن التى استولى عليها كانت فيما مضى ملكا لامة الملكة تيريسا ، تلقتها عن والدها الفونسو السادس كهدية لزواجها . ولما كان شانجه الثالث ملك قشتالة وشقيق فرناندە الثانى ملك ليون قد عقد اتفاقا مع أخيه عقب وفاة والدهما الفونسو ريموندس ، بقضى بتقسيم أراضى الاندلس (اسبانيا الاسلامية) الى منطقتى نفوذ ، يختص كل منهما بمنطقة ، فكان من نصيب فرناندە الثانى ملك ليون منطقة الغرب ، وعلى وجه التحديد المنطقة الممتدة من لبلة حتى اشبونة بما فيها منتانجش وماردة وبطليوس ويابرة وشلب بحصونها وقلاعها ، وكذلك نصف مدينة اشبيلية . أما ملك قشتالة ففى حالة استرداد الاندلس من المسلمين تؤول اليه بقية أراضى المسلمين فى الاندلس . لهذا فان اعتداء الفونسو انريكث على بطليوس فى عام ٥٦٤هـ (١١٦٨ / ١١٦٩م) كان يشكل فى نظر فرناندە الثانى اعتداء على ممتلكاته الشخصية ، هذا من جهة ، وينبغى الا نغفل من جهة أخرى الاتفاقية التى عقدت بين أبى يعقوب يوسف وبين فرناندە الثانى ، وبمقتضاها اشتركت قوات الموحدين

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مع القوات الليونية (١) فى محاربة القمط نونة (نونيو بيريث دى لارا) حاكم طليطلة وعدو فرناندە ، وقطع فرناندە عهدا على نفسه بعد تلك الواقعة أن يساعد الموحدين ضد اعدائهم .

ويضاف الى ما سبق أن والى بطليوس ابا على عمر بن تمصيلت كان أحد قادة الموحدين الذين اشتركوا مع فرناندە الثانى فى قتال عدوه دى لارا ، ولذلك فان خروج فرناندە الثانى الى بطليوس لتخليصها من الاحتلال البرتغالى ورفع الحصار عن واليها ابن تمصيلت كان نوعا من رد الجميل له باعتبار انه كان ممن اسدوا له معونة عسكرية من قبل . وكانت عيون فرناندە تطالع تحركات قوات الفونسو انريكث عن كثب ، فما كادت قوات الاخير تقتحم مدينة بطليوس وتحكم الحصار على قصبتها حتى بادرت قوات فرناندە الثانى بالخروج الى بطليوس لاستنقاذها . بل ان فرناندە بادر بارسال أحد جواسيسه الى ابن تمصيلت فى القصبة والى سكان بطليوس يطمئنهم بأنه قادم لنجدتهم ، كما يطلب من ابن تمصيلت أن يدله على أيسر الوسائل التى تمكنه من دخول المدينة . فأرسل ابن تمصيلت مجموعة من رجاله الى موضع فى سور القصبة لم يفطن اليه البرتغاليون ، وانتظر هؤلاء الرجال هنالك الى أن تحققوا من قدوم الليونيين ، وعندئذ « نقب الحائط بابا فى قصبة بطليوس من جهة خفية » ، وخرجت قوة من الموحدين الى أقرب أبواب المدينة ففتحوه ، فاندفع الليونيون داخل المدينة ، ودارت فى شوارعها موقعة عنيفة اشتركت فيها قوات الموحدين . ولما بدت معالم الهزيمة على البرتغاليين آثر الفونسو انريكث أن يولى الادبار وينسحب برجاله من المدينة ، « وخرجوا بجمعهم الى باب قريب من أبواب المدينة وفتحوه ، وأدخلوا منه العسكر المذكور ، فتقاتلوا بداخل المدينة مع أصحاب ابن الرنك والموحدون المحصورون يعينون أصحاب البيبوج (فرناندە) وهم قد سووا الصفوف ، ولبسوا الدروع ، فراى ابن الرنك من تصميم الموحدين

---

(١) ابن صاحب الصلاة ، تاريخ المن بالامامة ، ص ٣٧٠ .

وأصحابهم فى قصبتهم والاقدام عليهم ، وأصحاب البيبوج يجدون مع المسلمين على عسكر ابن الرنك حتى انهزم ،وفر مهزوما(١)» فى شعبان سنة ٥٦٤هـ . ولكن الامور لم تمر بسلام بالنسبة لالفونسو انريكث ، فقد اصيب بكارثة اثناء انسحابه ، ففى اثناء تراجعه من المدينة مذعورا « كان عمود باب المدينة ممدودا ، وقد اعده الله من جنده مغدودا ، فانضغط اللعين ابن الرنك فى الخروج ، فكسر عمود الباب فخذه اليمنى، فسقط مغشيا عليه (٢) » عندئذ حمله اصحابه ، وهو فاقد الوعى الى بليدة قاية Caia الواقعة شمال بطليوس (٣) ، ولكن قوات فرناندو الثانى البيبوج لم تتركه يفر بسلام ، فقد طاردته واسرته مع عدد كبير من انصاره ، وساقوه اسيرا اليه ، مقيدا باغلال من الحديد ، ثم عامله فيما بعد بمنتهى الكرم والشهامة ، وعالج جراحه حتى برأ ، ثم اطلقه وسرحه الى بلده قلمرية مهزوما بعد ان وعده الفونسو انريكث بان يعيد اليه سائر المدن والمناطق التى كان قد انتزعها منه (٤) . ويذكر كل من ابن صاحب الصلاة وابن عذارى ان ذلك الكسر قد اثر على الفونسو انريكث ما تبقى له من عمر ، فقد شلت ساقه ، ولم يعد يستطيع بعد ذلك اليوم ان يركب الخيل . (٥) . وبينما يؤرخ ابن صاحب الصلاة هذه الهزيمة التى تعرض لها الفونسو انريكث بسنة ٥٦٤هـ (١١٦٨م)

---

(١) ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الثالث ، ص ٨٠ . وقد ورد النص فى تاريخ المن بالامامة مفصلا ، فقد اشار الى اشتراك الموحدين بالقصبة فى القتال ، فقال : « وهم قد سووا صفوفهم ، ولبسوا الدروع المحكمات ، وائتلقت على رؤوسهم البيضات ، وحصنت اعضاءهم السواعد والساقات » (ابن صاحب الصلاة ، ص ٣٨١) .

(٢) ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ٨٠ .

(٣) ابن صاحب الصلاة ، تاريخ المن بالامامة ، ص ٣٨٠ . وقاية بليدة تقع غربى بطليوس على مقربة منها .

(٤) محمد عبد الله عنان ، عصر الموحدين ، ص ٣٨ .

(٥) ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص ٣٨٠ — ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الثالث ، ص ٨١ .

الا ان فلوريث Florez يحدد تاريخ الهزيمة بشهر يونيو ١١٦٩م (أى أوائل عام ٥٦٥هـ) (١) . وتسوق المدونة الاولى لتاريخ اسبانيا العام رواية شبيهة بما ورد فى المصادر العربية ، جاء فيها « مضى بعد ذلك (يقصد الفونسو انريكث ملك البرتغال) نحو بطليوس التى تدخل فى نصيب الملك دون فرناندو وذلك فى التقسيم المتفق عليه لاراضى المسلمين عند استردادها » .

«Badaioç auie caydo al rey don Fernando en partida de los terminos que eran aun de conquerir de Moros».

ثم يقول : « وبلغ خبر دخول البرتغاليين بطليوس الى فرناندو ملك ليون ، فبادر بالخروج على راس قواته ، واشتبك داخل بطليوس مع الفونسو انريكث ملك البرتغال وتغلب عليه ، فانسحبت قوات البرتغاليين بينما كانت قوات المسلمين محصورة فى برج . وعند مغادرة الفونسو انريكث باب بطليوس اصطدم بعمود حديدى كان يغلق به الباب ، فاصيب فخذه ، ولم يستطع ان يمتطى جواده ، فسقط على الارض ، ثم وقع اسيرا بعد ذلك ، ومثل بين يدى الملك دون فرناندو ، فاحسن استقباله ، وتلطف معه .

(et el rey don Fernando reçibiol bien et con piedad)

واجلسه معه فى منصته الملكية ... ومنذ ذلك الحين لم يعد الملك الفونسو ملك البرتغال قادرا على استخدام الخيل بسبب ساقه التى اصيبت عند انسحابه من بطليوس

(El dalli adelant este rey don Alffonsso de Portogal non pudo usar de fecho de caualleria por razon de la pierna quel crebara en la sallida de la puerta de Badaioç como dixiemos).

ثم خرج اليه المسلمون المحصورون فى البرج المشار اليه ، وسلموه قصرهم

---

(١) Florez, la Españez, Sagrada, t. XXII, PP. 95, 96.

وقطبة المدينة ، وقد اكرمهم الملك واستوثق منهم ، واقام عليهم رجلا يدعى ابن هابل أو ابن حابل Abenhabel (لعله الحافظ) وعهد اليه بمهمة الدفاع عن المسلمين فى المدينة » (١) .

اما جرانده فقد فر « الى موضعه حتى مكن الله منه سيف امير المؤمنين بن امير المؤمنين » (٢) ، وفى رواية اخرى انه اسر مع الفونسو انريكث ، ثم اطلق سراحه مع الفونسو انريكث (٣) ، ونحن نميل الى الاخذ بنص ابن صاحب الصلاة . ويذكر أشباخ نقلا عن الاسقف رودريجو خيمنث دى رادا أن فرناندو الثانى اقر بعد انتصاره على البرتغاليين ابن حابل Abenhabel واليا على مدينة بطليوس (٤) ، كما اشارت المدونة العامة لتاريخ اسبانيا الى نفس الاسم (٥) ،ولكن هذا القول مشكوك فى صحته لسببين : الاول أن فرناندو الثانى لم تكن له اى سلطة او سيادة على بطليوس حتى يقلد عليها واليا دون آخر ، فبطليوس كان يتولاها عامل من قبل الموحدين ، ومن المنطقى الا يتدخل فرناندو فى

---

(١) Primera crónica general de España; pp. 675, 676.

(٢) ابن صاحب الصلاة ، تاريخ المن بالامامة ، ص ٣٨٢ . وقد احالتنا ابن صاحب الصلاة فى ذكر تفاصيل سقوط جرانده الجليقى فى يد الخليفة الموحدى الى سفره الثالث المفقود ، ولكننا تمكنا من الاطلاع على تفاصيل ذلك فيما كتبه البيذق وابن عذارى ، وتبين أن جرانده قدم فى سنة ٥٦٩ (١١٧٣م) الى اشبيلية مع أصحابه الادلاء ليعمل فى خدمة الموحدين ، فرحبوا بمقدمه وأحسنوا اليه . ولما علم الفونسو انريكث بذلك استاء للغاية ، فراسله سرا ، وأمره بأن يغدر بالموحدين فى الوقت المناسب ، فلما علم الموحدون بذلك أرسلوه مكبلا بالاغلال الى سجلماسة ، وحاول جرانده الفرار من أحد المراسى ، فقتل واحتزت رأسه (البيذق ، اخبار المهدى بن تومرت ، ص ١٦٨ ، ١٦٩ — ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الثالث ص ١٠٣ ، ابن صاحب الصلاة ، تاريخ المن بالامامة ، ص ٣٨٢ هامش ١) .

(٣) محمد عبد الله عنان ، عصر الموحدين ، ص ٣٨ .

(٤) اشباخ ، تاريخ الاندلس ، ص ٢٨٠ ، ٢٨١ .

(٥) Primera Crónica General de España, p. 676.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ادارتها وولاية امرها ، لذلك نرجح أن فرناندو سلم المدينة الى واليهـا ابن تمصيلت ورحل (١) . والثانى أن اسم ابن حابل الذى ذكره الاسقف رودريجو أو ورد فى المدونة الاولى العامة لتاريخ اسبانيا تحريف واضح للقب واليها المسلم ابن تمصيلت ، فهناك تشابه واضح فى النطق بـين حابل وحافظ وهو لقب ابن تمصيلت .

وايا ما كان الامر فقد وصلت تلك الاخبار السارة الى الشيخ أبـى حفص عمر ، وكان فى تلك الاثناء فى طريقه الى بطليوس لانجادها ، فسر للغاية ، وبادر بابلاغ ذلك للخليفة ابى يعقوب يوسف ، بينما قفل فرناندو الثانى عائدا الى بلاده ظافرا .

د - محاولات جرانده الجليقى السيطرة من جديد على بطليوس :

على الرغم من تغلب الليونيين على البرتغاليين فى بطليوس سـنة ٥٦٤ فان أطماع هؤلاء فى هذه المدينة لم تنته عند ذلك الحد ، وظـل المغامر البرتغالى جرانده الجليقى يأمل فى انتهاز اى فرصة للاغارة على بطليوس والاستيلاء عليها ، ولذلك اقام فى حصن جلمانية بالقرب من بطليوس يراقب عن كثب ، ويستطلع أحوال الغرب كله . وقد أتاحت له الظروف فرصة الاغارة من جديد على بطليوس ، وذلك عندما أمـر الخليفة ابو يعقوب يوسف فى نفس عام ٥٦٤هـ (١١٦٨ - ١١٦٩م) الذى وقعت فيه الغزوة البرتغالية السابقة على تلك المدينة بخلع ابـن تمصيلت عن ولايتها وتولية الحافظ ابى يحيى بن الشيخ ابى حفص عليها بدلا عنه . وفى ذلك يقول ابن صاحب الصلاة : « وفى هذه السنة ، مدة اقامة الشيخ المرحوم ابى حفص بقرطبة توجه ابنه الحافظ الاسنى ابو يحيى واليا الى مدينة بطليوس عن الامر العالى ادامة الله مـن

---

(١) محمد عبد الله عنان ، المرجع السابق ، ص ٣٨ .

حافظ عالى ، ناظم لاشتات المعالى ، غيث فى الندى ، ليث على العدى ، حاتم قبيلة ، واسد الفوارس فى غيله ، مع انبساط وجه ونفس، وروضة يانعة فى المجالسة ، وانس وعفاف ووقار ، وحفظ للحديث والعقائد باستظهار ...» (١) .

ومنذ أن ولى الحافظ ابو يحيى بن ابى حفص امر بطليوس وهو يسعى الى زيادة تحصينها ، فشرع فى تحصين أسوارها الى جانب تامين وصول مياه نهر واديانه اليها ، ولذلك فقد قام بتنفيذ اوامر الخليفة ابى يعقوب التى كانت تقضى بحفر بئر فى داخل قصبة مدينة بطليوس ليتسرب اليها ماء نهر واديانه ، ضمانا لتوفير المياه داخل القصبة فى حالة تعرضها للحصار او الهجوم . ويذكر ابن صاحب الصلاة انه « جد فى حفر البئر المذكور بالعدانين والفعلة فى ذلك وهى المعروفة عند العامة بالقوراجة ، وجلب الماء اليها ، فتحصنت القصبة ، وقويت بها النفوس الآمنة » (٢) . ومما لاشك فيه ان هذه البئر كانت من اهم العوامل التى زادت من حصانة القصبة ومناعتها . ولما كان جرانده مقيما بجلمانية التى كانت ماتزال فى قبضة البرتغاليين فقد كان محيطا

---

(١) ابن صاحب الصلاة ، تاريخ المن بالامامة ، ص ٣٩٢ .

(٢) ابن صاحب الصلاة ، تاريخ المن بالامامة ، ص ٣٩٢ .
والقوراجة (بالاسبانية Coracha) سور فرعى قصير أو ستارة تتصل بالسور الاصلى وتنتهى عادة ببرج برانى يدعم الدفاع عن المنطقة التى يقوم فيها (انظر

Elsayed Abdel Aziz Salem, obras almohades en la muralla almorávide de Sevilla, Revista del Instituto Egipcio de Madrid, vol. XX, 1979 - 1980; p. 179, Robert Ricard, «Couraça et coracha», al - Andalus 1954, pp 149 - 172.

وكان البئر يقام عادة فى تلك المنطقة التى تحميها القوراجة ، وكان سبب استيلاء البرتغاليين على شلب ، فيما بعد ، استحواذهم على القوراجة وتحكمهم فى البئر (انظر ابن صاحب الصلاة ، تاريخ المن بالامامة ، ص ٣٩٢ هامش ١) .

بكل ما يجرى فى بطليوس من تحصينات دفاعية ، ولهذا لم يتردد فى اهتبال تلك الفرصة ، وبادر بالهجوم على أحواز بطليوس ، وظل يغير على تلك المناطق المحيطة بالمدينة مدة شهور متتالية ، والتزم والى المدينة أسلوب الدفاع . ويعبر ابن عذارى عن هذه الحوادث بقوله : « وفى مدة اقامته دارت بينه وبين جرانده النصرانى حروب صبر فيها ابو يحيى ، واستبد بدفاع اللعين ، ودام على جهاده شهورا (١) » . ولما لم يجد جرانده نتيجة فعالة من هذه الاغارات المتواصلة ، أعد حملة عسكرية شارك فيها كثير من أهالى شنترين ، وعمل على خداع أهل بطليوس ووواليها ، فكمن لهم فى مواضع خفية عن عيونهم ، ثم أغار على أحواز مدينة بطليوس فخرج اليه واليها الحافظ أبو يحيى فى قوة من الموحدين ، فتظاهر جرانده بالهزيمة ، وتراجعت قواته ، فظن الموحدون انه انهزم ، وأخذ يولى الادبار ، فشجعهم ذلك على مطاردته ، فتمادى جرانده فى خداعه لهم ، فلما ابتعدوا عن المدينة خرجت كمائنه المنصوبة واطبقت عليهم (٢) ، فسحق البرتغاليون فى ذلك اليوم قوات الموحدين ، وأسروا عددا كبيرا من كبار رجالهم ، افتدى اكثرهم بماله فيما بعد . وبعد أن اطمأن جرانده الى انتصاره ، انصرف عن بطليوس (٣) . وكان من بين الاسرى من الموحدين رجل يدعى على ابن صاحب الصلاة ، بلغ فداؤه ما يقرب من ثلاث مائة دينار ، (٤) ولم نتوصل الى معرفة أى تفاصيل عن هذا الشخص ، لاننا لم نقف على ترجمة له فى كتب التراجم ، ويعلق الاستاذ الدكتور عبد الهادى التازى على سيرة هذا الرجل فيذكر انه لم يكن بالتأكيد عليا بن محمد بن عبد

---

(١) ابن عذارى ، البيان ، القسم الثالث ، ص ٨٣ .

(٢) ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص ٣٩٣ . ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الثالث ، ص ٨٣ .

(٣) ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص ٣٩٤ — ابن عذارى ، البيان المغرب ، ص ٨٣ .

(٤) ابن صاحب الصلاة ، نفس المصدر ، ص ٣٩٣ .

الوحدود الذى ترجم له ابن الابار فى ترجمته ، لان على بن محمد هذا كان صاحب الصلاة والخطبة فى مربيطر Murvietdro ، وقد توفى فى سنة ٦٣٣هـ (١٢٣٥م) أى بعد سبعين عاما مضت على هذه الواقعة . وهناك احتمال فى أن يكون أخا لعبد الملك بن صاحب الصلاة صاحب كتاب «تاريخ المن بالامامة» (١) .

ولم تكن هزيمة الموحدين فى أحواز بطليوس آخر الهزائم التى أوقعها بهم جرانده ، فان هذا المغامر البرتغالى لم يكف عن شن غاراته وهجماته على هذه القاعدة الثغرية الهامة ، وساعده على ذلك أن مدينة بطليوس تعرضت فى أوائل عام ٥٦٥هـ (١١٦٩م) ، أى فى أعقاب سقوطها فى يد الفونسو انريكث عام ٥٦٤هـ لحالة من الجدب ، فقد ذكر ابن عذارى أن فى هذه السنة ، « فى رجب زاد ضعف مدينة بطليوس من القوت » (٢) . ولم يكن الجدب الذى أصاب بطليوس قاصرا عليها وحدها ، فقد شمل بلاد الاندلس كلها نتيجة الجفاف وتوقف سقوط المطر فى هذا العام ، هذا الى جانب الزلازل الرهيبة التى تواصلت عند شروق الشمس وعند مغيبها طوال شهر جمادى الاولى من عام ٥٦٤هـ (١١٦٨م) الى حد أن بعض مدن الاندلس مثل اندوجر Andujar كادت تهبط فى جوف الارض ، وقد بالغ ابن صاحب الصلاة فى وصف هذه الاحوال المؤسفة التى تعرضت لها الاندلس فى ذلك العام فى قوله : « واتصل بعد ذلك بمدينة قرطبة واغرناطة واشبيلية وجميع الاندلس ، فكان الرائى بعينه ، يرى حيطان الديار تضطرب وتميل حتى الى الارض ثم ترتفع وترجع على حالها بلطف الله تعالى ، وتهدمت من ذلك مواضع ديار كثيرة فى البلاد المذكورة ، وصوامع مساجد » (٣) . ومما زاد من محنة بطليوس ترقب جرانده لها من

---

(١) نفس المصدر ، ص٣٩٣ ، حاشية ٢ .

(٢) ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ٨٤ .

(٣) ابن صاحب الصلاة ، كتاب المن بالامامة ، ص ٣٩٧ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مقر اقامته فى جلمانية وانتهاز الفرصة للاغارة عليها كلما سنحت له ، اذ كان يغير عليها وعلى احوازها أولا بأول كلما وصلت اليها اى امدادات أو مؤن كى نضعف قوتها وتنهار عزائم اهلها ، فيتيسر عليه الاستيلاء عليها ، وظل الامر كذلك حتى ضاق اهل المدينة بهذه الحالة (١) ، وطالبوا اشياخ الموحدين باشبيلية بتزويدهم بالاقوات والميرة ، فاستجاب الموحدون لطلبهم وارسلوا من اشبيلية « ميرة موفورة من الطعام والآلات والمحلات لتحمل اليها ، فاجتمع فى ذلك نحو خمسة آلاف دابة موفورة بما ذكر ، وتقدم عليها الحافظ ابو يحيى زكريا بن على بعسكر اشبيلية ، فوصل بالميرة المذكورة والعسكر الى مقربة من بطليوس » (٢). غير ان جرانده ، وكان يترصد هذه القافلة ، لم يتركها تصل الى مقصدها ، فبادر بمهاجمتها كعادته فى كل مرة تصل فيها الامدادات الى بطليوس . ولم يكن جرانده فى هجومه يعتمد على قواته وحدها ، وانما سانده فى هذا الهجوم الغادر على قافلة الامدادات نصارى شنترين، وكانوا اكثر حلفائه نشاطا وهمة ، فاضطر الموحدون القادمون من اشبيلية وفى مقدمتهم الحافظ ابو يحيى الى القتال يوم ٢٦ شعبان سنة ٥٦٥هـ (١٤ مايو ١١٧٠م) دفاعا عن انفسهم وعن الامدادات والمؤن التى كانت موجهة لانقاذ اهالى بطليوس ، واستمر القتال طوال ساعات النهار ، وانتهى بهزيمة المسلمين ، وقتل واسر عدد كبير منهم ، واستشهد الحافظ زكريا ، واستولى البرتغاليون على المؤن كلها . ووصل نبأ هذه الكارثة الى الشيخ المرحوم ابى حفص بقرطبة والى الموحدين باشبيلية ، فساءهم ذلك ، وعرفوا بذلك الحضرة العلية » (٣) .

وكان الخليفة ابو يعقوب يوسف يعانى من ضعف ومرض ألم به فى

---

(١) ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص ٣٩٩ .

(٢) ابن عذارى ، البيان ، القسم الثالث ، ص ٨٤ .

(٣) ابن صاحب الصلاة ، تاريخ المن بالامامة ، ص ٣٩٨ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تلك الآونة ، وكانت آثاره قد بدأت فى الظهور عليه منذ أوائل عام ٥٦٥هـ ، مما حال بينه وبين القيام بالغزوة التى كان قد وعد بها الموحدين فى الاندلس فى كتابه الذى أرسله اليهم عندما تعرضت بطليوس للهجوم البرتغالى الاول فى عام ٥٦٤هـ ، ولكن الخليفة أبا يعقوب يوسف رغم مرضه وضعفه لم يتردد فى استنفار الموحدين من كل مكان واستقدام العرب من افريقية وتزويدهم بالعطاء والكساء : فقد كانت الظروف السيئة التى تجتازها الاندلس تدفعه على ضرورة التحرك العسكرى فى الاندلس ومواجهة مصدر الخطورة من ناحيتين : شرق الاندلس وكان يمثل المصدر الاول اذ كان ابن مردنيش لايكف عن الاغارة على أراضى ابراهيم بن همشك منذ ان دخل الاخير فى طاعة الموحدين ، مما دعاه الى الاستنجاد بالخليفة وبالشيخ ابى حفص فى قرطبة المرة اثر المرة . أما المصدر الثانى للخطورة على الاندلس والذى كان يقض مضاجع الموحدين فهو الغرب ، وبالذات بطليوس أهم قواعد الاندلس الثغرية فى الغرب والتى تعرضت للعدوان البرتغالى مرات متعددة .

ولما راى الخليفة ابو يعقوب يوسف أن الامر قد أصبح لايحتمل التاجيل ، قرر رغم ظروفه الصحية غير المواتية أن يبعث السيد أبا حفص بعساكر الموحدين لغزو ابن مردنيش وحلفائه النصارى الذين كانوا معه (١) . فخرج السيد ابو حفص بالفعل من مراكش فى أول ذى القعدة من عام ٥٦٥هـ (١١٦٩م) وصحبه فى هذه الغزوة أخوه أبو سعيد فى جماعة من كبار شيوخ الموحدين ، وشارك بعض كبار زعماء الاندلس فى هذه الغزوة امثال ابو محمد سيدراى بن وزير وأخوه أبو الحسن ، ثم قسم الموحدون أنفسهم ، فكان من نصيب السيد أبى سعيد قيادة الحملة المتجهة الى بطليوس بهدف وضع حد لهجمات المغامر البرتغالى جراندە ، وقد اختار الشيخ ابو سعيد أن يصحبه فى هذه

---

(١) ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الثالث ، ص ٨٤ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الغزاة كل من ابى محمد سيدراى بن وزبر وابى العلاء بن عزون لمعرفتهما بثغر بطليوس ، بالاضافة الى ثقته الكبيرة فى رجاحة آرائهما (١) .

هـ - تطهير احواز بطليوس من الاحتلال البرتغالى :

فى هذه الاثناء تعرضت بطليوس لخطر جديد اضيف الى الخطر البرتغالى ، فقد كان فرناندە الثانى الببوج ملك ليون الذى سبق ان خلص بطليوس من قبضة الفونسو انريكث قد قرر الاستيلاء على هذه المدينة الهامة خوفا عليها من اطماع ملك البرتغال ، لاسيما بعد ان عاين اصرار جراندة وسيده الفونسو انريكث على الاستيلاء عليها ، فاثار ذلك مخاوف فرانده وقلقه وخشى ان ينتهى الامر بسقوط هذا الموقع الاستراتيجى الخطير فى أيدى البرتغاليين ، وهو الذى كان يمنى نفسه بضمه مستقبلا الى ممتلكاته وذلك عندما يتم استرداد النصارى لهذه المدينة . ولما كان فرناندە حريصا على ضمها الى ملكه فقد اسر فى نفسه انه « اولى بها دفاعا لعدوه » (٢) . ثم انه خرج فى اول سنة ٥٦٦هـ (١١٧٠م) على مقدمة قواته قاصدا بطليوس لينتزعها من ايدى المسلمين ، فوصل بعسكره وآلات سكناها بالفحص المعروف بالزلاقة فى نفس الوقت الذى كانت تقترب فيه جيوش الموحدين من المدينة ، فلما علم السيد ابو سعيد بتحركات الببوج المريبة حاول ان يضع حدا لذلك الخطر الليونى بطريقة سلمية ، فبادر بارسال كل من ابى محمد سيدراى بن وزير وابى العلاء ابن عزون فى وفد من اشياخ الموحدين الى معسكر الببوج للكشف عن حقيقة نواياه ومعرفة ما اذا كان مايزال باقيا على الصلح المعقود بين دولتيهما أم انه نكث باتفاقه مع الموحدين ، فلما دخلوا عليه « رحب بهم وتكلموا معه فيما وفدوا فيه ، فقال : انما خرجت لحمايتها وامساكها

---

(١) ابن صاحب الصلاة ، تاريخ المن بالامامة ، ص ٤٠٠ .

(٢) ابن صاحب الصلاة ، تاريخ المن بالامامة ، ص ٤٠١ .

لامير المؤمنين بن امير المؤمنين أيدهم الله ، فشكروه ، وعرضوا عليه الاجتماع مع السيد الاسنى (ابى سعيد) وتجديد الصلح بينهما ، فأجاب الى ذلك (١) » . فلما عاين منه ابو محمد سيدراى بن وزير وابن عزون حسن نواياه عرضا الامر على السيد ابى سعيد ابن الخليفة ابى يعقوب والقائد الاعلى للجيش ، فأجاب الى ذلك ، فتقدم فرناندة البيوج الى بطليوس فى طائفة من اقماطه ورجال دولته حتى اصبح على مقربة منها ، والتقى بالسيد ابى سعيد « هذا راكب على فرسه ، وهذا راكب على فرسه ، وتكلم ابن وزير وابن عزون مع ترجمانه بما يصلح من الصلح بينهما ، حتى كمل الغرض المراد ، واتصل العهد والسداد ، وانصرف فرناندة البيوج بعسكره الى بلاده » (٢) .

اما السيد ابو سعيد ، فقد انتهز هذه الفرصة ، فخرج على رأس جيشه الى حصن جلمانية ، مقر قيادة جرانده الجليقى ، وقاعدة غاراته على بلاد الغرب وعلى بطليوس ، وقد عزم على الاستيلاء عليه وهدمه . فافتتحه عنوة ، وانتسفه ، وكان ذلك فى شهر ربيع الاول من عام ٥٦٦هـ (نوفمبر ١١٧٠م) ثم عاد بعد ذلك الى اشبيلية (٣) « وقد احيا بطليوس ، واجلى عنها كل بأس » (٤) .

وفى عام ٥٦٧هـ (١١٧٢م) خرج الخليفة ابو يعقوب يوسف من اشبيلية الى غرب الاندلس ليثبت نفوذ الموحدين فى هذه المنطقة ويمكنه ، ومر فى طريقه اليها بشنترين فحاصرها فترة من الوقت ، وارهب اهلها ،

---

(١) المصدر السابق ، ص ٤٠١ ، ابن عذارى ، البيان ، القسم الثالث ، ص ٨٦ .

(٢) نفسه ، ص ٤٠١ .

(٣) ابن عذارى ، البيان ، القسم الثالث ، ص ٨٦ .

(٤) ابن صاحب الصلاة ، تاريخ المن بالامامة ، ص ٤٠٢ .

ثم تابع سيره فى هذه الغزوة حتى مدينة السبطاط Ciudad Rodrigo ثم عاد الى اشبيلية وقد جر وراءه عددا كبيرا من الاسرى البرتغاليين (١) ثم عقد العزم فى نفس هذه السنة على تامين الاقوات والميرة والعدد لبطليوس ، فارسل « ميرة كبيرة الى بطليوس من القمح والشعير والآلات المعينات والاقوات المقتوتات على اربعة آلاف بغل اليها فى صحبة عسكر مبارك من الموحدين ، انجدهم الله ، والعرب يسيرون بالميرة والمرافق والمصالح الى بطليوس المذكورة ، حماها الله ، فحضر العسكر المبارك عند الامر العزيز اليهم ، وجازوا على القنطرة الموضوعة على الوادى إلى اطريانة ، وذلك فى اليوم الثالث من اكمال عملها ، الثامن من صفر سنة سبع وستين وخمس مائة المؤرخة ، وهذا العسكر اول عسكر جاز عليها ، فاوصل الميرة اليها على أوفى الامن ، واحياها ، وخصها بالنظر المتدارك عن الامر العزيز وحياها ، وانصرف بعد توصيل الميرة سالما وغانما ظافرا » (٢) .

ولما تهيأ للموحدين تعزيز الدفاع عن بطليوس وتزويدها بما يلزمها من عدد وآلات ، ومؤن واقوات ، استجابوا لمشورة ابى العلاء بن عزون بتطهير النواحى المحيطة ببطليوس من الاحتلال البرتغالى ، لاسيما حصن لبيون Lobon الواقع على مقربة منها الى الشرق ، وكان مايزال يحتله « جملة من اصحاب حراندة ، فنازلوا الحصن ، واستولوا عليه فى الحين ، وتغلبوا على من كان قد بقى فيه من البرتغاليين » (٣) .

و - استيلاء البرتغاليين على باجة ونتائجه :

عندما نبين لالفونسو انريكث فشل جرانـــده فى الاستبـلاء على

---

(١) يوسف اشباخ ، تاريخ الاندلس فى عهد المرابطين والموحدين ، ص ٣٢٠ .

(٢) ابن صاحب الصلاة ، تاريخ المن بالامامة ، ص ٤٦٢ .

(٣) ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص ٤٦٣ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بطليوس ، والاحتفاظ بقاعدتيه جلمانية ولبيون ، حول انظاره الى مدينة باجة المتصلة بأعمال ماردة . ولعل اهتمامنا بذكر بعض تفاصيل هذه الغزوة البرتغالية لباجة مرجعه رغبتنا في توضيح حالة الغرب في تلك الفترة الحرجة من الحكم الموحدى ، وبالتالى لمعرفة الآثار المترتبة عليه بالنسبة لبطليوس . فمدينة بطليوس بلا شك كانت تتاثر حتما بالظروف المحيطة بها في بلاد الاندلس بوجه عام ، فما بالنا بالظروف المحيطة ببلاد الغرب الذى تمثل هى ذاتها قاعدته ، فغزوة مثل تلك الغزوة البرتغالية على باجة على سبيل المثال كانت - بدون ادنى شك - عاملا من العوامل التى اخلت بالاوضاع السياسية والعسكرية ناهيك عن الاقتصادية والاجتماعية في الغرب الاندلسى كله ، وتسببت في اضطراب احوال مدنه ، وبطبيعة الحال فان خروج سكان هذه المدينة منها بعد سقوطها في ايدى البرتغاليين كان له اعمق الاثر على الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية لسائر مدن غرب الاندلس ، فبعد استيلاء البرتغاليين على باجة ، وتخريبهم لعمرانها ، كما سنوضح في الصفحات التالية ، اضطر العدد الاعظم من سكانها الى تركها والهجرة الى المدن المجاورة . ومن المنطقى ان تكون بطليوس - اهم قواعد الغرب - على رأس تلك المدن التى استقبلت تلك المجموعة المهاجرة من بطش البرتغاليين ، ولعل مثل هذا الوضع كان كفيلا بان يهز اقتصاديات بطليوس ، خاصة وانها لم تكن قد افاقت بعد من الضربات المتواصلة التى كانت تتلقاها من قوات جرانده ، واعتراضه طريق المؤن والامدادات الواصلة اليها . وقد اشرنا فيما سبق الى تعرضها لازمة اقتصادية طاحنه بسبب انحباس مياه الامطار ، بالاضافة الى الزلازل المدمرة ، وان كان ضفها قد فاق اكثر مدن الاندلس بسبب ابتلائها بهجمات ذلك المغامر البرتغالى المرتزق جرانده . هذا الى جانب افتقادها لصمام الامان والاستقرار ، واحساسها الدائم بانها معرضة للغارات البرتغالية المتواصلة .

لقد كان عمر بن تمصيلت - والى بطليوس السابق - قد تولى حكم مدينة باجة لفترة قصيرة عقب عزله عن ولاية بطليوس ، ولكنه

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لم يفلح فى ادارة هذه المدينة التى كانت تحتدم بنار الفتن والاضطرابات منذ أن اقصى عن ولايتها سيدراى بن وزير . ولذلك لم تطل ولاية ابن تيمصيلت ، فوليها بعده طالب بربرى سخيف العقل يدعى عمر بن سحنون ، وكان رجلا فظا سيئا طائشا ، استعان بوزير بدوى من سفلة القوم بمدينة باجة طغى وبغى ، واساء السيرة فى الناس ، واصطنع العنف فى الاستيلاء على اموال الناس بغير حق والاعتداء عليهم ، وقد اعانه فى ارتكابه لهذه المظالم عمر بن زرقاج قاضى المدينة ، مما دعا اهل باجة يضجون من عسفه ، ويضيقون ببغيه وظلمه ، فاشتدت الفتنة لذلك ، وساءت احوال باجة (١) فى الواخر عام ٥٦٧هـ (١١٧٢م) فى الوقت الذى شغل فيه الخليفة ابو يعقوب يوسف بغزوة وبذة . ولما كان البرتغاليون على علم تام بما يجرى فى بلاد الغرب بحكم مجاورتهم للمسلمين فى هذا الصقع من بلاد الاندلس وسيطرتهم على شنترين ويابرة وقصر ابى دانس ، فقد ادركوا ان فرصتهم للسيطرة على باجة قد تهيأت تماما ، وكان الدفاع عن باجة قاصرا ، فابن سحنون واليها كان يحرم الحراس والجند من رواتبهم واعطياتهم مما دفعهم الى الغفلة الحراسة والتقصير فى المراقبة والسهر على الاسوار والابراج . واتفق ان احد ابراج قصبة المدينة ، وهو برج الحمام كان خاليا من الحراسة اثناء الليل ، « وكان البرج المذكور فيه سامر يأنفذ فى الليلة على سميره قيراطا من قطع ، فاتخذه له ، وترك البرج مضاعا دون سامر ، فوصل النصارى الى السور فى ليلة مظلمة ، وهم يتسللون على أيديهم وأرجلهم .... » (٢) ، وهى الليلة التى قرر فيها جرانده مهاجمة المدينة (ليلة مستهل المحرم سنة ٥٦٨هـ / ٢٣ اغسطس ١١٧٢م) ، والمعروف ان جرانده كان يؤثر التحرك فى الليالى المظلمة حتى لايفطن الى تحركاته احد من الحاميات الاسلامية . فلما كادت قواته تصل الى

---

(١) ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الثالث ، ص ١٠٢

(٢) ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ١٠٠ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

السور حتى بادروا بوضع السلالم لصق برج الحمام خفية دون ان يشعر به أحد من حراس المسلمين بالقصبة ، ثم صاحوا بلغاتهم صيحات عالية ايقظت واليها ابن سحنون من نومه ، فبادر بالتوجه الى باب القصبة ، فوجد البرتغاليين ونصارى شنترين قد استولوا على البرج وفتحوا بابه واندفعوا داخل القصبة واحتلوها على الفور ، فترامى ابن سحنون من أعلى البرج ونزل بداخل المدينة ، ثم تدلى من سور المدينة الى فحص باجه ، وفر بنفسه على قدميه الى مدينة مرتلة دون ان يعبأ بمصير باجة واهلها . ويصف ابن عذارى موقف البرتغاليين من سكان المدينة وقصبتها بقوله : « واتصل الصياح وضجيج الروم بالقصبة والمدينة ، ففر الناس على وجوههم من ابوابها ، فقتلوا فى الابواب ، واسروا فى كل جناب » (١) ، ووقع فى اسرهم ابناء ابن سحنون وبناته واهله ، واستولوا على اموالة ، وكذلك اسروا ابناء القاضى ابن زرقاج ، وسبوا كثيرا من نساء باجة الا من وفق فى الخروج منها ، واستشهد على باب برج الحمام ابو جعفر بن اسماعيل بن صاحب الصلاة وغيره من سكان المدينة . ولم يمكث النصارى طويلا بالمدينة ، فقد رأى الفونسو انريكث انه لن يستطيع الدفاع عنها لضخامتها واتساع عمرانها ، واكتفى بهدم اسوارها واحراق مزارعها ، وفى ذلك يقول ابن عذارى : « ولما اخذ ابن الرنك اللعين باجة ودخلها ، عاين كبرها ، وانها لايمكن امتناعها لاتساعها ، فاخلاها ، وحرقها ، وهدم سورها ، واسر اهلها الى ان انقذها الله من الاسر بالفداء ، ومشى كثير منهم الى مراكش وغيرها يطلبون من الناس ، فوجدوا عندهم الحنان بالعطاء والايناس » (٢) .

ومن العجيب أن يسكت الموحدون على هذا الاعتداء البرتغالى الغاشم على باجة ، وربما يرجع السبب فى سكوتهم الى اشتغال الخليفة

---

(١) ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الثالث ، ص ١٠٢

(٢) ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ١٠٣ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

منذ وصوله الى اشبيلية ببناء المسجد الجامع بفصبتها ، وتخطيط قصور البحيرة وبساتينها ، هذا بالاضافة الى انشغال الموحدين فى عام ٥٦٨هـ (١١٧٢م) بمواجهة القشتاليين والاشتباك معهم فى معارك طاحنة ، وكان يقود جيوش قشتالة فى تلك المعارك القومس المعروف بالاحدب (١) ، وقد انتهت هذه المعارك بانتصار قوات الموحدين على قوات القومس الاحدب ، واستيلائهم على خيولهم وكراعهم ، بل ان الموحدين تمكنوا من استنقاذ أسرى المسلمين ، وقتلوا الاحدب واحتزوا راسه من جسده وهو على سريره فى خبائه . وكان لهذا الانتصار الذى أحرزه الموحدون اكبر الاثر فى رفع الروح المعنوية عند المسلمين ، فبادر الموحدون بتجهيز حملة قوامها اربعة آلاف فارس الى بطليوس لتحمل المؤن والميرة والعتاد ، تولى قيادتها ابو يعقوب يوسف بن ابى عبد الله تيجيت ، وكذلك عبد الله بن اسحق بن جامع ، « تحركا من اشبيلية فى اربعة آلاف فارس من الموحدين ـ اعزهم الله ـ ومن الاجناد الاندلسيين ومن العرب ، ومعهم الميرة المذكورة على ثلاثة آلاف دابة من القمح والشعير والدقيق والزيت والملح والآلات والمرافق واستعداد الارزاق لاهلها رفقا لهم فى المضايق (٢) » . وعندما وصلت هذه المؤن الى بطليوس ، تم تسليمها الى واليها انذاك ابى غالب بن ابى الحسين بن الموصلى ، وينتسب

---

(١) هو القومس خيمينو وكان واليا على مدينة آبلة ، وعرف فى البيان المغرب بالقومس المسن الضال المعروف بالاحدب ، بينما يسميه ابن صاحب الصلاة « القومس المسن الضال شان منوس عظيم النصارى بآبلة (ابن صاحب الصلاة ، ص ٥١٨) كذلك اطلق عليه ابن صاحب الصلاة ، ص ٥١٨) اسم « ابو بردع » (انظر ابن صاحب الصلاة ، تاريخ المن بالامامة ، ص ٥٢١) لانه كان يفضل ركوب جواده فوق بردعة حريرية وثيرة مرصعة بمختلف انواع الجواهر الثمينة . وكان القومس الاحدب قبل هذه الغزوة التى انتهت بمصرعه وهزيمة قواته امام الموحدين قد قام بغارات كثيرة مخربة على طريف والجزيرة الخضراء (انظر ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص ٥١٨) .

(٢) ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص ٥٢٦ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الى اسرة الموصلى وكانت من بين الاسرات البارزة فى بطليوس لصدارتهم فيها وزعامتهم • ويرجع بنو الموصلى فى الاصل الى قرية موصل باشبونه ، ومنهم عبيد الله بن خليفة الذى كان قد تولى قضاء اشبيلية فى عهد المرابطين ، ومنهم ايضا شيخ « من أهل بطليوس راسه كالنعامة بياضا كان قد وقع فى اسر البرتغاليين عند دخولهم بطليوس فىسنة ٥٦٤هـ »(١) •

وعلى اثر تلك الموجة العاتية من غزوات الموحدين اخذ ملوك المسيحية فى اسبانيا يسعون الى مهادنة الموحدين وموادعتهم ، واول من بادر بطلب الصلح منهم « القومس نونة صاحب طليطلة ظئر اذفونش الصغير (وهو نفس الفونسو الثامن) لعنه الله ، ثم تابعه اذفونش بن الرنك صاحب قلمرية » (٢) • وكان الفونسو الثامن ملك قشتالة قد سبق الفونسو انريكث فى طلب الصلح (٣) ، ولم يستجب ابو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن لعقده بسهولة ، فقد استمرت المفاوضات ما يقرب من شهرين وانتهى الامر باكتمال السلم والتوصل الى المهادنة مع هذين الملكين المذكورين ، وتم ذلك فى شهر ذى الحجة سنة ٥٦٨هـ (يوليو ١١٧٣م) • وكان هدف ابى يعقوب من قبول عقده رغبته الصادقة فى التفرغ لتحصين مدن الغرب المتضررة ، واعادة بنيان باجة •

ثم كان وصول جرانده الجليقى ، كما سبق ان اشرنا اليه ، الى اشبيلية فى بداية عام ٥٧٩هـ ، طالبا من الخليفة ابى يعقوب يوسف الصفح والعفو ، وان يقبله عبدا خديما لديه ، ليعيش سامعا طائعا له (٤) • ولعل ذكاء جرانده هو الذى هداه الى التماس العفو من الخليفة بهدف كسب ثقته فيه ، فهو مغامر مرتزق غادر ، شانه فى ذلك

---

(١) ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص ٤٥١ •

(٢) نفس المصدر ، ص ٥٢٦ •

(٣) محمد عبد الله عنان ، عصر الموحدين ، ص ٩٠

(٤) ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الثالث ، ص ١٠٣ •

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

شأن السيد الكنبيطور (١) ، يجتذبه المال والذهب . فقد ادرك بذكائه الحاد انه بعقد الصلح بين الفونسو انريكث ملك البرتغال وبين ابى يعقوب يوسف خليفة الموحدين سيفقد فرصه السابقة التى كان يثبت من خلالها وجوده العسكرى ، لذلك فقد آثر الالتحاق بخدمة المسلمين عسى ان يجد فى صفوفهم مكانا يستعيد به نفوذه ومكانته الحربية ، فقد توجه الى اشبيلية لعرض خدماته على الخليفة الموحدى فى قوة من ثلثمائة وخمسين فارسا من اتباعه ، وصح ما توقعه ، اذ لم يجد من الخليفة الموحدى الا كل تقدير واكرام « فقبل منه القول ، وانزله ، وامر له بالاحسان والكرامات » (٢) . ولكن الفونسو انريكث كاد ان يفقد صوابه لاستغناء جرانده عن خدمته ، فبدا يراسله سرا ، ويغريه على العودة الى خدمته ، الى ان وقعت بعض هذه المراسلات فى ايدى الموحدين ، وانكشف امر جرانده ، وخشى الخليفة من وجود مؤامرة تحاك فى الخفاء طرفاها الفونسو انريكث وحليفه السابق ، ولذلك اصدر امره بالقبض على جرانده وعلى اصحابه ، « وبعثوا بجملتهم الى سجلماسة ، فاقاموا بها تحت سجن وترقيب ونكال .. ثم همت نفسه فيها بالفرار ليحوز من احد المراسى ، فظهر منه ذلك ، فقتل ، وحز راسه ، وانكفأ عن الاسلام بأسه » (٣) .

هذه قصة جرانده الجليقى ، كما رواها ابن عذارى ، اما البيذق فقد ذكر ان جراندة استمر فى خدمة الخليفة ابى يعقوب يوسف الى ان رحل الخليفة الى المغرب فى شعبان ٥٧١هـ (١١٧٦م) فسار معه فى ركابه الى ان عينه الخليفة الموحدى فى السوس ، وعندئذ بدا جرانده

---

(١) راجع فى ذلك :

David Lopes, O Cid portugués : Geraldo Sempavor, Revista do Historia, Coimbra, 1940, pp. 92, 93.

(٢) ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الثالث ، ص ١٠٣ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٠٣ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بخيانة الخليفة ، فقد اتصل سرا بألفونسو انريكث « فأرسل الكتب ، وقال له : لعلك تعمر القطائع لتأخذنى واجد معكم » (١) . فلما وقعت بعض هذه الرسائل فى أيدى الموحدين ، وعلموا بعرض جرانده الذى تقدم به الى ملكه وسيده السابق الفونسو انريكث بأن يجهز له اسطولا يفتح به تلك البلاد من المغرب لكى تصبح للبرتغال مراكز عسكرية فى السواحل المغربية ، أمر الخليفة بالقبض عليه هو وأصحابه سرا ، ثم أمر بقتل جرانده وتوزيع أتباعه على القبائل ، فسيق جرانده الى درعة حيث تم تنفيذ حكم الخليفة فيه (٢) . وفى سنة ٥٧٠هـ (١١٧٤م) شرع الخليفة أبو يعقوب يوسف فى اعادة تعمير باجة ليعود اليها من هجرها من أهلها وولى عليها أبا بكر بن وزير ، وقدم اليها ابن تمصيلت والى شلب انذاك ، ووالى بطليوس فيما سبق ، فى نحو خمسمائة من الفعلة والعمال لمساعدة سكانها العائدين اليها فى تعمير مدينتهم من جديد . وبلغ عدد من عاد الى باجة من أهلها مائتى شخص بذلوا قصارى جهدهم فى اعادة تعمير مدينتهم ، ولكن ابن وزير استبد بهم واساء اليهم ، فأمر الخليفة بعزله ، واقام مكانه ابن تمصيلت ، وكان واليا رفيقا بأهلها ، رحيما فى معاملته لهم ، فشجع الناس على انتجاعها ، واقر الامور فيها ، وعن هذه الاحداث يقول ابن عذارى : « ثم حدثت بين أهل باجة وبين أبى بكر بن وزير مطالبات وشهوات ، فعقد عقودا على أعيانها بشهادة أهل الزور والاراذل واهل الفجور ، فرمى بها القاضى فى وجوههم ... ثم ان أعيان باجة رفعوا الى حضرة أمير المؤمنين بأحوالهم وما هم عليه مع ابن وزير من سوء السياسة والتدبير ، فأمر بعزله عنهم ، وولى عليهم أبا على عمر بن تيمصليت ، فاتصلت الغبطة بباجة ، وتمكن الناس بقصبتها ، وفى ديارهم الحديثة

---

(١) البيذق ، أخبار المهدى بن تومرت ، ص ١٦٨ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٦٨ .

(٣) نفس المصدر ، ص ١٦٨ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

البنيان » ([1]) .

ز ـ عودة البرتغاليين الى العيث فى الغرب ومصرع الخليفة ابى يعقوب يوسف :

ما كاد الخليفة أبو يعقوب يوسف يغادر الاندلس الى المغرب فى شعبان سنة ٥٧١هـ (١١٧٥م) حتى عاد النصارى الى سابق عهدهم من التعدى على أراضى المسلمين ، فنقضوا عهودهم وخرقوا الهدنة : ففى العام التالى لعبور الخليفة الموحدى الى المغرب انتهز الفونسو الثامن ملك قشتالة فرصة انشغال الخليفة ابى يعقوب يوسف بالوباء الذى اجتاح مراكش ، وخرج بقواته لغزو الاندلس ، واتجه بها الى مدينة قونكة ([2]) فى عام ٥٧٢هـ (١١٧٦م) ([3]) . ولم يكن الخطر المسيحى يهدد المدن الواقعة الى الشمال الشرقى من الاندلس فحسب بل أن غرب الاندلس ايضا تعرض فى تلك الآونة لخطر اقوى واشد ، فقد غدر الفونسو انريكث هو الآخر بالموحدين ، وشن هجوما عاتيا على باجة للمرة الثانية فى سنة ٥٧٣هـ (١١٧٧م) بعد أن كانت قد استعادت ازدهارها ، واكتملت الفجيعة بمصرع ابن تمصيلت فى احدى المعارك التى خاضها مع نصارى شنترين ([4]) ، ولم يقتصر الهجوم البرتغالى على البر وانما حدثت اشتباكات بحرية ([5]) بين الموحدين والبرتغاليين انتهت باستيلاء البرتغاليين على جزيرة شلطيش Saltés واتجهت الوحدات البحرية البرتغالية من هناك الى سبتة ، القاعدة

---

(١) ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الثالث ، ص ١٠٧ .

(٢) راجع وصف قونكة وقصبتها الشاهقة المنيعة المرتفعة فى الجو وقد احاط بها وادى شوقر من الغرب بأجرافه الصعبة فى كتاب تاريخ المن بالامامة ، ص ٥٠٤ ، ٥٠٥ .

(٣) ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ١١١ .

(٤) سنعود الى ذكر تفاصيل هذه الاحداث فيما بعد فى الصفحات التالية

(٥) ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ١١٣ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

البحرية للموحدين ، بهدف تدمير البحرية الاسلامية ، كما هاجم البرتغاليون مع حلفائهم نصارى شنترين فحص الشرف Aljarafe من احواز اشبيلية ، واتخذت غاراتهم شكل موجات متتابعة استمرت خمس سنوات فى الفترة من سنة ٥٧٣هـ وحتى ٥٧٨هـ . وامام هذه الاعتداءات البرتغالية المتكررة على الغرب كان لزاما على ابى يعقوب يوسف ان يتحرك بقواته الى الاندلس لوضع حد لهذا العيث ، وان يعد نفسه للجهاد بعد أن تجاوز العدو البرتغالى حدوده . فاستنفر القبائل ، وحشد الحشود ، وتاهب للجواز الى الاندلس فى أوائل شهر جمادى الآخرة ، وفى ذلك يقول ابن عذارى : « ابتدأ بتمييز القبائل والاجناد فى الخامس من شهر جمادى الآخرة كما ذكرته ، فميزهم قبيلا بعد قبيل ، وامر بعمل عشرة مجانيق فصنعت ، ورمى الرجال بالحجارة قدامه ... دام هذا الحال شهر جمادى كله ، وفى شهر رجب ارتحل الخليفة عن البحيرة المذكورة الى قصره بمراكش » (١) ثم اصدر الخليفة يوم الجمعة الحادى والعشرين من شعبان ٥٧٩هـ (آخر ١١٨٣م) مرسوما بتولية اربعة من ابنائه قواعد الاندلس الرئيسية ، فاقر ولده ابا اسحق على اشبيلية ، وولى ابا يحيى على قرطبة ، وابا زيد على غرناطة ، وابا عبد الله على مرسية . وتم توزيع العدد والاسلحة والخيل على عساكر الموحدين فى منتصف شهر رمضان ، ثم صدرت الاوامر بالحركة فى الخامس والعشرين من شوال سنة ٥٧٩هـ (فبراير سنة ١١٨٤م) . ولم تشرع قوات الموحدين وقبائلهم فى الجواز الى الاندلس الا فى آخر سنة ٥٧٩هـ ، بينما تحرك الخليفة الى قصر المجاز فى بداية عام ٥٨٠هـ فجاز الى جبل الفتح ، ثم انتقل الى الجزيرة الخضراء ومنها الى اشبيلية ، حيث استقبله اهلها استقبالا حافلا .

اقام ابو يعقوب يوسف باشبيلية نحو اسبوعين رتب خلالهما قواته ، وحدد وجهته ، واستعد للقتال ، واختار مدينة شنترين لتكون هدفه

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٢٨ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نظرا للخطورة الجسيمة التى اصبحت تمثلها على غـرب الاندلس ، فمعظم هجمات المرتزق البرتغالى جرانده كانت تصدر من هذه المدينة ، ومنها كان يغير على ترجالة وقاصرش ومنتانجش وشيرية وجلمانيـة ، كما هاجم بطليوس منها كذلك . وقد سبق ان ذكرنا انه تمكن فى احدى غاراته من الاستيلاء عليها ، ولولا مساعدة ملك ليون لواليها ابن تمصيلت لظلت بطليوس فى قبضة البرتغاليين . وكان نصارى شنترين قد ساعدوا جرانده فى الاستيلاء على بطليوس ، كما كانت بلدهم شنترين المركـز الذى اغار منه البرتغاليون على أحواز اشبيلية بحيث وصلوا فى احدى غاراتهم الى طريانة Triana الربض القبلى لاشبيلية ، ومرة اخـرى الى شلوقة واقليم الشرف ، لذلك راى ابو يعقوب ان استيلاءه عـلى شنترين وعزوه لها بمثل ضربة قاصمة لمملكة البرتغال من جهة ، وانقاذا لبطليوس حاضرة الغرب والمناطق المحيطة بها من جهة ثانية .

تحرك ابو يعقوب يوسف من اشبيلية فى اتجاه شنترين فى السادس والعشرين من صفر عام ٥٨٠هـ (٧ يونيو ١١٨٤م) ، فمر على حصن العرجة (وهو نفس حصن الحنش Alanje) يوم الرابع من ربيـع الاول ، وهناك تجمعت حشود الموحدين من الآفاق ، ومنها اتجهت الى بطليوس وعسكرت فى ظاهرها لتمييز الجند ، وامرهم ابو يعقوب بأن يتزودوا بالسلاح ، واخذ يستكمل ما كان ينقص الجيش من زاد وميرة ، وبعد ان اطمان على سير الامور ، رحل من بطليوس يـوم الخميس العاشر من ربيع الاول فى طريقه الى شنترين حتى وصلوا الـى وادى تاجه ، وهناك أمر الخليفة قواته بالتوقف على ابواب شنترين (١) وفى تلك الاثناء كان فرناندو ملك ليون يحاصر قاصرش ، فلما بلغـه وصول جيوش الموحدين الى بطليوس فى طريقها الى شنترين ، رفـع حصاره عن قاصرش ، وقفل عائدا الى حاضرته مدينة السبطاط

---

(١) ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الثالث ، ص ١٣٣ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(Ciudad Rodrigo) ليتابع منها تطورات الموقف .

وعلى الرغم من ضخامة أعداد جيش الموحدين وقد بلغت عدته أربعين الفا ، « من انجاد العرب الفرسان ، ومن الموحدين والجنود والمطوعة وفرسان الاندلس ، واجتازها ما ينيف على مائة الف فارس ... » (١) الا أن هذه الحملة انتهت بكارثة كبيرة للموحدين بسبب استشهاد الخليفة الموحدى ابى يعقوب يوسف نفسه ، ويرى الاستاذ محمد عبد الله عنان ان الهدف الرئيسى من حملة ابى يعقوب هذه على شنترين رغبته فى الاستيلاء على ثغر الاشبونة ، وان اتجاهه الى شنترين قبل الاشبونة كان أمرا طبيعيا للغاية ، فاشبونة هى حصن شنترين الشمالى ، وباستيلائه على شنترين قبل الاشبونة يؤمن مؤخرة جيشه ضد اى هجوم يمكن أن يقوم به نصارى شنترين (٢) . ولعل رغبة الخليفة ابى يعقوب فى الاستيلاء على الاشبونة هو الذى ادى الى الكارثة التى حلت به ، فقد أمر الخليفة ولده السيد ابا اسحق والى اشبيلية ذات ليلة بأن يرحل الى غزو مدينة الاشبونة ، فأساء أبو اسحاق فهمه ، وظن أن اباه يأمره بالرحيل الى اشبيلية ، فرحل فى الفجر فجأة ، مما سبب ذعرا وخوفا بين الجند ، فرحل الجميع منسحبين تاركين الخليفة وحده (٣) . وصحب انسحاب معظم الجيش خلل واضح فى صفوف المقاتلة ، ولم يتبق مع الخليفة الا بعض الساقة الى جانب ولده ابى يوسف يعقوب ، الذى ظل مرافقا لابيه الخليفة ، على أتم استعداد لحمايته ، ودرء اى خطر عنه . ويصف ابن ابى زرع هذا الموقف باسهاب فيقول : « فلما جن الليل وصلى العشاء الاخيرة بعث الى ولده السيد ابى اسحاق والى اشبيلية فأمره بالرحيل من تلك الليلة

---

(١) الحميرى ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ١١٤ .

(٢) محمد عبد الله عنان ، عصر الموحدين ، ص ١٢٠ .

(٣) عبد الواحد المراكشى ، المعجب ، ص ٢٥٩ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الى غزو مدينة اشبونة وشن الغارات على انحائها ، وان يسير اليها بجيوش الاندلس خاصة ، وان يكون رحيله نهارا ، فاساء الفهم ، وظن انه أمره بالرحيل فى جوف الليل الى اشبيلية ، وصرخ الشيطان فى محلة المسلمين ان امير المؤمنين قد عزم على الرحيل . وفى هذه الليلة تحدث الناس لذلك ، وناهبوا له ، فرحل من الناس طائفة بالليل . فلما كان قريب الفجر ، اقلع السيد ابو اسحاق ، واقلع من كان يليه ، وتابعه الناس بالرحيل ، فارتحلوا وامير المؤمنين مقيم فى مكانه لا علم له بذلك ، فلما أصبح وصلى الصبح ، واضاء النهار ، لم يجد حوله أحدا من المحلات الا اليسير من خاصته وحشمه الذين يرحلون لرحيله ، وينزلون لنزوله وقواد الاندلس ، لانهم هم الذين كانوا يمشون أمام ساقته ، وخلف محلته من أجل من يتخلف منها من الضعفاء » (١) .

وكان نصارى شنترين قد علموا عن طريق عيونهم بما جرى فى معسكر الموحدين ، فشنوا هجوما خاطفا على القوات المنسحبة ، وعلى ساقة الخليفة ، بل ان هؤلاء النصارى قد تمكنوا من الوصول الى خيمة الخليفة نفسه ، وتمكن بعضهم من اصابته بجراح خطيرة الزمته فراشه ، وقبل ان يأمر الخليفة من تبقى من جنده بالرحيل رقد على محفة ، وحوله جنده واطباؤه ، ورحل الجميع . ولم يكد الركب يعبر وادى تاجه ويسير عدة أميال حتى أسلم الخليفة الروح فى الثامن عشر من ربيع الآخر سنة ٥٨٠هـ (٢٩ يوليو ١١٨٤م) . وهكذا ضحى الخليفة بحياته فى تلك الغزوة التى استهدف منها الاستيلاء على شنترين وتخليص بطليوس من الخطر المتواصل الذى كانت تمثله .

وينفرد الحميرى برواية ذكر فيها أن ابا يعقوب يوسف اعتل علته التى توفى بها « فاقام الرجل به على مطية مضطجعا على فراشه ،

---

(١) ابن ابى زرع ، روض القرطاس ، ص ١٤٠ - ١٤١ .

وضعفه يتزايد الى أن ان تفقد فى بغض أميال فوجد ميتا » (١) .

وبقى أن نشير الى أن ابا يعقوب يوسف الشهيد لم يتوان قط عن توفير الاستقرار لبطليوس ، فقد حصنها وتهمم بقصبتها ، « وهو الذى حمى بطليوس من الكفر ، وابتنى لها قصبتها الشاهقة المانعة ، وسرب الماء اليها من الوادى ، فقطع العدو أمله عنها بما أشحنها من الآلات والعدد من الاسلحة والرجال المنتخبة » (٢)

---

(١) الحميرى ، ص ١١٤ .

(٢) ابن صاحب الصلاة ، تاريخ المن بالامامة ، ص ٢٣٦ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(٤)

بطليوس فى عهد الخليفة ابى يوسف يعقوب المنصور

١ - تحركات مملكتى ليون والبرتغال فى الغرب وسقوط شلب :

حين توفى الخليفة ابو يعقوب يوسف امر ولده يعقوب بكتمان خبر وفاة والده الى حين الوصول الى مرحلة معينة من الطريق ، ولذلك فقد ظل الخليفة الشهيد محمولا على محفته ، يحدق بها خدمه وفتيانه على عادتهم ، الى ان وصل الجميع الى حصن طرش ، فضربت اخبية الخليفة ، وقام السيد ابو زيد ابن الخليفه ابى يعقوب يوسف بابلاغ اشياخ الموحدين بنبا وفاة الخليفة ، وطلب منهم الاسراع بمبايعة ولده الامير يعقوب (١) . وتمت البيعة الخاصة يوم الاحد التاسع عشر من ربيع الاخر عام ٥٨٠هـ (٢) (١١٨٤م» ، اما البيعة العامة فقد عقدت يوم السبت الثانى من جمادى الاولى من نفس العام (٣) . وهكذا جرت بيعة يعقوب المنصور فى هدوء تام ودون اية معارضة نظرا لانه « بويع له فى حياة ابيه بامره بذلك » (٤) . وعلى الرغم من أن المصادر العربية بخلاف عبد الواحد المراكشى لم تذكر ذلك ، الا ان الظروف التى اجريت فيها بيعة المنصور تدل على قناعة تامة من جميع الاطراف بخلافته ، لاسيما وانه كان اكبر ابناء الخليفة المتوفى ابى يعقوب يوسف (٥) .

واذا اردنا ان نقوم عصر المنصور الموحدى ، فاننا سنجد انه كان عصر جهاد ومثاغرة ، فقد استبسل فى الجهاد والذب عن الاسلام ضد

---

(١) ابن عذارى المراكشى ، البيان المغرب ، القسم الثالث ، ص ١٤١

(٢) ابن ابى زرع ، الانيس المطرب بروض القرطاس ، ص ١٤٣ .

(٣) ابن ابى زرع ، المصدر السابق ، ص ١٤٣ .

(٤) عبد الواحد المراكشى ، المعجب ، ص ٢٦١ .

(٥) ابن سماك العاملى ، الحلل الموشية ، ص ١٥٧ .

اعدائه فى الاندلس ، « وكان المنصور رحمه الله أجل ملوك الموحدين ، واكثرهم صيتا ، وأحسنهم فى الاحوال كلها ، ولى الملوك واشن ، والمال قد توفر ، وكانت له الهمة العالية ، والعزائم الملوكية ، والدين المتين ، والسير الحسنة فى المسلمين » (١) . ويصفه ابن عذارى بانه كان « شجاعا مقداما ، عظيم الصريمة على اعدائه ، لا تضيع عنده فضيلة لأحد من رجاله ، ولا يغيب عنه شىء من أحوال رعيته ... » (٢) . ومما عرف عنه انه اهتم اهتماما خاصا بالجيش ، فحرص على تنظيمه واعداده للجهاد فى المغرب والاندلس فى الوقت المناسب . ولم يكف المنصور منذ توليه خلافة الموحدين عن النظر فى شئون الثغور لاسيما القسم الغربى من الاندلس فى وقت اشتدت فيه حركة الاسترداد . وكانت حادثة استشهاد ابيه فى شنترين ماتزال ماثلة فى ذاكرته ، وكان لذلك اعظم الاثر فى نفسه . اما بالنسبة للبرتغاليين ، فقد كان لهزيمة الموحدين فى شنترين اكبر الاثر فى دفع حركة الاسترداد والتوسع البرتغالى فى اراضى الغرب الاندلسى ، فقد ازدادت الآمال عند الفونسو انريكث فى السيطرة الكاملة على بلاد الغرب ولكن الاجل لم يمتد به ليحقق هذه الآمال ، اذ توفى فى سنة ٥٨١هـ (ديسمبر ١١٨٥م) بعد وفاة الخليفة ابى يعقوب يوسف بنحو عام ونصف العام ، وخلفه على عرش مملكة البرتغال ابنه سانشو الاول الذى اراد ان يستغل الحركة الصليبية التى بلغت أوجها فى ذلك الحين لصالح أطماعه الشخصية فى الجزء الغربى من الاندلس (٣) . وساعدت الظروف السيئة التى كانت تجتازها دولة الموحدين فى تلك الآونة على مهاجمة اراضى الغرب : فبنو غانية فى المغرب ، كانوا يناوئون الخلافة الموحدية ، وزاد خطرهم عندما تحالفوا مع العرب الهلالية ومع الغز المماليك ، وادت الحروب التى خاضها المنصور معهم الى استنفاذ جزء كبير من طاقته . وقد احسن سانشو

---

(١) ابن ابى زرع ، المصدر السابق ، ص ١٥٣ .

(٢) ابن عذارى ، القسم الثالث من البيان ، ص ١٤١ .

(٣) يوسف اشباخ ، تاريخ الاندلس ، ص ٣٢٩ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الاول ملك البرتغال استغلال هذه الظروف القاسية التى كانت تجتازها دولة الموحدين فى المغرب كما أحسن استغلال الظروف الدولية انذاك ، اذ كانت الحركة الصليبية فى الشرق الاسلامى فى عنفوانها ، لاسيما بعد ان استرد صلاح الدين يوسف بن أيوب بيت المقدس من الصليبيين فى سنة ٥٨٣هـ (١١٨٧م) ، واستثار بذلك المشاعر المناهضة للمسلمين فى الغرب الاوروبى . وكان قد وصل الى مياه البرتغال اسطول صليبى ضخم يتألف من خمسين سفينة وقيل ستين تحمل قوات قوامها عشرة آلاف مقاتل ، تجمعوا من ولايات الراين واللورين وفريزلاند (١) .

وقد توقفت سفن الصليبيين عند ساحل جليقية ، ونزل عسكر الافرنج برا للتبرك عند مزار شنت ياقب Santiaga de Compostela ولكن أهل المدينة تشككوا فى نوايا هؤلاء الافرنج ، وخشوا على مزارهم المقدس ، فدفعوهم بعيدا عنهم ، فعادوا الى سفنهم وهو ينوون الانضمام الى الاسطول الصليبى الانجليزى الراسى فى مياة اشبونة. ولم يجد سانشو الاول ملك البرتغال فرصة أفضل من هذه لتنفيذ أطماعهم فرحب بالصليبيين واحتفل بهم احتفالا عظيما ، ثم طلب منهم ان يعينوه على فتح المزيد من بلاد الاسلام ، وصور لهم أنهم يخدمون بذلك الحركة الصليبية . وركز هدفه على مدينة شلب (٢) .

---

(١) نفس المرجع ، ص ٣٢٩ - محمد عبد الله عنان ، عصر المرابطين والموحدين ، القسم الثانى ، القاهرة ١٩٦٤ ، ص ١٧٠ ، ١٧١ .

(٢) شلب Silves مدينة من مدن غرب الاندلس تقع فى اقصى الطرف الجنوبى الغربى من شبه جزيرة الاندلس ، على مقربة من البحر المحيط ، وفرضتها مدينة بورتماو ، وتبعد عنها بنحو ثلاثة أميال ، وذكر الجغرافى مجهول الاسم صاحب كتاب « ذكر بلاد الاندلس» (أنها مدينة قديمة أزلية واسعة الشوارع حسنة البناء حصينة ، واسواقها وطرقها وشوارعها كل ذلك مفروش بالرخام ، وهى مبنية على ضفة نهر آنه) (لوحة ٤١٤) ، كذلك يصفها الادريسى قبل هذه الاحداث بنحو خمسين عاما ، وقد اهتم فى وصفه لها بابراز اهمية موقعها فى بسيط من الارض وسورها الحصين ، كما ذكر المزايا الاقتصادية العديدة التى كانت تنعم بها ، فهى من حيث

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد وفق سانشو فى اقناع الصليبين بنصرته ، فابدوا استعدادهم الكامل لمساعدته لمجرد ان ذلك يدخل فى نطاق اهدافهم . وانتهت خيوط هذه المؤامرة البرتغالية الصليبية بحصار شلب برا وبحرا ، فطوقت المدينة من كل الجهات ، وبالغ البرتغاليون وحلفاؤهم الصليبيون فى احكام الحصار عليها الى ان استولوا عليها بعد ثلاثة شهور من بدء الحصار ، واخرجوا اهلها عنها ، فخرجوا عنها . وفى سقوطها يقول ابن عذارى : « وسلموا فى انفسهم ، وخرجوا مسلوبين ، واستأصل العدو حصنا من نظره يعرف بالبور ، وأتى القتل على كل من كان فيه صغير أو كبير واناث وذكور » (١) . وورد فى المدونة الاولى العامة لاسبانيا ان هذا الملك (سانشو الاول) « ذهب لحصار شلب ، وكانت فى ذلك الحين مدينة جليلة الشأن فى الغرب الواقع غربى اسبانيا واقبل عليه هناك من بلاد افرنجة بحرا عدد كبير من المحاربين ومقاتلون اشداء ، وفى نهاية الامر استولى على المدينة ، واتخذها اسقفية » (٢) .

ولم يكن سقوط شلب نتيجة تهاون فى الدفاع او ضعف فى المقاومة او تراخ فى الصمود ، او بسبب خيانة بعضهم للموحدين ، ولكن سقوطها نتج عن عوامل اخرى : فرغم قلة خبرة والى شلب الحافظ عيسى بن ابى حفص بن على فى مجال القتال ، الا انه تحصن داخل المدينة ، وتصدى بشجاعة للحصار البرتغالى الصليبى ، كما ان اهالى شلب

= الزراعة كانت تنتج كثيرا من الغلات وكانت تزخر بالجنات والبساتين التى يرويها واديها الذى يجرى جنوبيها (نهر دراو) وكانت فرضتها ومرساها على ثلاثة أميال منها ، وفيه تصنع السفن اذ تتوفر بجبالها الاشجار التى تصنع منها السفن (انظر الادريسى، صفة المغرب وارض السودان ومصر والاندلس مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق ، ص ١٧٩ ، ١٨٠) .

(٢) ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الثالث ، ص ١٧٥ .

(٣) Primera Cronica General de España, ed. Merendez - Pidal, p. 652.

فوتوا ، بفضل بسالتهم فى القتال واستماتتهم فى الذب عن بلدهم ، على العدو كل ما سخره من قوة للاستيلاء عليها ، فعندما حاول عسكر الصليبيين حفر سراديب تحت الاسوار لاقتحام المدينة من داخل السور ، وفتح ثلمات بالسور ينفذون منها الى الداخل ، خاب سعيهم ، وفشلت محاولاتهم امام يقظة الاهالى . ولم يتم سقوط المدينة الا بتأثير الجوع والعطش ، فقد « بالغوا فى حصارها الى ان تملكوها ، واخرجوا اهلها عن ... بعد اشرافهم على الهلاك من الظمأ والجوع ، وعدم الهجوم ، وكان حافظها حينئذ عيسى بن ابى حفص بن على ، لم تحنكه التجارب ، ولاابتلى بسد الثغور ، فاستولى عليه الجزع ولفه الهلع » (١)

والحقيقة ان السبب الرئيسى فى تسليم الاهالى مدينتهم ، ان الصليبيين قطعوا المياه عن اهلها ، وكانت تصلهم عن طريق بئر اقاموه بالقرب من السور يعرف بالقوراجة (بالاسبانية Coracha) فلما انقطعت المياه عنهم ، وبلغ بهم الظمأ مداه ، ارغموا على التسليم .

ويؤكد ابن عذارى ان الفونسو الثامن ملك قشتالة هاجم بلدة ام غزالة Magazela واستولى عليها فى جمادى الاولى من سنة ٥٨٥هـ (١١٨٩م) ، وهى من احواز بطليوس ، ويضيف قائلا : « وفى جمادى الاولى من السنة خرج اذفونش ملك قشتالة الى ام غزالة فنازلها ، وخلت قبيل وصوله اليها ، وفى اوائل جمادى الآخرة اقلع عنها » (٢) . ويتحدث ابن ابى زرع عن سقوط شلب فيقول : « وفى سنة ستة وثمانين دخل النصارى مدينة شلب ومدينة باجة ويابرة من بلاد غرب الاندلس وذلك لما علموا ان المنصور قد بعد عنهم واشتغل بافريقية ، فاغتنموا

---

(١) ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الثالث ، ص ١٧٥ .

(٢) ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ١٧٦ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفرصة ، فاتصل الخبر بالمنصور فاستعظم ذلك » (١) .

واذا امعنا النظر فى نص ابن ابى زرع نجد ان ذلك الخبر مختلق من اساسه ويفتقد الصدق ، فمدينة باجة كان قد استولى عليها البرتغاليون للمرة الثانية فى عام ٥٧٥هـ (١١٧٩م) كما سبق ان اوضحنا ، ولهذا فان استيلاءهم عليها فى عام ٥٨٥هـ (١١٩٠م) مع شلب يعتبر مستحيلا مادامت قد اصبحت منذ عشر سنوات فى حوزة البرتغاليين . اما يابرة فكانت هى الاخرى فى ايدى البرتغاليين ، بل ان سيطرة البرتغاليين عليها وعلى قصر ابى دانس كان له اكبر الاثر فى تمكنهم من باجة واستيلائهم عليها ، لان باجة كانت تقع على مقربة من هاتين المدينتين ، بحيث كان يسهل على البرتغاليين المقيمين فى احداهما الاطلاع على اخبار باجة وعلى خبايا امورها السياسية والاقتصادية (٢) . وبهذا يكون الخبر الذى اورده ابن ابى زرع لايخلو من التشويش والاضطراب ، باستثناء التاريخ الذى حدده لاستيلاء البرتغاليين على شلب ، واعنى به سنة ٥٨٦هـ بدلا من سنة ٥٨٥ التى ذكرها ابن عذارى . لان خروج المنصور الموحدى الى مراكش برسم الجهاد ومواجهة اعتداءات النصارى وعيثهم فى اراضى الاندلس حدث فى شهر ذى الحجة من سنة ٥٨٥هـ اى فى نهاية هذه السنة ، وبالتالى يكون سقوط شلب فى ايدى البرتغاليين قد تم فى اوائل عام ٥٨٦هـ وليس فى سنة ٥٨٥ على حد قول ابن عذارى (٣) .

وما ان علم الخليفة ابو يعقوب بتلك الانباء المقلقة حتى عزم على وضع حد لهذه الغارات المخربة ، وخرج على راس قواته الى مراكش فى

---

(١) ابن ابى زرع ، الانيس المطرب بروض القرطاس ، ص ١٤٤ .

(٢) محمد عبد الله عنان ، عصر الموحدين ، ص ٨٦ .

(٣) ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الثالث ، ص ١٧٤ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١٤ ذى الحجة سنة ٥٨٥هـ (٢٣ يناير ١١٩٠م) ، ثم وجه فرقة موحدية من جيشه الى الاندلس ، حيث اقامت فى اشبيلية ، اما هو ففد خرج الى رباط الفتح حيث اقام نحوا من اربعين يوما الى ان لحقت به بقية قواته من قبائل الموحدين . وفى تلك الاثناء وحتى جواز الخليفة الى طريف فى ٢٣ ربيع الاول سنة ٥٨٦هـ كانت سفن الاسطول الموحدى قد وصلت الى مياه البرتغال بنية احكام الحصار البحرى حول شلب ، وكان من الواضح ان الموحدين يستهدفون استرداد شلب ، وبالفعل بادر الموحدون بمحاصرة تلك المدينة ، ونصبوا المجانيق وآلات القتال حول اسوارها ، وبذلك شارك الاسطول القوات البرية فى استرداد شلب . ويذكر ابن عذارى ان السيد يعقوب ابن العم الاكبر ابى حفص امر « بالحركة من اشبيلية بعساكره من اجنادها واعرابها وما انضوى من اهل البوادى من غرناطة والحشود المطوعة الى آخرها ، ومن تأخر من صنهاجة وهسكورة من كل الجهات والمجاهدين من سائر الاشتات ، فتحرك هذا السيد وجميع من ذكر من هذه العساكر بعد انتظام السابق منهم بالآخر غرة جمادى الاولى ، وتمادى مشيهم حتى نزلوا بظاهر شلب . وفى آخر الشهر المذكور وصلت الاساطيل اليهم ، فالتأم غزاة الرجالة البرية والبحرية ، ونصبت المجانيق والآلات الحربية .. (١) ».

أما المنصور ، فعندما جاز الى الاندلس ، واصل سيره الى قرطبة فنزل بها حيث استقبل رسل مملكة قشتالة ، وكانوا قد قدموا لعقد الصلح ، وطلب الهدنة ، فوافق المنصور على طلبهم ، كما وافق على عقد الهدنة مع ملك لبون . ثم خرج من قرطبة الى وادى تاجه ، وكان هدفه ارغام سانشو الاول ملك البرتغال على احتجاز قسم من عسكره وعسكر حلفائه الصليبيين شمالا بعيدا عن شلب ، لبضعف من الدفاع البرتغالى عنها فتسهل على الموحدين مهمة استردادها . وتنفيذا لهذا المخطط العسكرى

---

(١) ابن عذارى المراكشى ، البيان المغرب ، القسم الثالث ، ص ١٧٨ ، ١٧٩ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

البارع سار المنصور الى السهل الممتد شمالى شنترين ، وبدأ يحرب هذه المناطق ليشغل البرتغاليين عن شلب (١) ثم هاجم المنصور قلعة طرش (٢) ، واخرج من بها من النصارى ، ثم هدمها وسواها بالارض (٣) وتحرك بعد ذلك الى طمان (٤) Tomar الواقعة شمالى طرش ، وكانت طمان قاعدة لفرسان الداوية ، وحصنا منيعا لابرام ، فحاصرها المنصور ، ولكنها استعصت عليه ، وفى ذلك يقول ابن عذارى : « ورحل المنصور بعد فتح هذا الحصن (حصن طرش) الى حصن طمان ، فسلك فيه ذلك المسلك من الحصار ، واخذته الجيوش بالتضييق عليه من كل النواحى والاقطار ، ووافت رسل ابن الرنك راغبا فى السلم وعقده ، ومتلطفا فيما تعجله من ربطه وشده ... » (٥)

وهكذا اضطر ابو يوسف يعقوب الى الرحيل بعد ان عقد الصلح مع سانشو الاول الذى كان مقيما فى شنترين انذاك ، وبالتالى فان غزوته هذه لم تسفر عن اية نتائج ، بل ان بعض المؤرخين يعتبرونها غزوة فاشلة (٦) ، اذ لم يسترجع شلب ولم يستول على حصن طمان .

ب - استرداد الموحدين لقصر ابى دانس وشلب :

كان الخليفة المنصور يسعى الى تامين غرب الاندلس وبالذات الثغر الجوفى الممثل فى بطليوس ونواحيها عن طريق استرجاع الحصون

---

(١) محمد عبد الله عنان ، عصر الموحدين ، ص ١٧٧ .

(٢) هى قرية برتغالية تعرف اليوم باسم Torres Novas

(٣) ابن عذارى المراكشى ، البيان المغرب ، القسم الثالث ، ص ١٧٩ - عبد الواحد المراكشى ، المعجب ، ص ٢٨٠ .

(٤) يسميها ابن عذارى حصن طمان .

(٥) ابن عذارى ، البيان ، القسم الثالث ، ص ١٨٠ .

(٦) اشباخ ، تاريخ الاندلس ، ص ٣٢٩ - محمد عبد الله عنان ، عصر الموحدين ، ص ١٧٨ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والمدن التى كان البرتغاليون قد انتزعوها من ايدى المسلمين ، فهو كرجل سياسى بعيد النظر كان يدرك تمام الادراك ان الخطوة التالية فى مخطط التوسع البرتغالى السيطرة على بطليوس واحوازها ، وفى الوقت نفسه وضع فى الاعتبار الاطماع القشتالية والليونية فى تلك المنطقة الثغرية الهامة ، لاسيما بعد أن اقدم الفونسو النامن ملك قشتالة ، على الاغارة على أم غزالة فى عام ٥٨٥هـ والاستيلاء عليها ، وكذلك كان يدرك ان فردلند (فرناندو الثانى) ملك ليون يعتبر بطليوس وماردة جزءا من ممتلكاته فيما بعد الاسترداد . وعلى هذا النحو كان ابو يوسف يعقوب واثقا فى ان اى ضعف أو اضطراب فى الدفاع عن هذه المنطقة كفيل باسالة لعاب هذه الممالك الاسبانية المسيحية المنحفزة والتى لن تتردد عن اغتنام الفرصة للاستيلاء على بطليوس وماردة ، وكلتاها يمهد الطريق للسيطرة على اشبيلية وولبة ولبلة ، الامر الذى يؤدى حتما الى ضياع كل الغرب الاندلسى من ايدى المسلمين . ولذلك راينا الخليفة ابا يوسف يعقوب ، بعد انسحابه من حصار مدن الغرب فى المرة السابقة ، قد استقر فى اشبيلية طوال ما تبقى من عام ٥٨٦هـ ، واشتغل بالنظر فى أمور البلاد ونشر العدل بين الناس ، واعداد نفسه لغزوة جديدة هدفها استرجاع شلب . والظاهر ان ذلك الهدف الاخير كان شغله الشاغل ، بدليل أنه مضى يجهز آلات الحرب وعدد القتال ، ويضبط نظام جيشه ، ويرتب أموره . وشرع على حد قول ابن عذارى « فى التأهب للحركات ، والنظر فى الآلات ، وانضمت ما تحتاج اليه منازلة البلاد ، من العدد الحربية والاستعداد ، ولما استوفى بالعمل تكملة الآلات وانضمت الحشود من كل الجهات ، تحرك من اشبيلية غرة ربيع الآخر » (١) (من سنة ٥٨٧هـ - ١١٩١م) .

وكانت وجهة المنصور الموحدى فى هذه الغزوة مدينة قصر ابى دانس التى وصفها الادريسى بقوله : « والقصر مدينة حسنة متوسطة

---

(١) ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الثالث ، ص ١٨٤ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على ضفة النهر المسمى شطوير ، وهو نهر كبير تصعد فيه السفن والمراكب النفرية كثيرا ، وفيما استدار بها من الارض كلها أشجار الصنوبر ، وبها الانشاء الكثير ، وهى فى ذاتها رطبة العيش ، خصبة كثيرة الالبان والسمن والعسل واللحوم ، وبينها وبين البحر عشرون ميلا »(١) .

وعندما وصلت جيوش الموحدين الى قصر ابى دانس ، قسمها الخليفة وفق نظام خاص ، وقام أهل الخدمة من العبيد بردم خندق المدينة من مختلف جهاته الاربعة ، وعندئذ زحفت حشود الموحدين الى سور المدينة ، اما لارتقائه عن طريق السلالم الخشبية واقتحام المدينة من أعلى سورها أو عن طريق فتح ثغرات فى السور تسهل عليهم مهمة النفاذ منها ، ولكن الحامية البرتغالية أمطرت المهاجمين المسلمين وابلا من النبال والحجارة (٢) ، ونسببت فى هلاك عدد كبير منهم ، الامر الذى دعا الخليفة الى اصدار أمره بوقف القتال لمدة ثلاثة أيام لاعادة تنظيم صفوف المسلمين وتعديل خططه الهجومية . وفى أثناء ذلك «وصلت الاجفان البحرية بالعدد الحربية ، وقد تسابقت لدخول الوادى بتيسير يعجز العقول عن تكييفه ، ويشكر القدير سبحانه على احكامه وتصريفه ، فبهت الذى كفر ... فنصبت فى يوم وليلة أربعة عشر منجنيقا ، اذ كانت معدة بعد الفراغ من عملها ، فأحدق منها بالبلد منايا زاحفة ، وصواعق قاصفة ... »(٣) . وفى اليوم الخامس عشر من جمادى الاولى ، أمر الخليفة جيشه بالهجوم من جديد على المدينة بكل عنف وضراوة ، واخذ الموحدون يمطرون المدينة ورجال الحامية بأعلى الاسوار بقذائف المناجيق ، فأسرع سكان المدينة بطلب الإمان ، ونزلوا لمواجهة الموحدين صاغرين مستسلمين ، فدخلها عسكر الموحدين ،

---

(١) الادريسى ، صفة المغرب وأرض السودان ومصر والاندلس ، ص ١٨١

(٢) ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الثالث ، ص ١٨٤ .

(٣) ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ١٨٤ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

واستولوا عليها ، وأسر المسلمون من سكانها عددا رمزيا نقلوه بالمراكب الى اشبيلية اعلاما بانتصارهم العظيم على البرتغاليين . ثم شرع الخليفة فى النظر فى امر المدينة والحصن ، فولى عليه ابا بكر محمد بن ابى محمد سيدراى بن وزير . وما ان تم له ضبط المدينة وتنظيم احوالها حتى تركها الى حصن قلمالة (١) الذى وصفه ابن عذارى بانه « من القلاع السامية الارتفاع ،الغريبة الارتفاق والانتفاع ، لايتمكن من منازلته جيش ، ولا يحسن بغيره بمجاورته عيش ، وقد ملأه الكافر ابن الرنك بانجاد رجاله ، وكماة ابطاله ... » (٢) ورغم ذلك فقد رأى المدافعون البرتغاليون استحالة التصدى لجحافل الموحدين ، فسلموا حصنهم فى الحال ، فى مقابل جلائهم عنه ، فوافق المنصور ، وانتهب عسكره كل ما كان فى الحصن من اثاث واقوات وسلاح وعدة وآلات ، ثم امر المنصور بهدمه ، فهدم وسوى بالارض ، ثم انتقل الموحدون الى حصن المعدن Almada (٣) فافتتحه وهدمه هو الآخر . وبادر سكان الحصون المجاورة باخلائها بعد ما عاينوه من قوة جيش الموحدين وصلابتهم فى الهجوم على قصر ابى دانس .

اما شلب فقد نهض اليها الموحدون بعد افتتاحهم لحصن المعدن ، فوصلوا اليها فى اليوم الثانى من جمادى الآخرة سنة ٥٨٧هـ ، فنصبوا المجانيق حول اسوارها ، وطوقوها تطويق السوار بالمعصم ، وسووا خنادقها بالردم،ثم امطروا اسوارها بالرجوم«والبلاء يطرقهم (اى سكانها)

---

(١) وردت قلماله فى (ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الثالث ، ص ١٨٥) وصحتها بلمالة Palmala كما ذكرها الحميرى فى صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٠٧ .

(٢) ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الثالث ، ص ١٨٥

(٣) يقع حصن المعدن جنوبى نهر تاجة قرب مصبه قبالة مدينة لشبونة، وسمى بذلك لانه عند هياج البحر كان يقذف بالذهب والتبر ، الذى يستخرجه الاهالى من الساحل فى فصل الشتاء . (انظر الادريسى ، ص ١٨٤) .

بالصواعق سحابه ، ويراوحهم ويغاديهم بضروب المنايا عذابه » (١) .
وذكر الحميرى ان جيوش الموحدين « احدقت بها واخذت بمخنقها .. وجدوا فى قتالها ، وبالغوا فى نكاية اهلها » (٢) . وفى الخامس عشر من جمادى الآخرة ، استغل الموحدون غفلة الحامية عن الحراسة ، ظنا منهم ان المسلمين لا يقاتلون فى الصباح الباكر ، فأحس احد ابطال المسلمين بغفلتهم عن الحراسة ، فتسلل وارتقى السور من ثلمة فيه ، وشد ازره جماعة من رفاقه ، فرفعوا به الرايات ، وقرعوا الطبول ، واخذوا يصيحون بالتكبير ، فلم يفق الحراس من نومهم الا وهم بين مطعون ومضروب ، فطلبوا الامان فى انفسهم على ان يسلموا المدينة ويخرجوا الى بلادهم ، فاجيبوا الى طلبهم ، فجلوا عن قصبة شلب فى ٢٥ من جمادى الآخرة (٣) .

واقام المنصور فى شلب ثلاثة ايام اخرى ثم تركها بعد ان قلد على ولايتها ابن وزير (٤) الى اشبيلية . وهكذا كان للنشاط المتزايد الذى سجله الخليفة الموحدى المنصور فى المجال العسكرى ضد البرتغاليين على وجه الخصوص ، وما احرزه عليهم من انتصارات ، وايثاره للجهاد فى سبيل الاسلام ، اعظم الاثر فى حماية ولاية الغرب من غزو وشيك ، والحفاظ على قاعدتيها الرئيسيتين : بطليوس وماردة ، فى ايدى الموحدين ، واسترجاع قصر ابى دانس وشلب من البرتغاليين . ثم كان انتصار الموحدين بقيادة الخليفة العظيم المنصور فى واقعة الارك سنة ٥٩١هـ (١١٩٤م) تتويجا لهذا النشاط الكبير ، ومقدمة لمزيد من الغزوات

---

(١) ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ١٨٦ .

(٢) الحميرى ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٨٦ .

(٣) ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الثالث ، ص ١٨٦ . ومن الجدير بالذكر ان النص الوارد فى الروض المعطار للحميرى مبتور ولا يؤدى نفس المعنى فى النص الوارد فى البيان .

(٤) ابن خلدون ، كتاب العبر ، ج٦ ص ٢٤٥ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والانتصارات ، الى ان بدا التصدع والانهيار بهزيمة العقاب فى سنة ٦٠٩هـ (١٢١٢م) التى فتت فى عضد المسلمين ، وكان ذلك ايذانا بالنهاية المحتومة .

جـ - متابعة الجهاد فى بلاد الجوف :

قضى المنصور فصل الشتاء الذى تلى وقعة الارك فى مدينة اشبيلية (١) ، فلما انقضى فصل الشتاء واقبل الربيع ، استنفر الخليفة جميع القبائل من منازلها تاهبا لتمييزها ، وامر باعداد العدة لاستئناف الجهاد من جديد على نحو اشد حماسة ، واكثر شراسة عن ذى قبل (٢) . وقبل ان يقرر وجهته ويعلن عن هدفه استطلع المنصور آراء اعوانه من القادة واشياخ قبائل الموحدين حول الغزوة المقبلة ، فاشاروا عليه بضرورة تامين بلاد الجوف نظرا لاهمية هذه المنطقة ، وتعرضها الدائم لاعتداءات البرتغاليين : فبطليوس تعرضت فى السنوات السابقة ، وخاصة فى عهد أبيه الشهيد ابى يعقوب يوسف ، كما سبق ان اوضحنا ، لغارات ملك ليون وملك البرتغال ، بل ان ملك قشتالة لم يتردد فى مهاجمة احوازها هو الآخر فى عام ٥٨٥هـ ، ولذلك اخذ الخليفة المنصور بمشورتهم ، وعزم على الخروج فى هذه المرة تجاه الغرب او ما يسمى

---

(١) اقام الخليفة يعقوب المنصور فى حصن الفرج Aznalfarache الواقع الى الجنوب الغربى من مدينة اشبيلية على الضفة اليسرى من نهر الوادى الكبير ، اذ كان يؤثر هذا الحصن على اى موضع آخر فى نواحى اشبيلية (ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الثالث ، ص ١٩٨) . وعن حصن الفرج راجع :

L. Torres Bálbas, Aznalfarache, en al - Andalus, Vol. XXV, p. 223 - J. Guerrero Lovillo, al - Qasr al - Mubarak, en Boletin de Bellas Artes, Sevilla, 1974, p. 94.

وانظر : السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، جـ٢ ص ٨١٢ ، تحقيق أسماء قصور بنى عباد باشبيلية الواردة فى شعر ابن زيدون ، مجلة أوراق ، العدد الثانى ، ١٩٧٩ ، ص ٤١ ، ٤٢ .

(٢) ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الثالث ، ص ١٩٨ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ايضا ببلاد الجوف ، وشرع فى السير فى جيوشه الموحدية فى منتصف رجب سنة ٥٩٢هـ (١١٩٥م) متجها من اشبيلية الى حصن منتانجش Montanchez ، وكان « من المعاقل الشاهقة الارتفاع ، المشهورة بالتوعر والامتناع » (١) باعتباره اهم حصون بطليوس ، واكثرها منعة ، وان الاستيلاء عليه يؤمن سلامة بطليوس ، ويضاعف من حمايتها . وبدات قوات الاندلس فى محاصرته ، وفى اليوم التالى وصلت جيوش الموحدين وشددت الخناق عليه ، فلما أيقن حماته البرتغاليون بعبث المقاومة ، التمسوا الامان لانفسهم ، واستسلموا للموحدين ، فاحترم الموحدون عهودهم لهم واستأمنوهم على أرواحهم ، الا ان جماعة من « أوباش العرب » هاجمتهم فى الطريق ، وابادتهم عن آخرهم ، وفى ذلك يقول ابن عذارى : « القوا بيد الاستسلام ، واعتقلوا بحبل الاعتام ، فاسعفوا فيما سالوه من الامان ، وامر القائد أبا عبد الله بن صناديد بتوصيلهم الى حيث يأمنون من انحائهم ، وعندما ساربهم مسافة فرسخ من المحلة غشيهم أوباش من العرب فوضعوا فيهم السيوف واستأصلوهم قتلا عن آخرهم ، وسبوا ما كان معهم من النساء والذرية » (٢) .

اثارت هذه الجريمة البشعة غضب المنصور ، فأمر بسجن كل من عثر عليه من هؤلاء العرب الآثمين ، ورد النساء والاطفال الى اهليهم من جديد . ومما لاشك فيه ان هذه الحادثة اثارت الرعب فى سائر بلاد الجوف ، بدليل ان اهالى هذه البلاد أخذوا يخلون بلادهم ويرحلون منها ، فسكان ترجالة (٣) Trujillo مثلا وهى من اقرب مدن الغرب الى بطليوس بادروا بالرحيل عنها ، كذلك اخذ سكان القرى المجاورة الى مغادرتها عندما بلغتهم أخبار حملة المنصور الموحدى على بلاد الجوف .

---

(١) ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ١٩٨ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٩٩ .

(٣) ابن ابى زرع ، روض القرطاس ، ص ١٥١ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهكذا بذل يعقوب المنصور قصارى جهده لتأمين بطليوس بعد أن كانت على حافة الوقوع فى أيدى البرتغاليين الذين كانوا قد جردوها من حصونها وما كان يحيط بها من مدن ، مثل منتانجش وتربجالة والمعدن وقصر ابى دانس وطرش وشلب وباجة ويابرة . ولكن المنصور تمكن من استرجاع معظم هذه الحصون والمدن ، وحقق للثغر البطليوسى الامن ولو الى حين .

وفى غرة جمادى الثانية من سنة ٥٩٤هـ (١١٩٧م) رحل المنصور الى بلاد المغرب بعد غزاته الثالثة فى الاندلس ، وكان ملوك اسبانيا المسيحية قد التمسوا مصالحته وموادعته ، وفى ذلك يقول ابن عذارى : « ولما رات ملوك الروم ان بلادهم ورجالهم قد اتى عليها الاستيصال والاصطلام ، وان لا نجاة لها الا الرغبة فى الاستسلام ، وجهوا ارسالهم فى طلب الصلح على ما عهد من شروط الاحكام ، فاسعفوا فيه على حكم شريعة الاسلام » (١) . وقبل سفره الى المغرب عمد الى تثقيف البلاد وضبطها بثقاب ولاته وعماله ، فولى على اشبيلية السيد أبا زيد ابن الخليفة ، وعلى بطليوس وجهاتها السيد أبا الربيع بن ابى حفص بن عبد المؤمن . ولم يكتف الخليفة المنصور بتولية عماله على تلك المنطقة الهامة من الاندلس فحسب ، وانما أراد ان يطمئن ، كعادته دائما ، الى تطبيق العدالة وعدم أخذ الاهالى بالعسف ، ولهذا السبب أمر جباة الضرائب بالتزام العدل فى جباية الاموال من الرعية (٢) .

وتوفى الخليفة العظيم أبو يوسف يعقوب المنصور لليلة الجمعة الثانى عشر من ربيع الاول سنة ٥٩٥هـ (٢٢ يناير ١١٩٩م) ، وبويع ولده أبو عبد الله محمد الناصر خليفة من بعده للموحدين بيعة خاصة

---

(١) ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ٢٠٤ .

(٢) ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الثالث ، ص ٢٠٤ .

فى صباح اليوم التالى لوفاته (١) ، اما البيعة العامة فقد تمت بعد أسبوع ، وكان محمد الناصر قد بويع بولاية العهد فى حياة ابيه سنة ٥٨٦هـ ، اذ اختاره دون أولاده الآخرين (٢) .

---

(١) ابن ابى زرع ، روض القرطاس ، ص ١٥٣ ـ ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ٢١١ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(٥)

بطليوس فى عهد خلفـــاء المنصـــور

١ ـ ضعف دولة الموحدين فى عهد محمد الناصر ويوسف المستنصر :

بادر الخليفة محمد الناصر فى عام ٦٠٠هـ (١٢٠٣م) بتفقـد انحاء دولته ، والاطمئنان على احوالها الدفاعيه ، فاصدر « اوامـره السلطانية الى سائر الاقطار الاندلسية بانحفز الاكيد على عمالها بالنظر فى الآلات الحربية » (١) . ومن الطبيعى ان نتصور ان بطليوس كانـت من اهم الاقطار الاندلسية التى امر الخليفة بامدادها بالميرة والسلاح ، اذ كانت الخط الدفاعى الرئيسى عن وسط الاندلس ، وقاعدة الثغـر الجوفى ، فكان تحصينها والاهتمام بتامينها عسكريا ضرورة استراتيجية ملحة فى هذه المرحلة الدقيقة من تاريخ الاسلام فى الاندلس .

وفى شهر ربيع الاول من نفس عام ٦٠٠هـ اصدر محمد الناصر امره بابدال ولاة بعض مدن الاندلس بآخرين ، فقد ولى ابا يحيى بن ابـى سنان على بطليوس وجهاتهـا وامره بالجـــد والحماس فى تحصـين بطليوس . ثم ولى ابا محمد عبد الواحد بن يعقوب على مدينة شلب وبلاد غرب الاندلس (٢) .

وشهد محمد الناصر هزيمة المسلمين الشنعاء فى العقاب فى سـنة ٦٠٩هـ ، وكان حادثة مفجعة فى تاريخ الاندلس ترتبت عليها نتائج خطيرة اذ لم تقم للمسلمين فى الاندلس بعدها قائمة تحمد ، وادت الى انهيار حكم الموحدين فى الاندلس . وعرفت هذه الواقعة ايضـا فى المصادر المسيحية باسـم لاس نافاس دى تولوسـا Las Navas de Tolosa

---

(١) ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الثالث ، ص ٢١٨ .

(٢) ابن عذارى ، نفس المصدر ، ص ٢١٨ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كما عرفت أيضا بموقعة أبدة Ubeda لوقوعها على مقربة من هـذه المدينة . وكانت خسائر الموحدين فى تلك الموقعة فادحة للغاية . ويرجع بعض المؤرخين هزيمة العقاب الى أسباب مادية ومعنوية الى جانب أسباب تقليدية معروفة تعتبر عادة السبب المباشر فى هزيمة اى جيش ، فانقسام الجيش الموحدى على نفسه ، وعدم التجانس بين العناصر المكونة له ، وافتقادة لقادة تتوفر لديهم البراعة والحنكة العسكرية من أهـم الاسباب التقليدية لهزيمة العقاب . ومن الاسباب المعنوية والنفسية سخط الجند على كبار قادتهم وامرائهم بسبب تأخر تسلمهم لاعطياتهم الامـر الذى أدى الى خروج الجند للقتال وهم كارهون له ، يضاف الى ذلك أن الخليفة محمد الناصر لم يكن يهتم بمشاعر العناصر الاندلسية فى جيشه ، فقد أمر بقتل أبى الحجاج يوسف بن قادس قائد فوات الاندلس بسبب تسليمه قلعة رباح للنصارى دون أن يستمع الى مبرراته فى ذلك كما هدد سائر أجناد الاندلس باخراجهم من الجيش مما أثار فيهم مشاعر السخط ، ونمى فيهم روح الهزيمة (١) ، وكانوا من أهم عناصر الجيش الموحدى لمعرفتهم بأساليب النصارى فى القتال . وكان زهو محمد الناصر بضخامة جيوشه ، واغتراره بعظم قواته ، واغفاله للحذر والاحتراز من الاسباب التى ساعدت على انهزام المسلمين فى العقاب .

ثم توفى محمد الناصر فى العاشر من شعبان عام ٦١٠هـ بعد أن ترك دولة الموحدين على حافة الهاوية ، فلم تلبث أن طحنتها الفتن والنوائب ، وشملها الضعف والاضطراب فى المغرب والاندلس الامر الذى ساعد الممالك المسيحية على انتزاع أهم قواعد الاندلس شرقا وغربا ، وانتهى الامـر بالاستيلاء النصارى على معظم قواعد الاندلس .

وقد عجلت حالة التفكك والتطاحن والانقسام بين أفراد بيت عبد المؤمن بن على بالانهيار السياسى الذى أصاب دولة الموحدين فى المغـرب

---

(١) محمد عبد الله عنان ، عصر الموحدين ، ص ٣٢٠ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والاندلس عقب هزيمة العقاب ، وبدات الخلافات بين افراد اسرة عبد المؤمن طمعا فى الخلافة تتحول الى حرب اهلية طاحنة مما كان له اعمق الاثر فى التعجيل بنهايتها المحتومة . فقد خلف محمد الناصر على الخلافة الموحدية ولده يوسف المستنصر فى اليوم التالى لوفاته (١) . واختلفت المصادر العربية فى تقدير سنه يوم بيعته عقب وفاة ابيه ، فبعضهم يذكر انه كان فى العاشرة من عمره ، ومنهم من يجعله فى السادسة عشرة وايا ما كان الامر فلم يكن المستنصر عند توليه الخلافة سوى غلاما يفتقد مجردا من المؤهلات الاساسية التى تضمن لصاحبها ان يسوس امبراطورية الموحدين فى المغرب والاندلس . وقد وصفت المصادر العربية هذا الخليفة بانه كان شابا لاهيا عابثا ، يميل الى حياة الدعة والترف (٢) .

ويسجل عهده بداية ظهور دولة بنى مرين فى المغرب ، وبداية الصراع بينهم وبين الموحدين ، ومن اهم المواقع التى خاضها الموحدون معهم موقعة المشعلة التى انتهت بهزيمة الموحدين امام بنى مرين بحواز فاس فى عام ٦١٣هـ(١٢١٦م) ،وكان ابراهيم بن الفخار الاسلامى (وزير ملك قشتالة قد وصل قبل هذه الهزيمة بنحو عام ، رسولا من قبل ذلك الملك بشأن عقد السلم ، « فانعم المستنصر بالله بذلك ، ووقع كتابين اثنين ، احدهما الى السيد ابى الربيع صاحب جيان ، والثانى للشيخ ابى العباس بن ابى حفص والى قرطبة ، ومقتضاهما عقد السلم والموادعة مع ملك قشتالة اخزاه الله على جميع بلاد الموحدين

---

(١) فى الحادى عشر من شعبان سنة ٦١٠هـ الموافق ٢٣ من ديسمبر ١٢١٣م (ابن خلدون ، كتاب العبر ، ج٦ص ٢٥٠) .

(٢) عبد الواحد المراكشى ، المعجب ، ص ٣٢٥ .

(٣) هكذا وردت فى البيان المغرب (القسم الثالث ص ٢٤٤) وصحة اليهودى بدلا من الاسلامى ، وقد سبق ان ارسل ملك قشتالة ا بوسف بن الفخار اليهودى الى يعقوب المنصور لتجديد الص مع الموحدين فى سنة ٥٨٧ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بالاندلس على الشروط التى عدوها ، والعهود التى عقدوها ، فالتزم اليهودى لعنه الله ما لزم ، وانعم بما عقد من الامر وابرم ، فصلحت البلاد الاندلسية فى هذه السنة من جهة المهادنة ، ووليها كبراء السادة واشياخ الموحدين » (١) .

ويرجع السبب فى حرص مملكة قشتالة على طلب هذا الصلح ، رغم انتصارها الساحق على المسلمين فى موقعة العقاب سنة ٦٠٩ ، أن احوالها الداخلية فى تلك السنوات الاخيرة كانت قد تدهورت للغاية ، فقد تفشى فى مملكة قشتالة وباء خطير اهلك كثيرا من سكانها (٢) ، كما شملتها موجة عنيفة من المحل والقحط (٣) ، وحدث أن توفى الفونسو الثامن ملك قشتالة فى عام ٦١١هـ (١٢١٤م) اثناء ذهابه للقاء ملك البرتغال فى بلدة بلازنثيا الواقعة على حدود مملكته ، وكان هذا الاجتماع يستهدف توثيق اواصر الصداقة بين الممالك المسيحية المختلفة ، ولكن القدر لم يمهل الفونسو الثامن ، فقد توفى فى طريقه اليها ، ودفن فى دير لاس ويلجاس او الدير الملكى ببرغش Burgos . ولما كان الفونسو الثامن قد انجب اربعة ابناء لم ينبق منهم على قيد الحياة سوى هنرى الاول اصغرهم الذى كان وفت وفاة ابيه فى العاشرة من عمره ، فقد تولت امه الملكة اليئورا الوصاية عليه (٤) لفترة قصيرة للغاية ، اذ مالبثت ان توفيت عقب وفاة زوجها الملك الفونسو الثامن بأيام قلائل (٥) ، وعندئذ تولت الوصاية على الملك الطفل « هنرى الاول »

---

(١) ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الثالث ، ص ٢٤٤

(٢) محمد عبد الله عنان ، عصر الموحدين ، ص ٣٣٤

(٣) ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الثالث ، ص ٢٤٤ - يوسف اشباخ ، تاريخ الاندلس ، ص ٣٨٦ .

(٤) محمد عبد الله عنان ، عصر الموحدين ، ص ٣٣٣ - يوسف اشباخ ، المرجع السابق ، ص ٣٨٧ .

(٥) اشباخ ، المرجع السابق ، ص ٣٨٧ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اخته الكبرى برنجويلة ، وكانت مطلقة الفونسو التاسع ملك ليون ، واثارت وصايتها على هنرى الاول مشاكل عديدة فى مملكة قشتالة كادت ان تزج بها فى حرب اهلية . ثم حسم الامر وفاة هنرى الاول وهو فى الرابعة عشرة من عمره فى سنة ٦١٤هـ (١٢١٧م) (١) ، وعندئذ اعلنت برنجويله نفسها ملكة على قشتالة ، وفى عهدها « تجددت المهادنة والمصالحة بين ولاة الاندلس من السادة الموحدين بامر المستنصر بالله وبين النصارى - ذمرهم الله - وكتب الوزير ابو يحيى زكريا بن ابى زكريا لملكة قشتالة بنت ملك قشتالة وطليطلة كتابا من انشاء ابن عياش يخبرها بالسلم الذى انعقد بينه وبين رسولهم » واورد ابن عذارى نسخة منه (٢) .

ثم استقدمت برنجويله ولدها فردلند من زوجها السابق الفونسو التاسع ملك ليون ، وتنازلت له عن الملك ، فاصبح ولدها فردلند ملكا على قشتالة تحت اسم فرناندو الثالث (٣) . وبسبب كل هذه الاحداث السابقة كان على مملكة قشتالة ان تعمل على تحييد المسلمين بطلب الصلح والمهادنة لتتفرغ لتنظيم احوالها الداخلية .

ب - سقوط قصر ابى دانس فى ايدى البرتغاليين :

انتهزت مملكة البرتغال فرصة الضعف الذى حل بدولة الموحدين عقب هزيمتهم الشنعاء فى العقاب وظهور دولة بنى مرين فى المغرب ومناوءتها للدولة الموحدية ، وبدات فى تنفيذ اطماعها التقليدية فى الاستيلاء على ولاية الغرب وضمها الى املاكها ، بما فى ذلك بطليوس

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣٨٨ - ٣٩١ .

(٢) ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الثالث ، ص ٢٤٦ .

(٣) يوسف اشباخ ، تاريخ الاندلس ص ٣٩١ - محمد عبد الله عنان عصر الموحدين ، ص ٣٣٤ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حاضرة الغرب ، فقد ذكر ابن أبى زرع أنه فى سنة ٦١٤هـ انهزم المسلمون فى قصر أبى دانس على أيدى البرتغاليين هزيمة سنعاء نقارب هزيمتهم فى العقاب لان العدو كان قد نزل على هذه المدينة وحاصرها ، فخرج جيش اشبيلية وجيش قرطبة وحشود بلاد عرب الاندلس بأمر يوسف المستنصر لاعادته واستنقاذه (١) ، فكانت الكارثة . ونستدل مما ذكره ابن أبى زرع على أن تهديد البرتغاليين لقصر أبى دانس ، واستيلاءهم عليه كان يشكل بالنسبة للموحدين كارثة لاتقل فى حجمها عن كارثة العقاب سنه ٦٠٩هـ . فباستيلاء البرتغاليين على هذا الثغر أصبح الطريق امامهم مفتوحا للسيطرة على سائر حواضر الغرب الاخرى مثل بطليوس وماردة وقاصرش .. الخ . ومن هذا المنطلق حشد الموحدون جيوشهم باشبيلية وجيان وقرطبة وبلاد غرب الاندلس للتصدى لهذا الهجوم الغادر واستنقاذ قصر أبى دانس . ولكن هذه الجهود التى بذلها الموحدون للحفاظ على قصر أبى دانس ضاعت عبثا ، فبمجرد أن عاين عسكر الموحدين حشود اعدائهم حتى دب الرعب فى أوصالهم وتذكروا هزيمة العقاب ، فالتمسوا النجاة بأنفسهم وبادروا بالفرار ، وولوا الادبار ، وقوات البرتغاليين من ورائهم تحصد فلولهم ، وتمزق جموعهم ، وتفتك بهم حتى أبادتهم عن آخرهم . ولكن عبد الله بن أبى بكر بن وزير والى قصر أبى دانس أظهر شجاعة فائقة واستمات فى الدفاع عن مدينته، فقد اعتمد على مناعة تحصيناتها فى التصدى للعدو البرتغالى . وعندما تبين له أن الحصار الذى فرض على قصر أبى دانس قد تحول من محرد حصار وضعه البرتغاليون بقصد الاستيلاء عليها الى حصار صليبى (٢) شامل لهذه المدينة يستهدف القضاء على قوى المسلمين تمهيدا للسيطرة

---

(١) ابن أبى زرع ، الانيس المطرب بروض القرطاس ، ص ١٦١ .

(٢) استعان البرتغاليون باسطول صليبى يحمل حشدا من الالمان كانوا فى طريقهم الى الاراضى المقدسة لمقاتلة المسلمين بحكم أنهم (أى البرتغاليين) كانوا يمارسون حربا صليبية ضد الاسلام فى الاندلس.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على الغرب كله ، اخذ يستصرخ الموحدين باشبيلية ملتمسا النجدة ، فبادر الخليفة الموحدى المستنصر بتوجيه الجيوش التى اسرنا اليها ، ولكن قوات الموحدين لم تستطع ان تواجه تحالف البرتغاليين والصليبيين مجتمعة والتى كانت تشكل كثرة عددية فاقت قوات المسلمين عددا ، فانهزم المسلمون بقصر ابى دانس ، « واستشهد فى هذه الكارثة من المسلمين مايزيد على ستة عشر الفا » (١) . وعلى الرغم من عظم الخسائر التى تعرض لها المسلمون فى الارواح والسلاح فان البرتغاليين لم يتمكنوا من اقتحام المدينة ، وظلت صامدة تقاوم بشراسة وعنف ، فى حين اخفق العدو فى مجرد فتح ثلمة فى سورها ، فاضطر المهاجمون الى صنع ابراج عالية تفوق فى ارتفاعها ارتفاع اسوار المدينة ، ثم شحنوها بالفرسان والرماة ، واخذوا يقذفون المدينة بالرماح والنبال ، وفى ذات الوقت تعرضت اسوار المدينة لقذائف مجانيقهم ، وعندئذ فقط ادرك اهالى قصر ابى دانس ان نهايتهم اصبحت وشيكة ، فطلبوا الامان لانفسهم فى مقابل التسليم على ان يسمح لهم النصارى بمغادرة البلاد حاملين معهم امتعتهم واموالهم ، فاستجاب النصارى لرجائهم ،ومنحوهم امانا على انفسهم على ان يخرجوا من بلدهم آمنين بدون امتعة او دواب او اموال ، وتم ذلك فى رجب سنة ٦١٤هـ (١٨ اكتوبر ١٢١٧م) . ويسوق الحميرى رواية موجزة توضح كيف سقطت قصر ابى دانس . فيقول : « قصر ابى دانس ، فبه كانت الوقيعة على المسلمين للروم فى سنة ٦١٤هـ ، واعانهم اهل الاشبونة وغيرها من مملكة ابن الرنق ، فاخذوا فى نقب الارض تحت الحصن الى ان قنطوا ، وافضى الناس الى الهلكة ، وبلغ الامر الى الولاة الذين فى غرب الاندلس واشبيلية وقرطبة وجيان ، فتجهزوا لدفاع العدو ، وجاء منهم جيش عظيم ، لكنهم تخاذلوا على عادتهم ، فكانت الهزيمة عليهم وولوا منهزمين ، ووقع القتل والاسر ، ولم ينج للمسلمين من الروم الا نحو سبعين فارسا ،

---

(١) ابن ابى زرع ، الذخيرة السنية فى تاريخ الدولة المرينية ، الرباط، ١٩٧٢ ، ص ٥٠ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وراى اهل الحصن ذلك ، فايفنوا بالتغلب عليهم » (١) . اما عبد الله بن وزبر والى المدينة فقد استسلم للبرتغاليين ، وزعم انه تنصر حتى يستميل النصارى الى أن يتمكن من النجاة ، وبالفعل لم تمض ايام قليلة حتى فر من معسكرهم الى دار الاسلام (٢) . اما صاحب روض القرطاس فيسوق روايتين ، جاء فى الاولى ما يلى : « وفى سنة خمس عشر وستمائة دخل الفنش ملك قشتيلة قصر ابى دانس بالسيف » (٣) . وأما الثانية فقد جاء فيها : « ورجع الفنش الى قصر ابى دانس ، فحاصره حتى دخله بالسيف ، وقتل كل من به من المسلمين » (٤) .

ومن هذين النصين اللذين اوردهما ابن ابى زرع يتبين لنا ان كليهما غير صحيح ، ففى سنة ٦١٥هـ الموافقة لعام ١٢١٨م ، لم يكن ملك قشتالة هو الفنش ، والمقصود به هنا الفونسو الثامن النبيل كما ورد فى النصين اللذين اوردهما ابن ابى زرع ، لان الفونسو المذكور كان قد توفى فى سنة ٦١١هـ (اكتوبر ١٢١٤م) وخلفه على ولاية العهد كما سبق ان ذكرنا ولده هنرى الاول الذى كان طفلا ، ثم توفى هنرى الاول فى عام ١٢١٧م ليخلفه على عرش قشتالة فرناندو الثالث ولد الملكة برنجويله Berenguela التى تنازلت له عن العرش (٥) .

---

(١) الحميرى ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٩١ ، ١٩٢ .

(٢) محمد عبد الله عنان ، عصر الموحدين ، ص ٣٤٠ . وقد علق ابن الابار فى ترجمته لعبد الله بن ابى بكر بن وزير أن امره قد انتهى باشبيلية حين قبض عليه بأمر محمد بن يوسف بن هود المتوكل ، وعلى اهل بيته ، وقد قتل هو واخوه ابو عمرو عبد الرحمن اثر منصرفه من الوقيعة العظمى عليه بمارده من الثغر الجوفى فى سنة سبع وعشرين وستمائة (انظر ابن الابار ، الحلة السيراء ، ج٢ ص ٢٩٦) .

(٣) ابن ابى زرع ، الذخيرة السنية ، ص ٥١ .

(٤) ابن ابى زرع ، روض القرطاس ، ص ١٦١ .

(٥) يوسف اشباخ ، تاريخ الاندلس ، ص ٣٩٢ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كذلك لم يكن المقصود بالفنش فى نص ابن ابى زرع الملك الفونسو التاسع ملك ليون الذى لم يكن بامكانه سوى الى السيطرة على بطليوس ومارده من بلاد الغرب ، اما قصر ابى دانس فكانت هـــدف ملك البرتغال . ونميل الى الاعتقاد بان المقصود بالفنش الوارد ذكره فى نص ابن ابى زرع الملك الفونسو الثانى بن سانسو الاول ، وكان قد خلف اباه على عرش البرتغال فى سنة ١٢١١م (١) ، ودام حكمه حتى سنة ١٢٢٣ . وكان الفونسو الثانى ملك البرتغال قد شارك ملوك اسبانيـا المسيحية والفرنجة فى وقعة العقاب (٢) . ويؤكـد لويس شوارث انـه هو الذى استغل مرور احدى الحملات الصليبية للصليبيين على سواحل بلاده وطلب منهم الاشتراك مع قواته فى فتح قصر ابى دانس ، فحاصرتهم قواته البرتغالية وقوات حلفائه الصليبيين فى ٣ اغسطس ١٢١٧ ، واستمر الحصار شهرا ونصف الشهر وانتهى بموقعة عنيفة اسفرت عن هزيمـة المسلمين واستسلام اهلها فى ١٨ اكتوبر سنة ١٢١٧ ، وتبع سقوطها فى ايدى البرتغاليين سقوط عدد من المراكز الامامية ومن بينها مدينة شربه Serpa ومورة Mourn (٣) .

جـ - محاولات الليونيين افتتاح قاصرش :

كان الفونسو التاسع ملك ليون قد خرج فى سنة ٦١٠هـ (١٢١٣م) اى بعد الانتصار الساحق الذى احرزته قوى المسيحية فى اسبانيا على قوى الموحدين فى موقعة العقاب ، لمساعدة الفونسو الثامن بطل تلك الموقعة ، فى فتح قرطبة والاندلس ، ولكن الفونسو التاسع لم يكن مخلصا للفونسو الثامن ، ولذلك فانه اتجه الى بلاد الغرب من جهة قورية ، وتمكـن من التغلب على قنطرة السيف ، ثم تابع سيره جنوبا ، وفى نيته غزو

---

(١) Crónica General de España, p. 653.

(٢) Aguado Bleye, Manual de la historia de España, t. I, p. 659.

(٣) Luis Suárez, Historia de España, edad Media, p. 277.

قاصرش ، ولكنه تركها ، وتابع زحفه الى ماردة ، واضطر الى القفول عائدا الى بلاده بعد أن الفى نفسه قد توغل فى بلاد المسلمين ، وخشى أن يتعرض لاخطار لم يحسب لها حسابا (١) .

وراى الفونسو التاسع ملك ليون انيصفى حساباته أولا مع ملك قشتالة قبل أن يقدم على مثل تلك المغامره ، وبالفعل تمكن فى سنه ٦١٤هـ (١٢١٧م) من عقد هدنه لمدة عامين مع فرناندو التالت الفديس ملك قشتالة وهو فى نفس الوقت ابنه من دنيا برنجويله ، وبذلك أنهى خلافاته معه ، وعقد فى اغسطس سنة ١٢١٨م (٦١٥هـ) معاهده سلام دائم بين قشتالة وليون (٢) . وعندئذ تفرغ لتحقيق هدفه بعيد المدى وهو السيطره على قاصرش ومدن الغرب المجاورة . وترجع همية قاصرش بالنسبة لمملكة ليون الى انها تحمى حصن القنطرة الذى كان فى ذلك الوقت مركزا لجماعة فرسان القنطرة (٣) ، ولهذا السبب بدأ حصاره لقاصرش فى منتصف نوفمبر ١٢١٨م (٦١٥هـ) ، ولكن المدينة الاسلامية قاومته ببسالة مما اضطره الى رفع الحصار عنها فى ديسمبر من نفس السنة . ثم عاود الفونسو التاسع حصاره لقاصرش فى سنة ٦٢٠هـ (١٢٢٣م) بمساعدة فرسان سانتياجو ، ولكن الفونسو التاسع عاد من جديد الى رفع الحصار عنها للمرة الثانية لما ابدته المدينة واهلها من بسالة فى الدفاع والمقاومة . وواصل الفونسو التاسع نطلعه الى تحقيق هدفه فى الاعوام التالية : ١٢٢٣م (٦٢٢هـ) ، ١٢٢٥م (٦٢٣هـ) ، ١٢٢٦م (٦٢٤) وانتهى الامر بسقوط قاصرش فى أيدى الليونيين بمساعدة بعض القشتاليين فى عام ٦٢٤هـ (١٢٢٧م) (٤) . وبسقوطها انفتح الطريق أمامه للاستيلاء على اهم معاقل الغرب : منتانجش وماردة والبش وبطليوس .

---

(١) Aguado Bleye, Manual de la historia de España, P 656.

(٢) Ibid. p. 657.

(٣) وانظر ايضا محمد عبد الله عنان ، عصر الموحدين ، ص ٣٤٠ .

(٤) Aguado Bleye, op cit p. 627

Aguado Bleye, Manual de la historia de España, p. 627

(٦)

سقوط بطليوس فى أيدى الليونيين سنة ٦٢٧هـ (١٢٣٠م)

١ - انهيار سلطان الخلافة الموحدية فى الاندلس :

توفى يوسف المستنصر بمراكش فى ١٢ ذى الحجة سنة ٦٢٠هـ ([1]) . (١٢٢٣م) ، وكان سابا لاهيا يميل الى الاستمتاع بملذات الحياة ، كما فوض امور دولته لسفلة القوم وسفهائهم ، فضعفت دولة الموحدين فى عهده واضمحلت ، وبدات تفقد املاكها فى الاندلس ، لاسيما وانه لم يخرج قط من حاضرته مراكش الا الى تينملل للتبرك بالمهدى ([2]) . وبوفاته اضطربت احوال دولة الموحدين ، ودب الخلاف بين افراد الاسرة ، واشتد تنافسهم للظفر بعرش الخلافة مما اتاح المجال لقيام الثورات فى الاندلس ، وعرض مدنها للوقوع لقمة سائغة فى براثن ممالك اسبانيا المسيحية . فعبد الله بن يعقوب المنصور الملقب بالعادل نازع ابا محمد عبد الواحد الذى خلف المستنصر على خلافة الموحدين ، ولم يلبث عبد الواحد ان خلع فى ٢٠ شعبان من سنة ٦٢١هـ ثم قتل خنقا بعد خلعه بثلاثة ايام ([3]) . اما العادل فلم ينعم طويلا بالخلافة ، اذ ثار عليه اخوه عبد الله البياسى الذى استعان بمملكة قشتالة لمحاربة اخيه ، فاضطر العادل الى مغادرة الاندلس الى المغرب بعد ان فوض لاخيه ابى العلاء ادريس مهمة النظر فى شؤونها .

وكانت ظروف الاندلس قد ساءت الى درجة كبيرة لاسيما بعد غارات الليونيين على اشبيلية والشرف Aljarafe وطلياطة ([4]) Tablada

---

(١) ابن ابى زرع ، روض القرطاس ، ص ١٦١
(٢) ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الثالث ، ص ٢٤٧ .
ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ٢٤٧ .
(٤) الحميرى ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٢٨ ، ١٢٩ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سنة ٦٢٢هـ (١٢٢٥م) ، واخذت الاندلس تموج بالفوضى والاضطراب، لاسيما بعد ان ثار ابو العلاء ادريس هو الآخر على اخيه العادل ، وخلع طاعته ، واعلن الدعوة لنفسه فى شوال سنة ٦٢٤هـ (١٢٢٧) . أما العادل فقد كان مصيره سيئا ، اذ قتل على ايدى أشياخ الموحدين (١). ثم بايع الموحدون فى المغرب للمأمون اخى العادل ، ولكنهم نكثوا بيعتهم له خشية ان يطلبهم بثأر من قتلوه من قرابته ، وآثروا مبايعة يحيى ابن اخيه لصغر سنه . وقامت الحرب بين المأمون وابن اخيه ، ثم توفى المأمون ، وخلفه ولده الرشيد .

مهدت هذه الحوادث المؤسفة لانهيار دولة الموحدين فى الاندلس ، وتمزق وحدتها ، وقيام الثورات على الموحدين . وشهد اهل الاندلس تلك الصورة المحزنة امامهم : فمن صراعات شخصية على الخلافة الى فتن وثورات ترتبت على هذه الصراعات وتسببت فى نسيان الموحدين لواجبهم الدينى وهو الجهاد . وعندئذ ظهر من بين أهل الاندلس زعيمان كان لهذا الفضل فى محاولة جمع صفوف المسلمين فى الاندلس ، ولم شعثهم هما : محمد بن يوسف بن هود الجذامى ، ومحمد بن يوسف بن نصر . وكل ما يهمنا فى تلك الاحداث ان بطليوس خلعت طاعة الموحدين فى سنة ٦٢٦هـ (١٢٢٩م) وانضمت الى دعوة ابن هود ، وحذت ماردة حذوها (٢) . وكانت بطليوس قد عانت كثيرا فى الفترة الاخيرة من حكم الموحدين ، واذا كانت قد تعرضت باستمرار لاعتداءات البرتغاليين فى عصر خلفاء الموحدين العظام ، فانها مرت بفترات مظلمة فى عصر اضمحلال دولة الموحدين .

---

(١) ابن ابى زرع ، ص ١٦٥ وما يليها ـ ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ٢٥٢ .

(٢) محمد احمد عبده ابو الفضل ، شرق الاندلس فى عصر دولة الموحدين رسالة دكتوراه) ص ١٧١ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ب - سقوط بطليوس فى ايدى الليونيين :

عرضنا فيما سبق لاحداث بطليوس والغرب من وجهة النظر الاسلامية ولكن علينا كذلك أن ننظر الى هذه الاحداث من خلال منظار المصادر المسيحية لنستطيع أن نلم بكل زوايا الحقيقة التاريخية الكاملة .

فعندما تمكن البرتغاليون من ايقاع الهزيمة الشنعاء بمسلمى قصر ابى دانس فى عام ٦١٤هـ طلب اسقف طليطلة المؤرخ رودريجو خيمنث دى رادا من البابا هونوريوس الثالث فى سنة ١٢١٧م (٦١٤هـ) أن يمنحه الحق فى انشاء عدد من الكنائس التى تقرر تاسيسها فى مدن تلك المنطقة ، ومن بينها شيون Chillon (١) و (المعدن) ، ومكناسة Migneza (٢) وام غزالة Magazela (٣) ، ومدلين Medellin ، وترجلة Trujillo وزفرة Zafarez (٤) . وفى عام ١٢١٧م (٦١٤هـ) نفسها منح الفونسو

---

(١) تقع شيون بالقرب من مدينة المعدن ، وكانت زمن المسلمين غنية للغاية بمعادنها ، لاسيما معدن الزئبق ، ولاتزال حتى اليوم تحمل اسمها الفينيقى القديم Sisapo الذى يعنى المعدن ،ومنها كان يمر الطريق من ماردة الى طليطلة ، والملاحظ أن اسمها العربى «المعدن» يحمل نفس المعنى الذى تحمله اسماؤها الاخرى (انظر :
(Martinez y Martinez, historia, p. 27).

(٢) تقع Migneza فى نفس الموضع الذى يسميه الادريسى «مكناسة» ، ويرى مارتينث اى مارتينث أن موضع مكناسة يعرف باسم مرتفع مكناسة Cerro de Migneza وهو نفس الراى الذى يميل سافدرا الى الاخذ به ، ويقع مرتفع مكناسة المذكور على الضفة اليمنى من وادى تاجة فى ملتقى الطرق من ترجلة وسمورة وطلبيرة .

(٣) أم غزالة Magazela كانت تسمى قديما Contosolia ، وتقع على الطريق الرومانى من ماردة الى قرطبة ، وبها حصن قديم كانت له اهمية استراتيجية عظمى فى هذه المنطقة الثغرية التى طالما غزاها الفونسو الثامن ، خاصة عند احتلاله لترجلة ومدلين (انظر ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الثالث ، ص ١٧٦ -
(Martinez y Martinez, op. cit p. 272).

(٤) زفرة Zafarez تقع على نهر تيتر Teitar ، وربما كانت هى نفس مدينة Jaracs الحالية ، أما نهر تيتر فهو النهر الذى ورد ذكره فى أخبار مجموعة (ص ٣٠) بمناسبة التقاء طارق بن زياد بموسى بن نصير بالقرب من طلبيرة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التاسع ملك ليون امتيازا لمرنين فرناندث رئيس جماعة فرسان قلعة رباح حصن القنطرة بكل نواحيه المتاخمة للبرتغال ، وقوريـة وجالستيو والقنيطرة ، وكان الهدف من هذا الامتياز اجتذاب نظام فرسان قلعة رباح الى مملكة ليون من جهة ، وتدعيم الدفاع عن مدينة القنطرة من جهة أخرى ، ولهذا فقد هاجم الفونسو التاسع مدينة قاصرش فى عام ٦١٥هـ وكانت لاتزال فى أيدى الموحدين .

وفى هذه المنطقة الواقعة بين القنطرة وبطليوس ، تقع مدينة كركر Albuquerque التى كان نظام فرسان سانتبا جو قد ضمها اليه فى سنة ١١٧١م (٥٦٦هـ) ، ثم استردها المسلمون فى حملة سنة ٥٧٩هـ (١١٨٤م) . وكانت كركر آنذاك مهجورة لان قربها من القنطرة صعب مهمة الدفاع الاسلامى عنها ، وفى أواخر عام ٦١٤هـ (١٢١٧م) تمكن الفارس البرتغالى Alfonso Tellez de Menses وكان متزوجا من الابنة غير الشرعية للملك سانشو الاول ملك البرتغال ، من الاستيلاء على حصن كركر ، وأسكن فيه مواليه واتباعه ، بالاضافة الى بعض البرتغاليين ، وقام بترميم الاسوار والتحصينات بقدر أمكانه حتى يمكنه ان يتصدى للغارات التى كان يشنها المسلمون من بطليوس . ويؤكد مارتينث اى مارتينث ، استنادا الى ما أورده لابولا ، أن بطليوس منذ عام ٦١٤هـ (١٢١٧م) كانت تشكل خطرا جسيما على الفونسو تييث Alfonso Tellez الذى تولى حكم كركر لمدة سبع سنوات ، لاسيما وانه لم يتلق أى معونة من القنطرة ولا من البرتغال .

ومما لاشك فيه أن استيلاء نظام جماعة فرسان قلعة رباح على القنطرة كان يشكل صعوبات جمة لمملكة ليون ، ذلك أن هذا النظام كان يتلقى أجوره من قشتالة ، وفى هذه الحالة لم يكن فرناندو الثالث ملك قشتالة ليرضى ان يستخدم النظام المذكور هذه الاموال فى الدفاع عن القنطرة وكان من المفروض أن تستغل هذه الاموال فى تحصين المواقع التى كان يحتلها فرسان هذه الجماعة داخل نطاق مملكته ، وعندئذ وازن الفونسو

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التاسع الفائدة والخسارة فى هذا الموضوع ، فلكى يستطيع فرسان قلعة رباح الدفاع عن الحدود الليونية ضد المسلمين ، وتكريس جهودهم على وجه الخصوص للتمسك بالقنطرة والدفاع عنها ، قدم لهم هبة فى ٦١٥هـ (يناير ١٢١٨م) قوامها قطاع فى مدينة البه دى توربس Alba de Torbes وبعض اقطاعات أخرى كان يمتلكها الملك فى جاما ، ويبدو أن فرسان قلعة رباح لم يتمكنوا من ارضاء أى من الملكين ، ولهذا فقد اندمجوا فى نظام سان خوليان دل بيريرو بعد أن تنازلوا له عن الموقع (أى عن مدينة القنطرة) وعن كل أملاكهم وامتيازاتهم فى مملكة ليون .

وعندئذ رأى الملك الليونى الفونسو التاسع ، أنه أصبح من الضرورى التوسع فى نظام فرسان سان خوليان الذى سمى منذ ذلك الحين بنظام فرسان القنطرة . وتحقيقا لهذا الهدف غمر الفونسو التاسع نظام فرسان القنطرة بالهبات التى شجعتهم على تعمير المناطق الثغرية التابعة لها ، كذلك قام الملك الليونى بانتزاع بعض الاقطاعات من جماعة فرسان المعبد فى عام ٦١٧هـ (١٢٢٠م) ليمنحها لنظام فرسان القنطرة . وتجنبا لما يمكن أن ينشب من نزاع بين النظامين ، منح الملك لفرسان المعبد (الداوية) مدينة البه دى اوستى Alba de Auste ، كما منح فى ١٢ اكتوبر من السنة نفسها لنظام فرسان القنطرة الحق فى تلقى رسم عبور بعض مواضع من جليقية حتى يتيح لهم العائد الانفاق على الترميمات الهامة فى حصن القنطرة . وفى نفس الوقت منح نفس النظام حصن ميلانا Milana وخول له امتيازا يقضى بمنحه حق بيع الحصون والمواضع التى يغنمونها مستقبلا من المسلمين فى الثغر الجوفى (استراما دورة ـ ايون) .

وهكذا ازدهر نظام جماعة فرسان القنطرة ، واصبح فى ظروف افضل للهجوم على المسلمين المرابطين على الحدود . وفى ربيع تلك السنة (٦١٧هـ) استولى جماعة فرسان القنطرة على بلدة بلنسية القنطرة ، وعلى الرغم من أن الاخبارى توريس يشير الى أن نظام القنطرة دخلها عنوة الا أن الارجح انها كانت مهجورة أو على الاقل كانت خالية من

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

السكان كالشان فى بلدة كركر التى عمرهـا الفونسو تيبث Alfonso Tellez وكما كان الحال فى عدد من المواضع الصغيرة الواقعة فى المناطق الاماميـة من الحدود . ويسوق مارتينث اى مارتينث رواية نقلها عن حوليات طليطلة هى مثل صارخ لفئة من المغامرين المسيحيين كانوا يخرجون فى قوة مـن اصحابهم لاحتلال بعض هذه الحصون المهجورة من أصحابها ، فيحصنونها ويتخذونها قواعد عسكرية امامية لهم ، وجاء فى الحوليات المذكورة فى سياق حادثة وقعت فى شهر اغسطس من نفس السـنة نصها : « وجـاء سانشو فراندث Sancho Ferrandez ابن الملك فرناندە الثانى ملـك ليون ابن الامبراطور الى طليطلة ، وقال انه سيمضى الى ملك مراكش وسيسبب له خسائر كثيرة ، فصدقه عدد كبير من المسيحيين واليهود ، فطلب منهم أن يصحبوه الى اشبيلية ، ووعدهم بأن يدفع لهم هناك ، فاستجابوا له ظنا منهم أنه سيمضى بهم الى اشبيلية ، ولكنه ضل السبيل ، ووصل الى كانيا ميرو ، وهو حصن عظيم ، وسكنه هو واصحابـه ، وتسبب فى الحاق كثير من الاضرار بالمسلمين . وفى يوم الثلاثاء وبينما كان سانشو فراندث بأعلى جبل هاجمه دب وقتلـه ، وفى اليـوم الثالث (الخميس) جاء ملك بطليوس Badalloz فى قوة كبيرة من المسلمين واستولى على كانيا ميرو وذبحهم جميعا وكان ذلك فى يوم ٢٥ اغسطس ».

وواضح من النص السابق أن سانشو فراندث الذى كان مكروها من اخيه ملك ليون رحل الى طليطلة للبحث عن رجال يشاركونه المغامرة على غرار المغامر الفونسو تيبث فى كركر ، وبعد أن خـدع الكثيرين ووعدهم بالسير الى اشبيلية حيث يتلقون من أميرها الموحدى مرتبات ضخمة ذهب معهم لتعمير موضع من استرامادوره يقع على الحدود المهجورة التى لايقدم على الاقامة فيها ونزولها أحد سواء من المسلمين أو مـن المسيحيين ، وكان الموضع الذى نزله سانشو من العزلة بحيث كانت تأوى اليه الوحوش ، ولا شك أن الجبل الذى هاجمه فيه الدب هو جبل وادى لب Guadalupe وكانت تكسوه غابة تسكنها الوحوش ، وفى سنة ٦١٩هـ (١٢٢٢م) قرر الفونسو التاسع ، وكان قد تصالح مع ملك البرتغال ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

توجيه حملة على الثغر الادنى ومحاصرة قاصرش كما اشرنا من قبل ، وشرع فى ذلك فى أواخر يوليو ، وهناك تجمع لديه كبير من فرسان الجماعات الدينية العسكرية وحشد كبير من المقاتلة ، وشرع الملك فى نصب المجانيق لتخريب الاسوار ، ونجح رجاله فى فتح ثغرة كافية لاقتحام المدينة ، ولكن الفونسو تلقى فى تلك اللحظة رسولا من قبل خليفة الموحدين يعرض عليه مبلغا كبيرا من المال مقابل أن يرفع الحصار عن قاصرش ، فلم يتردد الملك الليونى فى قبوله ، وقفل عائدا الى مملكته . وهكذا انسحب ملك ليون بعد ان قبل العرض السخى مع عدد من الاسرى المسلمين بالاضافة الى ما حمله معه من الغنائم ، ونبين فيما بعد ان خليفة الموحدين سخر منه ، ولم يدفع له المال الذى كان قد وعده به . وترتب على هذه الخدعة ان حصن المسلمون قاصرش ، واصبح الاستيلاء عليها بعد ذلك امرا عسيرا (١) .

وكان سانشو الثانى قد خلف اباه الفونسو الثانى على عرش البرتغال منذ سنة ١٢٢٣م ، وكانت احوال دولة الموحدين انذاك فى غاية السوء ، لاسيما بعد وفاة المستنصر الموحدى واحتدام الخلافات بين ابناء اسرة عبد المؤمن . وفى اثناء ذلك انصرف الفونسو التاسع الى الاشتغال بمشاكل مملكته . وفى سنة ١٢٢٥م استصرخه الفونسو تيبث صاحب حصن كركر والذى ظل خلال سبع سنوات يحارب المسلمين من حصنه ، وتعرض مرات عديدة للهلاك عندما كان المسلمون يحاصرون حصنه ، ويرغمونه على التحصن بداخله والدفاع من وراء اسواره ، وقد لجأ الفونسو تيبث الى البابا كى يتوسط له عند فرسان سانتياجو الذين كان يستصرخهم لمساعدوه فى كل مرة يهاجم فيها المسلمون حصنه . ولم يتردد ملك ليون هذه المرة فى القيام بحملته الى قاصرش التى اشرنا اليها وعاد منها بغنيمة كبيرة . وفى العام التالى (ربيع سنة ١٢٢٦م) قام بحملة اخرى الى منطقة بطليوس فى الوقت الذى كان ملك البرتغال يتوجه فيه نحو البش Elvas

---

(١) Martinez y Martinez, op. cit., p 278

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وربما لم تكن هاتان الحملتان الموجهتان من الملكين المسيحيين قد أعدتا عرضا أو انهما خرجتا بمحض الصدفة ، ومن المرجح انهما تما نتيجة اعداد واتفاق مسبق بين الملكين . وعلى أى حال فقد اجتاز الفونسو التاسع وادى تاجة عن طريق القنطرة ، وتوغل فى منطقة بطليوس ، وعاثت فواته فى احوازها عيثا شديدا ، واضرم النيران فى كل ما قابله من عمران ، وانتسف المزارع ، اما سانشو الثانى فلم يكتف بمجرد شن الغارات على مزارع البش ، وانما عزم على الاستيلاء عليها ، فضيق عليها الحصار ، وتمكن من الوصول عند اسوارها ، وكاد أن يهلك لولا ان انقذه الفونسو منذث ساراثينس Alfonso Mendez Sarracines فاخفاه فى غار ليحميه من المسلمين ، ولما عاد الفونسو التاسع مالك ليون من حملته ووصل الى مدينة السبطاط Ciudad Rodrigo منح رئيس جماعة فرسان القنطرة امتيازات جديدة ، وعندما وصل الى قورية فى نوفمبر سنة ١٢٢٧م منح جماعة فرسان القنطرة مدينة سلباليون المجاورة لبلدة ساجوبال Sagubal . ومن المعتقد انه استغل وجوده فى قورية فى هذا الشهر ليقوم باحدى غزواته التقليدية على الثغر ، ولعله اشتبك انذاك مع المسلمين فى معركة دارت بالقرب من نهر بوبركو Puerco ثم خرج مع الملك فى حملته التالية سنة ١٢٢٧م عدد كبير من فرسان القنطرة ، وشارك معهم غرسيه سانشث رئيس هذه الجماعة ، كما شارك معهم ايضا رئيس جماعة فرسان سانتياجو ويدعى بدرو جنثالث منجو ، واستبان ذى بلمونتى رئيس جماعة فرسان المعبد وغيرهم (١) . وفى هذه الاثناء اشتد النزاع فى صفوف المسلمين خاصة بعد ظهور ابن هود الذى انضمت اليه معظم قواعد الاندلس ، وعزم الفونسو التاسع ، وكان قد شاخ وهرم ، على اصلاح اخطائه القديمة ، فصمم على افتتاح كل اقليم استرامادوره الممتد جنوبى واديانه ، وكان فى امكانه ان يحقق ذلك لولا ان عاجله الموت وهو على وشك اتمامه . وكان فى بلاطه فارسان برتغاليان

---

(١) Martinez y Martinez, op. cit. pp 280 - 283.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يتسمان بالشجاعة والاقدام كانا لايقنعان الا بالغزو العسكرى الشامل هما الامير بدروسانشث ابن ملك البرتغال سانشو الاول وكان يقوم بدور رئيس ديوان ملك ليون ، والثانى مارتين مانشث ، وهو اعظم فرسان جيش مملكة ليون فى جليقية . وكان هذان الفارسان يتمتعان بمكانة عسكرية فى مملكة ليون ، وقد صرفا كل جهودهما فى تعبئة قوات ليون على الحدود الاسلامية تأهبا لاغتنام فرصة تحرك قوات البرتغال وقشتالة فى نفس الوقت . وهكذا كان سانشو الثانى متأهبا لحصار البش Elvas ، بينما اجتاز فرناندو الثالث سهول الاندلس ، وأرسل الى ابيه الفونسو التاسع بعض قواته امدادا له . وفى ربيع سنة ١٢٢٩م تجمع الجيش أمام اسوار قاصرش التى رغم حصانتها على حد قول لوكاس دى توى Lucas de Tuy الا أن حاميتها لم تكن كافية لكى تصمد لفترة طويلة ، وقد سهل ذلك سقوطها فى أيدى اللبونيين فى ٢٣ ابريل من نفس سنة ١٢٢٩ (٦٢٦هـ) . وقد ترتب على سقوط قاصرش احتجاج جماعة فرسان سانتياجو الذين كانوا يؤمنون بأحقيتهم فى امتلاك قاصرش على اساس ان الملك فرناندو الثانى كان قدوعدهم بمنحها لهم . ولكن لما كان الفونسو التاسع راغبا فى ضم هذه المدينة لمملكة ليون ، فقد اعتبرها حدا ، ومنحها امتيازا للتعمير ، ولكى يرضى جماعة فرسان سانتياجو ، منحهم حق امتلاك مدينتى كاستروتورافه Castrotoraf وفيافا فيله Villafa fila ، كما قدم لهم بالاضافة الى ذلك مبلغا من المال يقدر بألفى مرابطى من الذهب ، هذا بالاضافة الى أنه وعد هذه الجماعة بأنه اذا قدر له يوما ما افتتاح ترجلة وشنت اقروج ومنتانجش ومدلين فانه سيهب بعضها الى الجماعة المذكورة (١) .

وبينما كان الملك مشغولا اثناء مقامه بقورية بحل مشاكل الامتيازات الممنوحة لفرسان سانتياجو كان الجيش قد زحف بقيادة بدروسانشث من

---

(١) Martinez y Martinez, op. cit., pp. 284 - 282.

قاصرش الى ماردة ، واحتل الطريق المؤدية الى منتانجش بدون مقاومة ، كما احتل جميع المواضع المجاورة وهى الموهارين Almoharin ، والكويسكار Aleuescar ، وقرمونيتا Carmonita والحصين Aljucén (١) . وكان حماس الموحدين وفرحتهم بالاستيلاء على قاصرش ومنتانجس وماردة فى شهر واحد قد جعل احد المؤرخين يشبه ظهور القديس سانتياجو بوشرق مع جمهرة من العسكر البيض وهم يدرعون بسيوفهم فى المسلمين ، وهذا الزعم يعبر عن روح الحماس التى كان فرسان سانتياجو يقاتلون بها المسلمين (٢) .

وتم سقوط ماردة فى شهر مايو ، ونستدل من السرعة الفائقة التى تمت بها هذه الموحلات على ان الدفاع الموحدى عن هذه المناطق كان هزيلا ، وقد كان ذلك الضعف فى المقاومة امرا طبيعيا ، خاصة اذا ما اخذنا فى الاعتبار الظروف السيئة التى كانت تمر بها دولة الموحدين فى تلك الاونة ، من منافسات وطامعين ومنافسات شديدة بين افراد الاسرة الحاكمة ، وثورات داخلية جامحة ، وقد ادى ذلك كله الى انصراف الموحدين عن تنظيم خطط الدفاع عن مدن الاندلس الموجودة فى ذلك الحين بالغزو المسيحى ، ولذلك فان مؤرخا مثل مارتينث اى مارتينث يرجع ان الحاميات الاسلامية ظلت لا تعلم بمجرد تلقيها انذار المسيحيين ، ايمانا منها بعجزها عن

---

(١) فى اثناء زيارتى لبطليوس وما حولها من قرى ومدن استرعى نظرى عدد من الحصون المحاذية للمدينة ومن بينها قرية الحصين Aljucén وواضح من اسمها الاسبانى انه محرف من لفظة عربية اما ان تكون هى « الحصين » وهو اسم علم لعله اسم قائد او حاكم لهذه المدينة او انها مشتقة من « الحصين » وهو تصغير حصن ، نسبة الى ما كان يحتمى به هذه القرية ماتزال آثاره ترتفع فى شموخ على تلة مرتفعة .

(٢) هو ابن صاحب الى توى ، وقد أورد مارتينث اى مارتين مقتطفات طويلة منها (انظر Martinez, op. cit., p.230. Martinez y

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التصدى لجيوشهم لاسيما وان الجيوش الليونية كانت كثيفة العدو الامر الذى دفع الحاميات الاسلامية الى المبادرة بالتسليم (١) .

وهذا الرأى الذى ساقه مارتينث قد يكون على جانب من الصواب فيما يتعلق بكثافة جيوش الليونيين ، ولكن مارتينث جانب الصواب فى قوله أن المدن الاسلامية كانت تستسلم بمجرد تلقيها أول تهديد مسيحى لحامياتها . وهذا القول مجاف للحقيقة ومخالف للواقع التاريخى ، فكل المدن الاسلامية التى سقطت فى أيدى الجيوش المسيحية كانت قد ابدت من ضروب المقاومة والبسالة والبطولة صورا مشرفة ، فحصن القصر (قصر أبى دانس) لم يستسلم بمجرد رؤية حاميته لحشود العدو ، بل انه قاوم وناضل حتى ان العدو البرتغالى اضطر الى صنع ابراج عالية تمكنه من فتح ثغرات فى أسوار المدينة . وهناك مثل آخر اكثر تعبيرا وهو مدينة قاصرش التى حاصرها الملك الليونى اكثر من مرة طبقا للروايتين المسيحية والاسلامية ، وفى كل مرة كان الملك يضطر الى رفع الحصار ، ليعود بعد فترة الى محاصرتها ، وفى اعتقادنا انه لولا الصراع الداخلى الذى فكك أوصال الدولة الموحدية لكانت هذه المدن قد صمدت بقوة أمام هذه الحملات .

وفى ٣٠ مايو من سنة ١٢٢٩م وصل الملك الليونى الفونسو التاسع الى حصن الطليعة ، وهناك أصدر قرارا منح فيه ماردة لصالح كنيسة شنت ياقب الرئيسية Santiago ، وفى ذلك لم يتجاوز التقاليد المتبعة والتى كان يعمل بها شيوخه الذين كانوا يعتبرون ماردة حقا لاسقفية شنت ياقب وذلك منذ سنة ١١٢٢م التى صدر فيها القرار الذى يبيح لمقرشنت ياقب حرية التصرف فى اختصاص ماردة ، وعلى هذا الاساس فقد قرر الفونسو التاسع ان يتنازل عن ملكيته لماردة عقب سقوطها فى أيدى قواته . وقدر لنظام جماعة فرسان سانتياجو ان يظفر بعد ذلك

---

(١) Martinez y Martinez, op cit. p. 285.

بنصف ماردة بحكم تبعيته لاسقفية شنت ياقب ، ولكن ذلك لم يحدث الا بعد الاحداث التالية (١) .

وفى نفس الوقت الذى كانت قوات مملكة ليون تستولى فيه على ماردة ، كان البرتغاليون بدورهم يسيطرون على البشر Elvas ، وجلمانية Jurumenha وشيريه Serpa ، وهى مدن كان الموحدون قد استردوها من جرانده الجليقى (٢) . وبعد سقوط ماردة ، تابع ملك ليون فتوحاته ، ولكن بلغه ان ابن هود قد اقبل على رأس جيوشه بعد ان علم المصير الذى آلت اليه ماردة ، لكى يفوت على الجيش الليونى فرصة الاستيلاء عليها ، وهنا نقع فى حيرة امام الاختلاف بين المصادر العربية والمصادر المسيحية ، فبينما يذكر كل من ابن زرع فى روض القرطاس (٣) ، والمقرى (٤) فى نفح الطيب ان ابن هود اشتبك مع قوات الفونسو التاسع قبل سقوط ماردة ، تشير المصادر المسيحية المعاصرة امثال لوكاس دى توى ، ان المعركة بين ابن هود وقوات ليون حدثت بعد سقوط ماردة بالفعل ، وقد اكد هذه الحقيقة مارتينث اى مارتينث فى كتابه عندما اورد وثيقة هامة للغاية معاصرة لهذه الفترة ، ووضعها تحت عنوان ملحق رقم ٢٥ ذيل بها كتابه ، ونلاحظ انه فى هذا الملحق اشارة الى انه فى ٣٠ مارس سنة ١٢٣٠م (٦٢٧هـ) دارت المعركة وان الملك كان موجودا انذاك فى قارثا Zarza على مقربة من ماردة (٥) . وبالرجوع الى ابن عذارى فى البيان نطالع النص التالى : « وفى سنة سبع وعشرين وستمائة

---

(١) Martinez y Martinez, op. cit. p. 287.

(٢) راجع مدونتى قلمرية وردريجو الطليطلى الواردتين فى كتاب Historia de Badajoz للمؤرخ الاسبانى البطليوسى مارتينث اى مارتينث ، ص ٢٨٧ وكذلك :
Primera Cronica general de España, p. 653.

(٣) ابن ابى زرع ، روض القرطاس ، ص ١٨٢ .

(٤) المقرى ، نفح الطيب ، جـ٢ ، ص ٥٨٢ .

(٥) انظر ملحق رقم ٢٥ فى : Martinez y Martinez, op. cit., p. 287.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تحرك المتوكل على الله بن هود بجيوش عظيمة من المسلمين الى غزو اعداء الله الكافرين ، فالتقى مع عساكر الروم على ماردة ، فدفع فيهم بنفسه بنجدته وعزمه،ثم انهزم الى ساقته ، فوجد الناس قد ولوا منهزمين هنالك من اجل ذلك ، وكان من طبعه ملولا عجولا ، وكانت هذه الغزوة اول غزواته واضخمها ، فلم ينصر فيها (١) » . وفى هذا النص مايشير الى ان معركة ابن هود مع الليونيين حدثت عقب سقوط ماردة وليس قبلها ، فابن عذارى يقول أن ابن هود تقدم الى « غزو الكافرين على ماردة » ، فكلمة غزو تؤكد أن الليونيين كانوا قد استولوا على ماردة ، وان ابن هود يسعى الى غزوها ، والا لكان قد استخدم تعبيرا آخر وهو « للقاء العدو » مثلا او « لمحاربة العدو » ، ولذلك فنحن نميل الى الاخذ بالرأى القائل ان لقاء ابن هود بالليونيين تم بعد استيلاء العدو على ماردة . ومن الجدير بالذكر أن بعض الباحثين الاسبان المحدثين ، يؤكدون ان المعركة المذكورة حدثت قبل سقوط ماردة (٢) .

ومن المرجح أن يكون ابن هود قد اقبل الى ماردة عن طريق الجادة المتدة من قرطبة وتمر بنبع أوبيخونا Fuente obejuna وثلمية Zalamea ، ونزل بالموضع المسمى هورنا تشوس Hornachos ويقع على مقربة من ثلمية ، بدليل أن هذا الموضع ورد ذكره فى احدى الهبات الممنوحة على انه « منازل ابن هود » Posadas de Abenfud وهو اسم يشير

---

(١) ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الثالث ، ص ٢٧٠ .

(٢) يذكر Aguado Bleye

Aguado Bleye, Manual de la historia de España, p. 657

ويؤيده لويس شوارث (Luis Suárez, op. cit. p. 283) أن الفونسو التاسع تغلب على منتانجش ، ثم حاصر ماردة ، ولم يلبث ان رفع الحصار عنها لمحاربة ابن هود الذى سارع لنجدة اهل ماردة ، فهزمه الفونسو التاسع عند حصن الحنش ، واستولى بعد ذلك على ماردة ثم على بطليوس والبش وعلى حصون اخرى مجاورة لبطليوس كانت خالية . ويضيف لويس شوارث أن الفونسو التاسع قدم البش هدية الى سانشو الثانى ملك البرتغال بمناسبة المصالحة التى تمت بين الملكين . وقد سبق أن ذكرنا أن البش سقطت فى ايدى البرتغاليين

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الى معسكر ابن هود (١) . وتذكر المصادر المسيحية المعاصرة انه نشبت بين الفريقين معركة حامية عند حصن الحنش Alanje ، انهزم فيها ابن هود هزيمة ساحقة (٢) ، وتقهقر الى جنوبى الاندلس بعد أن فقد معظم جيشه . ولم يحاو لابن هود بعد تراجعه أن يعيد الكرة على العدو، ليس لخوفه من الدخول فى معركة جديدة مع جيوش ليون ، وانما لان بلنسية فى ذلك الوقت كانت موضع منافسة بين بعض الثوار ، بالاضافة الى تلقيه استغاثة من قرطبة بتقدم قوات قشتالة نحوها (٣) .

وفى يوم ٣٠ مارس ١٢٣٠م (٦٢٧هـ) أصدر الفونسو التاسع اثناء وجوده فى شارثا Zarza عدة هبات ، من بينها بيوت بماردة كانت ملكا لرجل مسلم يدعى عبد العليم بن طبريطة Abentobrita ، وبعض سواقى قريبة من الجسر وباب المدينة ، وكانت ملكا لبزان البطليوسى Padazani ، وحقل كان ملكا لعلى الاعرج ، وقد قدم الفونسو هذه الهبات الى نظام جماعة فرسان القنطرة مكافأة منه على الخدمات الجليلة التى قدموها فى مناسبات عديدة لاسيما أثناء استرداده لماردة وفى المعركة التى دارت مع ابن هود فيما وراء واديانه على مقربة من هذه المدينة عند حصن الحنش .

وكانت بطليوس قد أصبحت فى وضع سيىء للغاية ، فاذا كان سقوط ماردة وقاصرش قد ضيق عليها الخناق من جهة المشرق ، فقد ازداد التضييق عليها اكثر عندما تمكن البرتغاليون من الاستيلاء على البش وجلمانية من الغرب ، وبدأ جماعة فرسان المعبد على الفور ، سواء من مملكة ليون أو من البرتغال، يجتاحون سهول شريشه Jerez de los Caballeros

---

(١) Martinez y Martinez, op. cit, p. 288.

(٢) محمد احمد ابو الفضل ، رسالة الدكتوراه التى تقدم بها الى جامعة الاسكندرية عن شرق الاندلس فى ظل دولة الموحدين ، ص ١٧٦ .

(٣) Gaspar Remiro. Historia de Murcia Musulmana, Zaragoza, 1905, P. 277.

من الجنوب ، وعدمت بطليوس كل وسيلة لاقامة خطوط دفاعية امامية . ومن المؤكد ان سكان القرى الصغيرة المتناثرة حول بطليوس امثال الزلاقة Sagrajas ، وبوتوا Botoa ، ومنتميور Montemayor ، وتلينه Talena ، وبرثيال Berceal ، وغيرها كانوا قد تحصنوا داخل مدينة بطليوس ، لعدم شعورهم بالامن خارجها ، وكان كل ما يأملون فيه ان يتلقوا مددا او نجدة من الممكن ان تصل اليهم من جنوبى الاندلس ، ولكن تلاشى املهم الاخير فى هذه النجدة بعد ان تعرض ابن هود لهزيمته الشنعاء عند حصن الحنش ، واقبال جحافل الليونيين الى ضواحى المدينة . ومن المرجح ان بطليوس استسلمت منذ الاشتباكات الاولى ، ونستند فى ذلك الى مرور الاخباريين المسلمين على هذه الحادثة مرا سريعا ، فبينما يذكر المقرى (١) ان بطليوس استسلمت بعد ان فقدت كل أمل فى وصول امدادات ، تذكر مدونة قلمرية انها استسلمت فقط دون اضافة اية تفصيلات (٢) ، وتنهج الحوليات الطليطلية نفس النهج ، أما لوكاس دى توى فقد التزم الصمت حيال هذه الحادثة ، ولم يزودنا بأى تفاصيل عنها ، الامر الذى يحمل على الظن بأن فتحها جاء يسيرا . وذكرت مدونة قلمرية ان سقوط بطليوس تم فى عيد الروح القدس الموافق ٣ يونيو .

وبعد ان سقطت بطليوس فى ٦٢٧هـ (١٢٣٠م) منح الفونسو التاسع فرسان القنطرة بلدة شريشة وفريشنال وبرغش والكونشيل على اثر استيلائه عليها . ولاندرى فى اى تاريخ تلقى جماعة فرسان القنطرة كنيسة بطليوس وممتلكات اخرى بها ، ومما لا شك فيه ان الفونسو التاسع سار الى ليون فى شهر يوليو بدليل انه كان موجودا فى سمورة فى شهر اغسطس .

ومن واقع الوثائق عرفنا ان الفونسو التاسع عمر بطليوس بسكان

---

(١) المقرى ، نفح الطيب ، جـ٢ ، ص ٥٨٢

(٢) Martinez y Martinez, op. cit. . Apendice 28, 290.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جدد من النصارى ، وان كان بعض سكانها من المسلمين ظلوا يقيمون فيها وعندما كان الفونسو التاسع فى سمورة منح جماعة سانتياجو امتياز مدينة منتانجش وحصنها ، وقد ورد ذكره على انه ملك ليون وجليقية وبطليوس فى تلك الوثيقة (١) . وتوفى الفونسو التاسع فى ٢١ سبتمبر ١٢٣٠م بعد ان حقق اعز أمانيه .

وفى النهاية ، وبعد ان تم سقوط بطليوس ، يجب ان نذكر حقيقة تاريخية هامة ، وهى أن هذه المدينة لم تسقط فى ايدى الليونيين الا بعد ان انهارت دولة الموحدين تماما ، وافتقدت المدينة المدافعين عنها والحامين لذمارها ، وأصبحت تعتمد فى تقرير مصيرها على مقوماتها الذاتية وحدها ، وينبغى ان نقر بان الموحدين كانوا فى فترة قوتهم يهتمون بأمر هذه المدينة العريقة التى كانت قاعدة الثغر الجوفى . وعلى الرغم من أن بطليوس فقدت تفوقها الثقافى والعلمى والاقتصادى الذى شهدته زمن ملوك الطوائف ، وحلت محلها اشبيلية ، حاضرة الموحدين فى الاندلس ، الا انها اصبحت موضع اهتمامهم العسكرى ، فيكفى انهم اهتموا بتدعيم قصبتها المشهورة لتكون خطا دفاعيا أمام دولة البرتغال ، تحمى الحاضرة اشبيلية (٢) .

---

(١) Martinez y Martinez, op. cit. Apendice No. 28.

(٢) عبد الله علام ، الدولة الموحدية بالمغرب ، ص ٢٨٣ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الخاتمـــــة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من خلال دراستنا الطويلة للتاريخ السياسى لبطليوس فى العصر الاسلامى ، على مدى ما يقرب من ثلاثة قرون ونصف القرن (من سنة ٢٦١هـ حتى سنة ٦٢٧هـ) وعرضنا فيه الى الحوادث التى تعرضت لها المدينة منذ تأسيسها فى زمن الامير محمد بن عبد الرحمن الاوسط حتى سقوطها فى أيدى الليونيين ، استطعنا أن نتوصل الى نتائج جديدة قد تكون لها قيمتها بالنسبة للدراسات التاريخية الاندلسية ، استندنا فى بعضها على الحقائق الاثرية كنقوش العملات التى تم العثور عليها فى أرض بطليوس ، او النقوش الكتابية لبعض شواهد القبور من عصر دويلات الطوائف ونهاية عصر دولة المرابطين فى الاندلس ، بالاضافة الى ما اسفرت عنه الحفائر الاثرية التى أجريت منذ سنوات خمسة مضت فى موقع بطليوس ، وفى البعض الآخر على المصادر العربية بالدرجة الاولى ، وعدد من المصادر والمدونات الاسبانية المسيحية التى امكننا الرجوع اليها للاسترشاد بما ورد فيها من نصوص تتعلق بطبيعة العلاقات السياسية التى كانت قائمة بين ممالك اسبانيا المسيحية وبين بطليوس المدينة والامارة .
وفيما يلى عرض لبعض هذه النتائج :

١ - اثبتنا ان بطليوس مدينة قديمة للغاية ، فقد اسفرت الحفائر الاثرية التى اجراها عالم الآثار الاسبانى فرنشكو بالدس فرناندث Francisco Valdés Fernández فى موقع قصبة مدينة بطليوس فى الموسم الاثرى الاول (يوليو ١٩٧٧) عن كشف آثار ترجع الى العصر البرنزى (١) ، يضاف اليها ما تم كشفه فى مواضع مختلفة من مدينة بطليوس من آثار من العصر الحجرى ، يحتفظ بها متحف الآثار المحلى ببطليوس .

٢ - ناقشنا النظريات المختلفة المتعلقة بأصل تسمية بطليوس ،

---

(١) Abdel Aziz Salem, Noticias, en la Revista del Instituto Egipcio de Estudios Islámicos de Madrid, 1976 - 1978, pp. 131, 132.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفندنا الراى القائل بأن اسم بطليوس تحريف من Pax Augustus او Pax Julius ، اذ أن هذين الاسمين اكثر ارتباطا باسم مدينة باجة، وعرضنا اسماء مواضع فى شبه جزيرة ايبيريا تحمل المقطع الاخير لبطليوس، ورجحنا ان يكون لاسم بطليوس علاقه باسم وادى اللوز او بلد اللوز او بلدة اللوز ، على اساس أن الاسم جاء بهذه الصورة فى المدونة الاولى لتاريخ اسبانيا العام Badaioz ، كما ورد فى رسالة موجهة من فرناندو ملك البرتغال فى سنة ١٤١٧م باسم بادالوس Badalouce على أنه بطليوس ، وهو اسم قريب النطق من بطليوس . ومن الغريب ان احد ابواب مدينة قرطبة بسورها الغربى ، وهو باب بطليوس ، يحمل اسما آخر هو باب الجوز ، كما أن الفحص الممتد شرقى بطليوس تكسوه اشجار البلوط والجلوز ، ونعتقد أن الاسم العربى « بطليوس » جاء محرفا من اسم وادى اللوز ، ربما لان التسمية كانت صادرة من جماعات المولدين والمستعربين الذين استقروا فيها منذ أن مصرها عبد الرحمن بن مروان الجليقى ، وتجمع هذه التسمية بين الصوت العربى لوادى اللوز ونطقه بالاسبانية ، فكلمة وادى اذا تحولت الى الاسبانية تنطق « وادا » Guada كالحال فى الوادى الكبير Guadalquivir ووادى الحجارة Guadalajara كما أن كلمة بلد تتحول فى النطق الاسبانى الى « بيا » (Valla) كالشأن فى بلدة Valladolid اى بلد الوليد . اما « بلدة اللوز » فنطقها بالاسبانية يصبح قريبا من بطلوس او بطليوس كالشأن فى حصن اللوز Iznalloz

٣ - اثبتنا ان غرب الاندلس كان منزلا لعنصرين رئيسيين من سكان الاندلس : البربر والمولدون فمن قبائل البربر التى نزلت بالغرب مصمودة وزناتة ومكناسة ونفزة وزواغة ، وقد تركت هذه العناصر البربرية بصماتها واضحة على العمران الاسبانى والبرتغالى ، وفى الطبوغرافية المدنية بالغرب ، مثل ذلك ان اسماء المواضع التالية تحمل اسماء قبائل نزلتها : مكناسة (Mequinesa) ، ومغيلة (Maguilla) ونفزة (Nepza) ، وحصن زواغة (Azuaga) ، وزناته (Gineta) ومحمود وهو اسم موضع بالبرتغال

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ما يزال يسمى Mafimude نسبة الى محمود بن عبد الجبار المصمودى الثائر على الحكومة المركزية بقرطبة . كذلك كانت بطليوس ونواحيها موطنا لجماعات المولدين وطائفة من المستعربين ، ومنهم ابن الجليقى ، وسعدون السرنباقى ،ومكحول ، وابن مرتين ، ممن ناهضوا الحكم الاموى .

٤ - اوضحنا فى دراستنا اهمية الموقع الذى تشغله بطليوس على واديانه ، وهو موقع استراتيجى هام للغاية ، فواديانة يعتبر خندقا طبيعيا لها من جهة الجنوب والجنوب الغربى ، ونهر ريفياس ونهر جيريرو يحميانها من الشمال والشمال الشرقى ، والقصبة المرتفعة تشرف عليها بأبراجها وحزامها البرانى وتدعم دفاعها ، والقورجات تقطع على اى عدو الطريق لحصار القصبة من جهة واديانه ، وفى الشمال يمتد فحص الزلاقة الفسيح الذى شهد معارك طاحنة فى فترات مختلفة من التاريخ الاسلامى ، فى نهاية عصر الطوائف ، عندما عبرت جيوش المرابطين الزقاق ، واشتبكت مع جيوش المسيحية مجتمعة فى هذا الفحص سنة ٤٧٨هـ ، كما كان الفحص نفسه مسرحا للقتال فى ولاية تاشفين بن على ، عندما اشتبك مع قوات رودريجو جنثالث فى سنة ٥٢٨هـ ، كما كاد يصبح مسرحا للقتال من جديد فى سنة ٥٦٦هـ (١١٧٠م) عندما قدمت قوات فرناندو الثانى البرتغالى ونزلت بهذا الفحص تمهيدا لاقتحام المدينة ، ولكن فرناندو لم يلبث أن عدل عن القتال بعد ان تبين له ضخامة حشود الموحدين ، وآثر ان يعقد الصلح مع اشياخ الموحدين .

هذا الموقع الاستراتيجى الرائع الذى نعمت به بطليوس يعبر عن اختيار ذكى للمدينة المستحدثة بحيث أصبحت بحكم حصانة الموقع وما يحيط به من حصون متناثرة فى أحواز المدينة ذات منعة وحصانة ، واصبحت ثغرا من ثغور الاسلام فى الاندلس ، ودارا للرباط فى غرب الاندلس ، وهذا يفسر الاعتداءات المتواصلة التى تعرضت لها بطليوس على ايدى البرتغاليين والليونيين والقشتاليين فى العهود الاسلامية المختلفة،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقدر لعدد من علماء بطليوس النزوح عنها بحثا عن مناطق اكثر استقرارا كالشأن مع الاديب ابن السيد البطليوسى مثلا أو الطبيب يحيى بن اسحاق ، كما انجذبت اليها بدورها من نذر نفسه للجهاد وابتغى الاستشهاد ، ومنهم ابن الابار نفسه الذى زارها مثاغرا .

فطن ابن مروان الجليقى منذ البداية الى أهمية الموقع ، فاسترعى اهتمامه واختاره موضعا لبطليوس التى اتخذها مقرا لامارته المستقلة بدلا من البشرنل ، وهى الربوة المقابلة لهـا على الضفة اليسرى مـن واديانه ، وقد استغل ابن مروان الجليقى المرتفع المجاور لبطليوس لانشاء القصبة الملحقة بالمدينة فى نفس الموقع الذى تقوم عليه آثار القصبة الموحدية . وكان هذا المرتفـع مـن الحصانـة بحيث سـمى بالضرس La Muela - وقد زود ابن الجليقى قصبة بطليوس بمسجد جامـع بناه باللبن والطابية ، وبنى صومعة بالحجر . ثم تجدد بنيان القصبـة فى عهد حفيده عبد الله بن الجليقى ، عقب الغارة المدمرة التى شنهـا اردون الثانى على يابرة فى سنة ٣٠١هـ (٩١٣م) ، ثم تجدد بنيانها مرة أخرى فى عصر بنى الافطس . وهكذا اثبتنا ان قصبة بطليوس لم تكن اساسا من بناء الموحدين ، وانما يعود تاريخ بنائها فى الاصل الى عهد عبد الرحمن بن الجليقى ومازال قطاع صغير من سور القصبة القديمـة واضح المعالم ، ودور الموحدين فى بناء القصبة انهم جددوا بنيانها على اساس اسوار القصبة القديمةالتى كانت قد تخربت عقب استيـلاء عبد الرحمن الناصر على بطليوس فى سنة ٣١٨هـ (٩٣٠م) ، ثم تخربت من جديد فى عصر بنى الافطس ، وتعرضت بعض اجزائها للتخريب عندما اجتاحتها قوات البرتغاليين سنة ٥٦٤هـ .

٥ - أبرزنا فى دراستنا لبطليوس فى عصر بنى مروان الجليقى فى الباب الاول من الكتاب الجهود التى بذلها عبد الرحمن بن مروان الجليقى لتحويل بطليوس من مجرد قرية لاقيمة لها الى مركز عمرانى هام ، ومركز حضارى متألق فى غرب الاندلس ، وقد اتخذها مركزا اسقفيا بديلا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عن اسقفية ماردة بعد وفاة آريولفو اسقف ماردة فى ٢٤٨هـ (٨٦٢ م) بحيث ورثت بطليوس الكرسى الاسقفى الذى كانت تشغله ماردة .

٦ — اثبتنا ان سابور العامرى ، اول من استقل ببطليوس فى اعقاب الفتنة ، لم يكن فارسى الاصل ، فلم نعثر فى المصادر العربية على اى نص يؤكد هذه النسبة ، وواضح ان السبب فيما اشيع عن اصله الفارسى ، كما جاء فى عدد كبير من المراجع الحديثة يرجع الى ان اسم سابور يرتبط باسم سابور ذى الاكتاف كسرى فارس ، وقد استبعدنا تماما الاصل الفارسى لسابور اذ ان حمل الاسم وان كان فارسيا لاينهض دليلا على ان صاحبه فارسى الاصل لاسيما اذا اخذنا فى الاعتبار ان الرقيق الفارسى انقطع منذ عهد الفتوحات ، وانه لم يعد هناك عبيد من الفرس فى هذا القرن الخامس للهجرة . وقد اوضحنا فى دراستنا انه كان فتى من فتيان القصر زمن الحكم المستنصر ، وكان من بين الفتيان الصقالبة المخلصين لفائق الفتى كبير صقالبة القصر ، بحكم انه كان احد صبيانه ، فلما آلت الحجابة الى المنصور محمد بن ابى عامر استمال عددا من الفتيان الحكمية اليه ، ومنهم سابور الذى عرف منذ ذلك التاريخ بسابور العامرى ، وقد اثبتنا ان سابور حظى بثقة المنصور ، فاسند اليه ولاية الغرب الى ان استقل به فى بداية عصر الفتنة ، وقد اوضحنا فى دراستنا انه كان الفتى العامرى الوحيد الذى استقل باحدى دويلات الطوائف فى الغرب ، فى حين استقل سائر الفتيان العامرية بشرق الاندلس .

٧ — فى دراستنا لشخصية المظفر بن الافطس اثبتنا انه بخلاف ما صورته المصادر العربية لم يكن ضعيف الرأى ولا عاجزا عن ضعف فى قتاله مع المعتضد بن عباد ، وانما كان فارسا مقداما ، ومقاتلا شجاعا ، كما كان سمحا كريم النفس بعيدا عن صفات الخسة والغدر التى اتصف بها المعتضد ، ولا السفه والجهالة التى عرف بها المأمون بن ذى النون . كما اثبتنا انه كان سياسيا قديرا ، استطاع ان يواجه المعتضد بن عباد ويقارعه سنين طويلة كما تصدى بشجاعة لاطماع المأمون بن ذى النون فى اراضيه ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وانه كان أبى النفس ، فعندما عزم ابن عبد الله البرزالى على اطلاق سراحه من معتقله فى قرمونة سنة ٤٢٠هـ ، وكان بعد مايزال أميرا يقود جيش ابيه المنصور ، اشترط عليه أن يجتاز على القاضى ابن عباد ليشكره على اطلاقه لسراحه ، فانف المظفر بكل اباء أن يمر على ابن عباد ليقدم لهواجبات الشكر وآثر ان يبقى معتقلا على أن ينزل من قدر نفسه امام خصم ابيه . ورغم ما عرف عن المظفر من مجافاته للهو والمجون ، ومن سلوكه الجدى كما يصوره ابن حيان ، الا انه حاول أن يبعد الشماتة عن نفسه بعد هزيمته امام المعتضد بالله بن عباد فى يابره ، فارسل الى قرطبة يلتمس شراء وصائف ملهيات .

٨ - رجحنا ان المظفر بن الافطس اعتزل الحياة السياسية فى سنة ٤٥٦هـ (١٠٦٢م) فى اعقاب سقوط قلمرية فى يد فرذلند الاول ملك قشتالة وليون ، وانه ترك حكم مملكة بطليوس الى ابنه يحيى الذى تلقب بالمنصور بينما ترك ولاية يابره لولده عمر الذى تلقب فيما بعد بالمتوكل على الله ، واثبتنا ان المظفر توفى سنة ٤٦٠هـ مخالفين فى ذلك راى بريتواى فيفس Prieto y vives الذى يجعل وفاته فى سنة ٤٥٦هـ استنادا الى درهم يحمل اسم يحيى ضرب فى هذا التاريخ . وقد ايده فى ذلك الاستاذ حسين مؤنس رغم أن ابن الابار يؤكد انه توفى فى سنة ٤٦٠هـ . وقد اثبتنا ان وجود اسم يحيى على درهم ضرب فى عام ٤٥٦هـ لا ينهض دليلا على وفاة المظفر فى تلك السنة . كذلك رجحنا ان النزاع الذى احتدم بين الاخوين يحيى وعمر بدأ بعد وفاة والدهما فى سنة ٤٦٠هـ ، ثم اشتد وبلغ ذروته فى العام التالى بسبب انفراد يحيى بعد وفاة أبيه بالملك دون أخيه ، وقد ادى هذا النزاع الى اقدام عمر المتوكل على سك عملات باسمه عثر على بعضها وعليها نقوش تحمل تاريخ سنة ٤٦٠هـ .

٩ - اوضحنا ان المتوكل بن الافطس كان له من الابناء الذين كان لهم دور فى التاريخ اربعة : منهم اثنان فضل والعباس لقيا مصرعهما مع ابيهما على أيدى المرابطين فى سنة ٤٨٨هـ ، والثالث هو المنصور ، وكان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكان موصوفا بالذكاء الخارق والدهاء،وطالما حذر اباه من الوثوق فى ابن الاحسن الذى نصبه المرابطون شريكا له فى حكم بطليوس ورقيبا عليه يتلقف له الاخطاء ، ولكن المتوكل لم يكترث لتحذيرات ولده المنصور . وقد بادر المنصور بالفرار من بطليوس قبل ان تدخلها قوات المرابطين ، ولجأ الى الفونسو السادس ملك قشتالة ، ودخل فى طاعته ، بعد أن ارتد عن دينه . وبينا استنادا الى خبر موجز انفرد به ابن عذارى ، انه ثاب الى رشده بعد بضع سنوات ، وانه عاد الى دار الاسلام ، ودخل فى خدمة على بن يوسف بن تاشفين ، وحارب فى صفوف المرابطين . أما الابن الرابع فقد ورد ذكره عرضا فى الحلة السيراء لابن الابار واسمه نجم الدولة سعد ، كان سجينا فى احد سجون المرابطين .

١٠ ـ دافعنا عن المتوكل بن الافطس ، واخرجناه بريئا من صفات الخيانة التى وصمه بها بعض المؤرخين المحدثين ، واثبتنا انه لم يكن بالحاكم الخائن لقضية الاسلام فى الاندلس ، فقد كان أول من اتصل من ملوك الطوائف فى الاندلس بأمير المسلمين يوسف بن تاشفين فى سنة ٤٧٤هـ اى قبل سقوط طليطلة فى يد الفونسو السادس بما يقرب من اربع سنوات ، وهو الذى استجاب لدعوة أهل طليطلة ليتولى أمورهم فى اعقاب الثورة التى احتدمت فى المدينة ضد اميرهم القادر بالله ، ربما سعيا لصرف انظار القشتاليين عن مملكة طليطلة . وعندما استولى الفونسو السادس على قورية من أملاك المتوكل فى الغرب لم يتردد ابن الافطس فى الاستنصار بيوسف بن تاشفين ، وكتب له الوزير الكاتب ابن ايمن رسالة على لسانه الى يوسف بن تاشفين يعرض له فيها ما أصاب الاسلام فى الاندلس من رزء بسقوط قورية . وعندما كتب اليه الفونسو السادس يتهدده ويطالبه بالجزية وبذل الطاعة ، رفض المتوكل بكل انفة المسلم هذا التهديد ، ورد على الملك القشتالى ردا عنيفا شديد اللهجة ، اوردنا نصه فى الملحق الثالث من الرسالة . ولم يكتف المتوكل عمر بذلك بل تصدر حملة اعلامية ونفسية بعيدة المدى لدعوة مسلمى الاندلس الى التضامن وتوحيد الصف الاسلامى ضد العدو المشترك الذى يتربص بملوك الطوائف كل على حدة ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وعهد بهذه المهمة الى وزيره القاضى ابى الوليد الباجى . وكان المتوكل الوحيد من بين ملوك الطوائف الذى تعاون مع المرابطين عقب دخولهم الاندلس واستيلائهم على غرناطة ومالقة والمرية واشبيلية مدة أربع سنوات، وحارب معهم خلالها العدو المسيحى ، وقبل مشاركة الفقيه السجلماسى ابن الاحسن فى حكمه لبطليوس رغم تحذيرات ولده المنصور منه ، ولكن المتوكل ظل يهادن ابن الاحسن ، ورفض فكرة اللجوء الى ملك قشتالة . فلما تبين للمتوكل نوايا المرابطين العدوانية تجاهه ، عمد الى الاتصال سرا بالفونسو السادس ليخلصه من خطر المرابطين على بلده . ومع ذلك فلم يكن ابن الافطس الوحيد من بين ملوك الطوائف الذى اتصل بالفونسو السادس ، فقد سبقه الى ذلك الامير عبد الله الزيرى صاحب غرناطة ، والمعتمد بن عباد صاحب اشبيلية ، والمقتدر بالله بن هود صاحب سرقسطة ، والمامون بالله بن ذى النون صاحب طليطلة ، ثم ان الاتصال بملوك المسيحية للاستظهار بهم على المسلمين كان من طبيعة ذلك العصر، واستمر ظاهرة شائعة حتى نهاية دولة الاسلام فى الاندلس . ومن هذا المنطلق لايمكن اعتبار المتوكل بالملك الذى خان أهل دينه وبلده كما يزعم بعض الباحثين المحدثين .

١١ - استطعنا أن نحدد الموضع الذى دارت فيه وقعة الزلاقة بين الاندلسيين وحلفائهم المرابطين وبين قوات اسبانيا المسيحية فى السهل الممتد شمالى بطليوس ويبعد عنها بنحو ثمان كيلو مترات ، وقد مكنتنى الظروف من زيارة موقع المعركة منذ أكثر من عام ودراسة طبوغرافيته على الطبيعة ، واستبعدنا أن يكون الموقع المسمى اليوم بالزجالة أرض المعركة لبعده كثيرا عن مدينة بطليوس وبعد الاسم عن اسم الزلاقة الذى عرفت به الموقعة فى المصادر العربية ، وتوصلنا الى رسم خريطة لارض المعركة أوضحنا فيها رأى كل من أسين بلاثيوس والبران .

١٢ - ناقشنا الروايات المختلفة الواردة فى المصادر العربية حول استشهاد ابن الحجام ، ورجحنا بعد تلك المناقشة رواية ابن عذارى التى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اكدت انه استشهد فى سنة ٥٥٢هـ (١١٥٧م) ، واستبعدنا راى كل من الاستاذين عبد الحميد حاجيات محقق كتاب البيذق ، ومحمد عبد الله عنان اللذين يجعلان تاريخ استشهاده فى سنة ٥٥٧هـ (١١٦١م) ٠

١٣ - اثبتنا ان الموحدين ، رغم انشغالهم فى بدء قيام دولتهم بمحاربة العرب الهلالية فى افريقية وحلفائهم من الغز المماليك ومن بنى غانية الميورقيين ، ورغم انصرافهم قرب نهاية دولتهم الى الخلافات والمنازعات الداخلية ، والتطاحن فيما بينهم من اجل الظفر بالخلافة ، رغم كل ذلك لم يغفلوا قط الدفاع عن بطليوس ثغر المسلمين فى غرب الاندلس ، وخط الدفاع الامامى لموسطة الاندلس ، فكانوا لاينقطعون عن انقاذها كلما تعرضت لغزو خارجى وتزويدها بالاقوات والمؤن والآلات ، حتى جاء اليوم الذى افتقدت فيه بطليوس الرئيس والزعيم الذى يتولى الدفاع عنها ، فاعتمدت على مقوماتها الذاتية واضطرت الى التسليم ٠

١٤ - فى دراستنا النقدية للمصادر اهتممنا فى كثير من الاحيان ، لاسيما بالنسبة للمراجع الاسبانية الحديثة ، بابراز مواضع القوة والضعف فى الدراسة ،كما اهتممنا فى المصادر بالتركيز على مدى اهمية المادة الواردة فيها بالنسبة لموضوع الدراسة ٠ كما حرصنا على وضع ملحق تفصيلى عن تاريخ الممالك المسيحية فى اسبانيا التى كانت لها علاقات مباشرة مع امارة بطليوس سواء فى عهد بنى الجليقى او فى عصر بنى الافطس او حتى فى عصر الموحدين ، وابرزها مملكة اشتوريش ، ومملكة ليون ، ومملكة قشتالة ، ومملكة البرتغال ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ملاحـــق الكتـــــاب

١ ـ عرض تاريخى موجز للممالك المسيحية فى شبه جزيرة ايبيريا التى لها اتصال مباشر بغرب الاندلس ٠

٢ ـ نص رسالة المتوكل على الله ابن الافطس الى امير المسلمين يوسف بن تاشفين ٠

٣ ـ نص رسالة المتوكل على الله ابن الافطس الى الفونسو السادس ملك قشتالة ٠

٤ ـ بعض الاعلام الجغرافيـة الواردة فى الرسالـة باللغتـين العربيـة والاسبانية ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ملحق رقم ١

عرض تاريخى موجز للممالك المسيحية فى شبه جزيرة ايبيريا التى لها اتصال مباشر بغرب الاندلس

(١) نشأة المملكة الاشتوريليونية :

فتح انتصار المسلمين الحاسم فى موقعة وادى لكة فى رمضان سنة ٩٢هـ (١) (يوليو ٧١١م) الطريق امام المسلمين للانسياح فى شمال شبه جزيرة ايبارية والسيطرة التدريجية على معظم انحائها باستثناء منطقة جبلية تقع فى اقصى الشمال الغربى من قنطابرية وتطل على خليج بسكاية ، عرفت عند العرب باسم صخرة بلاى (٢) ، لجأت اليها شراذم محدودة العدد من فلول القوط وامتنعت فى مفاوز جبالها ، وقدر لهذه المنطقة ان تكون مركزا لامارتين مسيحيتين ، قنطابرية ، وجليقية .

اما قنطابريه فقد اسسها الدوق بطره سليل ريكايدو فى الطرف الغربى من جبال البرانس فى سهول نبرة وغسقونية ، وكثيرا ما وطئتها اقدام الفاتحين المسلمين لها عند اقتحامهم لدوقية اقطانية او ولاية سبتمانية واثناء عودتهم من غزواتهم . واما الثانية وهى جليقية (Galicia) فكانت تقع فى عمق جبال اشتوريس الوعرة بعيدا عن احتكاك الفاتحين وفى هذه الهضاب النائية المنيعة اجتمع بلاى وصحبه ولجأوا الى مغارة عظيمة فى قمم كوفا دونجا تحيط بها اجراف سحيقة ، وعرف الموقع فى المصادر العربية بالصخرة (٣) . وكانت هذه التجمعات فيما يبدو تقوم اساسا على

---

(١) ابن عذارى ، البيان ، جـ١ ، ص ٩ .
(٢) اخبار مجموعة ، ص ٢٨ ـ المقرى ، نفح الطيب ، جـ١ ، ص ٢٥٨ ، السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس ، ص ١٦٨ ، عبد الرحمن الحجى ، التاريخ الاندلسى ، ص ٢٦٨ .
(٣) José Luis Mattin, Carmen codoñer Manuel sanchez, Historia de España, t. III : la Alta edad Media, Madrid, 1980, p. 69.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بقايا الجيش القوطى بالاضافة الى ما كانت تتلقاه من امدادات من المناطق الواقعة فيما وراء البرتات . ويرى الدكتور عبد الرحمن الحجى ان استدعاء موسى بن نصير وطارق بن زياد الى دمشق من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك كان له اكبر الاثر فى نمو هذه التجمعات القوطية (١) . ويرجع بعض المؤرخين بداية حركة الاسترداد الاسبانى الى الفترة التى لجات فيها فلول الجيوش القوطية المنهزمة الى تلك المناطق النائية عن دار الاسلام للاحتماء فى ذراها من خطر الغزوات الاسلامية ، وللتكاثر العددى فى ظل حياة آمنة استعدادا لمنازلة الفاتحين (٢) .

وقد اهمل المسلمون امر هؤلاء الفارين ، فلم يحفلوا بامرهم وتركوهم وشانهم وانصرفوا الى خلافاتهم الداخلية ، وكان اغفال امر هذه الفلول الباقية من اشد الاخطاء التى وقع فيها الفاتحون اذ ان هؤلاء الفارين اصبحوا نواة المملكة المسيحية الاولى فى اسبانيا ، التى تفرع منها كل سلالة ملوك ليون وقشتالة الذين تمكنوا فى النهاية من القضاء على دولة الاسلام فى الاندلس وطرد آخر سلاطين بنى الاحمر اصحاب غرناطة

وقد كان الدوق بطره Pedro يرجع الى اصول ملكية ،فقد كان من قادة الجيش القوطى فى عهد غيطشة ملك القوط ، ثم فى عهد لذريق خليفته الذى اغتصب منه العرش ، اما بلاى Pelayo مؤسس امارة جليقية فيحيط بعض الغموض باصله وان كان معظم المؤرخين يرجعون اصله الى

Lnis suarez, Historia de España : Edad media, p. 15 - Aguado Bleye, Manual de la historia de España, t. I, p. 476.

محمد عبد الله عنان ، دولة الاسلام فى الاندلس ، ج١ ، ص ٢٠٩

(١) عبد الرحمن الحجى ، التاريخ الاندلسى ، ص ٢٧٠ .

(٢) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس ، ص ١٦٨ ، عبد الرحمن الحجى ، تاريخ الاندلس ، ص ٢٦٩ .

اصول عريقة ، فهو ابن فافيلا (فافلة) ([1]) دوق قنطابرية وكان الساعد الايمن للملك لذريق واحد كبار رجال حاشيته ([2]) . فلما دخل المسلمون الاندلس ، اخذوه من اهل اشتريس من جليقية رهينة عن طاعة اهل بلده فاقام بقرطبة فترة ثم هرب منها فى عام ٩٨هـ (٧١٦ - ٧١٧هـ) أيام الحربن عبد الرحمن الثقفى ([3]) وعندئذ بدا فى تنفيذ مخططه الذى كان يقضى بجمع فلول القوط لتكوين دولة ينازع بها دولة الاسلام فى الاندلس ، بحيث ينتهى الامر باسترداد ابارية ([4]) ، وكما سبق ان ذكرنا فان امارة قنطابرية التى اسسها بطرة كانت تتعرض دائما لاقتحام المسلمين لها عند غزوهم لبلاد غالة . اما امارة جليقية فقد كانت فى مامن من غارات المسلمين وقد سميت باسم جليقية لانها قامت على حدود الولاية الرومانية القديمة التى كانت تسمى بهذا الاسم ([5]) . وحين تكررت ثورات النصارى فى الشمال خاصة فى منطقة غسقونية (او بلاد البشكنس) سير الحربن عبد الرحمن الثقفى فى عام ٩٨هـ جيشا لاخضاعهم فاجتاح المسلمون بلاد البشكنس وهضاب اشتوريس ([6]) ، واوفد حليفهم الاسقف ابة «اوباس» شقيق الملك غيطشة الى بلاى فى محاولة منه لاقناعه بالتسليم ولكنه اخفق فى اقناعه ([7]) ، ولجا بلاى الى « الصخرة » المعروفة بمغارة اونجا (Cava donga) ([8]) . وقد حاول المسلمون بقيادة

---

(١) ابن خلدون ، جـ٤ ، ص ١٧٩ ، محمد عبد الله عنان ، دولة الاسلام ص ٢٠٨ ، السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس ، ص ١٦٨ .

(٢) Claudio Sanchez Albornoz, los reinos cristianos Españoles, p. 14

(٣) المقرى ، نفح الطيب ، جـ٦ ، ص ٨٢ .

(٤) دارت مناقشات طويلة حول اصل بلاى ومن بين تلك الاراء انه ابن اخى لذريق او انه حفيده الذى قاتل الى جانبه (انظر F.J. Simonet, historia de los Mozarábes de España, p 148, محمد عبد الله عنان دولة الاسلام فى الاندلس ، ص ٢٠٩)

(٥) المرجع السابق ، ص ٢١٠ .

(٦) Sanchez Albornoz, los reinos cristianos, p 15

(٧) حسين مؤنس ، فجر الاندلس ، القاهرة ، ١٩٥٩ ، ص ٣٢٢ .

(٨) عبد الرحمن الحجى ، التاريخ الاندلسى ، ص ٢٦٩ .

علقمة (١) النفاذ اليهم والاستيلاء على مراكز العدو ، ولكن الوديان السحيقة والاطراف الممتدة لمسافات بعيدة ، حالت بينهم ، وبين بلاى، ثم هاجم المسلمون الجبل والمغارة ولكنهم اخفقوا فى التغلب على بلاى، بل ارتدت الهزيمة اليهم فى كوفادونجا التى تعتبر فاتحة حركة الاسترداد وفيها قتل من المسلمين اعداد هائلة . ويعتبر بلاى لذلك واضع اساس الدول المسيحية الشمالية الغربية التى ستحمل لواء المقاومة على الجبهة الشمالية الغربية ، وابو بنى اذفنش على حد قول مؤرخى الاندلس (٢) . ثم ترك المسلمون هذه الهضاب ، فبدا النصارى يتوافدون على قنطابرية وسهول جليقية منضمين الى بلاى ونصبوه ملكا عليهم ، واخذوا يغيرون على بلاد المسلمين .

ولقد حاول الهيثم بن عبيد الكلبى عام ١١٢هـ (٧٣٠م) ارسال موتوسة البربرى لغزو جليقية (٣) وسحق اميرها ، ولكن بلاى صمد للمسلمين وتمكن من ايقاع الهزيمة بهم ، ولما راى بلاى منعة معقله وقوة عصبته اخترق بلاد البشكنس ، وهاجم قوات المسلمين ومزق وحداتها ثم ارتد الى هضابه وتحصن فيها ، ثم حدثت هزيمة بلاط الشهداء عام ١١٤هـ (٧٣٢م) وشغل الولاة برد جيوش الفرنج عن اراضى سبتمانية فكثرت عندئذ غارات الجلالقة على الاراضى الاسلامية الواقعة شمالى نهر دويرة واسترقة، وعانى المسلمون كثيرا فى تلك النواحى من عيث النصارى ثم قام عقبة بن الحجاج السلولى ، وغزا هذه العصابات الجليقية عام ١١٦هـ (٧٣٤م) ثم عاد يغزوها مرة ثانية فى عام ١١٨هـ (٧٣٦م) واستولى على بعض مواقعها ، فلما اشتدت الفتن والحروب الاهلية بين المسلمين فى الاندلس فى اعقاب ثورة البربر على العرب ، ازداد النصارى جراة على المسلمين وعاثوا فى اراضيهم ، وعجزت حكومة قرطبة عن وضع

---

(١) Antonio Ramos Oliveira, la edad media, p. 32.

(٢) حسين مؤنس ، فجر الاندلس ، ص ٣٤٠ .

(٣) ابن عذارى ، البيان ، جـ١ ، ص ٢٨ .

حد لذلك بسبب اشتغالها بهذه الحرب ، وبسبب ضعف الوجود الاسلامى فى شمال الجزيرة فى هذه المرحلة (١) . وقد كان كفاح بلاى يرجع الى رغبته العارمة فى استرداد جزء من الاراضى المفقودة ، ولكن هذا الكفاح لم يتخذ شكلا دينيا او عنصريا حتى ذلك الوقت حيث أن معاملة المسلمين لاهل الذمة كانت عادلة ومنسامحة (٢) . وتشير بعض المصادر العربية (اخبار مجموعة) الى أن بلاى أوقع بالمسلمين هزيمة نكراء فى سنة ١٣٣هـ (٧٥٠م) بسبب فتنة ابى الخطار وثوابة ، وتمكن بلاى من اخراج العرب من جليقية كلها وتنصر من تنصر ، وكاد يتغلب على المسلمين (٣) وواضح من نص صاحب الاخبار المجموعة أن هناك خلطا وقع بين أعمال بلاى واعمال الفونسو الاول ، فقد توفى بلاى (٤) عام ١١٩هـ (٧٣٧م) ، وان كانت بعض الروايات النصرانية تؤكد أنه عاش حتى عام (١٢٧هـ - ٧٤٥م) فى حين يجعل الفونسو العاشر وفاته ١٢١هـ (٧٣٩م) ثم خلفه ابنه فافلة ولكنه توفى بدوره بعد عامين أى عام ١٢٣هـ (٧٤٠م) وفى نفس الوقت توفى الدوق بطره دوق قنطابرية وخلفه ولده الفونسو الملقب بالاول ثم نمت هذه الامارة واشتد ساعدها وازداد التحالف بينها وبين جليقية بزواج الفونسو ابن الدوق بطره من ارمنسندة Ermensinda ابنة بلاى (٥) فلما توفى فافلة بن بلاى اتحدت الامارتان تحت تاج الفونسو الاول دوق قنطابرية ، وتكونت منهما مملكة ليون المعروفة عند المسلمين بجليقية او مملكة اشتورياس وكانت تمتد من بلاد البشكنس شرقا الى ساحل المحيط غربا ومن خليج غسقونية شمالا حتى نهر دويرة جنوبا (٦) . ويعتبر الفونسو الاول ابن بطره هذا اول ملوك مملكة ليون ، ومؤسس

---

(١) Sanchez Albornoz, los reinos cristianos, p. 15.

(٢) R. Altamira, historia de España, vol I, P. 224.

(٣) اخبار مجموعة ، ص ٦٢ .

(٤) حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص ٣٢٧ .

(٥) Aguado Bleye, op. cit., p. 478.

(٦) Dozy, histoire, v, II. p 130.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المملكة النصرانية الشمالية ويذكر المؤرخ الاسبانى الكبير دون رامون مننديث بيدال ان ملوك ابيط بعد أن دعموا مملكة اشتوريس الصغيرة فى اعقاب سقوط مملكة القوط الغربيين كانوا يحسون بانهم خلفاء القوط فى طليطلة وانهم استمرار للملكية الاسبانية كلها ، التى تحررت جزئيا وماتزال محتلة فى معظمها ، فكانوا يقتصرون على التلقب بمجرد لقب امراء أو ملوك ، الى ان تبدل الحال فى عهد الفونسو الثالث العظيم (٢٥٢هـ - ٢٩٨هـ) (٨٦٦ - ٩١٠م) اذ سماه ابناؤه أو رعيته بالامبراطور العظيم Magnus imperator أو امبراطورنا imperator nostro ، كما لقب اردون الثانى ٣٠٢ - ٣١١هـ (٩١٤ - ٩٢٣م) بعد أن استقر بلاطه فى ليون ، وكذلك ردميره الثانى (٣١٨ - ٣٣٩هـ) (٩٣٠ - ٩٥٠م) وكذلك ردميره الثالث (٣٥٥ - ٣٧٤هـ) (٩٦٥ - ٩٨٤م) بالامبراطور . كما استخدم آخر هؤلاء الملوك لقب بازيليوس الاعظم Magnus basillus ولاشك أن هذا التلقب انما تم بتأثير من الامبراطورية الكارولنجية ، فشارلمان بالاضافة الى لقبه الامبراطورى تلقب ايضا ببازيليوس وهو لقب انكرته بيزنطة على اباطرة الغرب ، ولكن تلقب به القيصر سيميون بلغاريا (١) وواضح ان تلقب ملوك ليون بهذه الالقاب الفخرية انما استهدفوا به التفوق على غيرهم من ملوك حركة الاسترداد . وقد لقب الفونسو الاول بالكاثوليكى .

حكم الكاثوليكى فى ظروف مواتية (١٢٢ - ١٤٠هـ) (٧٣٩ - ٧٥٧م) اذ كانت الحروب الاهلية والثورات تجتاح الاندلس وتمزقها مما اتاح لهذا الزعيم المسيحى تأمين بلاده وتأسيس ملك قوى يناوىء المسلمين (٢) .وكان الضعف يسود بلاد الاسلام ، ولهذا فقد اجتاح الفونسو الاراضى المجاورة لحدوده وقتل من بها من المسلمين ، وقد كانت هذه

---

(١) R. Menendez - Pidal, la España del Cid, vol, I, Madrid, 1947, p. 67.

(٢) Sanchez Albornoz, los reinos, p. 15 - 16.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المنطقة التى اغار عليها بمثابة الحد الفاصل بين الاراضى الاسلامية والاراضى المسيحية التابعة لمملكة جليقية ، وكان بها قليل من السكان المسلمين . وعندما ضربت المجاعة بجرانها فى عام ١٣٣هـ (٧٥٠م) رحل الكثير من المسلمين عن تلك المناطق فزاد ذلك من قوة المملكة الجديدة ، فقد تم تنصيب الفونسو الاول ملكا على اشتوريس فى ذلك العام ، ثم انتهز الفونسو الاول فرصة نزوح العرب والبربر من المداين التى خلف الدروب الى طنجة واصيلا فغزا استرقة واستولى عليها وعلى كثير من الاراضى الاسلامية عام ١٣٦هـ (٧٥٣م) وفى ذلك يقول صاحب اخبار مجموعة « وكانت قبل سنة احدى وثلاثين ومائة . قال : فاعقبهم الله بالجوع والقحط فجاعت الاندلس ، سنة سنتين ثم ... سنة تلت عام سعيد فثار اهل جليقية على المسلمين ، وغلظ امر علج يقال له بلاى ، فقدذكرناه فى اول كتابنا فخرج من الصخرة وغلب على كورة اشتوريس ثم غزاه المسلمون من جليقية وغزاه اهل استورقة زمانا طويلا حتى كانت فتنة ابى الخطار وثوابه » (١) .

ويذكر مانويل توروس البران Albarran ان الفونسو الاول «تولى زمام المبادرة المسيحية ، ولم يتردد فى سنة ٧٥٠م فى استغلال موجة المحل والجوع التى اجتاحت الاندلس واثرت فيها بعمق بالاضافة الى الصراعات الداخلية الضارية التى انتقلت من المغرب الى الاندلس ، وبهجمة قوية قامت بها القوى الاشتورية فى العمق وصلت حتى قورية ووادى آنة عن طريق ماردة وهى مواضع اعتبرها المؤرخون ثغرية او ذات صفات ثغرية وسقطت فى يده مدن هامة ستصبح بعضها فى العصور التالية شاهدا حيا على النزاع الاسبانى الهائل وهى بورتو وابيخا Abeja وبراجا Braga وبيزو Viseo وكاربوناريا Carbonaria والينساكو Alensaco وكانت

---

(١) أخبار مجموعة ، ص ٦١ - ٦٢ ، وعن اخبار القحط والمحل انظر ابن عذارى ، البيان جـ٢ ، ص ٣٨ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هذه المدن واقعة فى المناطق الزراعية باستراماادورة أو على مقربة منها ولكن النقص فى الرجال والمادة كان السبب فى منع الفونسو من الاحتفاظ بالاراضى التى ضمها اليه لذا فقد لجأ الى خطة عرفت فى لغة الحروب بخطة الاراضى المحرقة (١) بمعنى أنه عمد الى حرق الاشجار وانتساف المزارع فى كل ما يقابله بحيث ترك بين المسلمين والمسيحيين حاجزا طبيعيا اشبه بالصحراء بين الطرفين .

ثم منح الفونسو اخاه فرويلة الجزء الشرقى من تلك المملكة الجديدة واعنى بها امارة قنطابرية ، وكان المسلمون فى تلك الآونة فى حالة يرثى لها من الفوضى والاضطراب ،فقد كانت الحروب والثورات والفتن تنتشر فى جميع انحاء البلاد ، وبينما كان يوسف الفهرى غازيا بجليقية (٢) تقدم الفونسو الاول مستغلا هذه الاحداث وغزا مدينة لك ونجح فى افتتاحها فى عام ١٣٧هـ (٧٥٤م) فى حين اخفق يوسف الفهرى فى الدفاع عنها وتركها لمصيرها التعس ، عندما بلغه دخول عبد الرحمن بن معاوية الاندلس ، وقبل رحيله الى الجنوب لمواجهة عبد الرحمن سير قوة بقيادة الحصين بن الدجن وسليمان بن شهاب لانقاذ مدينة أربونة من حصار الفرنج الذين مزقوا جيش المسلمين وقتلوا قائدهم سليمان وتقهقر الباقون وفى مقدمتهم الحصين الى الجنوب فى عام ١٣٩هـ (٧٥٦م) (٣) اى فى نفس العام الذى توفى فيه الفونسو الكاثوليكى فتولى فرويلة ابنه وخليفته (١٤٠هـ - ١٥١هـ) (٧٥٧م - ٧٦٨م) محاربة المسلمين واحرز عدة انتصارات عليهم (٤) . فلما توفى فرويلة فى سنة ١٥١هـ (٧٦٨م) ،

---

(١) España Sagrada, chronicen albeldense, t. XIII, 1816 p. 458, Cronica de Alfonso III, ed. Zacarias Garcia Villada, Madrid 1918, P. 116, Apud. Albarran, el solar de los Aftasies, p. 94.

(٢) ابن خلدون ، العبر ، المجلد الرابع ، ص ٢٦٣ .

(٣) ابن الابار ، الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص ٣٥٤ .

(٤) Lévi - Provençal, histoire, t I, p. 115.

وأهم هذه الانتصارات حدثت فى بونتوفيوم بجليقية ، وذكر ليفى =

توفى اخوه فى العام التالى وخلفه اوريليو (١٥١ - ١٥٨هـ) (٧٦٨ - ٧٧٤م) وكان فرويلة قد انتهز فرصة اشتغال عبد الرحمن الداخل بتنظيم امور دولته واخماد الثورات الداخلية وعبر نهر دويره ، وتمكن من ضم لك وبرتقال وشلمنقة وشقوبية وآبلة وسمورة وقشتالة الى مملكة جليقية الى ان استعادها المسلمون بعد ذلك بنحو قرنين من الزمان على يد الحاجب المنصور ابن ابى عامر (١) . وعلى الرغم من الاعتداءات المسيحية على اراضى الاسلام فقد كان عبد الرحمن لمشاغله العديدة فى الداخل يغمض عينيه ولا يقدم على تأديب جيرانه المسيحيين الذين بالغوا فى اغارتهم على بلاده بسبب عجزه . ومع ذلك فقد اضطر للتحرك ، ففى سنة ١٤٩هـ (٧٦٦م) سير عبد الرحمن الداخل بعض قواده الى الشمال على رأس قوة كبيرة وصلت الى حدود جليقية ، واشتبكت مع الجلالقة فى عدة مواقع ، وفى عام ١٥٠هـ (٧٦٧م) بعث عبد الرحمن مولاه بدرا (٢) الى البه Alava والقلاع (٣) Castilla وهى المنطقة الواقعة بين بلاد

=

بروفنسال نقلا عن سافدرا ان عددا كبيرا من المسلمين لقوا مصرعهم على ايدى الاشنوريين فى هذه الموقعة التى يصمت عن ذكرها المؤرخون المسلمون . وذكروا ان الامير عبر بن عبد الرحمن الداخل اسر فى هذا الاشتباك ثم ذبح بأمر الملك الاشتورى .

(١) ابن خلدون ، العبر ، جـ٤ ، ص ٣٨٧ .

(٢) ابن عذارى ، البيان ، جـ٢ ، ص ٥٤ .

(٣) البة والقلاع : تطلق الروايات الاسلامية اسم البة والقلاع على ولايتى قشتالة القديمة Castilla والبة Alava وهى المعربة عن اللاتينية القديمة (Alava el Gastella Vetula) والبة فى الواقع هى احدى ولايات بلاد البشكنس وتمتد غربا حتى برغش وشمالا حتى خليج بسكونية وجنوبا حتى نهر ابره ، واما القلاع او قشتالة Castile, Castella فقد كانت تضم ما تبقى من المنطقة من برغش شمالا الى ما بعد تهر دويرة وجبال وادى الرملة Guadarrama وحتى موقع مدينة مدريد الحالية (انظر محمد عبد الله عنان ، دولة الاسلام ، ص ٢١٦) ، اما اشتوريش فهى الاسم العربى لولاية اشتورياس Asturias وبسكونية فهى الاسم العربى لولاية بسكاية Vizcaya اما ولاية نافارة Navarra فقد اطلق عليها العرب اسم بلاد البشكنس Bascons او بلاد نبرة ، اما قشتالة فقد اطلق عليها ابن عذارى اسم قشتيلة وهى اقرب لاصلها الافرنجى Castilela اما اراجون Aragon

=

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

البشكنس وجبال قنطابرية على ضفاف نهر ابره فى الطرف الشرقى من مملكة جليقية ، فغزاها وتوغل فيها . وقامت فى عهد فرويلة ثورات عنيفة فى نبرة فى الشرق وفى جليقية كذلك ، وكان فرويلة قد انشأ مدينة أبيط Oviedo التى اصبحت عاصمة جليقية (١) . ومن الجدير بالذكر ان شارلمان قام خلال هذه الفترة بغزو كارولنجى تجاوز به جنوبى البرانس، ولكن شارلمان فشل فى هذه الغزوة فقد هزم فى رنشفاله وهاجمه البشكنس عام ١٦١هـ (٧٧٧م) ولهذا فقد تحول شارلمان الى الممرات الشرقية من جبال البرانس حيث توغلت قواته فى مناطق طركونة Tarragona القديمة وتمكنت من السيطرة على المواقع الشمالية التى عرفت فيما بعد باسم قطلونية . ولم يلبث أن ارتبط عدد من الكونتيات البرانسية بامبراطورية شارلمان بعد أن استولى على برشلونة فى عام ١٨٥هـ (٨٠١م) . وفى نهاية القرن الثامن ، خرجت بنبلونة من حكم المسلمين وقامت مراكز مقاومة مسيحية فى الوديان الوسطى من جبال البرانس وساعدت على ثورات البشكنس ضد امراء قرطبة . وقد عاصرت مرحلة الغارات الكبرى لالفونسو الاول وفرويلة الاول ، الازمة السياسية الاسلامية فى الاندلس ، الامر الذى أدى الى اقرار نوع من الهدنة بين الجانبين الاسلامى والمسيحى، فلما استقرت دولة عبد الرحمن الداخل بدأ يتخذ بادرة الهجوم على ابيط (Oviedo) وتوغل المسلمون فى هجومهم فى قلب مملكة اشتورياس وكان ذلك فى عهد ملكها الشاب الفونسو الثانى العفيف (٢) ، الذى ارتقى العرش بعد أن انقسمت مملكة جليقية اثر وفاة فرويلة الى قسمين قسم تولاه اورليو Aurelio او اروراليو (٣) ابن فرويلة شقيق الملك الفونسو

=

فقد عرفت عند العرب ببلاد أرغون او ارغن او ارغونة او الثغر الاعلى (أرجع الى يوسف أشباخ تاريخ الاندلس فى عهد المرابطين والموحدين ، ص ٨ - ٩ ، حاشية ١ ، ٢) .

(١) Antonio Ballesteros Beretta, Sintesis de historia de España, Barcelona, 1936, p. 61.

(٢) Sanchez - Albornoz, los reinos, p. 17.

(٣) ابن الاثير ، الكامل ، جـ٦ ، ص ٣٥ ، يقول « وفيها مات اورالى ملك جليقية وملك بعده شيالون » .

الاول (١٥١ - ١٥٨هـ) (٧٦٨ - ٧٧٤م) ويشتمل على نبرة وبلاد البشكنس ، اما بقية جليقية فقد تولاها سيلو Silo او شيالون (١) زوج ابنة الفونسو الاول (١٥٨ - ١٦٧هـ) (٧٧٤ - ٧٨٣م) فلما توفى اورالى عام (١٦٤هـ) ٧٧٤م اتحدت المملكة من جديد تحت تاج شيلون الذى توفى عام (١٥٨هـ) (٢) ٧٨٣م دون ان يعقب وكان قد اوصى بالعرش لالفونسو ابن فرويلة ، وكان طفلا ، على ان تتولى الوصاية عليه زوجته ادوسندا Adosinda وعندئذ علت اصوات المعارضة يقودها بعض ابناء الشعب مع الاشراف ، كما اعترض احد الاشراف وهو مروقاط (مرجات) Mauregato (١٦٧هـ - ١٧٣هـ) (٧٨٣م - ٧٨٩م) وكان ابنا لالفونسو الاول من زوجة عربية (٣) غير شرعية كانت جارية لديه وانتهى الامر بان وصل مورقاط الى كرسى العرش فى جليقية الغربية بمساعدة المسلمين (٤) وفى عهود هؤلاء الملوك الثلاثة اورليو وسيلو ومورقاط لم يتبادل المسلمون والمسيحيون اى غارة خلال ٢١ سنة (٥) .

وكان مورقاط يميل بطبيعته الى المسلمين بحكم ان امه كانت مسلمة

---

(١) ابن خلدون ، العبر ، جـ٤ ، ص ٣٨٧ وذكر لويس شوارس ان ام سيلو كانت فيما يبدو مسلمة
Luis Suarez, Historia de España, Madrid, 1977.

(٢) ابن الاثير ، الكامل ، جـ٦ ، ص ٣٥ ، وانظر الروايات النصرانية ، فى محمد عبد الله عنان ، دولة الاسلام ، ص ٢١٨ .

(٣) Luis Suarez, Op. Cit., p. 25.

(٤) Aguado Bleye, Historia, t. I, p. 479.
ويذكر اجوادو بليى ان هذه المساعدة التى قدمها له المسلمون للظفر بالعرش تمت مقابل اتاوة سنوية يدفعها الى الامير رمزا لتبعيته لهم وقيل ان هذه الاتاوة وفقا لتقليد كان متبعا منذ القدم كانت تتمثل فى مائة فتاة Cien doncellas
(Lévi - Provençal, op. cit., p. 117, Luis Suarez. op. Cien doncellas cit., p. 25)

(٥) Lévi - provençal, Histoire, t. I, p. 117. وذكر ابن خلدون ان مورقاط وثب على الفونش فقتله (ابن خلدون العبر ، جـ٤ ، ص ٣٨٧) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لذلك لم يتردد فى التحالف مع المسلمين ، وقد ترتب على ذلك ظهور حركة تذمر شديدة من كافة الاوساط المسيحية فى مملكته لاسيما من رجال الدين ومع ذلك فقد استمر مورقاط يحكم مملكته حتى وفاته فى عام ١٧٣هـ (٧٨٩م) (١) . وكان من الطبيعى ان يؤول العرش الى صاحبه الاول الفونسو ابن فرويلة الا ان الشعب والاشراف تجنبا من التعرض لنقمة الفونسو آثروا اختيار برمند الاول الانجيلى Vermudo وشقيق اورالى ملكا على اشتوريس وكان قد وهب نفسه وحياته للدير فتولى الحكم على كره منه ، وكان نفوذه يشمل غربى جليقية فقط اى انه حكم المنطقة التى سبق لمورقاط ان حكمها ، اما الفونسو الثانى فكان حاكما على القسم الشرقى من المملكة ، وبعد ثلاث سنوات ضاق ، برمند ذرعا بحياة الملك (٢) ، فتنازل بارادته عن العرش لالفونسو الذى تولى المملكة كلها فى عام ١٧٥هـ (أواخر ٧٩١م) باسم الفونسو الثانى الذى لقب فى أواخر عهده بالعفيف El casto (١٧٥ - ٢٢٨هـ) (٧٩١ - ٨٤٢م) وبذلك عادت مملكة اشتوريش الى سابق وحدتها . وفى عهد الفونسو الثانى اشيع اكتشاف ضريح القديس يعقوب (شنت ياقب) ١٩٨هـ (٨١٣م) على جبل بمنطقة امانة وامر الفونسو باقامة كنيسة (٣) فوق الضريح وأصبحت مدينة Santiago de Compostela مزارا لجميع النصارى فى جميع انحاء العالم ، وقد كان لهذا الاكتشاف اكبر الاثر فى غلبة الشعور

---

(١) انظر التفاصيل فى محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام ، ص ٢١٩ .

(٢) وكان الامير هشام قد سير لمحاربته قائده ابا عثمان عبيد الله بن عثمان فى سنة ١٧٥هـ (٧٩١م) ابن عذارى ، البيان ، جـ٢ ، ص ٩٥ ، كما اغزى يوسف بن بخت الى جليقية واشتوريش فى نفس العام فأوقع الهزيمة بجيش الملك برمند الاول وكانت هذه الكارثة سببا فى تنازل الملك برمند عن الحكم

Aguado Bleye, op. cit., p. 479.

وانظر ، السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين - ص ٢١٦ .

(٣) Luis Suarez, op. cit., p. 25.
Aguado Bleye, op. cit., 480.

الدينى ضد المسلمين (١) وسيصبح الخطر المسيحى منذ ذلك الحين شديد الوطاة ، على المسلمين فى الاندلس (٢) رغم هجمات المسلمين المتواصلة على مملكة اشتورياس (٣) التى عرفت ايضا بمملكة ليون ، منذ عهد الملك الفونسو الثانى العفيف (١٧٥هـ - ٧٩١م) .

وكان الفونسو الثانى ملكا حازما مقداما ، ضبط امور مملكته ونهض بها وعمل على تحسين شئونها ، وجعل عاصمتها اببط ، وكانت جليقية ، تمتد من بلاد البشكنس شرقا الى المحيط الاطلسى غربا ، ومن خليج بسكايا شمالا الى نهر دويره جنوبا . وقد طال حكم الفونسو نصف قرن ، عاصر فيه هشام الاول والحكم الربضى ، وعبد الرحمن الاوسط ، وكانت اهم الاحداث التي جرت فى عصره ، هزيمته على ايدى المسلمين فى موقعة الصخرة باقصى جليقية عام (١٧٩هـ) (٧٩٥م) (٤) . وفى عام ١٩٣هـ

---

(١) Sanchez - Albornoz, los reinos, p. 19, Altamira, hist. de España Vol, I, p. 239.

(٢) الحميرى ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٨٦ .

(٣) Sanchez — Albornoz, los reinos, p. 17.

(٤) جاءت هزيمة الفونسو الثانى رد فعل لانتصاره على قوات عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث فى موقعة لوتس Lutos أو لودوس Lodos التى دارت على مقربة من ابيط ويعرف الاسم حاليا بلهيب العربى Llamas de moro حيث سمى السهل الذى دارت فيه المعركة ببلاط المذبحة El campo de la Matanza وفيها نال نصارى اشتوريس من جيش عبد الملك وكبدته خسائر كبيرة (راجع Lévi - Provençal, histoire, b. I, p. 143. وانظر تفاصيل الموقعة فى المقرى نفح الطيب ، جـ١ ، ص ٣١٧) ، فقد خرج عبد الكريم بن عبد الواحد بصائفة سنة ١٧٩هـ (٧٩٥م) الى أسترقة واستولى عليها فتراجع الفونسو الثانى الى الشمال واستمد العون من البشكنس وغيرهم من سكان النواحى وبلغ عبد الكريم انه حشد عسكرا كثيفا « مابين حيز جليقية والصخرة » (ابن عذارى البيان ، جـ٢ ، ص ٩٦) فاستعان عبد الكريم بالقائد فرج بن كنانة وقدمه على قوة من اربعة آلاف من الخيالة لمطاردة ملك اشتوريس ، ووفق فرج فى ايقاع الهزيمة بفرقة مسيحية بقيادة غد شاره فى واد يقال له وادى كريشه فوقع غد شاره هذا اسيرا فى ايدى المسلمين وقتل من قواته عدد كبير ، ثم زحف القائد فرج لملاقاة الفونسو ، فتحصن هذا =

(٨١٠م) عبر الفونسو الثانى بقواته نهر دويره ، وتوغل حتى اشبونة (١) وعاث فى هذه البلاد ايما عيث ، وكان قد استعان فى هذه الغزوات بشارلمان الذى امده بالمساعدات خاصة بعد هزيمته السابقة امام المسلمين (٢) . وقد رد الحكم على ذلك بنفسه ، فى صيف العام التالى غازيا الى جليقية (٣) ، وفى عهد الحكم توالت الحملات الاسلامية على اشتوريس ، ففى عام ١٩٢هـ (٨٠٨م) عاد هشام ابن الامير الحكم الربضى من حملته الى جليقية مظفرا ، وفى صيف ٢٠٠هـ (٨١٦م) اعزى الحكم وزيره عبد الكريم الى اشتوريس واصطدمت قواته مع قوات الفونسو الثانى على نهر ارون Oron وانتهت المعركة بانتصار المسلمين وقتل عدد كبير من قادة الفونسو من بينهم غرسية بن لب Garcia lope خال الفونسو وشانجة Sancho احد زعماء البشكنس (٤) .

وفى عهد عبد الرحمن الاوسط غزا عبد الكريم بن عبد الواحد عام ٢٠٨هـ (٨٢٣م) الى البة والقلاع ، وعاث المسلمون فى اراضى جليقية وخربوا مدينة ليون ، وفى سنة ٢٠٨هـ ، كانت الصائفة المعروفة بغزاة البة والقلاع بقيادة عبد الكريم بن عبد الواحد ، اقتحم فيها المسلمون مملكة ليون من فج يقال له جرنيق (٥) ، وكان ينتهى ببسيط للعدو جمع

فى حصن يقع على وادى نلون Nalon ، وبدا فرج يحاصره ، ففر الفونسو من الحصن وامتنع بحصن آخر ، وتمكن فرج من الاستيلاء على حصن وادى نلون (السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس ، ص ٢١٨) .

(١) Albarran, El solar, op. cit, p. 95 - Luis Suarez, op. cit, p. 31, Aguado Bleye, Manual de la historia de España, t. I, p. 480.

(٢) Sanchez - Albornoz, los reinos, p. 17 - 18.

(٣) المقرى ، نفح الطيب ، جـ١ ، ص ٣١٨ — ٣١٩ .

(٤) ابن عذارى ، البيان ، جـ٢ ، ص ١١٢ ، المقرى ، نفح الطيب ، جـ١ ، ص ٣١٩ ،

(٥) يقابل هذا الفج ما يعرف حاليا باسم Puerto de Herenchugerenu ويقع بين جبال سيرا دى انثيا Encia وسلسلة جبال ايتوريتا

=

فيه خزائنه وذخائره ، فحط عسكر قرطبة على تلك البسائط فاستصفوها وعلى ذخائر تلك الخزائن فانتهبوهـا ، ثم قفل المسلمون الى قرطبـة ظافرين (١) .

وتوفى الفونسو الثانى عام ٢٢٧هـ (٨٤٢م) وخلفه ابنه ردميره الاول (١) Ramiro I (٢٢٨هـ - ٢٣٦هـ) (٨٤٢ - ٨٥٠م) وكان ردميره او رذمير كما تسميه الروايات الاسلامية آنذاك فى بردوليا الشرقيـة المعروفة بالقلاع او قشتالة Castilla ، نظرا لتعدد قلاعها ،وفى عهده تغلب على قـوات المسلمـين ٢٣٠هـ (٨٤٤م) فى بسائط البلـدة (موقعة كلافيخو) (٣) واستولى على مدينة قلهرة Calahorra ، ويزعمون انه انتصر على المسلمين بفضل صيحة سانتياجو ، وعلى اثر هذا الانتصـار وضع حدا للاتاوة المهينة التى كانوا يقدمونها الى المسلمين منذ عهـد مورقاط (٤) .

وفى سنة ٢٣١هـ (٨٤٧م) غزا محمد ابن الامير عبـد الرحمن بالصائفة بلاد جليقية وحاصر مدينة ليون ، ورماها بالمجانيق ، فلمـا ايقنوا بالهلاك لاذوا ليلا بالجبال والغياض فأحرق محمد بن عبد الرحمن

= Iturrieta وهو ممر يقع بين منطقة استلا وفيتوريا
Lévi - Provençal, op. cit, p. 203.

(١) ابن عذارى ، البيان ، جـ٢ ، ص ٨٢ .

(٢) Aguado Bleye, Manual de la historia, p 481. ، محمد عبد الله عنان ، دولة الاسلام ، ص ٣٥٥ .

(٣) لمزيد من التفاصيل عن هذه الموقعة راجع
José Luis Martin, la alta edad Media, p 91 - Aguado Bleye, Manual de historia de España, E.I, t.I, P. 481.

(٤) Aguado Bleye, op. cit, p. 481 - Antonio Balkesteros Beretta op. cit, P. 62.
Carl Grimbero, Historia Universal, Daimon : , t.4, La edad Media, Madrid, 1973, p. 260,
José Luis Maritn, la alta edad media, p 91 - 93.

ما فيها وأراد هدم سورها فوجد سعته ثمان عشرة ذراعا ، فتركه واشتغل غاريا مملكة ليون (١) . وتوفى ردمير ه فى عام ٢٣٤هـ (٨٥٠م) تاركا عرش اشتورياس وقشتالة لولده اردون الذى تلقب باردون الاول (٢٣٦هـ ٢٥٢هـ) (٨٥٠ — ٨٦٦م) ، وقد قام اردون الاول بتحصين مدن ليون واسترقة أمام المسلمين كما اصلح باقى القلاع والحصون وحاول مساعدة الثوار المولدين بطليطلة على الامير محمد ، فتغلب عليه الامير محمد فى موقعة وادى شليط فى المحرم ٢٤٠هـ (يونيو عام ٨٥٤م) وانهزم قائده غاثون Gaton (٢) وقتل عدد كبير من قواته (٣) .

وفى عهد الامير محمد تمكن موسى بن موسى بن قسى والى الثغر الاعلى من تكوين امارة مستقلة قوية ، واقترن غرسية امير نبرة (٤) بابنة موسى وتحالف معه ليستعين به على مقاومة المسلمين ومقاومة جيرانه النصارى فى الغرب ويقصد بهم اردون ملك ليون . وفى اوائل عهد الامير محمد غزا موسى جنوبى فرنسا ، مما يدل على انه اصبح يشكل قوة كبيرة وبالتالى خطرا شديدا على الملك اردون ،وقد عرف بانه الملك الثالث فى أسبانيا (٥) . ومن دلائل خطره وقوته ان ملك فرنسا فى ذلك الوقت شارل الاصلع اجبر على مهادنته ، وقد حاول اردون محالفة موسى ولكنه فشل فى ذلك لتحريض غرسية امير نبرة عليه ، فتجدد العداء ، وقام

---

(١) ابن عذارى ، البيان ، جـ٢ ، ص ٨٨ .

(٢) هو غاثون قومس بيرزو Bierzo وصاحب الفضل فى اعادة تعمير استرقة Luis Suarez, op. cit., p. 45.

(٣) ابن عذارى ، البيان ، جـ٢ ، ص ٩٥ ، وانظر Luis Suarez, op. cit., p. 45.

(٤) فى خلال النصف الاول من القرن التاسع عاشت الكونتيات الفرنجية على الحدود الاسبانية داخل فلك الامبراطورية الكارولنجية فى الوقت الذى قطعت المراكز المسيحية فى البرانس صلاتها بها ، وكانت مملكة نبرة اهمها جميعا ،وظهرت فيها اسرة بشكنسية لها صلة مصاهرة وقرابة مع اسرة من مسالمة وادى ابرة من اصول قوطية ساندتها ، هى اسرة بنى قسى الذين اسسوا مع نبرة مركزين سياسيين احدهما مسيحى والاخر اسلامى ، ظلا مستقلين حتى بداية القرن التالى (انظر = Sanchez - Albornoz, los reinos cristianos, p. 19.

اردون بمهاجمة بعض الحصون الغربية التى كانت فى حوزة موسى ، فسار موسى لقتاله ٢٤٦هـ (٨٦٠م) يعاونه فى ذلك صهره غرسية ملك نبرة فانهزم موسى شر هزيمة ، وقتل غرسية فى موقعة البلسدة . وفى ٢٤٨هـ (٨٦٢م) قتل موسى بن موسى واضطر لب بن موسى عقب مقتل ابيه وامام قوة اردون وخطورته عليه الى مصالحته والاتفاق معه على ضرورة قتال المسلمين وردهم عن الولايات الشمالية . وكان اردون قد وصل فى ٢٤٢هـ (٨٥٦م) الى قورية التى تشغل موقعا حصينا واستراتيجيا هاما لعب دورا حاسما فى عملية التراجع الثغرى المتأخرة ، ثم اصبح النشاط الذى تلا هذه الحملة على جانب كبير من الاهمية ، وذلك عندما عمرت المناطق المهجورة فى تلك السنة (١) ، واثر تواجد العامل البشرى فى استمرار النزاع على هذه الاراضى .

وقد انتهز اردون فرصة اشتغال حكومة قرطبة بالقضاء على الثورات التى اشتعلت فى الداخل فعبر نهر دويره بقواته وهاجم مدينة قورية واسر واليها ، فقام الامير محمد بارسال عدة حملات الى البسة والقلاع (٢) ، ثم توفى اردون فى عام ٢٥٢هـ (٨٦٦م) وخلفه ابنه الفونسو الثالث العظيم وكان عمره اربعة عشر عاما حين تولى الحكم ، وقد واجه الفونسو الثالث فى بداية عهده ثورة قام بها الكونت فرويلة Froila Bermudez حاكم ولاية جليقية ، وساعدته الظروف بمصرع فرويلة فى قصره بمدينة ابيط (٣) . وعقب ذلك توج ملكا على ليون ، ثم توالت عليه

José luis Martin, la Alta edad media, p. 94 - Luis Suarez, historia de España, edad media, p. 45.

(١) فى سنة ٢٤٢هـ (٨٥٦م) قام اردون الاول باعادة تعمير مدينة ليون وفى سنة ٢٤٦هـ (٨٦٠م) عمر مدينة ثوى Tuy وامايا Amaya واسترقة Astorga (راجع

Aguado Bleye, op. cit., p 481, Jose luis Martin, la alta edad media, p 49.

(٢) ابن عذارى ، البيان ، جـ٢ ، ص ٩٨ — ٩٩ .

(٣) Aguado Bleye, op. cit., p. 482.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المؤامرات،فقد دبر له اخواته مؤامرة استهدفت عزله ،ولكن الفونسو قبض عليهم جميعا وعاقبهم بأن سمل اعينهم ، وقد حكم الفونسو مدة اربعة واربعين عاما ، بلغت فيها دولته مبلغا كبيرا من القوة والازدهار ، وقد وصل بغزواته حتى ضفاف نهر تاجة وغزا عدة مدن اهمها مدينة ماردة وقلمرية وبازو وقورية وشلمنقة . وفى عام ٢٦٨هـ (٨٨١م) غزا اراضى المسلمين خاصة مناطق الانهار مثل دويـرة وتاجـة ووادیانة ، ويذكر المستشرق الاسبانى شانشيب البرنس Sanchez - Albarnoz عن هـذه الفترة التى حكم فيها الفونسو الثالث انه عند منتصف القرن التاسع بدا يحكم فى ابيط فرع محاذى للاسرة السابقة ، وان الملوك الجدد اقدموا على النزول من الجبال الى السهول وحصنوا مجموعة من المدن المهجورة لدعم تقدمهم البطىء وحماية طرق الغزو الواقعة فيما وراء الجبال ، وهى التى كان يسلكها اسلافهم،وكان عليهم التصدى لردالفعل القرطبى ،ولكنهم صمدوا وغامروا بمساعدة اهل طليطلة الثوار ضد الامراء ، اما الفونسو الثالث العظيم ثالث ملوك ابيط الجدد ، فقد استغل الاضطرابات القائمة فى الاندلس بسبب ثورات المولدين احسن استغلال ، واتاحت له هـذه الثورات مد حدود مملكة ابيط حتى نهر منديق Mendigo فى البرتغال ونهر دويره فى ليون ونهرى بيسورجة Pisuerga وارلانثا Arlanza بقشتالة ، وهـذا التقدم جاء نتيجة لفشـل الحملات القرطبيـة العديدة وانتصاراته فى موقعة بولفواريا Polvoraria Valdemora "(بلفواريا بلد يمورة) عام ٢٦٥هـ (٨٧٨م) ومنذ ذلك الحين لم يبق امامه من الاعداء سوى البقية الباقية من بنى قسى فى وادى ابره ، حتى يتمكن من وضع حدود ثانية للمنطقة القشتالية (١) .

وقد قام الفونسو الثالث فى ذلك الوقت بمساعدة قمط برشلونة لاقامة اسرة فى بنبلونة عام ٢٩٣هـ (٩٠٥م) معادية للامويين . ومن الجدير

---

(١) Sanchez - Albornoz, los reinos Cristianos p. 19 - 20 - Luis Suarez, op. cit., p. 50.

بالذكر ان حكم الفونسو الثالث الذى استمر اربعة واربعين عاما قد امتلأ بالحروب ضد المسلمين ، ففى عام ٢٦٥هـ (٨٧٨م) على سبيل المثال حاول المسلمون غزو ليون واسترقة ولكنهم انهزموا امام الفونسو الثالث بالقرب من سمورة ، كما تشير الروايات النصرانية انه اثناء حد الفونسو الثالث لحدوده حتى احواز ماردة ووادیانه فى اراضى المسلمين كما سبق ان ذكرنا اشتبك مع المسلمين عند سفح جبل اريفر من جبال سيرا مورينا وانه انتصر على المسلمين واستشهد منهم الوف عديدة فى هذه الموقعة وهذا مالم تشر اليه الروايات الاسلامية (١) . وحين تمكن المسلمون من انتزاع سرقسطة مقر حكومة ابن لب زعيم الثوار فى الثغر الاعلى اضطر الفونسو الثالث الى مهادنة المسلمين لان بنى قسى هم الذين كانوا يحمونه من هجمات المسلمين ، وقد انهمك عقب تلك المهادنة الى تحسين اوضاعه وسياسته الداخلية بسبب قيام الثورات ضده لكثرة الضرائب التى كان يفرضها على الاهالى . وتوفى الفونسو الثالث العظيم بعد حياة حافلة فى عام (٢٩٨هـ) ٩١٠م وكان قد قسم مملكته بين ابنائه فتنازل عن مملكته لابنه الاكبر غرسية ، وعين اردون حاكما لجليقية ، وفرويلة على اشتوريس ، ومنذ وفاته اطلق على مملكته اشتوريس جليقية ، اسم مملكة ليون (٢) .

٢ - نشأة مملكة نبرة Navarra

والى جانب ملكة ليون قامت مملكة اخرى فى بلاد البشكنس الجبلية (٣) غربى جبال البرانس كانت تخضع فى بدايتها اى منذ اواخر القرن الثامن الميلادى لبعض السادة الاقطاعيين الذين كانوا يتبعون مملكة الفرنج ،وربما حكمها دوقات قنطابرية او امراء اشتوريس وكانت قاعدتهم

---

(١) محمد عبد الله عنان ، دولة الاسلام ، ص ٣٥٩ .

٢) عن دور الفونسو الثالث فى تاريخ اسبانيا راجع Luis Suarez, op. cit, p. 50. 67, Aguado Bleye, op. cit., p. 482 - 485.

(٣) محمد عبد الله عنان ، دولة الاسلام ، ص ٣٦١ .

بنبلونة ، وكانت بلاد البشكنس كما سبق ان رأينا هدفا للغزوات الاسلامية من جهة والفرنجية من جهة اخرى ، فقد حاول ملوك لجليقية او ليون غزوها اكثر من مرة ولكن البشكنس كانوا يتفانون فى الدفاع عن بلادهم بهدف الانفصال عن التبعية للجلالقة . وفى عام ١٨٣هـ (٧٩٩م) ظهر زعيم نبرى يدعى ازوار تمكن من الاستقلال ببلاده وتوفى عام ٢٢٢هـ (٨٣٦م) فخلفه اخوه شانجة ، ولكن الامور لم تستقر له ، فسرعان ماظهر امير آخر من البشكنس هو غرسية انييجيث ابن انيجو اريستا ، Garcia Iñiguez hijo de Iñigo Arista الذى تغلب على شانجه ، ويعرف هذا الزعيم الجديد فى المصادر العربية باسم ونقة بن شانجة ملك البشاكسة (١) ومنذ ان توج غرسية ملكا على هذه المملكة المستقلة ومركزها بنبلونة ، تحالف ملوكها فيما بعد مع بنى قسى وارتبطوا معهم برباط قوى من المصاهرة فقد تزوج انيجوارستا من ارملة موسى بن فرتون بن قسى ، وبالمثل تزوج موسى بن موسى من ابنة غرسية ، كما تزوج اخوه غرسية من بنت لب بن موسى بن فرتون .

وفى عام ٢٤٨هـ (٨٦٢م) قتل غرسية انيجيث وهو يحارب اردون الاول ملك ليون (٢) فى موقعة البلدة ،وكان صهره موسى بن موسى يقاتل الى جانبه وخلفه ولده فرتون Fortun Garces I الذى وقع اسيرا فى ايدى المسلمين (٣) عام ٢٤٦هـ (٨٦٠م) واستمر اسيرا فى قرطبة اكثر من عشرين عاما ، وتم عزل فرتون عام ٢٩٣هـ (٩٠٥م) على يد سانشو غرسية Sancho Garces ٢٩٣ - ٣١٣هـ (٩٠٥ - ٩٢٥م) وهو من فرع اميرى آخر تمكن من الاستيلاء على العرش بطريقة ما (٤) .

---

(١) ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ص ٤٦٨ .

(٢) ذكر انطونيو راموث ان غرسية انيجث Garcia Iniguez قتل فى سنة ٢٦٩هـ (٨٨٢م) على ايدى المسلمين .
Lévi - Provençal, op. cit., p. 392.

(٣) هو الجد الاول لام عبد الرحمن الناصر

(٤) Lévi - Provençal, op. cit., p. 392 - Aguado bleye, op. cit. p. 500.

اما فرتون فقد اعتزل فى احد الاديرة الباقية من عمره . وكان سانشو هذا اول من تلقب بالقاب الملك من حكام نبرة ، واستقر على عرش نبرة حتى سنة ٣١٤هـ (٩٢٦م) حارب خلالها بنى قسى ، وهاجم لب بن محمد بن لب زعيم بنى قسى نبرة فى عهده عدة مرات وانتهى الامر بهزيمة لب ومقتله فى عام ٢٩٤هـ (٩٠٧م) ، فخلفه اخوه عبد الله فى تطيلة الذى واصل حروبه ضد نبره وهزم شانجة هزيمة نكراء فى عام ٢٩٨هـ (٩١١م) (١) ولكن شانجة بن غرسية صاحب بنبلونة غزا تطيلة فى سنة ٣٠٣هـ (٩١٥م) حسبما اورده ابن حيان الذى قال « وفى سنة ثلاث وثلاث مائة كانت للعدو فى بنى قسى ، ملوك الثغر الاعلى جولات اسر فيها عبد الله بن محمد بن لب بن قسى ، امير تطيلة ، وصار مكانه اخوه مطرف بن محمد وكانا معا من الابطال ذوى بأس وشجاعة ونكاية شديدة للعدو ومات عبد الله بن محمد بن لب ، فوثب ابنه محمد بن عبد الله بن محمد على عمه مطرف بن محمد فقتله ، ووقعت باسباب ذلك بين بنى لب فتن وحروب واختلاف ضعضع عزهم، فاضطرب الثغر بافتتانهم» (٢) .وعلى الرغم من هزائم شانجة غرسية الاول ، فقد كان فى نظر المؤرخين الاسبان واحدا من اعظم ملوك الاسترداد الاسبانى (٣) .

٣ ـ احداث كل من مملكتى ليون ونبرة فى عهد عبد الرحمن الناصر :

تم فى عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر قيام حلف يضم مملكتى ليون ونبرة فى مواجهة دولة الاسلام فى الاندلس ، وكان عهد الفونسو الثالث ملك ليون كما اشرنا حافلا بغزواته المتكررة على اراضى المسلمين ، وكانت القواعد الاسلامية المتاخمة لمملكة ليون مثل استرقة وسمورة وشلمنقة

---

(١) محمد عبد الله عنان ، دولة الاسلام ص ٣٦٣
Levi - Provençal, op, cit, p. 392.

(٢) ابن حيان ، المقتبس ، ج٥ ، تحقيق شالميتا ، ص ١٢٥

(٣) Aguado Bleye, op. cit, p. 501.

وشقوبية وميراندة ، قد بدأت تخلو من سكانها المسلمين الذين فروا أمام الهجمات الليونية المتتالية ، وفى عهد عبد الرحمن الناصر لم يعد الخطر المسيحى قاصرا على مملكة ليون وحدها بل ظهر خطر جديد هو خطر مملكة نبرة ، وكان قد خلف الفونسو الثالث على عرش ليون ابنه الاكبر غرسية Garcar (٢٩٨ — ٣٠٢هـ ؛) (٩١٠ — ٩١٤م) الذى سار على نفس سياسة أبيه فيما يختص بعلاقاته بجيرانه المسلمين (١) . وقد علل الاستاذ محمد عبد الله عنان سر بداية الهجوم المسيحى الليونى الشديد على اراضى المسلمين فى تلك الفترة المبكرة بأسباب اقتصادية بحتة (٢) .

وما كاد عبد الرحمن بن محمد الناصر يرتقى دست الامارة بقرطبة حتى شن اردون الثانى ملك ليون ٣٠٢ — ٣١٢هـ (٩١٤ — ٩٢٤م) الذى خلف غرسية على عرش البلاد (٣) ، هجوما واسع النطاق على اراضى المسلمين فى الغرب سنة ٣٠٢هـ (٩١٤م) كما سبق ان ذكرنا فى الباب الاول ، وركز هجومه على كورة ماردة واستولى على حصن الحنش وذبح جميع حاميته (٤) وقد سبق هذا الهجوم فى بداية العام الثانى من امارة عبد الرحمن الناصر غزو لبلدة يابرة وفيها استشهد معظم سكان يابرة ومن بينهم واليها مروان بن عبد الملك بن احمد (٥)

وكان الغرب فى تلك الفترة من حكم عبد الرحمن الناصر لا يزال يعج بالثوار امثال عبد الله بن الجليقى فى بطليوس وحليفه مسعود بن

---

(١) محمد عبد الله عنان ، دولة الاسلام ، ص ٣٩١ .
Lévi - Provençal, op. cit., t. II, p. 36.

(٢) محمد عبد الله عنان ، دولة الاسلام ، ص ٣٩٢ .

(٣) ابن حيان ، المقتبس ، الجزء الخامس ، ص ٩٨ ، وكان ذلك فى اوائل عام ٣٠١هـ (٩١٣م) .

(٤) ابن حيان ، المرجع السابق ، ص ١٢٠ وما يليها وراجع ايضا
Agundo Bleye, op. cit., p. 487.

(٥) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ٩٨ ؛ وانظر مدونة عبد الرحمن الناصر ص ٤٤ ، وراجع
Lévi - Provençal op. cit., t. III, p. 36.

سعدون السرنباقى فى يابرة ،ومحمد بن تاجيت فىماردة ،وسعيد بن مالك فى باجة ،ويحيى بن بكر فى اكشونبة .فاراد عبد الرحمن الناصر ان يضع حدا لهذه الدويلات المستقلة فى الغرب وعلى الاخص دويلة ابن الجليقى رئيس دعوة المولدين فى الغرب . وفى نفس الوقت كان يسعى الى تاديب الليونيين على مااقترفوه فى يابرة وقلعة الحنش . ففى اوائل عام ٣٠٤هـ، اغزى الناصر لدين الله القائد احمد بن محمد بن ابى عبده الى مملكة ليون فخرجت قواته فى ١٦ من المحرم سنة ٣٠٤هـ (١٨ يوليو ٩١٦م)، واجتاحت اراضى مملكة ليون ، فغنم وسبى وقفل عائدا بقواته الى قرطبة (١) .

وكان رد فعل ملك ليون ان اغار فى عام ٣٠٥هـ (٩١٧م) على منطقة يابرة مما جعل عبد الرحمن الناصر يبعث قائدة ابن ابى عبده من جديد لقتالهم ، ولكن سوء الحظ حالف المسلمين فى هذه المرة ، فقد تلقى ابن ابى عبده هزيمة مروعة على ايدى قوات من ليون فى موقعة قشتره مورش المعروفة بشنت اشتبن ولقى القائد ابن ابى عبده مصرعه فى هذه الموقعة (٢) . حدث اللقاء فى ١٤ ربيع الاول سنة ٣٠٥هـ (٤ سبتمبر ٩١٧م) وقد انهزم المسلمون فى هذه الموقعة هزيمة شنعاء واذرع الليونيون فيهم بسيوفهم فقتلوا منهم مقتلة عظيمة بالغت مدونة سيلوس فى تصويرها، فذكرت ان المرتفعات والغابات والسهول ابتداء من وادى دويره حتى بلدة اتينثا Atienza وبارا كويوس Paraçuellos كانت مغطاة بجثث عساكر المسلمين . وعاد اردون الثانى عقب انتصاره على المسلمين الى ليون بعد ان نصب راس الشهيد المسلم احمد ابن ابى عبدة على سور شنت اشتبن San Estcban بجوار راس خنزير (٣) .

---

(١) ابن عذارى ، البيان ، جـ٢ ، ص ١٦٩ .

(٢) Lévi - Provençal, op. cit., t. II, P. 37.

(٣) Lévi - Provençal op. cit. t. II, p. 37.
Ibid. p. 38.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى هذه الوقعة يقول ابن عذارى « وجد المسلمون فى محاربة المشركين حتى كانوا قد اشرفوا على الظفر بمن كان فى الحصن فانحشدت النصرانية من جميع جهاتها ممدين لكفرتهم ومجلبين على المسلمين بخيلهم ورجلهم . . وثبت القائد احمد بن محمد بنفسه واظهر الصبر ودافع مدافعه الموطن وقيل انه كان قد اعتقد مذهبا فى طلب الشهادة ... » (١) . ومن عوامل هزيمة المسلمين فى هذه الموقعة ان الجيش الاسلامى كان يتكون معظمه من البربر المرتزقة الذين اهتموا بغنائمهم ، ولما راوا هجوم النصارى الساحق تسلل معظمهم وفروا بانفسهم من ساحة المعرفة هاربين من ميدان القتال . ولم يكتف اردون الثانى بهذا بل عقد حلفا مع سانشو غرسية ملك نبرة لغزو اراضى المسلمين ، وتم ذلك فى اواخر عام ٣٠٥هـ (٩١٨م) . ففى عام ٣٠٥هـ « حشد الطاغية اردون بن اذفونش ملك جليقية وشانجة ابن غرسية البشكنسى ، قومس بنبلونة ، حشد النصرانية بجليقية ، وبنبلونة فخرجا معا فى احتفال من جموعهم واستيعاب من كفرتهم الى مدينة ناجرة Najera بالثغر الاقصى ، فنزلا عليها فى عقب ذى الحجة منها واقاما عليها ثلاثة ايام منازلين لاهلها ، وعاثت خيولهم فى ذلك الثغر كيف شاءت فافسدت الزرع وانتسفت المعايش ، ثم انتقلت الى مدينة تطيلة Tudela قاصية الثغر فانتهت سراياهم الى نهر كلتس وحوائز مشقيرة ووادى طرسونة ، وعبر شانجة لعنة الله نهر ابره ، فقاتل حصن بلتيرة (Valtierra) وقهر اهل ربضه واحرق المسجد الجامع فيه ، وانقلب الكفرة لعنهم الله الى بلادهم اعزة ...» (٢) .

وكان رد الفعل الاسلامى خروج حملة اسلامية فى المحرم سنة ٣٠٦هـ (منتصف اغسطس ٩١٨م) بقيادة الحاجب بدر بن احمد لقتال العدو وهى غزوة مطونية Mitonia (Mudonia) على مقربة من قلعة رباح وفيها اقتحم الحاجب بدر بحشوده اراضى مملكة ليون «ووطىء حريمهم وآداخ

---

(١) ابن عذارى ، البيان ، جـ٢ ، ص ١٧١ .
(٢) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ١٤٣ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بلدهم ، منتسفا لغلاتهم ، هادما لمصانعهم ، حاطما لمعايشهم ، ولقيهم اعداء الله ، مستطليين عليهم لحين اقتراب فرحتهم بظفرهم ، واستغلاظ من شوكتهم ، فحاربهم المسلمون حربا شديدة ، حمى لها جميعهم ، فأمدهم الله تعالى بالنصر ... » (١) . ولم يكتف عبد الرحمن الناصر بما احرزته قواته من انتصارات وانما اراد ان ينتقم لمصرع قائده احمد بن ابى عبده ، ومن اهم غزواته التى حدثت الغزوة المعروفة بلسم غزوة مويش (٢) Muez ، اهم غزوات المسلمين على الاطلاق حدثت فى صيف عام ٣٠٨هـ (٩٢٠م) وقادها عبد الرحمن الناصر بنفسه ، فخرج فى ١٣ المحرم (٥ يونيو) فى اتجاه طليطلة ، ثم عبر واديانه فى طريق البلة والقلاع (قشتالة) ، ثم عبر نهر دويرة وزحف على مدينة وخشمة Osma واحرقها وهدمها (٣) ، ثم اتجه الى حصن شنت اشتبن الذى سبق للمسلمين ان انهزموا عنده وقتل امامه القائد ابن ابى عبدة فخرب ما فى المنطقة من كنائس واديرة « فهدم منها حصن وخشمة وحصن قاشتره موريش وما والاهما من المعاقل والابراج وكثيرا من الديارات والبيع (٤) » . ويضيف ابن عذارى « ثم رحل عنها فى اليوم الثانى الى حصن قاشتر مورش ، وهى شنت اشتيبن ، بيضة الكفرة ، وقاعدتهم والموضع الذى كانوا يتعودوا فيه الاستطالة على من وردهم ، فلما راوا ان انصار دين الله قد اظلوهم واولياءه قد صمدوا نحوهم اخلوا الحصن ، وخرجوا هاربين عنه فدخله المسلمون وغنموا جميع ما فيه ... » (٥) ثم سار الناصر الى منطقة قلونية Clunia وكان اهلها قد اخلوها

---

(١) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ١٤٥ ، ابن عذارى ، البيان ، جـ٢ ، ص ١٧٢ .

(٢) ابن حيان المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ١٥٩ ، ابن عذارى ، البيان ، ج٢ ، ص ١٧٥ .

(٣) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ١٦٠ ، وابن عذارى ، البيان ، ج٧ ، ص ١٧٧ ، وراجع التفاصيل فى
Lévi - Provençal, op. cit., t. II, p. 40.

(٤) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ١٦٠ .

(٥) ابن عذارى ، البيان ، جـ٢ ، ص ١٧٧ .

وتعرضت للخراب والدمار ، وكان كل من اردون الثانى ملك ليون وشانجة غرسية ملك نبرة قد حشد حشوده يترقبان وصول الناصر الى الشمال ، وكان الناصر قد وجه بعض قواته بقيادة محمد بن لب بن قسى الى قلعة قلقرة (Carcar) لاحتلالها ثم استولى الناصر على حصن قلهرة Calahorra وهنا حاول النصارى استدراج المسلمين عند عبورهم وادى خنقيرة Junquera ، وانتظر عبد الرحمن وصول الليونيين والنبريين ، وعندئذ صدمتهم صدمة عنيفة وهزمهم هزيمة نكراء لم تشهد اسبانيا المسيحية نظيرا لها من قبل ، وسقط كثير من قوات ليون ونبرة قتلى ، من بينهم اسقفان هما دولثديو Dulcidio اسقف شلمنقة ، وارمخيو (Ermogio) اسقف توى Tuy وحدثت هذه الموقعة العظيمة التى انتصر فيها المسلمون بقيادة الخليفة عبد الرحمن الناصر على الحلف الثنائى الليونى النبرى فى اليوم السادس من شهر ربيع الاول سنة ٣٠٨هـ (٢٦ يوليو ٩٢٠م) (١) وقد تمكن الناصر عقب هذه الغزوة من الاستيلاء على حصن بقيرة Viguera الذى كان حصنا على حدود نبرة ، فرممه وزوده بما يحتاجه المسلمون من اسلحة ومؤن . ولكن هذه الهزيمة المروعة لم تكن كافية لردع النصارى المتطلعين الى الاستيلاء على اراضى المسلمين فقد ظلوا يواصلون سياسة الاعتداء على اراضى الاسلام ، فلم يكد يمضى عامان عليها حتى اغار اردون الثانى على ناجرة واستولى عليها فى حين اغار حليفه ملك نبرة على بقيرة وتمكن من الظفر بجميع زعمائها اسرى ثم قتلهم بما فيهم زعيمهم محمد بن عبد الله بن لب القسوى مما اثار اهالى الاندلس وارتفعت اصوات احتجاجاتهم على الناصر لقصوره فى الدفاع عن تلك المدن (٢) ، فبادر الناصر عام ٣١١هـ (٩٢٣م) بارسال مولاه

---

(١) ابن عذارى ، البيان ، جـ٢ ، ص ١٧٨ ،
Lévi - Provençal, op. cit., t. II, p. 42.
محمد عبد الله عنان ، دولة الاسلام ، القسم الاول ، العصر الثانى ، ص ٣٩٧ .

(٢) ابن حيان ، المقتبس ، (تحقيق شالميتا) ، ص ١٨٦ .

عبد الحميد بن بسيل « الى الثغر الاقصى فى جيش كثيف عدته ، أغاث به أهله على شغله بما بين يديه من حرب أهل الخلاف بالموسطة ، فجرد عبد الحميد الى ذلك الفرج ، وقوى عدته واستقوى عدته ، واستقوى على الجيش الذى ضمه اليه ، وشرفه بتقديمه الى خطة الوزارة ... فمضى لوجهه ذلك ، متصلتا حتى دخل الثغر الاعلى ، واجتمع اليه خلق من أهل الثغر وغيرهم ودخل مدينة تطيله قاصية ، واهلها بعد ممرضون فى الطاعة ، فملكها للناصر لدين الله ، وكان ذلك أول ملكها (١) ... ».

وتبعت حملة عبد الحميد بن بسيل على الثغر الاعلى وتطيله ، وجوازه الى مملكة نبرة وتدميره لبعض انحائها حملة اخرى وجهها الناصر فى العام التالى فى ١٦ من المحرم عام ٣١٢هـ (٢٧ ابريل سنة ٩٢٤م) الى قلب مملكة نبرة ، ففى ٤ ربيع الاخر (١٠ يوليو) عبر نهر ابره واخترق عمق نبرة وعاثت قواته فى اراضى مملكة نبرة تحرق وتدمر ما يقابلها من حصون تتحكم فى الطريق الى بنبلونة ، مما ترتب عليه جلاء حاميات نبرة من القلاع خوفا من جيوش الخليفة الناصر ، وبذلك تمكن الناصر من الاستيلاء على العديد من الحصون والقلاع منها حصن قلهرة وقلقرة carcar وبيطرالته (بيرالته) Peralta وهو قنطرة البة كما ورد فى المقتبس (٢) او بيطرة التا كما ورد فى البيان المغرب . وفى هذه الغزوة يقول ابن عذارى « فحل من اول بلادهم حصن قلهرة ، وكان العلج شانجة قد أخلاه فامر بهدمه واحراق جميع ما فيه وحوله ، ثم ذنقل عنه الى موضع يعرف ببيطرةالته وكانت حوله حصون مانعة فاخلاها الكفرة ... (٣) » . كما استولى على حصن بالجش Falces واحرقه وحصن قرقشتال Carcastillo فى وادى ارجون الواقع شرقى بيرالته (٤)

---

(١) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ١٨٨ .
(٢) المصدر السابق ، ص ١٩١ .
(٣) ابن عذارى ، البيان ، جـ٢ ، ص ١٨٦
(٤) Lévi - Provençal, op. cit, II. p. 46.
وانظر : محمد عبد الله عنان ، دولة الاسلام فى الاندلس ، ص ٣٩٩

وشمال شرقى تطيله . ولم يكتف عبد الرحمن الناصر بهذا ، فبهذه الفتوح انفتح الطريق امامه الى قلب نبرة حيث زحف على عاصمتها بنبلونة ودخلها رغم محاولات الملك النبرى سانشو غرسية ان يحول بينه وبين ذلك ،الا أن سكان بنبلونة مالبثوا ان جلوا عنها هاربين خوفا ورعبا من قوات المسلمين . وطلب ملك نبرة العون من قشتالة وحاول لقاء المسلمين واستدراجهم فى مفاوز نبرة الوعرة ، ولكن المسلمين تمكنوا من هزيمتهم وتمزيق قواتهم (١) . وحاول عبد الرحمن الناصر التعمق شمالا مستهدفا تدمير القلعة الاسلامية القديمة المسماه صخرة قيس Huarte Aroquil - ، ولما تحقق له ذلك قفل عائدا الى قلهرة تطيله . وبهذا الدرس القاسى الذى لقنه الناصر لسانشو غرسية الاول فى تلك السنة تنتهى الحلقة الاولى من الغزو الاسلامى ، وكان اردون الثانى قد توفى فى سنة ٣١١هـ (٩٢٤م) وخلفه اخوه فلويره الثانى بن اذفونش Fruela قبل ان يقوم الناصر بحملته على بنبلونة ، ولكن فلويرة الثانى لم يحكم سوى عاما واحدا وتوفى ٣١٢هـ (٩٢٥م) تاركا وراءه صراعا ضاريا بين شانجة Sancho Ordonez والفونسو الرابع ولدى اردون الثانى ولم تلبث الحرب الاهلية ان نشبت فى مملكة ليون وانتهت بوفاة شانجة عام ٣١٧هـ (٩٢٩م) Sancho Ordoñez الذى كان قد ظفر بعرش مملكة ليون ثم تجددت بين الفونسو الرابع (٣١٣ - ٣١٩هـ / ٩٢٥م - ٩٣١م) واخيه ردميره Ramiro II وانتهى الامر بفوز ردميره الذى ارتقى الى عرش ليون فى عام ٣١٩هـ (٩٣١م) (٢) بعد ان تنازل له اخوه الفونسو الرابع عن العرش واغام فى دير ساهاجون ، وقد اشتهر راميرو اوردميره (٣١٩ - ٣٤٠هـ / ٩٣١ - ٩٥١م) الذى تلقب بالثانى بشجاعته وقوته وشدة بأسه ، فقد تابع سياسة من سبقه فى الصراع ضد المسلمين ، فانتهز فرصة احتدام نار الثورة فى طليطلة ، فتوجه بقواته

---

(١) لمزيد من التفاصيل ارجع الى ابن حيان ، المقتبس ، شالميتا ، ص ١٨٩ - ١٩٥ ، وابن عذارى البيان ، جـ٢ ، ص ١٨٦ - ١٨٩ .

(٢) Aguado Bleye, op. cit, p. 488.

لمساعدة الثوار ، ولكنه فوجىء بزحف اخيه الفونسو الرابع الراهب الى مدينة ليون واستيلائه عليها ، فعاد راميرو مسرعا وحاصر أخاه فى ليون واستردها عام ٣٢٠هـ (٩٣٢م) ثم سمل عينى اخيه وابناء عمومته الثلاثة الذين اشتركوا فى الثورة ضده وسجنهم (١) . وكان الناصر قد عزم على وضع حد لثورات مدينة طليطلة ، ولذلك فقد تقدم اليها فى ربيع الثانى من عام ٣١٨هـ (٩٣٠م) ثم حاصرها ، ولكنه غادرها بعد اسابيع وعاد الى حصارها مرة ثانية بعد عامين وكله عزم وحماس على اخضاع هذه المدينة العاصية ، وقد حاول رذمير انقاذ هذه المدينة التى طالما شجع ثوارها ، وبالفعل فقد تقدم اليها مارا بحصن مجريط (مدريد) ٣٢٠هـ (٩٣٢م) ، ثم انهزم على أيدى المسلمين فى اوسمة ٣٢١هـ (٩٣٣م) وعجز عن منعهم من تدمير أراضى قشتالة ومدينة برغش (٢) . وفى ذلك يقول ابن عذارى « وكان اهل طليطلة لما اخذهم الحصار واشتد عليهم التضييق ولازمهم القواد ، قد استجاشوا بالمشركين ، واستنجدوهم ورجوا نصرهم لهم ، فلم يغنوا عنهم فتيلا ، ولاكشفوا عنهم عذابا ولاجلبوا اليهم الا خزيا وهوانا ، وخرج القواد المحاصرون لهم الى الكفرة فهزموهم وفرقوا جموعهم ، وانصرفوا مولين على اعقابهم ، خاذلين لمن انتصر بهم .. فلما يئس اهل طليطلة ان ينصرهم احد من بأس الله الذى عاجلهم وانتقامه الذى طاولهم ، عاذوا بصفح امير المؤمنين ، وسألوه تامينهم ..» (٣) وقد ساعد على رحيل رذمير وعدم انجاده لطليطلة اضطراب ظروف بلاده الداخلية وثورة اخيه السابق ذكره عليه .

وفى عام ٣٢٢هـ (٩٣٤م) اعد الخليفة الناصر نفسه للجهاد ،

---

(١) وابناء اخيه هم ادفنش وردميره واردون ، وكانوا قد ساعدوا الفونسو الرابع
Lévi - Provençal, op. cit., t. II, p. 51.

(٢) Lévi - Provençal, Ibid, t, II, p 53.

(٣) ابن عذارى ، البيان ، جـ٢ ، ص ٢٠٦ ـ ٢٠٧ .

وقرر غزو مملكة نبرة ، وكان ملكها سانشو غرسية قد توفى فى سنة ٣١٤هـ (٩٢٦م) تاركا زوجته تيودا (طوطة) Toda Aznarez وصية على ولدها غرسية Garcia Sanchez I (٣١٤ - ٣٦٠هـ / ٩٢٦ - ٩٧٠م) فلما علمت بقدوم الناصر « وردت عليه رسل الماكرة طوطة ابنة اشيذر تلوذ بطاعته وتمت بسبب اسلافها بالخلفاء سلفه ، وتسأله عقد سلمها وصرفه أوجه الخيل عنها ... فسارعت الخروج نحوه بنفسها فى وجوه رجالها وقواميسها واساقفتها ، ووافت اليه مسرعة لمعسكره فى محلة قلهرة ومعها هدية حسنة ، وقد أمر الناصر لدين الله بتعبئة الجيوش لدخولها ... وخضعت له فى سؤالها ومقالها ، فأحسن الناصر لدين الله قبولها ، وكرم منزلتها ، وعقد عليها وعلى قوامها عقدا ، اعز الله الاسلام به » تضمن تصحيح الطاعة والتبرؤ من سائر ملوك النصرانية (١) ... وبهذا يتبين لنا ان الناصر قد عقد صلحا مع طوطة فى مقابل وعدها له بألا تهدد اى رقعة من بلاد الاسلام والا تقدم اى عون لاى مملكة نصرانية ضد المسلمين . ومضت سنوات عدة دارت خلالها العديد من الحروب بين الناصر وبين النصارى ، فقد كان كثيرا ما يتجه بكل قواته الى البة والقلاع مجتاحا بقواته العديد من الحصون المسيحية مثل حصن غرماج Gormaz الواقع بالقرب من ليون ، هذا وقد زحف الناصر على مدينة بزغش عاصمة قشتالة فى عام (٣٢٣هـ) ٩٣٤م وخربها ، وبعدها هاجم اوسمة والقصر وحصن انه والدير المنسوب اليه من بلاد البة والقلاع ، وحصن بسيطة ، واشكفيرش ولزمه (٢) . ولم تقتصر الحروب بين الناصر واعدائه النصارى على المواقع البرية ، بل ان هناك من المواقع البحرية ما دار بين الطرفين ، فقد ذكر ابن حيان ، خبر هذه الغزوة البحرية التى كان يقودها عبد الملك ابن سعيد بن أبى حمامة (٣) ضد الفرنج ، وقد انهزم الفرنج فيها ، وانتهت

---

(١) ابن حيان ، المقتبس ، ص ٣٣٦ .
(٢) محمد عبد الله عنان ، دولة الاسلام ، ص ٤٠٤ .
(٣) ابن حيان ، المقتبس ، ص ٣٦٦ .

هذه الحرب بعقد الصلح بين الناصر وردمير الثانى ملك ليون عام ٣٢٣هـ/ ٩٣٤م. ثم تتابعت الغزوات فيما بعد، فقد سار الناصر عام ٣٢٢هـ (٩٣٣م) لمحاربة النصارى، وفى عام ٣٢٤هـ (٩٣٥م) حاول ملك ليون أن يستولى على قلعة مجريط ولكن حامية الحصن تمكنت من صده وانقاذ القلعة (١). ثم واجه الناصر حلفا ثلاثيا يتكون من التجيبيين فى سرقسطة وملك نبرة وملك ليون، وعزم على التحرك السريع، ففى عام ٣٢٥/٣٢٦هـ تمكن الناصر من الاستيلاء على قلعة أيوبر Calatayud بعد أن كبد حاميتها خسائر كبيرة فى الانفس ثم على سرقسطة رغم المساعدات العديدة الضخمة التى قدمها ردمير ملك ليون لصاحبها (٢)، وبهذا يكون الناصر قد قضى على ثورة التجيبيين فى الشمال والثغر الاعلى وهم الذين طالما كانوا يستعينون بليون ضد الناصر فيكون الناصر بهذا قد قضى على عدوين فى آن واحد.

وفى صيف ٣٢٧هـ (٩٣٩م) (٣) سار الناصر الى ليون، وكان يقود جيشا ضخما للغاية، عبر نهر التاجة من جهة طليطلة، ثم عبر نهر الدويره متجها نحو شنت مانكش Simancas، وكان ردمير الثانى يرابط على مقربة منها فى حشود عظيمة متأهبا للقتال، ووزوده حليفه الخائن امية بن اسحاق، بنصائح ومعلومات قيمة، وانضمت اليه طوطة ملكة نبرة ضاربة بعهودها عرض الحائط، وبذلك اتحدت قوى اسبانيا المسيحية ضد

---

(١) المقرى، نفح الطيب، جـ١، ص ٣٤٠ — ٣٤١، ابن حيان، المقتبس ص ٣٧٩.

(٢) Lévi - Provençal, op. cit, t, II, p. 55.

(٣) لمزيد من التفاصيل عن حملات الناصر انظر محمد عبد الله عنان، دولة الاسلام، ص ٤٠٢ — ٤٠٧، وكان الناصر قد عقد صلحا مع راميرو ملك ليون عام ٣٢٣هـ (٩٣٥م) (انظر ابن حيان، المقتبس، تحقيق شالميتا، ص ٣٦٥).

المسلمين . وتتفق المصادر العربيـة والاسلاميـة عـلى أن الموقعة عرفت بالخندق ، وكان من ابرز الذين خانوا عبد الرحمن الناصر من اتباعـه الخائن ابن فرتون بن محمد الطويل ،فقبض عليه الناصر وصلبه في قرطبة ، وكانت لهذه الهزيمة ، اثرها الكبير في اوربا والعالم الاسلامي (١) وانتهى الامر بأن عقد ردمير ه الصلح مع الناصر .

وعلى الرغم من السلم المنعقد بين الناصر ورذمير الثاني ملك ليون الا أن هذا الاخير لم يحترم عهوده معه ؛ فقد تجددت المعارك بينه وبين الناصر الى ان توفي ردميره الثاني في ٣٣٩هـ (٩٥١م) ، فاشتعلت الحرب الاهلية بين ولديه اردون الثالث Ordoño III (٩٥١ - ٩٥٦م) وشانجة (٢) Sancho I حفيد طوطة الوصية على عرش مملكـة نبرة وانتهز المسلمون هذه الفرصة فاغاروا على مملكة ليون الى ان تولى اردون الثالث عرش ليون، وعندئذ ارسل الى الخليفة الناصر يطلب موادعته ومسالمته ، فأجابه الناصر وعقد معه معاهدة صلح على الرغم من ان شانجة اخاه عارضها وحال دون تنفيذها لفترة محددة . وكان اردون الثالث ابنا لردميره الثاني من زوجته الاولى تيريسا Teresa ، اما سانشو فكان ابنه من زوجته الثانية اراكه Urraca ،وكما سبق ان ذكرنا فان الصراع لم يلبث ان دب بين الاخوين ،فقد ادعى اردون انه احق بالعرش باعتباره اكبر الاخوين ،ولكن شانجة اخاه وقف امامه يؤيده في ذلك اشراف نبرة وامراؤها الذين كانوا اخواله لامه وجدته طوطة الوصية على مملكة نبرة

---

(١) لمزيد من التفاصيل عن وقعة الخندق ، راجع ، ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ٣٤٢ - ٣٤٧ ، ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ٣٧ ، المقرى ، نفح الطيب ، جـ١ ، ص ٣٤١ ،
Lévi - Provençal, op. cit, p. 51 - 65, Aguado Bleye, op. cit, p. 487 - 488.

(٢) ابن عذارى ، البيان ، جـ٢ ، ص ٢١٧ .

الى جانب اهل قشتالة ،وتوفى اردون الثالث بسمورة في ٣٤٥هـ(٩٥٦م) بعد فترة قصيرة من حكمه للبلاد فخلفه اخوه شانجةالاول المعروف بالسمين Sancho el grueso (٣٤٥ — ٣٥٦هـ / ٩٥٦ — ٩٦٦ م) الذى رفض تنفيذ اتفاقية السلام مع الخليفة الناصر (١) ،مما دفع الناصر الى محاربته ،فسير لهذا الغرض قائده احمد بن يعلى في ٣٤٦هـ (٩٥٧م) الذى كان واليا على طليطلة الى ليون ،،وتمكن القائد ابن يعلى من ايقاع الهزيمة بشانجة وارغمه في النهاية على قبول الصلح .

ثم ثار الاشراف على شانجة السمين بحجة هزيمته امام المسلمين في كثير من المعارك وبحجة ان بدانته المفرطة تحول بينه وبين ركوب الخيل ،فلاذ شانجة ببنبلونه عاصمة نبرة واقام في كنف جدته طوطة ملكة نبرة (٢) .وفي ذلك الوقت قام الليونيون باختيار اردون الرابع السيء بن الفونسو الرابع الراهب عم الملك شانجة وصهر الكونت فردلند جنثالث Fernán González ، وذلك في عام ٣٤٧هـ (٩٥٨م) ، وقد كان اردون الرابع سيىء الخلق كريها ، قبيح الشكل مما جعله يتلقب بالسيىء El Malo فلما وجد شانجة السمين ان الامور قد ساءت ضده لجا الى الناصر يطلب معونته ، فقام الناصر بمعالجته من بدانته وامداده بالاموال والرجال مما سهل لشانجة استرجاع عرش مملكة ليون مرة ثانية .

وفي مقابل هذه المساعدات التى قدمها الناصر لشانجة كان عليه ان يتنازل بعد استرجاع للعرش عن بعض الحصون الواقعة على الحدود ، وساعد اشراف نبرة شانجة على استعادة العرش ، وكانت الملكة طوطة قد وفدت الى قرطبة عام ٣٤٧هـ (٩٥٨م) ومعها ولدها غرسية الذى كانت

---

(١) Aguado Bleye, op. cit. p. 488 - Lévi - Provençal, op. cit., t. II, p. 70

(٢) Aguado Bleye, op. cit, P. 488 - Lévi - Provençal, Ibid, p. 70 - 71.

وهنية عليه وحفيدها شانجة ملك ليون الذى خلعه اشرافها ، فاستقبلهم الناصر بحفاوة بالغة ، ووعدهم ببذل المساعدة ، فلما تم لشانجة ما أراد فى ٣٤٩هـ (٩٦٠م) ، وفر اردون الرابع الى برغش ، نكث شانجة بكل وعوده للمسلمين ، وتوفى الناصر بعد ذلك بفترة قصيرة فى رمضان ٣٥٠هـ (اكتوبر ٩٦١م) (١) . وفى ذلك الوقت أعلن فردلند (فرنان جنثالث) نفسه اميرا مستقلا على قشتالة وهو الذى كان قد تدخل فى الاحداث الاخيرة لليون تارة مع شانجة السمين ، وتارة ضده .

فلما علم اردون الرابع بنكث شانجة السمين لعهوده مع المسلمين سعى الى الحكم المستنصر بالله مبديا رغبته فى الصلح معه على ان يساعده فى استرجاع ملكه ، فوعده الحكم باعادته ، ولكن شانجة بادر هو الآخر باستمالة الحكم واعلان الطاعة له ، وما لبث ان نكث من جديد عندما علم بوفاة اردون ، فقام الحكم بمحاربة شانجة ملك ليون ، وهزم فرنان جنثالث امير قشتالة فى موقعة شنت استبين وارغمهما على طلب الصلح . وقد واجه شانجة متاعب عديدة منها قيام Conzalo Sanchez (غند شلب) حاكم جليقية بالاستقلال بعد ان كان قد استولى على ليق وبازو وقلمرية مما دفع شانجة الى محاربته ، ولكن غند شلب دس له السم فمات فى عام ٣٥٦هـ (٩٦٦م) وخلفه ابنه ردمير الثالث (٣٥٦ - ٣٧٢هـ / ٩٦٦ - ٩٨٢م) وكان طفلا فى الخامسة من عمره ، لذلك فقد تولت الوصاية عليه عمته الراهبة البيرة Elvira. ، ولم تستتب الامور فى ليون منذ مصرع شانجة السمين مما جعلها تبدأ عصرا جديدا من الفوضى والاضطرابات ، فالقوامسة لم يعترفوا بالملك الصغير ، والفتن انتشرت فى كل انحاء البلاد ، والنورمان اخذوا يهددون ساحل جليقية (٢) .

---

(١) Sanchez - Albornoz, los reinos cristiónos, op. cit, p. 22.

(٢) Aguado Bleye, op. cit, p. 488.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٤ - مملكة ليون بعد وفاة شانجة السمين :

قامت الثورات فى مملكة ليون وخاصة فى ولاية جليقية فى اعقاب وفاة شانجة وحاول كثير من الزعماء الاستقلال عن مملكة ليون، واخذوا يتوجهون الى قرطبة للتفاوض مع حليفة المسلمين (١) وكان من ابرز هؤلاء الزعماء فرنان جنثالث (٢) الذى استقل بقشتالة ، كما ظل غند شلب Sanchez Gonzalo الذى اقدم على الفتك بشانجة مستقلا فى منطقة لميق وبازو وقلمرية . ثم توفى فرنان جنثالث عام ٣٦٠هـ (٩٧٠) وخلفه فى الامارة ابنه غرسية فرناندث Garcia Fernandez كما توفى غند شلب ملك نبرة فى نفس السنة وخلفه ولده سانشو غرسية الثانى Sancho Garcés II Abarca (٣) ، الذى زوج ابنته من المنصور فاسلمت وتسمت عبدة، وقد تنافس هؤلاء الامراء فى اعلان طاعتهم للحكم المستنصر والوفود الى قرطبة ومنهم القمط بوريل الثانى من برشلونة ، الذى كان يمارس الحكم وحده بعد وفاة اخيه وشريكه فى الحكم ميرو عام ٣٥٦هـ (٩٦٦م) ومنهم الملك شانجة غرسية Sancho Garcés II ملك نبرة ، ومعه السيدة البيرة الوصية على الملك الشاب ، ومنهم فرنان لاينث Fernan lainez قومس شلمنقة ، وغرسية فرناندث Garcia Fernández امير قشتالة وفرناندو انسورث Fernándo Ansurez امير قشتالة قومس مونثون Monzon (منتشون) وغند شلب ، قومس جليقية ، ورودريجو بلاسكث Rodrigo Velázquez امير جليقية ، وبنى غومث Gómez قمامسة قريون Carrion (٣) .

وفى عهد هشام المؤيد وحجابة المنصور بن ابى عامر ابلغ المنصور بقيام حلف مضاد للاسلام فى الاندلس يجمع بين ردميرة الثالث وغرسية فرناندث Garcia Fernandez وشانجة ابركة Sancho Abarca ملك بنبلونة . فبادر المنصور بالخروج الى طليطلة ، ثم تقدم الى وادى

---

(١) Lévi - Provençal, op. cit. p. 180.
(٢) Sanchez - Albornoz, los reinos cristianos, p. 22
(٣) Lévi - Provençal, op. cit, t, II, p. 181.

دويره حيث بلغته الاخبار باحتشاد قوات الحلفاء فى هذه المنطقة ، وتم الاشتباك فى روطة Rueda فى (٣٧١هـ) اغسطس ٩٨١م على مقربة من شنت مانكش ، وأسفر الاشتباك عن كارثة بالنسبة للمتحالفين الثلاثة ، وانتهز المنصور الفرصة ودخل حصن شنت مانكش ودمره، وتمكن من اسر أعداد كبيرة (١) .

وأمام هذه الهزائم المتتالية ، اقدم أشراف ليون فى ذلك الوقت على التخلص من ردميرة ، فخلعوه واقاموا مكانه ابن عمه برمودة Vermudo II بن ردميرة الثالث ، وتم ذلك فى عام ٩٧٢م، ولكن ردميرة الثالث لم يسكت على هذا الوضع الجديد فسرعان ما جمع قواته وانصاره ، واشعل نيران الحرب الاهلية من جديد ، بيدانه تلقى فى النهاية هزيمة نكراء من خصومه فر على اثرها الى استرقة محاولا اللجوء الى المنصور ، ولكنه لم يتمكن من ذلك بسبب وفاته المبكرة فى ٢٦ يونيو ، وبهذا يكون برمودة قد تخلص من منافسه الوحيد ،وعندئذ بادر هو الاخر الى طلب المساعدة من المنصور الذى امده بقوة كبيرة لمساعدته على التخلص من الاشراف ، ولكن برمودة، لم يلبث ان بدل فجاة سياسته مع المنصور ،فطرد الحامية الاسلامية واسترد نفوذه على ليون (٢) ، ولم يتردد المنصور فى محاربته ومهاجمة قلمرية وتخريبها تماما بحيث ظلت خربة لمدة سبع سنوات،كما جرد حملة وجهها الى مدينة ليون اشترك فيها بعض النبلاء والقوامسة ، فتعرضت للدمار وفر منها الملك الى سمورة التى تعرضت هى الاخرى للدمار (٣) مما

---

(١) Sanchez - Albornoz, los reinos cristianos españoles hasta el descubrimiento de América Buenos Aires, 1979, p. 22 - Lévi Provençal, op. cit, p. 235.

وراجع الرواية العربية فى ابن عذارى ، البيان ، جـ٢ ، ص ٢٥٦ - ٢٨٠ .

(٢) Luis de Valde Avellano, op. cit, p. 229 - Lévi - Provençal, op. cit, p. 242.

(٣) Luis de Valde Avellano. op. cit, p. 250.

دفع برمودة الى طلب الصلح عام (٣٨٥هـ) ٩٩٥م ، ثم توفى برمودة عام ٣٩٠هـ (٩٩٩٠م) وخلفه ابنه الفونسو الخامس النبيل EL NOBLE (٣٩٠هـ - ٤١٨هـ / ٩٩٩ - ١٠٢٧م) ، وكان قاصرا ، فتولت الوصاية عليه امه الملكة البيرة والقومس (١) منندو غنثالث (مندس ابن غنـد شلب) .

٥ - نشأة مملكة قشتالة :

كانت تقع فى اقصى الطرف الشرقى الذى يكاد يكون مهجورا من مملكة ليون ، وتمتد شرقا حتى هضاب نبرة ، ومن ولاية ريوخا Rioja جنوبا حتى الاراضى التى عرفت فيما بعد بارغون (٢) ، وكانت تسمى بردوليا Bardulia (٣) ثم سميت فيما بعد بقشتالة Castilla (القلاع عند العرب) لتعدد القلاع بها ، ويمتاز موقعها بانه استراتيجى ، للغاية ، فهى على وجه التحديد تقع فى جنوب سلاسل جبال قنطابرية وفيه وادى ابره الاعلى وفى منطقة التماس مع جبال قنطابرية الموحشة وسكانها البشكنس الشرسين الذين لم يقهرهم القوط الغربيون قط (٤) .

وكانت حاضرة قشتالة مدينة امايا Amaya الواقعة على نشز حصين للغاية على ضفة وادى بيسويرجه Pisuerga ، وقد تعرضت هذه المنطقة لحملات المسلمين العنيفة طوال قرن كامل ، سواء من جانب القوات القرطبية او من جماعات المسالمة فى وادى ابره الاوسط الذين كانوا يغزونها بدون انقطاع . وكان سكانها الاصليون من البشكنس واهل البة (٥) . وكان

---

(١) Aguado Bleye, op. cit, p. 489.

(٢) محمد عبد الله عنان ، دولة الاسلام ، ص ٥٩٠ .

(٣) Antonio Ramos Oliveira, Historia critica de España, la edad media, p. 67.

(٤) ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ٦٣ ، السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين ص ٣٣٢ .

(٥) Aguado Bleye, op. cit, p. 492. ، محمد عبد الله عنان ، دولة الاسلام ، ص ٥٩٠ .

لاختلافها فى الارض والجنس والتاريخ عن سائر مملكة ليون اكبر الاثر فى ايجاد نوع من الشعور بالعصبية والروح الانفصالية التى انتهت فيما بعد بانفصال شعبى لغويا وتشريعيا وادبيا (١) . وقد ثار اهل قشتالة فى اوائل القرن العاشر ضد ملوك ليون فحاربهم اردون واخضعهم (٢) .كما سعى فرويلة والفونسو الثالث على اجتذابهم اليها بتزويجهم من سيدات قشتالة (٣) او اعادة تعمير المدن والحصون فى قشتالة بعناصر بشكنسية كما حدث فى برغش وكاردينا وقلونية وشنت اشتيبن (٤) وقد تمكنت قشتالة من تحقيق شخصيتها التاريخية فى منتصف القرن العاشر الميلادى حين وجدت فى القومس القشتالى Fernán González فرنان غنثالث (٥) الرجل الذى سيضع اساس استقلال الكونتية والذى عرف كيف يستغل

---

(١) Sanchez - Albornoz, p. 22.

(٢) محمد عبد الله عنان ، دولة الاسلام ، ص ٥٩١ .

(٣) Aguado Bleye, op. cit, p. 492.

(٤) Aguado Bleye, Ibid, p. 492 - José luis Martin, op. cit, p. 108.

(٥) هو فردلند فى المصادر العربية ابن جنثالو فرناندث Gonzálo Fernández قومس برغش منذ عام ٢٨٦هـ (٨٩٩م) والذى ورث كونتية قشتالة فيما يقرب من عام ٢٩٨هـ (٩١٠م) من قومس قشتالة السابق نونيو نونيث Nuño Nuñez (٢٨٦ - ٢٩٧هـ) (٨٩٩ - ٩٠٩م)، عن طريق زواجه من مونيا بنت نونيو Muña . وقد قام جنثالو فرناندث منذ أن تولى كونتية قشتالة بترميم القلاع ، واعادة تعمير البلاد ومن بينها مدينة لارة Lara . ولقد ورث فرنان جنثالث من ابيه بادىء ذى بدء ملكية مدينة لارة واصبح قومسا لها ، وفى بداية عام ٣٢٠هـ (٩٣٢م) وضع يده على كونتية قشتالة فى حياة ابيه ، ولم يلبث ان الغى لقب قومس من اصحاب الكونتيات القشتالية وقصره على نفسه ، ومنذ سنة ٣٢٠هـ (٩٣٢م) اصبح يضم الى لقبه لقب قومس البة عن طريق زواجه من سانشا ارملة هراميث Herramelliz قومس البة (المتوفى سنة ٣١٩هـ/٩٣١م) وقد طال عهد فرنان جنثالث حتى سنة ٣٦٠هـ (٩٧٠م) وعاصر خمسا من ملوك ليون هم ردميرة الثانى (٣١٨ - ٣٣٩هـ) (٩٣٠ - ٩٥٠م) واردون الثالث (٣٣٩هـ - ٣٤٤هـ) (٩٥٠ - ٩٥٥م) وشانجة الاول (٣٤٤ - ٣٥٦هـ) (٩٥٥ - ٩٦٦م) واردون الرابع ٣٤٧هـ (٩٥٨م) وردميرة الثالث (٣٥٦ - ٣٧٢هـ) (٩٦٦ - ٩٨٢م) وتسجل الاربعون

حيويته فى ظروف سياسية مواتية ، وهو الذى حشد قواته وانصاره معلنا الحرب على ردميرة الثانى ملك ليون وولده اردون الثالث من بعده ، وكان ردميرة الثانى قد بلغ أوج قوته عقب انتصاره الباهر على المسلمين فى وقعة الخندق سنة ٣٢٧هـ (٩٣٨م) ، لذا فقد أمكنه الانتصار على فرنان غنثالث بسهولة وتمكن من اسره الى ليون حيث اقام سجينا نحو عشرة اشهر ، واقام على حكم قشتالة اسور فرناندث كونت مونثون Asur Fernandez conde de Monzon ، ثم اسند هذه الكونتية الى ولده سانشو فى سنة ٣٣٣هـ (٩٤٤م) مع الابقاء على اسور (١) وامره بأن يحسن معاملة القشتاليين ،ولكن القشتاليين لم يرضوا عن اميرهم فرنان غنثالث بديلا ،فواصلوا ثورتهم التى تحولت الى بركان من الغضب جعل جموعهم الغاضبة تخرج فى حشود مرعدة الى ليون ، وعندئذ اطلق ردميرة فى ذلك الوقت سراح فردلند (فرنان جنثالث) على ان يقسم يمين الولاء والطاعة لملك ليون وان يتنازل عن كل املاكه وان يتزوج ابنه اردون (أى ابن ردميرة) اراكه Urraca بنت غنثالث ،فقبل فرنان غنثالث شروطه مرغما ، وعلى اثر ذلك عاد فرنان جنثالث الى كونتية قشتالة (٢) .وعقب وفاة ردميرة الثانى سنة ٣٤٠هـ (٩٥١م) تغيرت امور قشتالة ، فقد تيسر لفرنان غنثالث ضم كونتيات قشتالة كلها تحت جناحه استعدادا لجعلها امارة مستقلة نحو منتصف القرن العاشر ،وانتهز فرنان جنثالث فرصة نشوب الحرب الاهلية بين شانجة السمين واردون الرابع ولدى ردميره الثانى واستقل ببلده ، ونصب نفسه اميرا مستقلا على قشتالة ،واخذ يوسع املاكه

= عاما من حكمه احداثا خطيرة من صراعات ومنازعات واضطرابات (راجع

Antonio Ramos Oliveira, historia de España, la edad media, p. 66 72).

(١) Antonio Ramos Oliverira, op. cit, p. 86.

(٢) Ibid, p. 86.

على حساب المسلمين (١) وفى هذه الاثناء كان شانجة السمين قد استنصر عقب جلوسه على عرش ليون بعبد الرحمن الناصر ليدعم نفوذه ، وتولت عمته الراهبة دونيا البيرة الوصاية على ابنه ردميرة الثالث الملك الطفل وانتهى هذا الملك الصغير هو الاخر باستنصاره بعبد الرحمن الناصر (٢) ، وعندما تتابعت اعتداءات فرذلند (فرنان جنثالث) على اراضى المسلمين لم يتردد الحكم المستنصر فى ارسال قواته لوضع حد لهذه الاعتداءات وأوقعت بقواته هزيمة نكراء فى موقعة شنت اشتيبن ٣٥٢هـ (٩٦٢م) واضطر الى طلب الصلح ، ثم توالت غزوات المسلمين على اراضى قشتالة فيما بين عامى ٣٥٢ - ٣٥٧هـ (٩٦٣ - ٩٦٧م) وسيطر المسلمون على ضفاف دوبرة ، وما ان تولى المنصور ابن ابى عامر منصب الحجابة فى دولة هشام المؤيد حتى ظهرت مواهبه العسكرية وتمكن بفضل انتصاراته الحربية من الظفر بلقب المنصور ، ولم ينقطع عن توجيه ضرباته ضد المسيحية فى اسبانيا خلال عقدين من الزمان فقدت الممالك المسيحية اثناءها خط دويره ، وفقدت شنت مانكش وسمورة ، وانقذ حلول الشتاء ليون من السقوط فى ايدى المسلمين (٣) ، وسقطت عواصم ثلاثة دول مسيحية هامة فى يده هى ليون وبنبلونة وبرشلونة سواها بالارض ودمر منشآتها وأسوارها ، ولقيت الكنائس الكبرى فى الممالك الثلاث ، بما فى ذلك شانت ياقب نفس المصير التعس ، اذ دمرت قواته ضريحها سنة ٣٨٧هـ (٩٩٧م) ، وتوفى قومس قشتالة فرذلند فى يناير عام ٣٦٠هـ (٩٧٠م) ، وخلفه ابنه غرسية Garcia Fernández (٣٦٠هـ - ٣٨٥هـ / ٩٧٠ - ٩٩٥ م) الذى لم يتردد فى محاربة المسلمين ، وتمكن من الاستيلاء على ديشا Deza

---

(١) محمد عبد الله عنان ، دولة الاسلام ، ص ٥٩٤ ،
Antoniq Ramos Oliveira, op. cit, p. 85 - 87,
Sanchez Albornoz, op, cit, p. 24,
Jose Luis Martin, op. cit, p. 110.
(٢)
(٣) Antonio Ramos, op. cit, p. 97 - Lévi - Provençal, op. cit, II p.235.
والسيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس ، ص ٣٣٢ .

كما انتصر عليهم فى البريقه (١) Alborcca

وفى سنة ٣٨٥هـ (٩٩٥م) اشتبكت قوات المنصور مع قوات غرسية قومس قشتالة فى موقعة دارت فى السهل الواقع بين لنجة Langa والقصار Alcozer ، وانتهت بانتصار سريع لقوات المسلمين ، واصيب غرسية بجرح بالغ ، ووقع اسيرا فى يد المنصور ، فحمل الى مدينة سالم Medinaceli ومنها الى قرطبة حيث توفى فى ٢٩ يوليو من نفس السنة (٢) وخلفه على قشتالة ابنه شانجة غرسية Sancho Garcia حليف المنصور . ثم توفى المنصور فى ٣٩٣هـ (١٠ اغسطس ١٠٠٢م) فخلصت وفاته نصارى اسبانيا من اعتى اعدائهم فى جزيرة الاندلس ، ولكن ابنه عبد الملك لم يتركهم ينعمون بالراحة ، فقد واصل سياسة ابيه تجاه ممالك اسبانيا المسيحية ، فظل يقاتلهم ويبث الرعب والهلع فى قلوبهم بغزواته المتلاحقة ، ولكن مواهبه العسكرية ، كانت اقل من مواهب ابيه ، ولم يفق النصارى من الكابوس الجاثم عليهم الا بقيام اهل قرطبة بالثورة على شنجول فى عام (٤٠٠هـ) ١٠٠٩م ، ولم تستطع مملكتا ليون ونبرة الافادة من المسار الجديد الذى اتخذه التاريخ الاسبانى اذ كانا قد عانيا بما فيه الكفاية ، فمملكة ليون كان يحكمها ملك صغير هو الفونسو الخامس كما سبق ان ذكرنا فى حين كان يحكم نبرة شانجة الثالث الذى لم يكن يحس بأى حافز لمحاربة المسلمين فى الوقت الذى استعانت فيه الطائفتان المتصارعتان فى قرطبة على السلطان وهما طائفة البربر وطائفة الصقالبة بزعيمى قوتين يمكن اعتبارهما من حيث المرتبة السياسية اقل شانا ، ولكن تتوفر لديهما الجراة واعنى بهما قشتالة وبرشلونة ، فقشتالة منذ ان انفصلت عن مملكة ليون تمكنت من تدعيم قوتها واعدت نفسها لحياة استقلالية جديدة فى ظل حاكم قمير يتمتع بمواهب سياسية وعسكرية واعنى به شانجة بن غرسية Sancho Garcia ٣٨٥ - ٤٠٨هـ (٩٩٥ - ١٠١٧م) . اما ادواق الثغر الاسبانى

---

(١) Antonio Ramos Oliveira, op. cit, p. 95.

(٢) Ibid, p. 99.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الذين عاشوا أحرارا فى جنوب البرانس خلال الازمة الكارولنجية ، فقد اخذوا يستشعرون يوما بعد يوم باهتمام خاص نحو مشاكل شبه الجزيرة ، كما بدأوا يتضامنون تدريجيا مع قوى المسيحية فى اسبانيا . فكان اقواهم جميعا دوق برشلونة الذى كان يحكم اقوى مدن المنطقة التى ورثت مكانة طركونة المخربة منذ القرن الرابع ، وامكن لادواقها ضم دوقيات اخرى فى المنطقة ، ولم يكن هؤلاء الادواق قد اتموا وحدة بلادهم بعد ، كما انهم لم يكونوا فى قوة القشاليين ، ومع ذلك فقد كانوا يستشعرون بالقوة ويتطلعون الى محاربة المسلمين . ودخل شانجة بن غرسية فى سنة ٣٩٩هـ (١٠٠٨م) ورامون بوريل (٣٨٢ — ٤٠٩هـ) (٩٩٢ — ١٠١٨م) Ramón Borrell قرطبة فى سنة ٤٠٠هـ (١٠٠٩ م) لمساعدة البربر والصقالبة (١) . واراد سليمان المستعين بالله ان يدخل قرطبة مع اصحابه البربر لاسقاط المهدى محمد بن هشام ، وتحقيقا لذلك استعان بشانجة بن غرسية بن فرذلند قومس قشتالة ، ويعرف فى المصادر العربية بابن مامة دونة (٢) . ولم يتردد قومس قشتالة فى اغتنام هذه الفرصة لتدمير المسلمين والانتقام ممن سبق ان اصلوا بلاده نارا حامية ، وتم الاشتباك بين الخصمين المروانيين فى ١٣ ربيع اول ٤٠٠هـ (٥ نوفمبر ١٠١٠م) عند قنتيش (٣) .

ووجدت قوات القشتاليين وهم نحو ٦٠٠ فارس نفسها داخل المدينة التى طالما تلقوا منها الضربات العنيفة ، وتحقق لقشتالة عودة حدود اراضيها عند نهر دويرة كنتيجة طبيعية لمساعداتها لسليمان (٤) ، بل

---

(١) Sanchez - Albornoz, op. cit, p. 26.

(٢) هو تحريف من موما دومنا Mumma Domna وهو اسم جدة شانجة وام فردلند غند شلب Fernán Gonzalez
Lévi - Provençal, Histoire t, II. p. 308, note 1.

(٣) ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الاول ، المجلد الاول ص ٤٣ .

(٤) استرد قومس قشتالة اكثر من مائتى موضع وقلعة وفقا لاتفاقية عقدها مع سليمان المستعين منها قلونية واوسمة وغرماج وشنت اشتيبن وشقوبية .

تجاوزت قشتالة هذا الحد واتخذت مواقع جديدة جنوبى هذا النهر تتمثل فى سوبو لفيدا Sepulveda وآبلة Avila ، واتيح لقومس قشتالة اقامة المؤسسات الشعبية فى البلاد ، وشرع فى نهج سياسة قيادية وذلك بتزويج بناته من ملوك اسبانيا المسيحية من برشلونة حتى ليون ، وصعدت قشتالة بذلك على مسرح التاريخ .

وكان واضح الفتى قد خرج بعد فراره من قرطبة الى مدينة سالم ثم الى طرطوشة Tortosa واتفق مع قومس برشلونة ريموند بوريل الثالث واخيه ارمنجول Armengol de Urgel ويسميه العرب ارمقند على ان يساعداه عسكريا نظير تخليه لهم عن مدينة سالم قاعدة الثغر الاوسط ، فدخلها القطلان وحولوا جامعها الى كنيسة ،ثم زحف بقوة منهم عددهم تسعة آلاف (١) ، بالاضافة الى ثلاثين الفا من اتباعه ، واشتبكت قواته عند عقبة البقر (٢) وهو موضع يقع على بعد ٢٠٠ك٠م شمال قرطبة فى ٤٠١هـ (يونيو ١٠١٠م) ، فانهزم سليمان المستعين وجيشه ، ولكن القطلان دفعوا ثمن اشتراكهم فى هذه الغزوة ،فقتل منهم عدد كبير فى مقدمتهم ارمقند نفسه (٣) ثم توفى شانجة قومس قشتالة فى ٤٠٨هـ (٥ فبراير ١٠١٧م) تاركا رعيته فى حالة سيئة من الاضطراب والارتباك وخلفه ولده غرسية وكان طفلا فى الخامسة من عمره .

٦ - اسبانيا فى عهد شانجة الكبير وابنه فردلند الاول :

من خلال عرضنا السابق لاحوال الممالك المسيحية يتضح انه فى أواخر القرن العاشر الميلادى كانت هناك ثلاثة ممالك مسيحية

---

(١) ابن عذارى ، البيان ، جـ٣ ، ص ٩٦ .
Dozy, Histoire des Musulmans d'Espagne, t, II, p 297 - Lévi - Provençal, histoire de l'Espagne, op. cit, t, II, p. 313.
وانظر سالم ، تاريخ المسلمين ، ص ٣٥٣

(٢) Antonio Ramos Oliveira, op. cit, p. 102.

(٣) عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين ، ص ٣٥٣ .

الاولى : نافار (نبرة) اكثر تلك الممالك الثلاث اتساعا لاشتمالها على ولايات قنطابرية وسوبر اربى Sobrarbe ، وريبا جورثه Ribagorza ، وقد حكم نبرة الملك شانجة الثالث الكبير Sancho Garcés el Mayor عقب وفاة حاكمها غرسية سانشيث عام ٣٩١هـ (١٠٠٠م) .

والثانية : ليون التى توفى ملكها برمودة الثانى Vermudo II فى ٣٩٠هـ (٩٩٩م) تاركا حكم بلاده الى ولده الطفل الفونسو الخامس الذى كان يتولى الوصاية عليه مندس غند شلب Menendo González قومس جليقية واحد اكابر المملكة .

والثالثة : مملكة قشتالة التى كان يحكمها منذ عام ٣٨٥هـ (٩٩٥م) شانجة بن غرسية بن فردلند ، وقد حكم شانجة حتى عام ٤٠٨هـ (١٠١٧م) ثم خلفه ولده غرسية ، الذى سقط صريعا فى ٤٢٠هـ (١٣ مايو ١٠٢٩م) امام رواق كنيسة سان خوان بليون اثناء زواجه من اخت ملكها برموده الثالث Vermudo III بن الفونسو الخامس ، وقتله ابناء Vela احد الكونتات الذين كانوا يسعون الى الانتقام من غرسية لاغتصابه املاكهم ، ومات غرسية دون ان يعقب مما ترتب عليه نتائج خطيرة فى مستقبل الممالك المسيحية باسبانيا ، فقد اسرع شانجة الكبير ملك نبرة بضم قشتالة الى مملكته ، ونصب عليها ولده فردلند Fernando ملكا ، فاصبح فرناندو بذلك اول ملوك قشتالة ، وكانت حجة شانجة الكبير فى هذا ان زوجته ام فردلند هى البيرة اخت غرسية من ابيه شانجة غرسية ، ولهذا كان يحق لها وراثة العرش فى قشتالة مما مكن زوجها شانجة الكبير من تنصيب ابنة ملكا على هذه المملكة وراثة عن امه وبالتالى عن جده فى حين تلقب شانجة الكبير بملك اسبانيا (١) .

---

(١) Julio Valdeon, Aproximación historica a Castilla y Leon, P. 44. Antonio Ramos Oliveira, op. cit, p. 107 y 59.

هذا عن اخبار نبرة وقشتالة ، أما عن مملكة ليون فقد حكمها الفونسو الخامس حتى وفاته فى ٤ يوليو ١٠٢٨م (١) (٤١٩هـ) ، اثناء حصاره لمدينة بيزيو Viseo حين فاجاه احد المسلمين بسهم مسموم ادى الى وفاته ، وخلفه على عرش ليون ابنه برموده الثالث ، الذى كان قد صاهر فردلند بن شانجة ملك قشتالة بزواجه من أخته تيريسا مما زاد من اطماع فردلند ملك قشتالة ، وشانجة الثالث والده فى مملكة ليون ، لاسيما وان برمودة الثالث كان لايتجاوز الحادية عشرة سنة من عمره ، وبالفعل بادر شانجة بالزحف بقواته الى ليون فى صحبة غرسية قومس قشتالة الشاب الذى لقى حتفه مسموما ، وفتحها فى ٤٢٠هـ (مايو ١٠٣٩م) واعلن نفسه ملكا عليها ، فى الوقت الذى اضطر فيه برمودة الى الفرار ، ولم يلبث شانجة ان فرر محاربة برمودة ، وقامت الحرب بينهما فى ٤٢٥هـ (١٠٣٣م) ثم واصل فردلند بن شانجة الحرب التى بداها ابوه فاشتبك مع برمودة فى سنة ٤٢٩هـ (١٠٣٧م) فى موقعة تامارون (بعد وفاة شانجة الكبير بعامين) وفى هذه الموقعة الحاسمة سقط برمودة صريعا (٢) ومات دون ان يعقب ، وبذلك استكمل فردلند الاول استيلاءه على مملكة ليون بحكم المصاهرة والوراثة (٣) ، وتلقب بالامبراطور سنة ٤٣٠هـ (١٠٣٨م) Rex Imperator ، وتلقبت زوجته سانشا بالملكة الامبراطورة Regina Imperatrice (٤) .

كان شانجة الكبير ملك نبرة قد قسم مملكته قبل وفاته سنة ٤٢٧هـ (١٠٣٥م) بين ابنائه الاربعة ، فكانت نبرة من نصيب ابنه الاكبر غرسية ،

---

(١) يخطىء الاستاذ محمد عبد الله عنان فى تحديد سنة وفاته فيجعلها فى سنة ٤١٨هـ (١٠٢٧م) فى حين تجمع المصادر المسيحية على التاريخ المثبت بالمتن .

(٢) Antonio Ballesteros Beretta, op. cit, p 64.

(٣) Antonio Ballesteros, sintesis de historia de España, p 65 - Antonio Ramos olíveira, op. cit, p. 109.
محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص ٣٧٨

(٤) Aguado Bleye, op. cit, p. 594.

اما فردلند الاول فقد حظى بمملكة قشتالة (١) وقسم من مملكة ليون (٤٢٧ - ٤٥٨هـ / ١٠٣٥ - ١٠٦٥م) ، وابنه الثالث غنـد شلب Gonzalo فقد آلت اليه ولايتى سوبرارىى Sobrarbe ، وريباجورتا Ribagorza فى منطقة البرانس الوسطى ، واخيرا منح ردميره ابنه غير الشرعى رقعة ضئيلة تمتد بحذاء نبرة تسمى مملكة ارغون (٢) (٤٢٧ - ٤٥٥هـ / ١٠٣٥ - ١٠٦٣م) وسجل ذلك مولد مملكتين هما قشتالة فى الغرب وارغون فى الشرق (٣) .

ومن الجدير بالذكر ان مملكة قشتالة كانت بالنسبة لشانجة الاكبر المنطلق الحى والرئيسى للاسترداد المسيحى ولقيام اسبانيا الكبرى وهو فكر يتعارض مع ايدلوجية ملوك اشتوريس وليون الذين ارادوا الاستئثار وحدهم باسترداد اسبانيا واحياء مملكة القوط البائدة كلها ، ولهذا تلقب ملوكها بلقب الامبراطور ، وقد ظهر قوامسة قشتالة بالنسبة لهم كعصاة مارقين ،ولكن عصيان فرنان جونثالث كان ضرورة حتمها العصر والوضع المناسب الذى فرضته الظروف فى الغرب الاوروبى كله ، ومن الادلة التـى تثبت ان اتجاه قومس قشتالة نحو الاستقلال لم يكن تحركه الانانية او الشعور بالقومية الاقليمية ان قشتالة تحملت على عاتقها مسؤوليات الحرب ضد اهل الاندلس،وانها بذلت كل طاقاتها لدعم هذه الفكرة ،وعندما ورث شانجة الاكبر كونتية قشتالة تلقب باللقب الامبراطورى امام امبراطـور ليون ، وعندما وزع فردلند الاول مملكته الواسعة فى سنة ٤٥٨هـ (١٠٦٥م) على بنيه خص ابنه الاكبر بقشتالة كرمز للزعامة على اخوته الآخرين،وقد

---

(١) Julio Valdeon, Aproximación histórica a Castilla y Léon p. 44.
ويذكر بعض المؤرخين الاسبان المحدثين ان فردلند لم يكن ليصبح ملكا لو انه لم يدخل مدينة ليون بالاضافة الى زواجه من اخت برمودة الثالث الذى قتل فى سنة ٤٢٩هـ (١٠٣٧م) فى سهول تامارون (Ibid, p. 54)

(٢) يوسف اشباخ ، تاريخ الاندلس فى عهد المرابطين والموحدين ، ص ٩ - ١٠ .

(٣) Aguado Bleye, op. cit, p. 593.

فعل الفونسو السابع فى ٥٤١هـ (١١٤٦م) نفس الشيء عندما ترك قشتالة لشانجة الثالث وهو ابنه الاكبر بينما ترك لفرناندو الثانى مملكة ليـون الهرمة . وسيتبلور تفوق قشتالة للابد فى سنة ٦٢٨هـ (١٢٣٠م) عندما اتحدت مع ليون التى ما لبثت أن تقشتلت بعمق،واصبحت قشتالة ترمز لاسبانيا كلها،وهناك مثل صارخ يعبر عن ذلك ، فعندما خرج خايمى الاول ملك ارغون لمساعدة الفونسو العاشر فى اخماد ثورة المسلمين فى مرسية ، لم يجد خايمى لاقناع بارونانة بالموافقة على تلك المساعدة بعد ان أعرضوا عن تقديمها سوى ان يقول لهم كما نطالع فى مدونته : لابد من تقديم العون لانقاذ اسبانيا Per salvar Espanya المثلة فى مملكة قشتالة التى انقذت الجميع من المرابطين والتى دفعت الجميع لمواجهة الموحدين (١) .

وحدث ان قتل غند شلب ملك سوبرارىى وريباجورثا اثناء عودته من رحلة صيد فى عام ٤٣٠هـ (١٠٣٨م) فنصب شعب هذه المملكـة اخاه ردميرة امير ارغون حاكما عليهم (٢) فى الوقت الذى انصرف فيه ابناء شانجة الكبير الآخرين فى امور أخرى غير سوبرارىى وريباجورثا . ولم يلبث ان تلقب ردميره بلقب الامبراطور ردميره الاول .

ولكن ردميره لم يقنع بحكم ارغون وسوبرارىى معا ، بل زاده ذلك طمعا فى مزيد من التوسع ، فتطلع الى حكم نبرة نفسها وتحالف مـع المستعين بالله سليمان بن هود صاحـب سرقسطة (٤٣١ — ٤٣٨هـ) (١٠٣٩ — ١٠٤٦م) ، واتجه على رأس قواته يساعده فى ذلك ابن هود الى نبرة ، ولكنه تلقى هزيمة حاسمة قتل فيها معظم جيشه ومعظـم حلفائه من المسلمين ، وكان ذلك فى عام ٤٣٤هـ (١٠٤٢م)، وهرب ردميره الى جبال سوبرارىى حيث أمضى عدة سنوات ، يعد فيها عدته ويعيد تنظيم صفوفه لاسترجاع املاكه من جديد .

---

(١) Aguade Bleye, op. cit, p. 593 - 594.
Luis Valdevellano, historia de España, t II, p. 273.

(٢) Aguado Bleye, op. cit, p. 503.

وفى ذلك الحين كان الصراع بين نبرة وقشتالة قد بلغ اوجه ، فقد كان غرسية ملك نبرة وهو الاخ الاكبر يشعر بالحقد والغيرة من اخيه فردلند الاول الذى اصبح اول ملك على قشتالة وليون ، ودفع الحسد غرسية الى تدبير مؤامرة لقتل فردلند ، فقد ارسل يطلب الاجتماع به بحجة مرضه الشديد واشرافه على الموت ، ولكن خبر هذه المؤامرة بلغ فردلند قبل رحيله لزيارة اخيه ، فبادر بالعودة على عجلة الى برغش ، الا ان فردلند رد على هذه المؤامرة بأخرى بعد مرور عدة سنوات على مؤامرة اخيه غرسية ، فقد دعاه لزيارته بقشتالة ، وحين اصبح غرسية داخل قشتالة امر فردلند بالقبض عليه وزج به فى احدى القلاع حيث ظل معتقلا الى ان تمكن من الفرار الى نبرة ، ومع ذلك كله فقد تميز فردلند بكرم خلقه وطيب عنصره ، وكان افضل من اخيه غرسية ، وليس ادل على ذلك من انه لما احتدمت الحرب بينهما وانضم الى غرسية اخوه ردميره ملك نبرة بعد أن انهى خلافاته معه كما انضم اليهما ايضا ابن هود حاول فردلند اكثر من مرة أن يتجنب الحرب بينه وبين اخيه ، فقد ارسل اليه رسلا من قبله ومنهم راهب سيلوس El abad de Silos وسانتو دومنجو Santo Domingo ، يدعونه الى الصلح ، ولكن هذه الوساطات لم تؤد الى نتيجة ، وانتهت الحرب التى نشبت بين فردلند ملك ليون وقشتالة من جهة وبين اخويه غرسية وردميره مع حليفهما المسلم احمد بن سليمان بن هود من جهة اخرى بهزيمة غرسية ومقتله فى موقعة اتابوركا Atapuerca التى تبعد نحو ١٨ك م شرقى برغش (١) فى اول سبتمبر ٤٤٦هـ (١٠٥٤م) ورغم ذلك فان فرناندو امر بأن يكرم جثمان اخيه وان يدفن فى كنيسة ناجرة ، كما انه لم يستول على مملكة نبرة رغم انتصاره على اخيه غرسية ملكها السابق ، وانما وافق على تنصيب شانجة ابن اخيه القتيل غرسية على عرش نبرة ليحافظ على ملك ابيه

---

(١) Menendez - Pidal, España del Cid, t, I, p. 122 - Aguado Bleye, p. 594.

السابق (١) .

ثم تطورت الامور فى شبه الجزيرة تطورا حاسما فى هذه الفترة ،فقد كان المسلمون فى الاندلس فى حالة يرثى لها من التفكك والتدهور وعدم الاستقرار السياسى ،فقد انهارت الخلافة الاموية فى قرطبة ،وتمزقت وحدة الاندلس الى دويلات صغيرة مستقلة عرفت بدويلات الطوائف (٢) ،واخذت هذه الدويلات تتطاحن فيما بينها وتستعين احداها على الاخرى بالقوى المسيحية التى اصبحت تمثل مراكز القوة فى البلاد ، وبعد ان كان الاسبان يحتكمون الى خليفة قرطبة فيما شجر بينهم من خلافات ، انقلب الوضع ، واصبح المسلمون يستعينون بالقوى المسيحية لتحقيق مآربهم . ولم يكن تدخل اسبانيا المسيحية فى خلافات المسلمين يتم بلا مقابل فقد اشترطوا نظير تقديم خدماتهم بأن يتنازل لهم المسلمون عن اراض وحصون وان يدفعوا لهم جزيات واتاوات سنوية (٣) ، وكانت هذه التنازلات من جانب المسلمين عاملا فى انحسار السيطرة الاسلامية فى الاندلس الى الجنوب وتنشيط حركة الاسترداد الاسبانى .

ويعتبر فرناندو الاول ملك قشتالة وليون ، رائد هذه الحركة منذ ان تفرغ لهذا الهدف بعد ان صفى الصراع الداخلى بينه وبين اخوته ، ومن المعروف انه بدأ حملاته ضد المسلمين فى ٤٤٧هـ (١٠٥٥م) ، فقد تمكن من الاستيلاء على بيزيو Viseo ولميق Lamego الواقعتين على وادى دويره ، فى سنة ٤٤٩هـ (١٠٥٧م) وكانتا تتبعان مملكة المظفر بن الافطس صاحب بطليوس ،كما انتزع من المقتدر بالله بن هود صاحب سرقسطة شنت اشتبن وحصونا اخرى ،وعندما اغار على ضفاف وادى تاجة شمالى مملكة بنى

---

(١) Menendez - Pidal, España del Cid, op. cit, p. 122 - 123.

(٢) Lévi - Provençal, l'Espagne muslmane au xe siècle, p. 19 - 20.
Isidro de las Cagigas, Andalucia musulmana, Madrid, 1950, p. 34.

(٣) عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة فى الاندلس ، جـ١ ، ص ١٢٨ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ذى النون بطليطلة خرج اليه صاحبها ، وقدم له جملة من الهدايا النفيسة ، واعلن تبعيته له ، وتعهد بدفع اتاوة سنوية . وكذلك فعل المعتضد بالله صاحب اشبيلية فى سنة ٤٥٦هـ (١٠٦٣م) . وفى العام التالى حاصر فردلند الاول مدينة قلمرية واستولى عليها (١) بعد مضى ٦ أشهر من الحصار ، وفرض الملك القشتالى على أهلها اخلاء الاراضى الواقعة ما بين وادى دويرة ووادى منديق (٢) وعلى اثر ذلك حول فردلند أسلحته نحو مملكة بلنسية (٣) .

وعند وفاته قسم فرذلند الاول مملكته العريضة بين ابنائه ، فظفر اكبرهم شانجة الثالث بمملكة قشتالة واتاوة سرقسطة ، أما الفونسو السادس الاثير لديه فقد ورث مملكة ليون واتاوة طليطلة ، فى حين خص الابن الثالث غرسية بجليقية وماتكون من بلاد البرتقال بالاضافة الى اتاوات اشبيلية وبطليوس(٤) .ومن الغريب الا يرضى شانجة ولا الفونسو السادس بهذا التقسيم . فقد دخل الفونسو السادس فى حرب مع اخيه شانجة الثانى كما خالف الفونسو قرار توزيع التركة الذى وضعه ابوه واغار فى

---

(١) كلف الاستيلاء على قلمرية فى ٤٥٧هـ (١٠٦٤م) فردلند الاول ثمنا باهظا للغاية ، وكان الفونسو الثالث قد حققه قبل ذلك بقرنين٢٦٥هـ (٨٧٨م) ولكن خبرة فردلند السياسية ، حركته للشروع فى سياسة مختلفة مع ملوك الطوائف ، فكان فى امكان قوات ليون وقشتالة اجتياح الاراضى الاسلامية وتمزيقها ، ومهاجمة القرى والضياع ونهبها ولكن دون السيطرة على المدن الكبرى ،وكان ملوك الطوائف يرون مزارعهم تنتسف ومواشيهم تنهب ،وكانوا يرهبون دائما هجمات فردلند فى العمق ، وللتخلص من هذه الهجمات كانوا يلوذون بالجزيات او الاتاوات يدفعونها الى هذا الملك المسيحى يشترون بها سلامهم ، فكان فرناندو الاول يتسلمها من بطليوس وطليطلة واشبيلية وسرقطسطة ، هذه الاتاوات كان لها أعظم الاثر فى تهدئة حركة الاسترداد والتأثير على التحرك السياسى الداخلى للمملكة .

(٢) Menendez Pidal, op. cit, t. I, p. 145 - 146 Aguado Bleye, op. cit, p. 599.

(٣) Aguado Bleye, Ibid, p. 595.

(٤) اشباخ ، تاريخ الاندلس (ترجمة محمد عبد الله عنان ، ص ٢٠)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٤٦١هـ (١٠٦٨م) على املاك اخيه غرسية صاحب جليقية ، وكان اضعف ابناء فردلند الاول . فغزا بلاد بنى الافطس فى بطليوس . ولم يلبث شانجة والفونسو ان اتفقا على تقسيم مملكة اخيهما غرسية بينما نفيا غرسية الى اشبيلية .ولكن الاخوين شانجة والفونسو سرعان ما اختلفا من جديد واشتبكا فى معركة ضارية فى يناير ٤٦٥هـ (١٠٧٢م) على مقربة من سهول القريون Carrion وانتهت بهزيمة الفونسو السادس الذى وقع فى اسر اخيه ولم يلبث شانجة ان توج ملكا فى نفس السنة على ليون . ثم توسطت اخته الاميرة اراكه للافراج عن الفونسو ونفيه الى طليطلة حيث استقبله المامون بن ذى النون استقبالا حافلا (١) . وحدث اثناء حصار شانجة الثانى لسمورة التى كانت تابعة لالفونسو السادس ان خرج اليه فارس من فرسان ليون وقتله ، فى ٧ اكتوبر ٤٦٥هـ (١٠٧٢م) ، وعلى اثر ذلك استقدم الفونسو السادس من طليطلة الى ليون حيث اعترفوا به ملكا على قشتالة بالاضافة الى مملكة ليون وجليقية .

وفى سنة ٤٦٩هـ (٤ يونيو ١٠٧٦م) اغتيل شانجة الرابع ملك نبرة غدرا بايعاز من اخيه الاصغر ، وعلى اثر ذلك طالب سكان ريوخا بالتبعية لالفونسو السادس ، واستقدموا الملك القشتالى لمبايعته ،وتم ذلك فى نفس العام . وفى بداية ٤٧٠هـ (١٠٧٧م) تلقب الفونسو السادس بامبراطور اسبانيا كلها (٢) . وكان استيلاء الفونسو على طليطلة سنة ٤٧٨هـ فى (٢٥ مايو ١٠٨٥م) نذيرا خطيرا لملوك الطوائف فى الاندلس الذين استنصروا بيوسف بن تاشفين امير المرابطين فى المغرب ، ولم يتردد ابن تاشفين فى نصرة الاسلام فى الاندلس ، فعبر البحر وانضمت قوات الاندلس الى قوات المغرب وتقدمت جميعا الى بطليوس حيث دارت فى

---

(١) محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص ٣٩٠
Aguado Bleyc, p. 599.

(٢) عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص ٣٨٤.

سهلها المعروف بالزلاقة معركة فاصلة فى رجب ٤٧٩هـ (اكتوبر ١٠٨٦م) دارت فيها الدائرة على الفونسو السادس وحلفائه من ملوك ونبلاء اسبانيا المسيحية (١) ٠وفى الاعوام التالية ثبت المرابطون اقدامهم فى سائر اسبانيا الاسلامية ، كما احرزوا عدة انتصارات على القشتاليين فى قنشوجرة فى ٤٩١هـ (١٥ اغسطس ١٠٩٧م) وفى اقليش ٥٠٢هـ (١١٠٨م) (٢) ، ومع ذلك فقد امكن لالفونسو السادس ان يحرز بعض الامتيازات فى اراضى الاندلس وذلك عندما بدأ ملوك الطوائف يعملون معه ضد بقاء قوات المرابطين فى الاندلس لاسيما بعد أن بدأ هؤلاء يخططون لخلع ملوك الطوائف عن عروشهم ، فمالت الى الفونسو عدة مدن من غرب الاندلس منها شنترين ولشبونة وشنترة فى ٤٨٦هـ (١٠٩٣م) (٣) ٠

٥ ـ قيام مملكة ارغون :

بعد مصرع ردمير الاول ملك ارغون فى معركة جراوس Graus فى سنة ٤٥٥هـ (١٠٦٣م) انتقلت مملكة ارغون الى ولده شانجة ردميره Sancho Ramirez (٤٥٥ ـ ٤٨٧هـ / ١٠٦٣ ـ ١٠٩٤م) الذى اصبح ملكا على نبرة ايضا منذ سنة ٤٦٩هـ (١٠٧٦م) على اثر مصرع الملك شانجة الرابع فى كمين اعدته اخته ارموزندة مع اخيه ريمند ٠

---

(١) لمزيد من التفاصيل عن هذه المعركة راجع مؤرخ مجهول ، الحلل الموشية ، تحقيق سهيل زكار وزمامة ، ص ٦٠ ـ ٦٦ ، ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، القسم الثالث ص ٢٤٢ ،
Menendez Pidal, la España del Cid, t, I, P 328 341, Ambrosio, Huici Miranda, la invasión de los Almoravides, y la batalla de Zallaca, Hesperis, t, xl, 1953, p. 40.
حسن محمود ، قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب فى العصور الوسطى ، القاهرة ١٩٥٧ ، ص ٢٧٣ ـ ٢٨٨ ، السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، الجزء الثانى ، بيروت ١٩٨١ ، ص ٧٢٠ الى ٧٢٧ ٠

(٢) ليفى بروفنسال ، الاسلام فى المغرب والاندلس ، ترجمة د٠ السيد عبد العزيز سالم ، القاهرة ١٩٥٨ ، ص ١٥١ ـ ١٦٤ ٠

(٣) Aguado Bleye op. cit, p, 603.

وقد قام سانشو رميرث ملك ارغون بحصار منتشون Monzon فى مملكة سرقسطة عام ٤٨٢هـ (١٠٨٩م) وتمكن من الاستيلاء عليها (١) ، ثم رحل الى وشقة Huesca لحصارها وهناك توفى تحت اسوارها فخلفه ولده بطره الاول Pedro (٤٨٧ – ٤٩٨هـ) (١٠٩٤ – ١١٠٤م) على عرش البلاد وتابع الحصار ، فاستغاث المستعين بالله بن هود بالملك القشتالى الفونسو السادس ، ولكنه انهزم هزيمة نكراء وهو والفونسو فى بلدة الكراث Alcoraz سنة ٤٩٠هـ (١٠٩٦م) امام ضربات الارغويين وسقطت وشقة فى يد ملك ارغون سنة ٤٩٠هـ (١٠٩٦م) .

وفى سنة ٤٩٥هـ (١١٠١م) انتزد بطره الاول نهائيا مدينة بريشتر (٢) ، وواصل تغلبه على حصون المسلمين حتى وفاته فى عام ٤٩٨هـ (١١٠٤م) وخلفه اخوه الفونسو سانشث Alfonso Sanchez

---

(١) Aguado Bleye, p. 628.

(٢) كانت قد سقطت فى يد شانجة بن رذمير Sancho Ramirez فى عام ٤٥٧هـ (اغسطس ١٠٦٤م) اثر حصار صليبى عنيف شاركت فيه قوات اوربية بدعوة من البابا اسكندر الثانى فى سنة ٤٥٦هـ (١٠٦٣م) ومن امراء هذه الحملة الصليبية وليم كونت بواتييه ، ودوق اقطانية وبعض النبلاء من البيت النورمندى برئاسة روبرت كريسبين Robert Crespin وبعض الايطاليين برئاسة وليم دى مونترى De Montruil وارمنقد Armengol III دوق اورخيل (قطالونيا) واسقف بيش Vich (راجع تفاصيل سقوط بريشتر وما ارتكبه الصليبيون من جرائم يندى لها الجبين فى ٤٥٧هـ (١٠٦٤م) فى : ابن عذارى البيان ، جـ٣ ، ص ٢٢٥ – ٢٢٧ ، الحلل الموشية ، ص ٧٦ ، Menendez Pidal, la España del Cid, t, I, p 148 – 150).

ولكن سقوط بريشتر اثار غضب الاسلام فى الاندلس ، فتصدى المقتدر بالله بن هود لاسترجاعها ، واستنفر للجهاد سائر بلاد الاندلس ، فتقدمت اعداد كبيرة من مختلف الجهات ، بلغ عددهم ستة آلاف من الرماة والعقارة ، وشارك المعتضد بالله صاحب اشبيلية بفرقة من الفرسان عدتها ٥٠٠ فارس ، وتمكن ابن هود بفضل ذلك من استردادها فى نفس السنة التى سقطت فيها (راجع ابن عذارى ، البيان ، جـ٣ ص ٢٢٧) .

Aguado Bleye, Manual, p. 627.

الاول الملقب بالمحارب (١) ، (٤٩٨ - ٥٢٩هـ) (١١٠٤ - ١١٣٤م) المعروف فى المصادر العربية بابن رذمير (٢) ، وقد تزوج الفونسو فيما بعد باراكة بنت الفونسو السادس ، ولهذا فقد ورث سائر ممالك أسبانيا (٣) .

٦ - مملكة قشتالة وارغون بعد وفاة الفونسو السادس وبداية ظهور مملكة البرتغال :

قبل وفاة الفونسو السادس فى طليطلة فى ٥٠٣هـ (٣٠ يونيو ١١٠٩م) عمل على تزويج ابنته اراكة من الفونسو الاول ملك اراغون ، وكانت فيما سبق زوجة للكونت ريمون البورجونى كونت جليقية وابنته غير الشرعية تيريسا من هنرى البورجونى مع منحهما ولاية لجدانية التى كان قد انتزعها من المسلمين وستصبح هذه الولاية نواة لمملكة البرتغال .

وقد تم زواج اراكة من الفونسو الاول فى حصن Muño بالقرب من برغش فى سنة ٥٠٣ (سبتمبر ١١٠٩م) ولكنها كانت زيجة فاشلة

---

(١) ولد فى ٤٦٦هـ (١٠٧٣م) ؛ وكان ثمرة زواج شانجة راميرث من فيلثيا دى روكى Felicia de Roucy ، اعتلى عرش أرغون بعد وفاة أخيه بطرة الاول فى ٤٩٨هـ (١١٠٤م) واخذ الفونسو يظهر منذ وفاة الامير شانجة بن الفونسو السادس من زايدة المسلمة فى اقليش ، الرجل القوى الوحيد فى اسبانيا المسيحية (ولمزيد من التفاصيل عن الفونسو المحارب انظر

Jose Maria Lacarra, Alfonso el batallodor, coleccion Basica Aragonesa, Zaragoza, 1978).

(٢) ابن عذارى ، البيان ، جـ٤ ، ص ٧٠ ، ٧١ ، ابن القطان ، جزء من كتاب نظم الجمان تحقيق د. محمود على مكى ، الرباط ، ص ١٠٩ ، الحلل الموشية ، ص ٩١ ، ابن الخطيب ، كتاب الاحاطة فى أخبار غرناطة ، تحقيق الاستاذ محمد عبد الله عنان جـ١ ، القاهرة ١٩٧٣ ، ص ١٠٨ ، ص ١٠٩ .

(٣) محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص ٤٠٥ ، ٤٠٦ ،

Aguado Bleye, op. cit, p. 628.

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الاسكندرية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لاختلاف الطباع بين الزوجين ، وقد جلبت هذه الخلافات بينهما الخراب والحروب الاهلية بين قشتالة وليون وجليقية وارغون ،ووصل الخلاف بين الزوجين الى حد الحروب العاصفة بل ان خلافا بين اراكة وابنها الطفل الفونسو ريموندیس Alfonso Raimundez من زوجها الاول قد نشب اثناء حربها لزوجها الفونسو المحارب ملك ارغون ، وانضم هنري البورجوني امير البرتغال وزوج اختها تيريسا الى صف ملك ارغون ضدها وان كانت تريسا قد انضمت فى مرحلة من مراحل الحرب الى جانب اختها فى مقابل اراضى تنازلت اراكة لها عنها ، كذلك تدخلت البابوية فى هذه الحروب اكثر من مرة ، مرة حين عين البابا كالستوس الثانى احد اعوان اراكة وهو الاسقف ديجو خلمريت(١) مطرانا ،ومرة حين اصدر البابا قرارا ببطلان زواج اراكة من الفونسو المحارب لشدة القرابة بين الزوجين ، ولم تنته تلك الحروب الاهلية الا بوفاة اراكة سنة ٥٢٠هـ (١١٢٦م) تلك الملكة التى وصفتها كثير من المصادر الاسبانية بانها سيئة الطباع ومستهترة فى سلوكها لم تحترم نفسها كزوجة او كام ، بعد ان ظلت تعتلى عرش ابيها الفونسو السادس مدة عشرين عاما حاربت خلالها ابنها الوحيد الفونسو ريموندیس ،بعد ان رفضت اعلانه ملكا على البلاد ،كما حاربت زوجها الفونسو الاول ملك ارغون ،وحين توفيت اعلن ولدها الفونسو ريموندیس نفسه ملكا على قشتالة وليون وسائر الاراضى التى حكمها جده الفونسو السادس وتلقب بالامبراطور الفونسو السابع (٢) ، وعرف فى المصادر العربية

---

(١) ديجو خلمريت : كان اسقفا لشانت ياقب منذ عام ٤٩٥هـ (١١٠١م) ، وصفته المراجع بانه كان شديد الحزم ، كثير الاطماع ، شغوفا بتوسيع سلطانه وحقوق كنيسته مع عدم اهتمامه بالوسيلة التى يتم بها ذلك ، وقد كان يتماشى مع سير الاحداث فكان تارة صديقا لاراكة ثم تخلى عنها ،وتارة مع اختها تريسا اميرة البرتغال ،وتارة عدوا لها ،ومرة ينحاز فى صف الصبى الفونسو ريموندیس ثم ينقلب عليه مرة اخرى (انظر Aguado Bleye, p. 621. ـ يوسف اشباخ ، تاريخ الاندلس ، ص ١٥٠ ـ ١٦٠ ، محمد عبد الله عنان ، عصر المرابطين ، ص ٤٨٢) .

(٢) لمزيد من التفاصيل حول عهد اوراكا انظر Aguado Bleye, p. 618

=

بالسليطين (١) (٥٢٠ — ٥٥٢هـ / ١١٢٦م — ١١٥٧م) وبه بدأت في حكم قشتالة أسرة جديدة هي أسرة بورجونيا: Borgoña استمرت حتى ١٣٦٩م (٧٧٠هـ) (٢).

٧ — الممالك الاسبانية النصرانية في عهد الفونسو السابع:

توفي الفونسو المحارب (٣) في رمضان عام ٥٢٨هـ (شهر يوليو ١١٣٤م) اثناء حصاره لافراغه دون أن يعقب، وكان الفونسو قد اوصى بتقسيم مملكته الى ثلاثة اقسام، القسم الاول يخصص لسلام روح والديه، وللتكفير عن زلاته وللقبر المقدس ولخدمه، اما الثاني فقد خصصه للفقراء وفرسان الاسبتارية في بيت المقدس، اما الثالث فقد خصصه لفرسان الداوية (٣). وكان الفونسو قد حاول انشاء جماعات فرسان دينية على غرار جماعة بيت المقدس ولكنه وجد معارضة شديدة من الاشراف، ولذا عمل على تنفيذ مشروعه من خلال وصيته، وقد عارض النبريون والارغونيون هذه الوصية التي تقضي بالتصرف فيهم وفي ممالكهم بصورة سيئة للغاية لذلك فقد اجتمع الشعبان بكافة طبقاتهما من رجال الدين والاشراف ونواب الشعب في بلدة خاقة Jaca فيما يعرف بمؤتمر وطني وتوصل الارغونيون فيه الى اختيار ردميره الثاني الراهب شقيق الملك الفونسو المحارب

=

يوسف اشياخ، تاريخ الاندلس، ص ١٥٠ — ١٦٠، محمد عبد الله عنان، عصر المرابطين، ص ٤٨٠ — ٤٨٨.

(١) ابن عذارى، جـ٤، ص ٨٦، مجموعة رسائل موحدية من كتاب الدولة المؤمنية، نشرها ليفي بروفنسال، الرباط ١٩٤١، ص ٧٥، ابن القطان، جزء من كتاب نظم الجمان، ص ١١٣، والمقرى، نفح الطيب، جـ٦ ص ٢٠٧. والمراد بالسليطين تصغير السلطان وهو لقب اطلقه عليه المسلمون لانه تولى الملك صغيرا بعد وفاة امه اراكة ابنة الفونسو السادس ٥٢٠هـ (١١٢٦م).

(٢) عن تفاصيل وفاة الفونسو المحارب، انظر يوسف اشياخ، تاريخ الاندلس ص ١٦٣ — ١٦٧.

(٣) Aguado Bleye, op. cit, p. 630.

لحكم البلاد ولكن النبريون اعترضوا على هذا الوضع ، فاعلنوا فى بنبلونة عاصمتهم القديمة عن رغبتهم فى الاستقلال ، وبالفعل اختاروا ملكهم وهو غرسية راميريث Garcia Ramirez ، حفيد ملكهم شانجة الرابع الذى قتلته اخته ارموزنده سنة ٤٦٩هـ (١٠٧٦م) وبهذا عادت نبرة سنة ٥٢٩هـ (١٣٤ م) الى الظهور من جديد مملكة مستقلة لها كيان وسياده .

ولكن الفونسو ريموندیس (٥٢٠هـ — ٥٥٢هـ) (١١٢٦ — ١١٥٧م) ملك قشتالة لم يرغب فى ابقاء الاوضاع على مثل ما هى عليه ، لذلك فقد تدخل فى شئون ارغون بعد ان دخل سرقسطة دون مقاومة ، وانتهى الامر بان اعلن ردميره الثانى الراهب انه يحكم ارغون فى ظل قشتالة وانه يكتفى بلقب ملك ارغون وسوبراربى وريباجورسا ، كما ان غرسية راميريث ملك نبرة لم يتردد فى طلب نصرته والاعتراف بحمايته ، فقد اراد كل منهما ان يحتفظ بشىء من السلطان ، فهما يعرفان انهما لن يقويا على حرب ضد الفونسو ريموندیس (١) ، وبهذا يكون الفونسو ريموندیس قد وفق فى الحصول على لقب الامبراطور عن استحقاق .

وسرعان ما دب الخلاف بين ارغون ونبرة ، فبادر ردميره الراهب ملك ارغون بتقديم ابنته بترونيلا Petronila الطفلة عروسا لشانجة ولى عهد قشتالة ، معلنا تعاونه مع الفونسو ريموندیس ضد نبرة ، التى كان الفونسو ريموندیس قد بدا ينظر الى ملكها بعين التوجس والغضب ويزحف عليها بجيش كبير ، ولم ينقذ نبرة سوى معجزة جاءت نتيجة لقيام الفونسو هنريكيز Alfonso Enriquez امير البرتغال بمهاجمة اراضى طليطلة التابعة لقشتالة واقدام المرابطين على تهديد حدود قشتالة الجنوبية مما اضطر الفونسو ريموندیس الى الانسحاب . وفى تلك الاثناء كان ردميره

---

(١) Aguado Bleye, op. cit, p. 635 - 636.
ومحمد عبد الله عنان ، عصر المرابطين ، ص ٤٩٥ ، واشباخ ، تاريخ الاندلس ، ص ١٧٦ .

الثانى الراهب شقيق الفونسو المحارب قد تبرم بحياة الملك ، فعزم على تزويج ابنته بترونيلا من الكونت رامون برنجير الرابع Ramón Berenguer IV قومس برشلونة ، وكانت كل الطبقات فى ارغون يحبذون ذلك الزواج لتقارب الشعبين الارغونى والقطلانى فى التقاليد والعادات ، وقد تم هذا الزواج حين كانت بترونيلا لاتزال فى الثانية من عمرها ، ثم تنازل راميرو الراهب عن الحكم ، وأبدى الفونسو ريموندیس ملك قشتالة موافقته على هذا كله ، وعاد راميرو الى الدين مرة ثانية فى سنة ٥٢٦هـ (١١٣١م) (١)

ومن الجدير بالذكر أن الميول الاستقلالية لمملكة البرتغال اخذت فى الظهور فى عهد الامبراطور الفونسو ريموندیس السابع : فقد كان الفونسو هنريكيز على غرار أمه تريسا ماضيا فى تحديه لسلطان قشتالة ، بل انه اخذ يتصل بالثوار الجلالقة ، الأمر الذى اثار غضب الفونسو ريموندیس ، فتاهب لمقابلة الفونسو هنريكيز ، ولكن هذا القتال المزعوم انتهى بصلح مؤقت عام ٥٣٢هـ (١١٣٧م) اعترف فيه ملك البرتغال بسيادة قشتالة عليه ، وكان قد اجبر على الصلح بسبب ضغط المسلمين على اراضيه (٢) .

ثم انصرف الفونسو ريموندیس الى محاربة المسلمين ، فشن حملات متتابعة على طليطلة ٥٣٤هـ (١١٣٩م) وقورية وحصن اوريليه Oreja واستولى على هذا الحصن ٥٣٣/٥٣٤هـ (١١٣٩م) (٣) . ورغم حروبه مع المسلمين الا انه وجد الوقت للاتفاق والتآمر مع صهره رامون برنجار الرابع امير مملكة اراجون وقطلونية المتحدة على مملكة نبرة لاقتسامها بينهما ، ولكن هذه المؤامرة انتهت عام ٥٣٥هـ (١١٤٠م) بأن اعلن ملك نبرة سيادة الامبراطور الفونسو ريموندیس ، وان تتزوج الاميرة بلانكا ابنة غرسية من الامير سانشو ولد الامبراطور . وفى عام ٥٣٩هـ (١١٤٤م)

---

(١) Aguade Bleye, p. 636.

(٢) Aguado Bleye, Ibid, p. 636.

(٣) ابن القطان ، جزء من كتاب نظم الجمان ، ص ٢٤٥ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تم زواج غرسية ملك نبرة من اراكة ابنة القيصر الفونسو ريموندیس غير الشرعية ، وكانت لهذه الزيجة اكبر الاثر فى وضع حد للاغارة القشتالية الارغونية على نبرة للمرة الثانية بعد صلح ٥٣٢هـ (١١٣٧م) ٠

واثناء هذا كله توالت المعارك القشتالية / الاسلامية ، وفى احدى هذه المعارك هزم احد قادة الفونسو السابع ، وهو مارتين فرناندیث وقتل فغضب الملك ، وهاجم احواز قرطبة واشبيلية ، ووصل حتى اراضى غرناطة والمرية ، ثم عاد لبلاده مثقلا بالغنائم ، ولعل عنف الضربات المسيحية الموجهة لبلاد المسلمين فى الاندلس كان له اكبر الاثر فى اشتعال نيران الثورات ضد الحكم المرابطى فى الاندلس كما سبق أن ذكرنا وكانت اعظم ضربة نزلت بالمسلمين استيلاء جيوش الممالك الصليبية على المرية فى جمادى الاولى ٥٤٢هـ (اكتوبر عام ١١٤٧م) وظلت تحت سيطرة الفونسو السابع الى ان استعادها الموحدون فى أواخر ٥٥٢هـ (١١٥٧م) (١) ٠ ومن الجدير بالذكر ان الفونسو السابع السليطين طالب ابن غانية (ابو زكريا يحيى بن غانية المسوفى) كبير قواد المرابطين فى الاندلس بمدينة قرطبة ، ثمنا لما قدمه له من مساعدات ، وكان قد امده بقوة فى ٥٤٠هـ (١١٤٥م) دخلت قرطبة فى ١٢ شعبان وعاثت فسادا فى مسجدها الجامع ، وربطوا خيولهم فى اروقته ، واقاموا قداسا حافلا ، ولكن ابن غانية صالحه على ان يعطيه بياسة وتحفا كثيرة ، ويرسل اليه جزية سنوية ، فخرجوا منها بعد عشرة ايام من دخولها (٢) ٠

كذلك استولت الحملة الصليبية المشكلة من مقاتلين من قطلونية وارغون ونبرة وجنوة بقيادة رامون بريتجير الرابع امير برشلونة على طرطوشة ٥٤٣هـ (١١٤٨م) ولاردة ٥٤٤هـ (١١٤٩م) وافراغه ومكناسة وبذلك انتهت سيادة المسلمين على الثغر الاعلى ٠

---

(١) عبد العزيز سالم ، تاريخ مدينة المرية الاسلامية ، ص ٩٥ ، المغرب الكبير ، جـ٢ ، ص ٧٩٠ ٠

(٢) ابن غالب الاندلسى ، قطعة من فرحة الانفس ، ص ٢٩٩ ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى عام ٥٤٥هـ (١١٥٠م) توفى غرسية راميريث ملك نبرة وخلفه ولده شانجة السادس العالم (٥٤٥ — ٥٩١ هـ / ١١٥٠ — ١١٩٤م) مما حرك اطماع الفونسو السابع لاستئناف الاغارة على نبرة ، ولكن زواج يلانكا اخت سانشو ملك نبرة من الدوق شانجة القشتالى عام ٥٤٦هـ (١١٥١) اوقف التآمر على نبرة .

وتوفى الفونسو ريموندیس فى بلدة فريسندة Fresenda فى سنة ٥٥٢هـ (٢١ اغسطس ١١٥٧م) عقب عودته من المرية وكان قد قسم مملكته كما كان متبعا من قبل بين ابنائه ، فكانت قشتالة واسترامادورة وطليطلة من نصيب شانجة الثالث (٥٥٢ — ٥٥٣هـ) (١١٥٧ — ١١٥٨م) ، وآلت ليون وجليقية الى فردلند الثانى (٥٥٢ — ٥٨٤هـ) (١١٥٧ — ١١٨٨م) .

ثم توفى الكونت رامون برنجير الرابع فى ٥٥٨هـ (١١٦٢م) وكان من اعظم ملوك اسبانيا النصرانية ، ويعد المؤسس الحقيقى لمملكة ارغون .

وكانت وفاة الفونسو السابع تنذر بشؤم على اهالى قشتالة ، فطبقا للنظام الذى كان قد وضعه فى اواخر حياته نجد انه اختص شانجة الثالث بعرش قشتالة وما يتبعها من اراضى فى اعالى التاجة ، وكانت عاصمتها طليطلة ، مع حقه اخذ الجزية من مملكتى نبرة وارغون اما ولده فردلند فقد تولى مملكة ليون وجليقية واشتوريس مع حق السيادة على البرتغال . وبهذا التقسيم اصبحت الممالك المسيحية الاسبانية خمسة ، ارغون وقطلونية المتحدة ونبرة وقشتالة وليون والبرتغال . وقد حاول شانجة الثالث ملك نبرة ان يسترد ريوخا وان يتحرر من السلطة القشتالية ولكن فرناندو (فردلند) هدده بعنف مما دفع الملك النبرى على الصلح . ثم توفى شانجة الثالث فجاة فى عام ٥٥٣هـ (آخر اغسطس سنة ١١٥٨م) بعد ان حكم عاما واحدا ولم يترك سوى ولدا واحدا هو الفونسو الثامن الذى لقب فيما بعد بالنبيل ، وكان فى الثالثة من عمره فى ذلك الوقت ، وكانت مسالة الوصاية على هذا الطفل ، العامل الرئيسى فى قيام الحروب

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اهلية مدمرة عصفت بقشتالة ، فقد تنافست اسرتا كاسترو ولارا على وصايته ، وحاول عمه الملك الليونى فرناندو أن يظفر بالوصاية ، ولكنه فشل فى النهاية (١) .

٨ - قيام مملكة البرتغال :

ترجع الاصول الاولى لمملكة البرتغال المستقلة عن قشتالة الى ولاية لجدانية Lusitania وهى القسم الغربى من شبه الجزيرة الاسبانية ، وهى التى كان اهلها يتمتعون بخواص تتميز عن سائر الاسبان فى شرقى الجزيرة ووسطها ، وكانت لجدانية فى العصر القديم تشمل الرقعة الغربية الواقعة جنوبى جليقية المحاذية لساحل الاطلنطى فيما بين مصب نهر دويرة ومصب نهر وادى يانة ، وقد نزلها الوندال والسوابيون ، ثم عبر الوندال الى المغرب ،وظل السوابيون يحتلونها زهاء نصف قرن،ثم أجلاهم عنها القوط الغربيون واحتلوها بدورهم ،واتخذوا ماردة حاضرة لها ، وكانت لجدانية اقليما من الاقاليم الستة التى تنقسم اليها مملكة القوط ولما افتتح المسلمون ابارية ظلت لجدانية تحتفظ بعاصمتها ماردة التى اصبحت مركزا للثورات ،ثم ظهرت بطليوس فى عصر الدولة الاموية حين ثار بها بنو الجليقى وفى عصر الطوائف أطلق على القسم الواقع فى أيدى المسلمين من ولاية لجدانية اسم ولاية الغرب ، استقل به بنو الافطس ، الذين كان يمتد حكمهم من منتصف وادى يانة حتى مدينة قلمرية ويشتمل على ثغر اشبونة وشنترين ويابرة ، اما القسم الشمالى من لجدانية فقد اخذ النصارى ينتزعونه من المسلمين بالتدريج مدينة اثر مدينة وكان آخر هذه المدن المفتوحة هى قلمرية التى استولى عليها فردلند الاول فى عام ٤٥٦هـ (١٠٦٤م) ، وقد جعل فردلند من هذه المنطقة ولاية مستقلة

---

(١) Aguado Bleye, op. cit, p. 638 - Luis Suarez, Historia de España, p 237.
Jose Luis Martin, la peninsula en la edad media, Barcelona 1980, p 358, 359.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

باسم البرتغال المشتق من اسم « بورتوكال » Porto cale وقد انتدب لولايتها وزيره المستعرب سسندو دافيدس ، وحاول اللجدانيون او البرتغاليون اهل الولاية الجديدة ان ينالوا حريتهم واستقلالهم فثاروا ضد حكم الملك غرسية بقيادة زعيمهم الكونت نونيو مننديس ولكنهم هزموا وقتل زعيمهم عام (٤٦٤هـ) (١٠٧١م) ، وعادت ولاية البرتغال تستقبل ولاتها من قبل قشتالة (١) .

وعقب واقعة الزلاقة وفد على الفونسو السادس فرنسيان من فرسان بورجونيا هما ريموند وهنرى البورجونى ، ولما اخلص هذان الفارسان فى خدمة الفونسو السادس زوج الفونسو ريمون البورجونى من ابنته اراكة ونصبه واليا على شنترة واشبونة وشنترين (٤٨٦هـ / ١٠٩٣م) ، كما زوج هنرى من ابنته غير الشرعية تريسا ، ولما مات ريمون خلفه على البرتغال هنرى البورجونى الذى تلقب بالدوق واصبح يحكم باعتباره تابعا لمملكة قشتالة ، واتخذ قلمرية عاصمة للبرتغال ، فتسمى هنرى لذلك بصاحب قلمرية ولما توفى الفونسو السادس سجل فى وصيته بتثبيت حكم هنرى على البرتغال تحت سيادة قشتالة ، وكان هنرى قد ترك ولده الفونسو انريكث طفلا فى الثالثة من عمره ، فتولت تريسا الوصاية عليه .

وحين شب الفونسو انريكث كان الشعب قد بدا يمل حكم تريسا المستهترة والتف حول الفونسو انريكث الذى تطبع بطباع الفرسان وارتبط برجال الدين لاقصى مدى ، وقد نشبت الحرب بينه وبين امه ، وانتهى الامر بسجنها لتكفر عن زلاتها ونفى صديقها فرناندو بيريث .

ولما بلغ الفونسو انريكث الثامنة عشرة من عمره أعلن نفسه ملكا على البرتغال مما اغضب الفونسو ريموندیس ، فتوجه لقتال انريكث ، وفى هذه الاثناء تم تحالف كبير بين مملكة نبرة ومملكة البرتغال . وتحدثنا عن

---

(١) محمد عبد الله عنان ، عصر المرابطين ، ص ٥٢٣ - ٥٢٤

وثيقة الكوبارا ؛ وهى وثيقة مختومة أمر الفونسو انريكيث بكتابتها لتأريخ موقعة اوريك Auric (٥٣٤هـ) (٢٥ يوليو ١١٣٩م) وهى المعركة التى انتصر فيها الفونسو انريكيث على المسلمين وكانوا بقيادة قائد سمته الوثيقة باسم اسماء (اسماعيل) واربعة آخرين من القادة المسلمين (١) ، انهزم البرتغاليون فى بداية المعركة ، ولكن السيد المسيح ظهر ليلا مصلوبا لالفونسو انريكث وحثه على مواصلة القتال بعنف واعدا اياه بالنصر بشرط ان يتخذ الفونسو شعار مملكته من الجروح الخمسة التى اصيب بها المسيح مع الثلاثين قطعة فضية التى نالها يهودا ثمنا لخيانته وبالفعل جعل الفونسو شعار مملكته (ولا يزال حتى الان) خمسة دروع تمثل جروح المسيح فى شكل صليب منقوش على كل منها ثلاثين نقطة من الفضة ، وانتصر البرتغاليون كما تذكر الوثيقة ، وان كان باقى الروايات النصرانية لم تذكر عن هذه الموقعة اى شىء وحتى رودريك الطليطلى ولوقا التطيلى ، وكذلك الروايات الاسلامية ، وعلى اى حال فقد لقب الفونسو نفسه بالملك عقب هذه الرؤيا التى ظهرت له (٢) . وعقب هذا النصر كما تذكر الرواية المسيحية اجتمع ماك البرتغال فى لمبق (لميقة) مع طبقات الشعب المختلفة حين وضعوا دستور البلاد ، ونصب ملكا وضع على راسه تاج من الذهب المرصع بالجواهر (٣) .

وبالنسبة لمملكة ارغون وقطلونية المتحدة فقد حكم ريموند برنجار الرابع منشىء هذه المملكة مدى احدى وثلاثين عاما ، وقد ضحى باستقلال مملكته وانضوى تحت سلطان ملك قشتالة القوى ، ولم يكتف ريموند برنجار بمقاتلة المسلمين ومحاربة نبرة بل اهتم بحروبه فى لانجدوك

---

(١) يوسف اشباخ ، تاريخ الاندلس ، ص ٢٤٦ .
(٢) يوسف اشباخ ، المرجع السابق ، ص ٢٤٧ ، وتذكر الرواية المسيحية ان ولاة بطليوس وبابرة وباجة واشبيلية قد تقدموا لانقاذ اوريك
(٣) Luis Suarez, op. cit, p. 227. ، محمد عبد الله عنان ، عصر المرابطين ، ص ٥٢٧ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبروفانس كذلك (١) . ولما توفى شانجة الثالث ملك قشتالة تجددت الخصومة بين نبرة وارغون ، وحاول رجال الدين اخماد هذه الخصومة الجديدة وسرعان ما مرض ريمون برنجار وتوفى فى سنة ٥٥٨هـ (١١٦٢م) فقامت بترونيلا ارملته باستدعاء طبقات الامة الثلاثة للاجتماع فى وشفة للاطلاع على وصية زوجها وفيها عهد الى ريموند برنجار الذى تلقب بالفونسو الثانى بحكم ارغون وقطلونية واراضى لانجدوك ، اما شرطانية ومعها قرقشونة وحق الجزية على الفيكونت ريموند ترنكافل ، وكذلك من اربونة فعهد بها الى ولده الثانى بطره،ولما كان الفونسو الثانى لايزال فى العاشرة من عمره ، فقد قامت امه بترونيلا بحكم ارغون ، وعلمت فى فترة حكمها على توطيد دعائم التحالف بينها وبين قشتالة وانجلترا ، ونبرة حتى تخلت عن الحكم لابنها .

٩ - مملكتا البرتغال وليون أثناء وبعد عهد فردلند الثانى والفونسو انريكث :

ظفر فردلند بعد وفاة ابيه الفونسو ريموندس بمملكة ليون وجليقية واشتورياس بالاضافة الى السيادة على البرتغال ، ونظرا لانصرافه الى الحروب الاهلية التى دارت فى قشتالة عقب وفاة شانجة الثالث ، فقد اهمل ممارسة حق سيادته على البرتغال ، ولكن ماكاد يبسط سلطانه على قشتالة واسترمادورة بمعاونة آل كاسترو حتى بدا يتفقد احوال مملكة البرتغال ، فتزوج من اوراكا (اوراكة) ابنة ملكها سنة ٥٦١هـ (١١٦٥م) ولكنه رغم هذه المصاهرة اهتم بتحصين مدينة رودريجو Ciudad Rodrigo الواقعة على حدود البرتغال ، واخذ يوجه منها الغارات المخربة على البرتغال .

---

(١) انظر تفاصيل هذه الحروب فى : يوسف اشباخ ، تاريخ الاندلس ، ص ٢٥٩ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكان الفونسو انريكث ملك البرتغال مشغولا انذاك بحروبه مع المسلمين ، وكان قد نجح فى انتزاع يابرة من المسلمين فى عام ٥٦١هـ / ٥٦٢هـ (١١٦٦م) ، ولكن ماكاد يرى ان سلطان فرلند قد تحطم على يد اسرة لارا حتى سار بنفسه الى جليقية واستولى على مدينة ليمبا مبررا ذلك بأن هذه المناطق كانت تتبع البرتغال منذ ان منحها الفونسو السادس مهرا لابنته تريسا يوم زواجها ، ولم يكتف الفونسو انريكث بذلك بل طمع فى مزيد من السيطرة فسار فى عام ٥٦٤هـ (١١٦٨م) الى مدينة بطليوس لافتتاحها . ولكن فردلند الثانى ملك ليون غضب لتعدى البرتغال على اراضى المسلمين اذ كان يرى انها من نصيبه فى حال رجوعها للمسلمين، ثم ظهرت نوايا ليون تجاه البرتغال حين تقدم الموحدون لحصار شنترين عام ٥٦٧هـ (١١٧١م) فتقدم فردلند ملك ليون فوقف قريبا من الميدان بجيوشه منتظرا هزيمة البرتغاليين للتدخل فى بلادهم ، فلما راى ان كفة البرتغاليين راجحة ، ارسل الى الفونسو انريكيث رسولا يهنئه بالنصر .

ثم صدر فى عام ٥٧٥هـ (١١٧٩م) مرسوم بابوى يقضى باستقلال مملكة البرتغال عن قشتالة وليون ، ومنح الفونسو انريكث لقب الملك ، وكان الفونسو انريكث قد اسس جماعة فرسان يابرة الذين كرسوا حياتهم لقتال المسلمين ، ثم توفى الفونسو انريكث عام ٥٨١هـ (١١٨٥م) فى السادسة والسبعين من عمره ، وبعد بضعة اعوام توفى فردلند الثانى ملك ليون عام ٥٨٤هـ (١١٨٨م) اثناء حجه الى شنت ياقب وخلفه ابنه الفونسو التاسع .

اما الفونسو الثامن ملك قشتالة ابن سانشو الثالث فقد اتخذ سياسة حكيمه فى حكم البلاد بعد بلوغه سن الرشد . فبدأ بعقد صلح مع الفونسو الثانى ملك ارغون كما صالح شانجة الرابع ملك نبرة (١) ، وكان قد

---

(١) Aguado Bleye, op. cit, p 641. تم عقد الصلح بين الفونسو الثامن والفونسو الثانى ملك ارغون فى Cazorla عام ٥٧٥هـ (١١٧٩م) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

خاض حربا فى بداية الامر مع ملك ارغون ، عند قلعة رباح سنة ٥٦٦هـ (١١٧٠م) ولم يحمله على الصلح سوى الملك هنرى الثانى ملك انجلترا الذى كان حليفا لملك ارغون وكان فى نفس الوقت صهرا لالفونسو الثامن الذى تزوج من ابنة هنرى الثانى Leonor اليينور . ولما ازداد الخطر الموحدى على الممالك المسيحية اجتمع ملوك اسبانيا المسيحية على وضع خطة موحدة لقتال المسلمين ،وعلى الرغم من ذلك الخطر الاسلامى فان ملوك الدول المسيحية و فىمقدمتها ليون والبرتغال وقشتالة وأرغون ونبرة اخذوا يختلفون فيما بينهم ويتنازعون على حقوق الفتح فى أراضى المسلمين وكان ذلك من أسباب الهزيمة التى أصابت الفونسو الثامن فى وقعة الارك ٥٩١هـ (١١٩٥/١١٩٤م) (١) ولكن اجوادو بليى يبرر الهزيمة التى منى بها الفونسو الثامن فى الارك بتعجله فى الاشتباك قبل وصول القوات المتحالفة ، وقد استغل الفونسو التاسع ملك ليون فرصة هزيمة الفونسو الثامن واقتحم بلاد قشتالة ، ورد الفونسو الثامن على هذا الاعتداء بمثله (٢) ، كذلك قام شانجة الرابع ملك نبرة بغزو قشتالة من جهة سرية والمزان فى حين شن الموحدون غاراتهم على طليطلة ومجريط وقونقه (قونكة) واقليش ومكادة وطلبيرة . ومع ذلك فقد احتفظ الفونسو الثامن برباطة جاشه ، وعقد حلفا مع بطرة الثانى ملك ارغون (٥٩٣هـ - ٦١٠هـ / ١١٩٦م - ١٢١٣م) وبفضل هذا الحلف تمكنا من غزو نبرة وليون (٣) .

وظهر فى أرغون رجل نبرى تعبر شخصيته عن صورة تلك الاحداث، ذلك هو بيدرو رويث دى أساجرا ، كان مرتزقا حارب تارة الى جانب مملكة أرغون ومرات مع نبرة ومرات اخرى مع قشتالة ، وكان يستغل خلافاتهم لتوطيد سلطانه .

---

(١) يوسف أشباخ تاريخ الاندلس ، ص ٢٨٧ .

(٢) Aguado Bleye, op. cit, p 642.

(٣) Ibid. p. 642.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكان سانشو السادس ملك نافارا قد توفى قبله بعامين عام ٥٩١هـ (١١٩٤م) ، وحاول الفونسو الثانى ملك ارغـون جمع شمل الممالك المسيحية من جديد ، فخرج الى شانت ياقب ، واجتمع مع ملك ليون ثم رحل الى قلمرية والتقى بشانجة ملك البرتغال ثم اجتمع مع ملكى قشتالة ونبرة فى طرسونة ، ولكن هذه المحاولات باءت بالفشل ، وتوفى الفونسو الثانى فى ٥٩٣هـ (٢٥ ابريل ١١٩٦م) وخلفه بطره الثانى (٥٩٣ - ٦١٠هـ) (١١٩٦ - ١٢١٣م) وكان شانجة السادس ملك نبرة قد توفى قبله بعامين وخلفه الملك شانجة السابع (٥٩١هـ - ٦٣٢هـ) (١١٩٤ - ١٢٣٤م) .

كان لهزيمة الفونسو الثامن فى الارك بالاضافة الى الصراع الداخلى بين الممالك المسيحية اعظم الاثر فى اضعاف شأنها ، فقد كلفتها الحروب المتواصلة الكثير من الارواح والاموال والاسلحة ، ولم تنج اسبانيا المسيحية من الخطر المحدق بها الا بعودة يعقوب المنصور الخليفة الموحدى إلى المغرب ثم وفاته بعد ذلك ولقد كان من الواضح تماما انه لو كان محمد الناصر الذى خلف يعقوب المنصور على خلافة الموحدين ، قد سار على نفس سياسة ابيه ، او استغل حالة الضعف والانحلال التى اصيبوا بها بسبب منازعاتهم الداخلية فاعان المملكة الضعيفة على القوية ، لقاء عدد من المدن والحصون ، لكان مصير اسبانيا المسيحية والاندلس قد تغير تغيرا جذريا .

وساءت احوال الممالك المسيحية فى اسبانيا بعد انتصار الموحدين فى الارك ، وحاول كل من الفونسو الثانى ملك ارغـون والبابا سلستين Celestino III التوفيق بين الممالك المسيحية بغية جمع شملها (١) ولكن دون جدوى ، فقد كان العداء قد بلغ اشده بين ملك ليون وملك قشتالة .

---

(١) Aguado Bleye, op. cit. p. 642 - Luis Suárez, op. cit. p. 263.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والقى الفونسو الثامن النبيل ملك قشتالة تبعة هزيمته فى الارك على مملكة ليون ،فاتهم الجيش الليونى بأنه لم يبادر بامداده وانقاذه،وتحولت مرحلة العتاب الى اللوم الشديد ثم الى الصدام المسلح ، وقد كان اعتداء ملكى ليون ونبرة المتحالفين على قشتالة شديدا وعنيفا خاصة بعد خروجها من هزيمة الارك ، لذا فقد تحالف الفونسو الثامن مع بطرة الثانى ملك ارغون الجديد على النحو الذى ذكرناه من قبل ثم اشهرا الحرب على حلف ليون ونبرة ، اللتين فكرتا فى الاستعانة بالموحدين رغم تهديد البابا Celestino III لكل من يستعين بالمسلمين بالحرمان من الكنيسة ، وعلى الرغم من مساعدات الموحدين الا أن الحلف القشتالى / الارغونى نجح فى اختراق مملكة ليون مرتين ، وتمكنت قواتهما من تخريب احواز ليون واسترقة واستعد الفريقان لخوض غمار حرب جديدة لولا أن تدخل رجال الدين للصلح . وفى ذلك الوقت كان الفونسو التاسع ملك ليون قد طلق زوجته الاميرة تريسا بنت ملك البرتغال طبقا لما طلبه البابا ولكنه عاد يريد الزواج من اميرة قشتالة برنجاريا ابنة الفونسو الثامن ، رغم شدة القرابة بينهما واستطاع الفونسو التاسع الحصول على موافقة رجال الدين فى اسبانيا ولكنه لم يحصل على اذن من البابا ثلستينو الثالث ، لذلك فقد بادر البابا باعلان بطلانه ، وقرر اصدار قرار التحريم ضد الملكين واراضيهما فى حالة رفضهما للطلاق وبالفعل صدر قرار الحرمان ضد ليون وملكتها وضد اساقفة شلمنقة وسمورة واسترقة وليون ، وضد مملكة ليون كلها .

ولما تولى انوسنت الثالث الكرسى البابوى اصدر قرارا بالحرمان هو الاخر ضد الملكين . وفى اثناء ذلك كان المسلمون ينفذون الى اراضى النصارى للغزو ، مستغلين الاوضاع السيئة التى آلت اليها ممالك اسبانيا المسيحية ، فقشتالة وليون رغم المصاهرة والصلح لاتزال كل منهما تنظر الى الاخرى بعين الكراهية ، فى حين كانتا متفقتين على محاربة البرتغال اما بالنسبة لمملكة ارغون فقد كان ملكها فى حرب دائمة مع اتباعه الامراء الذين كانوا متنازعين فيما بينهم ، وبينما تحالف ملك ارغون مع قشتالة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ضد نبرة التى تعاونت مع سلطان الموحدين للدفاع عن كيانها ضد هـذا الحلف ، كان شانجة السابع ملك نبرة منذ عام ٥٩١هـ (١١٩٤م) قد تحالف مع ملك ليون ضد الفونسو الثامن ملك قشتالة ، وعلى هذا النحو كانت قشتالة تتلقى الضربات من الموحدين والليونيين فى آن واحد ويسوق صاحب روض القرطاس رواية تؤكد ان التحالف القائم بين شانجة السابـع ملك نبرة وبين الموحدين بلغ حدا كبيرا ، يقول صاحب روض القرطاس « اهتزت جميع بلاد الروم بجوازه (محمد الناصر) ووقع خوفه فى قلوب ملوكهم واخذوا فى تحصين بلادهم ،واخلى ماقرب من المسلمين من قراهم وحصونهم ، وكتب اليه اكثر امرائهم يسألونـه سلامه ويطلبون منه عفوه وجاءه منهم ملك بيونة (١) مستسلما خاضعا مستصغرا يطلب صلحه ويسأل منه عفوه وصفحه ، ولما سمع هذا اللعين بدخول امير المؤمنين الى اشبيلية ادركه الخوف ، فبادر الى المداراة عن نفسه وبلاده ، فبعث رسوله اليه يستأذنه فى القدوم اليه ، فاذن له امير المؤمنين فى الوصول ، وكتب الى كل بلد من بلاد الاندلس هو على طريق هذا اللعين اذا مر بهم يضيفونه ثلاثة ايام ، فاذا عزم على الرحيل فى اليوم الرابـع يحبسون عندهم من جيشه الف فارس ، فخرج هذا اللعين من قاعدة ملكه بجيوشه قاصدا وداخلا الى امير المؤمنين ، فكان اذا وصل الى بلد من بلاد المسلمين تلقاه قوادها واجنادها ، وبرز عليه اهلها فى اكمل عدة واحسن هيئة ، واضافوه ثلاثة ايام خير ضيافة ، فاذا كان يوم رحيله حبسوا له الف فارس من جيشه ، فلم يزالوا يفعلون ذلك به حتى وصل مدينة قرمونة ولم يبق معه من جيشه غير الف فارس ، فاقام فى ضيافة اهلها ثلاثة ايام ، فلما اراد الرحيل فى الرابع حبست الالف فارس الباقية معه . فقال لقوادهـا كيف تمسكون بها ومابقى لى مع من اسير غيرها ؟ فقالوا له تسير فى ذمـة امير المؤمنين وتحت ظلال سيوفه ، فخرج لعنه الله من قرمونة فى خاصته

---

(١) صحتها بنبلونة ، ويقصد به ملك نبرة ، وقد وردت مصححة فى الاستقصاء للسخاوى .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وزوجته وخدامه وهديته التى قدم بها الى الناصر ، وقدم من يديه كتاب النبى ﷺ الذى كان كتبه الى هرقل ملك الروم يستشفعه ويعلن أن الملك عنده موروثا كابرا عن كابر .... فانزله بداخل المدينة (اشبيلية) واعطاه تحفا جليلة ،وصالحه صلحا مؤبدا مادامت دولة الموحدين ولعقبه، ثم صرفه الى بلاده مكرما مسعفا بجميع مطالبه » (١)

أما الروايات المسيحية عن هذه الرحلة فقد وصفها يوسف اشباخ بأنها اقل تفصيلا ولكنها اقرب الى الحقيقة ، وقد تمت هذه الرحلة أو الزيارة فى عهد الخليفة محمد الناصر الذى لم يكتف بالترحيب به حين زاره وانما وافق على زواج شانجة السابع ملك نبرة من أخته وان كان لم يتحدث مع شانجة فى أمور تخص تنازل الموحدين عن املاكهم الاسبانية اليه ، ولهذا فلم يتعجل شانجة بالزواج من اخته وقد اشترك مع الموحدين فى اخماد ثورة قامت فى جبال غمارة (٢) . واذا قارنا بين الرواية العربية والرواية النصرانية نجد ان الرواية العربية تذكر ان مقابلة شانجة للناصر تمت فى الاندلس عندما كان الخليفة الموحدى مقيما فى اشبيلية ، بعكس الرواية المسيحية التى تؤكد انه جاز البحر بنفسه الى المغرب ليراه . اما بخصوص زواج اميرة مسلمة موحدية من الملك النبرى فهذا لا يمكن أن نقبله لانه لم يرد فى اى مصدر أو رواية عربية ، كما انه ليس منطقيا ان تتزوج اميرة مسلمة واخت خليفة المسلمين الذى يتمسك باهداب الدين والشريعة الاسلامية من رجل مسيحى اللهم فى حالة واحدة وهى أن يكون شانجة السابع قد وافق على اشهار الاسلام (٣) .

وبينما كان شانجة السابع غائبا عن بلاطه فى زيارته لاشبيلية ، قام

---

(١) ابن ابى زرع ، كتاب الانيس المطرب روض القرطاس ، جـ٢ ، نشره تورنبرج ، أو بسالة ١٨٤٣ ، ص ١٥٥ ، ١٥٦ .
(٢) يوسف اشباخ ، تاريخ الاندلس ، ص ٣٥٠ .
(٣) انظر تعليق محمد عبد الله عنان ، فى كتاب تاريخ الاندلس ليوسف اشباخ ، ص ٣٤٨ ، حاشية رقم ١ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفونسو الثامن ملك قشتالة مع حليفه بطره ملك ارغون بمهاجمة اراضى نبرة عام ٥٩٦هـ (١١٩٩م) ضاربين بكل المعاهدات والهدنات السابقة عرض الحائط ، وتمكن الملك القشتالى من انتزاع حصن فيتوريا Vitoria وولايات البة وبسكونيه Vasconia وجيبوسكوا Guipuscua وقد كانت تلك الولايات الثلاثة ملكا لقشتالة من قبل (١) .

أما بطره فقد انتزع بضع مناطق متفرقة على الحدود ، فعاد شانجة من رحلته بعد عامين ٥٩٨هـ (١٢٠١م) وتمكن من استرداد كافة ممتلكاته ، التى انتزعها منه الملكان المتحالفان .

أما ليون فقد كانت أحوالها فى غاية الفوضى والاضطراب ، فقد كان الملك لايزال محبا لزوجته القشتالية برنجويلا Berenguela رافضا الانفصال عنها فلما انجب منها ولده فردلند الثالث الذى سيلقب بالقديس وافقت برنجويلا Berenguela على اعلان الانفصال لتحقق للبلاد الامن والسلام (٢) وعندئذ وافق البابا على الغاء قرار الحرمان الكنسى ، وسرعان مادب الشقاق بين قشتالة وليون من جديد ، فقد طلب ملك قشتالة من ملك ليون أن يرد له جميع الاراضى التى كان قد وهبها لابنته مهرا لزواجها ،وكان البابا قد وافقه على هذا المطلب ،وفى بداية الامر اعترض ملك ليون على هذا الطلب ولكنه فى النهاية آثر السلام فتنازل عن تلك المناطق للملك القشتالى (٣) .

١٠ - هزيمة المسلمين فى موقعة العقاب وبداية النهاية :

انتصر النصارى على قوى الموحدين انتصارا حاسما فى موقعة العقاب المعروفة فى المصادر الاسبانية بـ Las Navas de Tolosa او موقعة ابدة

---

(١) Luis Suarez, Historia de España, p. 264.
(٢) Ibid p. 266.
(٣) Ibid. p. 262.

Ubeda ، وكان ذلك فى ١٥ صفر من عام ٦٠٩هـ (١٦ يوليو ١٢١٢م) وايا ماكانت أسباب هزيمة المسلمين ، فان هذه الموقعة كانت وبالا على الموحدين فى الاندلس ، وكانت بداية اضمحلال سلطان الموحدين بالاندلس (١) ويرجع السبب فى انتصار القوى المسيحية فى العقاب فيما يظهر الى غلبة روح الحركة الصليبية نتيجة الجهود التى بذلها الفونسو الثامن لجمع كلمة الممالك المسيحية الاسبانية ،فالفونسو ملك قشتالة كانت تربطه ببطره الثانى ملك ارغون(٥٩٣ - ٦١٠هـ / ١١٩٦ - ١٢١٣م)اقوى اواصر الصداقة والتحالف ، اما شانجة السابع ملك نبرة (٥٩١ - ٦٣٢هـ) (١١٩٤ - ١٢٣٤) الخصم التقليدى ، فقد زار الفونسو الثامن عام ٦٠٤هـ (١٢٠٧م) فى وادى الحجارة ، وتفاهما حول عدد من القضايا واسفر هذا اللقاء عن هدنة لمدة خمس سنوات (٢) كما تم التفاهم بين ملكى قشتالة الفونسو الثامن وليون الفونسو التاسع(٥٨٤ - ٦٢٨هـ) (١١٨٨ - ١٢٣٠م) من جهة ، وبين ملك قشتالة وشانجة ملك البرتغال (٥٨١ - ٦٠٨هـ) (١٨٥ ا- ١٢١١م) من جهة ثانية ، لاسيما بعد أن تزوجت الاميرة اراكة والقشتالية عام ٦٠٥ (١٢٠٨م) من الفونسو ولى عهد البرتغال (٣) ولم يكن انتصار الفونسو الثامن فى العقاب نهاية لحروبه مع الموحدين ، فقد سعى الى استثمار هذا الانتصار فتابع غزوه لاراضى الاسلام مخترقا جبال الشارات ، ثم انحدر الى بياسة Baeza ، وافتتح عددا من الحصون من

---

(١) لمزيد من التفاصيل حول موقعة العقاب انظر ابن ابى زرع ، الروض القرطاس ص ١٥٧ - ١٥٩ ، عبد الواحد المراكشى ، المعجب ، ص ٣٢١ - ٣٢٣ ، الحلل الموشية ص ١٦٠ ، محمد عبد الله عنان ، عصر الموحدين ، ص ٢٨٢ - ٣٢٦ ، يوسف اشباخ ،تاريخ الاندلس ص ٣٥٤ - ٣٧٣ ، السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ص ٨١٩ - ٨٣٠ ،

Aguado Bleye, Manual de la historia de España, 642 - 647, Luis Suárez historia de España, edad media, p 268 - 271.
Luis de valdeavellano, historia de España, p. 596 - 605.

(٢) Aguado Bleye, manual, p 643,

(٣) Aguade Bleye, Ibid. p 643.

بينها حصن بلج Vilches ، وفرال Ferral ، وبانيوس ، وتواوسة .

كما استولى على بياسة التى هجرها فاضرم فيها النيران واستولى على أبدة عنوة . وظل الفونسو الثامن يناضل ضد الموحدين فى الاندلس دون هوادة حتى توفى فى ٦١١هـ (سبتمبر ١٢١٤) (١) اثناء رحلته الى البرتغال لزيارة ملكها الفونسو ، وبفضل الفونسو الثامن احتفظت قشتالة فى عهده بسيادتها على الممالك المسيحية الاخرى ، ويذكر اجوادى بليى انه توفى فى ٦ اكتوبر (٢) .

وخلف الفونسو الثامن على عرش قشتالة ابنه هنرى الاول Enrique I (٦١١ - ٦١٤هـ) (١٢١٤ - ١٢١٧م) وكان فى الحادية عشرة من عمره فتولت أمه الينورا الوصاية عليه ،ولكنها توفيت بعد قليل ، فآلت الوصاية الى أخته برنجويلا الزوجة السابقة لالفونسو التاسع ملك ليون ، ولكن آل لارا Lara انتزعوا منها الوصاية وقرروا تزويجه فى هذا السن الصغير (١٢ سنة) من الاميرة مافالدا Mafalda ابنة شانجة الاول ملك البرتغال ولما كانت مافالدا شديدة القرابة اليه وتكبره بنحو ثمانية أعوام فقد اعترضت أخته برنجويلا على هذه الزيجة ، فلجأت الى البابا انوسنت Inocencio III الثالث الذى أصدر قرارا بمنع الزواج لشدة القرابة بين الزوجين فى (٦١٤هـ) ٦ يونيو ١٢١٧م توفى هنرى الاول اثناء لهوه مع أصدقائه الصبية فبادرت برنجويلا باعلان نفسها ملكه على قشتالة ثم تنازلت عن العرش فى الحال لابنها فردلند الثالث الذى انجبته من ملك ليون وكان عمره انذاك ١٨ سنة وتم تتويجه ملكا على قشتالة فى بلد الوليد Valla dolid ، وقدر لفردلند ان يكون بطلا من ابطال اسبانيا المسيحية بحيث عرف بالقديس (٣) .

---

(١) Luis Suarez, op. cit. p 270.
Aguado Bleye, op. cit. p. 648.

(٢) Ibid. p. 648.

(٣) Aguado Bleye, op. cit. p. 650.

١١ - دور الممالك المسيحية فى استرداد الغرب Algarve

أ - مملكة ليون :

حرص فردلند الثانى ملك ليون (٥٥٢ - ٥٨٤هـ) (١١٥٧ - ١١٨٨م) على صرف مزيد من اهتمامه بمشكلة الحدود الجنوبية لمملكته التى كان الرئيس خيرالدو سيمبافور المعروف فى المصادر العربية باسم جرانده الجليقى (١) ، وعند البرتغاليين بالسيد البرتغالى El Cid Portugés (٢) قد تصرف بالتدخل فيها لحسابه الخاص . وكان جراندة هذا قد انتزع من المسلمين ، مدينة يابرة وترجلة وقصرش ومنتانجش ، وتأهب للاستيلاء على بطليوس ، ولكن سقوط بطليوس فى يد الزعيم البرتغالى كان يعنى بالنسبة لمملكة ليون القضاء على الامال التوسعية التى كانت قد خططت فى ساهاجون وضياع الاتاوات التى كان يفرضها ملك ليون على المسلمين فى هذه البلاد وكانت تشكل مصدرا رئيسيا للدخول المالية لمملكته .ولهذا السبب لم يتردد فردلند فى عرقلة مساعى جراندة عن طريق تعاونه الوثيق مع المسلمين وتمكن فى عام ٥٦٥هـ (١١٦٩م) بفضل هذا التعاون من استرجاع الاراضى التى كان قد استولى عليها جراندة وعهد بالدفاع عنها الى ارمنجول السابع دى اورخيل Ermengol VII de Urgel والى فردلند رودريجث دى قاشترو Fernando Rodriguez de Castro واسقف شنت ياقب الذى تدخل بنفوذه الكنسى ماديا وعسكريا فى اعداد الحملات ضد جرانده (٣) ولقد ساعد انقسام الممالك المسيحية الموحدين على التحالف مع فردلند الثانى فى ٥٦٥هـ (١١٦٩م) ضد جراندة ومهاجمة قشتالة والبرتغال ابتداء من سنة ٥٦٦هـ (١١٧٠م) غير أن قشتالة التى كانت تحرص على محاربة

---

(١) عن جراندة انظر ابن صاحب الصلاة ، تاريخ المن بالامامة ، ص ٣٧٣.

(٢) Jose Luis Martin, la peninsula en la edad media .p 358.

(٣) Jose luis martin, op. cit., p. 358.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نبرة أكثر من حرصها على مهاجمة المسلمين عقدت مع هؤلاء السلم فى سنة ٥٦٩هـ (١١٧٣م) ولم تلبث البرتغال أن حذت حذوها بعد فترة قصيرة وعقد ملكها اتفاقا مع الموحدين . وعندئذ تحول الموحدون ضد مملكة ليون ، واسترد خليفة الموحدين جميع اراضى الغرب التى كانت فى حوزة الليونيين وعندئذ بدأ فردلند الثانى ملك ليون غاراته على قاصرش ولكن الموت وضع حدا لاطماعه (١) وخلفه ابنه الفونسو التاسع .

ذكرنا فيما سبق أن الملك الليونى الفونسو التاسع تزوج من تيريسا بنت شانجة الاول ملك البرتغال فى عام ٥٨٧هـ (١١٩١م) عسى أن يقضى رباط المصاهرة على المشاكل التى كانت قد نشأت بين المملكتين ، ولكن نظرا للقرابة الشديدة بين الزوجين فقد اصدر البابا ثلستينو Celestino III قرارا بمنع هذه الزيجة وبحرمان الملكين كنسيا ، مما دفع بهما الى الانفصال عام ٥٩١هـ (١١٩٤م) رغم انجابها ثلاثة ابناء. وكان الفونسو الثامن ملك قشتالة قد فرض سيطرته الادبية على كافة الممالك المسيحية مما ادى الى كراهية هذه الممالك المسيحية له ، وربما كان سببا فى تخلى ملوك اسبانيا المسيحية عن الفونسو الثامن عندما اشتبكت قواته أمام جيوش الموحدين فى الارك ٥٩٢هـ (١١٩٥م) مما تسبب فى هزيمته امامهم ، بل ان ليون بادرت بعقد صلح وحلف مع الموحدين ، وكانت ليون قد عقدت الصلح مع نبرة مما ترتب عليه مهاجمة اراضى قشتالة فى عام ٥٩٣هـ (١١٩٦م) ولكن الفونسو الثامن تمكن بمساعدة البرتغال وارغون من الرد على هذا الاعتداء ، وفى عام ٥٩٤هـ و (١١٩٧م) غزا الفونسو الثامن اراضى ليون وجليقية ، ثم عاد الصلح بين ليون وقشتالة وتزوج الفونسو التاسع ملك ليون من الاميرة برنجويلا بنت الفونسو الثامن ، ولكن هذا الزواج كان باطلا لشدة القرابة بين الزوجين. ولهذا قدر للزوجين الانفصال ، وقد تحققت الوحدة بين الممالك النصرانية

---

(١) Ibid, p. 360.

بناء على دعوة البابوية من جهة وعلى جهود الفونسو الثامن ملك قشتالة من جهة اخرى ، وظهرت آثار ذلك فى موقعة العقاب التى انهزم فيها الموحدون .

وكان ملك قشتالة قد اتفق مع الفونسو التاسع ملك ليون فى العام الذى تلا موقعة العقاب على أن يتوجها لغزو بعض حصون المسلمين وبينما توجه الفونسو الثامن فى طريق بياسة ، قام الفونسو التاسع ملك ليون بغزو قطاع اشبيلية ، ولكن الفونسو التاسع مضى الى قاصرش وحاول ان يستولى عليها ولكن بلا فائدة (١) . فى هذه الفترة تلقى الفونسو رسولا من خليفة الموحدين عرض عليه مبلغا كبيرا من المال اذا رفع الحصار عن قاصرش وعاد الى مملكته ، فانسحب ملك ليون الغافل بعد ان قبل العرض السخى وانسحب مع الاسرى والغنائم ، ولكن الموحدين لم يدفعوا له المال واخذوا يحصنون قاصرش مما جعل الاستيلاء عليها صعبا ولذلك فقد تقدم الى ماردة ولكنه قرر العودة الى بلاده نظرا لقدوم الشتاء ،مما اغضب حلفائه القشتاليين الذين اجبروا بدورهم على العودة الى وطنهم ، وكان ذلك فى عام ٦١١هـ (١٢١٤م) . وفى نفس هذا العام توفى فردلند ولى عهد ليون ، واكبر ابناء الفونسو التاسع ، وكان للملك الليونى ولدان آخران من برنجويلا القشتالية هما فرناندو والفونسو فتولى فرناندو عرش قشتالة عام ٦١٤هـ (١٢١٧م) على النحو الذى اشرنا اليه فيما سبق واثار اطماع والده ، وقد حاول ان يحاربه ليستولى على حكم المملكتين ، ولكنه آثر فى نهاية الامر السلام ، وتم الصلح عام ٦١٥هـ (١٢١٨م) (٢) وكان الفونسو التاسع ملك ليون من اشد المهتمين بحركة الاسترداد ، لذلك فقد قام بمساعدة رجال الجماعات الدينية والمتطوعة الصليبيين للاستيلاء على القطاع المخصص له من اراضى المسلمين .وقد راينا

---

(١) Martinez y Martinez op. cit. p. 278.

(٢) محمد عبد الله عنان ، عصر الموحدين ، ص ٥٩٥ - ٥٩٦ .

انه خرج فى ٦١٤هـ (أواخر عام ١٢١٧م) لمحاصرة مدينة قاصرش (١) على رأس قوة مشتركة من ليون وقشتالة ثم رفعوا الحصار عنها ، وتكرر حصار الملك الليونى لقاصرش إلى أن انتهى الامر بسقوطها عام ١٢٢٧ (٢) حسبما ورد فى صلب الرسالة .

ثم عاد الفونسو التاسع فى عام ٦٢٧هـ (١٢٢٩م) للقيام بغزوة جديدة فى أراضى المسلمين واستولى فى ذلك العام على حصن منتانجش على مقربة من ماردة ، ثم استولى على ماردة ، ودارت بينه وبين ابن هود معركة دارت فيها الدائرة على المسلمين ، وما ان وقعت ماردة فى حوزته حتى اتجه الى بطليوس التى سرعان ما سقطت بسهولة ويسر فى ايدى قواته ،وتم ذلك فى أواخر عام ٦٢٧هـ (١٢٣٠م) .ولم تكد تمضى أسابيع قليلة حتى توفى الفونسو التاسع ملك ليون بعد أن انهى سيادة الاسلام فى بطليوس حاضرة الغرب الاسلامى ، ولما سقطت بطليوس فى يد هذه المملكة المسيحية شأن غيرها من الحواضر الاسلامية العريقة فى الاندلس ، بقى عدد كبير من أهلها المسلمين تحت السيادة الاسبانية ، عرفوا بالمدجنين (٣) ثم سموا بالموريسكيين .

ب - ارغـــون :

توفى الفونسو الثانى بن رامون برينجير الرابع فى (٥٩٣هـ) (٢٥ أبريل ١١٩٦م) وخلفه على مملكة ارغون وامارة قطلونية ابنه بطره الثانى الكاثوليكى (٥٩٣ - ٦١٥هـ) (١١٩٦ - ١٢١٨م) وبدأ عهده بوصاية أمه دنيا سانشا . وكان بطره الثانى صديقا لالفونسو الثامن

---

(١) يسميها ابن عذارى قشرش (ابن عذارى البيان ، جـ٤ ، ص ٩١) بينما يسميها ابن القطان قصرش (قطعة من نظم الجمان ، ص ٢١٦) .

(٢) José Luis Martin, la peninsula en la edad media, p. 394.

(٣) محمد عبد الله عنان ، نهاية الاندلس ، وتاريخ العرب المتنصرين، ص ٥٦ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد بذل له العون فى حملته على مملكة ليون ، ونزلا على استرقة وشلمنقة الامر الذى دعا الفونسو التاسع ملك ليون الى فتح باب المفاوضات مع الملكين المتحالفين ، ولم يلبث ملك ليون ان انضم الى هذا الحلف وبفضله تمكن ملك قشتالة من الظفر بعدد من القلاع فى مملكة نبرة ، واضطر شانجة السابع ملك نبرة الى زيارة ملك قشتالة فى وادى الحجارة عام ٦٠٤هـ (١٢٠٧م) واتفقا على هدنة لمدة خمس سنوات على النحو الذى اشرنا اليه من قبل .

وقد اهتم بطرة الثانى بعد ذلك باملاكه فيما وراء البرانس واقليم بروفانس وبعض المناطق الاخرى ، كما اهتم بزيارة جنوة وبيزا للتفاهم مع هاتين الجمهوريتين على غزو الجزر الشرقية (١) ، ثم زار رومة لينال موافقة البابا على تتويجه ونجح فى الحصول على هذا الحق عام ٦٠١هـ (١٢٠٤م) .

وحاول بطره ان يصلح من النظم الاقطاعية فى بلاده ، كما حارب بعض الملحدين الالبيسيين حتى يحمى املاكه فيما وراء البرانس ، وتوفى فى عام ٥١٧هـ (١١٢٣م) تاركا وراءه ابنه خايمى الاول طفلا صغيرا (٢) . ولم يكن للملك خايمى الاول اى علاقة بالغرب بل ان كل جهوده فى الفتوحات الاسلامية اتجهت نحو شرق الاندلس والجزائر الشرقية .

كذلك لم يكن لالفونسو السابع الملقب بالقوى ملك نبرة اية علاقات بالغرب او ببطليوس وكانت سياسته تتلخص فى امرين :

---

(١) لمزيد من التفاصيل عن هذه الزيارات راجع :
Claudio Galindo Guijarro, historia de España, t, II, Barcelona, 1935, p. 443.
Aguado Bleye, op. cit. p 670.

(٢) محمد عبد الله عنان ، عصر الموحدين ، ص ٦٠٥ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١ - محالفة الموحدين للاستنصار بهم من خطر الحلف القشتالى الارغونى (١) وقد سبق أن تحدثنا عن رحلته لمقابلة الخليفة محمد الناصر .

٢ - عقد الصلح مع ملوك اسبانيا المسيحية قبل موقعة لاس نافاس دى تولوسا .

جـ - مملكة البرتغال :

كان الفونسو انريكث (٥٣٣ - ٥٨١هـ) (١١٣٨ - ١١٨٥م) ويسميه العرب ادفونش بن الرنك صاحب قلمرية (٢) قد استقل بالبرتغال عن مملكة ليون وقد حرص الفونسو انريكيث على توسيع املاكه حتى بلغت ضفاف واديانه ، وفى عام ٥٣٤هـ (١١٣٩م) اعلن نفسه ملكا على البرتغال وان كان مايزال يعتبر نفسه تابعا لالفونسو السابع ملك ليون وقشتالة . وللتخلص من تلك التبعية أقر بسلطان البابوية عام ٥٣٩هـ (١١٤٤م) ، ثم دعا الى مملكته الداوية والاسبتارية ، وبمساعدتهم تمكن من انتزاع شنترين من الموحدين .

وقد سخر الفونسو الصليبيين المارين ببلاده فى طريقهم الى الاراضى المقدسة فى الاستيلاء على لشبونة وشنترين عام ٥٤٣هـ(١١٤٧م) ، ثم باجة فى ٢١ من ذى الحجة ٥٥٧هـ (١١٦٢م) ، وترجالة فى جمادى الثانية ٥٦٠هـ (١١٦٥م) ، ويابرة فى ذى القعدة سنة ٥٦٠هـ (١١٦٥م) وقاصرش فى صفر ٥٦١هـ (١١٦٥م) وحصن منتانجش فى جمادى الاولى

---

(١) Aguado Bleye, op. cit , p. 675. ، استعان شانجة القوى بالموحدين ضد الفونسو الثامن الذى كان قد استولى على البش وجيبوسكوا عام ٦٠٣هـ (١٢٠٦م) ثم عاد الى مصالحته فى العام التالى عندما اتفق معه فى وادى الحجارة على الصلح مقابل التنازل له عن عدد من الحصون والمشاركة فى الحملة الصليبية المشتركة ضد الموحدين .

(٢) Terrasse, histoire du Maroc, t, I, p 321. . وانظر ابن صاحب الصلاة تاريخ المن بالامامة ، ص ٣٧٢ .

سنة ٥٦١هـ (١١٦٦م) ، وحصن شيرية فى جمادى الاولى سنة ٥٦١هـ (١١٦٦م) ، وحصن جلمانية فى نفس السنة (١) ، وهدد بطليوس ولكن فرناندو بن اذفونش السليطين (ويعرف فرناندة بالببوج) قدم دافعا لجراندة عن مدينة بطليوس ونجح فى ايقاع الهزيمة بجيش ابن الرنك Alfonso Enriquez ، واصيب نفس الملك اصابة بالغة عالجه منها الملك فرناندو ثم اطلق سراحه (٢) . وفى عام ٥٦٦هـ (١١٧٠م) تمكن الموحدون من استرجاع حصن جلمانية فهدموه ثم استرد الموحدون بعد ذلك يابرة وترجلة وقاصرش ومنتانجش .

على ان استقلال مملكة البرتغال لم يصبح حقيقة ثابتة الا باعتلاء ابنه شانجة الاول (٥٨١هـ - ٦٠٩هـ / ١١٨٥ - ١٢١١م) بعد وفاة الفونسو انريكث فى ٥٨١هـ (١١٨٥م) الذى عرف بفاتح اليمتيخو ، ففى سنة ٥٨٦هـ (١١٨٩م) تمكن من الاستيلاء على شلب Silves وباجة ويابرة (٣) مستغلا فى ذلك حملة صليبية من الدانيين والفريزيين (٤) ، كانت فى طريقها الى الشرق ، وظلت شلب فى حوزته زهاء عامين الى ان استردها الخليفة يعقوب المنصور فى شوال ٥٨٧هـ (١١٩١م) مع باجة وقصر ابى دانس ويابرة (٥) ، ثم انشغل سانشو الاول فيما بعد فى خلاف نشب بينه وبين البابوية وخلافات اخرى اندلعت بينه وبين بعض الاساقفة فى مملكته الذين اصدروا ضده قرار الحرمان . وتوفى فى عام ٦٠٨هـ (١٢١١م) وقرار الحرمان لايزال ساريا ضده . فخلفه على حكم البرتغال ابنة الفونسو الثانى (٦٠٨ - ٦٢٠هـ / ١٢١١ -

---

(١) ابن صاحب الصلاة ، تاريخ المن بالامامة ، ص ٣٧٣ .

(٢) Pascual Madoz, Diccionario geográfico histórico de e España y sus posesiones de Ultramar, t. II Madrid, 1846, p. 258.

(٣) ابن ابى زرع ، روض القرطاس ، ص ١٤٤

(٤) Luis Suarez, op. cit. p. 256 - Glaudio Galindo Guijarro, historia de España, Barcelona, 1935, p. 395.

(٥) ابن ابى زرع ، روض القرطاس ، ص ١٤٤ .

١٢٢٣م) الذى تلقى لقب البدين لشدة بدانته ، وقد بدأ عهده بنزاعه مع شقيقتيه بشأن سيادته على بعض مواضع تابعة لهما ، واحتميتا بالبابا الذى عهد بالمناطق موضوع النزاع الى فرسان الداوية على أن تكون خاضعة لالفونسو البدين بينما يكون دخلها لصالح شقيقتيه الاميرتين تيريسا وسانشا(١) .ثم تمكن الفونسو الثانى بمساعدة الفرق الصليبية من الاستيلاء على ثغر قصر ابى دانس (٢) ٦١٤هـ (١٢١٧م) وتوفى الفونسو البدين فى عام ٦٢٠هـ (١٢٢٣م) وخلفه ابنه شانجة الثانى (٦٢٥ - ٦٤٥هـ / ١٢٢٧ - ١٢٤٧م) الذى أزال كل خلاف بينه وبين عمتيه منتهزا فرصة الخلافات الداخلية الموحدية ، فقد كان الخليفة المستنصر قدمات دون أن يعقب ، وبويع عبد الواحد أخو المنصور الموحدى ، وقام منافسوه واهمهم ابو محمد ابن أخيه المنصور والى مرسية الذى كان يرى نفسه أحق بالخلافة واقدم على خلع عمه مستندا على ولاة وسط الاندلس والغرب ،وبويع هو بالخلافة ،عندئذ استغل ابو محمد بن ابى العلاء والى بياسة الفرصة وطلب مساعدة فردلند الثالث ملك قشتالة ،ولكن هذا الاخير ، هو الذى استثمر ثورة ابى محمد لنفسه ،فقد غزا الاندلس وافتتح جيان وابدة وبياسة (٣) ، ثم تفرغ بعد ذلك لانتزاع باقى أراضى المسلمين فى الغرب ، فاسترد البة عام ٦٢٤هـ (١٢٢٦م) والبش Elvas وشيربه Serpa وجلمانية Jurumenha التى كانت تجاور بطليوس ، الى جانب كافة الحصون الواقعة على ضفاف وادى آنة مثل طبيرة Tavira والفخار Alfajar ، ثم استولى على ميرتلة Mertaola ، وسلمها لفرسان شنت ياقب ، ثم على شلب عام ٦٤٠هـ (١٢٤٢م) .

---

(١) Jose Luis Martin, la peninsula en la edad media, p. 396.

(٢) يقول ابن أبى زرع:«وفى سنة أربع عشرة وستمائة هزم المسلمون بقصر ابى دانس بالسيف وقتل منهم العدو أمما لاتحصى وفى سنة خمس وست مائة دخل الفنش قصر أبى دانس بالسيف وقتل من به من المسلمين» ، ص ١٨١ .

(٣) Martinez y Martinez, op. cit, p. 278.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكانت بطليوس (١) وماردة وقاصرش قد سقطت فى أيدى الليونيين وبذلك يكون المسلمون قد فقدوا أهم مدن الغرب الاندلسى .

١٢ - جماعات الفرسان الدينية :

استوحى الملك الفونسو الاول المحارب ملك ارغون فكرة انشاء منظمات أو جماعات الفرسان الدينية الحربية من الحركة الصليبية، وربما كان مصدر هذه المنظمات الدينية العسكرية فى الاندلس قد ظهرت نتيجة التأثير العميق للنفوذ الروحى البابوى،على أن هناك أمرا لابد من الاشارة اليه وهو أن جماعات من المجاهدين المسلمين ، كرسوا انفسهم للرباط والجهاد والمثاغرة بهدف اغتنام الشهادة (٢) ،وكانوا ينزلون منذ القرن الاول الهجرى فى رباطات اقيمت على السواحل أو فى المناطق الثغرية ولعل كثرة ورود الالفاظ الدالة على الرباط فى اللغة القشتالية يؤكد هذه الفكرة مثل Rabato. Rábida, Rábita وهنا لاينبغى أن نتجاهل امكانية تأثير فكرة الرباط عند القوى المسيحية ، ولعل أبلغ دليل على انتشار روح الجهاد والرباط ، الحركة المعروفة بحركة ابن القط التى سبق ان أشرنا اليها فى الجزء الاول من الرسالة ، وسواء كان هذا الافتراض صحيحا أو خاطئا بسبب عدم وجود طبقات من رجال الدين فى الاسلام كما هو الحال فى المسيحية ، فانه مما لاشك فيه أن اسبانيا عرفت نظام جماعات الفرسان الدينية العسكرية منذ القرن السادس الهجرى ،وان هذا النظام انتشر انتشارا سريعا وعم فى سائر الممالك المسيحية بأسبانيا وأول

---

(١) استولى الفونسو التاسع ملك ليون على بطليوس استنادا الى أحد الامتيازات التى منحها الملك لدير فلبورايسو Valporaiso فى (٦٢٨هـ) ٨ يناير ١٢٣٠م وفيه تلقب بملك بطليوس (راجع Madoz, op. cit, p 258.

(٢) من الجدير بالذكر أن عددا كبيرا من العلماء المتفقهين فى العلوم الدينية كانوا احرص الناس على الرباط والجهاد بغية الثواب ولا ينبغى أن ننسى أن فتح جزيرة صقلية انما قام بفضل قيادة الفقيه أسد بن الفرات وأن كثيرا من القضاة فى الاندلس فى العصر الاموى كانوا يشاركون فى الغزو وفى كثير من الحملات .

من حاول انشاء جماعات الفرسان الدينية فى اسبانيا الفونسو الاول المحارب ملك ارغون الذى انشا بعد افتتاحه لسرقسطة فى ٥١٢هـ (١١١٨م) قلعة سميت بقلعة مونريال Monreal لتكون مركزا للدفاع ضد المسلمين (١).
ثم أخذ يفكر فى انشاء جماعة من الفرسان برسم القبر المقدس ولكن مشروعه لم يقدر له ان يتم لافتقاده للفرسان الصالحين لهذه المهمة وفى هذه الفترة كانت جماعة الداوية « قد انشئت عام ٥١٣هـ (١١١٩م) فى بيت المقدس عقب سقوطها فى أيدى الصليبيين وكان ملك بيت المقدس قد خصص لهم جناحا فى قصره فى المعبد المجاور له ، فعرفوا لذلك بفرسان المعبد Templars (٢) ، وعلى هذا الاساس تطلع ملوك المسيحية فى اسبانيا الى اقامة فرع من نظام فرسان الداوية بالمشرق فى ممالكهم ،وانضم ريموند برنجار الثالث امير برشلونة فى ذلك الوقت فى سلك الداوية قبيل وفاته عام ٥٢٦هـ (١١٣١م) ، فانشأ ولده عقب وفاته اول دير للداوية فى قطلونية ، ومن الجدير بالذكر ان الفونسو المحارب تنازل فى وصيته عن ثلث املاكه ومملكته لفرسان الداوية ، وللفرع المقدس وللاسبتارية (٣) ، ولما كان الشعب قد رفض تقسيم المملكة فقد اعطى للداوية فى عام ٥٣٨هـ (١١٤٣م) .

كذلك قامت فى مملكة ليون بعد سنوات قليلة جماعة سان خوليان دل بيريرو San Julian del periero (٤) او نظام فرسان القنطرة Orden de Alcántara ، ورغم ذلك فهى لم تزدهر وتكبر بمثل ما حدث للجماعة الثانية ، جماعة فرسان قلعة رباح Calatrava . وقد ظهرت جماعة فرسان القنطرة فى عهد الفونسو السابع (ريموندیس) حيث اتفق فارسان شلمنقيان هما سويرو وجومث نذرا ان يهبا حياتهما

---

(١) José Luis Martin la peninsula en la edad media, p 361.
(٢) يوسف اشباخ ، تاريخ الاندلس ، ص ١٦٧ .
(٣) Jose Luis Martin, op. cit. p. 361.
(٤) Martinez y Martinez, op. cit. p. 274 - 275.

لمحاربة المسلمين وانضم اليها راهب هو سانت اما ندوس ، واخذوا يبحثون عن مكان يتخذونه حصنا لجماعتهم ، فالتمسوه فى دير سنت جوليانوس وابتنوا فيه حصنا ، سرعان ما امتلأ باتباعهم من الزهاد والنساك الذين يرغبون فى قتال المسلمين وقد تولى تنظيم هذه الجماعة الاسقف الشلمنقى اردون . وعرفت فى اول ظهورها باسم جماعة سان خوليان دل بيريرو ثم تحول اسمها بعد نصف قرن الى جماعة فرسان القنطرة Alcantara (١) ونشات فى البرتغال عام ١١٧٦م ، اجناد يابرة La Milicia de Alcántara التى اندمجت بعد احدى عشرة سنة فى جماعة قلعة رباح .

وفى عام (١٢٦١م) قامت فى غليسية جماعة دينية جديدة هى جماعة القديس ياقب Orden de Santiago (٢) ، انشاها مجموعة من قطاع الطرق وعظهم رجال الدين ونصحوهم بالعمل الصالح الجاد ، وكان اول رئيس لهذه الجماعة هو الفارس «بيدروفرناندیس» Pedro Fernández الذى اباح لاعضاء جماعته الزواج ، وقد وصلنا مخطوط مصور عن تاريخ نظام فرسان شنت ياقب Santiago ، اعده بدرو دى اوروثكو وخوان دى لابارا فى سنة ٨٩٤هـ (١٤٨٨م) قبل سقوط غرناطة ، وفى القسم الاول من المخطوط مجموعة من البراءات البابوية ارسلها البابوات تعبيرا عن قبولهم لنظام فرسان شانت ياقب ، وتبدأ بترجمة قشتالية من البراءة الاولى التى ارسلها البابا الكسندر الثالث عام ٥٧١هـ (١١٧٥م) ، والقسم الاول من تاريخ نظام فرسان شنت ياقب افرد لحياة ومعجزات شنت ياقب الكبير قطب اسبانيا ، ويتالف من

---

(١) Martinez y Martinez, op. cit. p. 275.
ومن الجدير بالذكر ان الطابع القومى لهذه الجماعات واضح للغاية ، فجماعة فرسان قلعة رباح قشتالية ، والقنطرة ليونية ، ويابرة برتغالية .

(٢) كانت تعرف عند نشأتها بجماعة قاصرش ، حيث نشأت بادىء ذى بدء فى عام ٥٦٧هـ (١١٧١م) عقب انتصار فرناندو الثانى على جراندة الجليقى (جير الدوسمبافور) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثمان فصول ، والثانى من ٢٢ فصلا تتضمن موجزا عن قواعد هـذه الجماعة ، أما القسم الثالث فيشتمل على ٤٠ فصلا ، خصص كل فصـل منها لترجمة رئيس واحد من رؤساء الجماعة (١) .

وكما ذكرنا فان الطابع القومى لهذه الجماعات واضح للغاية فجماعة قلعة رباح قشتالية ، والقنطرة ليونية ، ويابرة برتغالية .

وقد ذكرت بعض الروايات النصرانية ان الفونسو انريكث (٢) قـد انشا فى عام ٥٦٣هـ (١١٦٧م) جماعـة القديس ميخائيل المجنـح San Michael del Alaلانه راى اثناء موقعة شنترين ذراعا يتقلد سيفا ، انقذه من الهزيمة بمعجزة مما دفعه الى القول بأن هذا الذراع كان ذراع قديس (٣) .

ولعل هذه الجماعات الدينية قد صبغت حروب النصارى ضد المسلمين المعروفة بالاسترداد La Reconquista بصبغة دينية صليبية بحتة ، فكانه كانت هناك حرب صليبية بالشام وحرب صليبية فى اسبانيا انتهت بسقوط دولة الاسلام فى الاندلس .

---

(١) لمزيد من التفاصيل عن تاريخ جماعة فرسان شنت ياقب انظر
Primera Historia de la Orden de Santiago (Manuscrito del siglo xv) : introducción, notas y apéndice del Marquts de Siete Iglesias, Badajoz, 1978, p. xvl).

(٢) وكان قد دعا الى مملكته الداوية والاسبتارية وتمكن بمساعدتهم من الاستيلاء على شنترين
(Aguado Bleye, op. cit. p. 659).

(٣) يوسف اشباخ ، تاريخ الاندلس ، ص ٢٧٠ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ملحـق ٢

رسالة من عمر المتوكل على الله ابن الافطس
امير بطليـوس
الى امير المسلمين يوسف بن تاشفين (١)

«لما كان نور الهدى ، ايدك الله ، دليلك ، وسبيل الخير سبيلك ، ووضحت فى الصلاح معالمك ، ووقفت على الجهاد عزائمك ، وصح العلم بانك لدعوة الاسلام اعز ناصر ، وعلى غزو الشرك اقدر قادر ، وجب ان تستدعى لما اعضل الداء ، وتستغاث لما احاط بالجزيرة من البلاء ، فقد كانت طوائف العدو المطيف بانحائها اهلكهم الله عند افراط تسلطها واعتدائها ، وشدة كلبها واستشرائها ، تلاطف بالاحتيال وتستنزل بالاموال ويخرج لها عن كل ذخيرة وتسترضى بكل خطيرة ، ولم يزل دابها التشطط والعناد ، ودابنا الانقياد ، حتى نفذ الطارق والتلاد ، واتى على الظاهر والباطن النفاذ ، وايقنوا الآن بضعف المنن ، وقويت اطماعهم فى افتتاح المدن ، واضطرمت فى كل جهة نارهم ورويت من دماء المسلمين اسنتهم وشفارهم ، ومن اخطاه القتل منهم فانما هم بايديهم اسارا وسبابا يمتحنونهم بانواع المحن والبلايا ، وقد هموا بما ارادوه من التوثب واشرفوا على ما املوه من التغلب فيالله ويالله للمسلمين : ايسطو هكذا بالحق الافك ، ويغلب التوحيد الشرك ، ويظهر على الايمان الفكر ، ولا يكشف هذه البلية النصر ، الا ناصر لهذا الدين المهتضم ؟ الا حامى لما استبيح من الحرم ؟ وانا لله على ما لحق عرشه من ثل ، وعزه من ذل ، فانها الرزية التى ليس فيها عزاء ، والبلية التى ليس لمثلها بلاء ، ومن قبل هذا ماكنت خاطبتك ، اعزك الله ، بالنازلة فى مدينة قورية ، اعادها

---

(١) الحلل الموشية ص ٣٤ - ٣٦ ، مجموعات وثائقية دورية تصدرها مديرية الوثائق الملكية بالمغرب ، المجموعة الاولى ١٩٧٦ ، الرباط ص ١٨٧ ، ١٨٨ .

الله ، وانها مؤذنة للجزيرة بالخلا ، ومن فيها من المسلمين بالجلا ثم مازال ذلك التخاذل يتزايد ، والتدابر يتساند ، حتى تخلصت القضية وتضاعفت البلية ، وتحصلت فى يد العدو مدينة سرية وعليها قلعة تجاوزت حد القلاع ، فى الحصانة والامتناع ، وهى من المدينة كنقطة الدائرة وواسطة القلادة تدركها من جميع نواحيها ، ويستوى فى الارض بها قاصيها ودانيها ، وماهو الا نفس خافت وزمر داهق ، استولى عليه عدو مشرك ، وطاغية منافق ، أن لم تبادروا بجماعتكم عجالا وتتداركوها ركبانا ورجالا وتنفروا نحوها خفافا وثقالا ، وما اخصكم على الجهاد بما فى كتاب الله ، فانكم له اتلى ، ولاسما فى حديث رسول الله ﷺ ، فانكم الى معرفته اهدى ، وكتابى اليكم هذا يحمله الشيخ الفقيه الواعظ ، يفصلها ويشرحها ومشتمل على نكتة هو يبينها ويوضحها ، فانه لما توجه نحوك احتسابا وتكلف المشقة اليك طالبا ثوابا ، عولت على بيانه ووثقت بفصاحة لسانه ، والسلام » .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ملحـق ٣

رسالة من عمر المتوكل على الله ابن الافطس
امير بطليوس الى الفونسو السادس ملك قشتالة (١)

« وصل الينا من عظيم الروم كتاب مدع فى المقادير ، واحكام العزيز القدير يرعد ويبرق ، ويجمع تارة ثم يفرق ويهدد بجنوده الوافرة ، واحواله المتضافرة ، ولو علم ان لله جنودا أعز بهم كلمة الاسلام ، واظهر بهم دين نبينا محمد عليه السلام ،اعزة على الكافرين ،يجاهدون فىسبيل الله ولايخافون ، بالتقوى يعرفون ،وفى التوبة يتصرفون ، ولئن لمعت من خلف الروم بارقة فباذن الله ، وليعلم المؤمنين وليميز الله الخبيث من الطيب ويعلم المنافقين .

واما تعييرك للمسلمين بما وهى من احوالهم ، وظهر من اختلالهم فالذنوب المركوبة والفرك المكتوبة ، ولو اتفقت كلمتنا مع سائرنا من الاملاك ، لعلمت اى صاب اذقناك ، كما كانت آباؤك من آبائنا تتجرعه فلم نزل نذيقها من الحمام وضروب الآلام ، شر ماتراه وتسمعه ، واما المال تتوزعه ، فبالامس كانت قطيعة المنصور على سلفك اهداء ابنته اليه مع الذخائر التى كانت تفد فى كل عام عليه ، واما نحن وان قلت اعدادنا ، وعدم من المخلوقين استمدادنا ، فما بيننا وبينك بحر نخوضه ، ولاصعب نروضه الا سيوفا شهد بحدتها رقاب قومك ، وجلادا تبصره فى ليلك ويومك .

وبالله تعالى وملائكته المسومين ، نتقوى عليك ونستعين ، ليس لنا سوى الله مطلب ولا لنا الى غيره مهرب ، وما تتربصون بنا الا احدى الحسنيين : نصر عليكم فيالها من نعمة ومنة ، او شهادة فى سبيل الله فيالها من جنة ، وفى الله العوض مما به هددت ، وفرج يبتر ما مددت ويقطع بك فيما اعددت » .

---

(١) الحلل الموشية ، ص ٣٦ ، ٣٧ ، وانظر مجموعات وثائقية ص ١٧٠ ، ١٧١ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ملحـــق ٤

اهم الاعلام الجغرافية الواردة فى الرسالة

باللغتين العربية والاسبانية

Ubeda	ابدة (وبذة)
Ebro	ابره (نهر)
Abtir	ابطير (حصن)
Oviedo	ابيط
Exitania (Idanha)	اجدانبـة
Castillo de Lares	الارش (حصن)
Alarcos	الارك
Arcos	اركش
Arun	ارندة
Astorga	استرقة
Esparragosa	اشبر غوزة (جبل)
Sevilla	اشبيلية
Lisboa	الاشبونة
Fraga	افراغة
Uclés	اقليش
Ocsonoba	اكشونبة
Elvas	البش
Alava	البسة
Amaya	امايا (جبل)
Magazela	ام غزالة (حصن)
Encinar	انسين
Idanha - a - velha	انطاطة (حصن)
Andujar	اندوجر
Oreto	اوريطا
Beja	باجـة
Viseo	بازو (بيزيو)

Palva	بالفــة
Porto	برتقال
Burgos	برغش
Pedraja	بطريشة
Viguera	بقيرة (حصن)
Velillos	بلابيش (حصن)
Valada	بلاطة (فحص)
Belinchon	بلشون (حصن)
Valtierra	بلتيرة (حصن)
Palmela	بلمالة (حصن)
Valladolid	بلد الوليــد
Albelda	البلدة (قلعة)
Tajo	تاجة (نهر)
Tacorona	تاكرنا
Trujillo	ترجالة (تزجلة)
Sierra de Almáden	جبل المعدن
Gibraléon	جبال العيون
Jerez de los Caballeros	جريشة
Guernica	جرنيق
Jurumenha	جلمانية
Jaen	جيــان
Alanje	حصن الحنش
Aznalcázar	حصن القصر
Iznalloz	حصن اللوز
Azuaga	حصن زواغة
Zacatan	حصن سكتان
Aznalfarache	حصن الفرج
Cardela	حصن قرذيره
Marvão	حصن مروان
Almadá	حصن المعدن

Aljucén:	الحصين
Duero	دويره (نهر)
Ronda	رنـــده
Rueda	روطـــة (حصن)
Azagalã	الزجالة (حصن)
Sagrajas	الزلاقة (فحص)
Ginetã	زناتـــة
Giudad Rodrigo	السبطاط
Sever	سبير (نهر)
Zaragoza	سرقسطة
Soria	سرية
Zorita	سرتة
Zamora	سمورة
Medina Sidonia	شذونة
Aljarafe	الشرف
Jerez	شريش
Jerez de los Caballeros	شريشة
Setubal	شطوير (نهر)
Segura	شلقورة (نهر)
Silves:	شلب
Salvatierra	شلبطرة
Saltés	شلطيش
Salamanca	شلمنقـــة
Sanlucar	شلوقة
Santa Cruz de la sierra	شنت اقروج (حصن)
Santa maria de Algarve	شنت برية الغرب
Santaver	شنت برية
Santarem	شنترين
Cintra	شنترة
Santiago de compostela	شنت ياقب

Serpa	شيربة (حصن)
Covadonga	الصخرة
Castillo de la peña	صخرة أبى حسان (حصن)
Safarez	صفرة
Tavira	طبيرة
Torres Novas	طرش
Tarragona	طركونة
Talavera	طلبيرة
Triana	طريانة
Toledo	طليطلة
Tablada	طلياطه
Toucanique	طوطالقه
Tomar	طمان
Las Navas de Tolosa	العقاب (حصن)
Albacar	عقبة البقر
Granada	غرناطة
Vez de Marbán	فحص مروان
Valle de los pedroches	فحص البلوط
Alfajar	الفخـار
Hornachuelos	فرنجولش
Cadiz	قادس
San Estéban de Gormaz	غرماج (حصن)
Castro Muros	قاشتره مورش
Cáceres	قاصرش
Caia	قاية
Carmona	قرمونة
Cacella	قسطلة الغرب
Alcaçer do sal	قصر أبى دانس
Coimbra	قلمرية
Calatrava	قلعة رباح

Caliosa	قليوشة
Canales	قنالش
Alcántara	قنطرة السيف
Cantich	قنتيش
Cuenca	قونكة
Coria	قوريـة
Albuquerque	كركر (حصن)
Lerida	لاردة
Niebla	لبلة
Castillo Logrosán	لقرشان (حصن)
Fuente de.cantos	لقنت
Lamego	لميق
Lanchach	لنشاش (حصن)
Lobón	ليبون (حصن)
Mertola	مارتلة (مرتلة)
Merida	ماردة
Madrid	مجريط
Medellin	مدلين
Almodovar	المدور
Medinaceli	مدينة سالم
Majorrocal	مرج الرقاد
Murviedro	مربيطر
Almeria	المرية
Mestanza	مسطاسة
Maguilla	مغيلة
Mudonia	مطونية
Malagón	ملقون
Mequineza	مكناسة الاصنام
Montánchez	منتانجش
Monsalud	منت شلوط

Mentesa	منتيشة
Montemor O Velho	مُنت ميور
Mondego	منديق (نهر)
Miño	منيه (نهر)
Moura	مورة
Moron	مورور
Muros	مورش (حصن)
Nepza	نفزة
Nogales	نقالش
Osma	وشمة
Guadiana	واديانة (نهر)
Guadalajara	وادى الحجارة
Junquera	وادى خنقيرة
Guadalupe	وادى لب (جبل)
Evora	يابرة
Elvas	يلبش

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قائمـــة المصـادر والمراجـع

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اولا - المصادر العربيـــة

(١) المخطـوطات العربيـة

ابن فضل الله العمرى (شهاب الدين احمد) : مسالك الابصار فى ممالك الامصار ، الجزء التاسع ، نسخة مصورة محفوظة بمكتبة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية فى مدريد ،تحت رقم٢٠

الشاطبى المغربى (محمد بن على) : « عقود الجمان فى مختصر اخبار الزمان » ميكروفيلـم ، محفوظ بمكتبة البحـث العلمى بجامعة أم القرى بمكة المكرمة .

مجهـــول « تاريخ مدينة فاس وبناء جامـع القرويين ، وجغرافيـة الاندلس ومصر والشام والحجاز » ، ميكروفيلم محفـوظ بمكتبة البحث العلمى بجامعة أم القرى ، رقم ٥٣٠

مجهـــول « ذكر بلاد الاندلس وفضلها وصفتها وذكر اصقاعها » نسخة مصورة محفوظة بمكتبة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمدريد تحت رقم ٢٦ (وقد حققها مؤخرا الاستاذ لويس مولينا Luis Molina وصدرت فى مدريد ١٩٨٣) .

النويـرى (شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب) « نهاية الارب فى فنون الادب » ، المجلد ٢٢ ، نسخة مصورة محفوظـة بمكتبة كلية الآداب جامعة الاسكندريـة (وقـد حققت مؤخرا وصدرت فى الهيئة العامة للكتاب) .

(٢) المصـادر العربية المحققة

الادريسى (الشريف ابو عبـد الله محمد) : « صفة المغرب وارض السودان ومصر والاندلس » ، ماخوذة من كتاب نزهـة المشتاق فى اختراق الآفاق تحقيـق دوزى ودى غويه ،

ليدن ١٩٦٨ (مصورة عن النسخة الاصلية) ونسخة مصورة عن القسم الخاص بالاندلس صدرت بعنوان :
Idrisi, geografia de España, Valencia, 1974).

ابن الآبار (ابو عبيد الله محمد القضاعى) : « كتاب التكملة لكتاب الصلة » ، تحقيق كوديرة ، مدريد ، ١٨٨٦ .

« « : « المعجم فى اصحاب القاضى الامام ابى على الصدفى » ، مدريد ، ١٨٨٥ .

« « : « الحلة السيراء » ، تحقيق الدكتور حسين مؤنس ، القاهرة ١٩٦٣

ابن الاثير (على بن احمد الملقب بعز الدين) : « الكامل فى التاريخ » طبعة بيروت ١٩٦٥ ، وهى مصورة عن طبعة ليدن ، ١٨٦٥ .

« « « (مجد الدين) : « المرصع فى الآباء والامهات والبنين والبنات » ، تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائى ، بغداد ١٩٧١ .

ابن ابى اصيبعة (موفق الدين ابى العباس احمد بن القاسم الخزرجى) : « عيون الانباء فى طبقات الاطباء » ، نشر وتحقيق الدكتور نزار رضا ، بيروت ، ١٩٦٥ .

ابن ابى زرع (ابو الحسن على بن عبد الله الفاسى) : « كتاب الانيس المطرب روض القرطاس فى اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس » تحقيق تورنبرج ، أو بسالة ١٨٤٣

« « « « المخيزة السنية فى تاريخ الدولة المرينية » نشر دار المنصور الرباط ، ١٩٧٢ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ابن بسام (ابو الحسن على الشنتريني) : كتاب الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة » ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، اربعة اقسام فى ثمان مجلدات ، بيروت ١٩٧٩ .

ابن بشكوال (ابو القاسم خلف بن عبد الله) : كتاب الصلة فى تاريخ ائمة الاندلس » مجموعة تراثنا ، نشر الدار المصرية للتاليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٦ .

ابن جلجل (ابو داود سليمان بن حسان) : « طبقات الأطباء والحكماء » تحقيق الاستاذ فؤاد السيد ، القاهرة ، ١٩٥٥

ابن حزم (ابو محمد على بن احمد بن سعيد) : « جمهرة انساب العرب » تحقيق الاستاذ ليفى بروفنسال ، القاهرة ١٩٦٢

» « « نقط العروس » تحقيق الدكتور شوقى ضيف ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ١٩٥١ ، والنسخة القديمة التى حققها سيبولد وترجمها الى الاسبانية لويس سيكو دى لوثينا ، صدرت ببلنسية ، ١٩٧٤ .

ابن حوقل النصيبى (ابو القاسم محمد بن على) : « كتاب صورة الارض » ، نشر دار الحياة ، بيروت ، ١٩٦٣

ابن حيان (ابو مروان حيان بن خلف بن حيان القرطبى) : «كتاب المقتبس من انباء اهل الاندلس » ، اربع قطع :

منها قطعة خاصة بعهد الامير عبد الله ، نشرها لاب ملشور انطونية ، وصدرت فى باريس ١٩٣٧ ، وقطعة خاصة بالسنوات الاخيرة من عهد عبد الرحمن الاوسط وعهد الامير محمد بن عبد الرحمن ، حققها الدكتور محمود على مكى مع دراسات وتعليقات وصدرت فى بيروت

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١٩٧٣ . وقطعة خاصة بالسنين الثلاثين الاولى من عهد عبد الرحمن الناصر ، نشرها بدور شالميتا وكورينطى ومحمود صبح ، مدريد ١٩٧٩ ، وقطعة خاصة بالحكم المستنصر نشرها د. عبد الرحمن الحجى ، بيروت ١٩٦٥

ابن خاقان (ابو نصر الفتح بن محمد بن عبد الله القيسى) : « قلائد العقيان » القاهرة ، ١٣٢٠هـ .

ابن الخطيب (لسان الدين ابو عبد الله محمد) : « كتاب اعمال الاعلام» ، تحقيق ليفى بروفنسال بيروت ، ١٩٥٦ .

ابن الخطيب : « الاحاطة فى اخبار غرناطة » ، تحقيق الاستاذ محمد عبد الله عنان ، ٤ مجلدات ، القاهرة ، ١٩٧٥ .

ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) : « كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر » ، المقدمة طبعة المكتبة التجارية ، القاهرة بدون تاريخ ، والجزآن الرابع والسادس طبعة بيروت ، ١٩٦٨

ابن خلكان (شمس الدين ابو العباس احمد ابن محمد) : « وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان » ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، ٨ مجلدات دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧١

ابن دراج القسطلى : ديوان ابن دراج القسطلى ، نشر وتحقيق الدكتور محمود على مكى ، دمشق ١٩٦١ .

ابن سعيد المغربى (على بن موسى) : « المغرب فى حلى المغرب » ، تحقيق الدكتور شوقى ضيف ، جزآن ، القاهرة ، ١٩٥٣

» « » « رايات المبرزين وغايات المميزين » ، تحقيق الدكتور النعمان عبد المتعال القاضى ، القاهرة ١٩٧٣ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ابن سماك العاملى (ابو القاسم محمد بن ابى العلاء محمد) : « الزهرات المنثورة فى نكت الاخبار المأثورة » تقديم وتحقيق الدكتور محمود على مكى مجلة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية فى مدريد ، المجلد العشرون ، ١٩٧٩ - ١٩٨٠ .

« « « (ابو عبد الله بن ابى العلاء) : « الحلل الموشية فى ذكر الاخبار المراكشية » ، تحقيق الدكتور سهيل زكار ، والاستاذ عبد القادر زمامه ، الدار البيضاء ، ١٩٧٩ .

ابن صاحب الصلاة (عبد الملك محمد بن احمد الباجى) : « تاريخ المن بالامامة على المستضعفين بأن جعلهم الله ائمة وجعلهم الوارثين » تحقيق عبد الهادى التازى ، بيروت ، ١٩٦٤

ابن عذارى المراكشى (ابو عبد الله محمد) : « البيان المغرب فى اخبار الاندلس والمغرب ٤ أجزاء تنتهى بنهاية عصر دولة المرابطين فى المغرب والاندلس ، نشر دار الثقافة ببيروت والقسم الثالث بدولة الموحدين ، تحقيق امبروسيو اويني ميراندا ومحمد بن تاويت ومحمد ابراهيم الكتانى ، مطبوعات كلية الآداب ، جامعة الملك محمد الخامس ، تطوان ، ١٩٦٣ .

ابن غالب (محمد بن ايوب الاندلسى) : قطعة من كتاب فرحة الانفس، نشرها الدكتور احمد لطفى عبد البديع ، مجلة معهد المخطوطات العربية القاهرة ، ١٩٥٦

ابن الفرضى (ابو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف) : « تاريخ علماء الاندلس» تحقيق فرنثيسكو كوديره ، جزان ، مدريد ١٨٩١ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ابن القطان (أبو الحسن على بن محمد بن محمد بن عبد الملك الكتامى الفاسى). قطعة من كتاب نظم الجمان ، تحقيق الدكتور محمود على مكى ، منشورات كلية الآداب جامعة محمد الخامس بالرباط ، تطوان (بدون تاريخ) .

ابن القوطية (أبو بكر محمد القرطبى) « تاريخ افتتاح الاندلس » نشرة خليان ريبيرا ، مدريد ، ١٩٢٦ .

ابن كثير الدمشقى (عماد الدين اسماعيل) « البداية والنهاية » ، بيروت ، ١٩٦٦ .

ابن الكردبوس (ابو مروان عبد الملك التوزرى) : « تاريخ الاندلس » وهو قطعة من كتاب الاكتفاء فى اخبار الخلفاء ، تحقيق الدكتور مختار العبادى ، مطبوعات المعهد المصرى للدراسات الاسلامية مدريد ، ١٩٧١ .

ابن مرزوق (محمد التلمسانى) : « المسند الصحيح الحسن فى مآثر مولانا الحسن » ، تحقيق ماريا خيسوس بيغيرا ، ومحمود بوعياد ، الجزائر ، ١٩٨١ .

البكرى (أبو عبد الله بن عبد العزيز) : « جغرافية الاندلس واوروبا من كتاب المسالك والممالك » تحقيق الدكتور عبد الرحمن الحجى ، بيروت ١٩٦٨ .

البيذق (أبو بكر بن على الصنهاجى) : « كتاب اخبار المهدى بن تومرت » تقديم وتحقيق وتعليق عبد الحميد حاجيات ، الجزائر ، ١٩٧٤ .

الحميدى (أبو عبد الله محمد بن فتوح) : « جذوة المقتبس فى ذكر رجال الاندلس » ، نشر الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ١٩٦٦

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الحميرى (ابو عبد الله محمد بن عبد المنعم) : « صفة جزيرة الاندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار فى خبر الاقطار »، تحقيق ليفى بروفنسال ، القاهرة ، ١٩٣٧ .

الرازى (احمد بن محمد) وصف الاندلس من خلال الترجمة الفرنسية للنسخة البرتغالية المنقحة الصادرة فى لشبونة ١٩٥٢ ، وقد عنى بهذه الترجمة الفرنسية الاستاذ ليفى بروفنسال فصدرت فى مجلة الاندلس بعنوان :

La Description de l'Espagne (d'Ahmad al - Razi, al Andalus, vol. XXIII, fasc. I, 1953 (PP. 51 - 109)

La «Cronica do Mouro Rasis» y el «Ajbar Muluk al - « «

Andalus», de Ahmad ibn Muhammad al - Razi, ed. Diego Catalan y Maria soledad de Andres, y otros collaboradores, Madrid, 1975.

الضبى (احمد بن يحى بن احمد بن عميرة) بغية الملتمس فى تاريخ رجال اهل الاندلس ، نشره كوديره وريبيرا ، مدريد ١٨٨٤ .

عبد الله الزيرى (عبد الله بلقين بن باديس بن حبوس) « مذكرات الامير عبد الله آخر ملوك بنى زيرى بغرناطة ، المسماة بكتاب التبيان » نشر وتحقيق ليفى بروفنسال ، باريس، ١٩٥٥ .

العذرى (احمد بن عمر بن انس المعروف بابن الدلائى) : « ترصيع الاخبار وتنويع الآثار ، والبستان فى غرائب البلدان والمسالك الى الممالك » ، تحقيق الدكتور عبد العزيز الاهوانى ، مدريد ، ١٩٦٥ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

القزويني (زكريا بن محمد) : « آثار البلاد واخبار العباد » ـ ١٨٤٨ .

القفطي (جمال الدين ابي الحسن علي بن يوسف) : « الحكماء» ، تحقيق Julius Lippert ليبزج ،

مجموعة رسائل موحدية من كتاب الدولة المؤ نشرها ليفي بروفنسال الرباط ، ١٩٤١ .

« « مجموعات وثائقية دورية تصدرها مديرية الوثائق بالمغرب ، المجموعة الاولى ، الرباط ١٩٧٦ .

مجهول : اخبار مجموعة في تاريخ الاندلس ، نشره القنطرة ، في مجموعة Obras arábigas ، **مدريد** ،

« مدونة من عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين نشرها وقام بدراستها وترجمتها الى الاسبانية الا ليفي بروفنسال وغرسية غومس بعنوان :

rónica anònima de Abd al - Rahman III al - Nasir, l - Granada, 1950.

مجهول : « نبذ تاريخية من كتاب مفاخر البربر » ، تحقيق بروفنسال ، الرباط ١٩٣٤ .

المراكشي (عبد الواحد بن علي) : المعجب في تلخيص اخبار ا نشره الاستاذان محمد سعيد العريان ، ومحمد العلمي ، القاهرة ، ١٩٤٩ .

المقري (احمد بن محمد التلمساني) « نفح الطيب من غصن الرطيب » ، تحقيق الاستاذ محيي الدين عبد (الاجزاء الستة الاولى) القاهرة ، ١٩٤٩ .

النباهى (ابو الحسن بن عبد الله بن الحسن المالقى) « تاريخ قضاة الاندلس المسمى كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا » (نسخة مصورة من النسخة التى حققها ليفى بروفنسال وصورت بالقاهرة فى ١٩٤٨) .

الونشريشى (ابو العباس احمد بن يحى محمد التلمسانى) : « اسنى المتاجر فى بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر » ، نشره الدكتور حسين مؤنس ، صحيفة المعهد المصرى بمدريد ، المجلد الخامس مدريد ، ١٩٥٧ .

ثانيا : المصادر الاسبانية

,jso Henrique Florez, España Sagrada, t. XIV, Madrid, M Dcc

1 — Chronicon Lusitanum, pp. 402 - 419.

2 — Chronicon de Sampiro obispo de Astorga, pp. 419-457.

3 — Chronicon del obispo de Oviedo D. Pelayo, pp. 458 - 475.

-a Crónica General de España, II tomo de la tercera reimpresión, editada por Ramon Menendez pidal con un estudio de Diego Catalan, Mardrid, 1977.

a historia de la orden de Santiago (Manuscrito del siglo XV; introduccion, notas y apéndice del Marques de Siete Iglesias, Badajoz, 1978.

mentos transcritos en los apéndices de :

Matias Ramón Martinez y Martinez, Historia del reino de Badajoz, 1904.

1 — Apéndice V : conquista de Coria por Alfonso VII

2 — Apéndice XXV : donacion de varios bienes en Merida a la orden de Alcántara, en el año 1230

3 — Apendice XXVLLL : Donación de Montanchez a la orden de Santiago, en el año 1230.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثالثا - المراجع العربية الحديثة والمعربة

ابو الفضل (دكتور محمد احمد) : شرق الاندلس فى ظل الدولة الموحدية ، رسالة دكتوراه ، نوقشت فى جامعة الاسكندرية فى اكتوبر ١٩٨٠ .

اشباخ (جوزيف) : تاريخ الاندلس فى عهد المرابطين والموحدين ، ترجمة الاستاذ محمد عبد الله عنان ، القاهرة ، ١٩٥٨

جمال الدين (دكتور عبد الله) ابو مروان بن حيان اميرمؤرخى الاندلس ، منزلته وكتبه ومنهجه التاريخى ومصادره ، مجلة اوراق ، العدد الثانى ، مدريد ١٩٧٩

جنثالث بالنثيا (آنخل) : تاريخ الفكر الاندلسى ، ترجمة دكتور حسين مؤنس ، القاهرة ١٩٥٥

جومث موريتو (مانويل) : الفن الاسلامى فى اسبانيا منذ الفتح العربى حتى عصر المرابطين ، ترجمة الدكتور لطفى عبد البديع ، والدكتور السيد عبد العزيز سالم ، القاهرة ١٩٥٩

الحريرى (دكتور محمد عيسى) : عمر بن حفصون ، زعيم المولدين فى الجنوب الاندلسى ، الطبعة الاولى ، القاهرة ١٩٨٣

سالم (دكتور السيد عبد العزيز) : تحقيق اسماء قصور بنى عباد باشبيلية الواردة فى شعر ابن زيدون مجلة اوراق ، العدد الثانى ، مدريد ١٩٧٩

« تاريخ المغرب الكبير ، الجزء الثانى : العصر الاسلامى ، دراسة تاريخية وعمرانية واثرية ، بيروت ، ١٩٨١ .

« التاريخ والمؤرخون العرب ، الاسكندرية ، ١٩٨١ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سالم (دكتور السيد عبد العزيز) بطليوس ، دائرة المعارف الشعب ، عدد ٦١ ، القاهرة ، ١٩٥٨ .

« تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس ، الاسكندرية ، ١٩٨٣ .

« قرطبة حاضرة الخلافة فى الاندلس ، جزآن ، بيروت ، ١٩٧١ .

« تاريخ مدينة المرية الاسلامية قاعدة اسطول الاندلس ، بيروت ١٩٦٩ .

« اضواء على مشكلة تاريخ بناء اسوار اشبيلية مجلة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمدريد ، عدد ١٨ ، ١٩٧٥ .

« حول رفع الالوية السوداء فى المغرب والاندلس ندوة التاريخ الوسيط ، المجلد الثانى ، القاهرة ، ١٩٨٣ ص ٤٩ - ٨٣ .

« واحمد مختار العبادى : تاريخ البحرية الاسلامية فى حوض البحر المتوسط الجزء الثانى البحرية الاسلامية فى المغرب والاندلس ، الاسكندرية ، ١٩٨٢ .

« (سحر السيد عبد العزيز) : للحقيقة والتاريخ ، مجلة أكتوبر يونيو ١٩٨٤ العدد ٤٠٠ .

الشيال (دكتور جمال الدين) : التاريخ الاسلامى واثره فى الفكر التاريخى الاوروبى فى عصر النهضة ، بيروت ، ١٩٦٩ .

العبادى (دكتور احمد مختار) : فى تاريخ المغرب والاندلس ، بيروت ١٩٧٢ .

« دراسة حول كتاب الحلل الموشية ، مجلة تطوان ، العدد الخامس ، ١٩٦٠

« تاريخ البحرية الاسلامية فى المغرب والاندلس ، الاسكندرية ، ١٩٨٢ .

الحجي (دكتور عبد الرحمن علي) اندلسيات ، المجموعة الثانية ، دار الارشاد بيروت ، ١٩٦٩ .

« التاريخ الاندلسي من الفتح الاسلامي حتى سقوط غرناطة ٩٢ - ٨٩٧هـ ، دمشق ، ١٩٧٦ م .

عزت قاسم تاريخ مرسية الاسلامية منذ انشائها حتى استيلاء المرابطين عليها ، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الاداب ، جامعة الاسكندرية ، ١٩٨٤ .

علام (دكتور عبد الله) الدولة الموحدية في المغرب ، القاهرة

عنان (الاستاذ محمد عبد الله) دولة الاسلام في الاندلس ، العصر الاول ، القسم الاول بعد الفتح الى بداية عصر الخلافة ، القاهرة ١٩٦٩ القسم الثاني : الخلافة الاموية والدولة العامرية ، القاهرة ١٩٦٩ .

« دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي ، القاهرة ، ١٩٦١ .

« عصر المرابطين والموحدين في المغرب والاندلس القسم الاول عصر المرابطين وبداية الدولة الموحدية ، القاهرة ، ١٩٦٤ .

« عصر المرابطين والموحدين في المغرب والاندلس ، القسم الثاني، عصر الموحدين وانهيار الاندلس الكبرى ، القاهرة ، ١٩٦٤ .

« : الآثار الاندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال ، دراسة تاريخية اثرية القاهرة ، ١٩٦١ .

« مواقف حاسمة في تاريخ الاسلام ، القاهرة ، ١٩٦٢ .

ليفى بروفنسال : الاسلام فى المغرب والاندلس ، سلسلة الف كتاب ،رقم٨٥
ترجمة د٠ السيد عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمى ، القاهرة ، ١٩٥٨ ٠

مؤنس (دكتور حسين) : معالم تاريخ المغرب والاندلس ، الاسكندرية ١٩٨٣ ٠

« « تاريخ الجغرافية والجغرافيين ، مدريد ١٩٦٧ ٠

« « فجر الاندلس ، القاهرة ، ١٩٥٩ ٠

محمود (دكتور حسن احمد) : قيام دولة المرابطين : صفحة مشرفة من تاريخ المغرب فى العصور الوسطى ، القاهرة ، ١٩٥٧ ٠

مكى (دكتور محمود على) مدريد العربية المؤسسة المصرية العامة للتاليف والنشر ، القاهرة (بدون تاريخ) ٠

رابعا : المراجع الاوربية الحديثة

Albarran (Manuel Torron); el solar de los Aftasiés.

» La sierra de Tornado; Badajoz, 1953.

Alonso, (Sanchez) : Histoira de la historiografía española, Madrid; 1947.

de las Cagigas (Isidro) : Los Mozárabes, t. I, Madrid, 1947.

» » : Andalucia musulmana, Madrid, 1950.

Castejón (Rafael) : Cordaba califal, Boletin de le Real Academia de Bellas Artes de Córdoba, Cordoba, 1929.

Castro (A.) : Acerca del nombre de Badajoz, Revista española, t. XII, 1926.

Codera (Francisco) : los Benimeruan en Mérida y Badajoz colección Estudios criticos de historia árabe Española, Madrid. 1917. (PP. 1 - 75).

» » Decadencia y desaparición de los Almorávides en España, Zaragoza, 1899.

Conde (Jose Antonio) : Historia de la dominacion de los Arabes en España, 3 vols. Madrid, 1820 - 1821.

Delgado (Rodrigo dosma) : Discursos pátrios de la real ciuded de Badajoz, Badajoz, 1870.

Dozy (R.) : Histoire des Musulmans d'Espagne, ed. Lévi - Provençal, 3 vols, Leiden, 1932.

Fernández (Aviles) y otros : España musulmana, serie nueva, historia de España, Madrid, 1980.

» » los reinos Cristianos en la alta edad media, 1980

» » (Luis Suárez) : Historia de España, Madrid, 1977

» » Historia de España, edad media, Madrid, 1987.

Ferrandis (Jose) : Marfiles arabes de Occidente, 2 tomos, Madrid, 1932.

de Figueroa (Diego Suarez) : historia de la ciudad de Badajoz, Badajoz, 1976.

Florez (F. Henrique) : España sagrada, t. XIV, Madrid, dccc.

Garcia Gomez (Emilio) : A proposito de ibn Hayyan, al - Andalus, vol. XI, fasc. 2, 1946.

» » Algunas precisiones sobre la ruina de la Córdoba omeya, al - Andalus, vol. XII, 1947.

Garcia Gómez : Un supuesto sepulcro de Motamid de Sevilla en Agmat, al - Andalus, vol. XVII, 1953.

Garcia y Bellido (Antonio) : la España del siglo primero de nuestra era, según p. mela y Plinio, Madrid, 1947.

Grimbero (carl) : Historia universal, t. IV, la edad media, Madrid, 1973.

Gujarra (Claudio Galindo) : Historia de España, t. II, Barcelona, 1935.

Lacarra (Jose Maria) : Alfonso el Batallader, Zaragoza, 1972

Lévi - Provençal (E.) Histoire de l'Espagne musulmane, 2 tomes, Paris, 1950 - 1951.

» » Inscriptions arabes d'Espagne, 2 tomes, Paris, 1931.

» » L'Espagne musulmane au x e siecle, Paris, 1932.

» » La description de l'Espagne d'Ahmad al - Razi, al - Andalus, vol XVIII, 1953.

» » & Garcia Gomez, oliver Asin : Novedades sobre la batalla llamada al - Zalaca, al - Andalus, vol XV, 1950.

Lovillo (Jose Guerrero) : al Qasr al - Mubarak, Boletin de la Real Academia de Bellas Artes de Sevilla, Sevilla, 1974.

Madoz (Pascual) : Diccionario geográfico - histórico de España y sus posesiones de ultramar, t. III, Madrid, 1846.

Marçais (Georges) : L'Architecture musulmane d'Occident, Paris, 1954.

Martin (Jose Luis) : La Peninsula en la Edad Media, Barcelona, 1980

» Historia de España;, reinos cristianos y Musulmanes (siglos xl - xlll) Madrid, Diciembre 1980.

» & Carmen Cedoñer, Manuel sanchez ; La Alta edad media, visigodos y primeros reinos cristianos, Octubre, 1980.

Martinez y Martinez (Matias Ramon) : Historia del reino de Badajoz, Badajoz, 1904.

Melchor (Antuña) : Aben Hayan de Córdoba y su obra historica, el - Escorial, 1924.

Melida (José Ramón) : Catálogo Monumental de España; Provincia de Badajoz, texto Madrid, 1925.

Menendez - Pidal (Ramon) : La España del Cid, t. I, Madrid, 1947

» » & Garcia Goméz : El conde mozarabe Sisnando Davidez y la politica de Alfonso VI con los Taifas, al - Andalus, vol. XXI, 1947.

Miguel Muñoz de san Pedro : Badajoz, ed. Everest.

Miranda, (Ambrosio Huici) : Historia musulmana de Valencia y su region, 3 vol., Valencia, 1970.

» » La salida de los Almorávides del desierto, Hesperis, 3 - 4 Trimestres, 1959.

» » La invasión de los Almorávides y la batalla de Zalaca, Hesperis t. xl, 1 - 2 trimestres, 1953.

Monés (Hussain) : Essai sur la chûte du califat umayyade de Cordoue en 1009, le Caire, 1948.

» : Consideraciones sobre la epóca de les Reyes de Taifas, al - Andalus, vol. XXXI, 1966.

Nogales (S. Gómez) : La corte de les Aftasies de Badajoz, Principalmente en el campo de la filosofia, en Actas de IV coloquio hispano tunecino, Madrid, 1983.

Oliveira (Antonio Ramos) : Historia de España : la edad media, Mexico, 1974.

Palacios (Miguel Asin) : contribucion a la toponomia arabe de España, Madrid, 1944.

» » (Oliver Asin) : el lugar de la batalla de Zalaca - Sacralias, al - Andalus, vol. XV, 1950.

Pérès (Henri) : La poésie andalouse en arabe classique au xie siecle, Paris, 1937.

Perez de Urbel (F. Justo) : Historia del Condado de Castilla, t. I, Madrid. 1948.

Pons Boigues (Francisco) : Ensayo bio bibliografico sobre los historiaderes y geógrafos arábigo españoles, Madrid, 1898.

Prieto y Vives (Antonio) : Los reyes de taifas, estudio histórico numisático de los musulmanes españoles, en el siglo V de la Hégira, Madrid, 1926.

Quiros (Po Carlos) : Los Almorávides, Archivo del Instituto Estudios Africanos, no 32, Madrid, 1955.

Remiro (Mariano Gaspar) : Historia de Murcia musulmana, Zaragoza, 1905.

Ricard (Robert) : Pour comprendre l'art musulman dans l'Afrique du nord et en Espagne, Paris, 1924.

» Couraça et Coracha, al - Andalus, vol. XIX, 1954

Rubiera (Maria Jesus) : Sur un possible auteu de la chronique intitulée al - Hulal al - Mowasiyya fi - dikr al - Ajbar al Murrakusiyya, en II coloquio hispano - tunecino de estudios arabes, Madrid. Barcelona, Mayo, 1972.

Salem (Elsayed Abdel Aziz) : obras almohades en la muralla almorávide de Sevilla, revista del Instituto Egipcio de estudios islámicas de Madrid, vol XX 1979.

» » Noticias, revista del institute egipcio de estudies islámicos de Madrid, vol XIX, Madrid, 1976 - 1978.

» » Historia de Murcia musulmane, art. entregedo a la

universidad del Cairo, en memoria del defunto profesor dr. Abdel Aziz al - Ahwani.

Sanchez, Albornoz (Claudio) : Los Reinos cristionos espanoles, coleccion Austral, Madrid.

» » Adiciones al estudio de la cronica del moro Rasis, Madrid, 1978.

» » la Batalla de la Polvoraria, Anales de universidad de Madrid, fasc. III, 1932.

» » El Islam de España y el Occidente, colección Austral, Madrid, 1981.

Seybolds (H.) : Encyclopedia of Islam, art. Battalyaws

Serrano (Carlos Callejo) : Badajoz y su provincia, coleccioón guias artisticos de España, Barcelona, 1964.

Simonet (Francisco Javier) : Historia de los mozarabes de España, Madrid, 1897, 1903.

El Shayyal (Gamal al - din), el Abbadi (M.) : Islamic and arabic contribution to the european renaissance, Cairo, 1977.

Terrasse (Henri) : Les forteresses de l'Espagne musulmane, Madrid, 1954.

» Histoire du Maroc, des origines à l'etablissement du Protectoral français, t. I, Casablanca, 1949

Torres Balbás (Leopoldo) la Alcazaba almohade de Badajoz, al - Andalus, vol. VI, fasc. I, 1941.

» » La mezquita de la Alcazaba de Badajoz, al - Andalus, vol. VIII, 1943.

Torres Balbas La via augusta y el arrecife musulman, al - Andalus, vol. XXIV, fasc. 2, 1959.

» » Caceres y su cerca almohade, al - Andalus, vol. XIII, 1948.

» » Aznalfarache, al - Andalus, vol. XXV

» » Ciudades hispanomusulmanas de nueva fundación; en Etudes d'orientalisme dédiées à la memoire de Lévi Provençal, t. II. Paris, 1962.

de Valdeavellano (Luis) : Historia de España, t. 2, de los origines 3 la baja Eded Media, Madrid, 1980.

Valdeon (Julio) Aproximación historica a Castilla a Leon, Valladolid, 1983.

Valladoz (Armando Cotarelo) : Alfonso III el Magno, Madrid, 1933

Villacrosa (José Maria Millas) : la traducción castellana del tratado de agricultura de ibn Wafid, al - Andalus, vol. VII, fasc. 2, 1943.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ملخص الرسالة باللغة الاسبانية

HISTORIA POLITICA DE BADAJOZ DURANTE LA DOMINACION MUSULMANA

(1)

BADAJOZ BAJO LA DINASTIA DE BANU ABDER-RAHMAN «EL GALLEGO»

Con la llegada de los Arabes a España, algunas ciudades mantienen sus antiguos nombres que van tomando mayor o menor importancia según los hechos.

Asi vemos como Badajoz, en los primeros años del Islam Español no tiene casi importancia, pues no fué que una pequeña aldea con muy pocos habitantes y oscurecida por la importancia de Mérida.

Allé por los años 214 y 222 de la Hégira (827, 835 de J.C.) los muladies de Mérida no estaban contentos con los administradores del poder central de Córdoba por la preferencia de trato que daban a los árabes y bereberes ya que consideraban a aquellos como recien llegados al Islam y en quienes no se podia confiar; en consecuencia los Muladiés provocaran muchas revoluciones contra los Emires, uniendose generalmente a los Cristianos.

El año 213 H. el bereber Mahmud Ibn Abdel Gabbar y el muladi Suliman ibn Martin se levantaron contra el gobernador de Mérida, Merwan el Gallego que habia sido nombrado por el Emir. Merwan murió a manos de ellos y Abderrahman II tuvo ir a Mérida a someter dichas sublevaciones.

Entre los rehenes entregados, por los derrotados, estaba Ibn-

Merwan el Gallego, quien fue llevado a Córdoba y quien pronto alcanzó, en ésta puestos de gran importancia por la confianza que la dió el Emir. Con anterioridad, Merwan el Gallego, antes de llegar al puesto de gobernador de Badajoz se habia incluso enfrentado al Emir, pero éste despues de haberlo perdonado lo nombró para ese puesto.

Abderrahman el Gallego despues de haber conseguido grandes honores en Córdoba, como guardaba en su corazon sentimientos nacionalistas huyó de la Corte y se dirigio a Mérida haciendo diversas revoluciones contra el poder central. Para el estudio de las mismas vamos a dividirlo en cinco partes lo que nos facilitará la comprensión dell mismo.

En la primera, El Gallego ataca Mérida con algunos amigos suyos, pero el emir Mohamed ibn Abderrahman los contraatacó y los yencio llevándolos de rehenes a Córdoba.

El año 875, el Gallego huye de Córdoba y vuelve a Mérida por sus desavenencias con el ministro Hashim ibn Abdel Aziz. El Gallego se dirigió al castillo de Hielo donde se reunió con otros jefes revolucionarios algunos de los cuales recibian ayuda del rey cristiano Alfonso III.

El Gallego se apoderó del castillo «Jurumenha» por considerarlo un lugar estratégico. Sadun el Soronbaki era uno de los revolucionarios que recibia mucha ayuda del rey cristiano. Todas éstas razones hicieron intervenir al emir de Córdoba quien mandó sus ejercitos contra el Oeste andalusi (el Algarve), para sofocar todas las sublevaciones. Entre las tácticas empleadas por soldados del Emir era envenenar las aguas de las ciudades sitiadas lo que obligaba a los

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

habitantes de las mismas a buscar nuevos pozos y conductos de agua para poder subsistir o salir a luchar a campo abierto, con lo que ello suponia de desventaja. Posteriormente el Emir Abdula, a petición del Gallego, hizo la paz con los revolucionarios de Badajoz pero a condicion de que éstos no saliesen de sus limites.

Tras la paz el emir Mohamed dió a Ibn Gallego autorizacion o le nombró como jefe supremo de la region de Badajoz y a partir de entonces Badajoz comenzó a convertirse en la capital de la zona por su importancia cultural, militar e incluso económica.

Dado el progreso de Badajoz, a manos de Ibn Gallego, éste se permite hasta mandar espias a Córdoba para estar informado de los acontecimientos de la Corte. También mantiene contactos por otra parte con los Cristianos. concretamente con el rey de Léon, Alfonso III.

Varios acontecimientos importantes retrasaron no obstante momentáneamente el progreso cultural o la importancia de Badajoz. Guerras, traiciones, luchas, asesinatos como la muerte de Makhul en Badajoz a manos de Hashim ibn Abdel Aziz (Makhul quedó en vez de Ibn Gallego a quien se parecia fisicamente cuando éste fué a la ciudad de Monte Shalut «Monsalud»).

Como consecuencia de estas luchas vemos al ministro Hachim prisionero del rey de Léon, Alfonso, quien mas tarde le dió su confianza.

Entre los acontecimientos de estos tiempos vemos como Ibn el Gallego une a Alfonso tercro de Léon para luchar contra los musulmanes en la batalla de «Barbaria» o de Polvorosa en la cual vencieron los Cristianos a las tropas musulmanas. Ibn el Gallego siguió aliado

a los Leoneses hasta que se dio cuenta de lo que verdaderamente hacía contra sus propios hermanos de religión sobre todo cuando derrotó y mató a muchos musulmanes en la batalla de Mérida. A partir de ese momento Ibn el Gallego se separó definitivamente de los Leoneses y volvió a Badajoz.

A pesar de esta separación de Ibn el Gallego del rey de Leon no por eso mejoraron las relaciones de aquel y los emires correligionarios suyos ya que las luchas continuaron entre Ibn el Gallego y los principes muslmanes. También Hachim después de dejar al rey leonts por haber pagado su rescate se enfrentó a Ibn el Gallego en algunas batallas.

Tras un periodo de guerras y revoluciones, la paz volvió a la zona y las relaciones entre los Emires con Ibn el Gallego aumentaron hasta tal punto que el Emir Mohamed le nombró y dio poder como único jefe supremo de Badajoz. Tanto el Emir Mohamed como su hijo Abdallah ayudaron en la reconstrucción de Badajoz y asi vemos como se construye una mezquita con una gran cúpula y alminar y, también se construyeron baños.

Posteriormente dentro de la Alcazaba, Ibn el Gallego, con medios propios construyó otra mezquita y otras varias más, en lugares diversos de la ciudad.

Esto fué una corta época de explendor para Badajoz antes de la reanudación de los problemas revolucionarios. De nuevo Ibn el Gallego unido a los habitantes de Beja y Mértola se subleva contra el Emir y continuó las luchas hasta su muerte. Por último sus sucesores tuvieron problemas con el poder central y combates con los Emires hasta

,que al final su nieto Abdalla se hizo fuerte en el poder de Badajoz al expulsar a los gobernadores impuestos por el Emirato.

La dinastia de Banu Merwan el Gallego continuno gobernando independientemente la región de Badajoz hasta la restauracion del califato omeya, y entonces, el califa Abderrahman III pudo finalmente someter a Badajoz anejandolo bajo su autoridad en el año 318 de la Hégira.

(2)

BLDAJOZ : Base y nucleo del ALGARBE durante el período de los TAIFAS :

El Andalus empezó una nueva etapa cuando el «Hakam el Mustanser» subió al Califato mostrando su gusto por las artes y la civilización y dando toda clase de facilidades a sabios y escritores con lo que llegaron a Córdoba todos aquellos a quienes interesaba la civlización y la libertad que estaban desperdigados por toda España durante ese tiempo.

Entre ellos podemos destacar a Sabur, quien tendrá un papel importantisimo en la liberación intelectual del Occidente español.

Sabur fué uno de los hombres del Mansur ibn Abi Amer quein le dió el gobierno de Badajoz influenciado por los consejos de «Sobh» esposa de El Hakam al Mustanser y como premio aparente a su trabajo y honradez aunque en realidad lo que quiso el Mansur fue alejarlo del poder central. Posteriormente el Mansur se convirtió en el auténtico gobernante en tiempo de Hisham el Moayad. A pesar de eso, Sabur continuó en el gobierno de Badajoz porque estaba lejos de la metrópoli y en consecuencia Sabur no representaba un peligro para él en Córdoba.

Tras la muerte del Mansur su estado empezó a debilitarse sobre todo en los días de Shangul. En el tiempo de la Fitna que sucedió el asesinato de Sanchuelo hubo muchas revoluciones y se independizaron varios gobernantes que anteriormente dependían de él. Entre los gobernantes que consiguieron la independencia podemos citar a Sabur que mantuvo su poder en Badajoz durante trece años.

La mayoría de los historiadores contemporáneos creen que Sabur era de origen persa, pero en realidad no lo fué, pues no era más que un liberto amerí.

No sabía gobernar bien Badajoz por lo que quien en realidad gobernaba era su ministro Abu Mohamed Abdalla ibn Mohamed ibn Moslema que era de origen bereber. Sabur gobernaba Badajoz, Santaren, Lisboa y la Marca inferior.

Abu Mohamed Abdalla era conocido con el apodo de Ibn el Aftás y fué sucesor de Sabur a pesar de que éste tenía dos hijos : Abdel Malik y Abdel Aziz. Como hemos dicho Ibn el Aftás era de origen bereber y los bereberes vivían en esa época en la zona occidental del Andalus como los Pedroches, Trujillo, Sierra Morena, Sierra del Maden (Almaden) y los alrededores de Badajoz. Ibn el Aftás se sobreapodó «el Mansur». Lo más destacado de su tiempo fueron las guerras contra el reino de Sevilla gobernado por Abu Qasem ibn Abad. Esas guerras empezaron desde la llegada de los Aftasiés en el año 420 H. por motivo de la posesión de la ciudad de Beja que fué tomada por Ibn el Aftás para hacer de ella una base militar y un centro gubernamental desde donde extender su poderío a otras tierras del Occidente andaluz.

Como el rey Ibn Abad de Sevilla era muy ambicioso y ayudó a su amigo Mohamed ibn Abdalla ibn el Berzali, gobernador de Carmona, que era una ciudad fortificada situada al nor-este de Sevilla, esta intervencion en los asuntos internos de Beja fué la causa de las guerras.

En una de esas batallas Ibn Abad cogió prisionero al hijo de Ibn el Aftás y lo tuvoencarcelado durante un año en la prisión de Carmona. Continuó después un período de paz de tres años aproximadamente y posteriormente se reanudaron los combates cuando al pasar las tropas de Ibn Abad por tierras pacenses para atacar Galicia se vieron a su vez atacados por Ibn el Aftás deseoso de tomar la revancha de su anterior derrota.

Ismael ibn Abad fué derrotado y huyó hasta Lisboa. Este periodo de paz de tres años tras la salida de la cárcel de Ibn el Aftás historicamente no es muy cierto, pues las fuentes arabes que nos han llegado no hablan del mismo.

A la muerte de Ibn Abad de Sevilla, su hijo (Ismael ibn Abad) continuó las guerras contra el heredero del El Mansur ibn el Aftás que se llamaba Al Muzafar ibn el Aftás.

En la época del Mansur ibn el Aftás, los dos hijos de Sabur (Abdel Malik y Abdel Aziz) que fueron a Lisboa se sublevaron contra el que había destronado a su padre, pero el Mansur los venció ya que Lisboa le prefería a los herederos de Sabur; dichos hermanos murieron en sus batallas contra el hijo del Mansur. Estas luchas no fueron unas luchas personales entre reyes y gobernantes sino que más bien fué una lucha de pueblos, es decir, entre árabes y bereberes ya que Ibn Abad era árabe mientras que Ibn el Aftas era berebor. Es

muy probable que anteriormente hubiese habido luchas entre Ibn Abad de origen árabe como indicamos e Ibn Hamud de Córdoba que era bereber también porque Ibn Abad quería apoderarse de todas las tierras pertenecientes a los reyezuelos en la zona occidental de Andalucia

Le sucede su hijo Mohamed al Muzafar, que como fué muy buen gobernante fue amado por el pueblo, también fué un gran militar y conocía todas las armas que se utilizaban en su época, por la experiencia que le dio el contacto con otros ejercitos así como el tiempo que pasó prisionero.

La fama de Badajoz durante su mandato llegó a un muy alto grado, teniendo gran prestigio tanto en el aspecto cultural y cientifico como en el militar hasta el punto que llegó a ensombrecer a Toledo y Sevilla.

En el aspecto político continuó la linea de su padre, respecto a Sevilla y su rey Ibn Abad a causa de los problemas existentes en Niebla.

Niebla fué capital cuyos habitantes tuvieron buenas relaciones con Ibn el Aftás en Badajoz. Al ser atacada Niebla por Ibn Abad, el Muzafar ibn el Aftás vino a ayudar a Abdalla Mohamed ibn yehia el Yahsubi de Niebla, y este hecho fue la causa principal de la reanudación de las hostilidades entre los reinos de Sevilla y Badajoz a pesar de los buenos deseos de Ibn Gahwar de Córdoba que se esforzo denodadamente por establecer la paz y las buenas relaciones entre aquellos.

Estas batallas tuvieron un caracter especial y distinto a los combates normales entre enemigos ; cuando Niebla fué sitiada por

Ibn Abad los Bereberes pacenses en vez de atacar a los árabes sevillanos para obligarles a levantar el sitio de Niebla atacan directamente la metrópoli sevillana lo que obligaria a los atacantes de Niebla a volver a sus tierras para defenderlas. Estos a su vez en lugar de seguir la costumbre tradicional, se dirigen a Badajoz para atacarla y obilgar a los Bereberes a correr en su defensa.

Estas guerras fueron provocadas no solo por motivos de sangre o razas sino tambien por la posesión de los reinos de Occidente andaluz : Silves, Huelva, Niebla y Santa María del Occidente. Los Bereberes no fueron muy fieles a su jefe pero a pesar de ello pudieron derrotar a las huestes de Ibn Abad en el año 1047 J.C.

Poco despues Ibn Yehia traicionó a Ibn el Aftás por lo que éste le atacó a pesar de estar comprometido en guerras con Ibn Abad lo que quiere decir que en esos momentos Ibn Yehia e Ibn Abad a pesar de sus diferencias de razas lucharon juntos contra Ibn el Aftás.

Resultado de todos estos combates fué la destrucción y el desvastamiento de Badajoz y sus alrededores por Ibn Abad aprovechando que Ibn el Aftás estaba ocupado en atacar Sevilla y Niebla. Por último volvió Ibn el Aftás y se enfrento a Ibn Abad cerca de Evora derrotandole . Ibn Basam es el informador de todos los hechos ultimamente citados.

Ibn el Aftás fue un dictador en su mandato no aceptando consejos de nadie respecto a decisiones a tomar.

Despues de un período de tregua se reanudaron los combates, atacando Ibn Abad los reinos de Niebla y otros de la zona occidental.

En este tiempo las relaciones de Ibn el Aftás y el Mamun de Toledo no eran muy amistosas. Toledo era en aquel momento la «marça» central de el Andalus por su situación estratégica. Los gobernantes de Toledo por esa situación en el centro de la Península Ibérica pudieron atacar a sus enemigos tanto de oriente como del occidente andaluz bien fuera Zaragoza, Sevilla, o Badajoz.

Siendo gobernante, el Mamun, fué muy amado por sus subditos, Ibn el Khatib dice que estas batallas se sucedieron entre los años 443 447 H. En la mayoría de los combates el Mamun fué apoyado por Fernando I quien aumentó los ejercitos toledanos con sus propios soldados.

La derrota de Ibn el Aftás por los sevillanos fué debida a varias causas, pero la principal fué la falta de preparación de sus propios soldados, y esto a pesar de los consejos de bereberes quienes pensaban que el ejercito pacense no estaba en condiciones de enfrentarse al de Ibn Abad.

Despues de varios meses y tras la derrota Ibn el Aftás no quiso mostrar su propia debilidad por lo que contrató a bailarinas y artistas de Córdoba para festejar en su palacio como si fuese el verdadero vencedor de esas luchas.

Entre todos estos combates fraticidas también podemos destacar las luchas del Mamun con otros jefes arabes; en primer lugar citamos el deseo del Mamun de apoderarse de Cordoba ampliando asi sus territorios, pero Córdoba pertenecia entonces al sevillano Ibn Abad por lo que tuvo que enfrentarselo para poder ver cumplido su deseo. En cuanto a las luchas de El Mamun con Ibn el Aftás no hay

muchos datos aunque parece probable que hubiese enfrentamientos al Este de la ciudad de Trujillo, zona limítrofe entre las provincias de Badajoz y Sevilla.

A pesar de que en la época de El Muzafar ibn el Aftás también existian desavenencias y luchas intestinas entre los Cristianos sin embargo estos se aprovecharon del hecho de que la zona norte de Badajoz no estaba muy bien defendida para apoderarse de varios territorios y ciudades. Como ejemplo Fernando I de Castilla y León sin oposición por parte de Ibn el Aftás que consideraba inutil la defensa de las mismas por lo que no llegó ni a enfrentarse a los ejercitos cristianos.

Posteriormente Fernando I como consecuencia de estas victorias exigió un tributo a Ibn Aftás quien no quiso pagarlo por lo que Fernando mandó un ejercito de diez mil hombres a Santaren, la ciudad más importante del dominio de Ibn el Aftas. El rey musulman ante el cariz de los hechos se decidió a pactar con Fernando I y pagar el tributo que fue de cinco mil dinares.

Otro hecho importante es la entrega que hizo de Coimbra su gobernante Randah a Fernando I. Randah traicionó a su su rey ibn el - Aftas y facilitó a los cristianos la conquista de Coimbra. Ibn el Aftás enfadado por esta traición juzgo y ejecuto a Randah.

Despues de la muerte de Fernando I sus herederos preocupados en asuntos internos abandonaron las luchas contra el reino de Badajoz A la muerte de Muzafar el año cuatrocientos sesenta de la hégira le sucedieron sus hijos Omar y Yehya. Según los historiadores Yehia fue el rey de Badajoz pero con la oposición de su hermano a quien prefería el pueblo y que habia recibido Evora como herencia paterna.

Consecuencia de esta división entre hermanos fue el que Omar ayudado por Ibn Abad de Sevilla ataca a Yehya a quien ayudaba el Mamun de Toledo con lo que se recrudecieron las luchas entre Toledanos y Sevillanos el territorio de Badajoz.

La pronta muerte de Yehia (muerte natural) suspendió los combates al aceptar todos a Omar como único heredero de Ibn el Aftás. Alfonso VI, sucesor de Fernando I pidió el aumento de los tributos a Yehya.

La época de Yehya fue una época triste y de poco grato recuerdo para Badajoz.

En tiempo del Motawakel ibn el Aftás los reinos de Taifas se dieron cuenta del peligro cristiano sobre todo despues de la caida de Toledo en manos de Alfonso VI e hicieron causa comun llamando en su ayuda a los Almorávides quienes sometieron a sus propios correligionarios a pesar de que llegaron en ayuda de sus hermanos. Vemos asi como Ibn Abad de Sevilla es derrotado y llevado prisionero a Marruecos donde murió más tarde.

Por su parte Ibn el Aftás al ver el comportamiento de los Almoravides pidió ayuda á Alfonso VI, lo que enojo a los Norteafricanos quienes consideraron esta unión como una traicion por lo que atacaron a Ibn el Aftás y lo mataron. Todos estos hechos principales tuvieron su origen en acontecimientos internos ocurridos en Toledo. Vemos como Ibn el Aftás es llamado por los Toledanos para que los gobierne, mandato que duró solamente diez meses porque la ciudad cayó pronto en manos de Alfonso VI quien de tiempo anterior conocía esta zona a fondo y pudo atacar mas facilmente a Toledo y apoderarse de ella.

Así Ibn el Aftás se vió obligado a retirase a sus dominios de Badajoz. la idea de Ibn el Aftás cuando aceptó la invitacion de los Toledanos para apoderarse de esta ciudad fúe el temor que tenía al ver como Alfonso VI habia tomado Coria facilmente desde donde iría a Badajoz casi sin oposición, mientras que al tener que tomar Toledo que él mismo defendria le seria a Alfonso más difícil ya que tendria que vencerlo dos veces, primero en Toledo y luego en Badajoz.

Tras la toma de Coria, Alfonso amenazó por carta a Ibn el Aftás quien le contestó altivamente pidiendo al mismo tiempo ayuda a los Almorávides y mandando enviados a otros reinos de Taifas para que se uniesen contra Alfonso.

En ese mismo tiempo los Almorávides fueron solicitados no solamente por Ibn el Aftas sino también por Ibn Abad y otros como Ibn Ziri de Granada.

Como respuesta a todas estas llamadas los Almorávides pasan al Andalus y derrotan a Alfonso VI en Sagrajas. Estaba Sagrajas situada en la zona norte de Badajoz. y alli se enfrentaron los ejercitos. musulmanes y cristianos, y, aunque estos eran mucho más numerosos que aquellos y, llevaron ventaja al comienzo de la batalla, el final fué victorioso para los soldados de la Media Luna.

Tras la batalla, el jefe almorávide Ibn Tasfin regresó a Marruecos pero las divergencias de sus correligionarios del Andalus le hicieron pensar en la conveniencia de volver otra vez, sometiendoles a todos y enfrentándose a los Cristianos como jefe único del Islam Andaluz.

Algunos historiadores creen que la idea de Ibn Tasfin no era solo el defender a sus hermanos de religión contra el cristianismo sino que pensó también en el hecho de apoderarse del Andalus, como uno de los territorios que era incluso más rico que su propio reino.

(3)

BADAJOZ BAJO LOS ALMORAVIDES

Volviendo a Badajoz, y según dice Fernando Valdés, si Ibn el Attás no hubiese pedido la ayuda o se hubiese aliado a Alfonso VI los Almorávides no habrian tomado la ciudad tan facilmente ya que los hábitantes de Badajoz se enfadaron al ver la alianza de este con los Cristianos y facilitaron a los Almorávides su entrada en la ciudad. Ibn el Aftas y su familia no pudieron escaparse a la muerte porque se encerraron en la Alcazaba de Badajoz, esperando la ayuda de Alfonso y como ésta no llegó los Almorávides la mataron.

Pero porqué mataron los Almorávides a Ibn el Aftas y no mataron a otros reyes de Taifas ?. Según la opinión del historiador alemán Ashbaj las relaciones Ibn el Aftas - Almorávides no fueron nunca leales ya que a veces a pesar de aliarse para luchar contra los Cristianos en otras ocasiones Ibn el Aftás los traicionaba a sus espaldas firmando tratados de mutua ayuda con Alfonso VI, lo que no era del agrado de los Almorávides y luchando contra sus propios correligionarios los Almorávides, por eso se enfadaron mucho y decidieron finalmente matarle.

La muerte de Ibn el Aftás se produjo utilizando los Almoravides el engaño ya que la verle encerrado en la Alcazaba pacense fingie-

ron una amistad y le propusieron un viaje a Sevilla. Al emprender dicho viaje a las puertas mismas de Badajoz dos de los hijos de Ibn el Attás fueron decapitados en su presencia y mientras Ibn el Aftas rezaba ante ellos fue decapitado. De esta matanza se salvó solamente su hijo Mansur ibn el Aftas quien al no hallarse presente en Badajoz en ese momento se puso al servicio de Alfonso VI convirtiendose mas tarde al Cristianismo.

Badajoz tras su caida en manos de los Almorávides se convirtió en una fortaleza de las mas importantes es decir una auténtica base militar fronteriza desde donde se podian lanzar ataques al enemigo cristiano viendo asi como en el año 504 H. el capitan Sir Ibn Abi Bakr atacó el reino de Portugal.

Por estas razones estratégicas Ibn Tasfin se preocupó por dotarla y avituallarla militarmente.

Los Almorávides demostraron mucha actividad militar durante la jefatura de Tasfin ibn Ali quien pudo lograr una gran victoria en una segunda Sagrajas cerca de Badajoz, ahora contra los Portugueses.

En esta época los habitantes del oeste andaluz sufrieron mucho con toda esta serie de luchas entre Musulmanes y Cristianos por lo que al cabo de algun tiempo hubo revoluciones que se extendieron a todo el Andalús. Destacamos a Ibn Kasi el Muladí que empezó su revolución en Silves, Mértola, Niebla y Badajoz, y su amigo Sidray ibn Wazir fue gobernador de Evora y pudo gobernar Badajoz por un poco de tiempo.

Estas revoluciones tuvieron un caracter nacionalista. Cansados los

Andaluces del dominio almorávide, pidieron ayuda a los Almohades.

Los Almohades vinieron a Badajoz como libertadores pero en realidad se convirtieron en los nuevos señores de la capital por lo que Ibn El Hagam se levantó contra ellos pero pronto fue sometido y mandó regalos al Califa Abdel Mu'men. En la época del Badajoz almohade, los reinos cristianos se fortalecen y hacen una gran presión contra Badajoz siendo Portugal el mas fuerte de los reinos cristianos. Badajoz cae en mano de los almohades el año 545H.

(4)

BADAJOZ BAJO LA DOMINACION ALMOHADE

El Califa almohade Abdel Mu'men quiso, en su segunda excursión a España, según el historiador árabe Ibn Saheb el Sala, aconsejado por sus altos jefes militares, dividir todos sus ejercitos en cuatro grandes cuerpos con cada uno de ellos atacar a reinos cristianos diferentes : Toledo, Barcelona, Ciudad Rodrigo y Coimbra. Nos vamos a referir principalmente a este último ya que es el que afecta mas directamente a nuestro trabajo.

El Califa lanza sus tropas contra el reino portugués porque quería castigar a Alfonso Enriquez quien habia atacado en diversas ocasiones a Lisboa, habiendola saqueado y entregado a los obispos, ayudado a veces incluso por Alemanes e Ingleses, En estos dias la mezquita lisboeta fue convertida en Catedral. También el rey Alfonso Enriquez habia ocupado Santaren y despues Alcacer do Sal en el año 1160 J.C.

Estos ataques se efectuaban a veces por mar y otras veces por

fierra. Posteriomente los Cristianos de Santaren atacaron y desvastaron la tierra de Beja.

Todos los deseos del Califa almohade no pudieron verse cumplidos por su prematura muerte. Le sucedió su hijo Abu Yacoub Yousef quien tenia otras luchas con los Cristianos.

Estos dias y en estos combates destaca la figura del mercenario portugués Giraldo Simpavor quien a sueldo de Alfonso Enriquez sometió muchas ciudades musulmanas : Trujillo, Evora, Caceres, Montanchez, Jurumenha y Serpa, Este guerrero valeroso mostraba a sus propios soldados como vencer al enemigo. Dicen los histiradores árabes que cuando se encontraba ante cualquier ciudad amurallada, lo primero que hacía era sorprender a los guardianes tras haber subido a la muralla por medio de escaleras y despues de matar a los propios guardianes abría las puertas de la ciudad para que sus tropas emboscadas en las cercanías entrasen con facilidad pudiendo asi matar a los habitantes y saquear la ciudad. Todas estas ciudades tomadas una tras otra fueron el eslabon que conducia a Badajoz la cual tambien cayó en sus manos.

Los habitantes de Badajoz que esperaban la ayuda del norte de Africa no recibieron esta ayuda del Sur sino que la recibieron de la parte septentrional de la península iberica. Concretamente Fernando II queriendo atacar a Alfonso Enriquez pensó en liberar con la esperanza de quedarse con ella en el futuro la ciudad de Badajoz, en manos del caballero portugués Giraldo y efectivamente le venció. En este combate resultó herido Alfonso Enriquez quien posteriormente fue hecho prisionero por el rey leonés aunque solo fué por poco

tiempo. Tras la curación de Alfonso Enriquez fue liberado por el propio Fernando lo que permitió a aquel volver a sus territorios. Fernando dejó también Badajoz a sus primitivos dueños los musulmanes almohades ya que estos eran sus aliados en algunas luchas que el leonés sostuvo contra otros reyes cristianos.

Dentro de las construcciones y los trabajos realizados por Yehia, el gobernador de Badajoz nombrado por el Califa almohade destacan el pozo protegido por un «coracha» que mandó construir dentro de la Alcazaba con la finalidad de que si la ciudad fuese situada de nuevo sus habitantes no padeciesen el tormento de la sed.

Estos dias continuaron las actividades militares del caballero Giraldo Simpavor quien en una ocasión derrotó a Yehya gobernador de Badajoz, haciendole creer que se retiraban, y cogiendolo despues en una emboscada. También Giraldo apresó a una expedición de socorro y avituallamiento procedente del Marruecos almohade tras el hambre que padeció Badajoz al ocurrir un terremoto que desvastó algunas ciudades del Andalus Occi lental.

El año 1170 J.C. murió Yehya, gobernador de Badajoz, como consecuencia de las heridas sufridas en une batalla contra los Cristianos quienes esos dias se mostraron muy activos en el aspecto militar.

Consecuencia de estos combates fue el hecho de la venida a España de otro contingente de tropas almohades al frente del hermano mismo del Califa, quien no pudo venir por estar enfermo. Abu Said con todos los jefes y grandes personajes de los taifas andauces decidió defender Badajoz del peligro que suponia la proximidad de Giraldo y se puso do acuerdo con Fernando II quien tambien queria proteger Badajoz contra el peligro portugués para apropiarse de ella.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Los últimos acontecimientos de estos dias nos muestran como el mercenario Giraldo ofrece sus servicios al Califa almohade quien en principio le aceptó pero al ver y descubrir que Giraldo seguia en contacto con Alfonso Enriquez lo encarceló y mandó matarlo. Los almohades atacaron la ciudad de Santaren pero fueron derrotados por Alfonso Enriquez y en esa batalla murió el Califa almohade Abu Yacoub Yousof.

En el reinado de Almanzor las tropas almohades lograron una gran victoria en el año 591. H.

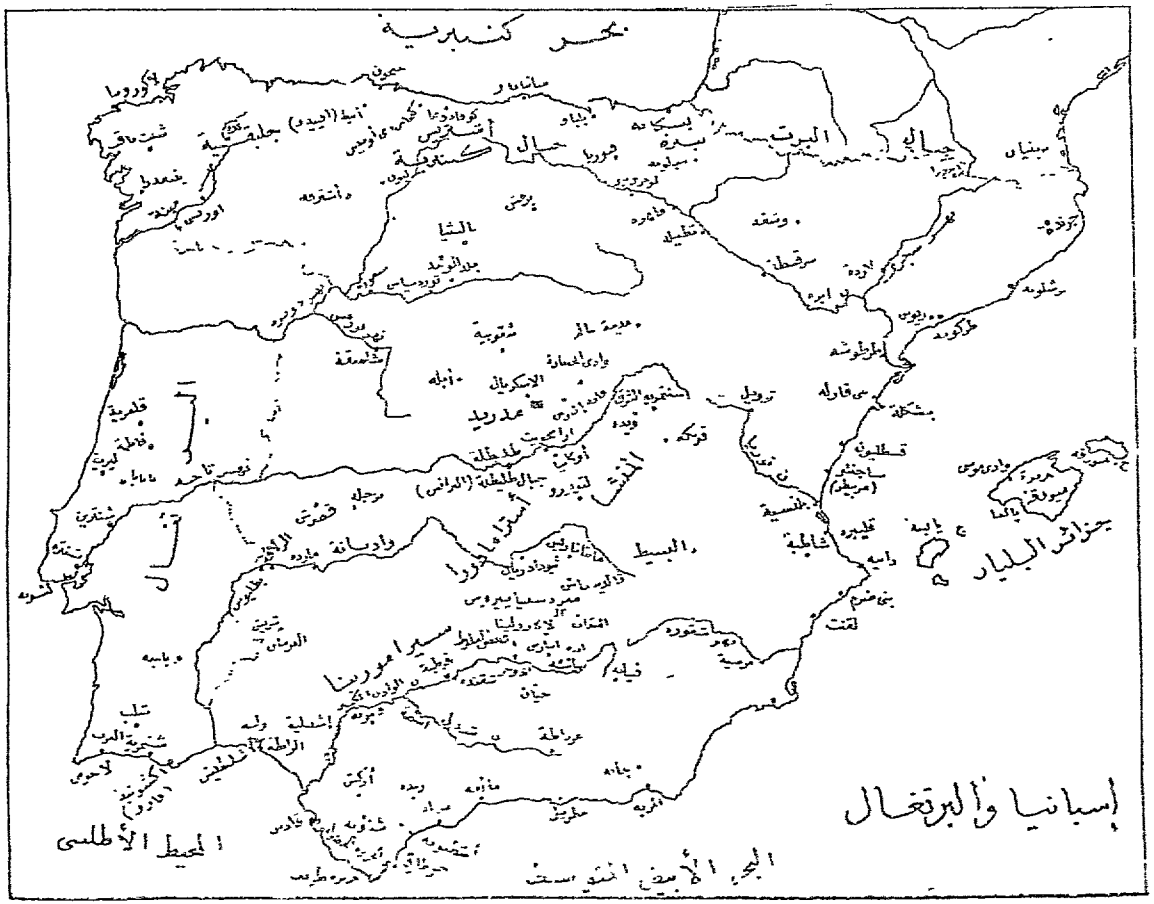
Se comprometió a liberar todas las ciudades del Algarbe ocupadas por los Portugueses pero después de su muerte y sobre todo de la fatal derrota de Las Navas de Tolosa y las divergencias entre los principes almohades en torno del trono, los Almohades del Algarbe se debilitaron hasta el punto de dejar a los Portugueses, Castellanos y Leoneses desvastar los territoirios musulmanes y asi la Reconquista empezó a tener una etapa decisiva.

Badajoz cayó en manos del rey Alfonso IX rey de León el año 1230 J.C. (627 H.). Con su caida termina una página gloriosa en la historia del al - Andalus.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

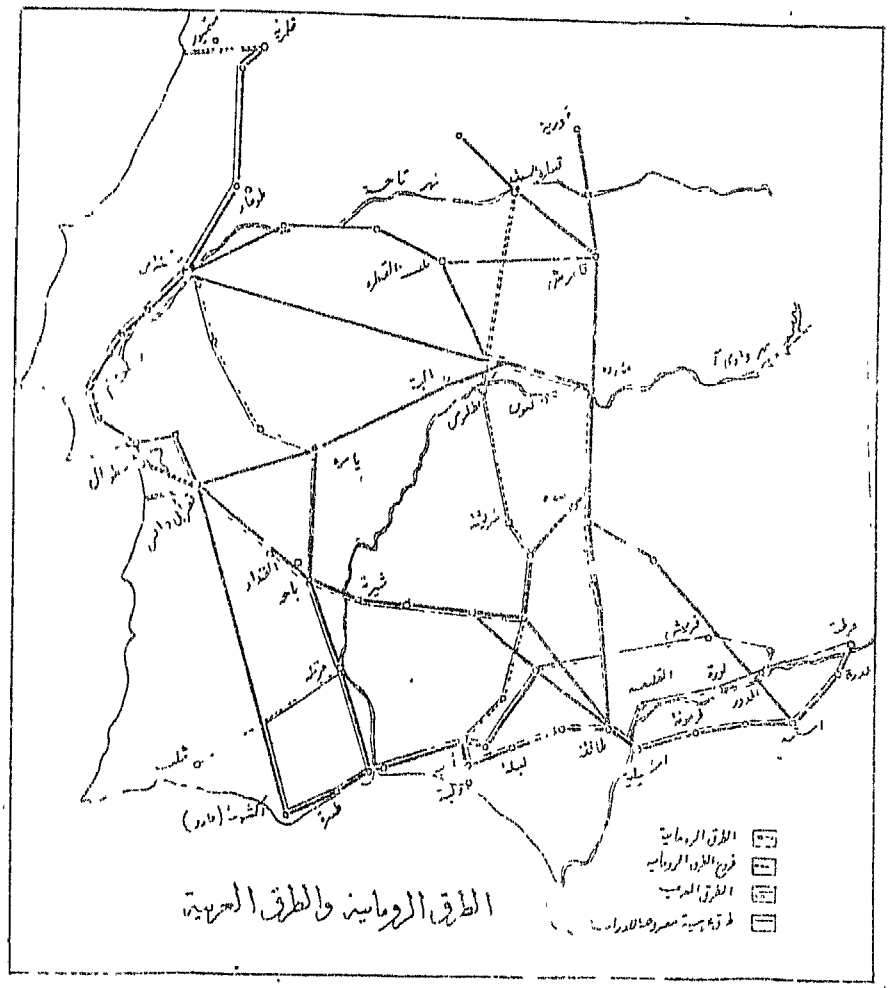
مدينة بطليموس القديمة والمدينة الحديثة

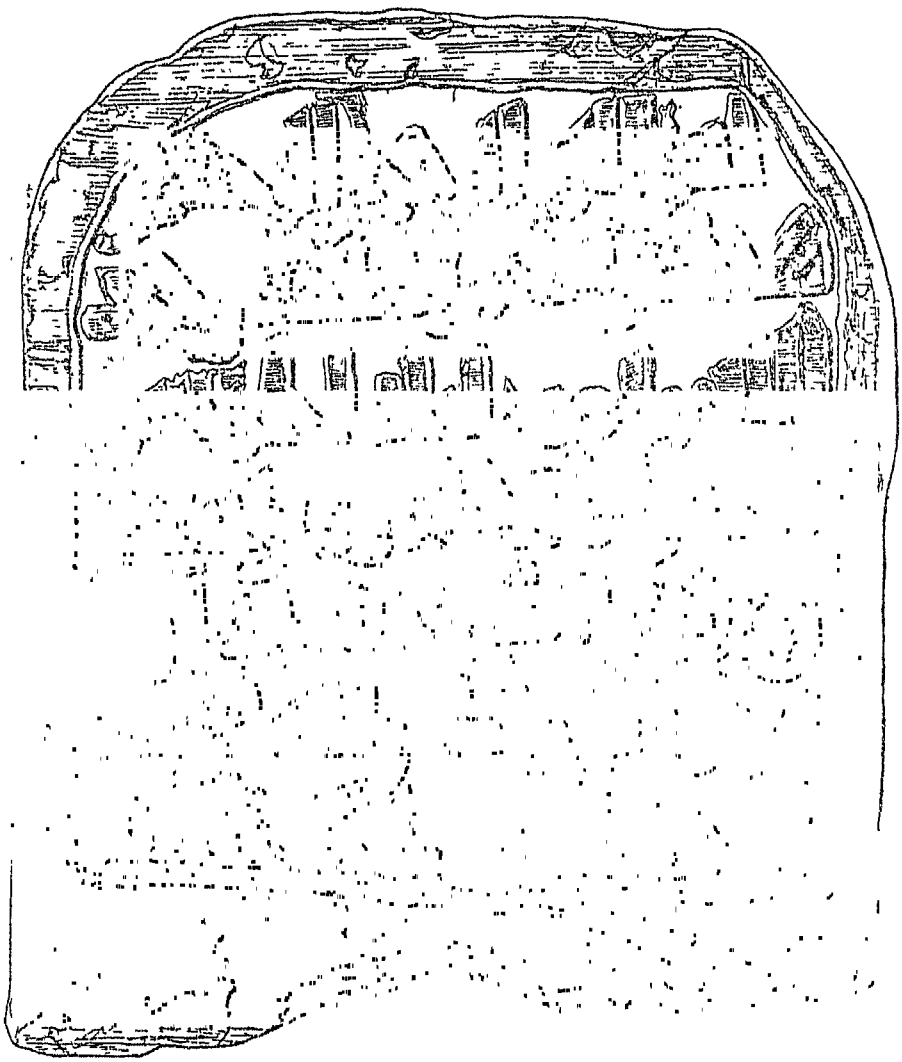

بحر كنطبرية
أوروبا
جليقية
شنت ياقب
أشتورس
كنتابرية
جبال
البرت
جبال
البيرنيه
بنيان
البشا
وشقه
قطيلة
سرقسطه
برشلونه
مرسيه
مالطه
عدريد
قلمرية
قطلونية
ساجنتش
(مرسيه)
وادي ريوس
مورقة
يابسة
جزائر البليار
شاطبة
قلبره
دانيه
بلنسية
بخاصم
لقنت
فيلبه
مرسيه
حيان
عرانطة
جبال
طليطلة
(الراس)
البسيط
وادياسة
الوادي الكبير
قرطبة
اشبيلية
وله
الراطة
طليطلة
شجرة العرب
لاجوس
(قادس)
المحيط الأطلسي
البحر الأبيض المتوسط
إسبانيا والبرتغال

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

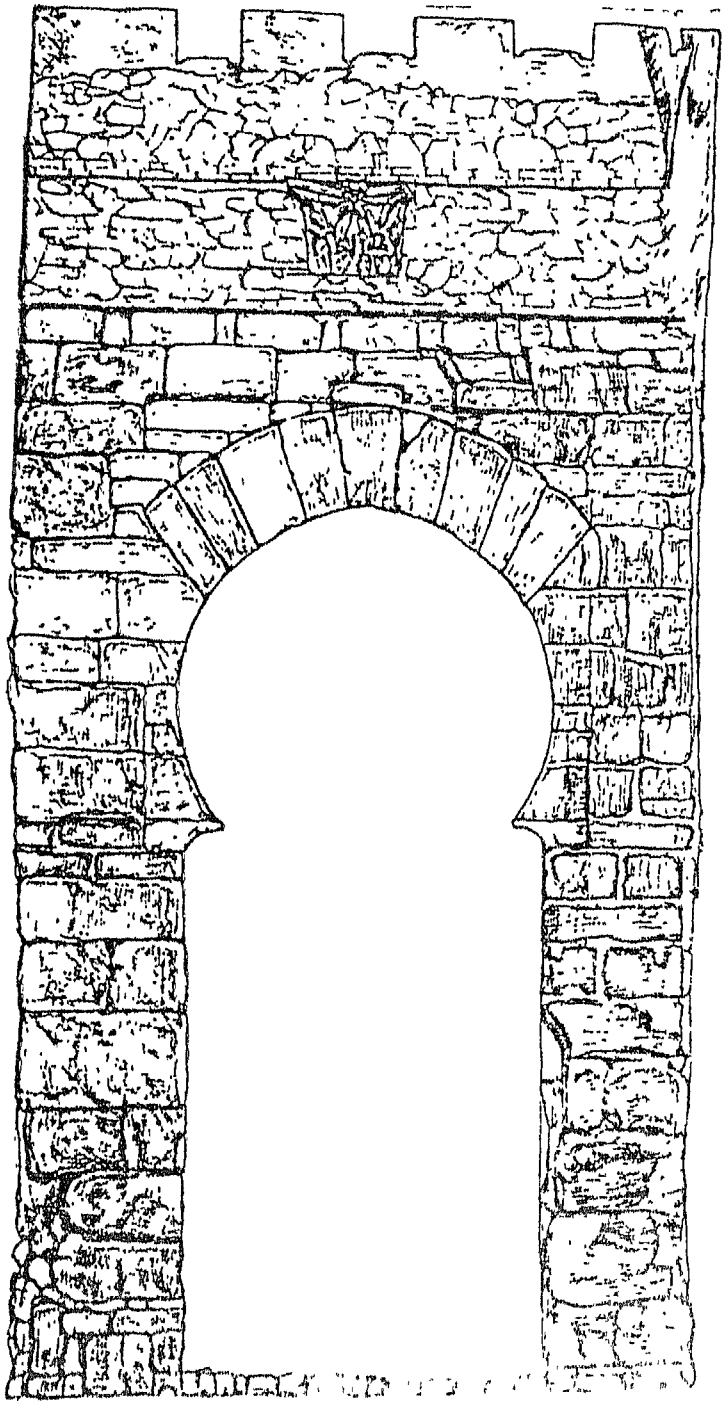
دويلات الطوائف
في منتصف القرن الخامس الهجري

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

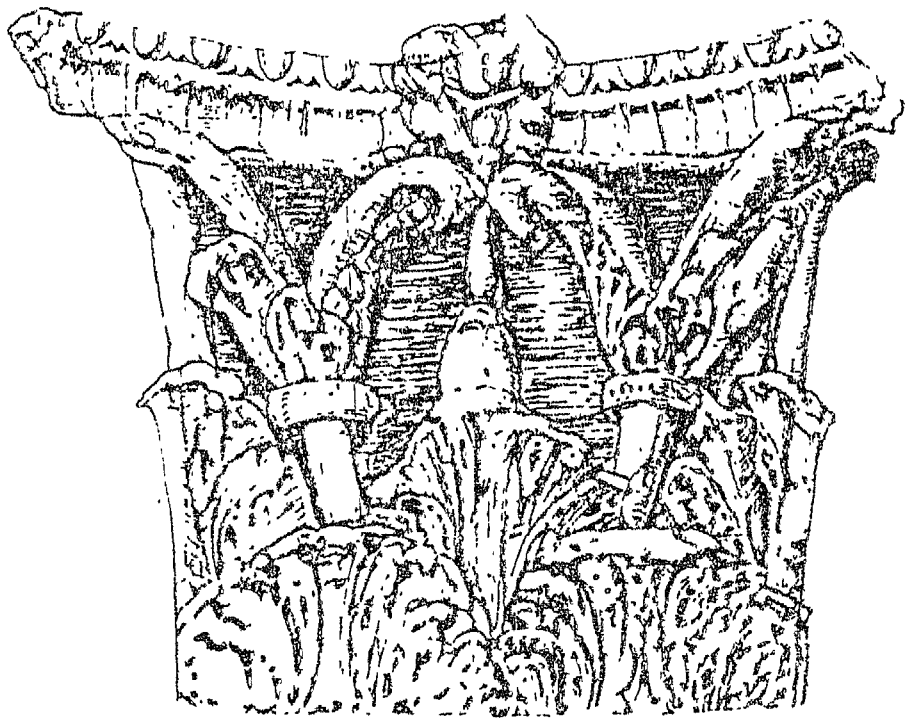




شاهد قبر سابور العامري الحاجب المتوفى ٤١٢ هـ



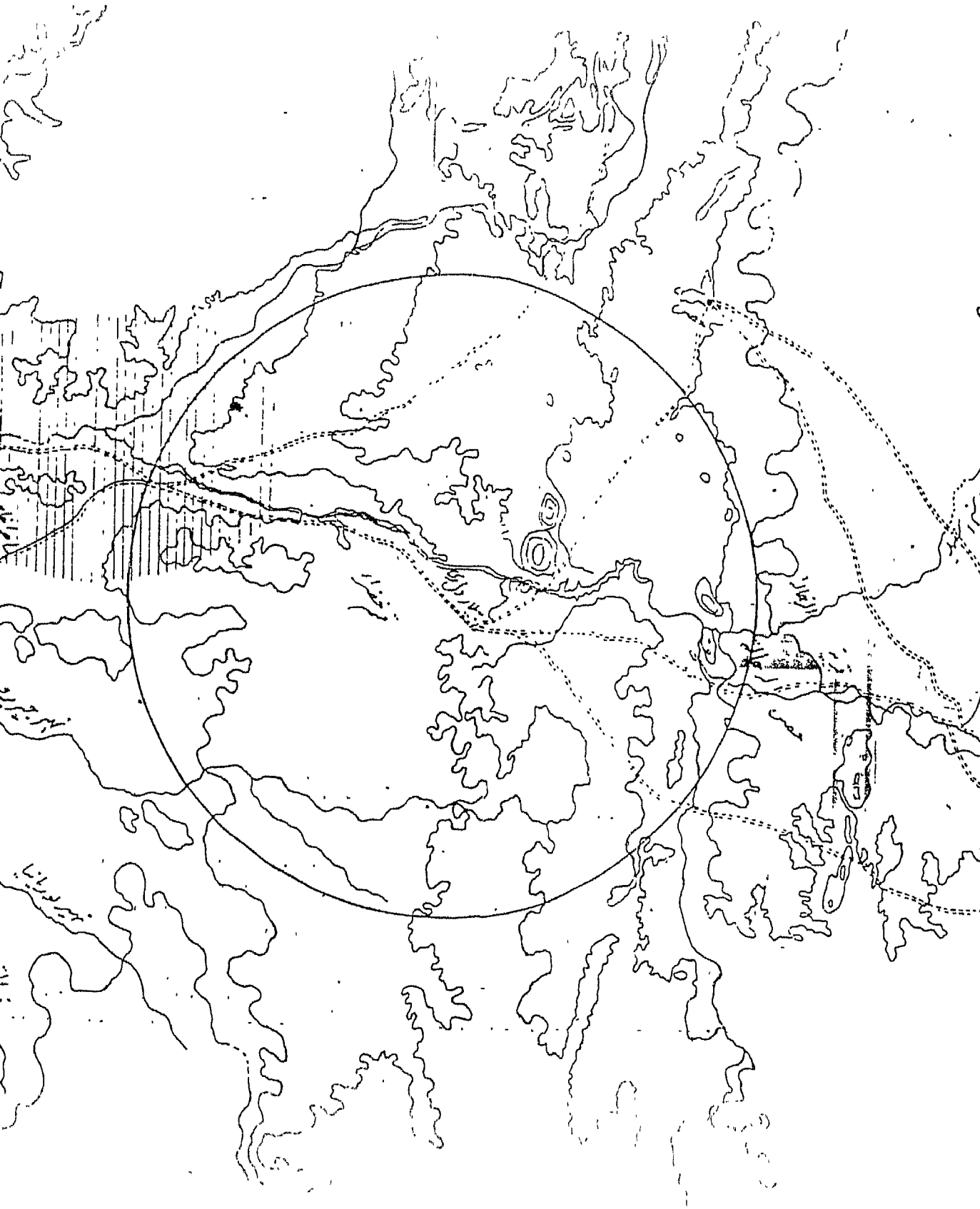
(Elevation) ... نطلوس



التاج المثبت بأعلى باب التاج

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



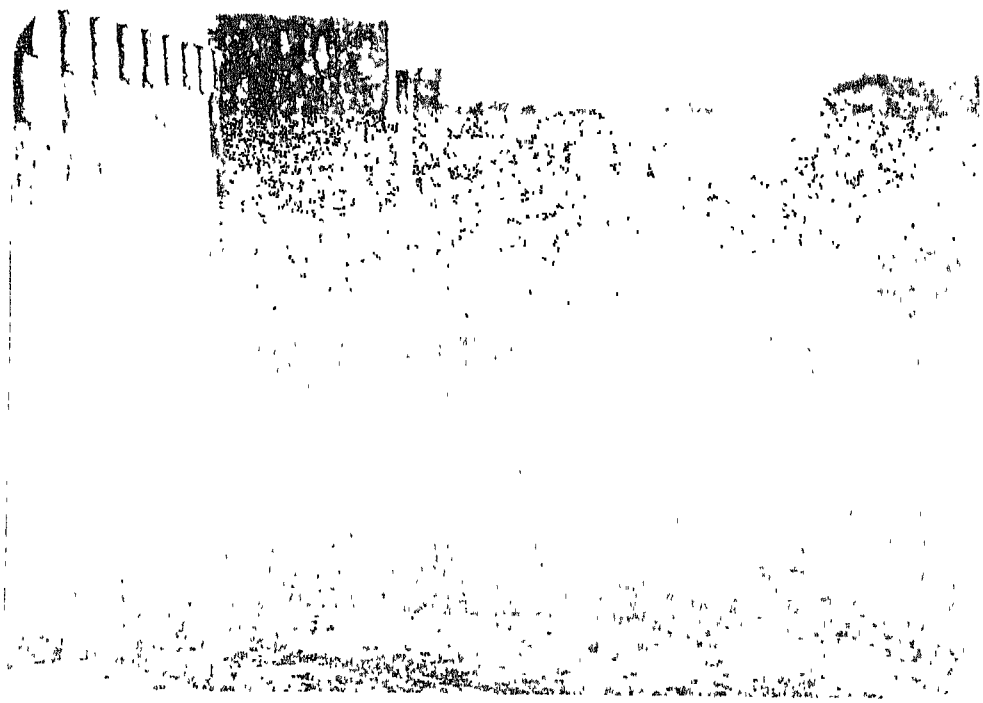
Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



الطالبة مع الدكتور فرناند وبالدث رئيس البعثة الأثرية ببطليوس
أمام احدى المجسات بالقصبة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



جانب من سور القبة وتشاهد قورجة متفرعة من السور
تنحدر نحو وادیانة



الموقع الذى دارت فيه موقعة الزلاقة ببطحاء بطليـــوس

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

محتويات الجزء الثانى

الفصل الرابع

الموضوع — رقم الصفحة

بطليوس فى عصر المتوكل على الله عمر بن الافطس

(١) مرحلة الانتقال من المظفر الى المتوكل ٩

(٢) المرحلة الاولى من عصر المتوكل (٤٧٢هـ ـ ٤٧٣هـ) ١٧

(٣) المرحلة الثانية من عصر المتوكل (٤٧٣ ـ ٤٧٩) ٣١

(٤) اطماع الفونسو السادس فى مملكتى بطليوس واشبيلية ٣٧

(٥) هزيمة الفونسو السادس فى الزلاقة من بطليوس ٥٤

(٦) تحقيق موقع الزلاقة من أراضى بطليوس (ساجراخاس) .. ٩٧

(٧) نهاية بنى الافطس اصحاب بطليوس ١٠٩

الباب الثالث

بطليوس منذ دخولها فى فلك دولة المرابطين فى عام ٤٨٨هـ (١٠٩٥م) حتى سقوطها فى أيدى الليونيين عام ٦٢٧هـ (١٢٣٠م)

الفصل الخامس

بطليوس فى عصر دولتى المرابطين والموحدين

(١) بطليوس فى عهد على بن يوسف ١٤١

(٢) الثورة فى غرب الاندلس وانهيار سلطان المرابطين ١٦٧

(٣) بطليوس فى عهد عبد المؤمن بن على وابنه يوسف ١٨٩

(٤) بطليوس فى عهد الخليفة ابى يوسف يعقوب المنصور .. ٢٣٦

(٥) بطليوس فى عهد خلفاء المنصور ٢٥٢

(٦) سقوط بطليوس فى أيدى الليونيين سنة ٦٢٧هـ (١٢٣٠م) .. ٢٦٢

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الموضـــوع رقم الصفحة

الخاتمـــة ٢٧٩

ملاحـــــق الرسالة

الملحق الاول ـ عرض تاريخى موجز للممالك المسيحية فى شبه جزيرة ايبيريا التى لهـا اتصال مبـاشر بغرب الاندلس ٢٩٣

الملحق الثانى ـ نص الرسالة الموجهة من المتوكل على الله عمر بن الافطس الى امير المسلمين يوسف بن تاشفين ٣٧٩

الملحق الثالث ـ نص الرسالة الموجهة من المتوكل على الله عمر بن الافطس الى الفونسو السادس ملك قشتالـة ٣٨١

الملحق الرابع ـ ثبت بأسماء الاعلام الجغرافية والمواضع الوارد ذكرها فى الرسالـة ٣٨٣

قائمة المصادر والمراجع الحديثة ٣٨٩

موجز الرسالة باللغة الاسبانيـة ٤١٣

فهرس الصور والخرائط والرسوم التوضيحيـة ٤٣٣

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تـــم بحمـــد الله

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Bibliotheca Alexandrina
مكتبة الإسكندرية
0298516

غلاف
مطبعة الانتصار
ELENTSAR PRESS
١ شارع الورداني كوم الدكة ت ٤٩١٦٥٩٧ اسكندرية